

**السجل العلمي**  
**لمؤتمر مؤتمر ظاهرة التكفير**  
**المحور الثامن**



مؤتمر ظاهرة التكفير .. الأسباب .. الآثار .. العلاج



مؤتمر ظاهرة التكفير .. الأسباب .. الآثار .. العلاج



مؤتمر ظاهرة التكفير .. الأسباب .. الآثار .. العلاج

## فهرس المحور الثامن

رقم الصفحة	عنوان البحث واسم الباحث
٤٥٦٩	متطلبات تجسيد الأمن الفكري من خلال المناهج التعليمية، السعيد عواشرية
٤٦١٩	دور المؤسسات التعليمية في مكافحة إشكالية التكفير... دراسة تحليلية ميدانية، رقية طه العلواني
٤٦٦٩	مسؤولية مؤسسات المجتمع في علاج ظاهرة التكفير، د. محمد حمد كنان ميغا
٤٦٨٩	الإصلاح الفكري و ظاهرة التكفير في المؤسسات التربوية والتعليمية، الأستاذ بن نعمة عبد الغفار
٤٧٢٥	المسؤولية الأمنية للمعلم، د. محمد يحيى غيلان
٤٧٨١	دور بعض مؤسسات المجتمع في مواجهة ظاهرة التكفير، د.أحمد مختار مكي
٤٨٢٥	درجة الوعي بظاهرة التكفير من وجهة تربوية لدى عينة من طالبات التربية بجامعة الطائف، د. إيمان إبراهيم محمد العمريطي
٤٨٨٣	مسؤولية المؤسسات الاجتماعية في علاج داء التكفير: مقارنة تأسيسية أولية من منظور قرآني، د.السيد عمر
٤٩٤٣	دور مناهج التربية الإسلامية في الحد من ظاهرة التكفير. رؤية تطبيقية لمناهج التربية الإسلامية في المرحلة الثانية، مروان بن صالح بن عبدالعزيز الصقعي

رقم الصفحة	عنوان البحث واسم الباحث
٤٩٩٣	جهود المؤسسات الشرعية بالملكة العربية السعودية في علاج ظاهرة التكفير، د.حامد بن مده بن حميدان الجدعاني
٥٠٩٧	مسؤولية المؤسسات الدعوية في علاج ظاهرة التكفير، د. لمياء بنت سليمان بن عبدالعزيز الطويل
٥١٤٧	الشبه التكفيرية ومهارات التعامل معها، د. عبدالله بن ناصر آل سليمان
٥٢١٣	إستراتيجيات تربوية تعليمية في علاج ظاهرة التكفير، د.كوني صواليحو
٥٢٤١	أثر المناهج الدينية في القضاء على ظاهرة التكفير، عبد الله السماعيل
٥٢٦٩	الفضائيات الدينية وظاهرة التكفير: دعم أم مواجهه، أ.د. سامي محمد ربيع الشريف
٥٢٩١	مسؤولية المؤسسات الدعوية في علاج ظاهرة التكفير، أ.د.عبدالرحيم بن محمد المغذوي
٥٣٥٩	دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية في حماية الناشئة من الفكر التكفيري، أ.د. داود بورقيبة



ظاهرة التكفير .. الأسباب والعلاج والآثار



# متطلبات تجسيد الأمن الفكري من خلال المناهج التعليمية

د. السعيد سليمان عواشرية

أستاذ محاضر، قسم العلوم الاجتماعية، شعبة علم النفس،

جامعة باتنة، مخبر إدارة وتنمية الموارد البشرية، جامعة

سطيف، الجمهورية الجزائرية



مؤتمر ظاهرة التكفير .. الأسباب .. الآثار .. العلاج



## مقدمة

إن التوازن مطلب شرعي، ومبدأ تربوي إذ جاءت النصوص من الكتاب والسنة آمرة به محذرة مما سواه من الإفراط والتفريط، قال - تعالى - : ﴿ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾<sup>(١)</sup>. ومن ثمة يمكن اعتبار موضوع الوسطية والتوازن والاعتدال في الفكر من الموضوعات التي ينبغي أن يعنى بها المربون؛ لاضطراب الموازين عند الكثير من الشباب العربي، ما بين غالٍ متشدد وجاف مفرط. إذ أضحى الأمن الفكري في الآونة الأخيرة في الكثير من الدول والمجتمعات مهدداً بمشكلة التطرف الفكري، مما جعلها عرضة لأزمات داخلية، ونزاعات، وتحديات تتعلق بالحرريات، والديمقراطية، والحاكمية، وحقوق الإنسان، والإرهاب، والتكفير، وغيرها.

وتعتبر المناهج التعليمية من بين أنسب السبل والوسائل التي يمكن استثمارها في علاج هذا الاضطراب والوقاية منه، لأن الفكر بلغة علم النفس وعلوم التربية تكوين فرضي؛ إذ بالرغم من عدم إمكانية ملاحظته إلا أنه يمكن الاستدلال عليه من خلال مؤشرات الدالة عليه، التي تترجم إجرائياً في شكل سلوكيات قابلة للملاحظة والقياس. ولما كانت السلوكيات البشرية مكتسبة في مجملها باستثناء الغرائز والمنعكسات الشرطية، فإنه يمكن اعتبار السلوكيات المؤشرة على استقامة الفكر واتزانه في أغلبها سلوكيات مكتسبة، يكتسبها الفرد عن طريق الممارسة والتعزيز، وباعتبار أن التعليم وسيلة من وسائل التربية فإنه يمكن القول أن للتربية دوراً كبيراً في قولبة أفكار الأفراد وفق القالب الذي تريده.

ومما لا اختلاف فيه أن هذه المؤسسات التعليمية وبحكم أن النظام التربوي نظام مفتوح يأخذ من المجتمع ويعطي له فهي تمتد المجتمعات بمتخرجين يحملون مجموعة من القيم، والمهارات، والمعارف اللازمة للقيام بأدوارهم الاجتماعية المختلفة، ابتداء من الدائرة الأضيق المتعلقة بمهنتهم وصولاً إلى الدائرة الأوسع المتعلقة بكونهم مواطنين، لذلك أصبحت المسؤولية الاجتماعية للمؤسسات التعليمية مطروحة اليوم عالمياً، ونرى أن ذلك أكثر حاجة للطرح في الدول والمجتمعات التي شهد أمنها الفكري تهديداً من مشكلة التطرف الفكري وعانت من تبعاته وآثاره المؤلمة، خاصة وأن معطيات علم النفس وعلوم التربية تؤكد على أن الفكر الإنساني له أهمية كبيرة في توجيه سلوك الفرد نحو البناء أو التدمير، وأن الفكر الإنساني لا يستقيم إلا باستقامة النظام التعليمي الرامي إلى بنائه، غير أن تمكنها من بلوغ ذلك لن يتحقق إلا من خلال مناهج تعليمية جامعية روعي في تصميمها ذلك المسعى. وحتى تحقق المناهج التعليمية الجامعية مسعى تجسيد وتعزيز مبدأ الوسطية لا بد من الاستناد في تصميمها إلى أسس واضحة المعالم، موازية لذلك، والعمل على تجسيد ذلك في نمطية انتظام مكوناتها إجرائياً، والسعي لتوفير متطلبات ذلك، مع نقل المحتويات العلمية الصريحة والضمنية المتضمنة في هذه المناهج من إطارها النظري داخل الجامعات إلى إطارها التنفيذي داخلها وخارجها، وتجسيد ذلك قدر المستطاع إجرائياً.

وأن النظام التعليمي لا يستقيم إلا باستقامة مناهجه في مختلف مكوناتها، وهذا لن يتأتى ما لم يستند في تصميمها إلى خلفيات ومرجعيات واضحة المعالم ومستندة إلى أحدث النظريات العلمية النفسية والتربوية في هذا المجال، مع مراعاة انتظام مكوناتها وفق نمط يضع في الحسبان كل ذلك، مما يجعل مصممي المناهج التعليمية اليوم أمام مهمة صعبة، ولكنها غير

مستحيلة. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الدور الذي يمكن للمناهج التعليمية أن تلعبه في تعزيز الأمن الفكري، وتحصينه من مشكلة التطرف الفكري.

**ونظرا لأهمية الموضوع وانطلاقا من هذه الفكرة فإن هذا البحث يهدف إلى الكشف عن جملة من القضايا من أهمها:**

- ١- أثر التطرف الفكري في الأمن الفكري، وما هي تبعاته؟
  - ٢- دور مكونات المناهج التعليمية في تحصين الأمن الفكري، من مشكلة التطرف الفكري؟
  - ٣- الخلفيات التي يجب على مصممي المناهج التعليمية الاعتماد عليها في بناء ذلك في ظل مشكلة التطرف الفكري المهددة للأمن الفكري. وكيف يجب أن تنتظم مكوناتها؟ وما هي متطلبات ذلك؟
  - ٤- مدى إمكانية نقل المعارف العلمية الصريحة والضمنية المتضمنة في المناهج التعليمية الرامية إلى تحصين الأمن الفكري من مشكلة التطرف من إطارها النظري داخل المؤسسات التعليمية إلى إطارها التنفيذي داخل المدرسة وخارجها؟ وكيف يتم ذلك إجرائيا؟
  - ٥- السبل الكفيلة بتعزيز الأمن الفكري، وتحصينه من هذه المشكلة من خلال المناهج التعليمية؟
- إن التمكن من تناول الموضوع لا يتوقف عند تحديد أهدافه، ولكنه في حقيقة الأمر يتعدى إلى تحديد المنهج المتبع في ذلك، لذلك تجدر الإشارة إلى أنه في خلال تعرضنا للإجابة على تساؤلات بحثنا هذا اعتمدنا في ذلك على المنهج الوصفي التحليلي؛ لأنه في اعتقادنا هو المنهج الملائم، وهذا لا ينفي إمكانية تناوله بمناهج أخرى.

## أولاً: ماهية الأمن الفكري:

### ١- تعريف الأمن الفكري:

أ- تعريف الأمن لغة: إن أصل الأمن في اللغة يعني طمأنينة النفس وزوال الخوف، والإنسان يكون آمناً إذا استقر الأمن في قلبه، وأمن البلد: اطمئنان أهله فيه، وأمن الشر السلامة منه، أي سلم وأمن فلان على كذا: وثق فيه واطمأن عليه، وجعله آميناً عليه<sup>(١)</sup>. قال - تعالى -: ﴿ قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله: ﴿ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴾<sup>(٣)</sup>.

ب- تعريف الأمن اصطلاحاً: على الرغم من شيوع استخدام مصطلح الأمن إلا أن مفهومه يكتنفه الغموض من الناحية العلمية، حيث تتعدد المعاني التي يمكن إلحاقها بالأمن، كما أن أنماط الأمن ودرجة شموله تتباين باختلاف أنماط المخاطر الأمنية التي يمكن أن يواجهها المجتمع. وترجع صعوبة تحديد معنى الأمن؛ إلى أن طبيعته تتبلور في مسألة حسية نفسية وهي مسألة تتأثر كثيراً بنوعية المجتمع والفرد على حد سواء، كما أنها تتغير من وقت إلى آخر، مما يجعلها حالة متذبذبة لا تتسم بالثبات. ومهما يكن فقد وضعت عدة تعريفات لمفهوم الأمن نذكر منها:

يعرف الدكتور فهد الشقحاء الأمن بأنه: "شعور الإنسان بالاطمئنان؛ لانعدام التهديدات الحسية على شخصه وحقوقه، ولتحرره من القيود التي

(١) علي بن فايز الجحني، الإرهاب: الفهم المفروض للإرهاب المرفوض، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، مركز الدراسات والبحوث، عدد: ٢٥٩، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م. ص: ٤٩.

(٢) القرآن الكريم، سورة يوسف، الآية: ٦٤.

(٣) القرآن الكريم، سورة قريش، الآية: ٤.

تحول دون استيفائه لاحتياجاته الروحية والمعنوية، مع الشعور بالعدالة الاجتماعية والاقتصادية"<sup>(١)</sup>.

ويعرف الأمن بأنه: "إحساس الفرد والجماعة والبشرية بإشباع دوافعها العضوية والنفسية، وعلى قمتها دافع الأمن بمظهره المادي والنفسي، والمتمثلين في اطمئنان المجتمع إلى زوال ما يهدد مظاهر هذا الدافع المادي كالسكن الدائم المستقر، والرزق الجاري، والتوافق مع الآخرين، والدوافع النفسية المتمثلة في اعتراف المجتمع بالفرد ودوره ومكانته فيه، وهو ما يمكن أن يعبر عنه بلفظة السكينة العامة؛ حيث تسير حياة المجتمع في هدوء نسبي".  
من خلال ما سبق نتفق مع علي بن فايز الجحني في أن الأمن في جملته هو: محصلة لمجموعة من الإجراءات التربوية، والوقائية، والعقابية، التي تتخذها السلطة؛ لصيانته واستتبابه داخليا وخارجيا انطلاقا من المبادئ التي تدين بها الأمة، ولا تتعارض، أو تتناقض مع المقاصد والمصالح المعبرة"<sup>(٢)</sup>.

## ٢- تعريف الأمن الفكري اصطلاحا:

عُرِّفَ الفكر بتعريفات كثيرة منها: إعمال الخاطر في الشيء، وإعمال العقل في الشيء، وترتيب ما يعلم ليصل به إلى مجهول، وإعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة مجهول، وقوة مطرقة للعلم إلى معلوم، وجولان تلك القوة بحسب نظر العقل، وذلك للإنسان دون الحيوان ولا يمكن أن يقال إلا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب، وجملة النشاط الذهني من تفكير وإرادة ووجدان وعاطفة شاملا ما يتم به التفكير من أفعال ذهنية تبلغ أسمى صورها في التحليل والتركيب والتنسيق، وهو بهذا خاصية إنسانية، واسم

(١) فهد الشقحاء، الأمن الوطني - تصور شامل - المفهوم، الأهمية، المجالات، المقومات، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ٢٠٠٥، ص: ١٣.

(٢) فهد الشقحاء، المرجع السابق، ص: ٥٢.

لعملية تردد القوى العاقلة المفكرة في الإنسان، سواء أكان قلباً، أو روحاً، أو ذهنًا، بالنظر والتدبر لطلب المعاني المجهولة من الأمور المعلومة، أو الوصول إلى الأحكام، أو النسب بين الأشياء<sup>(١)</sup>.

وكلمة الفكر في الحقيقة يراد بها واحد من معنيين:

- أولهما: الفكر بمعنى الفكرة والأفكار، فنقول: يمتاز فلان بأن لديه فكراً راقياً -مثلاً- ونعني بذلك أن لديه أفكاراً راقية.
- ثانيهما: الفكر (مصدراً) يقصد به عملية التفكير.

والأمن الفكري بدلالته الاصطلاحية هو: "النشاط والتدابير المشتركة بين الدولة و المجتمع لتجنيب الأفراد والجماعات شوائب عقديّة، أو فكرية، أو نفسية، تكون سبباً في انحراف السلوك والأفكار والأخلاق، عن جادة الصواب أو سبباً للإيقاع في المهالك"<sup>(٢)</sup>.

ومن وجهة النظر الإسلامية فالأمن الفكري هو: "انضباط عملية التفكير لدى الأفراد والباحثين، في إطار الثوابت الإسلامية؛ بحيث يحفظ لهم عقولهم وفهمهم من الانحراف والخروج عن الوسطية، والاعتدال في فهمهم للأمور الدينية والسياسية، وتصوراتهم للكون؛ لمنع الغلو أو الإلحاد أو العلمنة الشاملة"<sup>(٣)</sup>.

(١) موقع الإسلام الدعوي والارشادي، ١٤٣١، مفهوم الفكر الاسلامي وصلته بالعقل والوحي، الموقع:

<http://www.al-islam.com/content.aspx?pageid=1210&ContentID=752>

(٢) عبد الرحمن عبد العزيز السديس، الشريعة الإسلامية ودورها في تعزيز الأمن الفكري، ندوة أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، منشورات أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ٢٠٠٥، ص: ٣٩.

(٣) عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الأمن الفكري: ماهيته و ضوابطه " ندوة أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية حول: الأمن الفكري، منشورات أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ٢٠٠٥، ص ص: ٢٠-٢١.

## ثانياً: ماهية التطرف الفكري:

### ١- تعريف التطرف لغة:

التطرف لفظ مشتق من الطرف، أي الناحية. أو من جانب الشيء أو منتهاه، وتطرف: أتى الطرف، وجاوز حد الاعتدال ولم يتوسط. فالتطرف هو تجاوز حد الاعتدال، وبذلك يلتقي مع الغلو ويجانب الوسطية<sup>(١)</sup>. وفي القاموس المحيط: - نقلًا عن عبد الله بن عبد العزيز اليوسف - "طرفت الناقة وتطرفت: رعت أطراف المرعى ولم تختلط بالنوق". فكأنما المتطرف في الدين مبتعد عن الجماعة شاذ عنهم<sup>(٢)</sup>.

فالتطرف هو الشدة أو الإفراط في شيء، أو في موقف معين، وهو أقصى الاتجاه أو النهاية والطرف هو الحد الأقصى، وحين يقال إجراء متطرف يعني ذلك الإجراء الذي يكون إلى أبعد حد، وهو الغلو، وحين يبالي شخص ما في فكرة، أو في موقف معين دون تسامح، أو مرونة، يقال عنه شخص متطرف في موقفه أو معتقده، أو مذهبه السياسي، أو الديني، أو القومي، ومنه يمكن القول أن المتطرف في اللغة من تجاوز حد الاعتدال<sup>(٣)</sup>.

### ٢- تعريف التطرف الفكري اصطلاحاً:

يعرف التطرف الفكري بأنه: "اختلال في فكر الإنسان، وعقله، والخروج عن الوسطية والاعتدال في فهمه، وتصورات، وتوجهاته للأمور

(١) ابن المنظور الإفريقي، لسان العرب، دار صادر، ط: ١، بيروت، ١٩٨٤، ج: ٨ / ص: ٣٥٧.

(٢) محمد بن عبد الله العميري، موقف الإسلام من الإرهاب، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، مركز الدراسات والبحوث، عدد: ٣٢٨، الرياض، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م. ص: ٣٣٤.

(٣) عبد الله بن عبد العزيز اليوسف، الأنساق الاجتماعية ودورها في مقاومة الإرهاب والتطرف، (دراسة تحليلية للمجتمع السعودي)، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، مركز الدراسات والبحوث، ط: ١، الرياض، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م. ص: ١٦.

الدينية والسياسية، إما إلى الإفراط أو التفريط<sup>(١)</sup>. ويعرف أيضا بأنه: "الميل عن جادة الفكر السليم المتزن الموسوم بالاعتدال وعدم الغلو"<sup>(٢)</sup>.

ويرى أحمد شلبي - نقلا عن أحمد فلاح العموش - أن مدلول التطرف يشير إلى الاتجاه إلى الطرف بدل الاعتدال والوسطية<sup>(٣)</sup>.

مما سبق، يمكن القول إن التطرف الفكري هو الإفراط بأخذ فكرة ما أو التفريط فيها، فهو خاصية ذات قطبين متعاكسين أو متضادين ويتوسطهما الاعتدال أو الوسطية، أو ما اصطلح عليه بالأمن الفكري، وبالتالي فالتطرف هو انحراف الفكر عن الوسطية في أحد الاتجاهين إما إفراط أو تفريط. فالتطرف يفترض أن هناك وسطا متفقا عليه، يمثل الاعتدال والطريق الأمثل للسلوك، وأن الابتعاد عن هذا الوسط المتفق عليه، والذهاب إلى الطرف إلى أقصى اليمين وأقصى اليسار يهدد الحياة.

### ٣- أشكال التطرف الفكري:

مما سبق، ومادام الدين الإسلامي الحنيف هو الرافد الأساسي للفكر المستقيم والعروة الوثقى في تماسك المجتمع فإن انحرافين خطيرين يقعان على طرفي النقيض، أغرق فيهما العالم الإسلامي بسبب التطرف في رفض هذا الفكر الديني، أو التطرف في فهمه ومحاولة تحكيمة.

أ- التطرف نحو الفكر اللاديني: وهو انحراف صلته مبتوتة عن واقع

(١) محمد الزحيلي، الإسلام والشباب، ط: ٢، دار القلم، دمشق، ١٩٩٣. ص: ١١٣.  
 (٢) عيد بن فلاح المغامسي، الوسطية في الإسلام وأثرها في تحقيق الأمن، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، المجلد ١٩ العدد ٣٨، الرياض. ص: ٥٨.  
 (٣) أحمد فلاح العموش، أسباب انتشار ظاهرة الإرهاب، (دراسة من منظور تكاملي)، أعمال ندوة مكافحة الإرهاب، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، مركز الدراسات والبحوث، عدد: ١٦، ٢٤٠-٢/١٨/١٤٢٠ هـ الموافق ل: ٣١/٥/٢٠٠٦م، الرياض، ١٤٢٠/١٤٢٠. ص: ١٨.



الحياة الاجتماعية في البلدان العربية والإسلامية؛ لأنه محصور في ثلة تنكرت للدين الإسلامي كمقوم أساسي لمجتمعها، وتبنت أفكار قائمة على الإلحاد بوجود الخالق وتشريعه المحكم، وقد تشكل هذا الفكر المنحرف في مجتمعاتنا زمن البعثات التعليمية إلى بلدان المعسكر الشرقي - سابقا - القائمة على الفكر الشيوعي الملحد، وتبنى أصحاب هذا الفكر أطروحة نهضة المجتمعات بالفلسفة والعلم، وألغوا الدين من هذه المعادلة العرجاء<sup>(١)</sup>.

وقد قدر للمجتمع الجزائري كغيره من المجتمعات المسلمة أن يجني ثمار هذا الانحراف نحو تقديس الفكر الغربي، واعتبار السبيل الأسلم إلى نهضتنا، والمخلص الوحيد لها من تخلفها، وتجلى هذا الجني في حصيلة مخزية من جراء تجريب المناهج والأفكار الغربية على المجتمعات المسلم، دون مراعاة لما هو مقبول منها وما هو مرفوض، طيلة مدة تقارب القرن<sup>(٢)</sup>. ولا يزال هذا النمط من التطرف مستحكما حتى الآن في أفكار زمرة من المفكرين على شكل أيديولوجيات رافضة للطرح الديني على جميع الأصعدة، وإن كانت هذه الإيديولوجيات لا تصل إلى درجة الإلحاد الصارخ كما كان في السابق.

وتجدر الإشارة هنا إلى إحساس الكثير من الدول الإسلامية خلال فترة السبعينات من القرن الماضي بخطر فكر الاستغراب الذي يفد إليها عن طريق بعثات أبنائها للتعليم بالخارج، فقد تحفظ المؤتمر العالمي للتعليم الإسلامي بمكة المكرمة سنة ١٩٧٧ في توصياته على إرسال البعثات الخارجية، ونادى بالحد منها إلا في التخصصات التي لا تتوفر في البلاد العربية<sup>(٣)</sup>.

(١) عبد المجيد النجار، عوامل الشهود الحضاري، دار الغرب الإسلامي، ط:١، بيروت، ١٩٩٩. ص: ٥١.

(٢) أقاسم جمال، التعليم الحوارى الممنهج.. آفاق وأبعاد في مواجهة العشوائية والانحراف الفكرى داخل المجتمع، مجلة الحقيقة، جامعة أدرار، الجزائر، عدد خاص بالملتقى الدولي السابع، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، ٢٠٠٣/٢٠٠٤، ص: ٢٠٤.

(٣) أقاسم جمال، المرجع نفسه، ص: ٢٠٦.

وقد علق على هذه التوصية عدد من خبراء التربية والتعليم من بينهم الدكتور: محمد منير مرسى فقال: " إذا كان التخوف من إرسال البعثات الخارجية يبرره تعرض أبنائنا للانحراف، فإن العلاج لا يكون بمنع هذه البعثات أو بالحد منها، وإنما يكون بتوفير الضمانات التي تعصم أبنائنا من هذا الانحراف، وفي مقدمة هذه الضمانات ألا ترسل طلابا للدراسة بالخارج إلا للدراسات العليا، وبعد حصولهم على الدرجة الجامعية الأولى من جامعاتنا، حتى نطمئن إلى أنهم قد وصلوا إلى مستوى معقول من النضج الفكري والعقلي" (١).

ب- التطرف في الفكر الديني: والمقصود به الانحراف في فهم الدين، ويعبر عنه في بعدة ألفاظ منها:

■ الغلو: تدور الأحرف الأصلية لهذه الكلمة ومشتقاتها على معنى واحد، يدل على: مجاوزة الحد والقدر. قال ابن فارس - رحمه الله تعالى -: الغين واللام والحرف المعتل: أصل صحيح يدل على ارتفاع ومجاوزة قدر، يقال: غلا السعر يغلو غلاءً، وذلك ارتفاعه، وغلا الرجل في الأمر غلواً إذا جاوز حده (٢).

وقال الجوهري: وغلا في الأمر يغلو غلواً، أي جاوز فيه الحد (٣)، وقال ابن منظور - صاحب لسان العرب -: وغلا في الدين والأمر يغلو غلواً: جاوز حده، وفي التنزيل: ﴿ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾ ( المائدة: ٧٧ )، وفي الحديث:

(١) محمد منير مرسى، الاتجاهات الحديثة في التعليم الجامعي المعاصر وأساليب تدريسه، عالم الكتب، ط: ١، القاهرة، ٢٠٠٢، ص: ٢٧١.

(٢) أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٨١م. ج٤/ ص٢٨٧، ٢٨٨.

(٣) إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط: ١، ١٩٧٩م، ج٦/ ص: ٢٤٤٨ / مادة: غلا).

- (إياكم والغلو في الدين). أي التشدد فيه ومجاوزة الحد<sup>(١)</sup>.
- التتبع: من نطع، والتتبع في الكلام: التعمق فيه، وفي الحديث: "هلك المتتبعون" وهم المتعمقون المغالون في الكلام<sup>(٢)</sup>.
  - التشديد: من شادّه مشادّةً وشدادا، أي غالبه، وفي الحديث: "من يشاد هذا الدين يغلبه" والمشادة في الشيء: التشدد فيه<sup>(٣)</sup>.
- وعلى هذا الأساس يرى اللويحق (٤٢٣هـ) - نقلا عن عبد الله بن عبد العزيز اليوسف (٤٢٧هـ) - أن لفظ الغلو تقاربه ألفاظ مثل التتبع والتشدد، والتعمق، كما أن هناك ألفاظا بينها وبين لفظ الغلو عموم وخصوص مثل البدعة، والبغي، وكذلك ما يطلقه السلف من لفظ (أهل الأهواء) الشامل لأهل الابتداع والغلو<sup>(٤)</sup>.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن بعض الجامعات الجزائرية كانت في فترة الثمانينات وبداية التسعينات من القرن الماضي محضنا لإشاعة نمط غريب من هذا التطرف؛ إذ وصل الأمر وقتها إلى حد تحريم البعض لدراسة الفلسفة والمنطق، وتكفير المشتغل بهما، وتعدى الأمر إلى درجة تفسيق وتبديع المشتغلين والدارسين لتخصصات علمية هامة في المجتمع، بما في ذلك تخصص أصول الدين في كلية العلوم الإسلامية، لما لهذا التخصص من صلة بالجانب العقلي والفكري في الإسلام، ولا يزال البعض حبيس هذه الرؤية المتطرفة؛ بحجة أن مثل هذه العلوم مروق عن الدين وأن واضعيها كفرة، فهل ينفع المسلم تحجره وانعزاله عن دراسة فكر الآخر، وانتقاء أحسن ما في فكره

(١) ابن المنطور الإفريقي، المرجع السابق، ج: ١٥ / ص: ١٣١-١٣٢.

(٢) ابن المنطور الإفريقي، المرجع نفسه، ج: ٨ / ص: ٣٥٧.

(٣) ابن المنطور الإفريقي، المرجع نفسه، ج: ٣ / ص: ٢٣٣.

(٤) عبد الله بن عبد العزيز اليوسف، المرجع السابق، ص: ١٨.

حتى وإن كان غريبا ملحدا<sup>(١)</sup>.

ومن خلال شرحنا لأشكال التطرف الديني يتضح أن التطرف يفترض أن هناك وسطا متفقا عليه، يمثل الاعتدال والوسطية والسبيل الأمثل والنموذجي للسلوك، وأن الابتعاد عن هذا الوسط المتفق عليه، والذهاب إلى الطرف إلى أقصى اليمين أو أقصى اليسار يشكل تهديدا حقيقيا للأمن الفكري.

#### ٤- أثر التطرف في الأمن الفكري للفرد والمجتمع وتبعاته:

أدى التطرف الفكري إلى تشويه الصورة الإسلامية النيرة، وألبس الإسلام ما هو براء منه، وجعله في نظر غير العارفين به وبمضمونه ومبادئه دين عنف وقتل وإرهاب، وساهم في محاربتة - بقصد أو بغير قصد - حيث إن:

أ- بعض الحركات الدينية شوهدت الصورة الحقيقية للإسلام، ونفرت العالم منه نتيجة افتقارها للحكمة السياسية والدينية.

ب- بعض الحركات أظهرت نفسها بصورة مشوهة من الناحية النظرية، أو الحركية؛ مما كان سببا في تدهور العلاقات بين الدولة التي توجد بها الحركة وبين بعض الدول التي تقيم معها تعاوننا خاصة في مجال التسليح خوفا من أن تتجح هذه الحركات في الوصول إلى السلطة فتستخدم تلك الأسلحة ضدها.

ج- أن هذه الحركات ترجع الإخفاق الحاصل في الدولة التي فيها إلى المجتمع نفسه، وترى أنه مجتمع لا يريد تطبيق الإسلام مما يجعل تلك الحركات ترمي من لم يؤيده بالكفر والخروج عن الإسلام، وتدعو على محاورته بالقوة والعنف.

(١) أقاسم جمال، المرجع السابق، ص: ٢٠٦.

د- أن هذه الحركات ترى أنها على الحق في كل ما تذهب إليه، وما يخالفها باطل، وأن أصحابها منزهون عن الخطأ، ولا يقبلون الاعتراف به والنقاش حوله، ولا يقبلون النقد، ومنتقدوها يواجهون بتهمة معاداة الإسلام من قبل تلك الحركات نفسها التي تحرص أن تكون ناطقا رسميا للإسلام فتفرض النظر إليها بمعايير النظر إلى الإسلام.

هـ- بعض الحركات نتيجة افتقاد الحكمة، وعدم النظر إلى الأمور بموضوعية وتبصر لا تقدر قوة الدول العظمى فتدخل في تحد معهم، وتثير عداوتهم، وتدخل في صراعات دولية لا تستطيع مجاببتها<sup>(١)</sup>.  
والحقيقة أن الخطر الحقيقي لا يكمن في وجود أفراد من ذوي الفكر المتطرف، فهؤلاء لا يخلو منهم أي مجتمع أو دين، وإنما يكمن الخطر في انتشار فكر التطرف، واتساع دائرته وتزايد أشياعه، وتحوله إلى جزء من ثقافة المجتمع ثم محاولة فرضه بالقوة.

### ثالثاً: المناهج التعليمية بين الأمن الفكري ومشكلة التطرف الفكري:

#### ١- أسباب التطرف الفكري وأثر المناهج التعليمية فيه:

التطرف بشكليه ظاهرة كغيره من الظواهر الاجتماعية الأخرى لا يأتي نتيجة للصدفة، وإنما نتيجة لأسباب متنوعة ومتعددة من الصعب الإلمام بها، غير أن حسن محمود يلخص أسباب ذلك في النقاط الآتية<sup>(٢)</sup>:

أ- صراع الأجيال الذي ينشأ في الأسرة الواحدة. مثلاً الصراع بين الأبناء والآباء أو الأمهات، وبين الصغار والكبار.

ب- التفكك الأسري.

(١) محمد بن عبد الله العميري، موقف الإسلام من الإرهاب، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، مركز الدراسات والبحوث، عدد: ٣٢٨، الرياض، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، ص: ٢٣٧-٢٣٨.

(٢) أحمد فلاح العموش، المرجع السابق، ص: ٩٩.

- ج- غياب القدوة الصالحة في المدرسة.
- د- اتساع الفجوة الاقتصادية بين الأغنياء والفقراء.
- هـ- انتشار أفلام العري والجنس والعنف والمخدرات، وهبوط المستوى الإعلامي عموماً.
- و- تفشي الأمية والاضمحلال الثقافي والسطحية.
- ي- عدم الاهتمام بالتربية الدينية في المدارس، وكثرة المساجد وزياراتها مع النقص الحاد والمستمر في الدعاة، الأمر الذي أدى إلى أن يعتلي المنبر من لا يقدر للكلمة قدرها ولا يعرف في الأمور حقيقتها.
- ن- الفهم الخاطئ والجهل باللغة العربية، بما يؤدي إلى جهل بالأحكام الشرعية.
- ل- الاستشهاد والاستدلال دون العمل والتطبيق والفهم الصحيح.
- إن الفهم الخاطئ للدين ومبادئه وأحكامه، والإحباط الذي يتلقاه الشباب نتيجة افتقارهم للمثل العليا التي يؤمنون بها في سلوك المجتمع أو سياسة الحكم، والفراغ الديني يعطي فرصة للجماعات المتطرفة لشغل هذا الفراغ بالأفكار التي يروجون لها ويعتقونها، كما أن غياب الحوار المفتوح من قبل علماء الدين لكل الأفكار المتطرفة، ومناقشة الجوانب التي تؤدي إلى التطرف في الرأي يرسخ الفكر المتطرف لدى الشباب. على أنه لا يمكن التسليم بذلك فالكثير من دعاة التطرف والعنف والتزمت يفتقدون منهجية الحوار، ويرفضون الدخول في محاوراة الآخرين لآخرين حول معتقداتهم وأفكارهم مما يدفعهم إلى العمل السري.
- كما أن هناك عوامل تؤدي إلى إحداث ردود أفعال عند الشباب وتدفع بهم إلى التطرف الفكري منها: استفزاز المشاعر الدينية من خلال تسفيه القيم أو الأخلاق أو المعتقدات أو الشعائر، بالقول أو الفعل، واتهام المراكز التربوية

والمدارس القرآنية ومناهج التعليم ومنابر الدعوة كلها بالانحراف، والتفكير من الدين وتشويهه، وإظهار شيوخ وعلماء المسلمين بصورة ساخرة منفرة، فإن هذا كله يسبب التطرف والغليان خاصة في نفوس الشباب الذين يقرؤون ويسمعون التهم الكاذبة توجه إليهم على مؤسساتهم، ولا تتاح لهم فرص الرد<sup>(١)</sup>.

إن العالم اليوم يشهد التطرف الفكري بمختلف أشكاله ويتذوق مرارة تبعاته، وقد أرجع البعض ذلك - كما اتضح مما ذكر وما لم يذكر فيما كتب عن أسباب ذلك - إلى الظروف الاقتصادية والاجتماعية وتفشي البطالة، وتكالب القوي على الضعيف، و... باعتبارها أهم مسببات هذه الظاهرة، ولعل هذا صحيح إلى حد ما، لكن هذا التفسير لم يكن مناسباً تماماً لامتداد ظاهرة التطرف الفكري وما يتبعه من تعصب وعنف وإرهاب إلى بلدان الرخاء، ليقى بعد ذلك سؤال جوهري مؤداه: هل ثمة احتمال آخر بالغ الأهمية في تفسير استمرار هذا الانحراف الفكري؟<sup>(٢)</sup>.

إن هذا الاحتمال متمثل في عدم قدرتنا على أن ننصت للرأي الآخر، ونفهمه ونقيمه، ونتعاش معه، من منطلق أن التنوع والتعددية ظاهرة كونية، وأن اليقين في أي فكر أو أيديولوجية ينبغي أن يظل يقينا منفتحا لا يقينا منغلقا، بمعنى أن يظل منفتحا على أغياره وأضداده، وليس منغلقا على ذاته وأشباهه. وكل ما في الأمر أننا لم نتعلم أن ننصت للآخر أو نحاوره، أو نقبل

(١) عبد الله بن عبد العزيز اليوسف، المرجع السابق، ص: ٨٦-٨٧.

(٢) عواشرية السعيد، ٢٠١٠، المناهج التعليمية ودورها في تحصين الأمن الفكري من مشكلة التطرف، مجلة علوم التربية، العدد: ٤٣، الرباط، المغرب، أبريل، ص: ٧٧، وعواشرية السعيد، ٢٠١١، المناهج التعليمية الجامعية في ظل تعزيز مبدأ الوسطية لدى الطلاب "أسس بنائها، آليات إجرائها ومتطلبات ذلك"، سجل أبحاث مؤتمر دور الجامعات العربية في تعزيز مبدأ الوسطية بين الشباب العربي، - الجزء: ٢، في الفترة ٦-٩ مارس ٢٠١١، جامعة طيبة المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ص: ١٠٣٣.

رأيا آخر، أو نتعايش معه، أو أن نجادل ونرد بالتّي هي أحسن، لكن السؤال المطروح هنا هو من أين لنا هذا؟

إن هذا السؤال يجربنا لأن نوجه أصابع الاتهام في نظرنا إلى العملية التربوية والتعليمية، ونرد مسؤولية ذلك بطبيعة الحال - في اعتقادي - لمختلف المؤسسات الاجتماعية والتربوية، وفي مقدمتها المؤسسات التعليمية من دور الحضارة إلى الجامعة<sup>(١)</sup>.

"فالانحراف الفكري الذي يفسد المودة، ويقود إلى التدمير، لا يمكنه أن ينمو إلا في ظل عقلية جامدة لا تطويرية، لا تستسيغ رؤية الآخر فضلا عن تقبله واحترامه، ومنشأ ذلك بناء على ما سبق: مناهج تعليمية تقوم على القهر والتمييز والتسلط بدل الاحترام والتكامل، مناهج تعليمية تلقينية تعتمد على الحفظ والتسميع بدل إعادة صياغة المعرفة وإنتاجها، مناهج تطبيقية تحافظ على الموجود ولا تعمل على تغييره، مناهج مقننة تعزز انفصال الفكر عن العمل ولا تركز الاتصالية بينهما، مناهج سلطوية في طرائق تدريسها وأساليب تقويمها وإشرافها، وفي علاقة المعلم بالمتعلم وإدارتها التعليمية"<sup>(٢)</sup>.

مناهج مبنية على المنهج الاستقرائي، عاملة على تكريسه فعليا، مما أفرز على حد تعبير كارل بوبر "K. Popper" مجتمعات مغلقة خاضعة للدجل العلمي، تفتقد إلى الميزة الأساسية للمجتمعات البشرية وهي الحرية: حرية الاختيار بين النقيضين، وبالتالي فهي تفتقد إلى المسؤولية الشخصية في اتخاذ

(١) عواشيرة السعيد، ٢٠١٠، المرجع السابق، ص: ٧٧، وعواشيرة السعيد، ٢٠١١، المرجع السابق، ص: ١٠٣٣-١٠٣٤.

(٢) صحراوي عبد الله، المدرسة العربية (الجزائرية) في مواجهة ظاهرة العنف - المناهج التربوية بين فكر الاختلاف وثقافة الائتلاف - مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة سطيف، الجزائر، العدد: ٤، جوان، ٢٠٠٦، ص: ١٣٢.



القرار، وهي مجتمعات شمولية غير ديمقراطية<sup>(١)</sup>.

والمؤشر على ذلك هو أن نظم التعليم في معظم الأقطار العربية نظم دمجية متمركزة حول تبليغ المعرفة، تهدف إلى تغطية كمية كبيرة من المعلومات على حساب التأمل والتفكير، وإخضاع المتعلمين لسلطة الواجب، وتلقين نماذج جاهزة من المعارف، وتعتمد على التلقين والإملاء والتكرار والحفظ، وعلى حشو ذهن الطالب طوال مختلف المراحل الدراسية بمعلومات دون أعمال للعقل أو تحليل أو نقد، وتطالب المتعلم باسترجاع حريفي لما قدم له دون تحوير أو تبديل أو زيادة أو نقصان، فهي بذلك تعزز الجمود الفكري وتشجع على الاتكالية، وتتبنى تسلط المعلم وخضوع المتعلم له<sup>(٢)</sup>. ومثل هذه النظم تفرز طالبا يتقبل بسهولة كل ما تمليه عليه سلطة المعلم دون نقاش، وبذلك يصبح من السهل جدا على مثل هذا الطالب أن يتقبل كل ما تمليه عليه سلطة أمير الجماعة أيا كان توجهها، - وهذا ليس دعوة للخروج عن الجماعة وإمامها إن كانا على الصراط المستقيم، فإن اتبعوا السبل فلا بد ألا يقبل ذلك- حيث يتم تلقين الفكر وتقبله دون تحليل، ويسهل الانقياد بحكم إبطال عمل العقل<sup>(٣)</sup>. وبذلك يكون تربة خصبة لزراعة بذور مختلف أشكال التطرف وما يتبعه من أشكال تعصب وعنف وإرهاب<sup>(٤)</sup>.

(١) قادري يوسف، التغير الاجتماعي-التخطيط والتبعية الحضارية- مجلة الرواسي، جمعية الإصلاح

الاجتماعي والتربوي، باتنة، الجزائر، العدد: ١٣، أبريل، ١٩٩٦. ص: ٦٥.

(٢) عواشيرة السعيد، برامج التعليم العالي في الدول العربية بين اكتساب المعرفة وإنتاجها وإشكالية هشاشتها - الجزائر نموذجا- سجل أبحاث المؤتمر الثاني لتخطيط وتطوير التعليم والبحث العلمي في الدول العربية، ٢٤-٢٧/٢/٢٠٠٨، جامعة الملك فهد للبترول والمعادن، الظهران، السعودية. ٢٠٠٨. ص: ٢٤٧-٢٦٠.

(٣) عبد الله بن عبد العزيز اليوسف، المرجع السابق، ص: ٩٢.

(٤) عواشيرة السعيد، ٢٠١٠، المرجع السابق، ص: ٧٨، وعواشيرة السعيد، ٢٠١١، المرجع السابق، ص:

إن الدول الاستعمارية تمكنت من فرض بقاء نفوذها لما وظفت التعليم في فترة استعمارها للمجتمعات النامية عامة والإسلامية والعربية خاصة، فصاغت من أبناء هذه المجتمعات من يسمون بحاملي عقلية التبعية، أولئك الملحقون بالفكر الغربي، والذي أدى إلى خلق الطرف المضاد وهم المغالون في معاداته، وأوقدت نار الفتنة بينهما، وضمنت نتيجة ذلك وسائل تسلطها وتحكمها في المجتمعات المستعمرة بطريقة لا تستطيع تحقيقه بالجهد العسكري<sup>(١)</sup>؛ لكون التعليم وبطبيعة الحال يعتمد على مناهج تعليمية معينة تقوم فيما يخص الفكر بأربع عمليات هامة وجوهرية: أولها المحافظة على الفكر وثباته واستمراره ونقله، وثانيها تغييره وتطويره، وثالثها تحقيق التوازن بين استقرار الفكر وتغييره، ورابعها إعداد المجددين للفكر والمدافعين عنه وعن بقائه وتطوره<sup>(٢)</sup>.

ولكن أي فكر هذا؟ هل هو فكر الوسطية والاعتدال أم فكر التطرف بمختلف أشكاله؟

ولذلك تعرف "مارقريت ريد" التربية بأنها: "عملية الارتباط بالثقافة والتلاؤم معها"<sup>(٣)</sup>. معنى ذلك أنه من خلال المناهج التعليمية تتم عملية تكوين وبناء أفكار الأفراد والجماعات على السواء. وبها يتم تكوين التصورات أو الاتجاهات، والميول، واللغة، والدين، والقيم، والمعتقدات، والعادات، والتقاليد، وأنواع العلاقات التي تربط الفرد بالأشياء، وموقفه من كل منها،

(١) محمد الصالح جدي، التربية في العالم الثالث، مأساة واقع وضبابية مستقبل، مجلة التربية، وزارة التربية الوطنية الجزائرية، العدد: ٢، السنة: ١، مارس، ١٩٩٥. ص: ١٨.

(٢) عبد الغني عبود التربية المقارنة في نهاية القرن، الإيدولوجيا من النظام إلى اللانظام، دار الفكر، ط: ١، ١٩٩٣. ص: ٢٥.

(٣) عبد الغني عبود، المرجع نفسه، ص: ٢٦.

ومدى قبوله لها أو رفضه إياها<sup>(١)</sup>.

وعلى هذا الأساس وإذا كان أفلاطون يرى بأن "التربية جزء من استقرار الدولة" فنحن نرى بأن المناهج التعليمية بمختلف مكوناتها جزء من استقرار الأمن الفكري. ومعنى هذا أن للمناهج التعليمية دورا لا يستهان به في تحسين الأمن الفكري من مشكلة التطرف، إذا روعي في بنائها حقيقة هذا المسعى وما يتطلبه من خلفيات وانتظام مكوناتها وفقا لنمط النظام التربوي الذي يحقق ذلك فعلا.

وقد يبدو الأمر سهلا من الناحية النظرية، غير أن الإشكال حقيقة يكون من الناحية العملية إذ يجد المختص في بناء المناهج التعليمية نفسه متسائلا من أين ينطلق في بنائه لهذه المناهج المميزة للنظام التربوي المحافظ على الأمن الفكري، وما هي الخلفيات الفلسفية، والمعرفية، والنفسية، والاجتماعية، والتربوية، التي يعتمد عليها في ذلك؟ وكيف تنتظم مكوناته في هذه الحالة؟ وكيف يتم تجسيد كل التصميم النظري لذلك ميدانيا، سواء تعلق الأمر بداخل المؤسسة التعليمية، أو استثمار ذلك في الحياة العملية، وكيف يتم ذلك إجرائيا؟<sup>(٢)</sup>.

هذا ما سنحاول الإفصاح عنه بالتفصيل في العناصر الموالية. لكن قبل ذلك يجدر بنا تحديد تعريف المنهاج لغة واصطلاحا.

## ٢- تعريف المنهاج التعليمي:

أ- تعريف المنهاج لغة: نهج: طريق، نهج: بين واضح وهو النهج، وفي التنزيل

(١) المرجع السابق، ص: ٨٦-٨٧.

(٢) عواشرة السعيد، ٢٠١٠، المرجع السابق، ص: ٧٨، وعواشرة السعيد، ٢٠١١، المرجع السابق، ص: ١٠٣٦.

قال - تعالى - : ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾<sup>(١)</sup>. وأنهج الطريق: وضع واستبان وصار نهجا واضحا بينا ، والمنهاج: الطريق الواضح ، واستتهج الطريق: صار نهجا ، ونهجت الطريق: أبنت وأوضحت ، يقال اعمل على ما نهجته لك ، ونهجت الطريق: سلكته ، وفلان يستتهج سبيل فلان ، أي يسلك مسلكه<sup>(٢)</sup>.

ب- تعريف المنهاج التعليمي اصطلاحا: هناك عدة تعاريف اصطلاحية لمفهوم المنهاج التعليمي منها ما هو تقليدي ومنها ما هو حديث:

#### التعريف التقليدي:

- عرف على أنه: "المواد الدراسية التي يتولى المختصون إعدادها وتأليفها ، ويقوم المعلمون بتنفيذها وتدريسها ، ويعمل الطلاب على تعلمها أو دراستها"<sup>(٣)</sup>.
- عرف بأنه: "المفردات أو الموصلات المعرفية التي تقدم في مجال دراسي معين ، والتي يدرسها جميع المتعلمين في ذلك المجال مثل: منهاج التاريخ والجغرافيا ، اللغة العربية وغيرها".
- وعرف بأنه: "المعرفة المنظمة في الكتب المدرسية المقررة من السلطات التربوية؛ كي يدرسها المتعلمون في المراحل التعليمية المتدرجة"<sup>(٤)</sup>.

#### التعريف الحديث:

- هناك عدة تعريفات مختلفة لمفهوم منهاج التعليم بالمفهوم الحديث

(١) القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية: ٤٨.

(٢) المنجد في اللغة العربية المعاصرة، ط٢، دار المشرق، بيروت، لبنان، ٢٠٠١.ص: ٢٥٤.

(٣) جودة أحمد سعادة، وآخر، تنظيمات المنهاج وتخطيطها وتطويرها، ط: ١، دار الشروق، عمان، الأردن، ٢٠٠١.ص: ٥٨.

(٤) سهيلة محسن كاظم الفتلاوي، المنهاج التعليمي والتدريس الفاعل، ط: ١، دار الشروق، عمان الأردن، ٢٠٠٤.ص: ٣٢.

للمصطلح، ولكنها جميعها تلتقي عند مفاهيم ومبادئ متماثلة يلخصها لنا عبد اللطيف الغازلي، وآخرون، فيما يلي<sup>(١)</sup>:

○ منهاج التعليم: مجموعة من الأنشطة المخططة من أجل تكوين المتعلم، إنه يتضمن الأهداف وكذلك تقييمها، والأدوات، والاستعدادات المتعلقة بالتكوين الملائم للمدرسين.

○ منهاج التعليم: كل نشاط بيداغوجي من المفروض أن يؤثر في تعلم المتدرب.

○ منهاج التعليم: سلسلة من الوحدات موضوعية بكيفية تجعل تعلم كل وحدة يمكن أن يتم انطلاقا من فعل واحد، شريطة أن يكون المتدرب قد تحكّم في المقررات الموصوفة في الوحدات المخصصة السابقة.

○ منهاج التعليم: يتعلق بكل المكونات التي تتضمنها السيرورة التعليمية (أهداف، محتويات، أنشطة، تقييم).

○ منهاج التعليم: تخطيط للعمل التعليمي أكثر اتساعا من البرنامج، فهو لا يتضمن فقط مقررات المواد، بل أيضا غايات التربية وغايات التعليم، وكذلك الكيفية التي يتسم بها التدريب والتعلم.

○ منهاج التعليم: يشير إلى تكنولوجية الوسائل التي ترمي إلى تصور شامل لنسق التكوين؛ وذلك بغية تنظيمه، وحسن تسييره؛ من أجل نتائج أفضل للتعلم.

انطلاقا مما سبق يمكن القول إن منهاج التعليم يتكون من عناصر

(١) عبد اللطيف الغازلي، وآخرون، البرامج والمناهج من الهدف إلى النسق (مقاربة نسقية لتحليل وبناء الأنظمة التربوية، والبرامج الدراسية، من الأهداف إلى التقييم)، دار الخطابي، المغرب، ١٩٩٢. ص:

متفاعلة ومترابطة فيما بينها ، مثلما يربط علاقات مع محيطه الذي يتأثر به ويؤثر فيه ، لذلك تطرح معالجة المناهج مشكلات تتحدد أبعادها وتختلف مظاهرها ، منها ما هو داخلي يتعلق بسيرورة المناهج وعناصرها ، ومنها ما هو خارجي يرتبط بوظيفتها العامة في علاقتها بالمحيط<sup>(١)</sup> .

### ٣- الخلفيات (المنطلقات) المستند عليها في بناء المناهج التعليمية المحصنة للأمن الفكري من التطرف:

من أجل بناء مناهج تعليمية ذات فعالية في تحصين الأمن الفكري من مشكلة التطرف؛ لا بد على القائمين على تصميم ذلك الاستناد إلى مجموعة من الخلفيات ، والمنطلقات ، يمكن تلخيصها في ما يلي:

#### أ- الخلفيات الفلسفية والمعرفية: تتلخص في:

- اعتبار أن الإنسان ذو طبيعة مرنة قابلة للتغيير، ويعني ذلك أن الإنسان يولد وهو مزود بمجموعة من الاستعدادات والإمكانات القابلة للتفاعل والنمو، وفقا لما يتاح له من فرص بيئية ومعززات ثقافية اجتماعية ابتدعتها في الأصل إمكانياته العقلية، وإرادته الإنسانية الحرة<sup>(٢)</sup>.
- الإيمان بأن الإنسان جسم وروح، طبيعة وأخلاق، حس ومعنى، ظاهر وباطن. وأن الإنسان مسير من حيث طبيعته البيولوجية مثل جنسه ذكر أو أنثى، وأنه مخير من ناحية طبيعته الروحية والمعنوية مثل: إذا شاء آمن وإذا شاء كفر<sup>(٣)</sup>.
- الإيمان بوجود فروق فردية بين الأفراد وتباين بين المجتمعات البشرية في

(١) عواشيرية السعيد، ٢٠١٠، المرجع السابق، ص: ٦٩، وعواشيرية السعيد، ٢٠١١، المرجع السابق، ص: ١٠٢٧.

(٢) محمود السيد سلطان، مقدمة في التربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر. ١٩٩٣. ص: ٦٢.

(٣) قادري يوسف، المرجع السابق، ص: ٦٦.

مختلف المناحي<sup>(١)</sup>. وأن التنوع و التعددية ظاهرة كونية، وأن اليقين في أي فكر أو أيديولوجية ينبغي أن يظل يقينا منفتحا لا يقينا منغلقا، بمعنى أن يظل منفتحا على أغياره وأضداده، وليس منغلقا على ذاته وأشباهه.

■ اعتبار أن الدولة والمجتمع ليسا هما العامل الأول والأخير الذي يجب أن يخضع له الأفراد خضوعا مطلقا، وإنما وجدت الدولة والمجتمع وجميع المؤسسات الاجتماعية لخدمة الفرد؛ لتحقيق أفضل سعادة، وأكثر اطمئنانا، وأوفر نتاجا وخيرا للفرد والمجتمع، وما المدرسة إلا إحدى هذه المؤسسات. - وهذا لا يعني مناهضة الدولة والمجتمع والانفلات من قوانينهما بغير سبب يستلزم ذلك، وإشاعة الفوضى وحرية اللامبالاة<sup>(٢)</sup>.

■ الإيمان بالفردانية والحرية والديمقراطية، وتقليص سلطة الراشدين على غير الراشدين، أو قوة وسلطة الضعيف على القوي، والعارف على الذي لا يعرف والخبير على من لا خبرة له<sup>(٣)</sup>؛ ذلك إيمانا بحرية الطبيعة البشرية ونضج إرادتها، باعتبار أن الحرية أساس في الطبيعة البشرية. وحرية الإرادة قدرة فطرية تدفع الإنسان باستمرار إلى التعديل<sup>(٤)</sup>.

■ الإيمان بأن تعلم موضوع محدد أقل أهمية من أن يتعلم المرء "كيف يتعلم". فمن الممكن أن تحشو العقل بملايين الحقائق، والمعلومات، والأفكار، لكنه مع ذلك سوف يظل غير متعلم". وبما أننا لا نعلم نوعية المعرفة التي سوف تكون ملحة في المستقبل، فمن الحق تدريسها مقدما، والأحرى بنا

(١) عواشرية السعيد، ٢٠٠٨، المرجع السابق، ص: ٢٥١.

(٢) محمود السيد سلطان، المرجع السابق، ص: ٢٧.

(٣) فرحاتي العربي، فلسفة التربية في ضوء مبدأ التغيير، سلسلة إصدارات مخبر إدارة وتنمية الموارد البشرية، فعاليات الملتقى الدولي: إشكالية التكوين والتعليم في أفريقيا والعالم العربي، أيام ٢٨-٣٠ أبريل ٢٠٠١، العدد: ١، ٢٠٠٤، ص: ١٨٢.

(٤) محمود السيد سلطان، المرجع السابق، ص: ٦٣.

أن نبث الإيمان في نفوس محبي المعرفة بقدرتهم على تعلم ما ينبغي تعلمه في أي وقت"<sup>(١)</sup>.

■ اعتبار المعرفة ملازمة للفرد ولا وجود لحقائق علمية في انفصال عن نشاط الإنسان الفكري والثقافي، فهو واحد من أهم المصادر الأساسية للمعرفة<sup>(٢)</sup>.

■ الإيمان بعدم وجود هناك فرعاً محدداً من المعرفة يجب على المرء أن يتخصص فيه، ويكرس له حياته بأسرها، بل أن الفرد إذا أتاحت له الفرصة لكي يفتح بقدر كاف على العالم فسوف يرى بوضوح ما هو المهم بالنسبة له ولغيره، وسيضع لنفسه مساراً أفضل من الذي يمكن أن يصنعه له أي شخص آخر، ويفرضه عليه<sup>(٣)</sup>.

■ الاعتراف بعدم ثبات المعرفة، وأنها نسبية (متغيرة)، - مع وضع الثابت في الحسبان- وأن غاية المعرفة هي الحكمة؛ بحيث يترك باب الاجتهاد مفتوحاً. والعمل بالمقولة: "من يعرف لا يعرف، ومن لا يعرف يعرف"؛ بمعنى أنه من يعرف توقف عن البحث وغلق باب المعرفة والاجتهاد، ومن لا يعرف فهو في حال معرفة لأنه يعرف أنه لا يعرف<sup>(٤)</sup>.

■ الاعتماد على المنهج الاستنتاجي بدل المنهج الاستقرائي في اكتساب وإنتاج المعرفة، لخطورة هذا الأخير، والتي يوضحها كارل بوبر "K. Popper" في أن المنهج الاستقرائي يغلق باب الاجتهاد، وإثبات القوانين بدلاً من محاولة

(١) التقنية والتعليم (بدون اسم المؤلف)، اللامدرسية...تعليم بدون مدرسة، مجلة التقنية والتعليم، صادرة

عن اليوم للصحافة والطباعة والنشر، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٧، ص: ١٣.

(٢) محمد محمود الخوالدة، أسس بناء المناهج التربوية وتصميم الكتاب التعليمي، ط: ١، دار المسيرة،

٢٠٠٤. ص: ٦٠ وما بعدها والعربي فرحاتي، ٢٠٠٤، المرجع السابق، ص: ١٧٦-١٧٧.

(٣) التقنية والتعليم، المرجع السابق، ص: ١٣.

(٤) قادري يوسف، المرجع السابق، ص: ٦٦.



تفنيدها بترك باب الاجتهاد مفتوحاً<sup>(١)</sup>.

■ الاعتراف بالعلاقة التكاملية الموجودة بين الدين والعلم والفلسفة. إن الدين بدون فلسفة وعلم: دين سطحي -تدين عن غير قناعة-، والعلم بدون فلسفة ودين: علم زائف، والفلسفة بدون علم ودين: فلسفة فجة غير ناضجة. مع التسليم بوجود مجالات معرفية مميزة لكل منها<sup>(٢)</sup>.

ب- الخلفيات النفسية والاجتماعية والتربوية: وتتلخص فيما يلي:

■ الإيمان بأهمية التفاعل القائم بين الفرد والجماعة، استناداً إلى الحتمية الاجتماعية الدوركايمية، عند إيميل دوركايم "Emile Durkhei" وأسبقية الحياة الجماعية عند كارل ماركس "Karl Marx"، وتفاعل الفرد في ظل البيئة الاجتماعية عند ماكس فيبر "Max Weber" في فهم وتفسير السلوكيات الفردية.

■ تحديد تصرفات وسلوكيات الفرد، بناءً على نظرية كل من جون بياجي "John Biagi" في النمو المعرفي ونظرية جسمون فرويد "Jsmom Freud" في النمو النفسي، ونظرية فالون "Fallon" في النمو الوجداني، و...<sup>(٣)</sup> إلخ.

■ الإيمان بأن عزل الفئات الاجتماعية العمرية غير المتماثلة عن بعضها البعض يؤسس لبيئة اجتماعية غير صحية، ومن الأفضل للفرد أن يحتك بأناس من مختلف الأعمار وفي سياقات مختلفة<sup>(٤)</sup>.

■ الإيمان بالطبيعة الخيرة للإنسان، واعتبار أن المجتمع وتدخلاته السلطوية والقهرية الاستبدادية هي التي تفسد هذه الطبيعة، أما إذا تركت

(١) قادري يوسف، ١٩٩٦، ص: ٦٥-٦٦.

(٢) أقاسم جمال، المرجع السابق، ص: ٢٠٧-٢٠٨.

(٣) فرحاتي العربي، ٢٠٠٤، المرجع السابق، ص: ١٧٧.

(٤) التقنية والتعليم، المرجع السابق، ص: ١٣.

- لطبيعتها أو أتاح المجتمع لها ظروفًا طبيعية فإنها تنمو خيرة<sup>(١)</sup>.
- تساؤلات بورديو "Purdue" وما أضفته من مخاوف نفسية تربوية، تتعلق بالإكراه، والانضباط المفرط، وحالات التفسير التشاؤمي لوظائف المدرسة القابعة في إعادة الإنتاج، والقول بحتمية التعسف الثقافى.
  - مسعى اليتش "Wallich" في بحثه عن البديل حينما نادى بموت المدرسة، فنحن على أبواب ما بعد المدرسة أو نهاية المدرسة كمؤسسة ضمن حديث النهايات، فكما يُرتقب أن يصبح المدونون البديل الفعلي للمؤسسة الإعلامية بما تتيحه تكنولوجيا الإعلام والاتصال الإلكترونية، فإنه أيضا يُرتقب أن يتطور التعليم عن بعد ويصير بديلا عن المدرسة من حيث هي مؤسسة، ويتحرر كل من المعلم والتلميذ من كل إكراهاتها (السلطة، الزمن المكان، القوانين، القواعد الانضباطية التشريعات الانتظام والنظام، البرنامج الأسبوعي، التعسف التربوي والتعليمي... إلخ)<sup>(٢)</sup>.
  - الإيمان بأن الاستطلاع شيء غريزي في الفرد، وأن الأطفال يحدسون ما هو ضروري بالنسبة لهم لكي يصبحوا أفرادا راشدين. واعتبار أن المدارس العامة التقليدية تؤطر البشر، وتطبق عليهم منطق المصانع "مقاس واحد يناسب الجميع" وأنها ليست جديرة باستغلال أوقات هؤلاء الأطفال؛ لأنها تحصر مهاراتهم الإدراكية في نطاق معرفي واحد، تطالبهم بتعلم موضوع محدد، وبأسلوب محدد، وبخطوات محددة، وفي وقت محدد، بغض النظر عن اهتمامات الطفل، وأهدافه، واحتياجاته الحالية، أو المستقبلية، أو

(١) محمد السيد سلطان، المرجع السابق، ص: ٢٦-٢٧.

(٢) فرحاتي العربي، المعلوماتية في الاتصال البيداغوجي بين ضرورات التعليم ومحاذاير الأئسنة ٢٠٠٧.

- درايته المسبقة بالموضوع محل التعلم<sup>(١)</sup>.
- توجيه المتكون نحو تحقيق أهداف نمائية تمكنه من التعبير عن قدراته الإبداعية، ومن التواصل بين المعلم والمتعلم، وبذلك التواصل الاجتماعي والتعاون مع الآخرين، والتعبير عن ذاته بكل حرية<sup>(٢)</sup>.
  - اعتبار المتعلم هو العنصر المهم والفعال في العملية التعليمية ليقف في محورها، بينما يأخذ المدرس مكانه منها على هامشها. ويقتصر دوره في التوجيه<sup>(٣)</sup>.
  - الإيمان بالحرية التربوية والتعليمية، وتأسيس التربية على السلبية؛ من حيث هي استقلالية تامة للطفل عن العوامل الاجتماعية المؤثرة لصالح الإنسانية، والأهداف السامية العالمية في كل مراحل طفولته.
  - الإيمان بأفكار أولئك الذين ناضلوا من أجل تأسيس التعليم، والتعلم على مبدأ اللعب كمبدأ سيكولوجي؛ من حيث هو أروع سبل التعلم وأقرب إلى طبيعة الطفل التلقائية وال عفوية، بعيدا عن إكراهات المقرر والكتاب المدرسي لاسيما حين يكون بصدد تعلم علوم الحياة، دون ما تعب أو إحساس بالإكراه والضغط، وقواعد الانضباط الملزمة<sup>(٤)</sup>.
- كما يمكن أن نضيف إلى ذلك كلاً من<sup>(٥)</sup>:**
- مسايرة النمو المعرفي، والوجداني، والمهاري للمتعلم، وعدم التعسف على ذلك.

(١) التقنية والتعليم، المرجع السابق، ص: ١٢.

(٢) فرحاتي العربي، ٢٠٠٤، ص: ١٧٧.

(٣) محمد السيد سلطان، المرجع السابق، ص: ٢٨.

(٤) فرحات العربي، ٢٠٠٧، المرجع السابق.

(٥) عواشيرية السعيد، ٢٠١٠، المرجع السابق، ص: ٨٢، وعواشيرية السعيد، ٢٠١١، المرجع السابق، ص:

- الإيمان بأن الاتصال بين المعلم والمتعلم هو عملية مشاركة في الخبرة بين المعلم والمتعلم، اتصال في كلا الاتجاهين معلم-متعلم، ومتعلم-معلم.
  - اعتبار أن الحقيقة أو القيمة دائماً نسبية، وما هو حق في ظروف معينة قد لا يكون كذلك في ظروف غيرها، وما هو خير في وقت من الأوقات قد يكون شراً في سواها.
  - الإيمان بأن التعلم لا يحدث بالمعنى الكامل إلا إذا كانت الخبرة المتعلمة استجابة منا لموقف نواجهه فيثير اهتمامنا، بمعنى الربط بين المعرفة النظرية والنشاط العملي، وجعل المدرسة بمثابة الحياة المصغرة.
- ٤- نمطية انتظام مكونات المناهج التعليمية المحصنة للأمن الفكري من التطرف، ومتطلبات ذلك:**

يتميز النظام التربوي الرامي إلى تحصين الأمن الفكري من مشكلة التطرف في كونه يتجه في تنظيم العملية التعليمية إلى إحداث تغييرات في سلوك المتعلمين، مما يتطلب تخطيطاً وبرمجة تمكن من تحديد السلوكيات المراد تغييرها لديهم أو إكسابها لهم. وكما هو معروف أن المجتمعات الإنسانية عرفت تطورات سريعة أفرزت واقعا جديدا عجز النظام التربوي الدمجي التقليدي (المنتشر في معظم الدول العربية) على استيعابها والتعامل معها. وفي ظل هذه الظروف ظهر اتجاه جديد يدعو إلى تنظيم الفعل التعليمي وفق اتجاه يستوجب تنظيم الممارسة التربوية بصورة تجعل المتعلم عنصرا فاعلا، وتقلص من أي هيمنة خارجية<sup>(١)</sup>.

وبناء على الخلفيات السابقة الذكر، ومسمى المناهج التعليمية في الحفاظ على الأمن الفكري، وحصينه من مشكلة التطرف؛ فإن ذلك يفرض على

(١) صفاء الأعسر، إسهام علم النفس في نظام التعليم، سلسلة محاضرات لجنة علم النفس، المجلس الأعلى للثقافة، الفترة من أكتوبر ١٩٩٩ إلى يونيو ٢٠٠٠، ٢٠٠١. ص: ٥٤.

مكونات المنهاج أن تنتظم وفق نمط محدد ويتطلب توفير عدة متطلبات، وذلك ما سنحاول توضيحه في النقاط الآتية:

#### أ- الأهداف التربوية: تتمثل أساساً في<sup>(١)</sup>:

- تكوين الفرد المتشبع بقيم الاستقلالية، والاعتماد على النفس، والحرية، والمبادرة، والتواصل التربوي، والتعليمي، والمدرسي، والاجتماعي، والتفاعل مع متغيرات العصر، وتدعيم قيم الإنتاجية والمردودية لدى الأفراد.
- الانفتاح على الثقافات الأخرى - دون انسلاخ - وتقبل الآخر، ومجادلته بالتي هي أحسن.
- بلوغ أعلى مستويات المعرفة من مناقشة وتحليل وتقييم، وتفكير نقدي وإبداعي متشعب.

ويتطلب تحديد الأهداف التربوية أن يكون في ضوء النظامية، واختيار عناصرها في ضوء المتعلم ذاته، وقدرته على التعلم الذاتي واحتياجاته، والإعلاء من الخصائص الفردية في ذلك، من حيث الخلفية المعرفية والمفاهيمية، والتركيز على المتعلم ذاته أولاً ومستوى الحضارة القائمة في المجتمع الذي يعيش فيه ثانياً، كل ذلك من أجل بناء علاقات بينية، وشبكية متبادلة بين عناصر المنهاج، وتوفير بيئة تعليمية تتلاءم مع المتعلم وقدراته، وتحقيق تعلم أجود للمتعلمين، وجعل التلاميذ قادرين على استخدام مبادئ التعلم الذاتي، وكيف يتعلمون ذاتياً، وكيف يستمرون في التعلم بصورة دائمة بما يتفق مع متطلبات روح العصر، ويتمكنوا من التكيف مع متطلبات سوق العمل المتجددة، والتوازن الثقافى لغاية الاستمرار في الحياة الثقافية بصورة

متوازنة. ومراعاة التركيز على الأهداف الإنسانية، والأهداف التربوية الدولية، والتسامح الديني، وقبول الديمقراطية وقيمها في الواقع الاجتماعي، والتمسك بحقوق الإنسان، والانفتاح على الثقافات الأخرى<sup>(١)</sup>.

**ب- المحتويات:** تتصف المحتويات بكونها برامج مفتوحة تنطلق من الحاجات والخصائص المعرفية والوجدانية والمهارية للمتكورين، وأنها على شكل سلوكيات وإنجازات يقوم بها المتكور<sup>(٢)</sup>.

ومن الموضوعات التي يتطلب التركيز عليها لتحقيق الأمن الفكري، وغرس بذور الاعتدال والوسطية في عقول الأفراد في مناهج التعليم في المراحل التعليم المختلفة؛ نذكر على سبيل المثال لا الحصر: حقوق الإنسان، حقوق الطفل بوجه خاص، احترام الثقافات، محاسن التعاون ومساوئ الصراع، البيئة،...وهي موضوعات من شأنها تمكين التلاميذ من سعة النظر، وتجاوز الآفاق المحلية والوطنية إلى آفاق دولية عالمية<sup>(٣)</sup>.

والمعروف أن المناهج التعليمية قد قطعت فترة طويلة من الزمن وهي تقدم أنماطا معرفية مقبولة بالنسبة للمتعلمين على اختلاف مستوياتهم التعليمية، وكأن المناهج التعليمي يهدف إلى توحيد الثقافة الذهنية التي تقدم إلى المتعلمين، ونتج عن هذا النمط من المناهج التعليمية التفكير النمطي ذو البعد الواحد، وغياب التفكير الإبداعي المتشعب، أو المتباعد، أو المتعدد، مما أدى في كثير من الحالات إلى التطرف.

وحتى لا تقع مناهجنا التعليمية اليوم في نفس نوعية المخرجات تطلب ذلك

(١) محمد محمود الخوالدة، المرجع السابق، ص: ٢٦٨-٢٦٩.

(٢) عواشرية السعيد، ٢٠٠٨، المرجع السابق، ص: ٢٥٠.

(٣) عواشرية السعيد، ٢٠١٠، المرجع السابق، ص: ٨٣، وعواشرية السعيد، ٢٠١١، المرجع السابق، ص:

التنوع وليس الثبات، خاصة في إطار ثورة المعلومات. فأصبح المحتوى المعرفي في المناهج التعليمية في ظل ذلك يشكل مسألة حيوية ومطلباً أساسياً، خاصة عند اختيار المحتوى التعليمي الأفضل، من وسط البدائل المتعددة المتاحة، وأن اختيار الأفضل من البدائل المتاحة تشكل قاعدة أخلاقية تربوية، فالأخلاق عند المربي تنطلق من الحرية في اختيار المحتوى التربوي الأفضل من وسط البدائل؛ لأن اختيار الأفضل وليس الأدنى هو بحد ذاته عمل أخلاقي، خاصة حينما يتعلق الاختيار بمسألة مجتمعية المنهاج التعليمي في المدارس<sup>(١)</sup>.

### ج- طرائق التدريس والوسائل التعليمية:

تعمل طرائق التدريس على احترام الإيقاع الخاص بالمتعلم، والتدخل لتصحيح مساره، ويتحقق ذلك من خلال طرائق تدريسية يلعب فيها المتعلم دوراً فعالاً من مثل المناقشة، والحوار، وعمل المجموعات، وطريقة التعيينات، أو حل المشكلات، والتعلم الذاتي<sup>(٢)</sup>، وإتاحة فرص التعاون، والتنافس الشريف، وتبادل الفكر والرأي، واحترامهما<sup>(٣)</sup>.

أما فيما يتعلق بالوسائل التعليمية فهي تتعدد وتتنوع الوسائل التعليمية، ويعتبر الكتاب أحد الوسائل المعتمدة في تحصيل المعرفة وليس الوسيلة الوحيدة، إضافة إلى التجربة (الخبرة)، واللعب، والاحتكاك، والتفاعل مع الواقع<sup>(٤)</sup>. وكذا الوسائل التي تعمل على تشويق المتعلم ولفت انتباهه، وخاصة تقنيات الاتصال الحديثة؛ حيث أصبحت مصادر التعلم متنوعة، كما تعددت وسائط نقل المعلومات إلى المتعلمين من الكلمة المسموعة إلى الكلمة

(١) محمد محمود الخوالدة، المرجع السابق، ص: ٢٦٩.

(٢) عواشرية السعيد، ٢٠٠٨، المرجع السابق، ص: ٢٥٠.

(٣) صحراوي عبد الله، المرجع السابق، ص: ١٣٥.

(٤) عواشرية السعيد، ٢٠٠٨، المرجع السابق، ص: ٢٥٠.

المطبوعة، إلى الكلمة المرئية والمقرّوة، عبر شبكات الانترنت التي شكلت بدائل مختلفة للكتاب المدرسي، والوسائل التعليمية، ونقل المعلومات بوسائط مختلفة، وقد شكلت هذه النتائج المذهلة في مصادر التعلم وطرائق الاتصال بها تجديدات تربوية في طرائق التدريس، وتنظيم التعليم، وتطوير نظمه التقليدية، وإزالة الفواصل بين الحقول المعرفية، وغير ذلك من البدائل التي تتيحها تكنولوجيا المعلومات في إطار تصميم المناهج التربوية وتطويرها<sup>(١)</sup>.

**د- تقييم المخرجات التعليمية:** يهدف تقييم المتكون إلى تصحيح الفارق بين الهدف المنشود والهدف المتوصل إليه، والتدخل المستمر للدعم والتقوية؛ قصد تقليص ذلك الفارق عن طريق أساليب تقييمية من مثل: تربية التحكم، ومختلف أنماط التقييم: المبدئي، التكويني، و...، والتغذية الراجعة<sup>(٢)</sup>.

ولما كان ذلك هو هدف التقييم فإن هذا يتطلب تحديد المسافات التي يبقى على التلميذ أن يجتازها لبلوغ الأهداف السلوكية المحددة، من خلال الاعتماد على التقييم التكويني الإيديومتري (المحكي) المرجع، وذلك باستخدام اختبارات تكوينية متكررة، يتبعها وقت إضافي لإجراء تغذية راجعة تصحيحية، وإعطاء معلومات عن المفاهيم الأساسية للمتعلمين غير المتمكنين لإتمام عملية التعلم<sup>(٣)</sup>.

**هـ- العلاقة التربوية التفاعلية بين المعلم والمتعلم والتنظيم الإداري:** علاقة المعلم والمتعلم في هذه المناهج مبنية على مبدأ العقد والتعاقد البيداغوجي، فالمكون يخطط وينظم الفعل التعليمي ثم يطالب المتعلمين

(١) محمد محمود الخوالدة، المرجع السابق، ص: ٢٧١.

(٢) عواشرية السعيد، ٢٠٠٨، المرجع السابق، ص: ٢٥٠.

(٣) عواشرية السعيد، ٢٠١٠، المرجع السابق، ص: ٨٣، وعواشرية السعيد، ٢٠١١، المرجع السابق، ص:

ص: ١٠٤٥-١٠٤٦.



بالأهداف، ويشركهم في العمل على تحقيقها، والكل يعمل على تنفيذ العقد والعمل على بلوغ الأهداف المتوقعة. وبذلك يمكن القول إن دور المدرس يقتصر على التوجيه والمساعدة والتشيط. ولا يتسلط في تسييره. وعلى هذا الأساس يغلب على الوسط المدرسي التنظيم الإداري المرن الذي يسمح باتخاذ القرارات، وسيولة المعلومات من أسفل إلى أعلى، ومن أعلى إلى أسفل بصورة تفاعلية<sup>(١)</sup>. وكل ذلك يتطلب مشاركة الجميع في الخبرة. وعدم إقصاء أو تهميش أي فرد من أفراد العملية التعليمية<sup>(٢)</sup>.

#### ٥- كيفية تجسيد المناهج التعليمية الرامية لتحسين الأمن الفكري من مشكلة التطرف الفكري ميدانيا:

أ- في مرحلتي التعليم الابتدائي والاكمامي (الأساسي) أو ما يسمى بالتعليم الإعدادي أو المتوسط، وهو الذي يتوسط التعليم العام القبل جامعي: بينت العديد من الدراسات الحديثة أن الفترة من السادسة إلى الرابعة عشرة من العمر فترة حاسمة في تكوين نظرة الفرد إلى الثقافات الأخرى<sup>(٣)</sup>. ومن ثم فإن المناهج التعليمية لا تنمي حصيلة التلاميذ من المعلومات والمهارات فحسب، بل تؤثر أيضا في حسهم الثقافي وشعورهم بالمسؤولية والإنسانية<sup>(٤)</sup>. إذن فدور المناهج التعليمية دور مهم في نشر ثقافة الاعتدال والوسطية والائتلاف، ولا ينبغي أن تنحصر غايتها في نقل معلومات علمية وأدبية إلى

(١) عواشرية السعيد، ٢٠٠٨، المرجع السابق، ص: ٢٥٠.

(٢) عواشرية السعيد، ٢٠١٠، المرجع السابق، ص: ٨٤، وعواشرية السعيد، ٢٠١١، المرجع السابق، ص: ١٠٤٦.

(٣) اليونسكو، التربية من أجل التعاون والسلام على الصعيد الدولي في مرحلة التعليم الابتدائي، ١٩٨٣، ص: ٤١.

(٤) المركز الوطني للوثائق التربوية، ثقافة السلم واللاعنف، مجلة موعد التربوي، عدد خاص، وزارة التربية، الجزائر، ١٠/١٠، ١٩٩٩، ص: ٢٣.

التلاميذ، بل تقدم للأفراد تربية اجتماعية، وأخلاقية، ودينية، تتمحور على استقامة الفكر واعتداله، وترسيخ مبادئه التي ينبغي أن تنطلق من الأسرة أولاً، وهذا ما يعرف بالتربية الفاعلة؛ لأنها تثير تساؤلات حول أسباب التعصب والعنف والإرهاب، ونتائجها الوخيمة.

ومن أجل تجسيد ذلك في الواقع على المعلمين في هذه المرحلة أن يدركوا تأثير اتجاهاتهم وقيمهم على تلاميذهم، ولا بد أن ينمو لديهم اتجاهات سليمة نحو التعصب، ويغرسوا فيهم روح التفتح والنظرة الواسعة، والابتعاد ورفض القوالب الفكرية الجامدة المتعصبة. وإذا ما أدرك المعلم ذلك، فإنه سيتمكن لا محالة من تحقيق هذه الأهداف باستغلال مناهج التعليم في ترسيخ هذه القيم، واستعمال الأساليب السليمة في حل المشكلات التي تعترض الطفل في حياته المدرسية، أي أنه يجمع بين التعليم النظري والتعليم التطبيقي، فـ"مراهق اليوم هم راشدو الغد؛ ومن واجبنا أن نهتم بتربيتهم، ولا يجوز الاعتقاد أن الزمان كفيلاً بعلاج الأمور"<sup>(١)</sup>.

ويفهم من هذا القول أن تربية النشء لا تحتمل الانتظار والتأجيل إلى ما بعد سن المراهقة؛ فهذا ليس دور الزمان، بل هو دورنا نحن كأولياء ومربين، بل كراشدين فقط، وينبغي أن نقوم بدورنا هذا قبل فوات الأوان، "فمراهقوا اليوم هم مسيرو شؤوننا ومجتمعنا حسب مقاييسهم غدا، ولا ينبغي الاستهانة بالتصرفات العنيفة في المؤسسات التعليمية؛ لأن ذلك يشجع انتشارها بسرعة مذهلة.

فقد تنجح المناهج التعليمية في تعليم الأفراد الديمقراطية والتعاون والتسامح والتعايش وقبول الآخر وعدم التطرف لاتجاه ما، و... لكن هذا

(١) المركز الوطني للوثائق التربوية، المرجع السابق، ص: ٢٤.

التغيير في مكتسبات المتعلمين قد لا يؤدي حتما إلى تغيير اجتماعي في الواقع، فالأطفال يفعلون ما يروننا نعمل كمعلمين وأساتذة وآباء، وليس ما نأمرهم به أن يفعلوه؛ ولن تجدي المضامين نفعاً في تكريس وتجسيد هذه المضامين إذا كان القائمون على تبليغها وطرائق ذلك و...ذاتها تمارس التمييز، والظلم، والإقصاء، والتهميش، وسلوك الكبار ينمي أنواع التعصب وكراهية كل من يخالفنا رأياً، أو ديناً، أو ثقافة، ومن هنا ينبغي أن تكون الأنشطة التربوية التي تهدف إلى التأثير في سلوك الطفل محددة السبل؛ حتى تستطيع المدرسة والبيئة الاجتماعية المحيطة القيام بواجبها في هذا المجال، وعلينا نحن المربين والأولياء أن نبين للأطفال ما هو واقع فعلاً، وما ينبغي أن يكون، ونعرفهم بالفرق بين الواقع والمثل العليا، وننبههم إلى كيفية الانتقال من أحدهما إلى الآخر عن طريق البحث والتقييم، فيتعلم أن يسأل ويبدع ويجد الحلول المناسبة<sup>(١)</sup> وبالطرق السلمية دون اللجوء إلى العنف والقوة.

والمعلم الناجح في هذا الميدان هو ذلك الذي يستكمل أعمال المدرسة بالمشاركة الإيجابية في الأعمال خارج أوقات الدراسة بمشاريع في البيت أو المدرسة، أو في المحيط الاجتماعي، فيتعلمون بذلك منه الفرق بين التفكير النظري والممارسة العملية، ويكتشفون فوائد العمل الجماعي، والتعاون، والتآزر، وترسيخ في أفكارهم ووجدانهم هذه القيم الإنسانية العليا. ومن أفضل السبل لتعليم الأطفال الاحترام الذي يفضي إلى احترام حقوق الإنسان؛ أن يكون المعلم قدوة لهم باحترامه لهم، وأن يستمع إليهم ويفهمهم، وهو عمل ينبغي أن يكون مبنياً على ما بدأ البيت في تعليمه للأطفال قبل المدرسة، لأن عملها متكامل، فيجعل المعلم من احترام النفس والغير ركناً في

(١) اليونيسكو، المرجع السابق، ص: ٤٧.

تربية النشء، وبذلك تستطيع المدرسة أن تغرس في نفوسهم احترام حقوق الإنسان بما يقدمه المعلمون من قدوة حسنة، ومن السبل أيضا لتعليم مبدأ التعاون أن ندرب التلاميذ على الإسهام الإيجابي في إنجاز أعمال جماعية، فيقدرون التفاعل بين الاستقلال والاعتماد على الغير، أو بين الاعتماد على النفس والتعاون، وقد أثبتت التجارب نجاح كثير من المعلمين في تدريب تلاميذهم على المسؤولية بتكليفهم بمهام بسيطة متعلقة بأعمال محددة، كتوزيع أدوار مسرحية، أو القيام بتنظيم القسم، أو تزيينه، أو زراعة الخضر في حديقة المدرسة، إلى غير ذلك.

وعلى المدرسة أيضا أن تفسر للتلاميذ سلامة الفروق الثقافية الموجودة بين الشعوب والأمم، وأن هذه الفروق تحدث تكاملا بين هذه الشعوب، ولا ينبغي التحامل على الثقافات أو الديانات الأخرى، ولتحقيق هذا الهدف لا بد من التعريف بمختلف الثقافات والعادات والمعتقدات، لإدراك العلاقات بين مختلف الشعوب المنتمية إلى العائلة البشرية؛ لاشتراكها في خصائص الجنس البشري. وكلما تعمق التلاميذ في دراسة أساليب الحياة المختلفة كلما قل تعصبهم واستسلامهم للجمود وكرهية الآخرين، وقد وفق كثير من المعلمين في ترسيخ فكرة الانتماء إلى مطردة الاتساع: الأسرة، فالمدرسة، ثم المجتمع المحلي، فالمجتمع الوطني، فالمجتمع الدولي<sup>(١)</sup>.

ومن الطرائق التي استعملها بعض المعلمين في هذا المجال إقامة نظام مراسلة بين تلاميذ مدارسهم مع تلاميذ مدارس أخرى، في أنحاء مختلفة من العالم، واعتبر كثير من المربين هذه الطريقة من أنجع الطرائق؛ لتعريف النشء بجغرافيا البلدان وتاريخها وثقافتها ودياناتها، فيكتشفون التشابه

(١) المركز الوطني للوثائق التربوية، المرجع السابق، ص: ٢٥.

الموجود بينهم وبين أطفال هذه البلدان، وربما نشأت علاقة مودة ومحبة، ثم تتطور إلى زيارات تتسج صداقة أبدية. وإذا كان هذا الأسلوب ممكنا وناجحا بين أطفال بلدان مختلفة فهو أنجح وأسهل بين أطفال البلد الواحد. وللتربية البيئية دور في إدراك الأطفال لأهمية المحافظة على البيئة، من باب الحفاظ على حياة الإنسان الذي يعيش فيها؛ إذ إن الحفاظ على النباتات، ونقاء الجو، والمياه، هو تمكين الإنسان من الحياة واحترام الحق الإنساني<sup>(١)</sup>.

فالتربية البيئية في المدرسة تجمع بين سائر أنواع التعليم، فهي تزوج بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية في دراسة علاقات الإنسان بالأرض والماء والهواء، وتكون قاعة للمواطنة القائمة على الوعي البيئي، وتمكن الإنسان من إدراك أن سلامته لا تتفصل عن سلامة العناصر المحيطة به

**ب- في مرحلة التعليم الثانوي:** بما أن العملية التعليمية مستمرة في الزمان فإن المرحلة الثانوية من التعليم تقوم أيضا بتنمية ثقافة الوسطية والسلم؛ استمرارا لدور المدرسة الابتدائية والإكمالية (الإعدادية) (ما قبل الثانوية وبعد الابتدائية) في ذلك من قبل؛ ولأن تلاميذ هذه المرحلة قد اكتسبوا أسس التفكير، فإن دور الأستاذ يتمثل في ترسيخ تلك المبادئ والقيم ونشرها على نطاق أوسع، والخروج بها من الحيز الحسي إلى فضاء التجريد، وليس معنى ذلك التخلي عن السلوكات السليمة، بل تدعيمها بدراسة مبادئها دراسة فكرية علمية منطقية، ومناقشة سبل تطويرها؛ لأن الطالب في مرحلة التعليم الثانوي في مقدوره مناقشة الأفكار المجردة، والفلسفات التي تتبني عليها مبادئ حقوق الإنسان والديمقراطية ونشر مبادئ ثقافة السلم بين الدول. ويمكن للطالب في هذه المرحلة أن يمارس الديمقراطية بطرح أفكاره

للنقاش، وله القدرة في نقد ما يعرض عليه من أفكار، فننتقل من دور المتلقي إلى دور المشارك الإيجابي في الموقف التعليمي، بإصدار أحكام على مواقف معينة، وحل مشكلات حقيقية، وبذلك تتكون لديه قناعات ومواقف مبنية على القيم الإنسانية السامية. وقد طرحت مرارا إشكالية تدريس القيم الإنسانية التي تركز عليها ثقافة السلم والاعتدال وقبول الآخر، مثل حقوق الإنسان والديمقراطية وغيرها: هل يحدد لها برنامج معين وتوقيت معين؟ أم أن كل الأنشطة التعليمية تشارك في تقديم المادة؟ ولما كان الهدف في هذه المرحلة هو تنمية القدرات المكتسبة من مراحل التعليم السابقة، فإنه من المنطق أن تكون كل المواد معنية؛ لأنها عملية تربية لا تتجزأ وليست تلقينية. ويمكن أن نلخص هذه القدرات في قدرات فكرية، وقدرات نفسية اجتماعية، فالأولى منهما لا ينبغي أن تقتصر على نشاط الذاكرة؛ لتخزين محتويات الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والمواثيق المتعددة مثلا، بل الهدف هو توظيف تلك المعارف في جميع مظاهر الحياة، وهو هدف متكامل مع أهداف كل مادة مقررة في البرامج التعليمية في هذه المرحلة، والثانية أنه المسلم به أن أساس حقوق الإنسان هو تنظيم العلاقات الاجتماعية للأفراد والجماعات والمجتمعات، والاستعدادات التي تؤثر في السلوكيات الاجتماعية لا يمكن تمييزها بالمعرفة فقط، فاحترام الآخرين على سبيل المثال، لا يكفي تعريفه وتحليل معناه لترجمته إلى سلوك ثابت عند الفرد، بل لابد من توفير ظروف واقعية لممارسته عن اقتناع بأهميته، وهذا بمثابة مخبر بالنسبة لاكتساب المعارف<sup>(١)</sup>. ولا تنمو هذه الاستعدادات إلا في ظل أنشطة اجتماعية خاصة تمارس فيها علاقات اجتماعية محددة ومقصودة ومبرمجة.

(١) يوندياس، التربية الحديثة، مجلة اليونسكو، العدد: ٥٨، أبريل، ١٩٩٥. ص: ٢٩.

ج- في مرحلة التعليم الجامعي: بعد مرحلة التعليم الثانوي تأتي مرحلة التعليم الجامعي والتي لها دور بارز في تأطير الأجيال تأطيرا متوازنا، غير متطرف لأي اتجاه مساهمة بذلك مساهمة فعالة في مواجهة أشكال التطرف الفكري، ومن بين سبل تجسيد ذلك نذكر:

- تنمية الحوار العلمي: إذ تعتبر الجامعة أنسب مكان للحوار الجاد بين أصحاب الأفكار المختلفة، لأن الأصل فيها أن تكون هي منبع الأفكار الموجهة للمجتمع، فإذا ترسخ في الجامعة الحوار أمكن نشره في المجتمع مع توالي الأجيال المستفيدة من التعليم الجامعي. والمطلوب في هذا الحوار أن يشمل كلا طرفي التطرف، وأهم قاعدة يتأسس عليها الحوار الناجح مع المتطرف تكون بضبط المكونات الضرورية في معادلة نظرية المعرفة وهي: (الدين - العلم - الفلسفة)؛ حتى يتشكل نسق معرفي متكامل يسع الجميع<sup>(١)</sup>.
- التفكير العلمي المنهج: فالجامعة هي المحضن الأساسي لإشاعة وتلقين جملة من أدبيات المنهجية في التفكير حتى يتمكن الطالب من امتلاك رصيد معرفي ممنهج يتيح له الحكم على الأفكار والآراء من منطلق عقلي نزيه ومنصف فيشكل له هذا الرصيد مناعة معرفية ضد التعصب الأعمى والتحليل اللامنطقي أو العاطفي للأمور. ومن أهم هذه الأدبيات<sup>(٢)</sup>:
  - الموضوعية: وهي صفة تقتضي تحليل الأمور تحليلا منطقيًا، بعيدا عن الميول، والنزعات الشخصية العاطفية، ودون غلو أو تعصب، فالموضوعية في البحث هي تجنب الباحث الشطط والزلل.
  - الإنصاف: ومعناه التجرد من الهوى، والحكم على الأشياء بمقتضى

(١) أقاسم جمال، المرجع السابق، ص: ٢٠٦ - ٢٠٧.

(٢) أقاسم جمال، المرجع نفسه، ص: ٢٠٨.

الحقيقة دون تعصب. واحترام رأي الآخر حتى وإن اختلف معنا في رأيه، والاعتراف له بالصواب إن أصابه، وبيان الخطأ ومجانبة الصواب إن تبين، حتى وإن كان في حق من عهدنا منه الصواب أو جمعتنا به الوجهة أو المذهب.

○ سعة الإطلاع: وتعني توسيع القراءة في موضوع البحث وما حوله، واتساع البحث؛ حتى يستفيد الباحث من مختلف التخصصات، وخصوصا في هذا العصر الذي تتقاطع فيه العلوم وتتقارب حتى أصبحنا نشاهد عيانا بعض مظاهر ما يسمى بوحدة العلوم، فالاطلاع الواسع شرط في الاستيعاب، والعمق في التفكير، ذلك أن التصدي للأفكار.



## خاتمة

**ختاماً لتناولنا لهذا الموضوع نحاول تلخيص أهم نتائجه وتوصياته في ما يلي:**

رغم أن المؤسسات التربوية ليست هي الوحيدة بين مؤسسات المجتمع التي أنيط لها تحسين أفرادهم ووقايتهم من الانحرافات الفكرية والسلوكية، إلا أنها تبقى الأكثر تأثيراً في إعداد المواطن الصالح، من خلال مناهجها التعليمية، لذا أصبحت التربية تركز على أن تكون المدرسة ومن خلال مختلف مكونات مناهجها التعليمية مركزاً لخدمة المجتمع، والحفاظ على نظامه، وأمنه الفكري، من مشكلة التطرف وما يتبعه من تعصب وعنف وإرهاب.

وذلك ما لا يمكن للمناهج التعليمية تحقيقه مادامت الأنظمة التربوية القائمة عليها أنظمة دمجية، لا يهتمها إلا بتبليغ المعرفة، وتستند إلى منطلقات تعيق انتظام مكونات المنهاج وفقاً للطريقة الفاعلة التي بإمكانها تجسيد الأمن الفكري في الواقع، داخل حجرة الدرس أولاً، وفي المدرسة ثانياً، وفي المجتمع ثالثاً، ومن ثم وجب على مصممي المناهج التعليمية اليوم - أكثر من أي وقت مضى - إعادة النظر في منطلقاتهم المستنديين عليها في بنائهم لذلك، والعمل على الاستناد على منطلقات تجعل من النظام التربوي نظاماً إنتاجياً لا دمجياً، وتضمن انتظام ملائم لمكونات المنهاج التعليمي بنمطية تسمح بتجسيد الأمن الفكري.

فالمناهج التعليمية التي تستطيع أن تحافظ على أمننا الفكري، وتعزز الوسطية لدى المتعلمين، هي المناهج التي بإمكانها تعميق الهوية الوطنية، وغرس الانتماء، والولاء للأمة والوطن، تلك المناهج التي بإمكانها أن تخرج نخبا فكرية مستتيرة، تستطيع أن تزيل وهم العولمة والاغتراب وتحمل لواء

الممانعة، نخبا تحمل فكرا مستتيرا مؤمنا متمسكا بقيم الأمة الحضارية وثوابتها، نخبا تستطيع أن تفتح على الفكر العالمي انفتاح المحور، لا انفتاح التابع المندمج، ولا الرفض المتشردق، إنما انفتاح يقوم على حوار الثقاف الذي يعتمد على الاعتراف المتبادل ويؤمن بحق الاختلاف.

### وبغية تحقيق ذلك نوصي المعنيين بجملة من التوصيات:

- ١- يتعين عند عرض المحتوى الدراسي للمتعلمين، وشرحه لهم من الأهمية بمكان لتتمية ثقافة الحوار أن يكون الحوار هو الأسلوب الرئيس من أساليب التعليم وإيصال المعلومة، مع التأكيد على استثمار المواقف التعليمية التي يستخدم فيها هذا أسلوب الحوار للتبنيه على آداب، ومبادئ الحوار.
- ٢- إشاعة وتلقين جملة من أدبيات المنهجية في التفكير؛ حتى يتمكن الطالب من امتلاك رصيد معرفي ممنهج يتيح له الحكم على الأفكار والآراء من منطلق عقلي نزيه ومنصف، فيشكل له هذا الرصيد مناعة معرفية ضد التعصب الأعمى، والتحليل اللامنطقي، أو العاطفي للأمور. ومن أهم هذه الأدبيات: الموضوعية، سعة الاطلاع، الإنصاف.
- ٣- على المعلم جعل علاقته بالمتعلم مبنية على مبدأ العقد والتعاقد التعليمي، فالمكون يخطط وينظم الفعل التعليمي ثم يطالب المتعلمين بالأهداف، ويشركهم في العمل على تحقيقها، والكل يعمل على تنفيذ العقد والعمل على بلوغ الأهداف المتوقعة.
- ٤- على مصممي المناهج التعليمية وضع في مقدمة أهداف كل منهاج تكوين الفرد المتشبع بقيم الاستقلالية، والاعتماد على النفس، والحرية، والمبادرة، والتواصل التعليمي، والاجتماعي، والتفاعل مع متغيرات العصر، والانفتاح عليها دون انسلاخ و تدعيم قيم الإنتاجية والمردودية لدى الأفراد.

- ٥- يتعين على جميع منتسبي المؤسسات التربوية، أن يكونوا قدوة صالحة في القول والعمل فيما يتعلق بالنشاط المدرسي، وخاصة المعلمين والأساتذة الذين ينظر الطلاب إليهم كقدوة صالحة، وفاقد الشيء لا يعطيه.
- ٦- العمل على تفعيل دور تربية المواطنة؛ من خلال المناهج التعليمية في مختلف المواد الدراسية، خاصة تلك المواد التي تسمح بنيتها المعرفية بذلك مثل التربية الوطنية، والتاريخ والجغرافيا، والتربية الإسلامية، واللغة العربية من خلال تضمين محتويات هذه الأخيرة مثلا بمختلف الأجناس الأدبية المناهضة للعنف والإرهاب التي تتغنى بحب الوطن والولاء له، والانفتاح المقنن على الآخر.

## المراجع والمصادر

- القرآن الكريم.
- ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، دار صادر، ط: ١، بيروت، ١٩٨٤.
- أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٨١.
- أحمد فلاح العموش، أسباب انتشار ظاهرة الإرهاب، (دراسة من منظور تكاملي)، أعمال ندوة مكافحة الإرهاب، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، مركز الدراسات والبحوث، عدد: ١٦، ٢٤٠-٢٤٠/٢/١٨ هـ الموافق ل: ٥/٣١-٥/٢/١٩٩٩م، الرياض، ١٩٩٩/١٤٢٠.
- إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط: ١، ١٩٧٩م.
- أقاسم جمال، التعليم الحوارى المنهج.. آفاق وأبعاد في مواجهة العشوائية والانحراف الفكرى داخل المجتمع، مجلة الحقيقة، جامعة أدرار، الجزائر، عدد خاص بالملتقى الدولى السابع، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، ٢٠٠٣/٢٠٠٤.
- التقنية والتعليم (بدون اسم المؤلف)، اللامدرسية... تعليم بدون مدرسة، مجلة التقنية والتعليم، صادرة عن اليوم للصحافة والطباعة والنشر، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٧.
- المركز الوطنى للوثائق التربوية، ثقافة السلم واللاعنف، مجلة موعود التربوي، عدد خاص، وزارة التربية، الجزائر، ١٠/، ١٩٩٩.
- المنجد في اللغة العربية المعاصرة، ط: ٢، دار المشرق، بيروت، لبنان، ٢٠٠١.
- اليونسكو، التربية من أجل التعاون والسلام على الصعيد الدولى في مرحلة التعليم الابتدائى، ١٩٨٣.
- جودة أحمد سعادة، وآخر، تنظيمات المنهاج وتخطيطها وتطويرها، ط: ١، دار

- الشروق، عمان، الأردن، ٢٠٠١.
- سعيد بن فلاح المغامسي، الوسطية في الإسلام وأثرها في تحقيق الأمن، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، المجلد ١٩ العدد ٣٨، الرياض.
  - سهيلة محسن كاظم الفتلاوي، المنهاج التعليمي والتدريس الفاعل، ط: ١، دار الشروق، عمان الأردن، ٢٠٠٤.
  - صحراوي عبد الله، المدرسة العربية (الجزائرية) في مواجهة ظاهرة العنف - المناهج التربوية بين فكر الاختلاف وثقافة الائتلاف - مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة سطيف، الجزائر، العدد: ٤، جوان، ٢٠٠٦.
  - صفاء الأعسر، إسهام علم النفس في نظام التعليم، سلسلة محاضرات لجنة علم النفس، المجلس الأعلى للثقافة، الفترة من أكتوبر ١٩٩٩ إلى يونيو ٢٠٠٠، ٢٠٠١.
  - عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الأمن الفكري: ماهيته و ضوابطه " ندوة أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية حول: لأمن الفكري، منشورات أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ٢٠٠٥.
  - عبد الرحمن عبد العزيز السديس، الشريعة الإسلامية ودورها في تعزيز الأمن الفكري، ندوة أكاديمية نايف حول: الأمن الفكري، منشورات أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ٢٠٠٥.
  - عبد الغني عبود، التربية المقارنة في نهاية القرن - الأيدولوجيا من النظام إلى اللانظام-، دار الفكر، ط: ١، ١٩٩٣.
  - عبد اللطيف الغازلي، وآخرون، البرامج والمناهج من الهدف إلى النسق (مقاربة نسقية لتحليل وبناء الأنظمة التربوية والبرامج الدراسية من الأهداف إلى التقييم)، دار الخطابي، المغرب، ١٩٩٢.
  - عبد الله بن عبد العزيز اليوسف، الأنساق الاجتماعية ودورها في مقاومة الإرهاب والتطرف، (دراسة تحليلية للمجتمع السعودي)، أكاديمية نايف

- العربية للعلوم الأمنية، مركز الدراسات والبحوث، ط: ١، الرياض، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- عبد المجيد النجار، عوامل الشهود الحضاري، دار الغرب الإسلامي، ط: ١، بيروت، ١٩٩٩.
- علي بن فايز الجحني، الإرهاب: الفهم المفروض للإرهاب المرفوض، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، مركز الدراسات والبحوث، عدد: ٢٥٩، الرياض، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.
- عواشرية السعيد، برامج التعليم العالي في الدول العربية بين اكتساب المعرفة وإنتاجها وإشكالية هشاشتها - الجزائر نموذجاً - سجل أبحاث المؤتمر الثاني لتخطيط وتطوير التعليم والبحث العلمي في الدول العربية، ٢٤-٢٧/٢/٢٠٠٨، جامعة الملك فهد للبترول والمعادن، الظهران، السعودية. ٢٠٠٨.
- عواشرية السعيد، المناهج التعليمية ودورها في تحصين الأمن الفكري من مشكلة التطرف، مجلة علوم التربية، العدد: ٤٣، الرياض، المغرب، أبريل، ٢٠١٠.
- عواشرية السعيد، المناهج التعليمية الجامعية في ظل تعزيز مبدأ الوسطية لدى الطلاب "أسس بنائها، آليات إجراءاتها ومتطلبات ذلك"، سجل أبحاث مؤتمر دور الجامعات العربية في تعزيز مبدأ الوسطية بين الشباب العربي، -الجزء: ٢، في الفترة ٦-٩ مارس ٢٠١١، جامعة طيبة، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية. ٢٠١١.
- فرحاتي العربي، فلسفة التربية في ضوء مبدأ التغيير، سلسلة إصدارات مخبر إدارة وتنمية الموارد البشرية، فعاليات الملتقى الدولي: إشكالية التكوين والتعليم في إفريقيا والعالم العربي، أيام ٢٨-٣٠ أفريل ٢٠٠١، العدد: ١، ٢٠٠٤.
- فرحاتي العربي، المعلوماتية في الاتصال البيداغوجي بين ضرورات التعليم ومحاذير الأئسنة ٢٠٠٧. الموقع:

[http://www.geocities.com/youcef\\_kadri/articles](http://www.geocities.com/youcef_kadri/articles)

- فهد الشقحاء، الأمن الوطني- تصور شامل- المفهوم، الأهمية، المجالات، المقومات، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ٢٠٠٥
  - قادري يوسف، التغير الاجتماعي-التخطيط والتبعية الحضارية- مجلة الرواسي، جمعية الإصلاح الاجتماعي والتربوي، باتنة، الجزائر، العدد: ١٣، أفريل، ١٩٩٦.
  - محمد الزحيلي، الإسلام والشباب، ط: ٢، دار القلم، دمشق، ١٩٩٣.
  - محمد منير مرسي، الاتجاهات الحديثة في التعليم الجامعي المعاصر وأساليب تدريسه، عالم الكتب، ط: ١، القاهرة، ٢٠٠٢.
  - محمد الصالح جدي، التربية في العالم الثالث، مأساة واقع وضبابية مستقبل، مجلة التربية، وزارة التربية الوطنية الجزائرية، العدد: ٢، السنة: ١، مارس، ١٩٩٥.
  - محمد بن عبد الله العميري، موقف الإسلام من الإرهاب، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، مركز الدراسات والبحوث، عدد: ٣٢٨، الرياض، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
  - محمد محمود الخوالدة، أسس بناء المناهج التربوية وتصميم الكتاب التعليمي، ط: ١، دار المسيرة، ٢٠٠٤.
  - محمود السيد سلطان، مقدمة في التربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩٣.
  - موقع الاسلام الدعوي والارشادي، ١٤٣١، مفهوم الفكر الاسلامي وصلته بالعقل والوحي، الموقع:
- <http://www.al-islam.com/content.aspx?pageid=1210&ContentID=752>
- يوندباس، التربية الحديثة، مجلة اليونسكو، العدد: ٥٨، أفريل، ١٩٩٥.



مؤتمر ظاهرة التكفير .. الأسباب .. الآثار .. العلاج





ظاهرة التكفير .. الأسباب والعلاج والأثار



# دور المؤسسات التعليمية في معالجة ظاهرة التكفير

د. رقية طه العلواني  
جامعة البحرين



مؤتمر ظاهرة التكفير .. الأسباب .. الآثار .. العلاج

## مقدمة

ظاهرة التكفير من الظواهر الإنسانية المعقدة، التي تحتاج في معالجتها إلى تفكيك البنى الفكرية والاجتماعية، التي تسهم في ظهورها وتفاقمها. الأمر الذي يجعل العديد من مؤسسات التنشئة الاجتماعية تتقاسم الأدوار في تحليل أسبابها، والعوامل الكامنة وراء بروزها، ومن ثم سبل معالجتها. وتحمل المؤسسات التعليمية الدور الأكبر والأكثر أهمية في ذلك؛ إذ هي التي تقوم بتنشئة أجيال ترفد المجتمعات الإنسانية بعناصر قادرة على صياغة المستقبل الحضاري لمجتمعاتها، وعلى المساهمة في معالجة مشكلاته، على اعتبار أن تلك المؤسسات الأداة الفاعلة التي تنصهر فيها جميع التوجهات الفكرية، والثقافية، والدينية، لأفراد المجتمع.

إلا أن هذا الدور المحوري لتلك المؤسسات لا يمكن أن يحقق فاعليته في التغيير الاجتماعي بدون مراجعة الوضع الحالي لها، وتقديم دراسات ميدانية، ومراجعات شمولية، يمكن أن تسهم في تفعيل الدور الإيجابي لها، في احتواء التيارات السلبية بما فيها ظاهرة التكفير وإحلال الإيجابية محلها. من هنا تأتي هذه الدراسة بهدف القيام بعملية تفكيك لظاهرة التكفير، في محاولة لتوصيف معالجتها من خلال إلقاء الضوء على الدور الذي يمكن أن تقوم به المؤسسات التعليمية في ذلك متمثلاً في الأهداف التعليمية لها، ودور المعلم أو الأستاذ فيها، والمناهج، والإرشاد النفسي والاجتماعي فيها. كما تقدم الورقة تصوراً حول دور هذه الجامعات في إخراج المواطن والإنسان الصالح المتمسك بالقيم الحضارية المنفتحة، المعتز بهويته الوطنية، المدرك لحقوقه وواجباته، المتسلح بفضيلة التواصل والحوار وبمبادئ العدالة والتسامح والحرية المسؤولة.

فالمؤسسات التعليمية واحدة من أهم الحلقات الرئيسية التي تسخرها المجتمعات المتقدمة لترسيخ قيمها الثقافية والحضارية؛ ولتحقيق مشاريعها التربوية والتنمية. فوظيفتها أصبحت تتركب من دورين اثنين: أولهما أكاديمي، غايته تزويد المتعلمين بالمعارف والمهارات العلمية ونشرها وتطويرها. وثانيهما وظيفي، يروم تلبية حاجة الخريجين والسوق المهنية، إضافة إلى تلبية حاجات المجتمع الحضارية، والثقافية، والتنمية.

وتركز الورقة على دور المؤسسات التعليمية في تربية الطلبة تربية واعية؛ من خلال إكسابهم مهارات التفكير الناقد المتبصر القادر على النظر والتحليل والاختيار المبني على المقدمات والنتائج المقبولة شرعا وعرفا. وتستعرض وتقدم الورقة جوانب تنمية هذه المهارات، ودور المؤسسات التعليمية فيها، وذلك من خلال الحديث عن تدريس مهارات التفكير وتطوير استراتيجيات التدريس.

### الدراسات السابقة:

تعددت الدراسات التي تناولت ظاهرة التكفير في الآونة الأخيرة ضمن سياقات واتجاهات فكرية متعددة في محاولات للدخول في فلك معالجتها واحتوائها. ومن أبرز الدراسات التي وقفت عليها الورقة كتاب: "ظاهرة الغلو في التكفير"<sup>(١)</sup> لدكتور الشيخ يوسف القرضاوي. يقع الكتاب في (١٠٠) صفحة، عالج فيه الدكتور القرضاوي الظاهرة معالجة فقهية فناقش ما يستند إليه من يقول بالتكفير بناء على أدلة ونصوص شرعية، وأوضح سوء التأويل والفهم لتلك النصوص، وبين أنها كانت وراء الكثير من هذه التوجهات مؤكداً أن علاج الفكر لا يكون إلا بالفكر بعيداً عن العنف

(١) يوسف القرضاوي، ظاهرة الغلو في التكفير، مكتبة وهبة، مصر، الطبعة الثالثة، ١٩٩١م.

المضاد وما شابه.

أما الكتاب الثاني فهو: "ظاهرة التكفير في المجتمع الإسلامي" للكاتب الدكتور عبداللطيف الهرماسي.

يقع الكتاب في (٧٦) صفحة تناول الهرماسي فيها ظاهرة التكفير باعتبارها ممارسة وإيديولوجية في الإطار الإسلامي، وأيضا بوصفها ظاهرة تاريخية، مستندا في تأويلها على علم الاجتماع الديني<sup>(١)</sup>. أكد الباحث أن "الايديولوجية التكفيرية تمثل في المقام الأول ردة فعل على تصدع الأطر الرمزية و الاجتماعية الموروثة تحت ضغط الحداثة ونتيجة لاستتبات أطرها ومؤسساتها وفكرها. إضافة إلى رافد المخيال الديني - كما أطلق عليه الكاتب- والنصوص الفقهية والاجتهادية التي كثيرا ما يُنظر إليها خارج سياقاتها التاريخية والاجتماعية"<sup>(٢)</sup>.

ومن الدراسات الهامة في هذا المجال كتاب: الإسلام والعنف قراءة في ظاهرة التكفير. ناقش فيه الكاتب حسين الخشن ضوابط الإسلام والكفر ومراتبهما، موقف الإسلام من الكفر والكفار، وأبرز سمات الجماعات التكفيرية، وخصائص الخطاب التكفيري، وكيفية معالجة ظاهرة التكفير في خمسة فصول وخاتمة مفصلا في (٣٠٤) صفحة<sup>(٣)</sup>.

وثمة دراسات أخرى وقفت عليها الدراسة في مجالات مختلفة تهتم بدور المؤسسات التعليمية، وكيفية تفعيله؛ بغية معالجة الظواهر السلبية التي تنتج

(١) علم الاجتماع الديني يقصد به دراسة الظواهر الاجتماعية في ميدان الدين والعلاقات الاجتماعية للدين في الداخل والخارج. انظر في ذلك: عبدالله الخريجي، علم الاجتماع الديني، سلسلة دراسات في المجتمع العربي السعودي، الكتاب التاسع، رامتان، جدة، ١٤١٠هـ، ص ١٦٦.

(٢) عبداللطيف الهرماسي، ظاهرة التكفير في المجتمع الإسلامي، من منظور العلوم الاجتماعية للأديان، دار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ٢٠١٠م.

(٣) حسين الخشن، الإسلام والعنف قراءة في ظاهرة التكفير، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٦م.

في محصلتها النهائية التكفير والعنف والعدوان وما شابه. والملاحظ على معظم هذه الدراسات أنها لم تتطرق بشكل مباشر - وأحيانا حتى بشكل غير مباشر - لظاهرة التكفير بل جاءت في سياق الحديث عن تطوير أداء المستوى التعليمي بشكل عام. إلا أن الدراسة رأت ضرورة الوقوف عليها في معالجة ظاهرة التكفير، أو أي انحراف فكري وسلوكي آخر.

ومن تلك الدراسات، الأدبيات التي تهتم بإعداد المعلمين، وتهيئتهم، وتأهيلهم مهنيا للقيام بأدوار أكثر فعالية تتناسب وحجم التحديات التي تواجهها المجتمعات المعاصرة<sup>(١)</sup>.

وقد خلصت هذه الدراسات إلى أن نجاح أي نظام تعليمي يعتمد بالدرجة الأولى على مستوى إعداد المعلم، لذا أصبح تطوير مؤسسات إعداد المعلم مطلباً هاماً وملحاً لتحقيق التنمية البشرية الشاملة.

وأكدت الدراسة دور المعلمين والأساتذة الجامعيين في معالجة مختلف الظواهر السلبية وضرورة إعدادهم وتأهيلهم أثناء الخدمة وفق أسس علمية. وأن الآمال تتعلق على إصلاح المعلم كخطوة أساسية لإصلاح التعليم وتطويره في البلاد العربية.

(١) من أمثال هذه الدراسات: زايد، نبيل. "النمو الشخصي والمهني للمعلم"، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٠م. شوق، محمود، ومحمود مالك سعيد، تربية المعلم للقرن الحادي والعشرين، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٩٩٥م. أحمد الخطيب، بعض الكفايات التعليمية الأساسية اللازمة للمعلم العربي وانعكاساتها على المواد التعليمية المطبوعة لأغراض إعداد المعلمين وتربيتهم، المؤتمر الثالث لمديري مشروعات تدريب المعلمين في البلاد العربية، بيروت من ٢٠-٢٥ مارس ١٩٧٨م. علي حسني، إعداد المعلم في دولة الإمارات العربية المتحدة في ضوء الاتجاهات العالمية المعاصرة، جامعة الإمارات العربية المتحدة، العدد الرابع، السنة الرابعة، ١٩٨٩م، ص ١٧ - ٧١. الخميس، السيد سلامة. الإعداد الثقافي للمعلم ومشكلة الهوية الثقافية في أقطار الخليج العربية، التربية المعاصرة، العدد الرابع والعشرون، ديسمبر، ١٩٩٣م، ص ٤١ - ٧٦. خالد بن فهد الحذيفي، تصور مقترح للكفايات اللازمة لإعداد معلم العلوم للمرحلة المتوسطة، على الرابط الإلكتروني التالي:

وثمة كتابات وقفت عليها الدراسة تتعلق بتطوير المناهج. ومن أبرز هذه الكتابات، أوراق المؤتمر العالمي السابع الذي عقدته رابطة الجامعات الإسلامية في بيروت ١٩ - ٢٢ ابريل (نيسان) / ٢٠٠٤م. فجاءت أوراق المؤتمر لمناقشة خطة جديدة لتطوير المناهج الدراسية في الجامعات الإسلامية، كبديل إسلامي لخطة إصلاح التعليم في العالم الإسلامي، وتفنيد المزاعم التي تدعي أن بعض الجامعات الإسلامية تشكل بيئات لتفريخ المتطرفين.

وقد أصدر المؤتمر في البيان الختامي للمؤتمر وثيقة جاء فيها: "إن تطوير الدراسات الإسلامية يعتبر قضية محورية في تقدم الأمة الإسلامية، وضرورة من ضرورات الاستمرار؛ لأنه مضي حين من الدهر وهذه الدراسات تكاد تكون ثابتة، مع أن حركة الحياة مع طلوع الشمس في كل يوم تأتي بجديد يحتاج إلى التناول، وإلى حوادث تؤثر في الحياة والأشخاص، ومع ذلك لا نفعل شيئاً ولا نكاد نشعر أن الحياة تتغير، لذا ألزمتنا أنفسنا بضرورة أن تتطور في أسبوع الدراسة ومناهجها؛ كي تستجيب لحركة الحياة ولكي يكون لنا دور في تغيير الواقع، والتعليم الإسلامي هو الأساس لتطوير المجتمعات الإسلامية ورفيها، وتحقيق أهدافها في التقدم.

كما أن التعليم الإسلامي هو السبيل لتربية جيل مؤمن بربه، مخلص لوطنه وأمته، وعامل على تسخير كافة العلوم لخدمة البشرية، والتعليم الإسلامي صمام أمان في مواجهة دعوات الغلو والتشدد أو التفريط والتبعية<sup>(١)</sup>. ومن الدراسات التي اهتمت بقضايا تطوير المناهج، ما كتبه محمد السيد علي بعنوان: تطوير المناهج الدراسية من منظور هندسة المنهج<sup>(٢)</sup>.

(١) جريدة الشرق الأوسط، الأحد ١٢ ربيع الأول ١٤٢٥ هـ ٢ مايو ٢٠٠٤ العدد ٩٢٨٧.  
(٢) محمد السيد علي، تطوير المناهج الدراسية من منظور هندسة المنهج، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٠.

وتدور مادة الكتاب حول تطوير المناهج الدراسية، ويتناول المتطلبات الأساسية لتطوير المنهج؛ كـمعرفة ماهية تطوير المنهج، ونظرية المنهج، ونماذج المنهج، وإجراءات تطويره.

كما يتناول استراتيجية تطوير المنهج؛ كقضية تقويم المنهج، وتخطيط المنهج، وتنفيذ المنهج، ثم تقويم المنهج المطور. كما يقدم مثالا تطبيقيا لتطوير علم المناهج من خلال منظور هندسة المنهج.

ويتضح من خلال الوقوف على الدراسات السابقة وغيرها مما وقفت عليه هذه الدراسة، أن هناك اتفاقاً بين الباحثين على ضرورة معالجة ظاهرة التكفير، وأن هذه المعالجة لا بد وأن تكون شمولية، تتضافر فيها جهود مختلف مؤسسات التنشئة الفكرية والاجتماعية من أسرة، ومؤسسات تعليمية، وأجهزة إعلام، ورأي عام.

كما أظهرت تلك الدراسات ضرورة تقويم برامج المؤسسات التعليمية باعتباره ضرورة حتمية تملئها سرعة التطور المعرفي والتكنولوجي الذي يشهده القرن الحالي بشكل عام.

إلا أن هناك حاجة ملحة لإجراء المزيد من المراجعات، وعمليات التقويم؛ لأداء المؤسسات التعليمية، ودورها في التواصل المجتمعي، من خلال رصد ومعالجة الظواهر السلبية التي تظهر في المجتمعات ومنها ظاهرة التكفير بشكل خاص.

من هنا تأتي هذه الدراسة في محاولة للخروج بتصوير عن برنامج يمكن من خلاله تعميم توصيات لمختلف المؤسسات التعليمية لمعالجة الظاهرة والإسهام في رصد تبعاتها.



## أهم مصطلحات الدراسة:

وظفت الدراسة مصطلح المؤسسات التعليمية<sup>(١)</sup> تعني بها المدارس، والمعاهد، والجامعات، والمراكز التعليمية. وقد استعملت الدراسة هذا المصطلح لتأكيد أهمية مؤسسة المدارس، والمعاهد، والجامعات، وتحويلها من مجرد ناقلات للمعارف والمعلومات إلى مؤسسات تتدخل في إثراء المناهج، وأساليب التدريس، ونقل المهارات، وتنمية المواهب والقدرات، من خلال تطوير الهيكل التنظيمي لها، وكمؤسسات لعمليات الضبط الاجتماعي بل والحراك الاجتماعي والفكري بشكل إيجابي.

يقول جون ديوي: "الجامعة مؤسسة اجتماعية.. وهي صورة للحياة الجماعية تتركز فيها جميع تلك الوسائل التي تهيئ الطفل للمشاركة في ميراث الجنس البشري، ولاستخدم قواه الخاصة لتحقيق الغايات الاجتماعية"<sup>(٢)</sup>.

## تقسيم الدراسة:

تنقسم هذه الدراسة إلى خمسة مباحث إضافة إلى المقدمة، والخاتمة وفيها النتائج والتوصيات، وقائمة المراجع.

(١) المؤسسات جمع مؤسسة والمؤسسة في اللغة: مشتقة من أس أي أصل كل شيء وأسست الدار أي بنيت حدودها ورفعت قواعدها. ويطلق لفظ المؤسسة على كل ما بني لفرض من الأغراض الربحية وغير الربحية وتدخل في هذا المعنى المؤسسات التي تخصص لأغراض علمية وتربوية وغيرها. انظر: لسان العرب، لسان العرب، مادة أس.

(٢) انطوان م الخوري: أعلام التربية، حياتهم، آثارهم، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٦٤م، ص ٢٠٥.

## المبحث الأول تفكيك ظاهرة التكفير

ظاهرة التكفير ظاهرة معقدة متشعبة يرتبط بها وينتج عنها سلسلة من الممارسات الفكرية المختلفة من تطرف وعنف بمختلف أشكاله. الأمر الذي يقتضي دراستها بمنهجية تستكشف طبقات تلك الأفكار، ومجموعة العوامل التاريخية والاجتماعية الفعالة التي أثرت فيها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. وتذهب الدراسة إلى ضرورة تفكيك ظاهرة التكفير وتحليلها تحليلاً متكاملًا، والنظر إليها كمتحرك بفعل مجموعة من العوامل المحيطة والمؤثرة في وجوده، لما سيترتب عليه من دخول في طريق المعالجة والحل والتحرك نحوها عوضاً عن الاستمرار في عمليات التوصيف والمراجعات فحسب.

فظاهرة التكفير ليست مجرد انحراف فكري وأخلاقي أو سلوكي يمكن معالجته والقضاء عليه من خلال تأكيد مخالفته الصريحة لنصوص الشرع فحسب، بل لا بد من سبرها ضمن سياقاتها المجتمعية، والاقتصادية، والثقافية كذلك، لمحاصرة العوامل التي تسهم في تفاقمها.

من هنا تأتي أهمية تفكيك ظاهرة التكفير؛ للوقوف على منهجية علمية يتم من خلالها رصد أهم مسبباتها، ومن ثم طرح الحلول العملية المزودة بوسائل، ومعايير علمية، يمكن من خلالها قياس مدى التقدم في معالجة الظاهرة ومحاصرتها.

فالمستوى الأول للتكفير قد يظهر في بداياته على شكل تشدد، أو ميل نفسي للتشدد، مصحوب بفهم منقوص، أو مغلوط، لبعض النصوص الشرعية، وعدم القدرة على الجمع بين الأدلة في إطار تكاملي، يعضد بعضها

بعضاً، تنظيراً و تنزيلاً.

وهنا ينبغي التنبيه إلى أن الظواهر الاجتماعية المنحرفة في جميع المجتمعات قد تبدأ بفرد أو مجموعة قليلة خالفوا السلوك الاجتماعي لأول مرة؛ لتحقيق أهدافهم واشباع رغباتهم. وبمرور الوقت تتضاعف أعداد المنحرفين في أي مجال، وتتطور الخبرة السلوكية للمخالفة، ويزيد معدل الانتشار وسرعته إلى أن تتكون فئة صغيرة منحرفة فكرياً، أو أخلاقياً، أو اجتماعياً... وقد يؤدي هذا المستوى إلى مستوى آخر إذا لم تتم معالجته، فيظهر في تصورات معينة كسيادة فكر أحادي متمثل بالتسليم والإدعاء بامتلاك الحقيقة المطلقة، ومن ثمّ رفض التباين والاختلاف ضمن المنظومة المعرفية الواحدة للفرد، أو الجماعة الواحدة، وهو أمر خطير إذا لم يتم احتواء آثاره ومعالجتها.

فالانسحاق نحو التكفير قد يبدأ من تنامي الشعور بامتلاك الحقيقة المطلقة، وعدم سماع الرأي الآخر، ومن ثم يصبح لدى الشخص نظرة أحادية لا تتقبل غيرها بل لا تسمع غيرها، فتتحول إلى فكرة مغلقة تخشى أي نقد مهما كان مصدره.

ويزيد الإسراف في تقدير الذات الأمور حدة لدى هؤلاء الأفراد، من هنا جاء تحذير النبي - عليه الصلاة والسلام - من تلك المرحلة أيما تحذير حين قال: "إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك.."<sup>(١)</sup>

ومن النتائج المترتبة على ذلك، التعصب للرأي وإملائه على الآخرين وفرضه في جميع دوائر الحياة ومناحيها. فتبرز مجتمعات الكراهية وفقدان الثقة

(١) رواه الترمذي ي السنن، ج٨، ص ٢٢٢ رقم ٣٠٦٠. سنن ابن ماجة، كتاب الفتن، ج٢، ص ١٣٣١ رقم ٤٠١٤. وسنن أبي داود، ج٤، كتاب الملاحم.

بالآخرين وتفرق الكلمة والتستر على العيوب، وتتحطم روح الجماعات وتُسدّ قنوات الاتصال بالآخرين والتفاهم معهم

ومن ثم تُلغى حركة الحوار والتخاطب البنّاء في المجتمع؛ مما يسهم في ترسيخ الأفكار السلبية ونمو الأفكار الضالة، التي تنشأ في الأذهان لشبهات بسيطة لم تجد جوابا ونقاشا من الآخرين. لذلك نرى الكثير من المجتمعات المنعزلة تصبح مرتعا للانحراف؛ بعد أن فقدت التواصل قواعدها الداخلية وعالمها الخارجي كذلك.

ومع غياب الحوار وتنامي الإحساس بتقدير الذات واعتقاد الذات امتلاكها الحق المطلق دون سواها، يتفاقم الانغلاق الفكري المسوق إلى التطرف الفكري وما يتبعه من تكفير وغيره.

فالفكر التكفيرى مرده مكتسب، فهو فكر وسلوك يتعلمه الفرد ويتلقاه من خلال قنوات متنوعة، بدءا من الأسرة ووصولاً بمؤسسات التعلم الاجتماعي المتعددة. ولا يظهر التكفير في حلقاته الأخيرة إلا بعد أن يكون الفرد قد مارس ومرّ بعشرات السلوكيات الأخرى المنحرفة، لعل من أهمها العنف والعدوان والتعصب<sup>(١)</sup>.

فالعنف في جوهره حالة نفسية سلبية ضد الآخر؛ بحيث تنفيه وترفضه في وجوده ونفسه، أو في موقعه ومنصبه، أو في مصالحه وعلاقاته، وتتحرك نحوه بطريقة عدوانية - تدميرية.

والعدوان: أي سلوك يصدره الفرد بهدف إلحاق الضرر أو الأذى بفرد آخر، أو مجموعة من الأفراد، بدنيا أو لفظيا، بصورة مباشرة أو غير مباشرة. أما العداوة فهي: استجابة اتجاهية تتطوي على المشاعر العدائية

(١) معتز سيد عبد الله، مرجع سابق، ص ٥٥٨.

والتقويمات السلبية للأشخاص والأحداث، وهو ما يعبر عنه بصورة لفظية<sup>(١)</sup>.  
فلا يمكن أن تنتج ثقافة الكراهية والبغضاء والإلغاء واقع المحبة والألفة  
والتسامح، بل تنتج واقعاً من طبيعة ماهيتها وجوهرها، وهو العدوان بكل  
صوره ومستوياته<sup>(٢)</sup>.

ويرى بعض علماء النفس والتربية أن هذه الظواهر السلبية نتاج حالة  
الاغتراب الناجمة عن فقدان العلاقات الاجتماعية بين الأفراد بعضهم البعض،  
أو توترها، وبينهم وبين المجتمع من ناحية أخرى، إضافة إلى وجود عقائد  
تحمل طابعاً عدوانياً عنيفاً في التعامل والسلوك.

وتأسيساً على هذا فإن الفشل في إقامة العلاقة بين الذات والآخر على  
أسس القبول بالتعددية، والاعتراف بحق الاختلاف، ونسبية الحقيقة، من أبرز  
العوامل المكروسة لظهور التكفير المسوق لموجبات العدوان على الآخرين.

ذلك العدوان الذي يعتبر أي اختلاف أيديولوجي، أو سياسي، أو ثقافي،  
مدعاة لانتهاك حقوق الآخرين، ومبرراً للاعتداء على حرياتهم، ومصادرة  
أفكارهم، أو حياتهم في بعض الأحيان.

من هنا كان لابد من معالجة هذه الانحرافات في دوائر التنشئة الاجتماعية  
ومن أبرزها المؤسسات التعليمية.

(١) بتصريف عن: عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، دار غريب للطباعة  
والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٣م، ج١.

(٢) معتز عبد الله، صالح أبو عباة، أبعاد السلوك العدواني دراسة عاملية مقارنة، مجلة دراسات نفسية،  
المجلد الخامس، العدد الثالث، ١٩٩٥م، ص ٥٢١ وما بعدها.

## المبحث الثاني

### معالجة ظاهرة التكفير من خلال إعادة تحديد

### أهداف العملية التعليمية

تحتاج المؤسسات التعليمية إلى إعادة النظر في أهدافها في المرحلة الراهنة، وبما يتوافق مع متطلبات المجتمع من حمايته ضد هذا الفكر. ولن يتم ذلك إلا من خلال تبني أهداف تعليمية مساندة ومعززة لمحاربة الفكر التكفيري. كما تحتاج إلى إعادة النظر في كل العملية التربوية ابتداء من فلسفة التربية، ومرورا بأهدافها، ومناهجها، وطرائقها، ومؤسساتها، وإداراتها، وطاقاتها الأكاديمية، وسياساتها في التفعيل والمراجعة. ولعل الخطوة الأساس التي ينبغي التحرك منها تكمن في مراجعة الأهداف التعليمية، والتربوية، وتفعيلها وقياس نتائجها.

**ويقصد بالأهداف التربوية:** التغييرات التي يراد حصولها في سلوك الإنسان الفرد، وفي ممارسات المجتمع الإنساني، واتجاهاته، وهي الثمرات النهائية للعملية التربوية<sup>(١)</sup>. فهي توجه الأهداف التعليمية وتمنحها الشرعية اللازمة، بينما تعمل الأهداف التعليمية على تجسيد الغايات التي تتضمنها الأهداف التربوية في ممارسات عملية.

**والأهداف التعليمية هي:** مقاصد ترتبط بالنظام التعليمي، تصاغ في ضوء الأهداف التربوية العامة، وتشتق منها بصورة غير مباشرة، وتكون أقل

(١) عالم الدين عبد الرحمن الخطيب، الأهداف التربوية تصنيفها وتحديد السلوكي، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٤٠٨هـ. نورمان جرونلند، الأهداف التعليمية تحديد السلوكي وتطبيقاته، ترجمة أحمد خيرى كاظم، بدون تاريخ، دار النهضة العربية، القاهرة.

عمومية وتجريداً منها، ويمكن ملاحظتها على المدى القريب. وهي أهداف إجرائية تختص بالنواتج التعليمية؛ نتيجة للخبرات التي يمر بها المتعلم وتقوم على تحقيقها المؤسسات التعليمية، من خلال العمل المتواصل للأستاذ والإدارة بكل طاقاتها والمتعلمين كذلك.

وقد اتفق خبراء المناهج، وطرق التدريس، والقياس، والتقويم، على تصنيف الأهداف التعليمية في اجتماع لهم عام ١٩٥٦ في جامعة شيكاغو إلى ثلاثة مجالات هي المعرفي Cognitive، والانفعالي Affective،<sup>(١)</sup> والنفسحركي Psychomotor.

والناظر في واقع المؤسسات التعليمية اليوم في ظل التحديات الراهنة، يلحظ مدى الحاجة إلى إجراء مراجعات شاملة وجريئة للأهداف التربوية والتعليمية، تحت اهتمام وإشراف مباشر من وزارات التربية والتعليم. على أن تتضمن تلك الأهداف معالجة للمشكلات الصاعدة اليوم، ومنها الظواهر السلبية الفكرية المتجسدة في التطرف، والعنف، والعدوان، والتكفير وما شابه.

ولا يمكن التوصل إلى هذه المعالجات إلا من خلال رسم إطار مشترك لأهداف التربية اليوم، ومن ثم البحث في آليات توظيف العملية التعليمية؛ لتحقيق هذه الأهداف للخروج من أزمة العشوائية.

**وتقترح الدراسة النقاط التالية كأهداف تنطلق منها الوزارات في المنطقة لحل**

**إشكالية رسم الأهداف التربوية:**

**أولاً: الإعداد المتوازن للإنسان:**

وعلى هذا ينبغي أن تعتنى المؤسسات التعليمية بتأديب النفس، وتصفية الروح، وتقوية العقل، وتقوية الجسم للمنتميين لها، دون إغلاء شأن أي منها

(١) محمد السيد محمد مرزوق، دليل المعلم إلى صياغة الأهداف التعليمية السلوكية والمهارات التدريسية، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ.

على حساب الآخر.

فالمؤسسات التعليمية ينبغي أن تعد الفرد إعداداً روحياً، ونفسياً، وفكرياً، وجسدياً، ومهنياً بحيث يكون مؤهلاً لأداء رسالته في الحياة والمجتمع، والبناء الحضاري، وفق ثوابته وتقاليده مجتمعه. وهذا يتطلب الاعتناء بالمنهج، والمعلم، والطالب، والمرشد؛ لتحقيق هذا الهدف.

ويؤدي غياب هذا الهدف إلى بروز النظرة الأحادية القائمة على أساس الفصل بين الديني والدنيوي في العملية التعليمية، وبين المثالي والواقعي... لتوقع الطالب في ثنائيات مصطنعة ناجمة عن عدم التوافق والانسجام بين مفردات المناهج وتناسق تحقيق أهدافها. الأمر الذي يسهل وقوعه فريسة لتيارات فكرية تتصادم مع قيم الوسطية والاعتدال والتوازن الواضحة في الدين.

كما يؤدي ضهور الاهتمام بمتابعة هذا الهدف وتقصي فاعليته من قاعدة الأهداف التعليمية، إلى وقوع فصام بين التعليم والتربية، فتتخلى المؤسسات التعليمية عن دورها التربوي شيئاً فشيئاً، تاركة المجال لمدخلات تحل محلها؛ كالأقران والإعلام وما شابه.

فالغاية الأساس من إقامة المؤسسات التعليمية لا ينبغي أن تنحصر في تخريج موظفين أو مهنين فحسب، بل في تخريج الإنسان الصالح الذي يقوم عليه المجتمع، الأمر الذي يستدعي إحداث نقلة نوعية في تغيير سلوك الأفراد والناشئة، وإعدادهم إعداداً تربوياً متوازناً، يكون بمثابة دروع واقية لهم ضد التيارات المنحرفة، ويسهم في إحداث توازن مطلوب بين ما تقدمه هذه المؤسسات من معارف وبين ما تتميه في نفوس المتعلمين علمياً وروحياً واجتماعياً. ومن ثمّ رُفد المجتمع بأفراد يقومون بمختلف المهن والإدارات والحرف التي يحتاجها المجتمع وفق قدراتهم واستعداداتهم. فالمؤسسات



التعليمية التي تتلقى المادة الخام من جموع المتعلمين ينبغي أن توجه عنايتها لتربيتهم، باستنفار كافة طاقاتها لإعداد الخطط التربوية والتعليمية والمناهج القادرة على تحقيق تلك الأهداف.

وتظهر أهمية هذا الإعداد في حماية الأفراد والمجتمع من براثن الوقوع في التكفير والعنف وما شابه، إذ يستهدف توثيق العلاقات بين الأفراد والجماعات في البيئة التعليمية كأنموذج مصغر للمجتمع، يتعلم ويمارس فيه المتعلم معنى التعايش والتفاهم، ويتدرب فيه على معاني التراحم والتعاون؛ وإن اختلف مع غيره، في أجواء تقوم بتهيئته لخوض الحياة المجتمعية، خارج نطاق المؤسسات التعليمية من مدارس ومعاهد وجامعات.

**ثانياً: الإيمان بوحدة البشرية والعمل على تحقيقها وإرساء قواعد التعايش السلمي بين البشر، وهو هدف بعيد عن المثاليات، بل هو هدف واقعي تقتضيه الظروف التاريخية، واللحظة الأممية السائدة بكل تجلياتها الفكرية، والسياسية، والاجتماعية، والاقتصادية.**

فالتقدم المعرفي والاتصالي الهائل اليوم أحال الواقع الإنساني إلى واقع القرية الكونية في مختلف أرجاء العالم. الأمر الذي أدى إلى وقوع التعايش الجسدي كحقيقة واقعية غير واقعة تحت طائلة الاختيار، فمعظم المجتمعات الإنسانية اليوم تضم عشرات الأجناس من البشر بكل ما يحملونه من عقائد، وأفكار، وخلفيات، وموروثات متناقضة. الأمر الذي يفرض التعايش كواقع تقتضيه اللحظة.

**وقد أشار إلى هذه الظاهرة عدد من علماء التربية في العالم، يقول البروفيسور جيمس بيكر في كتابه التربية لمجتمع كوني:**

" لقد توحد العالم إلى درجة كبيرة من الناحية الجغرافية، والتكنولوجي، والاقتصادية، ومع ذلك فليس لدى الإنسان خطط، ولا تصور،

ولا مؤسسة، للحفاظ على هذه الوحدة الأساسية ودعمها، فما زالت عادات الإنسان وأفكاره وممارساته تصطدم مع المقومات الأساسية لوجوده، وما زالت غرائزه وولاءاته ذات صبغة قبلية بالرغم من التطور الذي مر به خلال مئات الآلاف من السنين<sup>(١)</sup>.

وثمة مشاكل وصراعات باتت تهدد أمن العالم كله، لا يستطيع إنكارها أو التغاضي عنها أحد كالحروب وآثارها، التفسخ الأسري، الفقر، الجهل، التدهور الأخلاقي، فقدان الأمن والاستقرار... كل هذه الأزمات وغيرها مما يضيق المقام بذكره، يمكن أن تشكل نقاط التقاء وقواسم اهتمامات مشتركة بين جميع أطراف الحوار. إضافة إلى أن التوصل إلى حلول جذرية لمعالجتها، أمر يهم جميع الأطراف بلا استثناء. فالعالم يتوق إلى السلام والأمن والاستقرار في ظل أوضاعه المتردية حالياً.

والإسلام بعالمية تعاليمه، يحقق ذلك ويسعى إليها فهو يرى العالم أقرب ما يكون إلى منتدى عالمي لحضارات متميزة تشترك أممها في عضوية هذا المنتدى، ومن ثم فلا بد أن يكون بينها مشترك حضاري عام، كما لا بد أن تكون لكل منها مميزات حضارية تحفظ لها هويتها<sup>(٢)</sup>. والمؤسسات التعليمية قادرة على تعزيز ذلك؛ من خلال إقامة ندوات، ومهرجانات ثقافية، واحتضان معارض علمية عالمية لتحقيق هذا الغرض بشكل تطبيقي، يعيشه المتعلمون فيتدربون على التحاور مع الآخر والتعاون؛ لحل الإشكاليات المثارة في أجواء علمية هادفة، تصقل فيها مواهبهم وقدراتهم.

(١) James Backer, Education for a global society, Indiana: The Phil Delta Kappa, 1973, p.7

(٢) محمد عمارة، الغزو الفكري وهم أم حقيقة، طبعة الأزهر، ١٩٨٨م، ص ٨. وانظر كذلك: أحمد عبد الرحيم السايح، في الغزو الفكري، كتاب الأمة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، رجب ١٤١٤هـ، ص ١٢٢.

### ثالثاً: التعاون والعمل المشترك مع مؤسسات المجتمع:

تعد المؤسسات التعليمية من أبرز الروافد الفكرية التي تتكفل بتعليم وتدريب وتأهيل الكوادر البشرية المطلوبة؛ لتطوير المجتمع، وتمميته اقتصادياً، وثقافياً، واجتماعياً.

من هنا يعتبر دور الجامعات في خدمة المجتمع، أحد الموضوعات المهمة والحيوية التي تكتسب أهمية مجتمعية ضخمة، فضلاً عن أنه أحد المرتكزات الأساسية للتعليم وخاصة الجامعي.

وقد عرّف بعض الباحثين خدمة المجتمع بأنها: تحديد الاحتياجات المجتمعية للأفراد والجماعات والمؤسسات، وتصميم الأنشطة والبرامج التي تلبي هذه الاحتياجات عن طريق الجامعة وكلياتها، ومراكزها البحثية المختلفة، بغية إحداث تغيرات تنموية وسلوكية مرغوب فيها<sup>(١)</sup>.

فهي العملية التي يتم من خلالها تمكين أفراد المجتمع، وجماعته، ومؤسساته، وهيئاته، من تحقيق أقصى استفادة ممكنة من الخدمات المختلفة التي تقدمها الجامعة، بوسائل وأساليب متنوعة تتناسب مع ظروف المستفيد وحاجاته الفعلية<sup>(٢)</sup>.

الأمر الذي يتطلب من المؤسسات التعليمية - وبخاصة الجامعات - أن تضع جميع إمكاناتها المادية والبشرية في خدمة المجتمع المحلي والإنساني. وهو أمر يتطلب التعرف على الاحتياجات العامة للمجتمع، ودراسة الإشكاليات

(١) إيهاب السيد أحمد "دور بعض المراكز والوحدات ذات الطابع الخاص بجامعة الأزهر في خدمة المجتمع ماجستير \_ كلية التربية/جامعة الأزهر ٢٠٠٢ ص ١٢.

(٢) Shannon, T.J & Shoenfeld, C. A university Extension the center of Applied Research in E.J. Shearon, R.W. and white, E.E. (1980). Bonne - Education, New yourk 1965 p3 Through adult Education, Son Francisco: Jossey Serving personal and community Needs Boss

المختلفة التي تواجه أبناءه. ومن ثمّ ترجمتها إلى نشاط وبرنامج تعليمي مستمر، يقوم بتبصير الرأي العام بما يجري في مجال التعليم فكرا أو ممارسة. ويحدد تقرير جاك ديلور أربعة أعمدة للتعليم الحديث من خلال تقرير لجنة اليونسكو ١٩٩٨م حول مستقبل التعليم في العالم، من أبرزها: التعليم لكي نعيش معا نتيجة فهمنا للآخرين وتقديرنا للاعتماد المتبادل بالقيام بمشروعات إدارة الصراعات في روح من الاحترام للتعددية في القيم والفهم المتبادل والسلام. من هنا يقع على عاتق المؤسسات التعليمية عبئا كبيرا في تحديد مواقفها من مشاكل التكفير، وماشابه وأن تمارس نوعا من المسؤولية الفكرية التي يحتاجها المجتمع.

من هنا فإن المؤسسات التعليمية اليوم مطالبة بمراجعة واقعها وأوضاعها، بما يعزز هذه الأهداف التي لم تعد في إطار الكماليات أو الثانويات. وعليها أيضا أن تستثمر مواقعها وقدراتها؛ من أجل التفاعل بشكل إيجابي مع تطلعات المجتمع والدخول مع مؤسساته الأخرى في عقود شراكة مجتمعية فيما يواجهه من تحديات وما يقف في طريقه من مشكلات ومعوقات.

## المبحث الثالث

### دور المناهج والمقررات الدراسية في معالجة ظاهرة التكفير

تتطلب التحديات الراهنة تزويد الطلاب من خلال كافة الوسائل التعليمية، بما فيها المناهج الدراسية، بالمهارات التي تمكنهم من القدرة على اختبار صلاحية كافة الرسائل المعلوماتية، والإعلامية، الواردة بما يساعدهم على اتخاذ قرارات مستنيرة وواعية حيالها.

الأمر الذي يتطلب الخروج بالمناهج الدراسية عن الأنماط السائدة في طريقة ومنهج عرض الأفكار، والمفاهيم، والمعلومات، وتوظيف مختلف التقنيات المتقدمة في إعداد المناهج الدراسية، وتدريبها بأسلوب يمكن الطالب من الوصول إلى التحليل الموضوعي، والتفكير العلمي الناقد لكل ما يسمع ويقراً ويتلقى<sup>(١)</sup>.

من هنا ترى الباحثة أن الأمر لا يتعلق بالمحتوى المعرفي للمناهج والمقررات بقدر ما يتعلق بكيفية العرض ومنهج التقديم. والمتأمل في واقع المناهج الدراسية- في عالمنا العربي على وجه العموم- يلحظ تركيزاً كبيراً على الاستخدام المحدود لبعض القدرات العقلية كالحفظ، والاستظهار، والتذكر.. دون وجود اهتمام واضح بمهارات التفكير العليا القائمة على الاعتناء بتفسير وتحليل المعلومات، ومعالجتها للإجابة على سؤال أو حل مشكلة لا يمكن حلها من خلال الحفظ والاستظهار وما شابه.

(١) رالف تايلر، أساسيات المناهج، ترجمة: أحمد خيري كاظم وجابر عبد الحميد، دار النهضة العربية، مصر، ١٩٩٧م. خليفة علي السويدي و خليل يوسف الخليلي، المنهاج مفهومه وتصميمه وتنفيذه وصيانته، دار القلم للنشر والتوزيع، دبي، ١٩٩٧م.

ويعد التفكير الناقد من أكثر أشكال التفكير تعقيداً نظراً؛ لارتباطه بسلوكيات عديدة كالمنطق، وحل المشكلات، وارتباطه الوثيق بالتفكير المجرد، والتفكير التأملي من حيث تشابه العديد من الخصائص.

كما أن علماء النفس والتربية يظهران اهتماماً واضحاً في مثل هذا النوع من التفكير؛ نظراً لما له من انعكاسات في عملية التعلم والقدرة على حل المشكلات؛ حيث بدأ هذا الاهتمام بهذا النوع من التفكير في السنوات الأخيرة واضحاً في مجالات التعليم المختلفة من مرحلة ما قبل المدرسة حتى مرحلة التعليم الجامعي<sup>(١)</sup>.

والتفكير النقدي من أبرز أنواع التفكير التي تسهم في بناء شخصية الطالب الواعية القادرة على الحكم، والاختيار السليم المبني على مقدمات صحيحة. فهو يعنى بتنمية القدرة على تقدير الحقيقة، ومن ثم الوصول إلى القرارات في ضوء تقييم المعلومات، وفحص الآراء المتاحة، الأخذ بعين الاعتبار وجهات النظر المختلفة<sup>(٢)</sup>.

إذ يسهم هذا النوع من التدريب على النقد البناء في تنمية شخصية المتعلم على نحو يمكنه من التصرف باستقلالية وحكم أرشد. إذ أن عدم تربية الأولاد وتنشئتهم على الاستقلالية يسوق، إلى تفعيل روح التبعية، وهذا وإن بدا للناظر أنها تضبط روح التمرد لدى المتلقي، إلا أنها لا تحقق الإشباع النفسي إلى الاستقلال عن غيره، التي هي جزء من النمو النفسي السوي لنفس المراهق، والتي إن لم يتم إشباعها فسيجتهد المراهق بذاته في البحث عن

(١) العنوم، عدنان؛ الجراح، عبد الناصر؛ بشارة، موفق. (٢٠٠٦) تنمية مهارات التفكير نماذج نظرية وتطبيقات عملية. الأردن، دار المسيرة

(٢) انظر: ادوارد دي بونو، تعليم التفكير، ترجمة: عادل عبدالكيم ياسين وآخرون، دار الشروق، ٢٠٠١م. سعادة، جودت (٢٠٠٣). تدريس مهارات التفكير. الأردن: دار الشروق للنشر والتوزيع، ص

وسائل الإشباع؛ منطلقاً من تصوره الشخصي للصواب والخطأ، أو مما يرده من مصادر أخرى قد تكون غير آمنة.

ومن المعلوم أن من تمّ تربيته على الاتباع دون الإدراك الواعي فإنه أيضاً عرضة لاستباق الغير إليه، وتربيته على اتباعه خصوصاً إذا وفر له ما يحتاجه من احترام أو شهوات على عكس التربية على المسؤولية التي تنتج لنا أفراداً قادرين على الإدراك، واتباع الصواب، وتجنب الخطأ، مما يراه نابغاً من ذاته من فكر آمن.

إضافة إلى أن ما ينطوي عليه التفكير الناقد من مهارات يمكن تعلمها، والتدريب عليها، وإجادتها. ومن أبرزها: الاهتمام بوجهات النظر الأخرى. إذ يتم تدريب المتعلم في هذه المرحلة على النظر إلى أي ظاهرة أو قضية من زوايا مختلفة، يتم من خلالها النظر في آراء الآخرين والاستماع إليها؛ من أجل الوصول في نهاية الأمر إلى القرار الأكثر دقة وصواباً<sup>(١)</sup>.

في الوقت الذي يختلف فيه ذلك عن تقديم المعلومات كمسلّمات غير قابلة للنقاش والحوار أو حتى مجرد عرض اتجاهات أخرى تختلف عنها. وقد ضرب النبي - عليه الصلاة والسلام - أنموذجاً في تنمية هذا النوع من التفكير التربوية التي تبني شخصية المتعلم، وتتمّي روح الاستقلالية والثقة في نفسه. كما ضرب أمثلة في معالجة الأخطاء الصادرة عن النشء بأسلوب هادئ يتسم بالإيجابية.

عن أَنَسٍ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ فَقُلْتُ وَاللَّهِ لَا أَذْهَبُ وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمَرَ عَلَى صَبِيَّانٍ وَهُمَّ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

(١) سعادة، مرجع سابق، ص ٤٠.

قَابِضٌ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ فَقَالَ يَا أُنَيْسُ أَذْهَبَ حَيْثُ  
 أَمَرْتُكَ قُلْتُ نَعَمْ أَنَا أَذْهَبُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَسْأَلُكَ وَاللَّهِ لَقَدْ خَدَمْتُهُ سَبْعَ سِنِينَ  
 أَوْ تِسْعَ سِنِينَ مَا عَلِمْتُ قَالٍ لَشَيْءٍ صَنَعْتُ لِمَ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا، وَلَا لَشَيْءٍ  
 تَرَكْتُ هَلَا فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا<sup>(١)</sup>.

والمتمأمل في هذا الحديث، يلحظ الأسلوب التربوي الفذ الذي خاطب به  
 النبي - ﷺ - الصبي في محاولة لإيصاله إلى اكتشاف الأخطاء بنفسه وتوجيه  
 النقد الذاتي من النفس. فهذا هو المدخل الأساسي الصحيح لكل جهد هادف  
 لتنمية بشرية حقيقية.

فهذه التنشئة هي الخطوة الأولى في تربية الفرد على تقبل الرأي الآخر  
 واحترامه، وتخليص النفس من تصور امتلاك الحقيقة المطلقة المكروسة  
 للفكر للتكبر الفكري الذي بات يحول دون تقبل إمكانية وجود آخر،  
 المسوق إلى التكفير.

من هنا كان اهتمام العلماء التربويين في تاريخ الفكر الإسلامي بتنمية  
 العقل والتفكير السليم أكثر من مجرد الاهتمام بتحصيل الكمّ المعرفي.  
 يقول الحسن البصري - رحمه الله -: "من لم يكن له عقل يسوسه لم ينتفع  
 بكثرة روايات الرجال"<sup>(٢)</sup>.

فتنمية التفكير السليم والقدرات العقلية النقدية لدى الناشئة في مختلف  
 المؤسسات التعليمية، يعد من أهم الحصانات التي تقيهم من الوقوع في بواطن  
 الأفكار الفاسدة، أو التسليم لها دون مراجعة وتمحيص.

وقد أصبحت الاتجاهات التربوية والمناهج الحديثة في كثير من الدول  
 تعطي اهتماماً أكبر للتفكير الناقد، وتضعه كهدف من الأهداف التي يجب

(١) رواه أبو داود، باب الأدب، رقم ٤١٤٣.

(٢) الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا، العقل وفضله، مكتبة السباعي، الرياض، ص ٥٠-٥١.



أن تنتهي إليه عملية التعليم والتعلم.

فقد طورت برامج تربوية؛ تهدف إلى تدريب الطلبة على التفكير الناقد بشكل خاص من خلال تدريس المواد الدراسية المنهجية. كما اقترحت أساليب وإجراءات يمكن للمعلم أن يتبعها في تدريس التفكير الناقد. إذ أن قدرات التفكير الناقد لا يمكن لأن تتم دون مساعدة خلال مسيرة المادة الدراسية، كما أنها لن تنشأ من مجرد استماع الطلاب إلى معلمهم، أو قراءاتهم للنصوص، أو أخذ الامتحانات، وعلى المعلمين أن يعرفوا تماماً ماذا يعني التفكير الناقد في إطار تخصصاتهم المعرفية المختلفة، كما أن عليهم إتاحة الفرصة لطلابهم لممارسة مهارات واتجاهات التفكير الناقد<sup>(١)</sup>.

وقد بدأت حركة التفكير الناقد في العصر الحديث مع أعمال جون ديوي عندما استخدم فكرة التفكير المنعكس والاستقصاء. وفي الثمانينات من القرن العشرين بدأ فلاسفة الجامعات بالشعور أن الفلسفة يجب أن تعمل شيئاً للمساهمة في حركة إصلاح المدارس والتربية. ومن ثم بدأ علماء النفس المعرفيون والتربويون في بناء وجهات النظر الفلسفية المتعلقة بالتفكير الناقد ووضعها في أطر معرفية وتربوية؛ لاستغلال القدرات العقلية والإنسانية<sup>(٢)</sup>.

وتشير الدراسات إلى وجود علاقة بين القدرة على اكتساب مهارات التعليم الناقد وبعض سمات الشخصية؛ كالانفتاح العقلي، والمرونة، والاستقلالية في اتخاذ القرار، وتقدير الذات المرتفع، والثقة في النفس ولكي يكون الفرد ناقداً فإن ذلك يتطلب منه نبذ الأحكام المسبقة. ولكي تتم عملية تنمية

(١) عبيد، وليم؛ عفانة غزوة. التفكير والمنهاج الدراسي. بيروت، لبنان، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع. ٢٠٠٣م. أحمد إبراهيم قنديل: التدريس بالتكنولوجيا الحديثة، عالم الكتب للنشر، القاهرة، ٢٠٠٦م.

(٢) Bloom, B.S., (Ed.). 1956. Taxonomy of educational objectives: The classification of educational goals: Handbook I, cognitive domain. New York: Longman.

التفكير النقدي، ينبغي استبعاد التلقين، باعتباره معوقاً رئيساً ومثبطاً لكل انفعال نفسي و عقلي، و باعتباره الرقيب الأول للامثال والخضوع. كما يستلزم ذلك تنمية سلسلة من القدرات كالقدرة على فحص المعلومات والتحقق منها، ومهارة في التمييز بين الفرضيات والتعميمات، وبين الحقائق والادعاءات.

من هنا فإن تنمية التفكير الناقد، يتطلب تنمية مهارات النقد العلمي، وعدم الانقياد للآراء الشائعة التي يتناقلها الناس، والبعد عن النظر إلى الأمور من وجهة النظر الخاصة، والتعصب لها، والبعد عن أخذ وجهات النظر المتطرفة<sup>(١)</sup>.

فالتعليم الجيد ليس مجرد إكساب الطالب قدراً كبيراً، أو قليلاً من المعلومات، أو الحقائق، وإنما هو علاوة على ذلك امتلاكه قدراً من طرق التفكير والمهارات والاتجاهات والقيم بما يمكنه من تعديل سلوكه وتعليم ذاته بل والمشاركة في تعديل سلوك الآخرين. ولتحقيق ذلك لابد للمعلم من الإحاطة بماهية الأهداف، ومستوياتها، ومجالاتها، وصياغتها صياغة سلوكية.

وباختصار يمكن القول بأن تنمية مهارات التعليم الناقد باتت مهمة وضرورية في عالمنا هذا السريع التغير؛ لأنها تساعد على المشاركة الفعالة في المجتمع، وتكسب المتعلمين التجارب المختلفة التي تعدهم للتكيف مع مقتضيات الحياة الآنية، وتهيؤهم للنجاح في المستقبل، وإذا كان التعليم يهدف إلى إعداد مواطنين لديهم القدرة على اتخاذ القرارات، وإيجاد الحلول، والإسهام في حلّ الأزمات، فإن هذا يستدعي من التربويين الاهتمام بتنمية هذا

(١) وجيه، إبراهيم محمود، التعلم، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٦م، مصر.

## النوع من التفكير.

وأن المتأمل لحال كثير من المؤسسات التعليمية اليوم يجد أنها لا تزال قاصرة عن تزويد المتعلم بمهارات تثير ذهنه وتحفز فكره.

الأمر الذي يتطلب ضرورة تغيير ثقافة التلقين في أسلوب التعامل والتعليم المدرسي إلى أسلوب يحقق فيه الطالب ذاته. يقوم على حرية الرأي، والحوار، والمناقشة، والنقد الإيجابي البناء بين الطلبة والمعلمين والتربويين؛ ليصبح الجو المدرسي مناخا إيجابيا فعالا له دوره في إكساب التلاميذ ثقافة الحوار، والانفتاحية، والتقبل والاعتراف بالرأي الآخر، واتساع الأفق. ففي مثل تلك الأجواء تتم العلاقات الإنسانية، والاحترام المتبادل، والاتجاهات الفكرية السليمة؛ حتى تتوغل في نفوس الأفراد<sup>(١)</sup>.

فثمة حاجة ملحة وضرورة آنية إلى تغيير ثقافة التلقي والتلقين في المناخ المدرسي، والانتقال إلى تبني ثقافة الحوار والنقاش في مختلف القضايا في جو يسوده الاحترام، والتقبل، والنقد الإيجابي البناء.

فالأسلوب الواحد المفروض في التفكير، والتلقي، والاستظهار، والتعبير، والامتحان الذي يُمارس في المؤسسات التعليمية منذ مرحلة الابتدائي إلى المستوى الجامعي، لا يمكن أن يسوق إلى فكرة وجود رأي آخر، ناهيك عن إمكانية التفكير في تقبلها أو مناقشتها.

فالمؤسسات التعليمية، ومناهجها، وأدواتها، ومناخها، ينبغي أن تتعاون لتنمية حرية التفكير، وحرية الاختيار، وإبداء الرأي ورعاية القدرات العقلية عند النشء، وتوفير فرص النمو الفكري له؛ للتخلص من مقومات انتشار التفكير التكفييري.

(١) لطيفة إبراهيم خضر، دور التعليم في تعزيز الانتماء، عالم الكتب، مصر، ٢٠٠٠م، ص ٢٣٢.

وعلى هذا ينبغي أن يتطور هدف العملية التعليمية ليشمل تنشيط عقل المتعلم، واستثارة ذهنه، وتحفيز تفكيره البناء الذي يحمي المتعلم من مختلف أنواع الانحرافات الفكرية<sup>(١)</sup>.

والمناهج الدراسية بما تحويه من معارف، ومعلومات، وأمثلة، وتمارين، ونصوص أدبية، تمثل حجرا أساسيا في الكيفية التي ينمو بها عقل المتعلم. ويمكن الاستفادة من ذلك تطبيقيا من خلال طرح الموضوعات المختلفة من خلال وجهات نظر وآراء متعددة لا تعتمد الأحادية في طرحها أو صياغتها. كما يمكن للمقررات الدراسية أن يتسع مداها الإيجابي من خلال أسلوب المعلم أثناء طرحه وتناوله للمسائل المختلفة بأسلوب يدع للمتعلم حرية الفهم والإدراك والوعي، ومن ثم ترشيد عملية التوصل الفكري السليم إلى الصواب، ومناقشة ذلك كله بحرية، واحترام لرأي المتعلم واستقلاله.

وقد قرر الإسلام الاختلاف كحقيقة إنسانية طبيعية، وتعامل معها على هذا الأساس. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾<sup>(٢)</sup>. فالإنسانية واحدة وقد خلقت من نفس واحدة. وهذه الوحدة ليست وحدة في الأصل فحسب بل في الهدف كذلك وهو التعارف.

وتقوم هذه الوحدة على الاختلاف والتنوع، وليس على التماثل و التتطابق. وإظهار الوحدة في التنوع ودعوة الناس إلى التعارف هو غاية هذا الاختلاف. ذلك أن الاختلاف آية من آيات عظمة الله، ومظهر من مظاهر روعة إبداعه في الخلق. يقول القرآن الكريم: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ

(١) الحارثي إبراهيم أحمد مسلم، تعليم التفكير، مكتبة الشقري، الرياض، ٢٠٠٣م. جروان، فتحي عبدالرحمن، تعليم التفكير: مفاهيم وتطبيقات، دار الفكر، عمان، ٢٠٠٦م.

(٢) سورة الحجرات: ١٢.

أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ<sup>(١)</sup>. واختلاف الألسن واللغات المشار إليه في الآية لا يعني اختلاف اللهجات كوسائل للتخاطب والتفاهم والحوار فحسب، بل ينصرف إلى ما تتضمنه تلك اللغات والاختلاف في اللهجات من معاني وأفكار وتصورات<sup>(٢)</sup>.

كما إن اعتبار المقرر المدرسي المصدر الوحيد لمعرفة الطالب يجعله محصوراً في هذا الكتاب ملتزماً بحرفيته، وبالتالي فإنه لا يتعود على قراءة الآخر وتقييم الآراء والأفكار المختلفة. فالطفل الذي يتلقى مثل هذه التربية لا يمكن أن ينشأ نشأة سليمة متناغمة مع غيره من الأجناس، لأنه تلقى تربية معرفية جعلت من الآخرين أغياراً، وبهذا تخلق التربية- ربما بدون قصد- كراهية وجود الاختلاف وقبوله، والتلقين عند الصغر أفعال في النفس وأدوم.

فهو لا يستطيع أن يحاكم الحقيقة، و إنما يقدر على تقبلها، وبخاصة إذا قُدمت له على شكل قصة، أو قطعة أدبية، أو حادثة تاريخية مشوقة. فهذه

الأمور بطريقة عرضها هي التي تشكل الأفكار المتطرفة مستقبلاً، وتجعلها ثوابت سلوكية تتحكم في النشأ، ويصعب عليهم التخلص منها. فهي تتحول إلى مبادئ، وتحشد لنفسها من أسباب القوة؛ كي تقهر الآخر وتنتصر عليه<sup>(٣)</sup>.

وقد وجدت مثل هذه الطروحات في العديد من مشاريع إصلاح التعليم وتطوير مناهجه بالدول العربية، حيث بدأ العمل على إدراج العديد من الطرق والتقنيات مثل: أسلوب الإكتشاف، وأسلوب حل المشكلات في تعليم المفاهيم. وقد أكدت الهيئة الاستشارية لمجلس التعاون بدول الخليج العربية و

(١) سورة الروم: ٢٢.

(٢) حول ذلك انظر: رقية العلواني، فقه الحوار مع المخالف في ضوء السنة النبوية، جائزة الأمير نايف بن عبدالعزيز آل سعود العالمية للسنة النبوية، الدورة الأولى، ٢٠٠٥م، ص ٣٩ وما بعدها.

(٣) يونس عمرو وغانم مزعل، العربي في أدب الأطفال العبري، منشورات مركز البحث العلمي، جامعة الخليل، ١٩٨٨م.

الخاصة بالتعليم بناء على قرار المجلس الأعلى في دورته الـ ٢٢، على ضرورة " تطوير المناهج لتناسب و خصائص المتعلم الذهنية، والنفسية، ومراحل تطوره العمري، واحتياجات المتعلم وظروفه المجتمعية، باعتماد منهجية علمية تقوم على الاستفادة من الأساليب والتقنيات المتبعة في هذا المجال، وتطوير استراتيجيات التعلم والتعليم بحيث تركز على التفكير المستقل، ومهارات النقد الذاتي، وحل المشكلات، والبحث والابتكار، ومهارات التفكير العليا، مع ربط ما يتعلمه الطالب بمشكلات وظروف تطبيقية<sup>(١)</sup>.

ومن الأسس التي ينبغي التنبه إليها في تطوير مناهج التدريس، تجنب أسلوب المصادرة الفكرية. وهو أسلوب يكبت في نفس النشء الرغبات، ويعوّق الإرادات، ويدخله في صراع مع الذات بين معان وآراء داخلية، وواقع خارجي يخشى الانفتاح عليه، والإفصاح إليه عما في داخله. ومما لاشك فيه أن في ظل تلك الأجواء التربوية الخاطئة لا يعرف النشء ما يسمى بالرأي الآخر فأنى له أن يتعلم تقبله ابتداءً!!

إن عملية طرح المشكلات على المتعلمين ودعوتهم إلى التفكير وإيجاد الحلول لها، يعد أحدث اتجاه في التربية المعاصرة. ويتم ذلك عن طريق الحوار بين طرفين؛ هما المعلم والمتعلم، فمنهج الحوار يهيئ المتلقي ليصبح قادراً على التفكير والنقد والتحليل والإبداع. يقول في ذلك باولو فرايري صاحب كتاب تعليم المقهورين: "إن منهج طرح المشكلات يعتبر الحوار أساساً من أجل فهم العالم.. ويساعد منهج التعليم الحوارى على الإبداع، والفهم، والتبصر بحقائق الوجود وبالتالي فإنه يحقق إنسانية الإنسان"<sup>(٢)</sup>.

وقد سلك النبي - ﷺ - أسلوباً فذاً في تبني هذا النهج مع المتعلمين ففي

(١) <http://www.gcc-sg.org/index.php?action=Sec-Show&ID=126>

(٢) باولو فرايري، تعليم المقهورين، ترجمة: يوسف نور عوض، دار العلم، بيروت، ١٩٨٠م، ص ٩.

الحديث الذي رواه أبو أمامة أن فتى من قريش أتى النبي - ﷺ - فقال يا رسول الله إئذن لي في الزنا فأقبل القوم عليه وزجروه فقالوا مه مه ، فقال أدنه فدنا منه قريباً ، فقال: أتحبه لأمك ، قال: لا والله ، جعلني الله فداك. قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم. قال: أفتحبه: لابنتك قال لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك ، قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم ، قال: أفتحبه لأختك ، قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك ، قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم ، قال: أتحبه لعمتك قال لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك ، قال: ولا الناس يحبونه لعلماتهم ، قال: أتحبه لخالتك ، قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك ، قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم قال فوضع يده عليه وقال: اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه ، قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء<sup>(١)</sup>.

ففي هذه الواقعة لم يعالج النبي - عليه الصلاة والسلام - الإشكالية من خلال تقديم موعظة مباشرة أو سلوك سبيل الزجر والنهي ، بل لجأ إلى إيصال الفتى للحلّ بنفسه بأسلوب اتسم بالتدرج ، والحوار الهادف إلى التغيير الإيجابي بالإقناع.

ولعله من نافلة القول الحديث عن دور هذه المهارات في تخليص المتلقين من براثن الوقوع في الفكر التكفيري ، وذلك من خلال تعلم واكتساب مهارات التحليل ، والتقويم ، وغيرهما ، واللذان يقتضيان أن يكون لدى الطالب معايير ثابتة يمكن من خلالها الحكم على ما يستقبله من رسائل بعد تفكيكه إلى مكوناته الأساسية. ومن الطبيعي أن قدرة الطالب على التقويم السليم ترتبط بشكل وثيق على وجود هذه المعايير ، وعلى جودتها ، وثباتها ، ودقتها. كما تعمل الأنشطة المدرسية المعززة للمناهج على تعزيز الثقافة المناهضة

(١) رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح.

والمضادة للفكر التكفيري، من خلال تنمية قدرة الطالب على التفكير العلمي، والعمل الجماعي، والتفاعل الفعلي بين التلاميذ؛ ليتم اكتساب معنى الجماعة، والتواد، والتعايش، وحرية الرأي، واحترام رأي الآخرين، والنقد الإيجابي...

**ويمكن حصر بعض الآثار الإيجابية المترتبة على تفعيل تلك الوسائل مجتمعة**

**فيما يلي:**

- تعويد المتعلمين على الإيجابية
  - إشباع حاجاتهم العلمية.
  - استثارة قدراتهم العقلية وتمييزها.
  - تنمية سلوكيات المتعلمين في التعامل مع الآخرين، واحترام آرائهم وتقديرها، ولا يعني ذلك قبولها.
  - تنمية روح العمل الجماعي.
  - النأي بالمتعلمين عن روح التعصب الأعمى للرأي الذي يعد النواة الأولى لظهور التكفير.
  - تحقيق ذات المتعلم، من خلال ترك المجال له لتصحيح الخطأ، والاستدراك بنفسه فإن عجز عن ذلك، قام المعلم بتعليمه بطريقة المحاوره والنقاش والإقناع.
- فالتكفير بآثاره السلبية الممتدة لا يمكن أن ينمو أو يجد طريقه لعقول الأفراد في أجواء العلم والتفكير النقدي السليم، بل يحدث حين تفشل نظم التربية في تنشئة أجيال قادرة على التمييز والاستيعاب، وتحقيق خطوات التفكير السليم، لتصبح بذلك جزءا من المشكلة بدل أن تصبح جزءا من الحل.



فالمجتمعات اليوم بحاجة إلى قيام مؤسسات تربوية تفرز نماذج جديدة من الأفراد تحسن استخدام قدراتها العقلية وتكون لها من الكفاءة العلمية والتفكير العلمي، ما يؤهلها لاعتلاء منابر الفكر، والعلم، والإعلام، ومخاطبة الإنسانية بقيم الشرع العالمية.

وثمة أمر لا ينبغي إغفاله في المناهج التعليمية يتمثل في أهمية إعادة الاعتبار للتربية الأخلاقية، وضرورة صياغة ثقافة تعليمية ترتكز أولوياتها على القيم الأخلاقية، وليس فقط على المعارف، والمهارات، مثل: الأمانة و التعاون ومساعدة الآخرين، الحرص على الارتباط بالقيم المتصلة بالمجتمع وبالوطن وتاريخه ومقدساته، مثل الانتماء والالتزام والتضحية وتقدير العمل ومعرفة الخصائص المميزة لثقافة المجتمع وترواثه، وترسيخ القيم الكونية، مثل: احترام حقوق الإنسان ورفض فكرة الاحتلال، والتعاون، والحوار، والتسامح، وتقدير أهمية الشرعية الدولية والمبادئ والمواثيق التي صادقت عليها الأمم<sup>(١)</sup>.

(١) راجع: أحمد حسن اللقاني، تطوير مناهج التعليم، عالم الكتب، مصر، ١٩٩٥م.

## المبحث الرابع

### دور الأستاذ في معالجة ظاهرة التكفير

ما من شك في أن تحسين وضع المؤسسات التعليمية لن يتأتى من غير تحسين وضع المعلم، وإعادة تفعيل دوره المحوري في العملية التعليمية والتربوية. وإذا أردنا للمعلم أن يستخدم أساليب تدريس تعتمد على الحوار، وتدريب مهارات التفكير، وماشابه، من مهارات وأدوات ضرورية لمكافحة الظواهر الفكرية السلبية لدى الناشئة، وغرس الإيجابية؛ فلن يتحقق ذلك دون أن يتم أولاً تدريب وتدريب هؤلاء المعلمين الأسلوب الذي نريد للناشئة. فقد يكون دور المعلم أو الأستاذ الجامعي قام في فترات تاريخية معينة على القدرة على التلقين القائم على آليات التكرار والاستظهار. إلا أن مفهوم التربية، وأهداف العملية التعليمية اليوم، تقتضي الإهتمام بإعداد الإنسان. فقد كانت مهنة التدريس سابقا بعد أن كانت تشير إلى أن أمهر المعلمين أغزرهم مادة، فإنها اليوم تشير إلى أن أمهر المعلمين هو أكثرهم معرفة وتفهماً لطبيعة طلابه، ولحاجاتهم، ورغباتهم، واستعداداتهم، وميولهم<sup>(١)</sup>. لقد أدت التحولات المتسارعة التي يشهدها العالم في مختلف المجالات إلى تغيرات في غايات التربية وفي أهدافها، وإلى تحولات في دور المعلم الذي أصبح موجهاً ومنشطاً أكثر من كونه ملقناً للمعرفة. فوفق هذه التحولات تحول دور المعلم إلى مرشد إلى مصادر المعرفة

(١) (Robert Fisher, 2007), creative minds and Teaching thinking and creativity: Developing

«creative futures, Internet

[http://www.teachingthinking.net/thinking/webresources/robert\\_fisherthinkingskills.htm](http://www.teachingthinking.net/thinking/webresources/robert_fisherthinkingskills.htm)

والتعلم، ومنسق لعمليات التعلم، ومصحح لأخطاء التعلم، ومقوم لنتائج التعلم، وموجه إلى ما يناسب قدرات كل متعلم وميوله. وهذا يستلزم معلمًا من طراز جديد، وإعدادًا للمعلم ملائمًا للأهداف المحدثة، وتدريبًا مستمرًا له على الطرائق التربوية المتطورة. وقد تبنت الدول الكبرى فكرة تدريب المعلمين داخل المؤسسات التعليمية؛ بهدف رفع كفاءة المعلم فيما يتعلق بالممارسات التربوية داخل الصف المدرسي، وتطوير أداء المؤسسة ككل في عمليات التعليم والتعلم. فقد بدأ هذا الاتجاه في منتصف السبعينات في الولايات المتحدة كإستراتيجية لتدريب المعلمين أثناء الخدمة، وقد طبق هذا الاتجاه على نطاق واسع منذ منتصف الثمانينات<sup>(١)</sup>.

وعادة ما تعد برامج تدريب المعلمين أثناء الخدمة داخل المدارس في الدول الصناعية الغربية جزءًا لا يتجزأ من حركة إعادة التنظيم المدرسي أو للتطوير المهني للمدارس، ولذلك يرتبط التدريب المهني للمعلمين بالعمليات المدرسية مثل: إدارة الذات، والتطور المهني لأعضاء هيئة التدريس، وتحسين المناهج الدراسية، كما تركز بعض برامج تدريب المعلمين أثناء الخدمة داخل المدارس على تطوير المعلمين كممارسين للمهنة لديهم القدرة على تحسين أدائهم وتفاعلهم داخل الفصل عن طريق اشتراكهم في أبحاث نابغة من مشكلاتهم الواقعية.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا السياق أن الحصول على الدرجات الأكاديمية والرتب العلمية العالية لا يكفي لتلبية احتياجات مهنة التدريس الفعال في الوقت الراهن. الأمر الذي دفع بالعديد من الجامعات العالمية إلى

(١) Faure, E etal (1974) , Learning to be , The World of education today and tomorrow. Parts

Unesco , Paris

التركيز على التطوير الأكاديمي للهيئة التدريسية؛ بهدف تطوير العملية التعليمية واستيعاب التطورات الجديدة المتسارعة في مجالات وأدوار أعضاء هيئة التدريس<sup>(١)</sup>.

فالمعلم والمربي ينبغي أن يكون بمثابة نموذج المثل الأعلى المقدم في المؤسسة التعليمية. فلا ينبغي أن يقتصر دوره على إلقاء المعلومات، وتلقين الأفكار والمفاهيم والمعتقدات، من وجهة نظر واحدة تقوم على الإلزام، دون أن يشرك المتعلم في ذلك كله ولو بشيء من التحليل والمناقشة وإبداء الرأي فيما يتلقاه، وهو أمر يحتاج إلى تدريب وممارسة لأساليب متنوعة<sup>(٢)</sup>.

ولا ينحصر دور المعلم في ذلك فحسب، بل يمتد ليشمل الممارسات التربوية في المؤسسة التعليمية، من خلال تقديم نماذج تطبيقية تسهم في إرساء هذه الدعائم كشرعية حق المتعلمين في التصويت على بعض القضايا المطروحة في الدروس، وتشجيعهم على إقامة ندوات حوار مفتوحة؛ لمناقشة بعض القضايا المتعلقة باهتماماتهم وحياتهم وواقعهم. فلا يبقى الفرد في المؤسسة التعليمية بمنأى عما يدور في مجتمعه وواقعه.

ولابد من التركيز على أهمية سلوك المعلم والمربي مسلك الحوار والإقناع من تلاميذه، فالتعليم لا يتم عن طريق التعسف، وفرض الآراء على المتعلمين.

(١) جراغ، عبدالله، بحث بعنوان: مجالات التنمية المستقبلية لعضو هيئة التدريس في كلية التربية جامعة الكويت، ورقة عمل مقدمة إلى مؤتمر: اعداد المعلم بين العولمة ومتطلبات الخطة أكتوبر/٢٠٠٣م. جامعة الكويت، الكويت، ٢٠٠٧م. الاعتماد المهني للمعلم في ضوء خبرات بعض الدول المتقدمة، الإسكندرية: دار الجامعة الجديدة. وانظر كذلك الموقع الالكتروني لبوابة مكتب التربية العربي لدول الخليج <http://www.abegs.org/Aportal/Article/ShowDetails>

(٢) لمزيد من التفاصيل حول ذلك: انظر: ماجد عرسان الكيلاني، أهداف التربية الإسلامية في تربية الفرد وإخراج الأمة وتنمية الأخوة الإنسانية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، أمريكا، الطبعة الثانية، ١٩٩٧/١٤١٧م، ص ١٨٢.

بل إن أمثل طريقة لإيصال المعلومة هي عن طريق المحاوره، وإشعار المتعلم بالحرية في التعبير عما في نفسه. يقول ابن خلدون في ذلك: " إرهاب الجسد في التعليم مضر بالمتعلم، ولا سيما في أصاغر الولد؛ ولأنه من سوء الملكة، ومن كان مرباه العنف والقهر من المتعلمين، أو المماليك، أو الخدم، سطا به القهر وضيق على النفس في انبساطها، ودعاه إلى الكسل، وحمله على الكذب والخبث وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفا من انبساط الأيدي بالقهر عليه"<sup>(١)</sup>.

إن عملية احتكاك المتعلم بمعلميه وزملائه K ووجوده في مناخ يعطيه حرية التعبير، والحركة، والتجريب..كلها أمور ذات أهمية بالغة في البناء العقلي والنمو السليم للأفراد؛ ليتم البناء سليما وفق منهج علمي بعيد عن الانحرافات الفكرية وتداعياتها<sup>(٢)</sup>.

والمعرفة والمهارة يمكن تدريسها في قاعات الدرس، إلا أن القيم السلوكية لا يتم تعلمها كمقررات دراسية تُلقن داخل الجامعات، إنما تكتسب من خلال الممارسات التي يؤديها الأساتذة والمربون في المؤسسات التعليمية. فلا جودة شاملة أو اعتماد في غياب الجانب الوجداني للتعلم المتمثل في القدوة والسلوك العملي للأفراد والذي يعتبر الرافد الرئيسي لأخلاقيات المهنة ومنظومة القيم.

وتأتي الدراسات النفسية الحديثة؛ لتبين أن قدرا كبيرا من التعلم يتم بطريقة الاقتداء، فيتعلم المرء من خلال مشاهدة سلوك شخص آخر، وما

(١) عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، دار القلم، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨٤م، ص ٢٤٣. وانظر كذلك: سلمان خلف الله، الحوار وبناء شخصية الطفل، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٩٩٨م، ص ١١٠.

(٢) أنظر في ذلك: عبد الرحمن الطريبي، العقل العربي وإعادة التشكيل، كتاب الامة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ١٩٩٢م، ص ٦٣.

يترتب عليه من نتائج، أكثر مما يتعلمه من أقواله.

فالناس في مختلف الثقافات وخاصة الأطفال لا يعملون ما يقوله الراشدون، وإنما يعملون ما يشاهدونه من سلوكهم، وما يتمثل من نماذج واقعية. فالإقتداء يعد من أهم الأساليب التي تتم من خلالها تنشئة الأفراد. وهو الأمر الذي أرسدت دعائمه مواقف النبي - عليه الصلاة والسلام - في المجتمع<sup>(١)</sup>. ويؤكد علماء الاتصال في العصر الحديث أن الاتصال العملي غير اللفظي عامل هام في إيصال الرسالة. فالمستقبل يميل إلى تصديق الرسالة العملية غير اللفظية<sup>(٢)</sup>.

وهذا النوع المتكامل من التكوين هو الذي يؤهل صاحبه لتحمل أعباء المسؤولية التي تحدث عنها على أكمل وجه، ويكسبه الشخصية المتوازنة بين الجانب المادي والجانب الروحي. وهذا التوازن بين متطلبات العقل والنفس والروح والجسد، هي التي تجعل منه المثقف المتشبع بقيم الوسطية والاعتدال، ومجانبة الإسراف والتطرف في الفكر والسلوك، والمجسّد للمبادئ والقيم الإسلامية المتعلقة بالتعايش والتواصل مع الآخرين - التي لخصنا أهمها فيما سبق - والمتمثل لها خير ما يكون المتمثل.

ولم يكن النبي - ﷺ - يعلم إلا من خلال القدوة والسلوك العملي، لما له من أثر إيجابي واضح في نقل القيم والسلوكيات للمتعلمين. ومن ذلك ما أخرجه الحاكم في المستدرک عن علي بن أبي طالب أن يهودياً كان له على رسول الله دنانير فتقاضى النبي - ﷺ - فقال له: ما عندي ما أعطيك، قال: فإني لا أفارقك يا محمد حتى تُعطيني قال: إذا اجلس معك فجلس معه فصلي

(١) شعبان جاب الله، التنشئة الاجتماعية، زين العابدين وآخرون (محرر). علم النفس الاجتماعي أسسه وتطبيقاته، مطابع زمزم، ١٩٩٣م، ص ٦٧-٨٨.

(٢) Lin. Nan. The Study of Human Communication, (New York: 1973), pp. 37-39.

النَّبِيُّ - ﷺ - - الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ وَالغَدَاةَ وَكَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ  
يَتَهَدَّدُونَ الْيَهُودِيَّ وَيَتَوَعَّدُونَهُ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ يَهُودِيٌّ يَحْبِسُكَ قَالَ: مَنْعَنِي  
رَبِّي أَنْ أَظْلِمَ مَعَاهِدًا وَلَا غَيْرَهُ فَلَمَّا تَرَجَّلَ النَّهَارَ أَسْلَمَ الْيَهُودِيَّ، وَقَالَ شَطْرُ  
مَالِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَمَا وَاللَّهِ مَا فَعَلْتُ الَّذِي فَعَلْتَ بِكَ إِلَّا لِأَنْظُرَ إِلَى نَعْتِكَ فِي  
التَّوْرَةِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ وَمُهَاجِرُهُ بِطَيْبَةَ وَمَلِكُهُ بِالشَّامِ، لَيْسَ  
بِفِظٍّ وَلَا غَلِيظٍ وَلَا صَخَابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا مَتَزِينَ بِالْفَحْشَاءِ، وَلَا قَوْلٍ  
لِلْخَنَاءِ"<sup>(١)</sup>.

وتؤكد الدراسة أهمية القيام بإصدار رخصة للتعليم وهو ما دعت إليه  
العديد من المؤتمرات في الآونة الأخيرة<sup>(٢)</sup>. فقد أكد العديد من المؤتمرات  
أهمية تقييم كليات إعداد المعلم بحيث تكون مدخلاتها منتقاة بعناية شديدة  
مع دعم مؤسسات إعداد المعلم ماديا، وأن تبقى مناهجها وبرامجها متحركة  
وقابلة للتغيير. وطالبت التوصيات بإقرار رخصة المعلم (تمهين التعليم أي  
تحويلها من وظيفة إلى مهنة) وتطبيق معايير الاعتماد الأكاديمي العالمي  
لكليات إعداد المعلم.

فالتدريب المهني للمعلم والأستاذ الجامعي بات من الضروريات، وهو  
المفتاح الأساس لاكتساب مهارات مهنية، وتعليمية جديدة، تتوافق والمتطلبات  
الحاضرة.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا السياق، التأكيد على أهمية دور القيادة  
والهيئة الإدارية في هذه المؤسسات الهامة، والنظر إليها كعملية قيادية لا عملية

(١) أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، مرجع سابق، ج٢،  
ص ٦٧٨. رقم ٤٢٤٢.

(٢) <http://www.alabduljaleel.com/word1.htm>. راجع كذلك: عبد الكريم زيادة،

<http://www.mohe.gov.ps/Uploads/admin/20.pdf>

ممارسة سلطوية عشوائية. الأمر الذي يقتضي تمتع الإدارة بالقدرة على تحفيز الآخرين للاندماج في العمل التربوي، وتحقيق أهداف المؤسسة التعليمية. فقيادة التطوير نمط يبني الالتزام ويخلق لدى العاملين في المؤسسة التعليمية، الحماس والدافعية للتغيير، ويزرع لديهم الأمل بالمستقبل، والإيمان بإمكانية مساهمتهم في التخطيط للأمور المتعلقة بنموهم المهني وإدارتها<sup>(١)</sup>.



## المبحث الخامس

### دور الإرشاد المدرسي في معالجة ظاهرة التكفير

الإرشاد المدرسي مصطلح من بين عدة مصطلحات يستخدم كمرادف له الإرشاد في المدرسة الإرشاد النفسي المدرسي، الإرشاد التربوي..وكل هذه المصطلحات تروم فكرة مساعدة التلاميذ في حلّ مشاكلهم المدرسية، بما يحقق لهم التوافق والصحة النفسية.

فعملية الإرشاد تشتمل على كل الجوانب التربوية التي تهتم الطالب، والتي تهتم بالمشكلات التي تتطلب تدخل ذوي الاختصاص؛ لمساعدة الطالب على فهمها سواء كانت مشكلات أكاديمية أو شخصية أو اجتماعية<sup>(١)</sup>.

#### ومن أبرز أهداف الإرشاد:

إحداث توازن بين الفرد ونفسه وبيئته، الذي يتضمن إشباع حاجاته ومقابلة أي مواجهة متطلبات البيئة في كل ميادينها الاجتماعية، المهنية والتربوية<sup>(٢)</sup>. وتعد المؤسسات التعليمية من أهم البيئات التي يعمل فيها الإرشاد النفسي. إذ تحتاج العملية التربوية إلى تحسين قائم على تحقيق جو نفسي صحي له مكونات منها احترام التلميذ كفرد في حد ذاته، وكعضو في جماعة الفصل والمدرسة والمجتمع، وتحقيق الحرية والأمن والارتياح بما يتيح فرصة نمو شخصية من كافة جوانبها ويحقق تسهيل عملية التعليم كمالأمن من مختلف الانحرافات الفكرية والسلوكية.

(١) محمود عبد الحليم منسي وآخرون، الصحة المدرسية والنفسية للطفل، مركز الاسكندرية للكتاب، مصر، ٢٠٠٢م.

(٢) حامد عبد السلام زهران، التوجيه والإرشاد النفسي، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٢م.

إذ قد تكون المؤسسات التعليمية، المصب لجميع الضغوطات الخارجية التي يأتي بها المتعلمون من أسرهم ومجتمعاتهم، فيأتي الطلاب بتلك الضغوطات إلى المدرسة أو الجامعة ليفرغوا الكبت القائم، بسلوكيات عدوانية عنيفة يقابلهم طلاب آخرون يشابهونهم الوضع بسلوكيات مماثلة. وبهذه الطريقة تتطور حدة العنف ويزداد انتشارها.

من هنا ينبغي تهيئة الظروف لعمل مرشد الطلبة ومساعدته على تجاوز العقبات، وحلّ المشكلات التي قد تعترض عمله، وعدم تكليفه بأعمال إدارية جانبية ليست ذات علاقة بعمله؛ حتى يتسنى له متابعة وملاحظة الظواهر السلوكية العامة لدى الطلبة والتعاون مع الإدارة و الهيئة التعليمية في تصحيح الظواهر السلبية. إضافة إلى دوره في مراقبة كل أشكال الصراعات الشخصية بين الطلبة وكافة أشكال العنف أو الميول والأفكار غير السوية.

ولعل من أهم الأدوار التي يمكن أن يقوم بها المرشد النفسي والاجتماعي في المؤسسات التعليمية لمعالجة التكفير، الإسهام في الكشف عن الأفراد ذوي الشخصيات السيكوباتية التي تتسم بالعنف غير الطبيعي، وتعاني من انحراف السلوك، وتسبب المعاناة لمن حولها في الأسرة والمدرسة والمجتمع عامة، وتتسم بعجزها عن تكوين علاقة دائمة من المودة والاحترام مع الآخرين.

وتشير الدراسات النفسية إلى أن الأسرة التي يعيش أفرادها حالة التفكك والانحلال وكثرة النزاعات والتحلل في العلاقات، تعد النواة الأولى لنشأة وترعرع السلوك المضاد للمجتمع (السيكوباتي). ويندرج تحت ذلك ممارسة القسوة الجسدية أو النفسية على الأبناء، وإحساس الطفل بالخوف أو الرعب الزائد من قبل الأبوين أو القائمين على التربية. فتبقى صورة القسوة والعنف مرتسمة في مخيلة الطفل.

من هنا يمكن للمرشد النفسي في المؤسسات التعليمية الكشف عن هذه الأمور ومعالجتها والتنبه لخطورة تركها. ثم إن هذا النمط من الشخصيات سرعان ما يتزايد ظهوره في البيئات التي تفضل في التواصل مع الآخرين، فتبقى محصورة مع الذات، لتقوم في فترة لاحقة بإفرازها من خلال العنف، والتعدي على أفراد المجتمع، والخشونة والتهور في المعاملة<sup>(١)</sup>.

(١) راجع في ذلك كله: ليندا، ل، دافيدوف، مدخل علم النفس، ترجمة: سيد الطواب وآخرون، القاهرة، ١٩٨٣م، ص٦١٦ وما بعدها.

## الخاتمة والتوصيات

استهدفت هذه الدراسة تفكيك ظاهرة التكفير في محاولة لوضع حلول لها من خلال دور المؤسسات التعليمية في معالجتها. وقد كشفت الدراسة عن الدور الفعال الذي يقع على عاتق المؤسسات التعليمية والتربوية اليوم، والذي لا بد أن يؤدي على أكبر درجة من الحيوية والفعالية. فالمؤسسات التعليمية اليوم مدعوة لممارسة أدوار وواجبات جادة تتفق وحجم التحديات التي تواجه المجتمعات في عالمنا المعاصر.

**وتقدم الدراسة التوصيات التالية في إطار الخروج بحلول جذرية شمولية لظاهرة التكفير وغيرها من ظواهر سلبية:**

- ضرورة بلورة رؤية تربوية عملية نظرية واضحة المعالم، وخاضعة للتخطيط المبرمج الذي تقع مسؤولية تنفيذه على عاتق الجهات الرسمية المعنية
- تنشيط الحياة الثقافية في المؤسسات التعليمية من خلال إقامة (محاضرات-ندوات...) في داخلها أو خارجها من خلال إدماج أعضاء المؤسسات في المجتمع.
- ربط المنهاج التعليمي بقضايا المجتمع.
- الاهتمام بالبحث العلمي وتوجيهه؛ لحل ومعالجة القضايا المجتمعية وذلك بطلب من العاملين القيام بأبحاث ووضع نتائج هذه الأبحاث في خدمة المجتمع.
- تنويع برامج خدمة المجتمع (محاضرات، مؤتمرات، ندوات، ورش عمل).
- إحداث تغيير جذري في مفاهيم وأساليب وممارسات التعليم والتحول من الكم إلى الكيف، ونقل بؤرة الارتكاز من التعليم إلى التعلم، ومن المعلم إلى المتعلم، من الحفظ والاستظهار إلى التفكير والابتكار والإبداع.

- توفير برامج الرعاية الطلابية المتكاملة التي تشمل الرعاية الاجتماعية، والنفسية، والإرشادية، والثقافية.
- التطوير المتواصل والمراجعة المستمرة للمناهج وطرق التدريس، التي تضمن تخريج أجيال واعية قادرة على استيعاب هموم المجتمع والإسهام في معالجتها.
- إعادة تأهيل الكوادر التعليمية بما يسهم في تحقيق الأهداف، والأدوار المنوطة بها، واستحداث دبلوم عالٍ - في الجامعات - يلزم أعضاء الهيئة الأكاديمية بتحصيله أثناء الخدمة.
- تحويل المتعلم من متلقٍ إلى مشارك ومناقش ومحاوٍ؛ من خلال خلق بيئة تعليمية يمارس فيها المتعلمون مهارات التحاور والتعايش والتعاون العلمي المشترك، يتم فيها تحويل الجوانب التنظيرية التي تدعو إليها المناهج إلى واقع ملموس يشارك في صناعته المتعلمون.
- إيجاد حراك ثقافي واجتماعي وإعلامي بمكانة المؤسسات التعليمية ودورها في بناء مجتمع المواطنة المسؤولة الراضية لثقافات التعصب، والانغلاق، والتكفير، والتدمير.
- إجراء الجامعات والمؤسسات التعليمية المختلفة البحوث العلمية لصالح المنظمات والهيئات الحكومية، وخاصة الدراسات الميدانية، وإبراز دورها.
- تشجيع أفراد المجتمع على استخدام مرافق ومنشآت الجامعة، وتفعيل حيويتها ودورها المجتمعي الحضاري الممتد، وفتح الجامعات والمؤسسات التعليمية في الفترة المسائية لتفعيل عمليات الحراك الاجتماعي والمعرفي.
- إنشاء مجالس استشارية مشتركة من رجال الجامعة وقيادات المجتمع؛ لتحديد حاجات المجتمع والتعرف على مشكلاته.

- توجيه الأبحاث الجامعية لحل مشكلات المجتمع، والتي تخدم المجتمع وتعمل على تطويره، واحتساب ذلك في مجالات الترقية الأكاديمية، فالبحوث الميدانية التي تخدم المجتمع لا تعامل معاملة البحوث النظرية التاريخية وهكذا..
- إعداد مراكز خدمة المجتمع للقيام ببعض الدورات؛ لتدريب أفراد المجتمع على بعض الحرف والصناعة والمشاريع.
- تقديم المؤسسات التعليمية الاستشارات المتنوعة في المجالات المختلفة لأفراد المجتمع.
- مشاركة الجامعة في المناسبات الاجتماعية المختلفة.
- إشراك أفراد المؤسسات التعليمية من طلبة، وأعضاء هيئة التدريس، في المجال التطوعي العام لخدمة المجتمع.
- تهيئة الظروف لعمل مرشد الطلبة، ومساعدته على تجاوز العقبات وحل المشكلات.

## المراجع

- الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، ١٩٩٠م، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية.
- حسني، علي، ١٩٨٩م، إعداد المعلم في دولة الإمارات العربية المتحدة في ضوء الاتجاهات العالمية المعاصرة، جامعة الإمارات العربية المتحدة، العدد الرابع، السنة الرابعة.
- الخريجي، عبد الله، ١٤١٠هـ، علم الاجتماع الديني، سلسلة دراسات في المجتمع العربي السعودي، الكتاب التاسع، جدة: رامتان.
- الخشن، حسين، ٢٠٠٦م، الإسلام والعنف قراءة في ظاهرة التكفير، المركز الثقافي العربي، بيروت: المركز الثقافي العربي.
- الخطيب، أحمد، ١٩٧٨م، بعض الكفايات التعليمية الأساسية اللازمة للمعلم العربي وانعكاساتها على المواد التعليمية المطبوعة لأغراض إعداد المعلمين وتربيتهم، بيروت: المؤتمر الثالث لمديري مشروعات تدريب المعلمين في البلاد العربية.
- ابن خلدون، عبد الرحمن، ١٩٨٤م، الطبعة الخامسة، المقدمة، بيروت: دار القلم.
- خلف الله، سلمان، ١٩٩٨م، الحوار وبناء شخصية الطفل، الرياض: مكتبة العبيكان.
- خليفة، عبد اللطيف محمد، ٢٠٠٣م، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.
- الخميسي، السيد سلامة، ديسمبر، ١٩٩٣م، الإعداد الثقافي للمعلم ومشكلة الهوية الثقافية في أقطار الخليج العربية، التربية المعاصرة، العدد الرابع والعشرون.
- الخوري، أنطوان. أعلام التربية.. حياتهم آثارهم. دار الكتاب اللبناني. بيروت.

- ١٩٦٤م.
- دافيدوف، ليندا، ل، ١٩٨٣م، مدخل علم النفس، ترجمة سيد الطواب وآخرون، القاهرة.
  - زايد، نبيل، ١٩٩٠م، النمو الشخصي والمهني للمعلم، القاهرة: دار المعارف.
  - زهران، حامد، ٢٠٠٢م، التوجيه والإرشاد النفسي، القاهرة: ٢٠٠٢م.
  - السويدي، خليفة والخليبي، يوسف، ١٩٩٧م، المنهاج مفهومه وتصميمه وتنفيذه وصيانتها، دبي: دار القلم.
  - السيد علي، محمد. تطوير المناهج الدراسية من منظور هندسة المنهج. دار الفكر العربي. القاهرة. ٢٠٠٠م.
  - شوق، محمود، ومحمود مالك سعيد، ١٩٩٥م، تربية المعلم للقرن الحادي والعشرين، الرياض: مكتبة العبيكان.
  - عبد الستار، ليلي، ١٩٩٢م، تنمية التفكير السليم لدى الشباب الجامعي لمواجهة التطرف، مجلة دراسات تربوية، المجلد السابع، الجزء ٤٣، القاهرة.
  - عبد الله، معتز، & صالح أبو عباة، ١٩٩٥م، أبعاد السلوك العدواني دراسة عملية مقارنة، مجلة دراسات نفسية، المجلد الخامس، العدد الثالث.
  - عبد الله، معتز، ١٩٩٧م، التعصب دراسة نفسية اجتماعية، الطبعة الثانية، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.
  - عبد الله، معتز سيد & محمد خليفة، عبد اللطيف، ٢٠٠١م، علم النفس الاجتماعي، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.
  - عبد المختار، محمد خضر، ١٩٩٩م، الاغتراب والتطرف نحو العنف، مصر: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.
  - العلواني، رقية، ٢٠٠٥م، فقه الحوار مع المخالف في ضوء السنة النبوية، المملكة العربية السعودية: جائزة الأمير نايف بن عبدالعزيز آل سعود العالمية للسنة النبوية.
  - عمارة، محمد، ١٩٨٨م، الغزو الفكري وهم أم حقيقة، القاهرة: مطبعة



- الأزهر.
- فرايري، باولو، ١٩٨٠م، تعليم المقهورين، ترجمة: يوسف نور عوض، بيروت: دار العلم للملايين.
  - القرضاوي، يوسف. ١٩٩١م. ظاهرة الغلو في التكفير. مصر: مكتبة وهبة.
  - قنديل، أحمد، ٢٠٠٦م، التدريس بالتكنولوجيا الحديثة، القاهرة: عالم الكتب للنشر.
  - مرزوق، محمد السيد محمد، ١٤١٦هـ، دليل المعلم إلى صياغة الأهداف التعليمية السلوكية والمهارات التدريسية، المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي.
  - الهرماسي، عبداللطيف، ٢٠١٠م، ظاهرة التكفير في المجتمع الإسلامي... من منظور العلوم الاجتماعية للأديان، بيروت: دار العربية للعلوم ناشرون.

#### المراجع باللغة الأنكليزية:

- Henri Jajfel, Individuals and Groups in Social Psychology, British Journal of Social and Clinical Psychology, Vol, 18,1979.
- Jerry Fawell, Listen America, New York: Bantam Book. Inc., 1981.
- Straughn, R. Wringley, J. eds, Values & Evaluation in Education, London, Harper& Row Pub. 1980

#### المواقع الالكترونية:

- <http://www.mohe.gov.ps>
- [http://www.teachingthinking.net/thinking/webresources/robert\\_fisherthinkingskills.htm](http://www.teachingthinking.net/thinking/webresources/robert_fisherthinkingskills.htm)



مؤتمر ظاهرة التكفير .. الأسباب .. الآثار .. العلاج



ظاهرة التكفير .. الأسباب والعلاج والأثار



# مسؤولية بعض مؤسسات المجتمع في علاج ظاهرة التكفير

د. محمد حمد كنان ميغا  
أستاذ الفقه وأصوله ومقاصد الشريعة  
في الجامعة الإسلامية بالنيجر  
ورئيس مصلحة تنمية الموارد بها



مؤتمر ظاهرة التكفير .. الأسباب .. الآثار .. العلاج

## مقدمة

الحمد لله الذي بعث محمداً - ﷺ - بالحنيفية السمحة، وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس في إطار جلب المصالح ودفع المفاسد، وبعد:  
فإني أتشرف بالمشاركة في المؤتمر العالمي حول ظاهرة التكفير بموضوع:  
(مسؤولية مؤسسات المجتمع في علاج ظاهرة التكفير) وسأتناول الموضوع في إطار المباحث التالية:

- المبحث الأول: مسؤولية المؤسسات التعليمية في علاج ظاهرة التكفير.
  - المبحث الثاني: مسؤولية المؤسسات المشرفة على الدعوة والإرشاد في علاج ظاهرة التكفير.
  - المبحث الثالث: مسؤولية المؤسسات الإعلامية في علاج ظاهرة التكفير.
  - وخاتمة في بيان نتائج البحث.
- كما لا يفوتنا أن ندعم البحث ببيان دور بعض المؤسسات، والجمعيات، والأفراد في علاج ظاهرة التكفير، وبالجملة سيناقدش البحث كل ما من شأنه أن يثري البحث في موضوعه.

## المبحث الأول مسؤولية المؤسسات التعليمية في علاج ظاهرة التكفير

لا شك أنّ المؤسسات التعليمية بمثابة مصانع لتكوين الكائن البشري وتأهيله لأي نشاط من الأنشطة الفكرية، ولهذا فإن دور هذه المؤسسات في علاج ظاهرة التكفير يعتبر دوراً رئيساً، ذلك أن كل كوادرات المجتمع ومثقفيه من صنع هذه المؤسسات، ويظهر دور هذه المؤسسات التعليمية في إعادة النظر في مناهجها، بحيث تكون منسجمة مع الواقع، ومواكبة للتطورات، بعيداً عن التعصب، أي كان نوعه. ولا يكفي أن تكون المناهج معتدلة، فلا بد من اختيار الأساتذة الأكفاء، الذين يكون مهمهم تكوين الشخصية العلمية الواعية الرزينة، القادرة على النهوض بمسؤولياته الشخصية، والمجتمعية، والدينية.. إلخ.

وهكذا يجب إعادة النظر في كيفية تعامل هذه المؤسسات التعليمية مع المنتسبين إليها من التلاميذ والطلاب، فالعامله السيئة تشيع التمرد في أوساط التلاميذ والطلاب.

بإمكان المؤسسات التعليمية أن تعالج ظاهرة التكفير بالتركيز على المعايير الأخلاقية والجودة التعليمية، وإتاحة فرصة العمل الكريم لخريجها من خلال إحداث علاقات تعاونية بينها وبين المؤسسات الإنتاجية والتنموية.

إنّ المؤسسات التعليمية تعتبر فضاءً رحباً وخصباً لغرس الفضائل والقيم في نفوس التلاميذ والطلاب، بحيث يتربى التلميذ والطالب على حب الخير والسعي في سبيله لكل الناس. قال - ﷺ -: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب

لأخيه ما يحب لنفسه"<sup>(١)</sup>. كما أنّ بإمكان هذه المؤسسات التعليمية أن تغرس في نفوس التلاميذ والطلاب الشعور بالمسؤولية، والترفع عن الرذائل، والابتعاد عن العنف، والكراهية.

إنّ من أهم أسباب التكفير: قلة العلم والفهم، والتعصب المذهبي، والغرور، وهذه الظواهر كلها، يمكن للمؤسسات التعليمية أن تقضي عليها، من خلال مناهجها، وبواسطة كوادرها المتميزين علما ودينا وخلقا ومعاملة. إذن دور المؤسسات التعليمية في علاج ظاهرة التكفير دور رئيس، يجب أن تنهض به هذه المؤسسات لإنقاذ شبابنا وشيوخنا من هذه الظاهرة، التي تعكس صورة سيئة عن الإسلام؛ لأنها غالبا تنعكس على الأفعال، فتدفع صاحبها إلى قتل الأبرياء بدعوى الجهاد في سبيل الله. إنّ الأمر خطير يجب وضع سياج رصين من العلم والوعي للحد من هذه الظاهرة.

مما لا شك فيه أن التربية الإسلامية تكون نابعة من تعاليم الإسلام ومبنية عليها، لذا نؤكد هنا على أنه ينبغي أن تكون من أهم أهداف المؤسسات التعليمية، التي تسعى لتحقيقها في العملية التعليمية، لتخريج الشخصية المسلمة العلمية، الأمور التالية:

١. الإيمان الصادق، وهو الإيمان الذي يكبح جماح صاحبه، ويقمع نفسه الأمانة بالسوء، ويرغم أنف الشيطان. الإيمان الذي يفتح أبواب المصالح أمام صاحبه، ويسد أمامه أبواب المفساد. الإيمان الذي يؤمنه من المخاوف الدنيوية والأخرية، نعم، (إن معرفة الله نقطة استناد وحيدة للإنسان،

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٥٦/١ - ٥٧، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه. دار المعرفة - بيروت، الطبعة والسنة (بدون). وصحيح مسلم بشرح النووي ١٧/٢ - ١٨، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير. دار عالم الكتب - الرياض، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

- تجاه تقلبات الحياة ودواماتها وتزاحم المصائب وتوالي النكبات...<sup>(١)</sup>.
٢. العلم النافع، (الذي ينسجم مع منهج العقيدة والشريعة. وليس من قبيل ذلك العلم الذي يثير الفتن ويميع الأخلاق ويحبب الرذائل)<sup>(٢)</sup>. فأَي علم لم يتعارض مع العقيدة والشريعة الإسلامية فهو علم نافع محمود، كالطب والهندسة، والحساب عموماً، والكيمياء والفيزياء والرياضيات.. إلخ.
٣. العمل الصالح، فلا فائدة في العلم بلا عمل، (والعمل الصالح قرين العلم النافع، ودلالة على الإيمان الصادق، والعمل الصالح دلالة على صلاح العلم المتلقي، وعلى صلاح العالم المتحدّث والمعلّم... فإيمان الأمة يدفعها إلى العمل الصالح وإلى الجد في الخير لا إلى الاستسلام والتواكل والرهبة، ويحدوها إلى الإنتاج واتباع الأسباب، لا إلى الكسل والخنوع والاستكانة)<sup>(٣)</sup>. وكثيراً ما يقرن القرآن الكريم بين الإيمان والعمل الصالح: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾<sup>(٤)</sup>. يقول بديع الزمان سعيد النورسي: (اعلم أن الأهم الأُلزم بعد علوم الإيمان هو العمل الصالح؛ إذ القرآن الحكيم يقول على الدوام: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾)<sup>(٥)</sup>.
٤. الأخلاق الكريمة والفضائل. إنّ الأخلاق الكريمة والفضائل تعتبر نتيجة

(١) صيقل الإسلام - كليات رسائل النور، لبديع الزمان سعيد النورسي ١٢٢/٧، ترجمة وتحقيق د. إحسان قاسم، مطبعة سوزل - إستنبول، الطبعة الأولى سنة ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

(٢) الدعوة إلى الله - الرسالة - الوسيلة - الهدف، د. توفيق الواعي، ص ٢٢٠، دار اليقين - مصر، ط الثانية، سنة ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٢٤، ٢٢٣.

(٤) سورة الشعراء، الآية (٢٢٧)، وسورة ص، الآية (٢٤)، وسورة الانشقاق، الآية (٢٥)، وسورة التين، الآية (٦)، وسورة العصر، الآية (٣).

(٥) المشوي العربي النوري، كليات رسائل النور، لبديع الزمان سعيد النورسي ٢١٦/٦، تحقيق د. إحسان قاسم، مطبعة سوزل - إستنبول، الطبعة الرابعة، سنة ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.



التربية والإيمان الصادقين، (ولهذا قد ركز الإسلام في التربية على الأخلاق الكريمة؛ لأنها القيمة الحقيقية للإنسان) <sup>(١)</sup>. قال رسول الله ﷺ: "إن خياركم أحسنكم أخلاقاً" <sup>(٢)</sup>.

وتعتبر الأخلاق والقيم والفضائل أهم مرتكزات الوجود، ولتحقيقها في المجتمعات البشرية بعث الله الرسل، وأنزل الكتب ليزكوا نفوس الناس ويربّوهم على الفضائل. قال - تعالى - : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ <sup>(٣)</sup>. وقال عليه الصلاة والسلام: "إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق" <sup>(٤)</sup>. وتعتبر الأخلاق من الأمور الاكتسابية، (علاقتها بالعمل هي علاقة اللازم والملزوم للآخر، وبمنزلة العلة والمعلول، فالأخلاق الحسنة تُعتبر مصدراً للأعمال الحسنة، والأخلاق الرذيلة مصدراً للأعمال القبيحة، وكذلك الحال في الأعمال، فإنها من خلال التكرار تتحول بالتدرج، إلى ملكات و صفات أخلاقية في واقع الإنسان الداخلي) <sup>(٥)</sup>.

وليس هناك أي إنسان مجبور على الرذائل؛ لأنّ الأخلاق عبارة عن نتائج التربية والتعليم التي يكتسبها كل فرد من أفراد المجتمع. فمن اكتسب التربية الإيمانية الروحية ارتقى إلى أعالي الفضائل، ونأى بنفسه عن

(١) الدعوة إلى الله، د. توفيق الواعي، ص ٢٢٧.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر ٤٥٦/١٠، كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسجاء وما يكره من البخل. وصحيح مسلم بشرح النووي ٧٩/١٥، كتاب الفضائل، باب كثرة حياته ﷺ.

(٣) سورة الجمعة، الآية (٢).

(٤) السنن الكبرى، للبيهقي ٤٧٢/٢، باب بيان مكارم الأخلاق ومعاليها. الناشر مجلس دائر المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدرآباد، الطبعة الأولى، سنة ١٣٤٤هـ.

(٥) هل الأخلاق قابلة للتغيير؟ من الموقع الإلكتروني: <http://www.alkadhum.org>

سفساف الأخلاق والردائل. ولهذا نرى أن القرآن الكريم يرغب في كثير من الآيات في التحلي بفضائل الأخلاق: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ، إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾<sup>(١)</sup>. ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾<sup>(٢)</sup>. فهي إذن قيمة كلية يخل بها التجزئة، فلا يجوز لأي إنسان أن يكون صادقا في جانب، وكاذبا في جانب آخر، أو آمينا في شيء، وخائنا في شيء آخر<sup>(٣)</sup>.

٥. الثقة والتوكل، فعلى المؤسسات التعليمية أن تغرس في نفوس أبنائها الثقة والتوكل على الله - عز وجل - بعد اتخاذ الأسباب، حتى ينالوا من العلم أنفعه، ويكونوا قادة مصلحين للأمة.

٦. الحب في الله، (إنَّ الحب في الله سمة من سمات المسلم ودلالة من دلالات الإيمان، وركيزة قوية من ركائز المجتمع المسلم، حيث تجتمع الأمة المسلمة على غاية واحدة، وفي سبيل هدف واحد، لتحقيق رسالة واحدة، فتكون كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر)<sup>(٤)</sup>. وبناء على ذلك لا بد للمؤسسات التعليمية من الاهتمام بهذا الجانب للحد من ظاهرة التكفير.

٧. حسن الظن، على المؤسسات التعليمية أن تغرس في نفوس أبنائها حسن الظن بالمسلمين ولا سيما في جانب الدين، لخطورة سوء الظن بالمسلم؛

(١) سورة المؤمنون، الآيات (١ - ٦).

(٢) سورة الشمس، الآية (٩ - ١٠).

(٣) الأخلاق قيمة كلية لا تتجزأ، إيمان أحمد ونوس، من الموقع الإلكتروني: <http://www.tharasy.com>

(٤) الدعوة إلى الله، د. توفيق الواعي، ص ٢٢٠.

لأنه قد يؤدي إلى تكفيره أو تبديعه، أو تفسيقه بلا دليل، وليس لنا تصنيف الناس: ﴿ وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾<sup>(١)</sup>. وقد قال عليه الصلاة والسلام: (إياكم والظن فإنه أكذب الحديث)<sup>(٢)</sup>. قال ابن مفلح في كتابه الآداب الشرعية: فصل في حسن الظن بأهل الدين (حسن الظن بأهل الدين حسن، ظاهر هذا أنه لا يجب، وظاهره - أيضاً - أن سوء الظن بأهل الشر ليس بحسن، فظاهره لا يحرّم..)<sup>(٣)</sup>.

وفي ذيل هذا المبحث أشيد بدور الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة التي تستقطب طلابها من جميع أنحاء العالم على اختلاف مذاهبهم، وتكوّنهم على المنهج الوسط الأعدل البعيد عن التعصب، والتحزب، ليكونوا سفراء خير إلى أوطانهم، ودعاة إلى الله تعالى، وإلى وحدة كلمة المسلمين. تحت شعار: ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾<sup>(٤)</sup>.

كما أشيد بدور الجامعة الإسلامية بالنيجر في علاج ظاهرة التكفير من خلال مناهجها التي تتميز بالجمع بين الأصالة المعاصرة، من أجل نقل الإسلام الصحيح إلى أبناء منطقة غرب إفريقيا، على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم، ولبناء الشخصية الإسلامية المتميزة، التي تكون عضواً فعالاً في المجتمع،

(١) سورة التوبة، الآية (١٠٥).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر ٣٧٤/٥ - ٣٧٥، كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: ﴿ مَنْ بَعُدْ وَصِيًّا يُوصِي بِهَا أَوْ دِينٍ ﴾. وصحيح مسلم بشرح النووي ١١٩/١٦ - ١٢٠، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس، ونحوها.

(٣) الآداب الشرعية والمنح المرعية، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي ٥٢/١، دار الوفاء - مصر، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

(٤) سورة التوبة، الآية (١٢٢).

ويتضح هذا المنهج من خلال الأهداف السامية التي رُسمت للجامعة، والتي منها على سبيل المثال:

- الإسهام في بناء الذات الإسلامية، وإثراء حياة المسلمين في إفريقيا بمقومات حضارتهم، وتوظيف هذه الحضارة لخدمة المجتمع والأمة الإسلامية.
  - تمكين الطالب من استيعاب العلوم والتقنية، واستخدام حصيلة المعرفة العلمية في ما يعود بالخير على البلدان الإسلامية وشعوبها.
- كما لا يفوتني أن أشيد بدور المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بجمهورية مالي، الذي استطاع أن يقضي على ظاهرة التكفير بشكل ملحوظ، حيث استطاع أن يوحد كلمة المسلمين في كل أنحاء الدولة، السنِّيَّين منهم والصفويِّين، الأمر الذي أعطى للمجلس مهابة كبيرة أمام السلطات المحلية، وتأثيرا بارزا في تغيير القوانين الجائرة في الدولة.

## المبحث الثاني

### مسؤولية المؤسسات المشرفة على الدعوة والإرشاد في علاج ظاهرة التكفير

لا ينبغي أن يكون دور المؤسسات المشرفة على الدعوة محصوراً في توزيع الدعاة في أنحاء العالم فحسب، دون مراعاة المعايير الشرعية، التي تقضي باختيار الأكفاء، الذين جمعوا بين فهم النصوص الشرعية وفهم الواقع. تلك المعايير التي تفرض على المسلم أن يعايش الناس ويصبر على أذاهم، ويجتهد في هدايتهم، بالرفق واللين. قال - تعالى - لنبيه محمد - ﷺ - : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ .

فعلى هذه المؤسسات أن تؤكد لدعاتها وللعالم أن غاية الدعوة هي تحقيق المصالح الدنيوية والأخروية للبشرية جمعاء، فلا يجوز للداعية أن يكون همه تصنيف الناس إلى فئات وأحزاب. وعليه فالمخالف ليس بالضرورة أن يكون عدواً، ويُعلم من ذلك أنّ اختلاف الدين والفكرة لا يمنع التعايش السلمي بين الناس، فالله - عز وجل - خلقنا مؤمنين وغير مؤمنين، ومتفاوتين في الفهم، وكلفنا التعايش امتحاناً واختباراً، قال - تعالى - : ﴿ خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ <sup>(١)</sup>. وقال - عز من قائل - : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾ <sup>(٢)</sup>. وقال - سبحانه - : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا

(١) سورة الملك، الآية (٢).

(٢) سورة البقرة، الآية (٢٥١).

اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿١﴾.

إنَّ الكونَ كُلَّهُ ينطقُ بالتعايش؛ لأنَّ الله خلق الكائنات كُلَّها على أساس التعايش، الذي لا يفقد فيه أحد هويته وذاته وخصائصه، هكذا أراد الله أن تكون عليها الحياة، أليس الله - سبحانه وتعالى - هو القائل: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (٢)؟ بلى، فغاية اختلاف الشعوب والقبايل هي التعارف، وماذا بعد التعارف؟ بعده التعايش. فالتعايش من أهم أهداف اختلاف القبائل والشعوب. (من الصعوبة بل من المستحيل أن يعيش الإنسان مع نفسه دون أن يختلط مع بقية المجتمعات الأخرى، التي تؤمن بغير دينه، ودون أن يدخل في عملية تبادلية مع طرف ثانٍ، أو مع أطراف أخرى، تقوم على التوافق حول مصالح، أو أهداف، أو ضرورات مشتركة) (٣).

إنَّ المسلم خلق ليتعايش، ويتحمَّل ويصبر؛ لأنه ينتمي إلى أمة أخرجت للناس للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن المعروف احترام الآخر والاجتهاد في هدايته وتوجيهه بالرفق والسماحة. قال - عليه الصلاة والسلام -: "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه" (٤).

إنَّ دور المؤسسات المشرفة على الدعوة والإرشاد في علاج ظاهرة التكفير، لا تقل أهمية عن دور المؤسسات التعليمية، ذلك أنَّ المؤسسات المشرفة على الدعوة والإرشاد تباشر العملية الدعوية من خلال الدعاة التي تشرف عليهم، فهي تطبق التوجيهات الرشيدة من المؤسسات التعليمية.

(١) سورة الحج، الآية (٤٠).

(٢) سورة الحجرات، الآية (١٣).

(٣) التعايش السلمي بين الأديان، من الموقع الإلكتروني: <http://yomgedid.kenanaonline.com>

(٤) صحيح مسلم ١٦/١٤٨، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق.

وتكمن دور هذه المؤسسات فيما يلي:

١. تكثيف الدورات التكوينية التطبيقية للدعاة في منهجية الدعوة، وذلك بالتركيز على شخصية الداعية، سلوكه الفعلي والقولي، كيف يخاطب الناس، وبأي أسلوب يواجههم؟ فإن لكل مقام مقال، فلا يكون بذيء اللسان، ولا خشن الطبع، بل لين الجانب، بشوشاً عند اللقاء، صبوراً عند المناقشة، قوي الحجة والبرهان، بعيداً عن التعصب، رقيقاً بالمدعويين، كثير الدعاء لهم بالهداية والتوفيق.
٢. الإشراف المباشر على الدعاة، دورياً على الأقل، والسعي في تقويم ذاتهم.
٣. توفير الجو المناسب للدعاة، وذلك بإعطائهم رواتب لا تقل عن أي موظف آخر في مستواهم العلمي والوظيفي.
٤. اختيار العناصر المتميزة علماً وتديناً وخلقاً. ذلك أن مجال الدعوة مجال صعب يحتاج إلى العلم والصبر، والرفق، فالدعوة وظيفة الرسل، فينبغي لمن انخرط فيها أن يتحلى بالأخلاق الفاضلة. قال عليه الصلاة والسلام "إن أحبكم إلى الله وأقربكم مني أحاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إلى الله وأبعدكم مني الثرثارون<sup>(١)</sup> المتفيهقون<sup>(٢)</sup> المتشدقون<sup>(٣)</sup>"<sup>(٤)</sup>.

(١) الثرثرة: كثرة الكلام وترديده. والثرثارون المتفيهقون هم الذين يكثرون الكلام تكلفاً وخروجاً عن الحق. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، باب الناء مع الراء. تحقيق طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي. المكتبة العلمية - بيروت، سنة النشر ١٣٩٣هـ/١٩٧٩م. ملحوظة: المعلومة مأخوذة عن المكتبة الشاملة.

(٢) الثرثارون المتفيهقون: هم الذين يتوسعون في الكلام ويفتحون به أفواههم. مأخوذ من الفهق وهو الامتلاء والاتساع. يقال أفهقت الإناء فهق يفهق فهقا. المصدر السابق، باب الفاء مع الهاء.

(٣) الثرثارون المتشدقون: هم المتوسعون في الكلام من غير احتياط و احتراز. وقيل: أراد بالمتشدق: المستهزئ بالناس يلوي شذقه بهم وعليهم. المصدر السابق، باب الشين مع الدال.

(٤) صحيح ابن حبان ٢/٢٣١، باب حسن الخلق. تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

وفي ذيل هذا المبحث، أشيد بدور بعض الشخصيات الإسلامية والدعاة في جمهورية مالي في علاج ظاهرة التكفير، وأذكر منهم على سبيل المثال:

- الشيخ محمود ديكو رئيس المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في مالي، الذي بفضل الله ثم بجهوده الشخصية استطاع أن يُجسّد جميع الطرق الإسلامية في مالي على مائدة واحدة، للدفاع عن قضايا المسلمين أمام القانون الغربي الوافد الذي يهدد كيان الأسرة في المجتمع. بارك الله في جهوده ونفع به الإسلام والمسلمين.
- الدكتور آدم سانكري، رئيس رابطة الدعاة في مالي، وعضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في مالي، الذي يتميز بمنهجه الوسطي، وتواضعه الرفيع، اللذين بهما استطاع أن يجمع الناس حوله بدون تكلف، وبهما ينصح الدعاة في كل لقاءاته بهم، فبارك الله في جهودهم جميعاً.
- الدكتور أبو بكر كمارا، عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في مالي، الداعية السني المعتدل، صاحب الحجج الدامغة، المشهود له بالعلم والورع، المربي الناجح. كَوَّنَ كثيراً من الدعاة في مالي على منهج السلف الصالح، البعيد عن التعصب، والتصنيف، والتكفير.
- الأستاذ إبراهيم كوتتاو، مدير مكتب المنتدى الإسلامي في باماكو، بمالي، وعضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في مالي، الداعية المتواضع، خادم الأيتام والأرامل، الرفيق بالمدعوين، المشارك في المجالس العلمية الدولية، البصير بفقهِه الواقع، كثيراً ما قدم النصائح للدعاة في عدم التشدد. بارك الله في عمره، وجزاه عن الإسلام خيراً.



## المبحث الثالث

### مسؤولية المؤسسات الإعلامية في علاج ظاهرة التكفير

لا يخفى على أحد اليوم ما للإعلام من دور في التأثير في سلوك الناس وتصرفاتهم، ومن هنا يُعلم أنّ للمؤسسات الإعلامية دورا كبيرا في علاج ظاهرة التكفير، فعلى هذه المؤسسات أن تضع برامج إعلامية سمعية بصرية يومية في بيان الآثار السيئة لظاهرة التكفير على الفرد والمجتمع. فالإعلام أداة ينبغي استغلالها لإصلاح المجتمع لا لإفساده بالأفلام والمسلسلات، والسهرات الليلية.. إلخ.

**فيمكن للمؤسسات الإعلامية أن تعالج ظاهرة التكفير بأمر كثيرة، منها:**

١. عرض لقاءات علمية حوارية بين العلماء المشهود لهم بالعلم والورع والاعتدال في المنهج، وذلك مرة على الأقل في كل أسبوع.
٢. الإكثار من عرض البرامج التي تغرس في نفوس الشباب علوَّ الهمة، وتُبرز دورهم في بناء المجتمع والدولة، وإشعارهم بالمسؤولية.
٣. عرض نماذج من حياة النبي - ﷺ - وأصحابه في حسن المعاملة، والرفق بالإنسان والحيوان، والمحافظة على البيئة.
٤. عرض نماذج تطبيقية من التقدم التقني والعلمي، في مجال الطب والهندسة والزراعة.. إلخ، لتحفيز الشباب على الاهتمام بهذه الجوانب.
٥. عرض لقاءات علمية ومسابقات ثقافية بين المدارس والجامعات، الأمر الذي يحفز الشباب على الاستزادة من العلم، والتطلع إلى الأفضل، والانشغال عن القضايا الهامشية، التي هي عبارة عن تضييع الأوقات.
٦. عرض برامج حول قيمة الوقت، عقلا ودينا، حتى لا يضيع الشباب أوقاتهم فيما لا فائدة فيه.

٧. عرض برامج حول مركزية الإنسان في تنظيم سير الحياة، بحكم الاستخلاف. قال - تعالى - : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾<sup>(١)</sup>. وقال - تعالى - : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾<sup>(٢)</sup>. وقال - تعالى - : ﴿ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾<sup>(٣)</sup>. فهذا لاستخلاف ليس خاصا بجنس دون جنس، أو بأمة دون أخرى، إنه الاستخلاف لكل البشر، بصرف النظر عن انتمائه الديني: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ﴾<sup>(٤)</sup>. ويحكم هذا الاستخلاف يجب على الناس جميعا أن يتكاتفوا ويتفاهموا فيما بينهم من أجل تنظيم الحياة، بما يضمن للبشرية الأمن والاستقرار والسعادة في الدنيا والآخرة لمن أطاع ربه منهم، ولم ينسق وراء هواه ونفسه الأمانة بالسوء.
٨. عرض مسرحيات مباحة حول خطورة التكفير، وآثاره في تفكك المجتمع، وإشاعة الفتنة بين أفراد.
٩. إيقاف عرض أفلام الحسد، والعدو، والكراهية.. إلخ.
١٠. عدم عرض الأفكار المتطرفة الداعية إلى العنف، لا في الصحافة المرئية ولا في المقروءة، إلا إذا كان القصد من عرضها هو إبطالها بالحجج الدامغة، وتحذير المجتمع والأمة منها.
١١. الحرص على عدم التدليس على المجتمع فيما يُعلن لهم أو يُعرض عليهم.

(١) سورة الإسراء، الآية (٧٠).

(٢) سورة البقرة، الآية (٣٠).

(٣) سورة هود، الآية (٦١).

(٤) سورة البقرة، الآية (٢١).

## خاتمة

إنّ القصد من هذا البحث المتواضع هو إبراز دور المؤسسات التعليمية، والدعوية، والإعلامية في علاج ظاهرة التكفير، وقد ناقش الباحث هذه الأدوار في ثلاثة مباحث، توصل من خلالها إلى النتائج التالية:

- إنّ بإمكان المؤسسات التعليمية أن تعالج ظاهرة التكفير بالتركيز على المعايير الأخلاقية والجودة التعليمية، وإتاحة فرصة العمل الكريم لخريجها من خلال إحداث علاقات تعاونية بينها وبين المؤسسات الإنتاجية والتموية. كما أنّ هذه المؤسسات التعليمية تعتبر فضاء رحبا وخصبا لغرس الفضائل والقيم في نفوس التلاميذ والطلاب، بحيث يتربى التلميذ والطالب على حب الخير والسعي في سبيله لكل الناس.
- إنّ التربية الإسلامية تكون نابعة من تعاليم الإسلام ومبنية عليها، لذا لا بدّ أن تكون من أهم أهداف المؤسسات التعليمية التي تسعى لتحقيقها في العملية التعليمية، لتخريج الشخصية المسلمة العلمية الرزينة: التركيز على الإيمان الصادق، والعلم النافع، والعمل الصالح، والأخلاق الكريمة والفضائل، والثقة والتوكل، والحب في الله، وحسن الظن.
- لا بدّ أن تراعي المؤسسات المشرفة على الدعوة المعايير الشرعية لاختيار الدعاة، ذلك أن الدعوة وراثه النبوة، فينبغي أن يكون المنتمي إليها متميزا في علمه ومعرفته بالواقع، وصبره، وتواضعه، ورفقه بالمدعويين.
- على هذه المؤسسات أن تؤكد لدعاتها وللعالم أن غاية الدعوة هي تحقيق المصالح الدنيوية والأخروية للبشرية جمعاء، فلا يجوز للداعية أن يكون همه تصنيف الناس إلى فئات وأحزاب. وعليه فالمخالف ليس بالضرورة أن

يكون عدواً، ويُعلم من ذلك أنّ اختلاف الدين والفكرة لا يمنع التعايش السلمي بين الناس.

- على المؤسسات الدعوية أن تصاحب دعائها بالتكوين والدعم المالي اللائق بهذه الوظيفة.
- إن الإعلام أداة ذوات حدين يُصلح إذا استُغِلَّ في الإصلاح، ويفسد إذا استُغِلَّ في الإفساد، لذا ينبغي أن تضع هذه المؤسسات برامج إعلامية سمعية بصرية يومية في بيان الآثار السيئة لظاهرة التكفير على الفرد والمجتمع.
- على هذه المؤسسات الإعلامية أن تُشغِلَ الشباب بما يجعلهم في موضع المسؤولية، وذلك بعرض البرامج حول مركزية الإنسان في تنظيم سير الحياة بحكم الاستخلاف في الأرض، وأخرى في بيان أهمية الوقت.. إلخ.

وبالله - تعالى - التوفيق .

## المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الآداب الشرعية والمنح المرعية، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي، دار الوفاء - مصر، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.
- الدعوة إلى الله - الرسالة - الوسيلة - الهدف، د. توفيق الواعي، دار اليقين - مصر، ط الثانية، سنة ١٤١٦هـ/١٩٩٥م
- السنن الكبرى، للبيهقي، (أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي) وفي ذيله الجوهر النقي لعلاء الدين علي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركماني، الناشر مجلس دائر المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدرآباد، الطبعة الأولى، سنة ١٣٤٤هـ.
- صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- صحيح مسلم بشرح النووي، دار عالم الكتب - الرياض، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- صيقل الإسلام صيقل الإسلام - كليات رسائل النور، لبديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة وتحقيق الدكتور إحسان قاسم الصالحي، مطبعة سوزل - إستنبول، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، دار المعرفة - بيروت، الطبعة والسنة (بدون).
- المثنوي العربي النوري - كليات رسائل النور، لبديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق الدكتور إحسان قاسم الصالحي، مطبعة سوزل - إستنبول، الطبعة الرابعة، سنة ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي. المكتبة العلمية - بيروت، الطبعة (بدون)، سنة النشر ١٣٩٣هـ/١٩٧٩م.

### المواقع الإلكترونية:

- <http://www.alkadhum.org>
- <http://www.thara-sy.com>
- <http://yomgedid.kenanaonline.com>



مؤتمر ظاهرة التكفير .. الأسباب .. الآثار .. العلاج



ظاهرة التكفير .. الأسباب والعلاج والآثار



# الإصلاح الفكري وظاهرة التكفير في المؤسسات التربوية والتعليمية

الأستاذ بن نعمية عبد الغفار  
كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية  
جامعة وهران، الجزائر



مؤتمر ظاهرة التكفير .. الأسباب .. الآثار .. العلاج



تعنى المؤسسات التعليمية والتربوية بتربية النشء وتطوير قدراته الإدراكية منذ السنوات الأولى للتعليم، إلى غاية الوصول إلى مرحلة العطاء المعول عليها أساسا، ولأجل ضمان المسار العادي لهذه العملية عملت مختلف الدول على تطوير التعليم، وتكييف مناهجه وفق ما ينطق به الواقع المعيش، فلجأت إلى قضية الإصلاح في المناهج التعليمية؛ لمحاولة تصفيفها وترتيبها وإحداث التغيير المناسب في مضامينها ومقرراتها، ربما اختلفت الكثير من الدول عربية كانت أم أجنبية في طريقة العمل، فكل دولة مقاييسها، وأدى التبادل الثقافي من جهة أخرى دوره في الإفادة بينها في مجال الخبرات والتطبيقات، خاصة الدول الجديدة العهد بقضية الإصلاح.

إذا كانت قضية الإصلاح منحة خالصة باعتبارها قضية دولة، وهي تتعلق بالتخطيط الشامل للدولة، فهي محنة حقيقية تعيشها المؤسسات التعليمية والتربوية، في ظل ما يذكر من هاجس الإخفاقات في هذا المجال، وإن كتب لها أن تحقق إنجازا يُباركُ حتمًا، فأمامها مسؤولية تفوق هذا الإنجاز حينما يتعلق الأمر بالإصلاح الفكري. إذ مستقبل الأجيال مرهون بمدى قدرة هذه المؤسسات على استيعاب الأنماط المختلفة للتفكير، ربما يهون الأمر في بداية المراحل التعليمية، لكن الفكر قابل للتطور والتقدم، وهي المرحلة التي يختبر فيها الفكر فيما إلى اعتدال أو إلى تطرف وزوال.

من هذه الزاوية يمكن أن تتمحور إشكالية الموضوع حول فاعلية المؤسسات التعليمية والتربوية في محاربة ظاهرة التكفير في ظل الإصلاح الفكري.

ومنه فإن مفهوم الإصلاح لا ينبغي أن يتعلق بالمناهج فحسب، بل يوجه خطابه للعقول حتى توزن بميزان يضمن الحقوق، ويبين الواجبات، إذ العلاقة

بين أفراد المجتمع واحدة، حتى إذا تخلت المؤسسات التعليمية عن واجبها من هذه الناحية، انقلب الفرد عن مجتمعه تكفيرا وتفسيقا، وعمت الفوضى الفكرية، من غير وازع أو دليل.

لمحاولة الوقوف على هذه المعاني تتطرق الدراسة من تحديد المفاهيم التالية: مفهوم الإصلاح في اللغة: ورد المصطلح في المعجم الوسيط<sup>(١)</sup> تحت مادة (صلح) صلاحا، وصلوحا: زال عنه الفساد و الشيء كان نافعا أو مناسبا يقال هذا الشيء يصلح لك، (صلح) صلاحا وصلوحا صلح فهو صليح، (أصلح) في عمله أو أمره: أتى بما هو صالح نافع و الشيء أزال فساده وبينهما أو ذات بينهما أو ما بينهما أزال ما بينهما من عداوة و شقاق و في التنزيل العزيز: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمْ﴾<sup>(٢)</sup>. وقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>، واللّه لفلان في ذريته أو ماله جعلها سالحة، و في التنزيل العزيز: ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾<sup>(٤)</sup>.

تعريف الإصلاح في الاصطلاح: معاقدة يتوصل بها إلى إصلاح بين متخاصمين<sup>(٥)</sup>.

يتضح من المعنيين أن مدار الكلمة على كل ما من شأنه التقريب، والإتيان بالنافع.

تعريف الفكر في اللغة: (فكر) الفَكْرُ والفِكْرُ: عمال الخاطر في الشيء<sup>(٦)</sup>، وفي معجم المقاييس الفاء والكاف والراء: تردد القلب في الشيء.

(١) مصطفى إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، تحقيق مجمع اللغة العربية، باب الصاد، ج ١، ص ١٠٧٨.  
 (٢) سورة الحجرات الآية ٩.  
 (٣) سورة الأنفال الآية ١.  
 (٤) سورة الأحقاف الآية ١٥.  
 (٥) علي بن غازي التويجري، الإيضاح لما ورد في السنة والكتاب من مسائل الإصلاح، ص ٦.  
 (٦) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط ١، ج ٥، ص ٦٥.

يقال: تفكّر: إذا ردّد قلبه معتبراً. ورجلٌ فكّير: كثير الفكر<sup>(١)</sup>.

**تعريف الفكر في الاصطلاح:** إن استبان أنّ مدار المسألة من هذه الزاوية على النظر والإعمال، تُحيلنا صفحات التراث إلى قضية نشأة الفكر وتطوره وتصوغ له تعريفاً كونه: "سلسلة متصلة وعمل عقلي يمثل ناتج تراثنا حضارياً يخلفه السابق للاحق"<sup>(٢)</sup>.

**تعريف الإصلاح الفكري كمركب إضافي: حين يتعلق الأمر بالمؤسسات التعليمية والتربوية يرد مفهوم الإصلاح ب:** "التغيير الكلي للمؤسسة التعليمية بما يحدد لها أهدافاً جديدة مع المحافظة على بنيتها التحتية وتركيبها البشرية"<sup>(٣)</sup> إذ هو يركز على نقطتين أساسيتين هما: الانطلاقة من القاعدة والأساس، والوصول إلى الأهداف في المقررات والمناهج الدراسية. بصورة مباشرة تبدو أهمية العقل باعتباره المعنى بالخطاب الإصلاحى وإذا كان الغرض من الموضوع هو مسالك تقويم الإسلام للحياة البشرية وتنزيلها على الواقع بما يضمن السلامة في الأفكار، فإن مفهوم الإصلاح يتخذ مفهوماً إسلامياً محضاً ويصاغ كالتالي: "محاولة الولوج إلى عالم الأفكار وتنقيتها، لتحقيق الأصالة الإسلامية، وتصويب الرؤية الحضارية، وتمكين الأمة من الشهود الحضاري، وبناء العقل القادر على استلهام الأصالة، وهضم الحداثة وتمثلها في مشروع حضاري إسلامي معاصر متكامل متحرر من أزمة الفكر وأوهامه، وخطأ المنهج

(١) أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريّا: مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، اتحاد الكتاب العرب، ١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٢ م، ج٤، ص ٣٥٧.

(٢) حسن الفاتح قريب الله، الحياة الفكرية في ضوء الفلسفة الإسلامية، مطبعة الأمانة، القاهرة، ٢٠٠١ م، ص ١٣.

(٣) الوثيقة الرسمية لوزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ( La refonte de l'enseignement supérieur) المطبعة الرسمية شارع بارك، الجزائر، ١٩٧١ م.

وانحرافاتة"<sup>(١)</sup>.

**أسباب الانحراف في المؤسسات التعليمية:** أدت المسارات الفكرية المختلفة<sup>(٢)</sup> دورا بارزا في انزلاق الفكر قى شتى أنواع الثقافات، وهي يعملها هذا دعوة صريحة لإطلاق العنان، إزاء مقوم متغير يقبل التأثر والتأثير، وإن كان من المبالغة الحكم بالانفراد للمؤسسات التعليمية في وضع الفكر في ميزان الضبط، فليس غريبا أن تعلو على غيرها من المؤسسات، فهي الوعاء الحاوي لمختلف أنواع الفكر.

تشير الدكتورة رانيا نظمي<sup>(٣)</sup> في مقال حول الانحراف الفكري ومظاهره إلى بعض العوامل المؤدية للانحراف الفكري، وهي:

- نقص التربية الإيجابية المعتدلة، وقلة الفقه في الدين والجهل بالكل والجزء، وعدم الربط بين الفرع والأصل.
- عدم أخذ العلم الشرعي من أهل العلم والعلماء، والاعتماد على أصحاب الأصوات المعارضة العالية.
- ضعف الولاء لولاية الأمر؛ للجهل بفقه الولاية، وضعف الولاء للوطن.
- تعدد الفتاوى الشرعية في الموضوع الواحد لدرجة تصل إلى التناقض.
- الجهل بفقهية النصوص الشرعية.

**أما أسباب الانحراف الفكري فقد أبرزته صاحبة المقال في نمطين أساسين، الأول متعلق بالأسرة، والثاني بالمؤسسات التعليمية والتربوية، وهي كالتالي:**

(١) طه جابر العلواني، إصلاح الفكر الإسلامي بين القدرات والعقبات، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض، ط٢، ١٤١٤هـ، ١٤٩٤م، ص ١٢.

(٢) يقصد بالمسارات الفكرية المختلفة كل طريق يحارب الإسلام أو يشكك أو يطعن كمسار الاستشراق، والتجديد، العلمانية.....

(٣) حصلنا على هذا المقال عبر شبكة الأنترنت، ولم نجد من معلومات للمقال عدا انتساب الدكتورة إلى قسم الثقافة الإسلامية.

### أ - الأسباب الأسرية:

- ضعف التربية الصحيحة من خلال الأسرة
- قلة المتابعة، والعناية، والاهتمام بأفراد الأسرة من الأولياء في المجتمعات العربية والإسلامية.
- التفكك بين أفراد الأسرة.
- عدم مراعاة حاجات، وخصائص أفراد الأسرة.
- القصور في الأساليب التربوية والأسرية (التدليل الزائد - القسوة والتشدد).
- ضعف الحوار والتشاور بين أفراد الأسرة.

### ب - الأسباب التعليمية والتربوية:

- ضعف التربية من خلال المؤسسات التربوية والتعليمية (المدرسة - الجامعات). وحتى مراكز التكوين
- التركيز على المادة العلمية، وإغفال الجانب التربوي وفقدان الحوار.
- القدوة السيئة في بعض المعلمين.
- عدم مراعاة الفروق الفردية بين الطلاب.
- ضعف دور الإرشاد الطلابي.
- ضعف الأنشطة التي تربي قدرات، واستعدادات، ورعاية الطلاب.
- عدم التركيز على حل المشكلات النفسية، والاجتماعية داخل المؤسسات التعليمية.
- ضعف الحضانة الذاتية.
- القصور في ربط دور البيت بدور المؤسسة التعليمية، وعدم وجود آلية واحدة للتربية كل منهما يكمل الآخر ويتوحد في غرس الفكر الصحيح.
- تأثير قنوات الإعلام على مبادئ وقيم الإنسان العربي، ومن أكبر الآثار زعزعة العقيدة الإسلامية في نفوس النشء وشيوع الرذيلة وإثارة الغرائز وعرض

السلوكيات المغلوطة في سياق جذاب، والاستخفاف بالقيم، وانخفاض المستوى التعليمي وزيادة التبعات الفكرية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية. التقنية الحديثة، وإدماج شبكة المعلومات ودخولها إلى العقول والوصول إليها بغير غاية يؤدي إلى الانحراف الفكري، إن لم يتقدمه بمناعات ومعايير وضوابط على عقول الشباب في مراحل نمو تفكيره الأولى. هذا مجمل ما ذكرته الدكتوراة في هذا الإطار، مما يعطي صورة واضحة عن مدى استفحال الظواهر الفكرية الشاذة على رأسها التكفير كمظهر اجتماعي سلبي، في ظل التناثر والانفكاك الأسري، والمروق التعليمي والتريوي.

يفضل بعض الباحثين في هذا المجال إرجاع مفهوم الانحراف الفكري إلى قضية الاستقطاب الفكري وممولين على حصر تعريفها في ما تعلق بالاستشراق فحسب وعرفوا الاستقطاب بـ: "ارتباط الفاعلية الحضارية في شقها الفكري الإبداعي بالطرح الاستشراقي لقضايا ومشكلات الفكر الإسلامي"<sup>(١)</sup> وهو توجه صحيح في تأريخ المؤسسات التعليمية في القرن الماضي، خاصة في سنوات المحنة وقرن الفتنة كما سماها محمود شاكر في تقديمه لكتاب الظاهرة القرآنية<sup>(٢)</sup>، إلا أنه قد تداعت إلى قصعة قضايا الفكر الإسلامي الكثير من الحركات الفكرية ومنها الحركة التجديدية، أو التنويرية التي تكلم أصحابها باسم الحرية الفكرية، والثقافة والتحرر الإنساني، فاستباحوا معلوما من الدين بالضرورة، وهذا ما يفسر الردود التي تلقاها أصحاب هذه الوجة الفكرية، في كتب ومصنفات ورسائل علمية

(١) جمال سلطان: جذور الانحراف في الفكر الإسلامي الحديث، مركز الدراسات الإسلامية، بريطانيا، ط١، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م، ص ٧٣.

(٢) مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، دار الفكر، دمشق، دار الفكر، بيروت، ص ٣٥.

ربما كان بعضها شديدا في الرد، حتى إذا تصفحنا أحدها<sup>(١)</sup> وجدنا عنوان أول فصول الكتاب: "هم العدو فاحذرهم" وهو دليل على مدى الانحراف الفكري الذي بلغه هؤلاء، فلا سبيل إذا إلى تقويمهم إلا بميزان الإسلام. لعله من غير المنطقي فرض برامج الإصلاح على حساب مراحل الشخصية وحاجيات العقل، لذا حاولت العديد من الدول من بينها الجزائر في ظل برنامج الإصلاح رعاية هذه المتطلبات مولية الاهتمام الأول إلى الفكر المقبل على مواجهة أخطار المراهقة، فمن خلال برنامج مادة العلوم الإسلامية للسنة الثالثة ثانوي مثلا نقف على نصوص ومواد صيغت على سبيل الموازنة بين ضروريات مرحلة المراهقة، وبين التوجيه السليم للعقل في استقبال الخطاب، فورد في البرنامج: "ولهذا جاءت مادة العلوم الإسلامية في المرحلة الثانوية؛ استجابة لمتطلبات هذه المرحلة الحساسة من أطوار حياة المتعلم، لتتيح له الفرصة لوضع سلوكيات على المحك بخطاب عقلي وعاطفي متزن، كما تأخذ بيده إلى شاطئ الاعتدال في كل شيء، معتمدة في ذلك الإقناع والحجة البيينة"<sup>(٢)</sup>.

تلمسُ واقع هذه المادة يحيل بالضرورة إلى مدى حرص الصياغة على وضع أسس إسلامية محضة تضمن اعتدالا فكريا في مستقبل العطاء الفردي ثم الجماعي للمتعلمين، وهو أحد الغايات التي يسعى إليها برنامج المنهاج الجديد<sup>(٣)</sup> في المؤسسات التربوية.

إذا أحلنا النظر إلى المرحلة الجامعية في ما تعلق بتخصص العلوم الإسلامية

(١) سيد بن حسين العفاني: أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، دار ماجد عيري، السعودية، ج ١، ص ٥.  
 (٢) وزارة التربية الوطنية، اللجنة الوطنية للمناهج، منهاج العلوم الإسلامية للسنة الثالثة ثانوي، جميع الشعب، ص ٣.  
 (٣) يقصد به نظام المقاربة بالكفاءات الذي تم تطبيقه عام ٢٠٠٣ / ٢٠٠٤م في المؤسسات التربوية بالجزائر.

في إطار النظام الجديد<sup>(١)</sup>، وجدنا البرنامج يؤكد على أن المعارف التي يتلقاها الطالب هي امتداد لما سبق وأن تلقاه في المراحل السابقة، وفي ظل عملية التعميق هذه قد يتعرض الفكر لمضايقات كثيرة تكون سببا في الانزلاق.

### الوظيفة الأساسية للفكر تمجد القيم وتنبذ التعدي والإقصاء:

هذه النتف من ميثاق الجامعة توحى بمدى خطورة الانحرافات الفكرية بما فيها التكفير، والانزلاقات المتوقعة في ظل الجهل بالوظيفة الأساسية للفكر، والقائمة في بعض أصولها على الاعتراف بالآخر أكاديميا وعلميا، إذ القاعدة أساسا هو العقل المسلم وعلاقته بالقيم "ولا يمكن تصور انعدامها بين الاثنين، أو وجود أزمة قيم، بل الخطب في التعامل مع القيم، والإنتاج الفكري الذي يجسّر العلاقة بين هذه القيم بمنطلقاتها وأهدافها وبين العصر، ويساهم باستصحاب الرؤية القرآنية وقدرتها على حل المشكلات البشرية"<sup>(٢)</sup>.

لقد كتب الكثير من الباحثين عن الفكر والتفكير، سواء من أبناء الإسلام أم من ديانات أخرى، تكاد هذه الدراسات لا تخلو من الإشارة إلى ما يجب أن يكون عليه التفكير كي ينجب معرفة صحيحة<sup>(٣)</sup> مقبولة في الأوساط التعليمية، قد تكون المعرفة عرضة للنقد بدليل أقوى أو أصح، لكنها لا تكون مدعاة لاتهام الغير بانحراف فكري ينجر عنه تكفيره، وعليه فإن خطوات التصويب والتصحيح تتضبط بحدود لا تعدوها، وأنها عرضة للفشل في ظل غياب التنزيل المقاصدي والفقهي لأهل الاختصاص، إذ

(١) بقصد به نظام ل م د. وهو نظام مستورد من الدول الأنجلوساكسونية، بدأ تطبيقه في الجزائر سنة ٢٠٠٤م، ثم عمم على جميع الجامعات بناء على مقترح فتح يقدم من الجامعة المعنية، ثم أصبح نظاما عاما شاملا معوضا للنظام القديم ابتداء من الدخول الجامعي ٢٠١٠ / ٢٠١١م.

(٢) طه جابر العلواني، المرجع السابق، ص ٤.

(٣) الفرق بين المعرفة الصحيحة والحقيقية أن الأولى قابلة للتخطئة كلما استبان دليل أقوى، أما المعرفة الحقيقية فهي نسبية.



من ظنَّ أنه على حق مطلق فهو على خطأ مطلق، ولله در الإمام الشافعي حين يقول: "قولي صحيح يحتمل الخطأ، وقول غيري خطأ يحتمل الصواب". وربما نطقها الإمام الشافعي قاصدا بها علماء دين الإسلام، الذي اتسعت سماحته ليشمل هذا المعنى مع غير المسلمين، قال ابن رشد المالكي: "يجب علينا إذا ألفينا لمن تقدمنا من الأمم السالفة نظرا في الموجودات واعتبارا لها بحسب ما اقتضته شرائط البرهان، أن ننظر في الذي قالوه من ذلك وأثبتوه في كتبهم، فما كان منها موافقا للحق قبلناه منهم وسررنا به وشكرناهم عليه، وما كان منها غير موافق للحق نبهنا عليه وحذرناهم منه وعذرناهم"<sup>(١)</sup>. ولم يصدر عن هؤلاء الأعلام ما يدل على التكفير أو ما في معناه، ما دام الأمر موكولا للنظر والتثبت، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: وأما "التكفير": فالصواب أنه من اجتهد من أمة محمد - ﷺ - وقصد الحق فأخطأ: لم يكفر؛ بل يغفر له خطؤه. ومن تبين له ما جاء به الرسول فشاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى واتبع غير سبيل المؤمنين<sup>(٢)</sup>: فهو كافر. ومن أتبع هواه وقصر في طلب الحق وتكلم بلا علم: فهو عاص مذب. ثم قد يكون فاسقا وقد تكون له حسنات ترجح على سيئاته. ف"التكفير" يختلف بحسب اختلاف حال الشخص فليس كل مخطئ ولا مبتدع ولا جاهل ولا ضال يكون كافرا؛ بل ولا فاسقا بل ولا عاصيا"<sup>(٣)</sup>.

ليس بعيدا عن الكتابات الإسلامية تستوقفنا مقدمة كتاب عن التفكير أورد فيها صاحبها العبارة التالية: "وليس من الضروري لكاتب يكتب عن

(١) ابن رشد، فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط٢، ص. ١٣٣.

(٢) إشارة إلى الآية ١١٥ من سورة النساء.

(٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق أنور الباز، عامر الجزار، دار الوفاء، ط٣، ١٤٢٦، ٢٠٠٥، ج١٣، ص ١٨٠.

التفكير الأعوج بأن يدعي لنفسه زورا بأنه هو نفسه مثال التفكير المستقيم .  
 إذ لا يمكننا أن نفهم التفكير الأعوج إلا إذا راقبناه نحن في تفكيرنا  
 خاصة، وفي كتابات الآخرين وخطبهم"<sup>(١)</sup>.

ولذا، فإن المؤسسات التعليمية والتربوية بمقتضى دورها تجاه ضبط  
 التفكير ووزنه بميزان الشرع تتكفل بتوجيه النشء نحو تقبل الخطأ القابل  
 للتصويب، بدلا عن تقبل الصواب الذي لا يقبل الخطأ، ولعل ظاهرة التكفير  
 إحدى أسباب التأويلات الخالية من التنزيل الشرعي والمقاصدي، اجتذبت  
 طائفة من الناس فضلوا وأضلوا.

لعله من المفيد أن يشير هذا الموضوع إلى العمل الإسلامي الذي أَرْضَى  
 الطبقة العامة من أبناء الإسلام، التي لا يعدو نظرها الكم الهائل من  
 الحركات والجمعيات الإسلامية<sup>(٢)</sup>، التي تشكلت تحت إطار العمل الإسلامي  
 الخالص<sup>(٣)</sup>، لكنه لاقى تعليقات وتوجيهات من الطبقة المثقفة والعالمة من  
 أعلام الأمة، التي أدركت حقيقة ما يجب أن يكون عليه الفرد في إطار العمل  
 الإسلامي، حتى إذا التقت حماسة الجماهير الإسلامية مع عمل إسلامي  
 ينقصه الترشيح والتوجيه يحدث الانزلاق، ومع ما يتطلبه العمل الإسلامي من  
 صبر تكون هذه الحركات إزاء عملية "تغذية للجماهير الإسلامية بالفكر  
 الصائب السديد في مجالات الفكر والمعرفة والثقافة بما يزكي وسائل الأمة  
 ويقدم لها الدليل للتعامل مع الداخل الإسلامي، والخارج المعاصر"<sup>(٤)</sup>.

أثر الثقافات الدخيلة على المؤسسات التعليمية في تشكيل الإنسان الخطأ:

(١) روبرت شاولس، التفكير المستقيم والتفكير الأعوج، ترجمة حسن سعيد الكرعي، عالم المعرفة،  
 ١٩٧٩، ص ١٠.

(٢) المقصود بها كل ما حمل على عاتقه خدمة المشروع الإسلامي.

(٣) قد تتخذ الجماهير الإسلامية حتى بمن لا تعدو علاقته بالإسلام حد الانسحاب

(٤) طه جابر العلواني، المرجع السابق، ص ٥٨.

من جانب آخر تظهر وظيفة المؤسسات التربوية والتعليمية في ترويض العقول على هذه الوظيفة: (وظيفة الفكر السابقة الذكر) في ظل الاختلاف مع الآخر، وأن العملية التربوية والتعليمية تلتزم الحرص على النتائج المتوخاة، وربما تظهر المشكلة في تشكيل "الإنسان الخطأ"، والذي ينتج المسالك والمواقف الخطأ وهو بهذا لا يقل خطورة عن الفتوى في أمور الدين من رؤوس جاهلة، تفتي بغير علم، فتضل وتضل"<sup>(١)</sup>.

إن عملية تشكّل الإنسان الخطأ تعنى بها البلدان العربية والإسلامية، ربما انطلقت ابتداءً في تجنب هذه الكارثة الفكرية من إعادة تشكيل العقل المسلم، حين فقد دعامتي النجاح والتفوق في العصور الأولى وهما التأمّل في الوجود واكتشاف أسرارهِ، والتأمّل في الكتاب المسطور والتمسك بحقائقهِ، إن ضياع العقل المسلم والدعوة إلى إعادة تشكيلهِ وصياغته لا يجب استصغار حجمها، بل هي من الخطورة بمكان، إذ إنَّ فقدان هاتين الدعامتين جعل العقل في استعداد تام لاستقبال الدخيل، وتقبُّل تبني ما يمليه من أفكار، ولو حافظ العقل على هذا الموروث الأصيل لما وصل إلى درجة تكفير الغير ربما باسم الإسلام أحياناً، ولعله بهذه المأساة الفكرية يُطالبُ ببعدين أساسيين: "تصحيح التصور عن طريق القدرة على ربط المسارات الإسلامية ورؤيتها متكاملة ومتواصلة، لا يصطدم بعضها ببعض، ثم تخليص العقل من النظرة الجزئية للمسائل"<sup>(٢)</sup> خاصة وأنَّ الرسالة الدعوية والحضارية للعقل المسلم لا تقف عند حد، لكنها تتعطل في ظل التعامل التقليدي والظاهري مع النصوص.

(١) عمر عبيد حسنة، المرجع السابق، ص ٥٤.

(٢) عماد الدين خليل، حول تشكيل العقل المسلم، الإتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الإسلامية،

الكويت، ط٤ ١٤١٢هـ، ١٩٩١م، ص ١٧.

ليس أدلّ من حرص النخبة المثقفة في البلدان العربية من خلال كتابات الفكر الإسلامي، "على قضايا إصلاح المناهج العقلية، وبناء الشوكة الفكرية، وهي في نظرهم سبيل للتعايش السلمي بين الأفكار، بل هي خدمة جليّة للإسلام، يقول طه جابر العلواني بهذا الصدد: "أن إصلاح المناهج العقلية يشكل الرحم والمحضن الذي تتشكل في داخله الأجنة الحضارية القادرة على استئناف الحياة الإسلامية، وبناء الحضارة الإنسانية"<sup>(١)</sup>.

بل يؤكد العلواني على أنّ الدخيل الأجنبي على المؤسسات التعليمية كان الأقوى في صياغته، وقواعده مقارنة بالردود والانتقادات، فيقول: "وعلى المستوى الفكري يواجه الطالب الجامعي في العالم الإسلامي العقائد والفلسفات الغربية التي تُقدّم له بشكل مؤسس مدروس، وغالبا ما يكون نقدها بدفاع هزيل يائس"<sup>(٢)</sup> ولا شك أنّ هذا من دواعي تفوق أولئك بباطلهم، دون تفوق هؤلاء بحقهم.

من جانب آخر فإنّ الحديث عن استئناف الحياة الإسلامية - مقارنة بمسؤولية المؤسسات التربوية والتعليمية إزاء الإنسان - هو حديث عن التنشئة والتربية الإسلامية التي تؤدي فيها الأسرة دورا فعّالا، بل تمتدّ إلى جميع جوانب الحياة إذ "تشير أكثر استخدامات هذا المصطلح عموماً إلى التنشئة، والتدريب الفكري والأخلاقي، وتطوير القوى العقلية والأخلاقية وبخاصة عن طريق التلقين المنظم سواء في الأسرة أو في منظمات أخرى تتولى عملية التربية طوال اليوم"<sup>(٣)</sup> فالتربية قاسم مشترك بين جميع الهيئات الفاعلة، إذا انطلق منها

(١) طه جابر العلواني، المرجع نفسه، ص ٥.

(٢) المرجع نفسه، ص ٨٥.

(٣) سارة صالح عيادة الخمشي، دور التربية الأسرية في حماية الأبناء من الإرهاب، المؤتمر العالمي لموقف الإسلام من الإرهاب، كلية الخدمة الاجتماعية، السعودية، ٢٠٠٠م، ص ٣.

الإنسان من أساس متين، وصل إلى المؤسسات التربوية والتعليمية بأمان. يمكن الإعلان بشيء من الاطمئنان أن ظاهرة التكفير في المؤسسات التربوية والتعليمية في ظل غياب هذه القاعدة لا تخدم الإسلام في شيء، بل إن الإسلام في أصوله وفروعه يركز على جلب الآخر مهما كان نمط التوجه، ثم العمل على الهداية والدعوة بالتي هي أحسن، ولنا في التعامل النبوي والصحابة عليهم الرضوان القدوة الحسنة في هذا المجال خاصة مع اليهود، وقد تواترت الراوية عن النبي - ﷺ - أنه توفي ودرعه مرهونة عند يهودي، وهو من أتم أنواع التعامل الأخلاقي في شخصية النبي - ﷺ - حينما يربي أمته.

### دواعي التكفير في المؤسسات التعليمية وواجب النخبة في البلدان العربية تجاهه:

تنطلق الحياة العلمية من المرحلة التربوية إلى المرحلة التعليمية، وهي المرحلة الكفيلة بفتح مجال الاجتهاد على مصرعيه، وربما تبدو الجامعة أكثر رحابة في هذا المجال، كما لا يخفى ما يظهر فيها من استعلاء لدى نزيسر من الطلبة حين يغتر بعضهم بحروف يحفظها، وقد تنتقل العدوى العلمية إلى طبقة الأساتذة، وهذا لا يضمن عدم وجود انتصار مجموعة من الطلبة إلى أستاذهم، ويظل الأمر محموداً ما لم يتجاوز هذا الانتصار حد الأدلة الشرعية والعلمية، خاصة مع اختلاف وتفاوت الكفاءات التي منحها الله تعالى لكل شخص، لكنه يبدو مذموماً إذا تعلق بعقيدة الناس مساساً، الواجب في هذه الظروف في ظل البحث العلمي هو تبيين خطأ المخطئ، وتصويب المصيب دون الوصول إلى حد إخراج المخطئ من الملة، لقد شهدت الجامعات العربية العديد من هذه التجارب، والعدل كل العدل أن يُسند عمل المخطئ أو آراؤه إلى أهل العلم فهم ورثة الأنبياء، وهم الأدرى بفقهِ الاستتابة قبل الحكم، وليس من العدل أن يكون الخطأ سبباً في التكفير كما يشير إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض الحديث عن العلماء حين يقول: "فإن بعض العلماء قد يتكلم في مسألة

باجتهاده فيخطئ فيها فلا يكفر"<sup>(١)</sup>.

ومع ذلك فإن الانحراف في التفكير أمر وارد في ظل الاستقطاب الفكري والثقافات الواردة والدخيل الأجنبي، فيكون بذلك الإصلاح الفكري واجب إذا انحرف المفكر في بعض آرائه بعد واجب الاستتابة، لأن الاختلاف مع الآخر حتى في فروع الشرعيات وارد، ولذا فإن الدول العربية في ظل مشروع التنمية العربية ألحت على ضرورة فهم العلاقة الوطيدة بين الدين والدنيا والعلم، وهذا ما أشار إليه تقرير التنمية الإنسانية العربية حين وردت الصياغة التالية: "لاشك أن علاقة الدين بالمعرفة، وإنتاجها ترتبط ارتباطاً عضوياً بالمفهوم الذي يتحدد عن ماهية الدين، وموقفه الشامل من الدنيا، وفي النصوص الدينية الإسلامية تتبين حالة من التوازن المنشود بين الدين وبين الدنيا، لكننا نشهد - أيضاً - تشديداً عظيماً"<sup>(٢)</sup> على أهمية مفاهيم النظر والاعتبار والتفكير والعلم والعقل والتعقل، وعلى ما يتعلق باستخلاف الإنسان في الأرض وضرورة إعمارها للدنيا والنظر في ملكوت السموات والأرض وتسخير الكون لخير الإنسان"<sup>(٣)</sup>.

فالعلاقة بين الدين والدنيا والعلم تنضبط بما يمجد المعرفة، لكنه لا يتعدى حدود الدين إذ هو الأصل في كل شيء، وواجب على العاملين في حقل العمل الإسلامي إدراك هذه الحقيقة، ليتمكنوا من تخليص الأمة مما علق بها من شوائب فكرية لا تخدم الإسلام في شيء، وهو عمل جليل يتطلب تضامراً في الجهود يمجّد التنافس المحمود وينبذ المذموم، "بل بتجاوز التناول العقدي

(١) ابن تيمية، كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، مكتبة ابن تيمية، ج٣٥، ص ٩٩.

(٢) يفهم من لفظة التشديد الحرص على التفكير والتدبر.

(٣) تقرير التنمية الإنسانية العربية، ٢٠٠٣، المكتب الإقليمي للدول العربية، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، ص ١١٨.

الذي ينزلق إلى الحكم بالتكفير سواء للمجتمع أم للأفراد، أو المذاهب، ويتجاوز التناول الفقهي والطائفي الذي يؤدي إلى الصراع والعنف مع سائر الفئات"<sup>(١)</sup>.

### ميثاق أخلاقيات مهنة التعليم في التجربة العربية عموماً والجزائرية خصوصاً:

يؤكد ميثاق الجامعة الجزائرية المقرر في أفريل ٢٠١٠م في ظل النمو المعتبر في انتشار الجامعات والمراكز الجامعية، وبعد اجتماع الأسرة الجامعية على الغرض المقرر في صياغة الميثاق وهو: "إقرار سلوكيات وممارسات جامعية مثلى في مجالي آداب المهنة وأخلاقياتها، ومحاربة ما يلحقها من انحرافات"<sup>(٢)</sup> ولا يمكن بأي حجة إقصاء ظاهرة التكفير من ممنوعات هذا الميثاق، فظاهرة التكفير لا يختلف اثنان في كونها انحراف فكري محض خاصة إذا كان بدون مصوغ.

### في دراسة تحليلية بسيطة لبعض مواد هذا الميثاق يتضح بجلاء تأكيد هذا الميثاق على استبعاد ما يؤدي إلى الإنحرافات الفكرية ومنها"<sup>(٣)</sup>:

"النزاهة والإخلاص: ويعني رفض الفساد بجميع أشكاله": القراءة السريعة لهذه العبارة قد تشفع لحامل الفكر التكفيري على اعتبار الشذوذ الفكري أو الخروج عن الدين (في حدود تصور الشخص) فساد فكري يوجب التكفير، لكنه قد يتناسى أن التكفير بدون الضوابط الشرعية هو فساد في حد ذاته، خاصة وأن الميثاق يحدد رفض الفساد في النفس قبل الغير.

"الحرية الأكاديمية: في ظل احترام الغير، والتحلي بالضمير المهني، والتعبير عن الآراء النقدية بدون رقابة أو إكراه" والتكفير بأي حال من الأحوال هو

(١) طه جابر العلواني، ص ٥٨.

(٢) وزارة التعليم العالي، ميثاق الأخلاقيات والآداب الجامعية، أفريل ٢٠١٠، ص ٢.

(٣) الميثاق، ص ص ٢، ٣.

خرق ظاهر لاحترام الغير، ومن الإنصاف الإقرار أن الحرية الأكاديمية وانعدام الرقابة والإكراه لا تبرر التعدي على المقدسات والشعائر الإسلامية، إنما الغرض هو الاختلاف في الرأي بالقدر الذي يحافظ على الشعائر الإسلامية، وإنما كان الخلاف بين العلماء أمر محمود.

**الاحترام المتبادل:** في إطار نبذ العنف الرمزي والمهني واللفظي "ولاشك أن ظاهرة التكفير تندرج حتما تحت إحدى هذه الأشكال. ربما الحاجة إلى تحديدها ليست ملحة، لكن النظرة الأولية قد تجعلها ضمن العنف اللفظي. وجوب التقيد بالحقيقة العلمية والموضوعية والفكر النقدي: وهما مبدآن أساسان لا يشفعان للتكفير كظاهرة يمكن وصفها بالمرضية، في ظل غياب المبررات الكافية، وإن الحقيقة العلمية لا تشفع في تعدي الحدود الشرعية، بل إن الوصول إلى الحقيقة العلمية مبدأها الأساس هو التوفيق الرباني، ولا يمكن أن يوفق الله - تعالى - إلى حقيقة في أصلها تعدي على حدود الشرع، حتى لا تُعطى الفرصة أصلا لتكفير صاحب الحق، أما الفكر النقدي ففي ضوء ما أقره الإسلام في مخالفة الآخر في الرأي، مع الالتزام بالمقومات الفكرية التي تضمن حدا معتبرا من التماسك الاجتماعي، في هذا الإطار يقول محمد عبيد حسنة: "على الرغم من وجود مقومات ومكونات الفلسفة التربوية الكاملة والمتكاملة في الإسلام، بكتابه وسنته، ووجود الأبنية الفكرية التربوية في نطاق العقيدة، والعبادة، والمعاملة، والسلوك، والأخلاق، والفكر، والمعرفة، فإن المطلوب من الوسائل التربوية، أو الآليات التربوية هو: التأصيل لكيفية إحداث التفاعل، لإعادة بناء النسيج الاجتماعي للأمة في ضوء ذلك"<sup>(١)</sup>.

(١) عمر عبيد حسنة، مراجعات في الفكر والحركة والدعوة، ص ٦٣.



إذا كان من المحمود شرعا أن يُتَمَنَّ التعاون والتبادل بين الدول العربية في مجالات التنمية، وكان الإصلاح بكل أشكاله مطلوباً في ظل السبق في التجارب وتوفر الإمكانيات، فالتجربة في المملكة العربية السعودية تؤكد من خلال ميثاق أخلاقيات مهنة التعليم: "على أن سمو مهنة التعليم ورفعها يكمن في مضمونها الأخلاقي الذي يحدد مسارها المسلكي، ونتائجها التربوية والتعليمية، وعائدها على الفرد والمجتمع والإنسانية جمعاء"<sup>(١)</sup>، ويحرص الميثاق على تعريف أخلاقيات مهنة التعليم ب: "السجايا الحميدة، والسلوكيات الفاضلة التي يتعين أن يتحلى بها العاملون في حقل التعليم العام فكرا وسلوكا أمام الله، ثم أمام ولاية الأمور، وأمام أنفسهم، والآخريين، وترتب عليهم واجبات أخلاقية"<sup>(٢)</sup>.

**من المفيد أن نذكر بعض هذه المواد التي نص عليها الميثاق والتي تفيد بكل دقة ووضوح ما يجب أن يكون عليه رائد مهنة التعليم، وما ينبغي أن يلتزم به ويبعده عن كل معاني الانحرافات الفكرية:**

- المعلم مثال للمسلم المعتز بدينه المتأسى برسول الله - ﷺ - في جميع أقواله وأفعاله وسطيا في تعاملاته وأحكامه
- يسهم المعلم في ترسيخ مفهوم المواطنة لدى الطلاب، وغرس أهمية مبدأ الاعتدال والتسامح والتعايش بعيدا عن الغلو والتطرف.
- المعلم أنموذج للحكمة والرفق، يمارسهما، ويأمر بهما، ويتجنب العنف وينهى عنه، ويعود طلابه على التفكير السليم والحوار البناء، وحسن الاستماع إلى آراء الآخرين.

(١) وزارة التربية والتعليم، ميثاق أخلاقيات مهنة التعليم، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م، ص ٤.

(٢) الميثاق، ص ٥.

## استجابة برامج الإصلاح لمواصفات المعلم القدوة:

أنتج هاجس انتشار الانحرافات الفكرية في المؤسسات التعليمية والتربوية رغبة لدى القائمين بإعادة النظر في الصياغة المعتدلة لبعض قوانين المؤسسات، حرصت التجربة الجزائرية تبعاً للضمير العربي والإسلامي على هذه الصياغة في مواد ميثاق الجامعة السابق الذكر، وأولت جانباً مهماً إلى طرفين أساسيين في المؤسسة التعليمية يبين حقوق والتزامات كل طرف، فعلى مستوى المعلم أقر الميثاق ما يلي:

- الاجتهاد من أجل الامتثال ما أمكن للمعايير العليا في ممارسة نشاطه المهني.
- على فقهية مصطلح الاجتهاد إلا أن حدوده لا تتجاوز حد الضمير المهني إلى حد النصوص الشرعية، ورعاية مبدأ التخصص وإن حدث هذا فهو من أخطاء الفهم.
- عدم التعسف في استعمال السلطة التي تمنحه إياها مهنته: إذا سُمح لهذا الموضوع أن يوسع النظرة، فالفكر سلطة يستغلها متى شاء في الترويج لفكر معين، خاصة إذا امتلك صاحبها حججاً على زيفها إلا أنها تبدو صحيحة، مما يحيل على الانخداع بالضرورة.
- الامتناع عن تسخير الجامعة لأغراض شخصية: ظاهرة التكفير من هذا المنظور قد لا تظهر إلى العيان، وقد تسود في الوسط التعليمي دون علم الهيئات القائمة، وباعتبار التكفير يمثل استجابة لدوافع شخصية أحياناً<sup>(1)</sup> يمكن عدها قضية جزئية من عموم هذه المادة.
- التصرف كمحترف في التربية عن طريق الاطلاع على المستجدات والسهر

(1) من الدوافع الشخصية: الاختلاف في الرأي، ابتغاء الشهرة، .....

على التحيين المتواصل لمعارفه، والقيام بالتقييم الذاتي مع البرهنة على الحس النقدي، والاستقلالية، والدراية التامة بتحمل المسؤولية.

■ القيام بالتدريس والبحث تماشياً مع المعايير الأدبية والمهنية العالمية بعيداً عن جميع أشكال الدعاية والاستمالة المذهبية. تُلامس هذه المادة ظاهرة التكفير بقوة، خاصة إذا خالفت المهنة الثقافة الإسلامية المنشودة، تظل المعايير الأدبية محصورة في النطاق المؤسساتي والتربوي، وهي أشد حرصاً على التماسك المنهجي والأكاديمي بين الفئات المتعلمة، لكن المهنية العالمية تمنع استصدار الأفكار الأجنبية بما يخدم التوجه المذهبي، تُفضي هذه المهنة في جزء منها التتبيه إلى الجامعات الأوربية في ظل احترام التوجه الفكري من دون التعريض أو الإشادة.

#### المواصفات الأخلاقية في مهنة التعليم:

تشير من جهة أخرى الدراسات الحديثة في مجال التربية والتعليم إلى الجانب الإسلامي في شخصية المعلم، تفضل بعضها ترويض هذه الشخصية بين المواصفات التالية:

■ المواصفات الإيمانية<sup>(١)</sup>: وتشمل الثقة بالله في ما شرع لعباده، الصدق، العدل، الصبر، الأمانة، التنزه عن الشبهات، الإفتاء – إن تسنى له ذلك – في حدود الضوابط الشرعية.

■ المواصفات الشخصية<sup>(٢)</sup>: ونشمل حسن المظهر، الحلم، والعفو عند المقدرة، الشجاعة العلمية، الرفق، واللين، التواضع.

(١) عاطف سالم أبو نمر، مواصفات المعلم القدوة في ضوء التربية الإسلامي ومدى تمثلها لدى أعضاء هيئة التدريس في كليات التربية من وجهة نظر طلبتهم، رسالة ماجستير، قسم أصول التربية بالجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠٠٧/٢٠٠٨م، ص ٤٩.

(٢) المرجع نفسه، ص ٥٩.

■ المواصفات المهنية<sup>(١)</sup>: وتشمل سعة الأفق والاطلاع، إدراك طبائع المتعلمين، أعمال العقل بدون تعسف، مراعاة الفروق الفردية، التدرج في تقديم المعلومات، الاعتدال في إثابة الطلاب وعقابهم، التمكن من المادة العلمية، الإمام بالثقافة العامة وثقافة المجتمع.

### استجابة برامج الإصلاح لمواصفات المتعلم المرجو:

أدرك القائمون في مجال التربية والتعليم أن الخطاب التعليمي في المراحل المتقدمة للتعليم هو بذرة للسابق منها، حتى إذا اقتنع بالفكر التكفيري باعتباره انحرافا فكريا محضا فإنما مرده إلى نمط وطريقة التوجيه في التلقي منذ السنوات الأولى للتعليم، فإذا كانت طريقة الإلقاء صحيحة كانت طريقة التلقي صحيحة، وعليه يركز الإصلاح من هذا الجانب على إدراك المتلقي منذ المرحلة الأولى لأنواع الخطاب، ومثالها مادة اللغة العربية مثلا في السنة الثالثة من التعليم الابتدائي تعتمد في مقرر الإصلاح على أربع نقاط أساسية وهي: "استقبال المتعلم لخطاب شفوي وإدراك مدلوله، استقباله لخطاب كتابي وإدراك مدلوله، تحرير خطاب شفوي وإدراك مدلوله، تحرير خطاب كتابي وإدراك مدلوله"<sup>(٢)</sup>.

لا حرج من الجانب العلمي أن تُعدَّ ظاهرة التكفير استجابة محضة لأحد أنواع الخطاب هذه، يؤدي التسرع والحماسة - عادة - دورا بارزا في إطلاق عنان الأحكام، ويفترض أن عملية ترويض الطالب على التلقي الصحيح يقلل من نسبة الانحراف الفكري.

### ظاهرة التكفير وعقلنة الجماعة المدرسية:

مفهوم الجماعة المدرسية: "هي مجموعة من الطلاب لهم ميول مشتركة،

(١) المرجع السابق، ص ٦٧.

(٢) موقع وزارة التربية الوطنية الجزائرية.

وهويات واحدة، ويشتركون معا في نشاط معين يهدف إلى إشباع هذه الميول<sup>(١)</sup>، الصياغة التعريفية من الناحية العلمية الأكاديمية توحى بالإيجابية، ربما تتمكن هذه الجماعة من تحقيق مكانة معتبرة في مستقبل الدولة، والتعليم حتما جزء من تخطيطها الشامل، إذا لم تتعد ميولهم إظهارها العلمي، لكنها إذا انقلبت إلى جماعة فكرية أو مذهبية أو حزبية أو سياسية حام الخطر على المؤسسة التعليمية، وأضحى من الصعب ضبط هذه الميول.

يمكن اعتبار ظاهرة التكفير إحدى أهم الانحرافات الفكرية استهدافا من طرف الجماعة المدرسية، - إذا فقدت الهدف العلمي -، وهذا ما يؤكد ضرورة متابعة برنامج الإصلاح منذ السنوات الأولى، ومع الموازنة بين المسيرة الإسلامية وتطور الفكر يمكن ضمان اعتدال فكري لدى هذه الجماعة، وتكون رعاية هذه الجماعة مطلوبة بالتأكيد على الأصول الإسلامية والتشبت بالتحولات<sup>(٢)</sup> التالية:

■ النقلة التصورية الاعتقادية: تشكل هذه النقلة أهم مرحلة في حياة الإنسان، لا لحسنة الابتداء بها، بل لأن الله - عز وجل - تحدت عنها في القرآن حين قال: ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْبَاقِيَ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ الَّذِي بَدَأَ بِكُمْ وَلِيَدْلَأَ بِنُورِهِمْ سَبِيلًا﴾<sup>(٣)</sup>، وقال: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾<sup>(٤)</sup> وغيرها في هذا المقام كثير، وبهذا الخطاب يعمل المخاطبون به على إدراك أهمية الوجود بين التصور الصحيح والاعتقاد السليم، بل يعمل الاعتقاد على تصويب التصور حين تزلُّ به القدم، ترسيخ

(١) محمد سلامة محمد غباري، الخدمة الاجتماعية المدرسية، المكتب الجامعي الحديث، مصر، ١٩٨٩، ص ١٧٢.

(٢) عماد الدين خليل، المرجع السابق، ص ٤٧.

(٣) سورة إبراهيم الآية ١.

(٤) سورة الأحزاب الآية ٤٣.

هذه القدم يبدأ حتماً من السنوات البكر في التعليم.

■ النقلة المعرفية: تعتمد هذه المرحلة على تصميم العقل الواعي بواقعية قوله - تعالى -: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾<sup>(١)</sup>، ليس من باب الصدفة أن تخاطب العقول بالقراءة ابتداءً، لكنها إشارة عظيمة إلى مدى الحرص القرآني على التهيئة الإنسانية لإدراك الوجود، بل إلى أساس العلم في الحياة البشرية، ومع تعدد نمط الخطاب القرآني في طلب التدبر والتفكير من مثل قوله - تعالى -: ﴿ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا ﴾<sup>(٣)</sup> وقوله: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾<sup>(٤)</sup> كلها وغيرها كثير إنما هي "لإلزام العقل المسلم بالإيمان بضرورة التحول، والتشكّل؛ كي يتلاءم مع التوجه المعرفي الذي أراده الإسلام"<sup>(٥)</sup>.

■ النقلة المنهجية: العبث في حياة الإنسان الفكرية إنما هو لانعدام المنهج مهما كان نمطه، فتقويمها وضبطها لا يتحقق إلا به، وعليه فالجنوح الفكري يتحقق إما لعدم وجوده أصلاً (المنهج)، أو لعدم كونه على كتاب الله - عز وجل - وسنة نبيه - ﷺ -، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾<sup>(٦)</sup> وفي الحديث المروي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهم (ما تمسكن بهما) كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا على

(١) سورة العلق الآية ١.

(٢) سورة ق الآية ٤٥.

(٣) سورة الكهف الآية ٥٧.

(٤) سورة ص الآية ٢٩.

(٥) عماد الدين خليل، المرجع السابق، ص ٥٦.

(٦) سورة آل عمران الآية ٨٥.

الحوض). أخرجهُ مالكُ مرسلًا والحاكمُ مسندًا وصححه<sup>(١)</sup>.  
أو لتطرف ظاهرٍ في تأويل النصوص على غير مراد الله - تعالى -، ومنه  
فعملية البحث عن المنهج تتطلب وقتًا طويلاً يمر بالمرحلتين السابقتين، وحينها  
سيجد منهجًا واحدًا كله حق وعدل وهو منهج السلف عليهم الرضوان، المتزن  
إذ لا إفراط ولا تفريط، يقول الشيخ العلامة د. صالح بن فوزان الفوزان: "   
هناك من يدعي أنه على مذهب السلف لكن يخالفهم، يغلُو ويَزيد، ويخرج  
عن طريقة السلف، ومنهم من يدعي أنه على مذهب السلف ويتساهل،  
ويضيع، ويكتفي بالانتساب. الذي على منهج السلف يعتدل، ويستقيم بين  
الإفراط والتفريط، هذه طريقة السلف لا غلو ولا تساهل"<sup>(٢)</sup>، ولهذا قال الله -  
تعالى -: ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ  
بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ  
خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾<sup>(٣)</sup>، والشاهد في قوله - تعالى -  
﴿ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ ﴾.

### الواجب الدعوي بين مؤسسات الدولة:

اشتركت مؤسسات التربية والتعليم في تكوين المجتمع في جميع نواحي  
الحياة، وهي مسؤولة تكفل بقوة وتدعم مناحي التنمية المنشودة، يتطلب  
الواجب الدعوي اهتمامًا خاصًا بمقتضى وجوبه يتعدى المؤسسة الدينية إلى  
مختلف المؤسسات، إذ يمكن أن تتوفر الحكمة والموعظة الحسنة في أرباب  
مؤسسات الإنتاج وهياكل الدولة الأخرى، قال - تعالى -: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ

(١) محمد ناصر الدين الألباني، الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام، ج ١، ص ٣٢.

(٢) عبد العزيز بن سريان العصيمي، كشف الحقائق الخفية عند مدعي السلفية، دار الطرفين للنشر  
والتوزيع، الطائف ط ١٤٢٩ هـ، ص ١٥.

(٣) سورة التوبة الآية ١٠٠.

رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ  
بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١﴾ .

وقال: ﴿ فِيمَا رَحِمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا  
مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ (٢) .

اتخذ مشروع الإصلاح الفكري في البلدان العربية بعدا واقعيا من خلال  
الحرص على تكوين "مجتمع المعرفة عن طريق إصلاح بيئة التعليم والتي مع  
ضرورة تمييزها بالمرونة، ومواكبة احتياجات اكتساب المعرفة والتنمية، فهي  
مسؤولة عن توثيق الصلة بين مؤسسات التعليم وبين النشاط الاجتماعي" (٣) بل  
بين مؤسسات التعليم والتربية وبين المجتمع المدني وبين القطاع الخاص.

الحق أن عملية التنمية الشاملة تشترك فيها جميع الهياكل الفاعلة في  
الدولة، ربما لا يتطلب نجاحها التكثيف في إنشائها وتشبيدها، بقدر ما  
يتطلب إخلاصا عاما، تشكل هذه المؤسسات في مجموعها فيما فيها قطاع  
التربية والتعليم هيكلية التخطيط الشامل للدولة، فالتربية والتعليم يعدان  
كذلك قطاعا منتجا للموارد البشرية، إذا سُمح لهذه المداخل أن تعتبر الواجب  
الدعوي عاملا مشتركا بين مختلف القطاعات، تؤدي فيه المؤسسات التربوية  
والتعليمية دورا فاعلا خاصة وأن وظائفها في العصر الحالي على ثلاثة  
وظائف: "التدريس، البحث العلمي، خدمة المجتمع" (٤)، تعمل الوظيفة الأولى  
والثانية على تشكيل العقل، وتتكفل الوظيفة الثالثة بتسخير هذا العقل

(١) سورة النحل الآية ١٢٥ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٥٩ .

(٣) التقرير ص ١٦٧ .

(٤) ربيع عبد الرؤوف محمد عامر، مقترح لتطوير العلاقة بين البحث العلمي بالجامعات ومؤسسات  
الإنتاج، أعمال المؤتمر الثاني لتخطيط وتطوير التعليم والبحث العلمي في الدول العربية، الظهران،  
٢٠٠٨، ج ٢، ص ٦٢٧ .



وتصديره لهذه المؤسسات للإفادة من الخبرات، نوعية هذه الخبرات تبقى مسألة أكيدة في ظل تثنين التخصصات، لكنه مُلزم بأخلاقيات لا يجب تعديها، وهو ما سبق تسميته بالعقل المسلم، ليؤدي دورا بارزا داخل هذه المؤسسات على نحو:

- الحرص على عدم تبديد المال العام
- الحرص على احترام أفكار وآراء زملاء العمل
- الحرص على مصلحة المؤسسة العامة.
- المساهمة قدر المستطاع على التكافل بين عمال القطاع

فظاهرة التكفير لا تنفك جزءا مهما من عموم هذه الأخلاقيات، بل إن هذه المؤسسات عرضة لهذا النمط التفكيرى في ظل فقه المعاملات، لذا يُجددُ التأكيد على دور المؤسسات التعليمية في تصدير الفكر المعتدل والفعال والواعي بحدود التعاملات الإسلامية تيمنا بكتاب الله تعالى والسنة النبوية الشريفة، ويبقى الاحتمال قائما في التصرفات المالية التي قد ينجرُ خلف تنزيلها على مسائل الشرع الكثير، وهذا إن حدث فهو بحاجة إلى صياغة تجمع بين أمرين:

- الرؤية الشرعية بما يراعى التنزيل المقاصدي والأصولي.
- رعاية المصلحة العامة للدولة بما يوافق الرؤية الشرعية.

أمام مسؤولية التربية والتعليم في تصدير النخبة إلى المجتمع، تكتسي ظاهرة التكفير أهمية خاصة، إذ يفرض تنوع الفئات المتعلمة بين إمام وأستاذ في المرحلة الإعدادية أو الثانوية أو الجامعية، أو دور الإرشاد الديني والدعوة، أو الجمعيات الإسلامية والدعوية أو الوظائف الإدارية التي تشبّع أصحابها بالمبادئ الإسلامية - تفرض كلها - اتزاناً مطلوباً في الشخصية، وفي نمط التفكير بقيادة العقل الواعي، ينعكس إيجاباً على جوانب الحياة الأخرى،

وهو أمر يؤكد الباحثون في مجال الأمن الفكري، في ذات الصدد يقول الطلاع "لا ريب أن تحقق الأمن الفكري لدى الفرد يؤمن تحققاً تلقائياً للأمن في الجوانب الأخرى كافة، ذلك لأن العقل هو مناط القيادة العليا الواعية المميزة لدى الإنسان وهو الجهة القيادية الموكلة بكل أصناف الأمن الآخر، فإذا صلحت هذه القيادة، صلح كل أفراد عائلة الأمن، وإذا فسدت فسدت كل أفراد عائلة الأمن"<sup>(١)</sup>.

تجدر الإشارة في هذا الصدد إلى حرص جامعات العلوم الإسلامية في الجزائر وعلى رأسها جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة على تبليغ هذه المعاني في شكل ندوات خاصة للمتخرجين، وهي بمثابة تهيئة مسبقة لما يجب أن يكونوا عليه في الحياة العملية، وأكد المحاضرون على أن غياب طالب العلم عن فقه الواقع يوقعه في مزالق فكرية إزاء أدائه لمهنته العملية ومسؤوليته الدعوية، فمهمة الإمامة مثلاً لا يُكتفى فيها بالكفاءة وحسن الخطابة فحسب، بل أمامها أخلاقيات أخرى منها:

- أن وظيفة الإمامة والخطابة المسجدية تفرض على طالب العلوم الشرعية عدم التقيد لدائرة التخصص، لأنها مؤسسة تمثل القاسم المشترك بين جميع مؤسسات المجتمع، مما يلزمه مستوى معرفي وشامل.
- العلم بمقاصد الشريعة التي تهدف إليها رسالة الإسلام القائم على جلب مصلحة الفرد والجماعة، وتغطية مصالح الدنيا والآخرة.
- الحنكة الدينية في تنزيل نصوص الشرع وأحكامه بما يتماشى مع

(١) أمل محمد أحمد عبد الله محمد نور، مفهوم الأمن الفكري في الإسلام وتطبيقاته التربوية، رسالة ماجستير، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، مكة المكرمة، ١٤٢٧هـ، ١٤٢٨هـ، ص ١٣.

علاقات وأعراف ومؤسسات المجتمع"<sup>(١)</sup>.

هذه بعض التصورات لتسديد طريق الإمامة المسجدية والخطابة في أوساط المتخرجين من الجامعات الإسلامية.

### تصورات نظرية لمحاربة ظاهرة التكفير في المؤسسات التعليمية والتربوية:

التكفير ظاهرة مرضية في الأوساط المدنية، تتحمل النخبة المتعلمة والمتقنة مسؤولية علاجها، عن طريق تصحيح التصور العام الشائع كأحد أنماط الإصلاح الفكري، فما ينخدع به العوام على وجه القناعة يحتاج إلى وقت من أجل تركه والتخلي عنه.

على المؤسسات التعليمية والتربوية أن تُبارك مبدأ التواصل بين البرامج والمناهج، مما يثمن إضافة متعلقة بالإصلاح والأمن الفكري، وزيادة مواد تُدرج في المواثيق العملية.

الإكثار من عقد الملتقيات والندوات في مختلف البلدان العربية والإسلامية لتشخيص الداء ووصف الدواء، بكل ما تعلق بالانحرافات الفكرية، وهو أحد عوامل التواصل الفكري، وبها يمكن تجميع مختلف التصورات، وتحديد علاجات تؤمن الفكر وتصلح العقيدة.

النهوض الحضاري وسيلة للوصول إلى غاية الدعوة إلى الله - تعالى - والتي هي أحسن، والمواكبة العصرية للمؤسسات التربوية والتعليمية أمر مطلوب، وهي كفيلة بتحقيق النهوض المنشود، وكبح جماع الفكر المقيد المتسارع في إطلاق الأحكام دون مراعاة الحال، كما تعمل على: إرساء قواعد الإصلاح الفكري بما يساعد في النهوض ويخدم الإسلام.

من غايات الإسلام الكبرى تكوين العقل المسلم، ثم تشكيل الإنسان

(١) رمضان يخلف، الخطابة المسجدية بين الواجب المهني والوعي الرسالي، أعمال الندوة التكوينية لطلبة السنة الرابعة، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، أبريل ٢٠٠٢، ص ٧.



الصحيح واستبعاد الإنسان الخطأ، كله في ضوء العقيدة الإسلامية، وهي عملية تؤدي فيها المؤسسات والمعاهد التربوية والتعليمية دورا بارزا في تحقيق عملية الإصلاح الفكري المنشود.

معالجة ظاهرة التكفير في المؤسسات التعليمية يكون في إطارها الأكاديمي ويشترك فيه المنهج مع المؤسسة والأستاذ والطالب على حد سواء، وبهم جميعا يمكن بناء نسق إسلامي معرّف في صوب المسلم إذا أخطأ، ويقبل الآخر بأخطائه أولا، ثم العمل على هدايته ثانيا، وهو المنهج الذي به يكثر سواد المسلمين بدلا عن الإقصاء بفاعل مسارعة الأحكام، فهي معادية للإصلاح.

## الخاتمة

إذا سُمح لهذه المداخلة أن تشير إلى متطلبات العصر في تطوير التفكير مع مراعاة التصور الإسلامي لقضايا الشرع والفكر، ومع ما سبقت الإشارة إليه من حذر الفكر حال خطؤه وإلا فوجئنا بالإنسان الخطأ، فإنَّ الإنجاز الحضاري ليس هدفاً نهائياً<sup>(١)</sup>، بل الدعوة إلى الإسلام والتي هي أحسن هي أسمى مهمة بعد العبادة وُجدت من أجلها البشر، ومن الواجب على جموع المسلمين تمييز الحق من الباطل، لكنه في ذات الوقت تُعدُّ خسارة كبيرة كل محاولة إصلاح نجم عنها نفور من الدين بإطلاق، وفي المجتمع الإسلامي الأول تربية خالصة للنفوس، وتعاليم وتوجيهات نبوية لأخطاء وقع فيها الصحابة - عليهم الرضوان - بسبب تقدير لم يكن في محله، "عن أسامة بن زيد<sup>(٢)</sup> قال: بعثنا رسول الله - ﷺ - إلى أناس من جهينة<sup>(٣)</sup> فأتيت على رجل<sup>(٤)</sup> منهم فذهبت

(١) خليل عماد الدين، المرجع السابق، ص ١٥٨.

(٢) أسامة بن زيد ابن حارثة بن شراحيل بن عبدالعزيز بن امرئ القيس، المولى الأمير الكبير حب رسول الله ﷺ، ومولاه، وابن مولاه. أبو زيد، ويقال: أبو محمد، ويقال: أبو حارثة، وقيل: أبو يزيد. استعمله النبي ﷺ على جيش لغزو الشام، وفي الجيش عمر والكبار؛ فلم يسر حتى توفي رسول الله ﷺ؛ فبادر الصديق ببعثهم، فأغاروا على أبنى، من ناحية البلقاء، مات بالمدينة وقيل: مات بوادي القرى. حدث عنه أبو هريرة، وابن عباس، وأبو وائل وابناه: حسن، ومحمد. "الذهبي، سير أعلام النبلاء، المكتبة التوقيفية، مصر، ترجمة رقم ٢٠٠، ج ٤، ص ١٠٦.

(٣) جُهَيْنَةُ: بلفظ التصغير وهو علم مرتجل في اسم أبي قبيلة من قُضاعة وسمي به. قرية كبيرة من نواحي الموصل على دجلة وهي أول منزل لمن يريد بغداد من الموصل وعندها مرج يقال له مرجُ جُهَيْنَةَ، باقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ١٩٩٣، ص ١٩٤.

(٤) هو مرداس بن نهيك الضمري وقيل بن عمرو وقيل إنه أسلمي وقيل غطفاني والأول أرجح ذكره بن عبد البر وغيره وقال أبو عمر في تفسير السدي وفي تفسير بن جريج عن عكرمة وفي تفسير سعيد بن أبي عروبة عن قتادة وقال غيرهم أيضاً لم يختلفوا في أن المقتول في قصة نهيك الذي ألقى السلام وقال إني مؤمن أنه رجل يسمى مرداسا، بن حجر العسقلاني الشافعي، الإصابة في تمييز الصحابة، دار الجيل - بيروت، ط ١، ١٤١٢ تحقيق: علي محمد البجاوي، ج ٦، ص ٧٤.

أطعنه فقال: لا إله إلا الله فطعنته فقتلته فجئت إلى النبي - ﷺ - فأخبرته فقال: " أقتلته وقد شهد أن لا إله إلا الله ؟ " قلت: يا رسول الله إنما فعل ذلك تعوذا قال: " فهلا شققت عن قلبه ؟ " (١) (متفق عليه) ، وبموجب هذه القصة أنزل الله تعالى قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعُودَ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (٢) .

بهذه الصورة أراد الإسلام أن يوجه تعاليمه للشعوب الإسلامية، وهل كان تصرف الصحابي الجليل أسامة بن زيد - رضي الله عنه - إلا لاعتقاده بقاء الرجل على أصل كفره، مما أجبره على تنفيذ أحكامه التبعية، ولو أقره النبي - ﷺ - على فعله لكان لعلمائنا الأجلاء في القضية قولاً آخر، إذ سنة النبي - ﷺ - تشريع لأمته.

لقد تعاقبت الأمراض على الأمة الإسلامية كتعاقب الأجيال، وفي أعدائها من لا يزيدنها إلا تشفياً، وأضحت في ظلِّ هشاشتها وضعف همَّتها بحاجة إلى مواثيق فكرية مستمدة من المجتمع الإسلامي الأول الذي عمل بقاعدة التصويب بدلا عن التكفير حتى فيما اختلفوا فيه، ومع كثرة الحركات (٣) الإسلامية ولعلها بطروحات فكرية ملائمة وسليمة ومتوازنة يمكنها تضيق مساحة الخلاف وتحويله من صراع إلى ففه يصل إلى حد جمع المتفرق تحت لواء واحد.

(١) محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي مشكاة المصابيح، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، ط ٣ - ١٤٠٥ - ١٩٨٥، ج ٢، ص ٢٨٥.

(٢) سورة النساء الآية ٩٤.

(٣) المقصود بالحركات كل مجموعة سلَّمت نيتها في خدمة العمل الإسلامي.

بات لزاما على دعوات النهوض الحضاري أن تتسلخ من الدخيل، وتعتمد على الكتاب والسنة إطلاقا، وعلى المؤسسات التعليمية والتربوية والدعوية والجمعيات الخيرية أن تُرسخ في أذهان الأجيال العقيدة الإسلامية التي أمرنا بها، وأن تبين بوضوح وجلاء ما ينجرُّ عن الانحرافات الفكرية عموماً، وعن التكفير خصوصا، ولعلها - هذه المؤسسات - المعول لدى المجتمع المدني في مواجهة تحديات العصر.

ويبقى التأكيد في الأخير أن عملية الإصلاح الفكري كما يخاطب بها المسلم يُعنى بها غيره، فالمسلم عن طريق تصحيح الاعتقاد والمفاهيم، وغير المسلم عن طريق الهداية والانطلاقة من السليم من الوهلة الأولى، وعليه فالمؤسسات التربوية والتعليمية تؤدي الدور المنوط بها في المجتمعات العربية والإسلامية بالنسبة للمسلمين، وكذا المجتمعات الغربية بالنسبة لغير المسلمين من أجل الانطلاقة السليمة.

## المصادر والمراجع

- القرآن الكريم:
- الحموي، باقوت، دار صادر، بيروت، ١٩٩٣، ص ١٩٤.
- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط١، ج٥، ص ٦٥.
- العسقلاني، بن حجر الشافعي، الإصابة في تمييز الصحابة، دار الجيل - بيروت، ط١، ١٤١٢ تحقيق: علي محمد البجاوي، ج٦.
- ابن فارس، أبي الحسين أحمد بن زكريا: مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، اتحاد الكتاب العرب، ١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٢ م، ج٤
- ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد، فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط٢.
- التبريزي، محمد بن عبد الله الخطيب مشكاة المصابيح، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، ط٣ - ١٤٠٥ - ١٩٨٥، ج٢.
- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق أنور الباز، عامر الجزار، دار الوفاء، ط٣، ١٤٢٦، ٢٠٠٥، ج١٣
- ابن تيمية، كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي ج٣٥
- الذهبي، شمس الدين، سير أعلام النبلاء، المكتبة التوقيفية، مصر، ج٤.
- الألباني محمد ناصر الدين، الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام، ج١.
- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، تحقيق مجمع اللغة العربية، ج١.
- حسنة عمر عبيد، مراجعات في الفكر والحركة والدعوة.
- يخلف رمضان، الخطابة المسجدية بين الواجب المهني والوعي الرسالي، أعمال الندوة التكوينية لطلبة السنة الرابعة، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، أفريل ٢٠٠٢.



- محمد عامر، ربيع عبد الرؤوف، مقترح لتطوير العلاقة بين البحث العلمي بالجامعات ومؤسسات الإنتاج، أعمال المؤتمر الثاني لتخطيط وتطوير التعليم والبحث العلمي في الدول العربية، الظهران، ٢٠٠٨، ج ٢.
- محمد نور، أمل محمد أحمد عبد الل، مفهوم الأمن الفكري في الإسلام وتطبيقاته التربوية، رسالة ماجستير، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، مكة المكرمة، ١٤٢٧هـ، ١٤٢٨هـ.
- بن نبي، مالك، الظاهرة القرآنية، دار الفكر، دمشق، دار الفكر، بيروت.
- سلطان، جمال، جذور الانحراف في الفكر الإسلامي الحديث، مركز الدراسات الإسلامية، بريطانيا، ط١، ١٤١٢، ١٩٩١
- العلواني، طه جابر، إصلاح الفكر الإسلامي بين القدرات والعقبات، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض، ط٢، ١٤١٤هـ، ١٤٩٤م.
- العفاني، سيد بن حسين، أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، دار ماجد عيري، السعودية، ج ١.
- العصيمي، عبد العزيز بن سريان، كشف الحقائق الخفية عند مدعي السلفية، دار الطرفين للنشر والتوزيع، الطائف ط ١٤٢٩ هـ.
- قريب الله حسن الفاتح، الحياة الفكرية في ضوء الفلسفة الإسلامية، مطبعة الأمانة، القاهرة، ٢٠٠١.
- شاولس، روبرت، التفكير المستقيم والتفكير الأعوج، ترجمة حسن سعيد الكرمي، عالم المعرفة، ١٩٧٩.
- التويجري، علي بن غازي، الإيضاح لما ورد في السنة والكتاب من مسائل الإصلاح.
- خليل، عماد الدين، حول تشكيل العقل المسلم، الإتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الإسلامية، الكويت، ط٤ ١٤١٢هـ، ١٩٩١م.
- الخمشي، سارة صالح عيادة دور التربية الأسرية في حماية الأبناء من الإرهاب، المؤتمر العالمي لموقف الإسلام من الإرهاب، كلية الخدمة

- الاجتماعية، السعودية، ٢٠٠٠.
- غباري محمد سلامة محمد، الخدمة الاجتماعية المدرسية، المكتب الجامعي الحديث، مصر، ١٩٨٩م.
- الوثائق والتقارير الرسمية:
- الوثيقة الرسمية لوزارة التعليم العالي والبحث العلمي، La refonte de l'enseignement supérieur المطبوعة الرسمية شارع بارك، الجزائر، ١٩٧١.
- تقرير التنمية الإنسانية العربية المكتب الإقليمي للدول العربية، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، ٢٠٠٣.
- وزارة التربية الوطنية الجزائرية، اللجنة الوطنية للمناهج، منهاج العلوم الإسلامية للسنة الثالثة ثانوي، جميع الشعب.
- وزارة التربية والتعليم، ميثاق أخلاقيات مهنة التعليم، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.
- وزارة التعليم العالي الجزائرية، ميثاق الأخلاقيات والآداب الجامعية، أفريل ٢٠١٠.

#### الرسائل الجامعية:

- أبو نمر، عاطف سالم، مواصفات المعلم القدوة في ضوء التربية الإسلامي ومدى تمثلها لدى أعضاء هيئة التدريس في كليات التربية من وجهة نظر طلبتهم، رسالة ماجستير، قسم أصول التربية بالجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠٠٧ - ٢٠٠٨.

#### المواقع الإلكترونية:

- موقع وزارة التربية الوطنية الجزائرية [www.meducation.edu.dz](http://www.meducation.edu.dz)



ظاهرة التكفير .. الأسباب والعلاج والآثار



## المسؤولية الأمنية للمعلم

د. محمد يحيى غيلان

أستاذ الفقه المقارن والدراسات القرنية بالمعهد

العالي بجامعة طيبة بالمدينة المنورة



مؤتمر ظاهرة التكفير .. الأسباب .. الآثار .. العلاج

## المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين..

وبعد:

فالشكر لله الذي هياً للأمة - عند النوازل الضارية - رجالا يسوسونها بهدي من الكتاب والسنة، وعلماء يبينون الصراط المستقيم، ويقومون بإرشاد الضال، وتعليم الجاهل، وبيان الشبه، ورفع راية الحق والدين. والشكر لولاة الأمر الذين ألهمهم الله - مع ما أعطاهم من القوة العسكرية والحنكة السياسية - الحكمة في مواجهة الفتن التي عنت داخلها وخارجيا، وأعطت كل قضية ما تستحقه من الإصلاح، وما هذه المؤتمرات التي تقام برعاية كريمة من ولاة الأمر حفظهم الله إلا شاهد عظيم على الجهود المبذولة في التصدي للانحرافات الفكرية وبيان أضرارها، وكيفية العلاج منها.

وظاهرة التكفير - والانحرافات الفكرية - ليست وليدة العصر بل هي موجودة منذ القدم ضد الدعوة إلى الله وعقيدة التوحيد والأمن والإيمان، وستحمل الأسطر الآتية في هذا البحث كثيرا من القضايا التي عايشها النبي ﷺ، وقام بعلاجها.

وهذا الورقة في المحور الرابع: المعالجة الفكرية لظاهرتي التطرف والإرهاب، في قضية: مسؤولية المؤسسات التربوية والتعليمية في علاج ظاهرة التكفير، بعنوان: المسؤولية الأمنية للمعلم.

وأسأل الله التوفيق والسداد .

## المطلب الأول أهمية البحث

- أ- حاولت في هذا البحث الوقوف على نصوص الكتاب والسنة التي عالجت الشريعة فيها هذه الظاهرة إما نصاً أو فهماً؛ لتتزيل كل ذلك على أداء المعلم مع طلابه في المؤسسات التعليمية، وهذه النقطة الأهم في هذا البحث.
- ب- وورقتي هذه تذكير لي وللإخوة المعلمين والمربين بالواجب الكبير الذي نتحمله - مع الواجب التعليمي - وهو الواجب الأمني الذي يدعونا إليه ديننا وعلما ومصالحة وطننا الغالي.
- ج- وتأتي هذه الكتابة تكميلاً لكتابات الحذاق من العلماء والمربين الذين خفوا لبيان خطر ظاهرة التكفير، وشدة ضررها على جميع جوانب الحياة.
- د- وفي هذه الورقة الدعوة لمنهج قويم؛ أركانه كتاب الله، وسنة النبي ﷺ، على فهم السلف الصالح، والدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، والالتفاف حول حكومتنا الرشيدة التي عالجت - وتعالج هذه الظاهرة - بسياسة وعلم وحكمة وتؤدة وروية.

## المطلب الثاني أسباب اختيار الموضوع

عنوان الندوة يكفي في بيان سبب الكتابة، يضاف إلى ذلك عدة أمور منها:

أ- اهتمامي الخاص بهذا الجانب الذي أراه في غاية الخطورة خاصة مع المتغيرات الموجودة داخليا وخارجيا، وقد أكرمني الله فكتبت في الجمعيات الخيرية ودورها في تحقيق الأمن الاجتماعي، وتعزيز دور الوالدين الأمني، والفقهاء الأمنيين للخطيب والإمام في توجيهاتهما، وهذا بحث في المسؤولية الأمنية للمعلم.

ب- أهمية الدور الذي يمثله المعلم في إصلاح المجتمع، وتوجيهاته الإيمانية والتربوية.

ج- الفترة الزمنية التي قضيتها في التعليم في شتى المحاضن التعليمية والتربوية -من متابعة الطلاب في المراحل الدراسية الأولى إلى التعليم العالي - حيث ألهمتني كثيرا من الواجبات التي تجب على المعلم تجاه طلابه.

د- خير من يكتب في هذا الجانب من عمل فيه، ولم أر كثير كتابه عن مسؤوليات المعلمين إلا قليلا من التوجيهات التعليمية، وأقل من القليل توجيهات تربوية، وكلها لا تحمل الإلزام، والمتابعة في تنفيذها.

هـ- محاولة مني للمشاركة في إثراء المكتبة الأمنية بالبحوث النافعة، وقيامًا بحق العلم الذي أوجب الله علينا بيانه، وبحق الوطن الذي نشأنا فيه وطعمنا من خيراته، وبحق الحكومة الرشيدة التي لم تال جهدا في الإصلاح والإصلاح..

## المطلب الثالث خطة البحث

**المقدمة وفيها: تمهيد ومطالب:**

- المطلب الأول: أهمية البحث.
- المطلب الثاني: أسباب اختيار الموضوع.
- المطلب الثالث: خطة البحث.

**البحث الأول: تعريفات لا بد منها. وفيه مطالب:**

- المطلب الأول: المسؤولية.
- المطلب الثاني: الأمانة.
- المطلب الثالث: المعلم.
- المطلب الرابع: استواء المعلمين في المسؤولية الأمنية.

**البحث الثاني: خطوط أمنية في حياة المعلم رسمها النبي ﷺ، وفيه مطالب:**

- المطلب الأول: الوظيفة الأساسية للمعلم.
- المطلب الثاني: كيف عالج النبي ﷺ بعض الصفات والأفكار الخاطئة عند بعض من أسلم من أصحابه رضي الله عنهم في:

▪ ١- ترك الفطرة.

▪ ٢- الفكر الضال.

▪ ٣- ترك الصفات السيئة:

**البحث الثالث: المسؤولية الأمنية والتدوة في شخصية المعلم، وفيه مطالب:**

- المطلب الأول: المعلم القدوة في علمه.
- المطلب الثاني: المعلم القدوة في صفاته وأخلاقه.



المطلب الثالث: المعلم القدوة المنضبط في وقته.

المطلب الرابع: المعلم القدوة يوجه طلابه للوسطية والاعتدال.

**الخاتمة؛ وفيها:**

١. أهم النتائج.

٢. التوصيات.

وفي كل نقطة من النقاط السابقة وضعت بين يدي القارئ - بفضل الله - ما أستطيعه من المعلومات النافعة - باختصار أرجو ألا يكون مغلا - وختمت الورقة - بحمد الله - بفهرس المراجع وفهرس الموضوعات.

## المبحث الأول تعريفات لا بد منها

وفيه مطالب:

### المطلب الأول المسؤولية

المسؤولية مصدر صناعي<sup>(١)</sup> من الثلاثي سأل، ومضارعه يسأل، ومسؤول: اسم مفعول من سأل، والمسؤولية كلمة محدثة<sup>(٢)</sup> قال في المعجم الوسيط: المسؤولية - المسؤولية<sup>(٣)</sup> - (بوجه عام)<sup>(٤)</sup> حال أو صفة من يُسأل<sup>(٥)</sup> عن أمر تقع عليه تبعته، يقال: أنا بريء من مسؤولية هذا العمل، وتطلق (أخلاقيا)<sup>(٦)</sup> على التزام الشخص بما يصدر عنه قولاً أو عملاً وتطلق (قانوناً)<sup>(٧)</sup> على الالتزام بإصلاح الخطأ الواقع على الغير طبقاً لقانون<sup>(٨)</sup>.

أقول: ومع أن مجمع اللغة العربية ذهب إلى أن مصطلح المسؤولية حادث إلا أن دلالات الكتاب والسنة عليه ظاهرة، والمسؤولية نوعان خاصة وعامة.

#### فالمسؤولية الخاصة قسمان:

القسم الأول: مسؤولية الإنسان عن نفسه؛ فيتعهد الإنسان نفسه بعمل

(١) انظر المعجم الوسيط (٥٢٦/١).

(٢) في آخر عبارة المعجم الوسيط ذكر أنها من الألفاظ المحدثه. انظر المرجع السابق (٤١١/١).

(٣) يجوز كتابتها بالوجهين كما في المعجم الوسيط (٤١١/١).

(٤) يعني عموماً.

(٥) مبني للمجهول.

(٦) عملاً بالأخلاق الحسنة.

(٧) عملاً بقانون الجنائيات.

(٨) انظر المعجم الوسيط (٤١١/١).

الصالحات وترك السيئات، وبيتعد عن كل عدوان، وقد دلت على هذا النوع من المسؤولية نصوص الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ، وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ، وَأَنْ سَعِيهِ سَوْفَ يُرَىٰ، ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ﴾<sup>(١)</sup>، فكل إنسان مسؤول عن نفسه في كل ما يقوم به إلا أن يكون غير مكلف فله أحكامه.

وبوب البخاري رحمه الله في صحيحه: باب من جاهد نفسه في طاعة الله<sup>(٢)</sup>، قال ابن حجر: والمراد بالمجاهدة كف النفس، وقال ابن بطال رحمه الله: جهاد المرء نفسه هو الجهاد الأكمل، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾<sup>(٣)</sup>، ويقع<sup>(٤)</sup> بمنع النفس عن المعاصي وبمنعها من الشبهات وبمنعها من الإكثار من الشهوات المباحة لتتوفر لها في الآخرة<sup>(٥)</sup>.

وكل آية تتحدث عن مسؤولية الإنسان عما اقترفته حواسه فإنها دليل لهذه المسؤولية، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾<sup>(٦)</sup>، قال الجصاص: فيه بيان أن لله علينا حقا في السمع والبصر والفتؤاد، والمرء مسؤل عما يفعله بهذه الجوارح: من الاستماع لما لا يحل، والنظر إلى ما لا يجوز والإرادة لما يقبح<sup>(٧)</sup>، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(٨)</sup>، فقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾ دليل

(١) سورة النجم الآيات رقم (٣٨-٤١).

(٢) كتاب: الرقاق. انظر صحيح البخاري (٢٣٨٤/٥).

(٣) سورة النازعات الآية رقم (٤٠).

(٤) الجهاد المشار إليه في أول الفقرة.

(٥) انظر فتح الباري لابن حجر (١٣٧/١١، ١٣٨).

(٦) سورة الإسراء الآية رقم (٣٦).

(٧) انظر أحكام القرآن للجصاص (٢٩/٥).

(٨) سورة النور الآية رقم (١١).

على أن العقوبة تلحق صاحب الجريمة ولا تتعدى لغيره، وفي حادثة الإفك هذه لما أنزل الله هذه الآيات نال كل من تكلم فيها عقابه<sup>(١)</sup>.

وكل آية تدل على حد من حدود الله دليل على مسؤولية الإنسان عن نفسه، وأنه تقع عليه العقوبة لمسؤوليته عما جنى، قال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى: ﴿الرَّانِيَةُ وَالرَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيَشْهَدُ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، فالعقوبة لا تقع إلا على الجاني؛ لأنه مسؤول عما اقترف من الإثم.

وقد دلت السنة الشريفة على مسؤولية الإنسان عن نفسه أولاً، واستدل العلماء على ذلك بتقديم النبي ﷺ للنفس على غيرها في إيصال المعروف، فقد قال ﷺ: (أَبْدَأُ بِنَفْسِي)<sup>(٤)</sup>، قال ابن مفلح، وظاهره يقتضي أمر الدنيا والدين<sup>(٥)</sup>، وعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: (الْمُجَاهِدُ مِنْ جَاهِدِ نَفْسَهُ)<sup>(٦)</sup>.

القسم الثاني: من المسؤولية الخاصة مسؤولية الإنسان عن زوجه وأبنائه وكل قراباته، ومن له ولاية عليهم، فيتعهدهم بالنصح والتوجيه، والدلالة على الخير، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويوصل إليهم ما أمكن من

(١) روى حد من تكلم في حادثة الإفك أبو داود برقم (٤٤٧٤). انظر سنن أبي داود (١٦٢/٤)، والترمذي برقم (٣١٨١). انظر سنن الترمذي (٣٣٦/٥)، وابن ماجه برقم (٢٥٦٧). انظر سنن ابن ماجه (٨٥٧/٢).

(٢) سورة المائدة الآية رقم (٣٨).

(٣) سورة النور الآية رقم (٢).

(٤) رواه مسلم كتاب: الزكاة، برقم (٩٩٧). انظر صحيح مسلم (٦٩٢/٢).

(٥) انظر الآداب الشرعية لابن مفلح (٤٤٧/١).

(٦) رواه الترمذي في سننه وقال: وفي الباب عن عقبه بن عامر وجابر وحديث فضالة حديث حسن صحيح. انظر سنن الترمذي (١٦٥/٤).

## الإحسان.

وقد أولى الشارع الحكيم خاصة الإنسان - من أهله وذويه - عناية كبيرة، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾<sup>(١)</sup>، قال البخاري رحمه الله: قال مجاهدٌ رحمه الله: (قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ) أَوْصُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَادَّبُوهُمْ<sup>(٢)</sup>، وكان الأهل والقرباب أول من أمر الله نبيه ﷺ بدعوتهم، فقال تعالى: ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾<sup>(٣)</sup>، فالقربة من الأهمية بمكان، وإذا قدر الإنسان على توجيههم - وأطاعوه ولم يخالفوه - كان استماع غيرهم له أقرب.

وكما ظهر اهتمام الشارع الحكيم بالأهل والقربة في الكتاب العزيز جاء في السنة المطهرة التنصيص على مسؤولية الإنسان عنهم، قال ﷺ: (أَلَا كَلُّكُمْ رَاعٍ وَكَلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)<sup>(٤)</sup>، قال النووي رحمه الله: قال العلماء: الراعي هو الحافظ المؤمن الملتزم صلاح ما قام عليه وما هو تحت نظره، ففيه أن كل من كان تحت نظره شيء فهو مطالب بالعدل فيه والقيام بمصالحه في دينه ودنياه وممتلكاته<sup>(٥)</sup>.

النوع الثاني من المسؤولية هي المسؤولية العامة: وتسمى المسؤولية

(١) سورة التحريم الآية رقم (٦).

(٢) رواه البخاري تعليقا، كتاب: التفسير، باب: باب قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ إن تَوْبًا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ .... انظر صحيح البخاري (١٨٦٨/٤).

(٣) سورة الشعراء الآية رقم (٢١٤).

(٤) متفق عليه؛ رواه البخاري كتاب: الأحكام، باب: قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾. انظر صحيح البخاري (٢٦١١/٦)، ورواه مسلم كتاب: الإمارة، برقم (١٨٢٩).

انظر صحيح مسلم (١٤٥٩/٣).

(٥) انظر شرح النووي على صحيح مسلم (٢١٢/١٢).

الاجتماعية، أو المسؤولية عن المجتمع الذي تعيش فيه، وقد أولى القرآن الكريم هذه المسؤولية عناية كبيرة، كما أولتها السنة مثل ذلك، والآيات كثيرة في هذا الباب؛ منها:

ما جاء من أمر الله بها، والحث على القيام بها، وبيان عاقبة الاهتمام بها، قال تعالى: ﴿ وَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾<sup>(١)</sup>، والأمر في الآية دليل على وجوب الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على جميع الأمة، و (من) في الآية بيانية وليست تبعيضية، وهذا الواجب على الكفاية؛ إذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقين<sup>(٢)</sup>، ويدل على العموم قوله ﷺ: (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ)<sup>(٣)</sup>، قال النووي رحمه الله: أمر إيجاب بإجماع الأمة وقد تطابق على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وهو أيضا من النصيحة التي هي الدين<sup>(٤)</sup>.

وقد مدح الله أمة الإسلام بتميزها بالعناية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾<sup>(٥)</sup>، وبالمقابل ذم الله أهل الكتاب، وذكر لعن أنبيائهم لهم؛ لأنهم ضيعوا هذا الواجب، فقال تعالى: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ، كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة آل عمران الآية رقم (١٠٤).

(٢) ذكر هذه المعاني الرازي في تفسيره (١٤٥/٨، ١٤٦).

(٣) رواه مسلم، كتاب: الإيمان، برقم (٤٩). انظر صحيح مسلم (٦٩/١).

(٤) انظر شرح النووي على صحيح مسلم (٢٢/٢).

(٥) سورة آل عمران الآية رقم (١١٠).

(٦) سورة المائدة الآيتان رقم (٧٨، ٧٩).

وكتاب الله مليء بالآيات الدالة على المسؤولية العامة مثل قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا...﴾<sup>(١)</sup> الآية، وقوله تعالى: ﴿فَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وفي السنة الشريفة أحاديث كثيرة تدل على المسؤولية العامة، وتبين وجوبها وخطورة تضييعها، قال ﷺ: (مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَىٰ مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَا حَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا حَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَىٰ أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَّوْا جَمِيعًا)<sup>(٤)</sup>، ذكر علماء الإسلام - في شرح هذا الحديث - كثيرا من نقاط المسؤولية العامة في المجتمع، قال ابن حجر رحمه الله: وفيه استحقاق العقوبة بترك الأمر بالمعروف، وتبيين العالم الحكم بضرب المثل، ووجوب الصبر على أذى الجار إذا خشي وقوع ما هو أشد ضررا، وأنه ليس لصاحب السفلى أن يحدث على صاحب العلو ما يضر به، وأنه إن أحدث عليه ضررا لزمه إصلاحه، وأن لصاحب العلو منعه من الضرر<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة آل عمران الآية رقم (١٠٣).

(٢) سورة الحج الآية رقم (٧٨).

(٣) سورة الحجرات الآية رقم (١٠).

(٤) رواه البخاري، كتاب: الشركة، باب: هل يُقْرَعُ فِي الْقِسْمَةِ وَالِاسْتِهَامِ فِيهِ. انظر صحيح البخاري (٨٨٢/٢).

(٥) انظر فتح الباري (٢٦٩/٥).

## المطلب الثاني الأمنية<sup>(١)</sup>

الأمنية: مصدر صناعي لزيادة الياء والتاء في آخره<sup>(٢)</sup>، أصله الفعل أمن، قال أبو علي الفارسي: الهمة والميم والنون أصلان متقاربان<sup>(٣)</sup>؛ أحدهما: الأمانة التي هي ضدّ الخيانة، ومعناها سُكون القلب، والآخر التصديق، والمعنيان كما قلنا متدانيان، قال الخليل: الأمانة من الأمن. والأمان إعطاء الأمانة. والأمانة ضدّ الخيانة<sup>(٤)</sup>.

والأمن له مكانة عظيمة في حياة الأمم، ولأجل إقامته في الأوطان - بين مواطنين - جردت الحكومات كل طاقاتها وأعدت لذلك عدتها، وأنفقت عليه أكثر مدخرات الدولة.

وتنوعت التقسيمات الأمنية، وتعددت تعريفاتها - خاصة في العصر الحاضر - فقد ظهرت الحاجة الأمنية في جوانب كثيرة منها: الأمن الوطني، والسياسي، والاقتصادي والغذائي، والفكري، والتعليمي، والصحي،... إلخ. وإذا نظرنا إلى القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ وجدناهما يقسمان الأمن إلى نوعين: الأمن الأخروي والأمن الدنيوي:

(١) عرفت الأمن في كتابي الجمعيات الخيرية ودورها في تحقيق الأمن الاجتماعي، وكتابي تعزيز دور الوالدين في تحقيق الأمن من خلال حلقات تحفيظ القرآن الكريم، وكتابي الفقه الأمني للخطيب والإمام في توجيهاتهما.

(٢) انظر المعجم الوسيط، (٥٢٥).

(٣) وقال في لسان العرب هما بمعنى. انظر لسان العرب لابن منظور (٢١/١٣).

(٤) انظر معجم مقاييس اللغة (١/١٣٤).



## النوع الأول: الأمن الدنيوي.

في الأمن الدنيوي امتن الله على قريش بنعمة الأمن - دون جميع العرب -  
 في عدد من الآيات، قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفُ مِنْ  
 أَرْضِنَا أَوْ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِنْ لَدُنَّا  
 وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾<sup>(١)</sup>، ففي الآية الكريمة معاتبة لكفار قريش  
 على دعواهم الباطلة، وتذكير لهم بنعمة الأمن وسعة الرزق التي جعلها الله لهم  
 دون الناس؛ حيث جعلهم آمنين في الحرم يتمتعون بسعة الرزق، قال الطبري  
 رحمه الله: يقول تعالى ذكره: وقالت كفار قريش إن نتبع الحق الذي جئتنا به  
 معك ونتبرأ من الأنداد والآلهة يتخطفنا الناس من أرضنا بإجماع جميعهم على  
 خلافنا وحرينا، يقول الله لنبيه<sup>(٢)</sup>: فقل أولم نمكن لهم حرما، يقول: أولم  
 نوطئ لهم بلدا حرمنا على الناس سفك الدماء فيه ومنعناهم من أن يتناولوا  
 سكانه فيه بسوء، وأمنا على أهله من أن يصيبهم بها غارة أو قتل أو سباء<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى: ﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ  
 أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴾<sup>(٤)</sup>، قال الطبري رحمه الله: يقول  
 تعالى ذكره مذكرا هؤلاء المشركين من قريش - القائلين لولا أنزل عليه آية  
 من ربه - نعمته عليهم التي خصهم بها دون سائر الناس غيرهم - مع كفرهم  
 بنعمته وإشراكهم في عبادته الآلهة والأنداد - : أولم ير هؤلاء المشركون من  
 قريش ما خصصناهم به من نعمتنا عليهم دون سائر عبادنا فيشكروننا على  
 ذلك وينزجروا عن كفرهم بنا وإشراكهم ما لا ينفعنا ولا يضرهم في عبادتنا

(١) سورة القصص الآية رقم (٥٧).

(٢) تكملة قول الطبري رحمه الله.

(٣) انظر تفسير الطبري (٩٣/٢٠).

(٤) سورة العنكبوت الآية رقم (٦٧).

أنا جعلنا بلدهم حرماً حرماً على الناس أن يدخلوه بغارة أو حرب، آمناً يأمن فيه من سكنه فأوى إليه من السبأ والخوف، والحرام الذي لا يأمنه غيرهم من الناس، ويتخطف الناس من حولهم يقول: وتسلب الناس من حولهم قتلاً وسباً<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ، الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾<sup>(٢)</sup>، قال الطبري: قال بعضهم: معنى ذلك: أنه آمنهم مما يخاف منه من لم يكن من أهل الحرم؛ من الغارات والحروب والقتال والأمور التي كانت العرب يخاف بعضها من بعض<sup>(٣)</sup>.

وذكر الرازي رحمه الله في تفسيره أنواع الأمن الذي أسبغه الله على قريش فقال:

- أحدها: أنهم كانوا يسافرون آمنين لا يتعرض لهم أحد، ولا يغير عليهم أحد لا في سفرهم ولا في حضرهم وكان غيرهم لا يأمنون من الغارة في السفر والحضر، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا﴾.
- وثانيها: أنه آمنهم من زحمة أصحاب الفيل.
- وثالثها: قال الضحاك والربيع: وآمنهم من خوف الجذام، فلا يصيبهم ببلدتهم الجذام.
- ورابعها: آمنهم من خوف أن تكون الخلافة في غيرهم.
- وخامسها: آمنهم بالإسلام، فقد كانوا في الكفر يتمكرون، فيعلمون أن الدين الذي هم عليه ليس بشيء، إلا أنهم ما كانوا يعرفون الدين الذي

(١) انظر تفسير الطبري (١٤/٢١).

(٢) سورة قريش الآيتان رقم (٣، ٤).

(٣) انظر تفسير الطبري (٣٠٨/٣٠).

يجب على العاقل أن يتمسك به.

■ وسادسها: أطعمهم من جوع الجهل بطعام الوحي، وآمنهم من خوف الضلال ببيان الهدى، كأنه تعالى يقول: يا أهل مكة كنتم قبل مبعث محمد تسمون جهال العرب وأجلافهم، ومن كان ينازعكم كانوا يسمون أهل الكتاب، ثم أنزلت الوحي على نبيكم، وعلمتكم الكتاب والحكمة حتى صرتم الآن تسمون أهل العلم والقرآن، وأولئك يسمون جهال اليهود والنصارى، ثم إطعام الطعام الذي يكون غذاء الجسد يوجب الشكر، فإطعام الذي هو غذاء الروح، ألا يكون موجبا للشكر<sup>(١)</sup>. ويقول ﷺ: (مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافَى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمَهُ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا)<sup>(٢)</sup>، ومعنى في سربه - بكسر السين وإسكان الراء - في نفسه رخي البال، ومن قال بفتح السين يريد في مذهبه ومسلكه، قال الخطابي: أجمع أهل الحديث واللغة على كسر سين سربه بمعنى نفسه إلا الأخفش فإنه فتحها<sup>(٣)</sup>، ومعنى حيزت له الدنيا أي: جمعت له<sup>(٤)</sup>، ومعنى بحذافيرها بجوانبها، قال ابن الأثير رحمه الله: الحذافير: الجوانب. وقيل: الأعالى واحدها حذفار وقيل حذفور، أي: فكأنما أعطى الدنيا بأسرها<sup>(٥)</sup>. قال الغزالي رحمه الله - متكلما على هذا الحديث -: وليس يأمن الإنسان على روحه وبدنه وماله ومسكنه وقوته في جميع الأحوال بل في

(١) انظر تفسير الرازي (١٠٢/٣٢).

(٢) رواه الترمذي في سننه برقم (٢٣٤٦)، وقال الترمذي حسن غريب. انظر سنن الترمذي (٥٧٤/٤)، ورواه ابن ماجه في سننه برقم (٤١٤١). انظر سنن ابن ماجه (١٣٨٧/٢)، وحسن الحديث الألباني. انظر صحيح الأدب المفرد (١٢٨/١).

(٣) انظر مشارق الأنوار للقاضي عياض (٢١١/٢).

(٤) انظر شرح سنن ابن ماجه للسيوطي (ص ٣٠٥).

(٥) انظر النهاية في غريب الحديث والأثر (٣٥٦/١).

بعضها ، فلا ينتظم الدين إلا بتحقيق الأمن على هذه المهمات الضرورية ، وإلا فمن كان جميع أوقاته مستغرقاً بحراسة نفسه من سيوف الظلمة وطلب قوته من وجوه الغلبة ، متى يتفرغ للعلم والعمل وهما وسيلته إلى سعادة الآخرة ، فيأذن بان نظام الدنيا ، أعني مقادير الحاجة شرط لنظام الدين<sup>(١)</sup> .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه - في تعريف النعيم الذي في الدنيا ويسأل عنه الإنسان يوم القيامة - : إنه الأمن والصحة والفراغ<sup>(٢)</sup> .

### عقوبة التفريط في الأمن الدنيوي:

وقد ذكر الله عقوبة التفريط في أسباب الأمن الدنيوي في حياة قبل الممات ، فقال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ، وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> ، وجمهور العلماء على أن هذا مثل ضربه الله لأهل مكة الذين كانوا في أمن من الأعداء والأوباء ، وفي رغد من العيش ، فلم يستجيبوا لأمر الله؛ وكفروا بآياته ، وكذبوا رسوله ﷺ .

قال ابن كثير رحمه الله: هذا مثل أريد به أهل مكة ، فإنها كانت آمنة مطمئنة مستقرة يُتَخَطَّفُ الناس من حولها ، ومن دخلها آمن لا يخاف ، كما قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُنْخَطَفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ نُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا ﴾<sup>(٤)</sup> ، وهكذا قال هاهنا: ﴿ يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا ﴾ ، أي: هنيئها سهلا ﴿ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ

(١) انظر الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي (ص ٢٥٥).

(٢) لم أجده مسندا ، وذكره الرازي في تفسيره (٧٢/٣٢).

(٣) سورة النحل الآيتان رقم (١١٢ ، ١١٣).

(٤) سورة القصص الآية رقم (٥٧).

اللَّهُ ، أَي: جحدت آلاء الله عليها وأعظم ذلك بعثة محمد ﷺ إليهم، كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ، جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَيُبْسِ الْقَرَارُ ﴾<sup>(١)</sup> ولهذا بدلهم الله بحالهم الأولين خلافهما، فقال: ﴿ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ ﴾ ، أَي: ألبسها وأذاقها الجوع بعد أن كان يُجِبي إليهم ثمرات كل شيء، ويأتيها رزقها رغداً من كل مكان<sup>(٢)</sup>.  
النوع الثاني: الأمن الآخروي.

ولا يكون الأمن الآخروي إلا لعباد الله المؤمنين، الذي استجابوا لله وآمنوا برسله وكتبه، ولم يشركوا به شيئاً، وعملوا الخير والصلوات، وتركوا الشر والمنكرات، وقد جاء ذكر هذا النوع من الأمن في عدد من الآيات في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾<sup>(٣)</sup>، قال ابن كثير رحمه الله: أي هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده لا شريك له ولم يشركوا به شيئاً هم الآمنون يوم القيامة المهتدون في الدنيا والآخرة<sup>(٤)</sup>.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ، لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ، لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَاهُمْ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾<sup>(٥)</sup>، قال ابن كثير: لما ذكر تعالى أهل النار وعذابهم بسبب شركهم بالله، عطف بذكر السعداء من المؤمنين بالله ورسوله، وهم الذين سبقت لهم من الله السعادة، وأسلفوا الأعمال الصالحة في الدنيا، كما قال تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا

(١) سورة إبراهيم الآيتان رقم (٢٨، ٢٩).

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٥٩٠/٢).

(٣) سورة الأنعام الآية رقم (٨٢).

(٤) انظر تفسير ابن كثير (١٥٣/٢).

(٥) سورة الأنبياء الآيات رقم (١٠١-١٠٣).

الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴿١﴾ وقال تعالى: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ ﴿٢﴾ ،  
 فكما أحسنوا العمل في الدنيا ، أحسن الله مآلهم وثوابهم ، فنجاهم من  
 العذاب ، وحصل لهم جزييل الثواب ، فقال: ﴿ أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ. لَا يَسْمَعُونَ  
 حَسِيسَهَا ﴾ أي: حريقها في الأجساد ﴿٣﴾ .

وأخبر الله سبحانه في كتابه الكريم أن الإيمان بالله والاستقامة على  
 دينه وشرعه ضمان للإنسان في آخرته ودنياه ، وحفظ له ولماله وولده ، وأن  
 المؤمن المستقيم على دين الله يعرف ذلك بمجرد رحيله عن الدنيا؛ فتطمئن  
 نفسه ويسعد في قبره ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ  
 عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ،  
 نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ  
 وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾ ﴿٤﴾ .

قال القرطبي رحمه الله - بعد أن ذكر الأقوال في معنى استقاموا - :  
 اعتدلوا على طاعة الله عقدا وقولا وفعلا وداموا على ذلك ﴿٥﴾ .

وقال ابن كثير رحمه الله: ﴿ أَلَّا تَخَافُوا ﴾ على ما خلفتموه من أمر  
 الدنيا من ولد وأهل ومال أو دين فإننا نخلفكم فيه ﴿ وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي  
 كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ فيبشرونهم بذهاب الشر وحصول الخير ﴿٦﴾ .

والأمن الذي نتحدث عنه ونطالب أنفسنا وإخواننا أئمة التربية والتعليم هو  
 الاهتمام بالأمن بنوعه الأمن الدنيوي؛ الذي يجب أن تنعم به الجماعة والأسر

(١) سورة يونس الآية رقم (٢٦).  
 (٢) سورة الرحمن الآية رقم (٦٠).  
 (٣) انظر تفسير ابن كثير (١٩٨/٣).  
 (٤) سورة الأيتان رقم (٣٠ ، ٣١).  
 (٥) انظر تفسير القرطبي (٣٨٥/١٥).  
 (٦) انظر تفسير ابن كثير (١٢٠/٤).



والأفراد، والأمن الأخروي الذي يقود إليه - مع الاستقامة على دين الله واتباع شرعه - الأمن الدنيوي.

والأمنان متلازمان فإذا ذهب أحدهما اختل الآخر، فمتى استقام الناس على شرع الله وطبقوا أحكام الإسلام، انقطعت بينهم أسباب الظلم والحسد؛ فأمنوا على أنفسهم وأموالهم، وعبدوا الله على أكمل وجه، وقاموا بحق الاستخلاف في الأرض على أحسن حال، ومتى اختل إيمانهم اختل أمنهم وظهرت بينهم أسباب العداوات؛ لعدم وجود الوازع الديني - وهو الحارس الأمين والناصح الصادق - الذي يدل الإنسان على الخير والسداد. ومتى اختل الأمن بنوعيه، لم يأمن الناس على أرواحهم وأموالهم، وظهرت بينهم الفوضى، وكثر القتل والنهب والسلب، وعم الفزع والخوف، وكانت عيشتهم ضنكا.

## المطلب الثالث

### المعلم

المعلم؛ اسم فاعل من الرباعي عَلمَ - بتشديد اللام مكسورة، وفتحة على العين والميم -، فيقال: عَلمَ يُعَلِّمُ تَعْلِيمًا فهو مُعَلِّمٌ<sup>(١)</sup>.

والمعلم من أشرف الناس قدرا في جميع المجتمعات، ويزيد في المجتمع الإسلامي فضلا ورفعة بالإيمان والتقوى.

فالمعلم: هو المؤسس لأفكار الطلاب الذين هم عدة المستقبل ورجال الغد، والمسؤولية التي يحملها المعلم هي المسؤولية التي حملها الأنبياء عليهم السلام.

والمعلمون - على الحقيقة - هم أعرف الناس بالله، وأخشاهم له، وهم رواد المعرفة والاستنباط، وتعريف الناس بشرع الله وتربية الناشئة عليه.

والمعلمون هم رواد الحقيقة والمعرفة والكلمة الصادقة، والتاريخ مليء بأخبار العلماء العاملين والمعلمين الواعين، فهم الذين يصدقون بكلمة الحق لا يخشون إلا الله تعالى.

ويكفي أن أذكر في فضل المعلمين بعض ما ذكره البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه، قال البخاري: باب العِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ؛ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾<sup>(٢)</sup>، فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ، وَأَنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ - وَرَثُوا الْعِلْمَ - مَنْ أَحَدَهُ أَحَدٌ بِحَظٍّ وَافِرٍ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ بِهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ<sup>(٣)</sup>، وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ

(١) انظر المعجم الوسيط (٢/٦٢٤).

(٢) سورة محمد ﷺ الآية رقم (١٩).

(٣) من قوله: وأن العلماء... رواه البخاري معلقا كتاب العلم، باب: العلم قبل القول والعمل. انظر صحيح

البخاري (١/٣٧)، ووصله أبو داود والترمذي وابن ماجه.



الْعُلَمَاءُ ﴿<sup>(١)</sup>﴾ وَقَالَ ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ ﴿<sup>(٢)</sup>﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ  
 نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ ﴿<sup>(٣)</sup>﴾، وَقَالَ ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ  
 وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿<sup>(٤)</sup>﴾، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ -: (مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي  
 الدِّينِ، وَإِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ) ﴿<sup>(٥)</sup>﴾ وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَوْ وَضَعْتُمْ  
 الصَّمْصَامَةَ ﴿<sup>(٦)</sup>﴾ عَلَى هَذِهِ وَأَشَارَ إِلَى قَفَاهُ - ثُمَّ ظَنَنْتُ أَنِّي أَنْفِذُ كَلِمَةً سَمِعْتُهَا مِنْ  
 النَّبِيِّ ﷺ - قَبْلَ أَنْ تُجِيزُوا عَلَيَّ لِأَنْفِذْتُهَا ﴿<sup>(٧)</sup>﴾، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ (كُونُوا  
 رَبَّانِيَيْنَ) حُكَمَاءَ فُقَهَاءَ ﴿<sup>(٨)</sup>﴾، وَيُقَالُ: الرَّبَّانِيُّ الَّذِي يُرَبِّي النَّاسَ بِصِغَارِ الْعِلْمِ قَبْلَ  
 كِبَارِهِ ﴿<sup>(٩)</sup>﴾.

قال ابن حجر: والمراد بصغار العلم ما وضع من مسائله، وبكباره مادق  
 منها وقيل: يعلمهم جزئياته قبل كلياته، أو فروعه قبل أصوله، أو مقدماته  
 قبل مقاصده وقال ابن الأعرابي: لا يقال للعالم رباني حتى يكون عالماً معلماً  
 عاملاً ﴿<sup>(١٠)</sup>﴾.

- (١) سورة فاطر الآية رقم (٢٨).
- (٢) سورة العنكبوت الآية رقم (٤٣).
- (٣) سورة الملك الآية رقم (١٠).
- (٤) سورة الزمر الآية رقم (٩).
- (٥) متفق عليه؛ رواه البخاري كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: قول النبي ﷺ: (لا تزال طائفة من أممي ظاهرين على الحق وهم أهل العلم). انظر صحيح البخاري (٢٦٦٧/٦)، ورواه مسلم كتاب: كتاب الزكاة، برقم (١٠٣٧). انظر صحيح مسلم (٧١٨/٢).
- (٦) الصمصامة والصمصام اسمان للسياق القاطع. انظر لسان العرب لابن منظور (٣٤٢/١٢).
- (٧) رواه البخاري معلقاً كتاب العلم، باب: العلم قبل القول والعمل. انظر صحيح البخاري (٣٧/١).
- (٨) رواه البخاري معلقاً كتاب العلم، باب: العلم قبل القول والعمل. انظر المرجع السابق (٣٧/١).
- (٩) حكاية البخاري بدون نسبة. انظر السابق (٣٧/١).
- (١٠) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٦٢/١).

## المطلب الرابع

### استواء المعلمين في المسؤولية الأمنية

إن المسؤولية عموماً والمسؤولية الأمنية خصوصاً واجب على جميع الأمة، يهتم بها الكبار والصغار، والرجال والنساء. ومن أبرز من يتوجه إليهم الخطاب - المسؤولية الأمنية - المعلمون؛ فهم مفاتيح طلابهم، وأكثر الناس معاشة لهم، وأكثر اطلاعا على آرائهم وأفكارهم، وأقرب الناس إلى قلوب الطلاب؛ لعدم وجود الحواجز - غالباً - بين المعلم وتلميذه، فكثيراً ما يلجأ التلميذ إلى معلمه الذي يأنس به فيستشيريه في كل ما يعن له.

ولذلك كان لزاماً على المعلم أن يكون في غاية الوعي لهذه القضية، وأن يربي طلابه على إبداء الرأي والمشاورة فيما يطرأ عليهم من القضايا التي لا بد منها في حياتهم العلمية والتربوية والتوجيهية.

والنصوص التي تم إيرادها في المسؤولية تعم الجميع، مثل: قوله ﷺ: (ألا كُلكم راعٍ وكُلكم مسؤول عن رعيته)<sup>(١)</sup>، قال النووي رحمه الله: قال العلماء الراعي هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما قام عليه وما هو تحت نظره ففيه أن كل من كان تحت نظره شيء فهو مطالب بالعدل فيه والقيام بمصالحه في دينه ودنياه وممتلكاته<sup>(٢)</sup>.

فنص النووي رحمه الله الذي نقله عن العلماء فيه بيان واضح على أن المعلم حافظ مؤتمن ملتزم صلاح ما قام عليه، وما تحت نظره، فكان لزاماً عليه أن

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر شرح النووي على صحيح مسلم (١٢/٢١٢).

يقوم برعاية تلاميذه فيحسن تربيتهم وتعليمهم وتوجيههم.

والاهتمام بهذه المسؤولية من الأمانة التي يجب على المعلم أدائها، ومن أدائها التعرف في ثنايا نقاشاته إلى بعض الأخطاء التي تظهر من الطلاب وتوجيههم إلى الصواب، وإعمال الفكر في إزالة كل ما قد يؤدي إلى تصرفات تضر بالطالب ومجتمعه، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾<sup>(١)</sup>، قال ابن كثير رحمه الله: وهذا يعم جميع الأمانات الواجبة على الإنسان، من حقوق الله عز وجل على عباده؛ من الصلوات والزكوات والكفارات والندور والصيام، وغير ذلك مما هو مؤتمن عليه لا يطلع عليه العباد، ومن حقوق العباد بعضهم على بعض كالودائع وغير ذلك مما يآتمنون به، بعضهم على بعض من غير اطلاع بينة على ذلك<sup>(٢)</sup>.

وفي الحديث الشريف السابق - وكلام النووي رحمه الله عليه - دليل على أن كل المعلمين مطالبون بهذه المسؤولية - أعني المسؤولية الأمنية - وليست قصرا على معلم دون معلم، فمعلم التربية الإسلامية ومعلم اللغة الانجليزية سواء في هذه المسؤولية، ومعلم اللغة العربية ومعلم الكيمياء والفيزياء سواء، فكان لزاما على جميع المعلمين إعطاء هذه المسؤولية أهميتها.

(١) سورة النساء الآية رقم (٥٨).

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٥١٦/١).

## المبحث الثاني

### خطوط أمنية في حياة المعلم رسمها النبي ﷺ

وفيه مطالب:

#### تمهيد

#### أعظم قدوة

إن أعظم قدوة في حياة المسلم - أوجب الله اتباعه وطاعته أمره واجتتاب نهيه - هو النبي ﷺ، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>، قال ابن كثير رحمه الله في تفسير آية النور: أي: عن أمر رسول الله ﷺ، وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته، فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله، فما وافق ذلك قبل، وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله، كائنا ما كان<sup>(٤)</sup>.

وقال رسول الله ﷺ: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)<sup>(٥)</sup>، قال

(١) سورة الأحزاب الآية رقم (٢١).

(٢) سورة الحشر الآية رقم (٧).

(٣) سورة النور الآية رقم (٦٣).

(٤) انظر تفسير ابن كثير (٣/٣٠٨).

(٥) رواه البخاري تعليقا كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: إذا اجتهد العاقل أو الحاكم فأخطأ خلافاً الرسول من غير علم فحكمه مردود، انظر صحيح البخاري (٦/٢٦٧٥)، ورواه مسلم كتاب: كتاب الأقضية، برقم (١٧١٨). انظر صحيح مسلم (٣/١٣٤٣).



النووي رحمه الله: قال أهل العربية الرد هنا بمعنى المردود ومعناه فهو باطل غير معتد به وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام وهو من جوامع كلمه ﷺ فإنه صريح في رد كل البدع والمخترعات<sup>(١)</sup>.

فمعارفنا وعلومنا وتربيتنا وتوجيهاتنا مرجعها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على فهم سلف الأمة رحمهم الله تعالى أجمعين، وكذلك توجيهات علمائنا الحاضرين، وولاة أمرنا الصالحين.

ومعارف البشرية التي لا تمس ديننا الحنيف بما يناقضه، ولا تتعارض مع معتقداتنا بما يناقضها أو يخل بها فلا يمتنعنا الإسلام من الانتفاع بها، والاستفادة منها بل وتطويرها؛ لأن الواجب على الأمة أن تكون قوية في جميع جوانب الحياة حتى تكون أمة مهابة ينظر إليها بعين الاحترام والتقدير؛ لما فيها من تقدم في الثقافة والدين والأخلاق، ولما لديها من مصادر القوة في التقنية والجيش والسلاح.

(١) انظر شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/١٢).

## المطلب الأول الوظيفة الأساسية للمعلم

المراد بالوظائف الأساسية للمعلم؛ أي: الواجبات التي يجب عليه القيام بها كمعلم، وموجه ومربي.

لقد تناول الغزالي رحمه الله تعالى الوظائف الأساسية للمعلم سأذكر منها – مختصرا – ما يلي بغرض هذا المطلب، وأعلق عليها بما يفيد، وأضيف إليها ما لا بد من إضافته:

- الوظيفة الأولى: الشفقة على المتعلمين وأن يجريهم مجرى بنيه قال رسول الله ﷺ: (إنما أنا لكم مثل الوالد لولده)<sup>(١)</sup>، بأن يقصد إنقاذهم من نار الآخرة وهو أهم من إنقاذ الوالدين ولدهما من نار الدنيا<sup>(٢)</sup>.
- أقول: والأب لا يفرق بين بنيه في حب ولا عطاء، بل الجميع يحظى منه بما يسعده، ويفرحه، ويمحضهم النصح ويبذل قصارى جهده لإصلاحهم وتربيتهم وتوجيههم.
- الوظيفة الثانية: وهي من دقائق صناعة التعليم؛ أن يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن ولا يصرح، وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ<sup>(٣)</sup>.
- أقول: والمعلم لا يعرف توجهات الطالب إلا من خلال مناقشاته ومدخلاته العلمية، وإبداء الرأي في القضايا التي تتناول بعض الجوانب التي تثيره، ويجب على المعلم أن يتقبلها بصدر رحب وأن يصحح كل خلل، ويوجهه إلى

(١) رواه ابن ماجه في سننه برقم (٣١٣). انظر سنن ابن ماجه (١/١١٤)، وصححه ابن خزيمة. انظر صحيح ابن خزيمة (٤٣/١).

(٢) انظر إحياء علوم الدين للغزالي (١/٥٥).

(٣) انظر المرجع السابق (١/٥٧).

الصواب.

- الوظيفة الثالثة: أن يكون المعلم عاملاً بعلمه؛ فلا يكذب قوله فعله؛ لأن العلم يدرك بالبصائر، والعمل يدرك بالأبصار، وأرباب الأبصار أكثر، فإذا خالف العمل العلم منع الرشد<sup>(١)</sup>.
- أقول: قال الله سبحانه: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>، عتاب من الله لأهل الكتاب الذين يعلمون الكتاب، ويأمرون الناس بالبر ولا يفعلونه، وفيه تنبيه للعلماء من المسلمين أن يقوموا بواجب التعليم مع الامتثال والعمل.
- ولا يمكن أن يؤثر المعلم في تلاميذه علمياً وتربوياً وتوجيهياً إلا إذا كان متمثلاً للجوانب التي يأخذها الطلاب عنه.

وما أجمل قول شوقي رحمه الله<sup>(٣)</sup>:

وإذا المعلم لم يكن عدلاً مشى روح العدالة في الشباب ضئيلاً  
 وإذا المعلم ساء لحظاً بصيرة جاءت على يده البصائر حولاً  
 وإذا أتى الإرشاد من سبب الهوى ومن الغرور فسمه التضليلاً  
 وإذا أصيب القوم في أخلاقهم فأقم عليهم مآتماً وعويلاً

لله در شوقي رحمه الله كم كان عبقرياً في هذه الأبيات، فكلما كان المعلم أقرب إلى الله قولاً وعملاً كان الطلاب أحسن استجابة وتوجهاً، وكلما كان غير ذلك دخل على طلابه النقص - غالباً - بقدر ما كان منه من نقص في أقواله وأفعاله.

ووجود معلمين لا يملكون المقدرة العلمية، ولا يستطيعون توجيه الناشئة وتربيتهم على الوجه المطلوب لا يجادل فيه أحد، وكم واجهنا من مثل هؤلاء.

(١) انظر السابق (٥٨/١).

(٢) سورة البقرة الآية رقم (٤٤).

(٣) ديوان أحمد شوقي (٥٠٠/١).

ولا أنكر أن هناك قلة من الأساتذة في كل زمان ومكان استطاعوا أن يصلوا إلى قلوب طلابهم، وأن ينهل طلابهم من علمهم، ويقتدوا بهم في أخلاقهم وطاعتهم لله، فأصبحوا لطلابهم خير معين في تعلمهم وتوجيههم وتربيتهم، وقد واجهنا منهم أساتذة فضلاء نفذتهم بأرواحنا، وندعو لهم مع آبائنا وأمهاتنا.

ويمكن أن أضيف وظيفة رابعة للمعلم: وهي أن يتقى المعلم الله في تأدية الأمانة التي تحملها، وأخذ عليها أجرا، فإن المال الذي يأخذه ملك لجميع المسلمين، فعليه أن يحسن في عمله، ويبذل في تأديته طاقته.



## المطلب الثاني

### كيف عالج النبي ﷺ بعض الصفات والأفكار الخاطئة عند بعض من أسلم من أصحابه رضي الله عنهم

بُعِثَ ﷺ في مجتمع وصفه الله بأوصاف كثيرة من أهمها قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

وأخبر ﷺ أن الله بعثه في زمن كان الناس فيه في أشد الحاجة إلى من يعرفهم بالله، ويربيهم على الإيمان ويدلهم على الخير، وينهاهم عن الشرك، ويحذرهم من المعاصي، ويقودهم إلى الصراط المستقيم، فقال ﷺ في - خطبة طويلة - : (أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُم مَّا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمَ هَذَا كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالًا وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ وَحَرَمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَلْتُ لَهُمْ وَأَمَرْتَهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَإِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقَّتَهُمْ عَرَبِيَّهُمْ وَعَجَمَهُمْ إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَقَالَ إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأَبْتَلِيكَ وَأَبْتَلِي بِكَ وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ تَقَرُّوهُ نَائِمًا وَيَقْطَانُ)<sup>(٣)</sup>، قال النووي رحمه الله: المقت أشد

(١) سورة الجمعة الآية رقم (٢).

(٢) سورة آل عمران الآية رقم (١٦٤).

(٣) رواه مسلم كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، برقم (٢٨٦٥). انظر صحيح مسلم (٤/٢١٩٧).

البغض، والمراد بهذا المقت والنظر: ما قبل بعثة رسول الله ﷺ، والمراد ببقايا أهل الكتاب: الباقون على التمسك بدينهم الحق من غير تبديل<sup>(١)</sup>. وقد واجه النبي ﷺ - عند بعثته وخلالها - جميع الضلالات، وقد ذكر الله في القرآن الكريم كثيرا منها، وقارعها ﷺ بالحجة والبرهان والإيضاح والبيان، حتى أمره الله بالدفاع عن دعوته - وتذليل العقبات التي تحول دون انتشارها - فجاهد بمن آمن معه من لم يستجب لدعوته حتى دخل الناس في دين الله أفواجا.

وخلال بعثته المباركة واجه ﷺ بعض الانحرافات الفكرية التي تضر بأصحابها - بادئ ذي بدء - وتضر بالدعوة والدين والأمة الإسلامية كلها، والعجب أن ظاهر بعض هذه الانحرافات إرادة الخير - وهو قطعاً ما أرادها أصحاب النبي ﷺ خاصة -، فعالج النبي ﷺ جميع تلك الانحرافات بما يناسبها.

**وسأذكر بعض تلك الانحرافات، وكيف واجهها النبي ﷺ، وكيف وجه أصحابها.**

#### ١- ترك الفطرة.

لقد فطر الله الخلق على سنن لا تتغير، ومن تلك الفطر التكاثر بين بني الإنسان، قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾<sup>(٢)</sup>، وقد دل على هذا المعنى آيات كثيرة؛ وقد أشار الله سبحانه إلى حكم كثيرة لخلق الإنسان وتكاثر بني آدم في هذه الأرض حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

ومن أعظم الحكم التي خلق الله الخلق لعبادته، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ

(١) انظر شرح النووي على صحيح مسلم (١٧/١٩٧، ١٩٨).

(٢) سورة النحل الآية رقم (٧٢).

الْجَنِّ وَالْأَنْسَ الْأَلِيْعُبْدُونَ ﴿١﴾.

وخلقهم - سبحانه وتعالى - للاستخلاف الذي شار إليه في أكثر من آية،  
 مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (٢)،  
 ولا يكون هذا الاستخلاف إلا بالإنجاب والتكاثر، وسبيل التكاثر في  
 شريعة النبي ﷺ الزواج الشرعي الصحيح.

ولما دخل الإيمان في قلوب أصحاب النبي ﷺ وأشربته نفوسهم، وتأثروا به  
 تأثراً بليغاً أراد بعضهم - من أجل أن يتفرغ للعبادة - أن يجب (٣) نفسه، كما  
 أن بعضهم أراد تحريم النوم على نفسه، وأراد بعضهم أن يحرم النساء على  
 نفسه، وبعضهم أراد أن يصوم الدهر، وفي كل هذا - مع أنهم أرادوا الخير -  
 انحراف عن الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

فعالج النبي ﷺ هذه القضية بالمنع من الجب، وبيان المنهج الصحيح في  
 الحياة، وأن الطريقة الصحيحة هي اتباعه والسير على نهجه، عن أنس بن  
 مالك ﷺ قال: (جاء ثلاثة رهطٍ إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة  
 النبي ﷺ فلما أُخبروا كأنهم تقالوها فقالوا وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر  
 الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال أحدُهم أما أنا فأبني أصلي الليل أبداً  
 وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً  
 فجاء رسول الله ﷺ فقال أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إنني لأخشاكم  
 لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب  
 عن سنتي فليس مني) (٤)، قال ابن حجر رحمه الله: المراد بالسنة: الطريقة التي

(١) سورة الذاريات الآية رقم (٥٦).

(٢) سورة البقرة الآية رقم (٣٠).

(٣) الجب: القطع؛ والمجبوب مقطوع الذكر. انظر لسان العرب لابن منظور (٢٤٩/١).

(٤) تقدم تخريجه.

تقابل الفرض، والرغبة عن الشيء الأعراض عنه إلى غيره، والمراد من ترك طريقتي وأخذ بطريقة غيري فليس مني، ولمح بذلك إلى طريق الرهبانية فإنهم الذين ابتدعوا التشديد - كما وصفهم الله تعالى - وقد عابهم بأنهم ما وفوه بما التزموه، وطريقة النبي ﷺ الحنيفية السمحة؛ فيفطر ليتقوى على الصوم، وينام ليتقوى على القيام، ويتزوج لكسر الشهوة واعفاف النفس وتكثير النسل<sup>(١)</sup>. وقال سعد ﷺ لقد ردَّ رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التَّبْتُلَ<sup>(٢)</sup> وَلَوْ أَدْنَى لَهُ لَأَخْصَيْنَا متفق عليه<sup>(٣)</sup>.

وصنع النبي ﷺ شيئاً فكأن بعضهم تنزه عنه، قالت عائشة رضي الله عنها صنَعَ النبي ﷺ شيئاً فرخصَ فيه فتَنَزَّهَ عنه قَوْمٌ فَبَلَغَ ذلك النبي ﷺ فَخَطَبَ فَحَمِدَ اللهَ، ثُمَّ قَالَ: (مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ فَوَاللهِ إِنِّي لَأَعْلَمُهُمُ باللهِ وَأَشَدَّهُمْ لَهُ خَشْيَةً)<sup>(٤)</sup>، قال ابن حجر: في قوله: (إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية)، جمع بين القوة العلمية والقوة العملية، أي: أنهم توهموا أن رغبتهم عما أفعل أقرب لهم عند الله وليس كذلك؛ إذ هو أعلمهم بالقربة وأولاهم بالعمل بها<sup>(٥)</sup>.

فنرى في هذه الأحاديث أن النبي ﷺ عالج هذه الانحرافات الفكرية بما يصلحها، وقطع دابرها حتى لا يبقى لأحد شك أن فعل هذه الأمور قربة إلى الله تعالى.

(١) انظر فتح الباري (١٠٥/٩).  
 (٢) التبتل: الانقطاع عن النساء وترك النكاح، وامرأة بتول: منقطعة عن الرجال لا شهوة لها فيهم، وبها سميت مريم أم المسيح عليه السلام. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٩٤/١).  
 (٣) رواه البخاري: كتاب: النكاح، باب: ما يكره من التبتل والخصاء. انظر صحيح البخاري (١٩٥٢/٥) ومسلم كتاب النكاح (١٤٠٢). انظر صحيح مسلم (٢/١٠٢٠).  
 (٤) رواه البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: الاقتداء بأفعال النبي ﷺ. انظر صحيح البخاري (٢٦٦٢/٦).  
 (٥) انظر فتح الباري (٥١٣/١٠).

والدرس المستفاد من هذه الوقائع أن النبي ﷺ - وهو المعلم القدوة لكل معلم - قام بإنكار هذه القضايا وبين الحق فيها، وهذه الأمر مطلوب من المعلم المربي الذي يرى من الواجب عليه توجيه طلابه إلى خير، وهدايتهم إلى الصراط المستقيم.

## ٢- الفكر الضال.

إن اختلاف الآراء والأمزجة والطبائع أمر مقرر في كل المجتمعات، وقليل من الناس من يتفق في كل شي - لكنهم قد يتفقون في أشياء منها ما هو مؤثر مثل اتفاقهم في العقائد، وأركان الإسلام - وغالب توجيهات النبي ﷺ بأمور عامة لجميع المسلمين تثبت الإيمان وتصحح المسار، ولكنه كان يخص بعض أصحابه رضي الله عنهم بتوجيهات تعالج بعض الأخطاء التي يحتاجون لتصحيحها، ويستفيد معها عموم المسلمين؛ لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وهذه بعض الأمثلة على ذلك:

أ - عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى خيبر<sup>(١)</sup> مرَّ بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ<sup>(٢)</sup> يُعَلَّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ<sup>(٣)</sup>، فقال النبي ﷺ: سُبْحَانَ اللَّهِ هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى (اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ) وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُرْكَبَنَّ سُنَّةٌ<sup>(٤)</sup> مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ<sup>(٥)</sup>، قال ابن

(١) في المسند وغيره حنين بدل خيبر.

(٢) قال ابن منظور: ناط الشيء يتوطه نوطاً علّقه والنوط ما علّق. انظر لسان العرب (٤١٨/٧).

(٣) نسب بعض العلماء هذا القول إلى بعض جهال العرب، أقول: وحديثي الإسلام؛ لأن الطبري رحمه الله قال في روايته عن أبي واقد رضي الله عنه: فقلنا: يا رسول الله. انظر تفسير الطبري (٤٥/٩).

(٤) ومن تعريفات السنة الطريقة: يعني طريقة من قبلكم.

(٥) رواه أحمد في مسنده (٢١٨/٥)، ورواه الترمذي في سنته برقم (٢١٨٠). وقال الترمذي حديث حسن

صحيح. انظر سنن الترمذي (٤٧٥/٤).

العربي رحمه الله: فحذر النبي ﷺ من اتباع البدع، وأمر بإحياء السنن، وحث على الاقتداء<sup>(١)</sup>.

أقول: نرى في هذا الخبر كيف سارع النبي إلى الإنكار وضرب المثل لتستقر الصورة في الذهن؛ لأن الانحراف الفكري كان كبيراً يقود إلى الشرك بالله سبحانه.

ب- قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - وَهُوَ يَقْسِمُ قَسْمًا - أَتَاهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ؛ وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: اْعْدِلْ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ، قَدْ خَبِتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي فِيهِ أَضْرِبُ عُنُقَهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: دَعُهُ فَإِنْ لَهُ أَصْحَابًا يَحْفَرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ<sup>(٢)(٣)</sup>.

فالنبي ﷺ أنكر عليه اتهامه بعدم العدل، وهو صاحب الرسالة والوحي ينزل عليه صباح مساء، ثم إنه أخبر ﷺ - بما علمه الله سبحانه - بأن هذه الكلمة خلفها ما خلفها، وقد كان ما أخبر به النبي ﷺ حيث كان هذا الرجل مبدأ الخوارج الذين كفروا المسلمين واعتدوا على الحرمات وحرفوا معاني القرآن الكريم.

(١) انظر أحكام القرآن لابن العربي (٢/٣٢٠).

(٢) أي المرمية، فهي فعيلة بمعنى مفعولة، قال في النهاية: الصيْدُ الذي ترميه فتقصده وينفذ فيه سهمك. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٢/٢٦٨).

(٣) هذا لفظ مسلم ورواه البخاري مختصراً، كتاب: أبواب الخمس، باب: وَمِنْ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ الْخُمْسَ لِنَوَائِبِ الْمُسْلِمِينَ.... انظر صحيح البخاري (٣/١١٤٣)، ورواه مسلم، كتاب: الزكاة، برقم (١٠٦٤). انظر صحيح مسلم (٢/٧٤٤).

### ٣- ترك الصفات السيئة:

لقد كان ﷺ كثيرا ما يبدأ أصحابه رضي الله عنهم بالنصيحة، وقد تكون المبادرة من بعضهم - طلبا في النفع من توجيه النبي ﷺ - فكان ﷺ يوجه المستصحب بما يراه أصلح له، وهذه بعض النصائح التي وجهها ﷺ لبعض أصحابه رضي الله عنهم.

أ- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أوصني قال: (لا تَغْضَبْ، فَردَّدَ مِرَاراً قال لا تَغْضَبْ) <sup>(١)</sup>، قال الغزالي: توسم في السائل مخايل الغضب فنهاء عنه <sup>(٢)</sup>، وقال رحمه الله - وهي قضية مهمة للمعلمين -: ينبغي أن يكون العالم كالطبيب الحاذق فيستدل أولاً بالنبض والسحنة ووجود الحركات على العلل الباطنة ويشتغل بعلاجها، فيستدل بقرائن الأحوال على خفايا الصفات، وليتعرض لما وقف عليه <sup>(٣)</sup> اقتداء برسول الله ﷺ <sup>(٤)</sup>.

ب- عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: أتى النبي ﷺ رجلاً فقال: يا رسول الله دُلّني على عمل إذا أنا عملته أحببني الله وأحبنى الناس، فقال رسول الله ﷺ: (أزهد في الدنيا يحبك الله وأزهد فيما في أيدي الناس يحبوك) <sup>(٥)</sup>.

ج- عن سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: حدّثني بأمرٍ اعتصم به، قال: (قل ربّي الله ثمّ استقم، قلت: يا رسول الله

(١) رواه البخاري: كتاب: الأدب، باب: الحدّر من الغضب. انظر صحيح البخاري (٢٢٦٧/٥).

(٢) انظر إحياء علوم الدين للغزالي (٥٥/٤).

(٣) بالنصح والتوجيه والإصلاح.

(٤) انظر إحياء علوم الدين للغزالي (٥٤/٤).

(٥) رواه ابن ماجه في سنته برقم (٤١٠٢). انظر سنن ابن ماجه (١٣٧٣/٢). وقال الألباني حسن لغيره. انظر

صحيح الترغيب والترهيب (١٣٧/٣).

ما أَخَوْفُ ما تَخَافُ عَلَيَّ؟، فَأَخَذَ بِلِسَانِ نَفْسِهِ ثُمَّ قَالَ: (هذا)<sup>(١)</sup>.  
فوجد أنه ﷺ وجه كل صحابي بما يراه الأصلح له في دينه ودنياه، ولا يدل  
هذا على اختصاص النصيحة بمن وجهت لهم، لكنها هي الأصلح لهم وتعم  
جميع الأمة.

فيجب على المعلم أن يكون لماحا صاحب فكر سديد وعقل رشيد يعرف  
به بعض الخلل الذي يطرأ على أفكار الطلاب - أو يظهر من خلال أفعالهم  
وأقوالهم ومشاركاتهم - فيقوم بالتوجيه وإصلاح الخلل بالوسائل التي يراها  
أنفع.

(١) رواه الترمذي في سننه برقم (٢٤١٠)، وقال: حديث حسن صحيح. انظر سنن الترمذي (٤/٦٠٧).



## المبحث الثالث

### المسؤولية الأمنية والتقدوة في شخصية المعلم

وفيه تمهيد ومطالب:

#### تمهيد

يضطلع المعلمون في شتى تخصصاتهم بمسؤولية أمنية كبيرة - مع المسؤولية التعليمية التي يقومون بها - هذه المسؤولية نحن في أشد الحاجة إليها؛ وذلك لأن الأمن قرين التقدم والرخاء والازدهار والتحضر في جميع ميادين الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والصحية والأخلاقية، بل والدينية أيضا، ومتى فقد الأمن فقد كل ذلك أو ضعف.

إن ما قدمته من اقتران الأمن بالأمور المذكورة ليس زعما، بل إن التاريخ والواقع المشاهد أكبر دليل على ما ذكرته؛ فمتى اختل الأمن اختلت جميع أركان الحياة.

وكما أن التقدم في جميع ميادين الحياة مقترن بالأمن، فإن الأمن مقترن بالأيمان اقترانا متلازما فلا أمن بلا إيمان، قال تعالى: ﴿ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ، أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلُبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ، أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾<sup>(١)</sup>.

في هذه الآية دليل عظيم على أن المعاصي بجميع أنواعها مدعاة لغضب الله سبحانه وتعرض أصحابها لعقوبته عز وجل.

وإن كان كثير من المفسرين ذكروا أن سبب نزول هذه الآيات ما كان

(١) سورة النحل الآيات رقم (٤٥-٤٧).

من طغيان قريش وإساءة الأعراب إلى النبي ﷺ وإلى أصحابه رضي الله عنهم؛ فإن بعض العلماء استدلل بها على نزول العذاب بسبب المعاصي والانحراف عن شرع الله.

ومن أجل أن يكون الوطن آمناً مطمئناً بالإيمان كان لزاماً علينا أن نكون يداً واحدة - وأخص المعلمين - في وجه الانحرافات التي تضر بالأمن والإيمان، ويخشى من تقاعسنا في هذا الواجب العظيم أو إهماله أن تكون العاقبة سيئة، قال ﷺ: (إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ فيقول يا هذا اتَّقِ اللَّهَ وَدَعْ مَا تَصْنَعُ فَإِنَّهُ لَا يَجِلُّ لَكَ ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْغَدْرِ فَلَا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكْيَلَهُ وَشَرِيْبَهُ وَقَعِيدَهُ، فلما فعلوا ذلك ضَرَبَ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ ثُمَّ قَالَ: (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ) إِلَى قَوْلِهِ (فَاسِقُونَ) <sup>(١)</sup>، ثُمَّ قَالَ: كَلَّا وَاللَّهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَلَتَأْخُذَنَّ عَلَى يَدَيْ الظَّالِمِ وَلَتَأْطُرَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا وَلَتَقْصُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْرًا) <sup>(٢)</sup>.

وقال ﷺ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُوهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ) <sup>(٣)</sup>.

فهذه الأدلة تقرر أنه من الواجب علينا -معشر المعلمين والمربين والموجهين- أن نكون أكثر اهتماماً بمعرفة توجُّهات أبنائنا الطلاب، وتصحيح المسار لدى من لحظنا عليه أي خلل قد يؤدي إلى ما يضر بالفرد والمجتمع.

وسأعرض في المطالب التالية إلى أبرز الصفات التي يؤثر بها المعلم على طلابه، فيستفيدون منهم علمياً وعملياً.

(١) سورة المائدة الآيات رقم (٧٨-٨١).

(٢) رواه أبو داود في سننه برقم (٤٣٣٦). انظر سنن أبي داود (٤/١٢١).

(٣) رواه الترمذي في سننه برقم (٢١٦٩). انظر سنن الترمذي (٤/٤٦٨).

## المطلب الأول المعلم القدوة في علمه

إن أعظم ما يمكن أن يؤثر به المعلم على طلابه ويحصل به على إعجابهم، - ويتأثرون به إيجاباً - قوته العلمية في مادته التي يعلمها إذ يسيطر -بقوته العلمية - على جو محاضراته بالشرح وتبسيط المعلومة وتسهيل كل العقبات التي تحول بين الطلاب وفهم المادة العلمية، كما يكثر من ضرب الأمثلة وذكر القصص المفيدة، ويقوم بالإجابة - بصدر رحب - على جميع استفساراتهم بإجابات علمية تزيل كل ما لديهم من إشكالات في المادة العلمية التي يدرسها.

فعلى المعلم أن يكون متمكناً في تخصصه؛ ليقوم بأداء واجبه التعليمي والتربوي على أكمل وجه، قال ﷺ: (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه)<sup>(١)</sup>، وإتقان المعلم يقود إلى تأثر طلابه به وإعجابهم به مما يؤدي إلى تفاعلهم معه ومصارحته بكل ما يجول في خواطرهم.

ويحتاج المعلم - مع تمكنه في مادته التي تخصص فيها - أن يكون مطلعاً على مصادر مادته؛ ليستطيع استخراج المعلومة من مظانها، وتفسير كل ما يشكل عليه في مادته.

كما يحتاج المعلم إلى متابعة التطورات التي تطرأ على المادة التي يعلمها، وما الجديد فيها، فقد يظهر من المؤلفات لتلك المادة والفهارس والشروح ما يثري معلوماته ويزيد من مكانته العلمية، ومهما بلغت معارف العالم فإن علمه

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٣٣٤/٤)، وقال الألباني: صحيح وله شواهد. انظر السلسلة الصحيحة للألباني (١٠٦/٢).

لا يزال قليلا بجانب علم الله وما أودع ملكوته من معارف، قال تعالى: ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾<sup>(١)</sup>، وقد أمر الله نبيه أن يطلب الاستزادة من العلم؛ فكان أعظم مطلوب، قال تعالى: ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾<sup>(٢)</sup>، فلم يزل ﷺ في زيادة من العلم حتى توفاه الله عز وجل.

كما يجب أن يكون المعلم مثقفا في غير تخصصه الذي يقوم بتدريسه، حتى لا يكون محلا للسخرية بين تلاميذه لجهله بأمر لا يخفى على من هم مثله، والإسلام يحثنا على أن نكون أقوياء في كل أمورنا، قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾، ولا يتوصل إلى القوة في جميع الجوانب إلا بالعلم والتعليم.

وقال ﷺ: (الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلِّ خَيْرٍ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ...) الحديث<sup>(٣)</sup>، فالخيرية للمؤمن القوي على المؤمن الضعيف في كل الأمور؛ في العلم والمعرفة والعبادة والتقوى والورع... إلخ.

وإنما قدم المؤمن القوي على الضعيف؛ لأنه أنفع له ولدينه من المؤمن الضعيف، والشواهد كثيرة على ذلك في كل من سمت بهم همهم ففاقوا غيرهم فيما خصهم الله به، ويزيد الله من فضائله من شاء من عباده. ولا بد - مع توفيق الله - من الدربة الدائمة في المجالات النافعة حتى يصل المؤمن إلى درجة القوة التي فضل بها على المؤمن الضعيف.

مؤتمر ظاهرة التكفير .. الأسباب .. الآثار .. العلاج

(١) سورة الإسراء الآية رقم (٨٥).

(٢) سورة طه الآية رقم (١١٤).

(٣) رواه مسلم، كتاب: القدر، برقم (٢٦٦٤). انظر صحيح مسلم (٢٠٥٢/٤).

## المطلب الثاني

### المعلم القدوة في صفاته وأخلاقه

أمر الإسلام بحسن الخلق، وخص الله الأخلاق الحسنة بالذكر في كثير من الآيات القرآنية - كما نهى عن ضدها -، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْأِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبُغْيِ يَعِظُكُم لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾<sup>(١)</sup>، وكان ﷺ في أعلى درجات حسن الخلق، حتى أتى الله عليه بذلك فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(٢)</sup>، وتعظيم الله لخلق النبي ﷺ، ووصفه له بهذا الوصف دلالة على أنه ﷺ قد حاز كل خلق حسن، وعليه فإنه ﷺ لم يكن فيه أي خلق ذميم، قال ابن كثير رحمه الله في شرح الآية السابقة: معنى هذا أنه، عليه السلام صار امتثال القرآن - أمراً ونهياً - سجية له، وخلقاً تطبَّعه، وترك طبعه الجبلي، فمهما أمره القرآن فعَلَهُ، ومهما نهاه عنه تركه، هذا مع ما جبَّله الله عليه من الخلق العظيم، من الحياء والكرم والشجاعة، والصفح والحلم، وكل خلق جميل<sup>(٣)</sup>.

وقد وافقت أفعال النبي ﷺ أقواله في حسن الخلق، عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً وقال: قال رسول الله ﷺ: إِنَّ مِنْ أَحْسَنِكُمْ أَحْسَنَكُمْ خُلُقًا<sup>(٤)</sup>.

وبما أعطى الله نبيه من أخلاق حسنة تمكن عليه الصلاة والسلام من

(١) سورة النحل الآية رقم (٩٠).

(٢) سورة القلم الآية رقم (٤).

(٣) انظر تفسير القرآن الكثير (٤٠٣/٤).

(٤) متفق عليه؛ رواه البخاري كتاب: الأدب، باب: لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً. انظر صحيح

البخاري (٢٢٤٣/٥)، ورواه مسلم كتاب: الفضائل، برقم (٢٢٢١). انظر صحيح مسلم (٤/١٨١٠).

التأثير - بها - على كثير ممن حوله فأسلم الكافر، وازداد المؤمن إيماناً. والمعلم القدوة في أخلاقه وصفاته يقتدي بالنبي ﷺ في سيرته وسمته، فيكون صابراً على تلاميذه، ومنصفاً عادلاً بينهم، صادقاً فيما يعدُّ، كريماً محباً لإسعادهم، يسعى دائماً فيما يرى فيه الصلاح والخير لهم، ويتخذ قراراته لمصلحة تلاميذه والمادة التي يعلمها بشجاعة تامة.

وقال بعض الحكماء: أمهات الأخلاق أربع: الحكمة والشجاعة والعفة والعدل، قال الغزالي رحمه الله: ونعني بالحكمة؛ حالة للنفس بها يدرك الصواب من الخطأ في جميع الأفعال الاختيارية، ونعني بالعدل؛ حالة للنفس وقوة بها تسوس الغضب والشهوة وتحملهما على مقتضى الحكمة وتضبطهما في الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها، ونعني بالشجاعة؛ كون قوة الغضب منقادة للعقل في إقدامها وإحجامها، ونعني بالعفة؛ تأدب قوة الشهوة بتأديب العقل والشرع<sup>(١)</sup>.

فإذا تحلى المعلم بهذه الأخلاق وطبقها واقعا في حياته - وبين تلاميذه - أثر فيهم، وأصبح قدوة لهم في ذلك، وقام بواجبه العلمي والتربوي على أكمل وجه، وكان متقنا لعمله محبوباً راضياً.

(١) انظر إحياء علوم الدين (٢/٥٤).

## المطلب الثالث

### المعلم القدوة المنضبط في وقته

الوقت هو العمر، وهو مضمرة التجارة الذي لا يعوض أبداً، وهو الظرف الذي يقع فيه الخير والشر، والعبادة والصلاح، والمعاصي والسيئات، والعلم والتعليم.

وقد جاءت الشريعة الإسلامية بالأمر بالحفاظ على الأوقات واستغلالها فيما يعود على النفس بالنفع.. ولهذا قال الله تعالى - مبيناً بلوغ الحجة، وأن الناس ليس لهم عذر في تضييع أوقاتهم-: ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِن كُنْتُ لَمِنَ السَّآخِرِينَ ﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمَّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال ﷺ: (نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ)<sup>(٣)</sup>.

ولا شك أن المعلم القدوة في علمه قد استفاد من عمره في تحصيل العلم الذي تخصص فيه، وأنه لم يصل إلى مرحلة التعليم والتوجيه والتربية إلا وقد مر بكثير من التجارب التي أثرت أداءه وميزت جودة طريقته في التعليم، فينفعه كل ذلك في توجيه طلابه والتأثير فيهم.

والمعلم القدوة يتذكر دائماً أن التزامه بوقت محاضراته وساعاته المكتبية أمانة يجب عليه أداؤها؛ لأنه يستلم مقابل الوقت - الذي يقضيه مع تلاميذه

(١) سورة الزمر الآية رقم (٥٦).

(٢) سورة فاطر الآية رقم (٣٧).

(٣) رواه البخاري كتاب: الرقاق، باب: باب ما جاء في الصحة والفراغ. انظر صحيح البخاري (٢٣٥٧/٥).

وفي مكتبه - مالا يحاسب عليه أمام الله، ويطعم منه كما يطعم منه أولاده، فكان لزاما عليه أن يكون محافظا على وقته متقيا لله فيه. والمعلم القدير يرتب وقته فيجمع بين التزاماته التعليمية والتزاماته التربوية والتزاماته الأخرى، ويضع لمهامه جدولا يوميا يسير عليه لا يختلف عنه إلا لطارئ يوجب تغير الجدول ينتهي بانتهاء الحاجة التي أوجبتة. فعلى المعلم القدير - مع انضباطه في مواعيده ومحافظته على وقته - أن يكون دائم التذكير لتلاميذه بأهمية الوقت، وعمل الواجبات وتقديم الأهم على المهم، ومن أوجب الواجبات أداء الصلوات في أوقاتها، والاهتمام بالتعلم، والحرص على التنافس الشريف. ويقوم المعلم القدوة بتوجيه تلاميذه إلى مسؤوليتهم أمام الله عن تحصيلهم العلمي ومدى عملهم بما تعلموه، وماذا قدموا لدينهم ووطنهم وحكومتهم التي مهدت لهم سبل التعلم وأقامت صروح التعليم.



## المطلب الرابع

### المعلم القدوة يوجه طلابه للوسطية والاعتدال

يحسن المعلم القدوة توجيه طلابه للوسطية والاعتدال، ويكون الهادي في ذلك كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، كما يستفيد من سير السلف الصالح وتوجيهاتهم إلى التيسير وعدم التعسير، وإلى الاتباع وعدم الابتداع، ووضع الأمور في نصابها حسب إرادة الشارع الحكيم، والنظر إلى مقاصد الشريعة من وضع الأحكام.

وأدلة التيسير ورفع الحرج في الكتاب كثيرة، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾<sup>(١)</sup>، وقوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>، وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّضَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾<sup>(٤)</sup>.

وللدلالة على كلام علماء الأمة على هذه المعاني أذكر قول ابن كثير رحمه الله في التعليلات التي جاءت في آية الوضوء قال في قوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ أي: فهذا سهل عليكم ويسر ولم يعسر، بل أباح التيمم عند المرض، وعند فقد الماء، توسعة عليكم ورحمة بكم، وجعله في حق من شرع له يقوم مقام الماء إلا من بعض الوجوه، كما

(١) سورة البقرة الآية رقم (١٨٥).

(٢) سورة المائدة الآية رقم (٦).

(٣) سورة النساء الآية رقم (٢٦).

(٤) سورة النساء الآية رقم (٢٨).

تقدم بيانه، وقوله تعالى: ﴿ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ ، أي: لعلكم تشكرون نعمه عليكم فيما شرعه لكم من التوسعة والرفقة والرحمة والتسهيل والسماحة<sup>(١)</sup>.

أقول: وجميع الآيات السابقة وردت فيها التعليلات والحكم والأسرار بإرادة الله - من جميع ما شرعه وقضاه - الخير والصلاح، ودفن الشر والفساد، والتيسير وعدم التعسير، والتخفيف وعدم التضيق، فكان هذا مقصدا عظيما من مقاصد الشريعة، ينبغي للمعلم أن يربي عليه تلاميذه.

وقد جاء على لسان النبي ﷺ من الأوامر والنواهي تبين وتواز هذه المعاني التي جاءت في الآيات السابقة وأمثالها، من ذلك:

قوله ﷺ: (إِنَّمَا بُعِثْتُ مُبَسِّرِينَ وَلَمْ يُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ)<sup>(٢)</sup>، وقوله ﷺ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا بَعَثَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِي بَعْضِ أَمْرِهِ قَالَ بَشِّرُوا وَلَا تُفْسِرُوا وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا)<sup>(٣)</sup>، وقوله ﷺ: (دَعُونِي مَا تَرَكَتُكُمْ إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاحْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ)<sup>(٤)</sup>، وعن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: (بَايَعْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ - فَلَقَنَنِي فِيهَا اسْتَطَعْتُ -

(١) انظر تفسير ابن كثير (٦٠/٣).

(٢) رواه البخاري كتاب: الوضوء، باب: صب الماء على البول في المسجد. انظر صحيح البخاري (٨٩/١).

(٣) متفق عليه؛ هذا لفظ مسلم ولفظ البخاري: يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا وَسَكَّنُوا وَلَا تُفْسِرُوا) رواه البخاري كتاب: الأدب، باب: قول النبي ﷺ: يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا وكان يجب التخفيف والتيسر على الناس. انظر صحيح البخاري (٢٢٦٩/٥)، ورواه مسلم كتاب: الجهاد والسير، برقم (١٧٤٢). انظر صحيح مسلم (١٣٥٨/٣).

(٤) متفق عليه؛ رواه البخاري كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: قول النبي ﷺ: بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ. انظر صحيح البخاري (٢٦٥٨/٦)، ورواه مسلم كتاب: الحج، برقم (١٣٣٧). انظر صحيح مسلم (٩٧٥/٢).

وَالنُّصْحُ لِكُلِّ مُسْلِمٍ<sup>(١)</sup>.

فهذه الأحاديث وأمثالها كثير تدل على أن الله سبحانه في جميع تشريعاته يريد الخير والصلاح، والتيسير على المكلفين ورفع المشقة والحرص عنهم، قال النووي رحمه الله في قوله ﷺ: (وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ) هذا من قواعد الإسلام المهمة، ومن جوامع الكلم التي أعطاها ﷺ.

**وكان فهم السلف رحمهم الله وتوجيهاتهم تتطابق مع ما جاء عن الله سبحانه وما جاء عن نبيه ﷺ، وهذه بعض الأمثلة على ذلك:**

عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: خير هذه الأمة النمط الأوسط، يرجع إليهم الغالي ويلحق بهم التالي<sup>(٢)</sup>.

وقال حذيفة رضي الله عنه: خياركم الذي يأخذون من دنياهم لآخرتهم، ومن آخرتهم لدنياهم<sup>(٣)</sup>.

وكان يقال: دين الله بين المقصر والغالي<sup>(٤)</sup>.

وقال مطرف رحمه الله لابنه: يا بني؛ الحسنه بين السيئتين، يعني بين الإفراط والتقصير، وخير الأمور أوسطها، وشر السير الحقة<sup>(٥)</sup>، قال العز بن عبد السلام رحمه الله: ومعناه أن التقصير سيئة والإسراف سيئة والحسنه ما توسط بين الإسراف والتقصير وخير الأمور أوسطها فلا يكلف الإنسان نفسه من الخيور والطاعات إلا ما يطبق المداومه عليه ولا يؤدي إلى الملالة

(١) متفق عليه؛ رواه البخاري كتاب: الأحكام، باب: كَيْفَ يُبَايِعُ الْأَمَامُ النَّاسَ. انظر صحيح البخاري (٢٦٣٤/٦)، ورواه مسلم كتاب: الإيمان، برقم (٥٦). انظر صحيح مسلم (٧٥/١).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٠٠/٧).

(٣) ذكره ابن قتيبة في عيون الأخبار (ص١٣٦).

(٤) انظر المرجع السابق (ص١٣٦).

(٥) شر السير الحقة: وهو أن يلح في شدة السير حتى تقوم عليه راحلته أو تعطب فيبقى منقطعاً به. وهذا مثل ضربه للمجتهد في العبادة حتى يحسر. انظر غريب الحديث للقاسم ابن سلام (٣٨٨/٤).

والسامة<sup>(١)</sup>.

وعلى مثل توجيهات السلف رحمهم الله لأبنائهم وطلابهم يربي المعلم طلابه، ويناقشهم دائماً في المعلومات التي تثبت عندهم مبدأ الوسطية وتبين لهم غوائل الإفراط والتفريط.

كما يرشد المعلم تلاميذه إلى كتابات العلماء الذين اهتموا بتأصيل مبدأ الوسطية والبعد بالأمة عن التشدد والشقة والحرص مثل كتابات الأئمة الأربعة وكتابات شيخ الإسلام بن تيمية وتلاميذه، وكتابات من تعرض للوسطية من علماء العصر الحاضر ممن يوثق بعلمهم وتوجههم.

(١) نسب العز بن عبد السلام الأثر لحذيفة رضي الله عنه. انظر قواعد الأحكام في مصالح الأنام (١٧٤/٢).

## الخاتمة

وفيها:

أولاً: أهم النتائج:

وبعد هذه الجولة السريعة خلال هذا البحث المهم أعترف بأنني لم أوفه حقه ولكنني طرقت بعض الأبواب وتركتها مفتوحة وأخرى لم أطرقها اختصاراً، وهذا البحث مجال فسيح لرواد الفكر والتربية والتوجيه والأمن.

وهذه بعض النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث:

- ١- كمال الشريعة الإسلامية، وأن الزيادة عليها - والنقص أيضاً - في العقائد والعبادات مرفوض شرعاً.
- ٢- وضوح المسؤوليات في الشريعة الإسلامية، وإذا قام كل إنسان بمسؤولياته على أكمل وجه صلح حال الأمة وعمها الأمن والرخاء والسعادة.
- ٣- ظهور الأخطاء والانحرافات منذ بعثة النبي ﷺ، وكانت أكثر من بعد ذلك، وكما واجهها النبي ﷺ بالحكمة والتوجيه والإرشاد، قام ساسة المسلمين وعلماء الدين بنفس الواجب - مستمدين ذلك من هدي النبي ﷺ - في كل زمان ومكان.
- ٤- أن المسؤولية الأمنية واجبة على الجميع، وخاصة من يسوسون عقول الشباب ويقومون على غرس العلم والقيم والمبادئ فيها.
- ٥- أهمية دور المعلمين في التربية والتوجيه، وبيان الشبه، ورفع الإشكالات عند تلاميذهم، ولا يكون ذلك إلا بالتمكن العلمي.
- ٦- أن المعلم القدوة في علمه وعمله وأخلاقه هو المعلم الذي يؤثر في تلاميذه، ويكون محل تقديرهم واحترامهم.

٧- أن بث الوعي وروح التفاؤل بين التلاميذ يؤدي إلى تقوية الأواصر بينهم وبين معلمهم؛ وبالتالي يعرضون عليهم مشاكلهم وما يجد في حياتهم، فيقوم المعلمون بواجب النصح والتوجيه.

### ثانياً: أهم التوصيات:

ومن أهم التوصيات التي يمكن ذكرها الآتي:

- ١- مشاركة الدولة الحكيمة - بإيجاد الحلول العلمية المناسبة - في جهودها المباركة في معالجة هذه الظاهرة الدخيلة على عقيدتنا وأمننا ووطننا.
- ٢- وجوب التركيز على علوم الشريعة في جميع المحاضن التعليمية؛ لأن فيها التزكية والطهارة والنقاء، وتحمل على خشية الله ومراقبته، وتجعل من الإنسان أداة إصلاح لا أداة إفساد.
- ٣- التأكيد على المعلمين - وكل مسؤول - القيام بأداء الأمانة التي تحملوها على الوجه الذي يرضي الله سبحانه وتعالى أولاً، ثم يحقق الترقى في العلم والمعرفة، ويرشد الطلاب إلى علو الهمة والخير والتفوق.
- ٤- معرفة الشبه التي تدخل على بعض الشباب ووضع الحلول الناجعة لها، وتكثيف الحوارات التي تظهر الحق وتزيل الباطل.

وَأَسْأَلُ اللَّهَ التَّوْفِيقَ والسَّدَادَ .

## فهرس المراجع

- القرآن الكريم.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. اسم المؤلف: محمد فؤاد عبدالباقي. دار النشر: دار الحديث. مدينة النشر القاهرة. سنة النشر: ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.
- الآداب الشرعية والمنح المرعية، اسم المؤلف: الإمام أبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، الطبعة: الثانية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عمر القيام، عدد الأجزاء: ٣.
- أحكام القرآن، اسم المؤلف: أحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٤٠٥، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، عدد الأجزاء: ٥.
- أحكام القرآن، تأليف: أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي، دار النشر: دار الفكر للطباعة والنشر - لبنان، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، عدد الأجزاء: ٤.
- إحياء علوم الدين، لمحمد بن محمد الغزالي أبي حامد، ولد عام خمسين وأربعمئة للهجرة، توفي عام خمس وخمسمئة للهجرة، عدد الأجزاء: ٤، دار النشر: دار المعرفة - بيروت.
- الاقتصاد في الاعتقاد، اسم المؤلف: أبو حامد الغزالي، دار النشر: دار ومكتبة الهلال - لبنان - ١٩٩٣م، الطبعة: الأولى، عدد الأجزاء: ١.
- تفسير القرآن العظيم. اسم المؤلف: إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء. وفاة المؤلف: ٧٧٤هـ. دار النشر: دار الفكر، وطبعة دار المعرفة الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ. مدينة النشر: بيروت. سنة النشر: دار الفكر ١٤٠١هـ. عدد الأجزاء: ٤.
- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، تأليف: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى. عدد الأجزاء: ٣٢.

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن. اسم المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر. ولادة المؤلف: ٢٢٤هـ. وفاة المؤلف: ٣١٠هـ. دار النشر: دار الفكر. مدينة النشر: بيروت. سنة النشر: ١٤٠٥هـ. عدد الأجزاء: ٣٠.
- الجامع لأحكام القرآن. لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي. المتوفى سنة ٦٧١هـ. دار النشر: دار الشعب. عدد الأجزاء: ٢٠.
- الجامع الصحيح المختصر. اسم المؤلف: محمد بن إسماعيل، أبو عبد الله البخاري الجعفي. ولادة المؤلف: ١٩٤هـ. وفاة المؤلف: ٢٥٦هـ. دار النشر: دار ابن كثير، اليمامة. مدينة النشر: بيروت. سنة النشر: ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م. رقم الطبعة: الثالثة. عدد الأجزاء: ٦. اسم المحقق: د. مصطفى ديب البغا.
- ديوان أحمد شوقي. طبع نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، توثيق وتبويب وشرح وتعقيب الدكتور أحمد الحوي، عدد الأجزاء: ٢.
- سنن أبي داود. اسم المؤلف: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي. ولادة المؤلف: ٢٠٢هـ. وفاة المؤلف: ٢٧٥هـ. دار النشر: دار الفكر، عدد الأجزاء: ٤. اسم المحقق: محمد محيي الدين عبدالحميد.
- سنن الترمذي. اسم المؤلف: محمد بن عيسى، أبو عيسى الترمذي السلمي، ولادة المؤلف: ٢٠٩هـ. وفاة المؤلف: ٢٧٩هـ. دار النشر: دار إحياء التراث العربي. مدينة النشر: بيروت. عدد الأجزاء: ٥. اسم المحقق: أحمد محمد شاكر وآخرون.
- سنن ابن ماجه. اسم المؤلف: محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني. ولادة المؤلف: ٢٠٧هـ. وفاة المؤلف: ٢٧٥هـ. دار النشر: دار الفكر. مدينة النشر: بيروت. عدد الأجزاء: ٢. اسم المحقق: محمد فؤاد عبدالباقي.
- سنن النسائي (المجتبى). اسم المؤلف: أحمد بن شعيب أبو عبدالرحمن النسائي. ولادة المؤلف: ٢١٥هـ. وفاة المؤلف: ٣٠٣هـ. دار النشر: مكتب المطبوعات الإسلامية. مدينة النشر: حلب. سنة النشر: ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م. رقم الطبعة: الثانية. عدد الأجزاء: ٨. اسم المحقق: عبدالفتاح أبو غدة.
- شعب الإيمان، اسم المؤلف: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار النشر: دار



الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٠، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، عدد الأجزاء.

- شرح سنن ابن ماجه، اسم المؤلف: السيوطي وآخرون، عدد الأجزاء: ١.
- صحيح مسلم. اسم المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري. ولادة المؤلف: ٢٠٦هـ. وفاة المؤلف: ٢٦١هـ. دار النشر: دار إحياء التراث العربي. مدينة النشر: بيروت. عدد الأجزاء: ٥. اسم المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي.
- صحيح مسلم بشرح النووي. اسم المؤلف: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي. ولادة المؤلف: ٦٣١هـ. وفاة المؤلف: ٦٧٦هـ. دار النشر: دار إحياء التراث العربي. مدينة النشر: بيروت. سنة النشر: ١٣٩٢هـ. رقم الطبعة: الطبعة الثانية. عدد الأجزاء: ١٨.
- عيون الأخبار، اسم المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، عدد الأجزاء: ١.
- غريب الحديث، اسم المؤلف: القاسم بن سلام الهروي أبو عبيد، دار النشر: دار الكتاب العربي - بيروت - ١٣٩٦، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، عدد الأجزاء: ٤.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري. اسم المؤلف: أحمد بن علي بن حجر، أبو الفضل العسقلاني الشافعي. ولادة المؤلف: ٧٧٣هـ. وفاة المؤلف: ٨٥٢هـ. دار النشر: دار المعرفة. مدينة النشر: بيروت. سنة النشر: ١٣٧٩هـ. عدد الأجزاء: ١٣. اسم المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب.
- قواعد الأحكام في مصالح الأنام، اسم المؤلف: أبي محمد عز الدين السلمي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: ٢.
- لسان العرب، اسم المؤلف: محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، دار النشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الأولى. عدد الأجزاء: ١٥.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، اسم المؤلف: أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، دار النشر: مؤسسة قرطبة - مصر، عدد الأجزاء: ٦.

- مشارق الأنوار على صحاح الآثار، اسم المؤلف: القاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي، دار النشر: المكتبة العتيقة ودار التراث، عدد الأجزاء: ٢.
- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، اسم المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبه الكوفي، دار النشر: مكتبة الرشد - الرياض - ١٤٠٩، الطبعة: الأولى، تحقيق: كمال يوسف الحوت، عدد الأجزاء: ٧.
- المعجم الأوسط، اسم المؤلف: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، دار النشر: دار الحرمين - القاهرة - ١٤١٥، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، عدد الأجزاء: ٩.
- معجم مقاييس اللغة، اسم المؤلف: أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، دار النشر: دار الجيل - بيروت - لبنان - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، الطبعة: الثانية، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، عدد الأجزاء: ٦.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، اسم المؤلف: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، دار النشر: المكتبة العلمية - بيروت - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، عدد الأجزاء: ٦.



ظاهرة التكفير .. الأسباب والعلاج والأثار



## دور بعض مؤسسات المجتمع في مواجهة ظاهرة التكفير

د. أحمد مختار مكي      د. مريم طاهر طالب  
أصول التربية      عقيدة ومذاهب معاصرة  
مصر / سوهاج      السعودية / جازان



مؤتمر ظاهرة التكفير .. الأسباب .. الآثار .. العلاج

## إجراءات الدراسة

### مقدمة:

تواجه المجتمعات أشكالاً متعددة من العنف، ويرى بعضهم أن مظاهر العنف هذه قد برزت فجأة، ولكن باستقراء الحقائق، والتفهم الجيد لطبيعة الحياة الاجتماعية، يلاحظ أنه ليس هناك ما يسمى بالتغيرات الفجائية في حياة المجتمعات، إنما هي نتائج لمقدمات مرت بالمجتمع وأثرت فيه دون أن ينتبه إليها الباحثون أو أفراد المجتمع. ومن بينها ظاهرة التكفير بما تحمله من فكر منحرف قد يؤدي إلى العنف.

يسعى هذا البحث إلى دراسة المؤسسات التربوية التي جندها المجتمع من أجل تربية أفرادها والحفاظ على سلامة المجتمع وأمنه، ويرى الباحثان أن دراسة المؤسسات هي الطريق الصحيح لمواجهة ظاهرة التكفير، لأن هذا المؤسسات لو كانت تؤدي وظائفها بطريقة صائبة؛ لما حدث هذا الانحراف الفكري والتطرف والعنف، وهنا يسعى هذا البحث وراء أسباب ذلك والكشف عنها لمعالجتها وهذا هو أقصر طريق لحل المشكلات، أما النتائج فمن يسعى لدراستها - فهو كمن يبكي على اللبن المسكوب - ولا يتوقف دور هذا البحث عند دراسة الأسباب، بل يسعى لطرح الحلول من خلال تصور يقدمه البحث من أجل تطوير هذه المؤسسات، ومن ثم زيادة فاعليتها في مواجهة مشكلات المجتمع.

### مشكلة البحث:

يعاني المجتمع من ظاهرة التكفير التي أصبحت تهدد أمن الأمنين، ومن هنا نبغ إحساس الباحثين بضرورة دراسة الدور الذي تقوم به بعض مؤسسات المجتمع في الحد من انتشار هذه الظاهرة وغيرها من ظواهر الانحراف الاجتماعي، فهذه المؤسسات في حاجة دائمة لمراجعات تربوية، نظراً للتغيرات

التي تطراً على المجتمع نتيجة لتغير الظروف المحيطة، وبخاصة لأن سرعة المتغيرات في العصر الحالي تتطلب إعادة النظر المستمرة في مؤسسات المجتمع.

**أهمية البحث:**

تتبع أهمية البحث من أهمية المرحلة التي تعيشها الأمة الإسلامية، والتي تقتضي بالضرورة مجابهة كل حركات التمرد والعودة بالمجتمع الإسلامي إلى الوسطية والعقيدة الصحيحة.

كما يسهم البحث في تحديد دور المؤسسات التعليمية والمساجد ووسائل الإعلام في مواجهة ظاهرة التكفير، ومن ثم يساعد هذه المؤسسات في أداء الدور المنوط بها للحد من انتشار ظاهرة التكفير وغيرها من ظواهر التمرد والانحراف الفكري والاجتماعي.

**هدف البحث:**

يسعى البحث إلى التعرف على:

دور المؤسسات التعليمية والمساجد ووسائل الإعلام في الحد من ظاهرة التكفير، وواقع هذه المؤسسات ومدى قدرتها على القيام بوظائفها.

**أسئلة البحث:**

ما ظاهرة التكفير؟ وما الأسباب التي أدت إلى انتشارها؟  
 ما دور المؤسسات التعليمية في الحد من ظاهرة التكفير وواقع هذه المؤسسات في الوطن العربي؟  
 ما دور وسائل الإعلام في الحد من ظاهرة التكفير وما واقع معالجة الإعلام لهذه الظاهرة؟  
 ما دور المسجد في الحد من ظاهرة التكفير؟  
 ما الصورة التي ينبغي أن تكون عليها هذه المؤسسات حتى تصبح قادرة على القيام بدورها؟

**منهج البحث:**

يستخدم المنهج الوصفي في هذا البحث لأنه المنهج المناسب لطبيعته، حيث

إن " البحوث الوصفية بما تحصل عليه من حقائق دقيقة عن الظروف القائمة وما تستتبطه من علاقات بين الظواهرات الجارية وبتفسير معنى البيانات، تمد المربين بمعلومات عملية وسريعة الفائدة، وتمكن من وضع خطط أكثر ذكاء عن البرامج المقبلة"<sup>(١)</sup>.

### خطة السير في البحث:

يتحدد شكل هذا البحث من خلال الإجابة عن الأسئلة:

يبدأ بإجراءات الدراسة ويتضمن ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: يتضمن الإجابة عن السؤال الأول وهو، ما ظاهرة التكفير وما الأسباب التي أدت إلى انتشارها؟ يتم من خلال الإجابة عنه عرض لنشأة الظاهرة، ويركز في هذا المبحث على الأسباب، لأنها المرتكز الرئيس لهذا البحث.
  - المبحث الثاني: يجيب هذا المبحث عن الأسئلة من الثاني إلى الرابع والتي تدور حول المؤسسات التعليمية ووسائل الإعلام والمسجد، وعلاقتها بالظاهرة، والدور الذي يجب عليها للحد من الظاهرة، يتناول هذا المبحث بالعرض والتحليل لكل مؤسسة من هذه المؤسسات موضحاً وظائفها ودورها، وما يعوق قيامها بالدور الذي يأمل المجتمع منها القيام به.
  - المبحث الثالث: للإجابة عن السؤال الخامس والذي ينصُّ علي: ما الصورة التي ينبغي أن تكون عليها هذه المؤسسات حتى تصبح قادرة على القيام بدورها؟، يقدم البحث تصوراً مقترحاً لرفع كفاءة المؤسسات التربوية من خلال تصور لعلاج بعض عيوب هذه المؤسسات.
- ثم يختتم الباحثان بحثهما بتحليل لما توصل إليه البحث وعرض لأهم النتائج والتوصيات

(١) ديوبولد فان دالين، مناهج البحث في التربية وعلم النفس، ترجمة: محمد نبيل نوفل وآخرين، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، الطبعة السادسة، ١٩٩٦، ص ٣٢٣.

## المبحث الأول ظاهرة التكفير

مدخل:

ظاهرة التكفير وغيرها من الظواهر التي سادت المجتمع الإسلامي تحت مظلة الصحة الإسلامية، ربما تكون خطورتها على المجتمع الإسلامي أشد خطورة من أعداء الإسلام من غير المسلمين، الذين يتربصون بالإسلام والمسلمين ويهدفون إلى "تنصير أو علمنة المسلمين طموحا إلى إلغاء أمتنا الإسلامية وحضارتها، وطي صفحة الإسلام من سجل الوجود"<sup>(١)</sup>.

هؤلاء وغيرهم من الجماعات نشروا الفزع بين المسلمين، وفي ذات الوقت قدموا خدمة لأعداء الإسلام، وأتاحوا لهم الفرصة ليتهموا الإسلام بأنه دين العنف والإرهاب والتخلف، ويحكموا قبضتهم على بلاد الإسلام بدعوى محاربة الإرهاب، والإرهاب والعنف والتعصب ليست من سمات الإسلام كما يدعي بعضهم، بل ذلك يسود العالم أجمع بدياناته المتعددة، وليس أدل على ذلك من دراسة (Dunn) "التي تناولت التطرف الديني بين البروتستانت والكاثوليك في أيرلندا الشمالية، والتي أوصت باستخدام المدرسة بوصفها مؤسسة تربية للتغلب على التطرف الديني أو التخفيف من حدته"<sup>(٢)</sup>.

**نشأة الجماعة وفكرها:**

سوف نعرض بإيجاز نشأة الجماعة ومرتكزات فكرها، حيث إن هذا البحث لا يسعى لدراسة النتائج إنما يهدف إلى الكشف عن الأسباب التي

(١) محمد مرهف حسين أسد، العولة رؤية إسلامية، دار وحي القلم، دمشق، ٢٠٠٢، ص ٣٧.

(٢) Dunny S, "The Role Of Educational The Northern Island Conflict",Oxford Review Of Education ,V12,N3, 1985,pp239-241.



أسهمت في ظهور هذه الظاهرة، والكشف عن دور مؤسسات المجتمع في علاج هذه الأسباب، و" من الوجهة التربوية والاجتماعية ليست العبرة في حجم الدمار والخسائر المادية عند تناول ظواهر التطرف الفكري، بل الأهم من ذلك الوقوف على الدوافع والأسباب الحقيقية التي تكمن خلف الفكر المتطرف، ثم كيفية تقديم رؤى العلاج والإصلاح"<sup>(١)</sup>.

ظاهرة التكفير بدأت في مصر وانطلقت منها إلى بلاد العالم الإسلامي، وتعد جماعة التكفير من الجماعات المغالية في التطرف، ف" تيار التطرف والعنف أخذ يتنامى في مصر منذ بدايات السبعينات، على يد جماعات اتخذت الدين ستاراً لتحقيق أغراض سياسية، وسعت إلى فرض رؤيتها الخاصة للدين على الناس ولو بالقوة، فقد ظهرت جماعة شباب محمد التي ارتكبت حادثة الفنية العسكرية، ثم تبعها جماعة المسلمين (التكفير والهجرة)"<sup>(٢)</sup>.

يعد التكفير أولى مرتكزات فكر هذه الجماعة " فهم يكفرون الحكام الذين لا يحكمون بما أنزل الله؛ بإطلاق دون تفصيل، ويكفرون المحكومين لأنهم رضوا بذلك، أما العلماء فيكفرونهم لأنهم لم يكفروا هؤلاء ولا أولئك، كما يكفرون كل من عرض عليه فكرهم ولم يقبله أو قبله ولم ينضم إلي جماعتهم وبياع أميرهم"<sup>(٣)</sup>، وإن هذا المعتقد جد خطير؛ فعن عبد الله بن دينار أنه سمع ابن عمر يقول: قال: رسول الله ﷺ "أيما امرئ

(١) آمنة بنت أرشد بنجر، "الدور التربوي للأسرة الخليجية في وقاية أبنائها من الغلو والتطرف"، مجلة مستقبل التربية، المركز العربي للتعليم والتنمية، العدد (٣٣) أكتوبر ٢٠٠٦، ص ١٦٥.

(٢) عبد الفتاح جلال وآخرون، دور المدرسة الثانوية في مواجهة مشكلة التطرف، مجلة العلوم التربوية، معهد الدراسات التربوية جامعة القاهرة، العدد (٢)، سبتمبر ١٩٩٤، ص ١٦. نقلاً عن، حسنين توفيق إبراهيم، ظاهرة العنف السياسي في مصر: دراسة كمية تحليلية، مقارنة ١٩٥٢-١٩٨٧، المستقبل العربي عدد ١١٧ نوفمبر، ١٩٨٨، ص ٤٤.

(٣) عادل عبد الله العبد الجبار، الإرهاب في ميزان الشريعة، دن، الرياض، د.ت، ص ٤٣٠.

قال لأخيه يا كافر، فقد باء بها أحدهما إن كان كما قال وإلا رجعت عليه"<sup>(١)</sup>، ويرى (الأثري)"ألا يكون التكفير منطلقاً من الأهواء والشهوات فإن ذلك خطره عظيم، فإن المسلم لا ينبغي تكفيره، والحكم عليه بالكفر، إلا بعد قيام موجب شرعي دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ"<sup>(٢)</sup>، ويقول (الشيخ صلاح أبو إسماعيل)"أن التكفير مرتبة لا يجوز أن يفتي فيها إلا خبراء في الشريعة والفقهاء على مستوى عال... وإنني أعتبر تكفير مسلم لمسلم أمراً خطيراً لا يجوز التسرع فيه، بل يجب أن توضع عقوبات رادعة لمثل هذا السلوك"<sup>(٣)</sup>، كما أعلن

مجلس هيئة كبار العلماء في دورته التاسعة والأربعين، والمنعقدة في الطائف ١٤١٩ هـ " إن المجلس إذ يبين حكم تكفير الناس بغير برهان من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وخطورة إطلاق ذلك، لما يترتب عليه من شرور وآثام، فإنه يعلن للعالم أن الإسلام برئ من هذا المعتقد الخاطئ، وأن ما يجري في بعض البلدان من سفك للدماء البريئة، وتفجير للمساكن والمركبات، والمرافق العامة والخاصة، وتخريب للمنشآت: هو عمل إجرامي والإسلام برئ منه"<sup>(٤)</sup>.

يتضح مما سبق أن المرتكز الفكري لمعتقداتهم بتكفير المجتمع والحكام والعلماء، والخروج عليهم واستباحة دماء وأموال الناس بزعم أنهم كفار، هو

(١) الإمام أبو الحسن مسم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، تحقيق محمد بن نزار تميم، وهيثم بن نزار تميم، دار الأرقم بن لأرقم، الأرقم، بيروت، ١٩٩٩، ص ٥٨.

(٢) علي حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري، التبصير بقواعد التكفير، دار المنهاج، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ٣١.

(٣) موسوعة الفقه الإسلامي المعاصر، تحرير: عبد الحليم عويس، دار الوفاء، جزء (٣)، المنصورة، ٢٠٠٥، ص ٥٨٦.

(٤) علي حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري، مرجع سابق، ص ٧٦.

معتقد باطل بكل الأدلة والأسانيد من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأقوال العلماء.

نتوقف عند هذا المرتكز لهذه الجماعة المتصل بموضوع البحث وهو التكفير إن كان هذا المرتكز الفكري للتكفير، وقد أجمع العلماء على عدم صحته وأنه لا سند له من الكتاب والسنة، إنما جاء تبعاً لأهوائهم وتفسيرهم لبعض النصوص تفسيراً صدر عن غير فهم، يظل السؤال الذي يسعى هذا البحث للإجابة عنه، أن كان هذا الفكر منحرفاً، فما الأسباب التي دفعت هؤلاء وغالبيتهم من الشباب إلى اعتناقه؟

### الأسباب التي دفعت الشباب نحو هذه الظاهرة:

سوف نبدأ بما انتهت إليه الدراسات السابقة في هذا المجال، وما توصلت إليه من أسباب هذا الانحراف الفكري والتطرف والعنف والإرهاب.

#### الفراغ الديني:

تؤكد إحدى الدراسات على " أن الفراغ الديني وعدم الوعي بالقواعد والأصول الدينية الصحيحة، أدى إلى سهولة وقوع بعض فئات الشباب في براثن التطرف والإرهاب، والانقياد الأعمى لزعماء هذه الحركات"<sup>(١)</sup>. أكدت دراسة أخرى " أن المستوي الثقالي لتلاميذ المدارس وطلبة الجامعات في تدن وبخاصة في الثقافة الدينية، ويُعدُّ هذا مدخلاً طبيعياً مساعداً في التطرف"<sup>(٢)</sup>.

وترى إحدى الدراسات أن ما حل بهذه الجماعة من " الخروج على الحكام بحجة عدم تطبيقهم للشريعة الإسلامية ومولاتهم للكفار، والتوقيع على

(١) نادية رضوان، الشباب المصري المعاصر وأزمة القيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧، ص ٢٣٥.

(٢) أحمد كامل الرشيدى، وعبد السلام إبراهيم محمد، التربية في مواجهة ظاهرة التطرف، مجلة

كلية التربية، كلية تربية أسيوط، المجلد (١)، العدد (٨)، يناير ١٩٩٢، ص ٦٢.

مواثيق الأمم المتحدة التي يرون أنها كفرية وأن من وقعها فقد رضي بالكفر فهو كافر مثلهم، وكذلك تكفير المسلمين واستحلال دمائهم، مرد هذا كله إلى الجهل بتعاليم الإسلام، فالجهل هو سبب كل فتنة وشر وبلاء<sup>(١)</sup>، ما ذهبت إليه هذه الدراسة بأن الجهل بالدين السبب الرئيس للتطرف والإرهاب، تؤكد نتائج دراسة ميدانية توصلت إلى " أن عدم فهم الدين بصورة صحيحة يأتي في مقدمة الأسباب للتطرف، حيث كانت نسبة الموافقة لأفراد العينة على هذا السبب، ٥٨,٣٪ وترتيبها الأول بين الأسباب الواردة في الاستبيان"<sup>(٢)</sup>، أكد الباحثون في دراسة أخرى " أنه لا يمكن أن تعزى ظاهرة التطرف في مصر إلى الظروف الاقتصادية والاجتماعية وحدها إنما يجب أن نشير أيضاً إلى وجود عوامل فكرية خاصة بجماعات التطرف الديني تتمثل في قراءتها وفهمها المشوه للإسلام"<sup>(٣)</sup>.

**مما سبق عرضه من نتائج الدراسات السابقة يتضح أن الفراغ الديني أحد**

**الأسباب الرئيسية في انتشار ظواهر التطرف والعنف؛ ونصل منها إلى:**

أن هناك قصوراً يشوب دور المؤسسات التربوية في عملية التنشئة الدينية للشباب، مما أدى إلى ذلك الفراغ الديني، والفهم المشوه للإسلام، مما دفع هؤلاء نحو تكفير المجتمع وقتل الأبرياء والتخريب والتفجير.

**رد فعل ضد الغزو الثقافي والعلمنة:**

يرى بعضهم أن التطرف جاء رد فعل لما يواجهه المجتمع الإسلامي من حملات الغزو الثقافي من أجل تمييع الهوية الإسلامية وتغريبها "فالتغريب هو حقيقة واقعة، لا ينكرها إلا جاهل، أو عابث، أو مرتزق وهو حرب صليبية

(١) آمنة بنت أرشد بنجر، مرجع سابق، ص ١٦٠.

(٢) أحمد كامل الرشيدى، وعبد السلام إبراهيم محمد، مرجع سابق ص ٧٧.

(٣) عبد الفتاح جلال وآخرون، مرجع سابق، ص ١٩.

مستعرة الأوار، مجهودها الرئيسي موجه إلى تصيير العالم وبخاصة العالم الإسلامي، وما يستتبع ذلك من عواقب خطيرة، أيسرها طمس الهوية وخلق مسخ من البشر بعد تدمير كيائها العقدي والفكري، وتبديل نظم حياتها وأنماط سلوكها"<sup>(١)</sup>، وترى دراسة أخرى أن العلمنة سبب رئيس من أسباب نمو التيار الديني المتطرف" أنه في مواجهة التيار العلماني السائد في الحضارة الغربية وما تولد عنه من خطاب مفعم بمفردات مناهضة الأديان بعامه، الإسلام بخاصة فقد نما تيار ديني متطرف"<sup>(٢)</sup>، وربما مرد شيوع الخطاب العلماني والهجمة الفكرية والثقافية الغربية ما يسمي بالنظام العالمي الجديد أو العولمة "فالعولمة هي فرض العلمنة التي تفصل الدين عن الحياة، فهم يريدون عولمة الإنسان بعامه، والمرأة والأسرة والطفل بخاصة، وعولمة الخلق والاقتصاد والسياسة وغير ذلك، فهي غزو شامل"<sup>(٣)</sup>.

مما تقدم نخلص إلى: أن ما تموج به الساحة في بلاد الإسلام من نشر لثقافة الغرب والعلمانية، يقودها بعض من رجال الفكر والثقافة والسياسية، كانت من العوامل التي دفعت الشباب إلى التطرف الفكري والانضمام لجماعة التكفير وغيرها من الجماعات الأخرى المتطرفة، وهذا يعني قصور دور مؤسسات المجتمع الإسلامي التربوية في القيام بدورها، بتتقية ما يصل من هذه الثقافات وإبعاد الغث منه.

### الأسباب الاقتصادية والاجتماعية:

أشارت بعض الدراسات إلى أن من الأسباب التي دفعت الشباب نحو

(١) أحمد عبد الوهاب، التغريب طوفان من الغرب، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٠، ص ١٤.

(٢) آمنة بنت أرشد بنجر، مرجع سابق، ١٦٠.

(٣) إيمان عبد المؤمن سعد الدين، الثقافة الإسلامية والتحديات المعاصرة، مكتبة الرشد، الرياض،

ط٥، ٢٠٠٧، ص١٩٠.

التطرف والفكر المنحرف، عوامل اقتصادية واجتماعية، تؤكد دراسة بأن " الظروف الاقتصادية التي مرت بها مصر أثرت في الأحوال الاجتماعية، نتيجة لفشل المجتمع في توفير احتياجات الفرد الضرورية، في الوقت الذي نجد فيه بعض أمراء التطرف يوفرون بعض احتياجات الفقراء"<sup>(١)</sup>.

وتؤكد دراسة أخرى " أنه في الوقت الذي ازدادت القاعدة الواسعة للمهرم الاجتماعي والتي تقبع فيها جموع الفقراء في مقابل تركيز محدودية رأس الهرم الاجتماعي للثروة، زادت حدة التوترات الاجتماعية وحوادث العنف وانتشار الجماعات الدينية المختلفة وذلك ردّ فعل للأزمة الاقتصادية"<sup>(٢)</sup>.

في ذات المضمار تؤكد دراسة أخرى، أن التطرف انعكاسٌ لظاهرة اجتماعية، وهو في جوهره أيضا ظاهرة اقتصادية، ويتضح أن مشكلة البطالة للخريجين تمثل القضية المهمة في المجتمع، والمحور الرئيس الذي يركز عليه أصحاب الفكر المنحرف في جذب الشباب<sup>(٣)</sup>، ويؤكد (فهيم هويدي) "أن البطالة تشكل مصدرا أساسيا يزودها بيزاد لا ينفد من عناصر الشباب الذي يبحث عن عمل وكيان، بل الأمر يتجاوز تلك الحدود، لأن أولئك الشباب يجدون لهم قضية يدافعون عنها، ويضحون من أجلها، حيث اقتنعوا بأنهم يتعاملون مع مجتمع كافر، وأن رسالتهم هي تغيير ذلك المجتمع"<sup>(٤)</sup>.

أكدت هذه الدراسات التي تم عرضها أن العوامل الاجتماعية والاقتصادية تعد من الأسباب التي دفعت الشباب إلى العنف والإرهاب وتكفير المجتمع.

(١) أحمد كامل الرشيدى، وعبد السلام إبراهيم محمد، مرجع سابق، ص ٦٦.

(٢) عبد الفتاح جلال، وآخرون، مرجع سابق، ص ١٩.

(٣) أحمد جمعة حسانين، "دور التربية في علاج مشكلة التطرف بين الشباب"، مجلة كلية التربية، كلية تربية أسيوط، المجلد (١)، العدد (٨)، يناير ١٩٩٢، ص ٥٣، ٥٤.

(٤) سامح جميل عبد الرحيم، "التعليم في مواجهة التطرف والإرهاب"، مجلة البحث في التربية وعلم النفس، كلية التربية جامعة المنيا، المجلد (١٠) العدد (٢)، أكتوبر ١٩٩٦، ص ٢٥١، نقلا عن فهيم هويدي، مراجعات على شهادة الموسم، جريدة الأهرام العدد ٣٩٢٠١، بتاريخ ١٩٩٤/٤/٥، ص ٩.

## الخلاصة :

تتفق مع ما توصلت إليه البحوث والدراسات السابقة من أسباب دفعت بالشباب إلى الانضمام لفكر التكفير، وغيره من الفكر المنحرف الذي يتجه نحو العنف والإرهاب، ونلاحظ أن المشاركين في ظواهر التطرف من الشباب صغير السن، وبينهم طلاب في مؤسسات التعليم أو من خريجيه، وهذا يعني أن هناك قصوراً لدى المؤسسات التعليمية في تأدية دورها، ورفع مستوى الثقافة الدينية والوعي الديني مما يسهم في فهم الطلاب لنصوص القرآن والسنة، وقد أشارت نتائج أحدي الدراسات إلى " أن ما يدرسه الطلاب من مقررات تخصصية وتربوية لا يحقق أي تحسن في مستوى وعيهم الديني...كما أوصت الدراسة بالاهتمام بالوعي الديني لدى طلاب كلية التربية، وأن تتضمن المقررات التربوية خاصة، والتخصصية ما يسهم بشكل إيجابي في تشكيل الوعي الديني للطلاب"<sup>(١)</sup>.

وهذا يتطلب دراسة هذه المؤسسات التعليمية، والبحث عن مواطن القصور في رسالتها، مما أدى إلى أن يسلك طلابها وخريجوها هذا السلوك، وتحديد وسائل العلاج.

أما المؤسسة الإعلامية بوصفها مؤسسة تربوية يشوبها كثير من القصور تجاه دورها في علاج مشكلات التكفير والعنف والتطرف والإرهاب، ويرى بعضهم "أن التلفاز على رأس وسائل الإعلام ليس فقط متهما بشكل غير مباشر عن طريق الخطأ في الرسالة الإعلامية التي يقدمها عن أحداث العنف والتطرف، والتي قد تظهرهم في شكل أبطال، أو على الأقل تحدث الأثر الذي يسعى إليه الإرهاب في نفوس المشاهدين، أو عن طريق المسلسلات الهزيلة الإنتاج، والضعيفة الحبكة الدرامية، والمغلوبة تاريخياً أحياناً والتي تدفع إلي

(١) أحمد مختار مكي، دراسة تأثير مقرر التربية الدينية في الوعي الديني لدى طلاب كلية التربية شعبة التعليم الابتدائي بجامعة أسيوط، مجلة كلية التربية بأسوان، جامعة جنوب الوادي، العدد (١٤)، ديسمبر ٢٠٠٠، ص ٦٩، ٧٠.

التعاطف مع الإرهاب أكثر مما تدفع إلى نبذه ورفضه<sup>(١)</sup>.  
 من ثم ينبغي دراسة دور وسائل الإعلام والعوامل التي تسببت في عدم تأديتها لدورها في مواجهة ظواهر التكفير والتطرف، ووضع التصورات التي تسهم في علاج القصور لهذه الوسائل.

كما سبق عرض ما أشارات إليه الدراسات السابقة من نتائج تشير إلى قصور في الوعي الديني والثقافة الإسلامية لدى الشباب، مما نتج عنه الفهم المشوه لنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وإن كان هذا القصور لا يتوقف عند الدور التربوي للمسجد فحسب بل يتجه إلى المؤسسات التربوية كافة، إلا أن المسجد من أولى المؤسسات المنوطة بهذا الدور، وقد أكدت دراسة وجود قصور في قيام المساجد بدورها ولهذا أوصت "بضرورة عمل دورات تدريبية لأئمة المساجد لتزويدهم بأهم المشكلات المعاصرة، وطريقة معالجتها دينيا ومتابعة المسئولين لهم، وجعل هذه المشكلات المحور الذي تدور حوله خطب الجمعة، ولقاءات المساجد، والندوات الدينية"<sup>(٢)</sup>.

ومن ثم تصبح دراسة دور المسجد التربوي في مواجهة تغلغل ظاهرة التكفير وغيرها من ظواهر التطرف والعنف لها أهميتها، ونود الإشارة إلى أن ظاهرة العدوان والعنف لدى الأفراد تأتي كنتيجة لقصور المؤسسات التربوية والاجتماعية في تأدية دورها في عملية التنشئة الاجتماعية<sup>(٣)</sup>، وهذا ما سوف يتناوله المبحث التالي.

(١) سامح جميل عبد الرحيم، مرجع سابق، ص ٢٥١.

(٢) أحمد حسن حنوره، المشكلات الدينية التي يواجهها طلاب الجامعة واقتراحاتهم لحلولها، مجلة كلية التربية، كلية تربية طنطا، العدد(١٩)، ديسمبر ١٩٩٣، ص ٨١.

(٣) أحمد مختارمكي، التنشئة الاجتماعية وأثرها في تكوين الشخصية، مكتبة الرشد، الرياض، ٢٠٠٧، ص ٢١.



## المبحث الثاني

### قدرة التربية ومؤسساتها على مواجهة ظاهرة التكفير

#### مدخل:

تسعى التربية إلى تعديل سلوك الأفراد، وإكسابهم ثقافة المجتمع، وإعدادهم للعيش في مجتمعهم، وهذا لا يتحقق إلا من خلال المؤسسات التربوية المتعددة التي أوجدها المجتمع لتحقيق أهدافه التربوية، "فإن أول ما تسعى إليه الدول الناهضة الحديثة، هو توجيه كامل عنايتها لتربية أفرادها، ونشر الوعي والتعليم بين صفوفهم"<sup>(١)</sup>.

وإن هذه المؤسسات التي جندها المجتمع لتربية أفرادها، إن شابها قصور في تأدية دورها، ينعكس ذلك سلباً على أفراد المجتمع، ومن ثم على المجتمع، مما يؤدي إلى توقف مسيرة تقدمه، وتظهر فيه الانحرافات الفكرية، ونحن بصدد مناقشة دور التربية في مواجهة ظاهرة التكفير بوصفها شكلاً من أشكال الانحراف الفكري، وعلى الرغم من تعدد الأسباب التي سبق عرضها في هذا البحث، فإنني أرى أن هذه الأسباب في مجملها تشير إلى وجود ضعف في أداء مؤسسات المجتمع التربوية، فيما يتعلق بالقيام بدورها.

#### دور التربية:

للتربية دورها المهم في عملية التصدي للظواهر التي تعيق المجتمع عن التقدم، وإن كانت التربية هي "تلك الجهود والمسااعي المقصودة وغير المقصودة، المباشرة وغير المباشرة، المخطط لها وغير المخطط لها، التي تحدث في مجتمع ما، في زمان ما، والتي تسهم فيها مختلف مكونات المجتمع ونظمه

(١) عمر التومي الشيباني، دور التربية في بناء الفرد والمجتمع، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس، دت، ص ٩.

ومؤسساته الرسمية وغير الرسمية، والتي تكون من نتيجتها نمو الفرد نمواً شاملاً متكاملًا تفي بحاجاته وتجعله أكثر توافقاً مع نفسه، ومع محيطه الاجتماعي الثقافي<sup>(١)</sup>، فإن هذه الجهود إن لم تستوعب طبيعة العصر، وتدقق النظر في مجريات ومتغيرات العصر فلن تستطيع التربية إكساب الأفراد القدرة على التعامل مع معطيات العصر من جهة، وتصونهم عما يخالف عقيدتهم وثقافتهم من هذه المعطيات من جهة أخرى، وبخاصة "ونحن في الأمة العربية والإسلامية لسنا ببعيدين عن كل ما يحدث، بل نحن على قائمة الأجندة الموضوعية لعمليات التأثير والتغيير لا وفق ما نريد، وإنما وفق ما يملك إرادة التأثير والتغيير. ومن هذا المنطلق تأتي أهمية التحليل الموضوعي لما جرى لنا وما يجري حولنا بكل ما يحمله من تأثيرات وتداعيات، ومخاطر وتهديدات، وكيفية الإفادة من الإيجابيات دون انبهار أو انغلاق، وفي إطار ثوابت الأمة"<sup>(٢)</sup>، وأي تقصير في فهم ما يجري حولنا سوف يؤدي إلى مزيد من صور الانحراف الاجتماعي، وتعد جماعات التطرف الديني ومنها جماعة التكفير إحدى صورها، بخلاف غيرها من صور الاغتصاب الجنسي، زيادة عدد الأطفال اللقطاء، وغيرها من انحرافات تنتشر في المجتمع الإسلامي، وإن ذلك يعد دلالة واضحة على أن التربية بمؤسساتها لم تستوعب متغيرات هذا العصر، ومن ثم لم تستطع مجابتهها، بل وكانت إحدى العوامل الرئيسية لظهور هذه الانحرافات، مما يستدعي دراسة بعض المؤسسات التربوية للتعرف على دورها وتقييم أداء هذه المؤسسات.

(١) السيد سلامة الخميس، الضبط الاجتماعي في المجتمع العربي من منظور تربوي، مكتبة الرشد، الرياض، ٢٠٠٥، ص ٢٩.

(٢) محمد محمد السكران، التربية والثقافة فيما بعد الحداثة، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٦، ص ١٧٧.

## المؤسسات التربوية

تتعدد المؤسسات التربوية التي جندها المجتمع للعملية التربوية، ومنها الأسرة، والمؤسسات التعليمية، ووسائل الإعلام، ودور العبادة، والجمعيات الاجتماعية، والنوادي، والنقابات، والاتحادات، والأحزاب، وسوف يكتفي هذا البحث بدراسة ثلاث مؤسسات منها وهي: المؤسسات التعليمية، ووسائل الإعلام، والمسجد بوصفها الأكثر قدرة وتأثيراً في تعديل الفكر ومجابهة ظاهرة التكفير والحد منها.

### أولاً: المؤسسات التعليمية :

إنه نتيجة للتطور والتحديث وتعقد الحياة الاجتماعية وزيادة التراث الثقافي وتعقده، وزيادة متطلبات الحياة الاجتماعية والتغيير في حاجات الأفراد ونظرتهم للحياة وتطلعاتهم، ظهرت الحاجة إلى التخصص والكفاءة والدقة في الإنتاج والخدمات التي تقدمها مؤسسات المجتمع وقد مهد ذلك لنشأة التربية المقصودة، وظهرت التربية الرسمية بوصفها مؤسسة عهد إليها المجتمع مهمة التربية<sup>(١)</sup>، ومن هنا نشأت المؤسسات التعليمية كدور رياض الأطفال والمدارس بمستوياتها والتعليم العالي، وإن هذه المؤسسات ذات دور فعال لا غنى عنه في العملية التربوية، فلها أثرها الذي لا ينكر في إكمال دور الأسرة في غرس القيم وتعليم الأدوار الاجتماعية وتشرب ثقافة المجتمع وتعديل الاتجاهات، وسوف نتناول المدرسة والجامعة، حيث أكدت الدراسات السابقة على أن معظم أعضاء جماعة التكفير وغيرها من جماعات التطرف الديني من طلاب وخريجي المدارس والجامعات.

(١) سميرة أحمد السيد، علم اجتماع التربية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٣، ص ٤٠.

## أ- المدرسة :

"المدرسة هي الهيئة الرسمية التي تم إنشاؤها تحت إشراف المجتمع، وتقوم المدرسة بتنشئة الأفراد وتعليمهم المهارات المتخصصة وأنواع المعرفة المتنوعة، إذ تمارس المدرسة في المجتمع الحديث دوراً هاماً في القيام بعملية التنشئة الاجتماعية بوصفها البيئة المتخصصة التي أوكل إليها المجتمع العملية التربوية"<sup>(١)</sup>، وتتعدد أدوار المدرسة في العملية التربوية، وليست قاصرة كما يظن بعضهم على تنمية الجانب المعرفي، وسوف نحدد بعض الأدوار التي تقوم بها المدرسة في ما يأتي:

- بناء الإنسان الذي يمتاز عن سائر الكائنات بالوعي والإبداع، والقدرة على تشكيل مجتمعه، والقدرة على تنمية كيانه الذاتي<sup>(٢)</sup>.
- تدعيمها للمعايير الاجتماعية والقيم والاتجاهات، وتقلل من فرص خروجهم على المعايير السائدة في مجتمعهم، ومن ثم تقلل من فرص الانحراف الاجتماعي مما يساعد على استقرار المجتمع<sup>(٣)</sup>.
- تقوم المدرسة باستبدال عادات واتجاهات جديدة وصالحة بالعادات والتصرفات والانتماءات البالية التي لم تعد صالحة<sup>(٤)</sup>.
- تنمية الأفراد وإعدادهم لمواجهة وقيادة التغيرات التي تحدث في المجتمع، وغرس الولاء لعقيدهم
- ومجتمعهم<sup>(٥)</sup>.
- إنها مسئولة عن تعليم الأخلاق والدين والقيم الروحية للأفراد، وتعريفهم

(١) طلعت إبراهيم لطفي، مبادئ علم الاجتماع، مؤسسة الأنوار، الرياض، ط ٢، ١٩٩٦، ص ١٣٨.

(٢) حامد سعيد، بناء الإنسان والتعليم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٨، ص ١٥.

(٣) سميرة أحمد السيد، مرجع سابق، ص ٧٥.

(٤) والتر فريج، وجون سولتس، المدرسة والمجتمع، ترجمة: بدر بن جويعد العتيبي، مكتبة الرشد، الرياض، ٢٠٠٣ ص ١٧.

(٥) أحمد مختار مكي، محاضرات في أصول التربية، كلية التربية، جامعة تعز، ١٩٩٩، ص ٤٣، ٤٤.

بالمشكلات الاجتماعية وكيفية مواجهتها<sup>(١)</sup>.

- إن كانت هذه بعض الأدوار التي تقوم بها المدرسة تجاه المجتمع، فيصبح من الضروري التعرف على واقع المدرسة في الوطن العربي، وهذا ما سوف يحدد مدي مقدرتها على القيام بدورها في مواجهة ظاهرة التكفير والهجرة.

### واقع المدرسة في الوطن العربي:

يرى بعضهم أن المدارس العربية لم تستطيع القيام بمسئوليتها تجاه الناحية التعليمية وفشلت في تعليم المهارات الرئيسة من الكتابة والقراءة والحساب، ومن ثم فإنها لا بد أن تفشل في أدوارها الأخرى كتنمية التفكير والإبداع وغرس القيم والاتجاهات وغير ذلك، وسوف نحدد بعض العوامل التي أسهمت في فشل المدرسة ومنها ما يأتي:

- من خلال تجربتي الشخصية بالعمل في مجال إعداد المعلم والمعلمة وفي أكثر من قطر عربي، أرى أن العامل الرئيس في انهيار دور المدرسة وفعاليتها هو ضعف الإعداد التربوي للمعلم.
- نظام المنهج المدرسي الذي يركز على الجوانب المعرفية ويهمل الجوانب الأخرى، فالمدرسة تركز على "المادة الدراسية لدرجة استثناء جوانب النمو الاجتماعي والوجداني والأخلاقي والنفسي لدى الطلاب"<sup>(٢)</sup>.
- متغيرات العولمة التي هزت بنية المدرسة ووظيفتها وخفضت من طابعها القومي لصالح الطابع الكوني الذي لا يتسق بالضرورة مع الظروف والتوجهات ولاسيما في بعدها الثقافي والديني<sup>(٣)</sup>.

(١) محمد الهادي عفيفي، في أصول التربية الأصول الثقافية للتربية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٥، ص ٢٢٤.

(٢) أحمد الفينش، أصول التربية، منشورات الجامعة المفتوحة، بنغازي، ١٩٩٦، ص ٥١.

(٣) السيد سلامة الخميسي، مرجع سابق، ص ٢٢٧.

- الاعتماد على الاختبارات التحريرية التي لا تقيس سوي الحفظ والاستظهار، وإهمال وسائل التقويم الأخرى التي تسهم في قياس الاتجاهات والقيم ودرجة الوعي الاجتماعي.
- تنامي ثقافة العنف في البيئة المدرسية فقد أسهمت عوامل وظروف متنوعة في وجود ما يسمى
- بظاهرة العنف المدرسي في كثير من المؤسسات التعليمية على اختلاف مراحلها حتى كادت ترقى هذه الظاهرة إلى مستوى المشكلة التربوية والاجتماعية الملحة التي تهدد وضع المدرسة بوصفها مؤسسة ضابطة اجتماعياً<sup>(١)</sup>.
- ارتفاع كثافة الطلاب داخل الفصل.

#### مؤسسات التعليم العالي:

التعليم العالي بوصفه قمة الهرم التعليمي، وبما يمتلكه من إمكانات فنية وعلمية وقدرات بشرية مدربة تدريباً عالياً في التخصصات العلمية كافة ومعدة للتعامل مع المتغيرات، تنعقد على هذا التعليم الآمال في إعداد الأفراد للتعامل مع معطيات العصر ومتغيراته، ومجابهة الظواهر التي تطرأ على المجتمع وتصحيح مسارها وتعديل الاتجاهات الفكرية لأصحابها، ومنها ظاهرة التكفير وغيرها من الظواهر المرتبطة بالانحراف الفكري والعقدي، ولكن هل التعليم العالي العربي يمتلك القدرة على القيام بهذا الدور، والتصدي لمشكلات المجتمع وإعداد الأفراد لمجابهة تحديات العصر؟، الإجابة عن هذا السؤال تقودنا إلى البحث عن واقع التعليم العالي العربي.

#### واقع التعليم العالي في الوطن العربي:

تشير الدلائل إلى ضعف التعليم العالي العربي وعدم قدرته على القيام

(١) المرجع السابق، ص ٣٢٨.

بدوره في مواجهة متغيرات العصر، لما وصل إليه من تردٍ بسبب تقليدية المناهج وطرائق التدريس، وضعف مستوى إعداد المعلم الجامعي من الجوانب المهنية والثقافية وغيرها.

أما عن المناهج، فإن "المنهج ينبغي أن يتضمن كل ما يحث على التفكير والحقائق الدقيقة التي تدفع إلى قراءة المشكلة، وتقديم الحلول لها، ومن وظيفة المنهج أن يزود الطلاب بما يشير لديهم ملاحظة المشكلة وتوجيههم إلى التفكير، وان تدفع المحاضرات التي يتضمنها المحتوى إلى الاشتغال بالبحث عن المعرفة، وألا يكون أي فرع من فروع المعرفة بعيدا عن عالم الطالب واهتماماته"<sup>(١)</sup>، ولكن ما تقدمه الجامعات العربية من مناهج لا يتوافق مع هذا "لأن مناهج التعليم السائدة ما تزال تقليدية قاصرة عن متابعة الثورة العلمية الثالثة وتضميناتها التكنولوجية والمعلوماتية"<sup>(٢)</sup>.

إذا كان هذا بالنسبة للمنهج، لا بد وأن تكون الطرائق المتبعة في تدريسه تقليدية أيضا، وظاهرة التلقين التي تسود التعليم بالتعليم العالي تعود إلى عوامل عديدة منها عضو هيئة التدريس بالجامعة الذي مازال يؤدي دوره بنحو تقليدي موروث، ويخشى كل تجديد وجديد، والطالب الجامعي الذي يعتقد أن الدارج والمألوف أيسر له من الجديد، ولا يغيب عن الأذهان أن المعلم والطالب هما جزء من منظومة

المجتمع الذي رسخ في عقول بعض أفرادها مبدأ الاقتصار على الاتباع دون الإبداع "وعندما تتحول عملية التعليم إلى إيداع، فالتلقين يحيل عقل الطالب

(١) Benitez, Mario.A, What is Wrong With Teaching In Higher Education?,

James J. Van, Under Standing The Many Faces Of The Culture Higher Education, Edwin

Mellen,NY,1993,p99

(٢) حامد عمار"من همومنا الجامعية"مجلة دراسات في التعليم الجامعي، جامعة عين شمس، مركز

تطوير التعليم الجامعي، ١٩٩٣، ص١٤٧.

إلى مجرد مخزن، بينما التعليم الحوارى من شأنه أن يطلق الطاقات الإبداعية، ويشجع المبادرات القرائية فينمو العلم ويتحرك الفكر"<sup>(١)</sup>.

أما عضو هيئة التدريس " فإنه عنصر أساسي في العملية التعليمية، وبالتالي فإنه عنصر أساسي في زيادة أو نقص الكفاءة والإنتاجية فيه، وحيث إن هناك تفاوتاً واختلافاً بين مؤسسات التعليم في أسس تعيين وترقية أعضاء هيئة التدريس، وكذلك اختلافاً في معايير تقويم أدائهم وواجباتهم، لذلك فإن هناك صعوبة في قياس كفاءة إنتاجية مؤسسات التعليم العالي"<sup>(٢)</sup> فإن ما أصاب التعليم العالي من ترد، يعود الجزء الأكبر من هذا التردى إلى نوعية أعضاء هيئة التدريس، لأن "أول ما يواجهنا هو الضعف الحالى لتكوين المعلم الجامعى ذلك الضعف الذى غالباً ما يبدأ من لحظة اختياره معيدا، حيث النتيجة الامتحانية للدرجة الجامعية الأولى هي المعيار الحاكم وهي نتيجة تحيطها الآن شكوك تربوية من حيث مدى دلالتها الحقيقية على الأهلية العلمية والشخصية للمتخرج إزاء ما نعلمه جميعاً من قيامها على التحصيل المعرفى بالدرجة الأولى، بل وعند أدنى المستويات المعرفية وبالتالي لا يتوافر تؤكد المكونات الأخرى للشخصية"<sup>(٣)</sup>.

### الاستنتاجات:

مما سبق يتضح ضعف المؤسسات التعليمية بوضعها الحالى عن مواجهة ظاهرة التكفير، وغيرها من أشكال الانحراف الفكرى والعقدي والاجتماعى، فضلا عن عدم مقدرتها على إحداث التغيير المنشود في المجتمع،

(١) سعيد إسماعيل على "تحليل وتفسير لسلبيات الوضع الراهن في الحياة الجامعية في مصر" مجلة دراسات

في التعليم الجامعي، جامعة عين شمس، مركز تطوير التعليم الجامعي، ١٩٩٣، ص ٢٥، ٢٦.

(٢) مازن عبد الرزاق بليلة، في محيط الجامعات، دار رهام للطباعة، الرياض، ١٩٩٧، ص ٩٧.

(٣) سعيد إسماعيل على، مرجع سابق، ص ٢٣، ٢٤.



من هذا كله نصل إلى ما يأتي:

### أ - المدرسة

ما تعاني منه المدرسة في الوطن العربي من مشكلات تقليدية المناهج وطرائق التدريس التي حددها (جون ديوي) في أن الخطأ في التدريس بالمدارس الإعدادية والثانوية يتمثل في الاعتماد على الحفظ والاستظهار وخلق المحتوى من المعنى أو المغزى، والمفترض في محتوى التعليم أن ينمي التفكير ويحقق مع طريقة التدريس ربط الطالب بما يهمه، ولكن في ظل المنهج العقيم والأهداف الخاطئة يصبح الأساس غريباً عن الطالب وخالياً من المعنى<sup>(١)</sup>، وحيث إن مدارسنا تسير على هذا المنهج العقيم، فإنها غير قادرة على تنمية التفكير وتعديل السلوك والاتجاهات، ولا نقول إنها غير مؤهلة لمواجهة وعلاج ظاهرة التكفير فحسب، بل هي إحدى الأسباب التي أدت إلى ظهورها بطريقة غير مباشرة، إذا دققنا النظر في مشكلات التطرف الديني، نجدها في مجملها ناجمة عن سوء التفكير، فالشباب الذي تعلم في مدرسة غير قادرة بمناهجها ومعلميها على تنمية تفكيره، هو الذي دفعه به إلى هذا الفكر المنحرف.

### ب - التعليم العالي

أكدت الدراسات السابقة أن التعليم العالي العربي يعاني من خلل يجعله غير قادر على تحقيق المهام التي يأمل المجتمع منها تحقيقه، تشير نتائج دراسة حول (المشكلات التعليمية لطالبات كلية التربية بالمدينة المنورة) إلى:

١. اعتماد معظم المقررات الدراسية على الحفظ واسترجاع المعلومات.
٢. قصور توصيف مادة طرائق التدريس، وقلة المشرفات التربويات المتخصصة اللائي يقمن بالإشراف على التربية العملية.

٣. قلة فرص المناقشة المتاحة أثناء المحاضرة<sup>(١)</sup>.

**كما أشارت دراسة أخرى حول (التعليم العالي في الوطن العربي) إلى:**

١. قصور التعليم العالي العربي عن ملاحقة التقدم العلمي والتكنولوجي.
  ٢. عدم فعالية التعليم العالي العربي في إعداد الأفراد بسبب:
    - أ. استخدام الأساليب التقليدية في التدريس.
    - ب. سوء اختيار الطالب والمعلم الجامعي.
    - ج. التوقف بالمناهج عند مراحل سابقة من التقدم العلمي.
  ٣. لا يستطيع التعليم العالي في الوطن العربي مجابهة المتغيرات المستقبلية سواء بالدراسات والبحوث أو بالإعداد الجيد للأفراد<sup>(٢)</sup>.
- يؤكد ما توصل له البحث في دراسة المؤسسات التعليمية أنها غير قادرة وغير مؤهلة للقيام بدور فعال في مواجهة ظاهرة التكفير والهجرة.

#### **ثانياً: وسائل الإعلام:**

زادت أهمية وسائل الإعلام بعد التطور الذي بلغته، فأصبحت أكثر تأثيراً في تشكيل سلوك الأفراد وتعديل اتجاهاتهم، ورغم ذلك فإن هذه الوسائل في حاجة دائمة إلى توجيهها تربوياً لأنه "إذا أحسن توجيه وسائل الإعلام فإنها تستطيع أن تصبح أداءه فعالة في إرساء القواعد الخلقية والدينية لمجتمع ما، وهي كما تدل تسميتها مجرد وسائل تصبح خيرة إذا أحسن

(١) سوزان محمد المهدي، "التعليم العالي للبنات بالمملكة العربية السعودية المشكلات التعليمية لطالبات كلية التربية بالمدينة المنورة"، مجلة كلية التربية، جامعة عين شمس، الجزء (١)، العدد (١٧)، ١٩٩٣، ص ٢١٩، ٢٢٠.

(٢) أحمد مختار مكي، "دراسة قدرة التعليم العالي العربي علي مجابهة تحديات المستقبل"، مؤتمر التعليم العالي في الوطن العربي في ضوء متغيرات العصر، جامعة الإمارات، ١٣-١٥ ديسمبر ١٩٩٨، ص ٦٠.

توجيهها وشريرة إذا أسئ استخدامها<sup>(١)</sup>، ولا يقل دور وسائل الإعلام أهمية وقيمة عن دور أي مؤسسة تربية أخرى، فهي تسهم في تماسك البنيان الاجتماعي، وتزويد الأفراد بالمعرفة وتممية قيمهم، وإكسابهم أساليب التفكير العلمي، وتوعيتهم بالمشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ونشر الوعي الصحي والوعي الديني بينهم. ويعرف الإعلام بأنه "أحد أوجه النشاط الاتصالية التي تستهدف تزويد الجمهور بكافة الحقائق والأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة عن القضايا والموضوعات والمشكلات ومجريات الأمور بطريقة موضوعية وبدون تحريف، بما يؤدي إلى خلق أكبر درجة ممكنة من المعرفة والوعي والإدراك والإحاطة الشاملة لدى فئات جمهور المتلقين للمادة الإعلامية بكافة الحقائق والمعلومات الموضوعية الصحيحة عن هذه القضايا والموضوعات، بما يسهم في تنوير الرأي العام وتكوين الرأي الصائب لدي الجمهور في الوقائع والموضوعات والمشكلات المثارة والمطروحة"<sup>(٢)</sup>، وتتعدد وسائل الإعلام ما بين المطبوعة والمسموعة والمرئية، وجميعها تشترك في الدور وإن اختلفت في الخصائص.

### الدور التربوي لوسائل الإعلام:

تتعدد الأدوار التي تقوم بها وسائل الإعلام ومنها:

١. تعمل على تعديل السلوك عن طريق "دفع الفكرة إلى عقول الجماهير، إما لتقنعهم بها أو لتنتزع من عقولهم فكرة أخرى غيرها، ومحصلة كل هذا الوصول إلى سلوك معين مستهدف"<sup>(٣)</sup>، وهذا التغيير في السلوك يحتاج لجهد وتخطيط لأن "تغيير سلوك الجمهور المستهدف، لا يحدث

(١) فؤاد البهي السيد، علم النفس الاجتماعي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٢، ١٩٨٣، ص١٩٦.

(٢) سمير محمد حسين، الإعلام والاتصال بالجماهير، الثقافة الجماهيرية، القاهرة، دت، ص١٦.

(٣) محمد عبد القادر حاتم، الإعلام في القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢، ص٤١.

بشكل مفاجئ، إنما يحدث عبر عدة مراحل تشتمل على تغيير معلومات الأفراد وتغيير إدراكهم واتجاهاتهم، وهنا يتضح أهمية التأثير التراكمي في مجالات التغيير الاجتماعي<sup>(١)</sup>.

٢. التثقيف والتربية: وهي وظيفة تتعلق بنشر المعرفة على أساس تفتيح الأذهان وشحن الكفاءات وتنمية الذوق وتهذيبه، وتمكين الإنسان على مدى العمر من المحافظة على مقدرة استيعاب كل ما ينمي طاقاته ويوسع آفاقه ويشبع تطلعه إلى الخير والجمال<sup>(٢)</sup>.

٣. تسهم وسائل الإعلام في عملية الضبط الاجتماعي ويتجلى من خلال قيامها بتوحيد الناس على ثقافة واحدة ويصبح الخروج عليها أمرا صعبا ومتعدرا، بغض النظر عن صحة تلك الثقافة أو انحرافها فالأنماط السلوكية التي يتعلمها الناس من وسائل الإعلام تصبح مع مرور الوقت عرفا وتقليدا لدى غالبية أولئك الناس، كما أنها تصبح جزءا من ثقافة المجتمع المكونة لعملية الضبط الاجتماعي<sup>(٣)</sup>.

حماية الأمن الثقافي للمجتمع حتى لا يكون ضحية للغزو الأجنبي الفكري<sup>(٤)</sup>.

### عيوب وسائل الإعلام :

يتضح مما تقدم أن لوسائل الإعلام دورها في تغيير أنماط الحياة الثقافية

(١) مني سعيد الحديدي، وسلوى أمام علي، الإعلام والمجتمع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ٣٢، ٣٣.

(٢) مصطفى المصمودي، النظام الإعلامي الجديد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، (عالم المعرفة)، الكويت، ١٩٨٥، ص ١٩٨.

(٣) محمد بن عبد الرحمن الحضيف، كيف تؤثر وسائل الإعلام دراسة في النظريات والأساليب، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٩٩٨، ص ٤١.

(٤) مصطفى المصمودي، مرجع سابق، ص ١٩٩.

والاقتصادية والاجتماعية، كما تسهم مع المؤسسات التربوية الأخرى في إكساب الأفراد والعادات والتقاليد والمعرفة، وعلى الرغم من كل هذا الذي تقدمه وسائل الإعلام في تربية الإنسان نفسيا وعقليا ووجدانيا، إلا أنها كما سبقت الإشارة وسائل خيرة إذا أحسن استخدامها، وشريرة إذا أسيئ استخدامها، ومن ثم فإنه كما للإعلام مزايا له عيوب، ومما تتركه هذه العيوب من آثار في المجتمع والفرد لها تأثيرها السلبي في حياة المجتمع. ومنها ما يأتي:

١. أن الفرد يتعلم العنف من وسائل الإعلام، ولكن لا يعتمد إلى محاكاته وتقليده إلا في حالات الإحباط النفسي، وحينما تستثار عواطفه ومشاعر السخط والغضب لديه<sup>(١)</sup>.

وهذا يفسر لنا صحة الأسباب التي وردت في هذا البحث بوصفها أسباباً لظاهرة التكفير والهجرة، حيث إن غالبية أعضاء هذه الجماعة من الشباب المتعرض للعديد من صور الإحباط النفسي، ونجحت الجماعة أن تستثير غضبه على المجتمع.

٢. " تحاول الوسائل ذات الأهداف المتطرفة إحداث مؤثرات معينة في عقل الإنسان بدرجات متفاوتة وقد يصل بها حرصها على تحقيق هدف إلى فرض نوع من الاستسلام العقلي على المستقبل ليتوقف عن المقاومة ويصبح مستعداً لتقبل أية إichاءات تفرض عليه"<sup>(٢)</sup>، وهذا أيضاً تفسير لانتشار الجماعات المتطرفة ومنها جماعة التكفير، وكما هو معلوم أن الإعلام عن طريق الاتصال الشخصي يكون له تأثيره الواضح والسريع، فعن طريق الاتصال الشخصي والوسائل المسموعة من خطب، ومقروءة

(١) محمد بن عبد الرحمن الحضيف، مرجع سابق، ص ٧٢.

(٢) محمد عبد القادر حاتم، مرجع سابق، ص ٤٦.

- من كتيبات ونشرات وملصقات، نجحت هذه الجماعات في تجنيد الشباب بعد أن فرضت عليهم الاستسلام العقلي وتقبل أفكارها.
٣. أن التعرض المستمر للمشاهد التي تتضمن إحياءات جنسية، تشجع على الاغتصاب، وذلك من خلال إحساس الفرد أن فعله أمر عادي ينطوي على المتعة وليس جريمة يمكن أن يعاقب عليها، كما أنه بدافع الإحساس يمكن أن يعتقد أنه يستطيع أن يقدم على الاغتصاب ثم ينجو من العقاب بسهولة<sup>(١)</sup>.
٤. إن الخريطة الإعلامية والاتصالية وعلى الأخص دول الجنوب تعكس المواقع الهامشية التي يشغلها جمهور المتلقين حيث تتعامل معهم وسائل الإعلام بوصفهم مستهلكين وليسوا مشاركين أو محاورين وتستند في ذلك إلى النظرة التقليدية للاتصال التي تعتمد إلى إفراغه من محتواه بوصفه عملية اجتماعية تعتمد على المشاركة الفعالة<sup>(٢)</sup>.
٥. إن وسائل الإعلام ساعدت على نشر وترويج الثقافة المبتدلة بدلا من الثقافة الجادة، وأنها تقدم مواد إعلامية تافهة وضحلة وسطحية تعتمد في الأساس على الإثارة والتشويق بدلا من العمق، الأمر الذي أصاب الحياة الثقافية بالعقم والانحطاط الثقافي<sup>(٣)</sup>.
- هذه العيوب لوسائل الإعلام لها خطورتها علي المجتمع، وتزداد تلك الخطورة في المجتمعات غير المصنعة للمواد الإعلامية، ومن بينها المجتمعات العربية والإسلامية، فيصبح من الضروري دراسة واقع الإعلام العربي.

(١) محمد بن عبد الرحمن الحضيف، مرجع سابق، ص ٧٥.

(٢) عواطف عبد الرحمن، "الحق في الاتصال بين الجمهور والقائمين بالاتصال"، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد (٢٣)، العدد (١)، (٢) ١٩٩٤ ص ٣٢.

(٣) ليلى عبد المجيد، "السياسات الاتصالية والإعلامية وأثرها في الثقافة والتربية"، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد (٢٣)، العدد (١)، (٢) ١٩٩٤ ص ٧٧.

## واقع الإعلام العربي:

تشير البحوث والدراسات التي تناولت الإعلام العربي، إلى أنه يعاني من كثير من المشكلات والعيوب التي تفقده القدرة على المشاركة الفعالة في إعداد الأفراد وحل مشكلات المجتمع ومنها:

١. أن المشكلات المطروحة اليوم في العالم العربي تتمثل في النقائص التي تميز الوضع الإعلامي السائد والصورة المشوهة الراسخة بذهن المواطن العربي عن الواقع العربي فأول ما يميز واقع الإعلام عربياً هو اختلال التوازن في تدفق المعلومات على صعيد القطر الواحد جزئياً ثم على الصعيد القومي كلياً، ثم انعدام البنية الأساسية للاتصال بمختلف أشكالها وقلة الموارد البشرية من صحفيين ومنتجين ومخططين وموثقين<sup>(١)</sup>.

٢. تأكيد وسائل الإعلام على القيم المادية والاستهلاكية، حيث تشكل تدريجياً لدى الأفراد الوعي بأهمية العلاقة بين قيمة الفرد ومكانته الاجتماعية وبين مقدار ما يستهلكه أو ما يقتنيه من موضوعات مادية، كما أنها في الوقت نفسه تخلق لدى الطبقات غير القادرة شعوراً متزايداً بالقهر والحرمان، مما قد يؤصل لديهم الشعور بالنقمة على تلك الفئة التي تمكنها إمكاناتها من التمتع بتلك الموضوعات المادية<sup>(٢)</sup>.

٣. أدت الأوضاع السياسية في المنطقة إلى تحويل وسائل الاتصال في كثير من الأحيان إلى أدوات للإثارة وتبادل حملات التهيج والشتائم بدلاً من أن تقوم بدورها بوصفها أدوات للتوير والتواصل<sup>(٣)</sup>.

٤. ضياع الهوية: إن واقع وسائل الاتصال العربية سيئ للغاية، وهو يهدد

(١) مصطفى المصمودي، مرجع سابق، ص ٢٢٢، ٢٢٣.

(٢) نادية رضوان، مرجع سابق، ص ٨١.

(٣) ليلى عبد المجيد، مرجع سابق، ص ٥٤.

بتشويه مدمر للبناء الثقافي لأطفالنا، باستثناء بعض الطفرات النوعية التي حدثت في بعض وسائل الاتصال، فإن أداء هذه الوسائل يعاني من التخلف والتقصير والتخبط المثير الذي لا يليق بأمة لها ثقافتها الذاتية المتميزة<sup>(١)</sup>.

ما أسفر عنه البحث بخصوص عيوب الإعلام بعامة، وتردي واقع وسائل الإعلام في الوطن العربي، تشير في وضوح إلى أن الإعلام العربي والإسلامي تعوق قدرته على التغيير والتصدي لمشكلات الأمة العربية والإسلامية كثير من المعوقات.

### ثالثاً: المسجد:

المسجد أحد أهم المؤسسات التربوية في المجتمع الإسلامي، كان له دوره في العملية التربوية عبر العصور المتوالية<sup>(٢)</sup> وتنبثق أهمية المسجد من كونه مصدراً خصباً للمعرفة ومركزاً دائماً للوعي الديني والراقي الأخلاقي، وتؤثر المساجد في قطاع عريض من الناس بما تقوم به من شرح وتوضيح لأمر الدين والعقيدة وتنمية القيم الخلقية والاجتماعية، وتعزيز اتجاهات التراحم والتعاطف والإحسان والتضحية وغير ذلك، كما أنها تعمل على تكوين رأي مستتير يجمع بين الوعي الديني والإقناع العقلي في فهم ومناقشة القضايا الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي تواجه المجتمع المسلم<sup>(٣)</sup> (١)، ومن ناحية أخرى إن كانت المؤسسات الإعلامية كما سبقت الإشارة تثير الأحقاد بين الناس والنعرات القطرية والطبقية التي تثير كثير من المشكلات وعنها يصدر التعصب الذي هو أحد الأسباب الرئيسة لظواهر التطرف والإرهاب، يأتي المسجد بوصفه مؤسسة تربوية لا تعرف الفروق الطباقية ولا القطرية وينهي عن التعصب، وفي ممارسة الشعائر الدينية نجد الصغار مع الكبار

(١) محمد عماد زكي، تحضير الطفل العربي لعام ٢٠٠٠، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠، ص ١٣٦

(٢) معن خليل العمر، علم اجتماع الأسرة، دار الشروق للنشر، عمان، ٢٠٠٠، ص ٢٠٧، ٢٠٨.



فالناس أمام الله سواء، مما يدعم لديهم الإحساس بالتعاون والتآخي والترابط.

### وظائف المسجد:

كان المسجد في العصور الإسلامية الزاهرة، يقوم بشئون المجتمع المسلم القضائية والتعليمية والعلاجية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية، وتُحدّد (فاطمة الرديني، وأحمد الرشيد) وظائف المسجد في ما يأتي:

- الوظيفة التعبدية: وتشمل تأدية العبادات والذكر والقرآن والسمو بروح المسلمين وشحن القلوب بشحنات إيمانية.
- الوظيفة التثقيفية: وتشمل تزويد المسلمين بالثقافة الدينية ومناقشة القضايا التي تهتم المسلمين والتعرف على أخبارهم.
- الوظيفة التعليمية: وتشمل تربية المسلمين على مكارم الأخلاق ومحو أمية المسلمين وتدريس علوم الفقه والحديث والقرآن وتعليم المسلمين كيفية مناقشة قضاياهم الوظيفية الاجتماعية: وتشمل التقريب بين طبقات المسلمين وتحقيق مبدأ المساواة وتقديم العون والمساعدة للمحتاجين والمساكين الوظيفة الصحية: وتشمل التعرف على الوقاية والعلاج من الأمراض والتوعية بالنظافة والطهارة وتحريم كل ما يضر بالصحة الوظيفية الأخلاقية: وتشمل السمو بالأخلاق والرقى بالسلوك ومجاهدة النفس والتمسك بالدقة في العمل وإتقانه الوظيفة الاقتصادية: وتشمل توجيه المسلمين نحو عدم الإسراف والتبذير والتوعية بالادخار وترشيد البيع والشراء والتحذير من بيع وشراء المحرم<sup>(١)</sup>.

(١) فاطمة بنت حمد الرديني، وأحمد كامل الرشيد، مرجع سابق، ص ص ٢٨٠-٢٨٢.

## الخلاصة :

علي الرغم من أهمية الدور التربوي للمسجد وتعدد وظائفه التربوية التي إن تحققت أصبح المجتمع الإسلامي من أرقى المجتمعات علما وأخلاقا وتقدما ، وليس ببعيد فإن هذا المسجد هو الذي صنع الجيل الأول من المسلمين الذين سادوا العالم ، ولكن كان هناك المنهج القويم وتوافر المربي رسول الله ﷺ ، وهذا ما جعل المجتمع الإسلامي "خلال سنوات قليلة مجتمعا يتصف بالكمال والمثالية ، ويقول مؤلف حضارة العرب (جوستاف لوبون) قد استطاع محمد بالقرآن أن يبدع مثالا عاليا قويا للشعوب العربية التي لا عهد لها بالمثل العليا ، وفي ذلك الإبداع تتجلى عظمة ما جاء به محمد ، ولم يلبث الإسلام أن منح تلك الشعوب بالإضافة إلى هذه المثل مصالح مشتركة وآمالا مشتركة موجهها بذلك جهودها نحو غرض واحد هو الفتح العالمي لدينهم"<sup>(١)</sup> ، أما في العصر الحالي تخلى المسجد عن كثير من وظائفه واقتصر على وظيفة العبادات ولم يعد له تأثير في الجوانب الاجتماعية والتعليمية والثقافية للمجتمع ، ويحول ذلك دون يشارك بجهد فعال في مجابهة ظاهرة التكفير وغيرها من ظواهر التطرف الفكري.

## الاستنتاجات :

مما سبق عرضه في هذا المبحث نستنتج أن المؤسسات التربوية في الوطن العربي قد شابها القصور وتعاني من كثير من المشكلات التي تعوقها عن أداء الأدوار المنوطة بها من قبل المجتمع بإعداد أفراد الإعداد الأمثل ، ومن ثم ليس لديها القدرة على حل مشكلات المجتمع ومجاهة ما يواجهه من تحديات وظواهر تعوق حركة تقدمه ولا ما يسوده من انحراف فكري واجتماعي ،

(١) محمد عبد القادر حاتم، مرجع سابق، ص٢٢٣.



وليس أدل على ذلك مما يعرفه القاصي والداني من انتشار حوادث الاغتصاب والسرقة والسطو والتطرف الفكري والإرهاب، مما يعد دلالة واضحة على عدم فعالية دور المؤسسات التربوية.

لا يعني ما تقدم أن نقف دون حراك أمام ما بلغته هذه المؤسسات من تردٍ واضح ولكن دور البحث التربوي والبحوث في الفروع العلمية الأخرى أن تقدم الحلول التي تسهم في زيادة فعالية دور هذه المؤسسات في المجتمع، والمساعدة علي رسم سياسة تسهم في إزالة العوائق والعقبات من طريق تقدمها، وهذا ما يسعى إليه البحث الحالي، وأن يقدم في المبحث التالي تصورا مقترحا لهذه المؤسسات يسهم في تصحيح مسارها وتنشيط دورها.

## المبحث الثالث

### التصور المقترح لزيادة فعالية المؤسسات التربوية

#### مقدمة:

تناول البحث بالدراسة والتحليل العوامل التي أدت إلى انتشار ظاهرة التكفير بين الشباب وتوصل البحث إلى أن ما يشوب المؤسسات التربوية من قصور يعد أحد الأسباب الرئيسة في انتشار الظاهرة، ومن ثم يصبح علينا أن نحدد الصورة التي ينبغي أن تكون عليها المؤسسات التربوية لتصبح لديها القدرة على توجيه الفكر والقيام بمهامها التربوية على الوجه الأكمل، ومواجهة الفكر المنحرف وتعديله.

#### هدف التصور:

إن البحوث التربوية لا تقف عند حد تقييم الواقع، إنما تقوم بتقييمه من أجل رسم صورة المستقبل بشكل أفضل، ويعد الدور الاستشاري للبحوث التربوية من أهم أدوارها، ومن ثم يهدف هذا التصور إلى علاج أوجه القصور التي تعوق عمل المؤسسات التربوية في القيام بدورها الفعال في العملية التربوية، وتربية الأفراد تربية تصونهم من الانحراف الفكري.

#### محتوى التصور:

في ضوء الهدف الذي يسعى التصور المقترح لتحقيقه، وما أسفر عنه البحث من قصور في أداء المؤسسات التربوية، يتضمن محتوى التصور الصورة المأمولة لمؤسسات التربية العربية الإسلامية، من خلال مقترحات لرفع كفاءة هذه المؤسسات لتصبح قادرة على إرساء الفكر السوي ومجابهة خطر الفكر المنحرف.

## أولا المؤسسات التعليمية:

ما أشارت إليه الدراسات السابقة حول قصور المؤسسات التعليمية عن أداء الدور المنوط بها، نرى أن التعليم في حاجة إلى إعادة هيكلة، حيث إن ما يرى من ضعف ظاهر في المجالات كافة مرده إلى انخفاض مستوى كفاءة التعليم، ورفع كفاءة التعليم تتطلب ما يأتي:

### في مجال إعداد المعلم:

يعد المعلم أحد أهم أضلاع مثلث التعليم، وما أشارت إليه الدراسات السابقة من ضعف المعلم سواء أكان في التعليم ما قبل الجامعي أم التعليم الجامعي يتطلب إعادة النظر في أساليب إعداد المعلم، وتسعى بعض الدول العربية في الوقت الراهن إلى استبدال نظام الإعداد التكاملي بالإعداد التتابعي، ونرى أن نظام الإعداد التكاملي أفضل إن تم تطويره، ويمكن تطويره علي النحو التالي:

- تزداد عدد سنوات الدراسة بكليات إعداد المعلمين سنة تمهيديه لتصل فترة الإعداد إلى خمس سنوات، في السنة التمهيديه يدرس الطلاب:
- في الفصل الدراسي الأول ستة مقررات تشتمل على ما يؤهل الطالب تأهيلا تربويا حقيقيا، فتضم ثلاثة مقررات تربوية، ومقررا في اللغة الانجليزية، ومقررا في اللغة العربية، ومقررا في الثقافة العامة، وأن تكون مفردات هذه المقررات غير تقليدية.
- وفي الفصل الدراسي الثاني يدرس الطلاب ستة مقررات مقررا في الإبداع وحل المشكلات، ومقررا تربويا، والمقررات الأخرى تتصل بالجانب التخصصي.
- على أن يكون التدريس بطرق غير تقليدية، ويقوم بالتدريس في هذه السنة التمهيديه المشهود لهم بالكفاءة والقدرة على الإبداع والابتكار بغض

النظر عن درجاتهم الاكاديمية.

### إعداد المعلم الجامعي:

لا يتوقف اختيار المعلم الجامعي عند حد حصوله على درجة الدكتوراه، إنما يوضع تحت الاختبار لمدة ثلاث سنوات، يقاس خلالها قدرته على الإبداع والبحث والإطلاع، والعمل البحثي الجماعي، وقدرته على المشاركة في حل مشكلات المجتمع، والإسهام الحقيقي في توجيه الفكر.

### ٢- المناهج وطرائق التدريس:

أن تطوير المناهج ليس مجرد حذف بعض المقررات وإضافة أخرى، أو تعديل جزء أو إضافة موضوع، بل يتطلب نظرة شاملة للخطة الدراسية، وربما لا تنتمي الخطة الجديدة إلى كل ما هو كائن بالفعل في خطط الدراسة الحالية، ولكنها تتلاءم مع تطور المجتمع وتتوافق مع متطلبات العصر، وأن تتضمن الحقائق الدقيقة التي تدفع إلى قراءة المشكلة، وتقديم الحلول لها، ومن وظيفة المنهج أن يزود الطلاب بما يثير لديهم ملاحظة المشكلة وتوجيههم إلى التفكير، ومن ثم يجب تطوير المناهج مع الأخذ في الحسبان ما يأتي:

- عدم الاعتماد على نماذج مناهج دول غربية لا تلائم البيئة الإسلامية.
- دراسة تجارب الدول المتقدمة في مجال التعليم، للاستفادة من خبراتها، لا بهدف النقل عنها.
- التركيز على الحفاظ على التراث والهوية بما يناسب العصر، ولا يتحول ذلك إلى دعوة للجمود.
- تتضمن المناهج كل ما توصل إليه العلم الحديث في التخصصات العلمية كافة.
- إعداد الطالب للتفاعل مع معطيات العصر.

### طرائق التدريس:

أن تبتعد طرائق التدريس المستخدمة عن طريقة الإلقاء، التي تهدف إلى التركيز على الحفظ والاستقبال السلبي من الطالب للمعلومات دون بذل جهد يذكر في التفكير، وتُفضّل الطرائق التي تُنمّي التفكير والاعتماد على النفس في التوصل إلى المعلومة كطريقة المناقشة وحل المشكلات وغيرها من الطرائق التي تحول الطالب من متلقي سلبي إلى مشارك إيجابي في العملية التعليمية.

### ثانياً: وسائل الإعلام:

أكد البحث على أن وسائل الإعلام لها تأثيرها الواسع في شخصية الفرد، ربما لا تساويها مؤسسة أخرى، ومن ثم فإن المجتمع الإسلامي في حاجة ماسة إلى توجيه طاقات الإعلام نحو الحفاظ على المجتمع من الانحراف الفكري والعقدي، وتحويل الإعلام إلى وسيلة بناء لا وسيلة هدم كما أكدت الدراسات السابقة بأن الإعلام أحد أسباب نشر الفكر المتطرف والعنف بين الشباب، ويتطلب ذلك التوجيه والتحويل جهوداً من الباحثين في مجالات التربية والإعلام والعلوم الاجتماعية وغيرهم لإيجاد صيغة ملائمة، تُحدد أسس عامة لتفعيل الدور الإيجابي لوسائل الإعلام في البلاد الإسلامية وهي:

- الحد من فوضى الفتيا التي انتشرت في وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، مما أثار كثيراً من البلبلة الفكرية لدى المجتمع، الأمر الذي يسهم بصورة أو بأخرى في نجاح الفكر المنحرف في جذب الشباب واستغلال هذه الفوضى لغرس بذور التطرف بين فئات المجتمع.
- الابتعاد عن الاعتماد على المنتج الإعلامي الغربي، وإعادة النظر في ما يقدمه الإعلام وأن تكون هناك مقاييس إسلامية لكل منتج إعلامي، لأن ما يقدمه يُحدّد شكل ومضمون سلوك الأفراد وقيمتهم وإن كان دعاء

التغريب يلهثون وراء كل أجنبي بحجة تقدم هذه المجتمعات، ويرون أن الاقتباس من نظرياتهم التربوية وآدابهم وفنونهم هو خطوة على طريق التقدم والرقي للمجتمعات الإسلامية، فعلى هؤلاء أن يعلمون أن التقدم ليس أن يعيش الإنسان بقلب فارغ كافر بدينه، لقد بلغ الأقدمون من السلف الصالح درجات رفيعة من التقدم العلمي والرقي، وسادت علومهم وثقافتهم العالم، مع تمسكهم بعقيدتهم.

- على الإعلاميين أن ينتبهوا إلي مكمّن الخطورة في ما يقدم من أعمال أجنبية لأنه يهدف إلى السيطرة والهيمنة الفكرية والثقافية على العقول.
- وضع خطة إسلامية للإعلام والتنسيق بين الأجهزة العاملة في مجال الإعلام في بلدان العالم الإسلامي من أجل أسلمة الإعلام.
- الابتعاد عن برامج ودراما الترفيه الرخيص التي تتنافى مع قيم الإسلام.
- ضرورة الرقابة على ما تعرضه وسائل الإعلام للتأكد من عدم مخالفتها للشريعة الإسلامية.

### ثالثاً: المسجد:

إن للمسجد خصوصيته لدى المسلم سواء المتمسك بدينه أو العاصي، ومن ثم فإن للمسجد تأثيره في توجيه الأفراد وترشيد فكرهم، وتوجيههم نحو الفكر الصحيح، ودحض أي فكر مخالف لكتاب الله والسنة النبوية، علي الرغم من أن نظام إدارة المساجد واختيار العاملين بها يختلف من قطر إلي آخر، إلا أننا سوف نحدد أطراً عامة لما ينبغي أن يكون عليه المسجد بوصفه من أهم المؤسسات التربوية في مناهضة الفكر المنحرف وإرساء القيم.

إعداد خطباء وأئمة المساجد إعداداً يسهم في رفع قدراتهم في مواكبة مستجدات العصر وتزويدهم بالأساليب التربوية التي تساعدهم في التعرف على مشكلات المجتمع، وإقناع الأفراد بالمشاركة في حلها.



اختيار الأئمة من ذوي السلوك الحسن والسيره الطيبة، لأنهم القدوة التي يحتذي بها الآخرون.

أن يعود للمساجد دورها التعليمي، ومن صوره منح الإجازات العلمية في علوم الدين، وان تعترف المجتمعات بهذه الشهادات العلمية. تعقد في المساجد مناظرات بين دعاة الفكر المنحرف وفقهاء الأمة لقرع الحجة بالحجة.

التركيز في خطب الجمعة وحلقات الدرس على عدم التشدد والمغالاة والعودة إلى الوسطية السمحاء، والدعوة إلى البعد عن التعصب العنصري والطائفي والحزبي والقومي والفكري، فالتعصب سبب رئيس في تفرق الأمة وأيضا في الانحراف الفكري

## خلاصة النتائج والتوصيات

- من خلال البحث تم التوصل إلى العديد من النتائج التي تم عرضها ومنها:
- إن الشباب الذين انخرطوا في جماعات التكفير وغيرها من الجماعات، والذين نطلق عليهم مسميات الفئة الضالة، أو الارهابيين أو المتمردين، هم ضحايا مؤسسات المجتمع، سواء من ناحية عدم قدرتها على توجيههم، أم دفعها لهم بطريقة غير مباشر لإعتناق الفكر المنحرف.
  - ما شاب المؤسسات التربوية من قصور كان سببا رئيسا في الانحرافات الفكرية.
  - المشكلات الاقتصادية أحد العوامل التي دفعت الشباب إلى اعتناق الفكر المنحرف.
  - تعد مشاهد العنف التي تعرضها وسائل الإعلام سببا في نشر ثقافة العنف.
  - أن ما تبثه بعض الأقطار الإسلامية من التعصب القطري في نفوس أبنائها، سبب في نشر ثقافة التعصب، مما أدى إلى التعصب الفكري الذي يعاني المجتمع الإسلامي من خطره.

### التوصيات:

- إنشاء هيئة إسلامية تربوية، تنفيذية لا استشارية تكون قراراتها ملزمة للدول الإسلامية كافة، تقوم بمراجعة نظم التعليم وما تبثه وسائل الإعلام، وتقننه وفقا للشريعة.
- إتاحة مساحة أكبر من حرية التعبير والرأي للطالب في المؤسسات التعليمية التي انعدم فيها الحوار وتحولت إلى مجرد وسيلة لتلقين المعلومات.
- إصلاح المناهج وهيئات التدريس بالتعليم الجامعي وما قبل الجامعي حتي تصبح المؤسسات التعليمية قادرة على نشر الفكر الصحيح، وحماية طلابها من الفكر المنحرف.
- أسلمة وسائل الإعلام التي يقع على عاتقها الحفاظ على الهوية الإسلامية.
- عودة دور المسجد التربوي والتعليمي.

## المراجع

- آمنة بنت أرشد بنجر، الدور التربوي للأسرة الخليجية في وقاية أبنائها من الغلو والتطرف، مجلة مستقبل التربية، المركز العربي للتعليم والتنمية، العدد (٣٣) أكتوبر ٢٠٠٦.
- أحمد جمعة حسنين، دور التربية في علاج مشكلة التطرف بين الشباب، مجلة كلية التربية، كلية تربية أسيوط، المجلد (١)، العدد (٨)، يناير ١٩٩٢.
- أحمد حسن حنوره، المشكلات الدينية التي يواجهها طلاب الجامعة واقتراحاتهم لحلها، مجلة كلية التربية، كلية تربية طنطا، العدد (١٩)، ديسمبر ١٩٩٣.
- أحمد عبد الوهاب، التغريب طوفان من الغرب، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٠.
- أحمد كامل الرشيدى، وعبد السلام إبراهيم محمد، التربية في مواجهة ظاهرة التطرف، مجلة كلية التربية، كلية تربية أسيوط، المجلد (١)، العدد (٨)، يناير ١٩٩٢.
- أحمد الفينش، أصول التربية، منشورات الجامعة المفتوحة، بنغازي، ١٩٩٦.
- أحمد مختار مكي، دراسة قدرة التعليم العالي العربي علي مجابهة تحديات المستقبل، مؤتمر التعليم العالي في الوطن العربي في ضوء متغيرات العصر، جامعة الإمارات، ١٣-١٥ ديسمبر ١٩٩٨.
- أحمد مختار مكي، محاضرات في أصول التربية، كلية التربية، جامعة تعز، ١٩٩٩.
- أحمد مختار مكي، دراسة تأثير مقرر التربية الدينية في الوعي الديني لدي طلاب كلية التربية شعبة التعليم الابتدائي بجامعة أسيوط، مجلة كلية التربية بأسوان، جامعة جنوب الوادي، العدد (١٤)، ديسمبر ٢٠٠٠.
- أحمد مختار مكي، التنشئة الاجتماعية وأثرها في تكوين الشخصية، مكتبة

- الرشد، الرياض، ٢٠٠٧.
- الإمام أبو الحسن مسم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، تحقيق محمد بن نزار تميم، وهيثم بن نزار تميم، دار الأرقم بن الأرقم، بيروت، ١٩٩٩.
  - السيد سلامة الخميس، الضبط الاجتماعي في المجتمع العربي من منظور تربوي، مكتبة الرشد، الرياض، ٢٠٠٥.
  - إيمان عبد المؤمن سعد الدين، الثقافة الإسلامية والتحديات المعاصرة، مكتبة الرشد، الرياض، ط٥، ٢٠٠٧.
  - حامد سعيد، بناء الإنسان والتعليم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٨
  - حامد عمار، من همومنا الجامعية، مجلة دراسات في التعليم الجامعي، جامعة عين شمس، مركز تطوير التعليم الجامعي، ١٩٩٣.
  - ديوبولد فان دالين، مناهج البحث في التربية وعلم النفس، ترجمة: محمد نبيل نوفل وآخرين، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، الطبعة السادسة، ١٩٩٦.
  - سامح جميل عبد الرحيم، التعليم في مواجهة التطرف والإرهاب، مجلة البحث في التربية وعلم النفس، كلية التربية جامعة المنيا، المجلد (١٠)، العدد (٢)، أكتوبر ١٩٩٦.
  - سعيد إسماعيل علي، تحليل وتفسير لسليبات الوضع الراهن في الحياة الجامعية في مصر، مجلة دراسات في التعليم الجامعي، جامعة عين شمس، مركز تطوير التعليم الجامعي، ١٩٩٣.
  - سمير محمد حسين، الإعلام والاتصال بالجماهير، الثقافة الجماهيرية، القاهرة، دت.
  - سميرة أحمد السيد، علم اجتماع التربية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٣.
  - سوزان محمد المهدي، التعليم العالي للبنات بالملكة العربية السعودية. المشكلات التعليمية لطالبات كلية التربية بالمدينة المنورة، مجلة كلية التربية، جامعة عين شمس، الجزء (١)، العدد (١٧)، ١٩٩٣.

- طلعت إبراهيم لطفي، مبادئ علم الاجتماع، مؤسسة الأنوار، الرياض، ط ٢، ١٩٩٦.
- عادل عبد الله العبد الجبار، الإرهاب في ميزان الشريعة، دن، الرياض، د.ت.
- عبد الفتاح جلال وآخرون، دور المدرسة الثانوية في مواجهة مشكلة التطرف، مجلة العلوم التربوية، معهد الدراسات التربوية بجامعة القاهرة، العدد (٢)، سبتمبر ١٩٩٤.
- علي حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري، التبصير بقواعد التكفير، دار لمنهاج، لقاهرة، ٢٠٠٥.
- عمر التومي الشيباني، دور التربية في بناء الفرد والمجتمع، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس، د.ت.
- عواطف عبد الرحمن، الحق في الاتصال بين الجمهور والقائمين بالاتصال، مجلة عالم الفكر، الكويت المجلد (٢٣)، العدد (١)، (٢) ١٩٩٤.
- فاطمة بنت حمد الرديني، وأحمد كامل الرشدي، التربية الإسلامية من المفهوم إلى التطبيق، مكتبة الرشد، الرياض، ٢٠٠٥.
- فؤاد البهي السيد، علم النفس الاجتماعي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٣.
- ليلى عبد المجيد، السياسات الاتصالية والإعلامية وأثرها في الثقافة والتربية، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد (٢٣)، العدد (١)، (٢) ١٩٩٤.
- مازن عبد الرزاق بليلة، في محيط الجامعات، دار رهام للطباعة، الرياض، ١٩٩٧.
- محمد الهادي عفيفي، في أصول التربية الأصول الثقافية للتربية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٥.
- محمد بن عبد الرحمن الحضيف، كيف تؤثر وسائل الإعلام دراسة في النظريات والأساليب، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٩٩٨.
- محمد عبد القادر حاتم، الإعلام في القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامة

- للكتاب، ٢٠٠٢.
- محمد عماد زكي، تحضير الطفل العربي لعام ٢٠٠٠، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠.
- محمد محمد السكران، التربية والثقافة فيما بعد الحداثة، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٦.
- محمد مرهف حسين أسد، العولمة رؤية إسلامية، دار وحس القلم، دمشق، ٢٠٠٣.
- مصطفى المصمودي، النظام الإعلامي الجديد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، (عالم المعرفة)، الكويت، ١٩٨٥.
- معن خليل العمر، علم اجتماع الأسرة، دار الشروق للنشر، عمان، ٢٠٠٠.
- مني سعيد الحديدي، و سلوى أمام علي، الإعلام والمجتمع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٤.
- موسوعة الفقه الإسلامي المعاصر، تحرير: عبد الحلیم عويس، دار الوفاء، جزء (٣)، المنصورة، ٢٠٠٥.
- نادية رضوان، الشباب المصري المعاصر وأزمة القيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧.
- والتر فنبرج، وجون سولتس، المدرسة والمجتمع، ترجمة: بدر بن جويعد العتيبي، مكتبة الرشد، الرياض، ٢٠٠٣.
- Benitez, Mario. A, What is Wrong With Teaching In Higher Education?, James J. Van, Under Standing The Many Faces Of The Culture Higher Education, Edwin Mellen, NY, 1993
- Oxford Review Of Education , V12, N3, 1985.



ظاهرة التكفير .. الأسباب والعلاج والآثار



**درجة الوعي بظاهرة التكفير من  
وجهة نظر تربوية لدى عينة من  
طلاب كلية التربية بجامعة الطائف**

**د. إيمان بنت إبراهيم بن محمد العمريطي  
أستاذ مساعد بقسم العلوم التربوية  
كلية التربية – جامعة الطائف**



مؤتمر ظاهرة التكفير .. الأسباب .. الآثار .. العلاج



## مقدمة

تتصف عقيدة أهل السنة والجماعة بالوسطية والسماحة، والبعد عن الغلو أو التفريط، يقول الإمام ابن قيم الجوزية<sup>(١)</sup> - رحمه الله -: "فما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان: إما إلى تفريط وإضاعة، وإما إلى إفراط وغلو، ودين الله وسط بين الجايف عنه والغالبي فيه كالوادي بين جبليين، والهدى بين ضاللتين، والوسط بين طرفين ذميمين، فكما أن الجايف عن الأمر مضيع له فالغالبي فيه مضيع له؛ هذا بتقصيره عن الحد وهذا بتجاوزه الحد".

ومن النعم التي من الله علينا بها هذه الشريعة التي جاءت لحفظ مصالح العباد، ومن ذلك حفظ الضرورات الخمس للناس في دينهم، وأنفسهم، وعقولهم، وأموالهم، وأنسابهم. وقد ابتليت الأمة الإسلامية اليوم بقضية التكفير التي أوقعت الكثير من الأفراد والمجتمعات في الفتن وما نتج عنها من ويلات ومن سفك دماء. ومن أكثر الفئات وقوعاً في هذه الفتنة فئة الشباب لأنها الفئة الأهم في أي مجتمع ولذلك هي الفئة المستهدفة من قبل الأعداء.

ولخطر التكفير، - خاصة تكفير المسلم بذنب أو معصية - آثار خطيرة على المجتمع المسلم؛ ولهذا كان لزاماً البحث في أسباب هذه الظاهرة، والكشف عن جذورها في حياة المسلمين المعاصرين؛ وذلك لمعرفة عوامل التخلص من الخلل الذي أثقل كاهل الأمة، وأضعف قوتها وفرق كلمتها. ولهذا الهدف جاءت هذه الدراسة لبيان درجة وعي فئة الشباب بهذه الظاهرة وذلك بتطبيق استبانة على عينة من طلاب كلية التربية بجامعة الطائف،

(١) ابن قيم الجوزية، تهذيب مدارج السالكين، ط٢، دار قتيبة، الإمارات العربية المتحدة، ١٤١٠هـ، ص

مكونة من مئتي (٢٠٠) طالب.

### مشكلة الدراسة:

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾<sup>(١)</sup>.

تعتبر ظاهرة التكفير من أخطر وأقدم الظواهر البدعية التي ظهرت. أول ما ظهرت على يد الخوارج، وهي من الفتن التي ابتلي بها المسلمون، منذ ذلك الحين إلى وقتنا الحاضر، وقد تعددت المذاهب في التعامل مع هذه الظاهرة، فبين متطرف، ووسط، ونقيض الوسط، كما تعددت أسباب هذه الظاهرة؛ وتعددت الجهات المسؤولة عن علاجها والقضاء عليها، وتوعية فئات المجتمع بخطورتها على تماسك المجتمع.

ومن هذه الجهات: المؤسسات التربوية والتعليمية، والمؤسسات الدعوية، والمؤسسات الاجتماعية، والمؤسسات الإعلامية، وحيث أن فئة الشباب هي الفئة الأكثر أهمية في المجتمع، والمعول عليها في تطوير المجتمعات، أو العكس؛ فقد اختارت الباحثة هذه الفئة للتعرف على درجة وعيهم بهذه الظاهرة، من خلال تطبيق استبانة على عينة من طلاب كلية التربية بجامعة الطائف.

### تساؤلات الدراسة:

يتحدد موضوع الدراسة من خلال الإجابة عن السؤال الرئيس التالي:  
ما درجة وعي عينة من طلاب كلية التربية بجامعة الطائف بظاهرة التكفير؟ ويتفرع منه الأسئلة التالية:

- ما درجة وعي الشباب بمفهوم ظاهرة التكفير؟
- ما أهم الأسباب التي تكمن وراء ظاهرة التكفير في المجتمع السعودي؟

(١) سورة النساء آية (٩٤).

- ما أهم المؤسسات المسؤولة عن توعية الشباب بهذه الظاهرة ؟
- ما أهم الآثار الاجتماعية والاقتصادية المترتبة على ظاهرة التكفير ؟
- ما أهم سبل علاج هذه الظاهرة ؟

#### أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة الحالية إلى معرفة درجة وعي عينة من طلاب كلية التربية، بجامعة الطائف؛ بظاهرة التكفير، ومفهوم التكفير، وأسباب هذه الظاهرة، وآثار انتشارها، ومعرفة المؤسسات المسؤولة عن علاج هذه الظاهرة، والمقترحات لعلاجها.

#### أهمية الدراسة:

تبرز أهمية هذه الدراسة في أنها تطبق على فئة مهمة من فئات المجتمع وهي فئة الشباب؛ وذلك للتعرف على درجة وعيهم بظاهرة التكفير؛ ومن ثم التعرف على المؤسسات المسؤولة عن توعية الشباب بهذه الظاهرة، ودورها في ذلك، وسبل العلاج.

#### الإطار النظري:

##### مفهوم التكفير:

- ١- التكفير هو: " الحكم على المسلم بالخروج من الإسلام إلى الكفر"<sup>(١)</sup> (الكفر لغة: قال ابن فارس: هو الستروالتغطية، لمن غطى درعه بثوبه قد كَفَر درعه، والمكفر الرجل المتغطي بسلاحه"<sup>(٢)</sup>).
- ٢- فالكفر هو الستروالتغطية، قال - تعالى -: ﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ

(١) ورقة عمل بعنوان: التكفير وضوابطه في الشريعة الإسلامية ، إعداد: محمد بن سليمان المنيعي ، إدارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بمكة المكرمة.

(٢) أبو الحسن أحمد ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ، مادة كفر ، عبد السلام محمد هارون ، دار الكتب العلمية ، إيران.

الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ﴿١﴾ .

وقد سمي الزراع كفاراً، لأنهم يغطون الحب.

٣- الكفر في الشرع:

الكافر: " اسم لمن لا إيمان له، فإن أظهر الإيمان فهو منافق" (٢).

قيل أن المقصود بالكفر: " الإنكار المتعمد "

يراد بكلمة الكفر أحياناً: الكفر المخرج من الملة، وأحياناً يراد بها الكفر غير المخرج من الملة، فالكفر نوعان: " كفر أكبر يخرج من الملة، وهو الموجب للخلود في النار، وكفر أصغر وهو الموجب لاستحقاق الوعيد دون الخلود" (٣).

أولاً: كفر أكبر يخرج من الملة، وهو الموجب للخلود في النار: ويأتي في النصوص مقابلاً للإيمان، يقول الله تعالى: ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ ﴾ (٤).

ثانياً: كفر أصغر لا يخرج من الملة.

ومن النصوص الدالة على ذلك قوله - تعالى -: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (٥).

وقال ﷺ: " لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض" (٦).

وقال ﷺ: " والله لا يؤمن، والله لا يؤمن والله لا يؤمن؛ قيل من يا رسول

(١) سورة الحديد آية ، ٢٠.

(٢) صالح بن حميد وآخرون ، نضرة النعيم ، ج ١١ ، ط٤ ، دار الوسيلة ، جدة ، ١٤٢٦هـ ، ص ٥٥٧٠

(٣) ابن قيم الجوزية ، مدارج السالكين ، ج ١ ، ص ٣٣٧.

(٤) سورة البقرة آية ٢٥٣.

(٥) سورة المائدة آية (٤٤).

(٦) محمد بن إسماعيل البخاري ، صحيح البخاري ، باب حجة الوداع ، ج ٤ ، ط ٣ ، بيروت ، دار ابن

كثير، ص ١٥٩٨.

الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره" (١). وقال ﷺ: "من حلف بغير الله فقد أشرك" (٢). هذه النصوص، وما شابهها تدل على شرك من عمل هذه الأعمال و، كفره؛ ولكن الكفر الذي لا يخرج فاعله من الملة؛ "وإن إطلاق هذه الأسماء على الفعل إذا أتاه المسلم، لا يراد به إخراج من الملة؛ إذا لم يستحلها، وإنما المراد به: أنه قد شابه في فعله هذا الكفار والمشركين" (٣). فالحكم على أحد بكفر، لا يكون إلا بما حكم الله ورسوله عليه بذلك، فكل فعل، أو قول، أو اعتقاد، لا يكون كفراً، إلا بنص من الكتاب أو السنة، إن جهل بعض الطوائف والفئات بهذه المفاهيم ومدلولاتها الشرعية أدى إلى التباس في الفهم واضطراب في الموازين، حيث لم يميزوا بين الكفر الأكبر المخرج من الملة وكفر المعصية. ولا بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر.

والأمثلة على التفريق بين المفاهيم من خلال نصوص الكتاب العزيز والسنة المطهرة كثيرة جداً، ولعل بعض الأمثلة من شأنها أن توضح الفكرة في الفرق بين المفهومين؛ فالإيمان الكامل هو المقصود بقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ (٤). وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ (٥). فهذا الإيمان الذي هو قول باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالأركان، هو

(١) محمد بن إسماعيل البخاري، مرجع سابق، باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه، ج٥، ص٢٤٠.

(٢) محمد بن حبان التميمي، صحيح ابن حبان، ذكر الزجر عن أن يحلف المرء بشيء سوى الله، ج١٠، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ص٢٠٠.

(٣) ورقة عمل بعنوان: التكفير وضوابطه في الشريعة الإسلامية، إعداد: محمد بن سليمان المنيعي، إدارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بمكة المكرمة)، مرجع سابق.

(٤) سورة الأنفال آية (٢).

(٥) سورة المؤمنون آية (١)، (٢).

## الإيمان الكامل.

ومن حديث النبي ﷺ: " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه" (١). وهو المنفي في مثل قوله ﷺ: " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" (٢).

وقوله ﷺ: " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن" (٣).

فالنفي هنا ينصبّ على كمال الإيمان لا على أصل الإيمان. وهذا الإيمان الكامل الذي أخبر عنه الحديث: أنه " بضع وسبعون شعبة والحياء شعبة من الإيمان " ومن هنا أكد العلماء أنه من ضيّع أصل الإيمان فقد ضيّع الأصل بالكلية وهي العقائد، وأما الفروع التي هي ثمرات الإيمان من العبادات والمعاملات فمن ضيّعها فأصل الإيمان عنده باق. وقد انتفى عنه كمال الإيمان بقدر ما ضيّع. ومذهب السلف أن الأعمال شرط في صحته وشرط في كماله، فالإيمان إقرار فقط فمن أقر أجريت عليه الأحكام في الدنيا ولم يحكم بكفره.

وكذلك الإسلام يطلق على مجرد التلفظ بالشهادتين، وقد يطلق على الأركان الأساسية فيه. إذاً فالإيمان يتعلق بالجوارح والظواهر، وهذا ما جاء في حديث: " الإسلام علانية، والإيمان في القلب ". وإن إطلاق كلمة الكفر على بعض المعاصي العملية التي لا تحمل إنكاراً ولا جحوداً ولا تكذيباً لرسول الله تدرج تحت باب الكفر نوعان: أصغر وأكبر، فالكفر الأكبر

(١) محمد بن إسماعيل البخاري، مرجع سابق، باب صنع الطعام والتكليف للضيف، ج٥، ص٢٢٧٢.

(٢) محمد بن إسماعيل البخاري، المرجع السابق، باب الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ج١، ص١٤.

(٣) محمد ابن حبان، صحيح ابن حبان، ط٢، ذكر نفي الإيمان عن الزاني، ج١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص٢٦٠.

هو الموجب للخلود في النار، والأصغر موجب لاستحقاق الوعيد كما في الحديث " اثنان في أمتي هما بهم كفر: الطعن في النسب والنياحة على الميت" (١).

ومنه حديث " من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد" (٢).

وقوله " لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض" (٣). وهذا تأويل ابن عباس وعامة الصحابة في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾.

قال ابن عباس: " ليس بكفر ينقل عن الملة، بل إذا فعله فهو به كفر. وليس كمن كفر بالله واليوم الآخر، وقال بذلك عدد من التابعين، كفر دون كفر؛ ولأن هذه الآية، وأمثالها هي من أقوى الأدلة التي يرددها من يحتج بحكم التكفير كان لا بد من مزيد من الإيضاح حول معناها وأقوال العلماء فيها. فمنهم من قال يكون الكفر بترك الحكم بما أنزل الله جاحداً له، ومنهم من تأولها على ترك الحكم بجميع ما أنزل الله.

ومنهم من تأولها على الحكم بمخالفة النص تعمداً من غير جهل به، ولا خطأ في التأويل، ومنهم من تأولها على أهل الكتاب ومنهم من جعله كفراً ينقل عن الملة. يقول ابن القيم: " والصحيح: أن الحكم بغير ما أنزل الله يتناول الكافرين، الأصغر والأكبر بحسب حال الحاكم، فإنه إن اعتقد وجود الحكم بما أنزل الله في هذه الواقعة وعدل عنه عصياناً، مع أنه مستحق

(١) مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، باب إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب، ج١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص٨٢.

(٢) أحمد بن حجر العسقلاني، صحيح البخاري بشرح فتح الباري، باب الكهانة، ج١، دار المعرفة، بيروت، ص٢١٧.

(٣) سبق تخريجه.

للعقوبة، فهذا أصغر، وإن اعتقد أنه غير واجب وأنه مخير فيه مع تيقنه أنه حكم الله، فهذا كفر أكبر.

والشرك كذلك، منه ما هو أكبر وهو المقصود بقوله - تعالى -: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ . ومنه ما هو أصغر، ومثاله حديث النبي ﷺ: " ومن علق تميمه فقد أشرك." وقوله: " الرقى والتمايم والتولة شرك." وكذلك النفاق، نفاق أكبر، نفاق العقيدة، وهو أن يبطن الكفر ويظهر الإيمان. وهذا المتوعد عليه بقول الله تعالى: " إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار." ونفاق أصغر، وهو نفاق العمل، كمن يتصف ببعض صفات المنافقين؛ ومنها حديث النبي ﷺ: " آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر"<sup>(١)</sup>.

وعليه، إذا ساد هذا الفهم، ارتفع اللبس، وزال الخلاف، وإن التطرف بالأخذ بقول واحد، يؤدي إلى فتنة يصر البعض على الأخذ بها، وتجاهل المدرسة الإسلامية الأولى في طرح المفاهيم، والحقيقة أن هذا المنهج في الوقت الحاضر، من أقوى بواعث التكفير، لغياب المرجعية الشرعية، والاعتماد على من هم ليسوا أهلاً للنظر في استصدار الأحكام.

### أسباب ظاهرة التكفير:

تتعدد أسباب ودواعي ظاهرة التكفير، فقد تعود أسباب هذا الفكر أسباباً فكرية أو نفسية أو سياسية أو اجتماعية أو يكون الباعث عليه دوافع اقتصادية وتربوية.. إلخ. وبالنظرة الشاملة نستطيع أن نقول بأن الأسباب متشابكة ومتداخلة، ولهذا لا ينبغي أن نقف عند سبب واحد، فالظاهرة التي أمامنا ظاهرة مركبة معقدة وأسبابها كثيرة ومتداخلة، ومن أهم الأسباب:

(١) مسلم القشيري، مرجع سابق، باب بيان خصال المنافق، ج١، ص٧٨.



## البعد عن شريعة الله وعدم الفقه في الدين:

من أهم الأسباب التي أدت إلى ظهور وانتشار هذه الظاهرة الجهل بالشريعة الإسلامية، وعدم التفقه في الدين، كما فعل الخوارج حين كفروا كل من ارتكب الكبائر، أو حسب ما يروونه من الذنوب والناس لديهم مؤمن وكافر، غير معتمدين في ذلك على دليل من الكتاب والسنة فضلوا وأضلوا، قال عنهم النبي ﷺ: " يخرج في هذه الأمة قوم تحتقرون صلاتكم مع صلاتهم، يقرأون القرآن لا يجاوز حلقهم أو حناجرهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية؛ فينظر الرامي إلى رصافه فيتمارى في الفوقة هل علق بها من الدم شيء" (١).

ومن جهلهم بالشريعة أنهم يكفرون بالذنوب، ويستحلون بذلك دماء المسلمين، وأموالهم، وأعراضهم؛ واعتبار دارهم دار حرب، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: " الفرق الثاني في الخوارج وأهل البدع: أنهم يكفرون بالذنوب والسيئات، ويترتب على تكفيرهم بالذنوب استحلال دماء المسلمين وأموالهم، وأن دار الإسلام دار حرب، ودارهم هي دار الإيمان" (٢).

فعندما جهل الخوارج بأصول وأحكام الشريعة الإسلامية نتج عن ذلك الفتوى بغير علم والتجرؤ على التكفير بناء على ما فهموه من النصوص الشرعية. فالجهل بمقاصد الشريعة، والاعتماد على معانيها بالظن من غير تثبت، أو الأخذ فيها على ظاهرها دون الرجوع إلى تفسيرها ومعناها من أقوال العلماء الراسخين في العلم؛ لذلك قال عنهم النبي ﷺ يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الصيد المرمي، حيث وصفهم رسول الله ﷺ بأنهم " يقرءون

(١) مسلم القشيري، مرجع سابق، باب الخوارج وصفاتهم، ج ٢، ص ٧٤٣.

(٢) أحمد ابن تيمية. الفتاوى، ط ٢، ج ١٩، دت، ص ٧٣.

القرآن لا يجاوز حلوقهم<sup>(١)</sup>.

ومن سلبيات البعد عن شريعة الله تعالى، وعدم تحكيمها: الاعتماد على مصادر مغايرة لمصادر الشريعة الإسلامية في التحاكم إليها كالعقول المجردة الفاسدة، والفلسفات الكلامية العقيمة التي نُزِع ما فيها من خير ومصداقية. وقد ذكر ابن عباس تفسير ذلك؛ فقد روى البيهقي في شعب الإيمان عن إبراهيم التيمي، قال: خلا عمر رضي الله عنه ذات يوم، فجعل يحدث نفسه: كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد؟ فأرسل إلى ابن عباس - رضي الله عنهما - فقال: كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد وقبلتها واحدة - زاد سعيد: وكتابها واحد؟ - قال: فقال ابن عباس: يا أمير المؤمنين: إنما أنزل علينا القرآن فقرأناه، وعلمنا فيما أنزل، وإنه سيكون بعدنا أقوام يقرؤون القرآن ولا يدرون فيما نزل، فيكون لكل قوم فيه رأي، فإذا كان كذلك اختلفوا. وقال سعيد: فيكون لكل قوم فيه رأي، فإذا كان لكل قوم فيه رأي اختلفوا فإذا اختلفوا اقتتلوا! قال: فزجره عمر وانتهره علي.. فانصرف ابن عباس، ونظر عمر فيما قال، فعرفه.. فأرسل إليه وقال: أعد علي ما قلت، فأعاد عليه، فعرف عمر قوله وأعجبه!<sup>(٢)</sup>

فإذا عرف الرجل فيما نزلت الآية، والسورة، عرف تأويلها، وما قصد بها، فلم يتعد ذلك فيها، وإذا جهل فيما أنزلت، كان اعتماده على الظن في فهمها، فذهب كل إنسان فيها مذهباً لا يذهب إليه الآخر، وليس عندهم من الرسوخ في العلم ما يهديهم إلى الصواب. وهذا ما أدى بهم إلى التخبط، والضلال والسلوك الخطأ.

(١) سبق تخريجه.

(٢) البيهقي، شعب الإيمان، ج ٢، رقم ٢٢٨٢، فصل في ترك التفسير بالظن، ص ٤٢.

## التشدد في الدين والتنطع:

من مسيئات التكفير، التشدد في الدين. قال ﷺ: "إن هذا الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه"<sup>(١)</sup>.

وينشأ التشدد في الدين، من قلة الفقه في الدين. وهذه الصفات من صفات الخوارج، الذين تشددوا وتنطعوا في الدين. وقد وصفهم عبد الله بن عباس ؓ حينما ذهب يناظرهم يقول: "دخلت على قوم لم أر قط أشد منهم اجتهاداً، جباههم قرحت من السجود، وأيديهم كأنها ثفن الإبل، وعليهم قمص مرحضة، مشمرين، مسهمة وجوههم من السهر"<sup>(٢)</sup>.

وهذا التشدد، هو الذي قاد الخوارج إلى مخالفة مبادئ الشريعة الإسلامية، والاعتماد على عقولهم في تكفير صاحب الكبيرة؛ أو المبالغة والتشدد بالحكم على من ارتكب ذنباً من الذنوب، ولو كان صغيراً، بأنه كافر، مشرك، مخلد في النار.

ومن مظاهر التشدد: الغلو في الفكر، وهو مجاوزة الحد. وهذا الغلو، أو ما قد يصطلح عليه بـ (التطرف)، هو ما قد حذر الإسلام منه. حتى ولو كان لباس الدين، يقول النبي ﷺ "إياكم والغلو"<sup>(٣)</sup>. ويقول ﷺ "هلك المتطعون"<sup>(٤)</sup>. ومن دلائل هذه الضحالة الفكرية، وعدم الرسوخ في فقه الدين، والإحاطة بآفاق الشريعة: الميل دائماً إلى التضييق والتشديد والإسراف في القول بالتحريم، وتوسيع دائرة المحرمات، مع تحذير القرآن والسنة والسلف من ذلك.

(١) محمد بن إسماعيل البخاري، مرجع سابق، باب الدين يسر، ج١، ص٢٣.

(٢) أحمد بن الحسين البيهقي، سنن البيهقي، باب لا يبدأ الخوارج بالقتال، ج٨، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٩٩٤، ص١٧٩.

(٣) محمد بن يزيد القزويني، سنن ماجه، ج٢، باب قدر رمي حصي الرمي. دار الفكر، بيروت، ص١٠٠٨.

(٤) مسلم القشيري، مرجع سابق، باب هلك المتطعون. ج٤، ص٢٠٥.

وحسبنا قوله - تعالى - ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكُذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِيَتَفَتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾<sup>(١)</sup>.

وكان السلف لا يطلقون الحرام إلا على ما علم تحريمه جزمًا، فإذا لم يجزم بتحريمه قالوا: نكراه كذا، أو لا نراه، أو نحو ذلك من العبارات، ولا يصرحون بالتحريم، أما الميالون إلى الغلو، فهم يسارعون إلى التحريم دون تحفظ، بدافع التورع والاحتياط - إن أحسننا الظن - أو بدوافع أخرى، يعلم الله حقيقتها.

فقد روى الإمام أحمد بسنده عن ابن أبي نعيم قال: "جاء رجل إلى ابن عمر وأنا جالس، فسأله عن دم البعوض؟ - وفي طريق أخرى للحديث أنه سأله عن محرم قتل ذباباً - فقال له: ممن أنت؟ قال: من أهل.

العراق. قال: ها ! انظروا إلى هذا، يسأل عن دم البعوض، وقد قتلوا ابن رسول الله - ﷺ - (يعني الحسين رضي الله عنه) وقد سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: "هما ريحانتي من الدنيا"<sup>(٢)</sup>.

#### ١ - الابتعاد عن العلماء وعدم التلقي منهم وغياب المرجعية الواعية:

غياب المرجعية الواعية والمرجعية هنا العلماء لأن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ، وقال تعالى: ﴿ لَعَلَّمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ . فوجود العلماء أصحاب البصيرة والعلم والاجتهاد والخبرة يعتبر بمثابة النور الذي يضيء الطريق لهذه الصحوة. ولكن عند النظر الموضوعي لهذه القضية، نجد أن واحداً من المحاذير التي ينبغي على الصحوة

(١) سورة النحل آية ١١٦.

(٢) محمد بن عيسى الترمذي ، سنن الترمذي ، باب مناقب الحسن والحسين ، ج ٥ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، دت ، ص ٦٥٧.

تجنبها هو ذلك الانفلات والاندفاع من قبل الشباب، والتجرؤ على الفتوى، والأحكام الشرعية، بعيداً عن الأصول والمرجعيات، التي يحكم من خلالها أو استتباط الأحكام على ضوءها؛ والعلماء هم القادرون على استتباط الأحكام من الأدلة الشرعية، والقواعد، ومجارات الزمان، والمكان، ومعرفة الناسخ، والمنسوخ، والمطلق، والمقيد، والعام، والخاص؛ وتقدير المصلحة أيضاً بناء على كل ما ذكر.

وعلينا أن نعترف بأن واحداً من أسباب الغلو، هو الجهل بمقاصد الشريعة، والتخرص على معانيها، بالظن من غير تثبت، أو الأخذ فيها بالنظر الأول. ولا يكون ذلك من راسخ في العلم؛ ألا ترى الخوارج كيف خرجوا عن الدين، كما يخرج السهم من الصيد الممرس؟ لأن رسول الله - ﷺ - وصفهم بأنهم «يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم»، يعني والله أعلم، أنهم لا يتفقهون به حتى يصل إلى قلوبهم، لأن الفهم راجع إلى القلب. فإذا لم يصل إلى القلب، لم يحصل فيه فهم على حال، وهذا يقف عند محل الأصوات، والحروف فقط، وهو الذي يشترك فيه من يفهم ومن لا يفهم، والحديث الصحيح عن النبي ﷺ: "إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً فينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالم، اتخذ الناس رؤوساً جهلاً، فسئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا"<sup>(١)</sup>.

## ٢- التعصب للرأي، وعدم الاعتراف بالرأي الآخر:

تعصباً لا يعترف معه للآخرين بوجود؛ يصاحب ذلك، جمود الشخص على فهمه جموداً لا يسمح له برؤية واضحة لمصالح الخلق، ولا مقاصد الشرع، ولا ظروف العصر، ولا يفتح نافذة للحوار مع الآخرين، وموازنة ما عنده، بما

(١) مسلم القشيري، مرجع سابق، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن، ج٢، ص٢٥٨.

عندهم، والأخذ بما يراه بعد ذلك.

ولا شك في أن محاولة الحجّر على آراء الآخرين، وإلغاء عقولهم، يستحق أن ينكر على صاحب هذا الفكر؛ حيث يزعم بأنه وحده على الحق، ومن عداه على الضلال، ويتهم من خالفه في الرأي بالجهل، وإتباع الهوى، ومن خالفه في السلوك، بالفسوق والعصيان؛ كأنه جعل من نفسه نبياً معصوماً، ومن قوله، وحيأ يوحى، مع أن سلف الأمة<sup>3</sup> وخلفها، قد أجمعوا على أن كل أحد يؤخذ من كلامه ويترك، إلا النبي ﷺ. والعجيب أن من هؤلاء من يجيز لنفسه أن يجتهد في أعوص المسائل، وأغمض القضايا، ويفتي فيها بما يلوح له من الرأي، وافق فيه أو خالف؛ لكنه لا يجيز لعلماء العصر المتخصصين، منفردين، أو مجتمعين، أن يجتهدوا في رأي يخالف ما ذهب إليه.

### التعزبات السرية:

والتي نتجت عن قراءات خاصة، ومفاهيم خاطئة لا يعرفها أهل العلم:  
قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾<sup>(١)</sup>.

وبنظرة فاحصة، للجماعات، والأحزاب المعاصرة، نجد أن هذه الفرق، والجماعات، والأحزاب، تدعوا إلى ذواتها حصراً، حيث تُصور كل فرقة، وجماعة، وحزب، إلى الناس أنها هي القائمة على الإسلام، وكل من عداها مخالف لها، وهذا التصور القاصر نراه عند الجميع، مطرداً، ومتفقاً عليه. ولهذا كان الجميع أهل فتنة وبدعة، وليس هذا الحكم صادراً فيهم عن رأي أو هوى، بل هو ما اتفق عليه أهل العلم من المحققين، وحكمهم في أول فرقة وهي "الخوارج" وحتى آخر فرقة ظهرت في هذا الوقت.

(١) سورة الأنعام: ١٥٩.

فكل تطرف في الدين، أو غلو فيه لدى المسلمين، فسببه هذه الفرق، والجماعات والأحزاب؛ وهي بمجموعها، مصدر البدع، والفتن، والأهواء، والآراء، وأصل كل شر، معارضة الشرع بالرأي، وتقديم الهوى عليه.

**الجهل بقواعد الإسلام وآدابه وسلوكه:**

من علامات الساعة أن يتحدث الرويضة في شأن العامة والقضايا المصيرية ومن لا هم له إلا شهواته؛ أو من حُمِّل بأفكار غريبة يتولى تربية الشباب فتستغل عواطفهم بتحميلهم أفكاراً تؤدي لتحمسهم بلا ضابط، ولا رادع، ولا رجوع لأهل العلم الصالحين، الذين خبروا الأمور، ودرسوا معالم الإصلاح جيداً، ولا نجد تعليلاً لذلك إلا الجهل؛ فالجهل داء عظيم، وشر مستطير، تتبعث منه كل فتنة عمياء وشر وبلاء، قال أبو الدرداء رضي الله عنه (كن عالماً أو متعلماً أو مجالساً ولا تكن الرابعة فتهلك. وهي الجهل) ومنه حديث: "من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين" <sup>(١)</sup>.

ويندرج في ذلك القول في دين الله بغير علم؛ وذلك أن الجاهل يسعى إلى الإصلاح فينتهج طرقاً يظنها حسنة فيسيء من حيث أراد الإحسان فيترتب على ذلك مفاسد عظيمة، كالذي يكفر أي شخص بأي ذنب.

### **تقصير بعض أهل العلم والدعاة في القيام بواجب النصح والإرشاد والتوجيه:**

أهل العلم هم المكلفون ببيان الحق للناس وهدايتهم إليه وتلك مسؤولية كبرى تقع على أهل العلم والفقهاء والمعرفة، فإن الله - جل وعلا - حملهم مسؤولية عظيمة من هداية البشرية، ونشر العلم، وبذل النصح، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإبلاغ الحق، وتعليم الجاهل، وتبنيه الغافل، فمتى ما أهمل العلماء هذه المسؤولية العظيمة فإن البلدان تخرب، والقلوب

(١) الترمذي، مرجع سابق، كتاب العلم عن رسول الله، ج ٥، ص ٦٨.

تظلم، والنفوس تتيه، والأفكار تزيغ، والباطل يصول، والضلال يجول، يقول  
 - تعالى - : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾<sup>(١)</sup>.

### تصدر صفار السن للفتيا بغير علم:

الجرأة على الفتوى من أهم الأسباب التي تساعد في انتشار هذه الظاهرة  
 فربما يكون لدى البعض الشيء القليل من العلم، فيغتر بنفسه وبما لديه من  
 العلم، فيبدأ بالفتوى وتوجيه الناس، فيتأثر الناس به ويصدقونه وينساقون  
 وراءه في كل ما يقول، ويكون جماعة خاصة به يكفرون ويستحلون دماء  
 المسلمين بغير دليل شرعي، فمع كثرة الأتباع يزداد غرورهم وتعاليمهم  
 على الدين.

والشباب باندفاعهم وقوتهم يتمسكون غالباً بحرفية النصوص دون تغلغل  
 إلى فهم فحواها ومعرفة مقاصدها، بعد أن فرغت الأمة منها.

ومن ذلك اعتماد الشباب بعضهم على بعض، دون الرجوع إلى العلماء؛ يقول  
 ابن مسعود رضي الله عنه: " لا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم، وعن  
 أمثائهم، وعلمائهم، فإذا أخذوه عن صفارهم، وشرارهم، هلكوا"<sup>(٢)</sup>. قال ابن  
 قتيبة في تفسير ذلك: "لا يزال الناس بخير، ما كان علماءهم المشايخ، ولم  
 يكن علماءهم الأحداث، لأن الشيخ قد زالت عنه حدة الشباب، وامتعته،  
 وعجلته، واستصحب التجربة في أموره فلا تدخل عليه في علمه الشبه، ولا  
 يستميله الهوى، ولا يستزله الشيطان؛ والحدث قد تدخل عليه هذه الأمور التي  
 أمنت على الشيخ". كما روى أميمة الجمحي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم - قال: " إن من  
 أشراط الساعة، أن يلتمس العلم عند الأصاغر"<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة النحل آية (٤٣).

(٢) رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجاله موثوقون باب معرفة معنى الحديث بلغة قريش.

(٣) سليمان أحمد الطبراني، المعجم الكبير، ج٢٢، ط٢، مكتبة الزهراء، الموصل، ١٩٨٣، ص٣٦١.



وقد أدى ذلك إلى ضعف البصيرة عند هؤلاء؛ وهذا ما جعلهم لا يسمعون لمن يخالفهم في الرأي، ولا يقبلون الحوار معه، ولا يتصورون أن تتعرض آراؤهم للامتحان، بحيث توازن بغيرها، وتقبل المعارضة والترجيح. وربما كان ثمة معارض أقوى وهو لا يعلم، لأنه لم يجد من يوقفه عليه.

وغفل هؤلاء الشباب، المخلصون، أن علم الشريعة، وفقهها، لا بد أن يرجعوا فيه إلى أهله الثقات، وأنهم لا يستطيعون أن يتعلموا هذا العلم وحدهم، دون مرشد يأخذ بأيديهم، ويفسر لهم الغوامض والمصطلحات، ويرد الفروع إلى أصولها، والنظائر إلى أشباهها.

وهذا ما جعل علماء السلف يحذرون من تلقي العلم عن هذا النوع من المتعلمين، ويقولون: لا تأخذ القرآن من مصحفي، ولا العلم من صحفي. يعنون بالمصحفي: الذي حفظ القرآن من المصحف فحسب، دون أن يتلقاه بالرواية، والمشافهة من شيوخه، وقرائه المتقنين.

والإسلام كاملٌ في عقيدته، وشريعته، وآدابه، وأخلاقه، وسلوكه؛ والدعوة إليه دعوة إلى كل ذلك. فلو كانت تلك الفرق، والجماعات، والأحزاب، داعية إلى الإسلام بحق، لكانت ناجحة في دعوتها، سليمة في طريقتها؛ والإسلام جامعٌ غير مفرق، ومؤلف غير ممرق، وموحدٌ غير مشتت. فكل من خالف منهج الإسلام، في جمع الأمة، وتوحيدها وتأليفها، ففي دعوته انحرافٌ. وما ابتليت الأمة ببليّة، كانت عليها طامة، مثل بلية التفرق والتحزب: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

■ انتشار الجدل بغير طائل فهؤلاء الذين يثيرون الجدل، في بعض المسائل الجزئية، أو يجادلون على غير هدى، أناس مشغولون عن واجباتهم

الأساسية. مما أدى إلى التفريط فيها مثل: بر الوالدين، أو تحري الحلال، أو أداء العمل بإتقان، أو رعاية حق الزوجة، أو حق الأولاد، أو حق الجوار، وبذلك فقد غضوا الطرف عن هذا كله، وغرقوا في دوامة الجدل الذي أصبح لهم هواية ولذة، وانتهى بهم إلى اللدد في الخصومة، والممارسة المذمومة. وهذا النوع من الجدل هو الذي أشار إليه الحديث: " ما ضل قوم بعد هدي كانوا عليه إلا أوتوا الجدل"<sup>(١)</sup>.

- قد يكتسب الفرد الصفات النفسية من البيئة المحيطة به، سواء في محيط الأسرة، أو في محيط المجتمع؛ فكل خلل في ذلك المحيط، ينعكس على سلوك، وتصرفات ذلك الفرد، حتى تصبح جزءاً من تكوينه، وتركيبه النفسي. ويعد الفشل في الحياة الأسرية، من أهم الأسباب المؤدية إلى جنوح الأفراد، واكتسابهم، بعض الصفات السيئة.
- غياب القدوة الصالحة ممن يتصف بها في التعليم الذي يعد صمام الأمان، في الضبط الاجتماعي، ومحاربة الجنوح الفكري، والأخلاقي، لدى الفرد.
- إن من أسباب نشوء الأفكار الضالة، ظهور التناقض في حياة الناس، وما يجدونه من مفارقات عجيبة بين ما يسمعون وما يشاهدون، فهناك تناقض كبير، أحياناً بين ما يقرؤه المرء وما يراه، وما يتعلمه، وما يعيشه، وما يُقال وما يُعمل، وما يدرّس له، وما يراه، مما يحدث له اختلالاً في التصورات، وارتباكاً في الأفكار.
- قلة ترابط المجتمع، و عدم إحساس أفراده، بالمسؤولية تجاهه، ولا الحرص عليه ولا الاهتمام به، ولا مراعاة الآخرين، لذلك فالمجتمع

(١) محمد ابن ماجة ، سنن ابن ماجة ، باب اجتناب البدع والجدل ، ج١ ، دار الفكر ، بيروت ص١٩.

المترايط والأسرة المتماسكة، تحيط الأشخاص بشعور التماسك والتعاون؛ ومن شذ منهم يستطيعون احتواءه، وردده عن الظلم، لذلك قال رسول الله ﷺ: " انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً" <sup>(١)</sup> فنصرته ظالماً بمنعه عن ظلمه، فكل فرد في المجتمع مسؤول عن الأخذ على يد المخطئ، ونهيه وتذكيره.

■ الفراغ، حيث يقول النبي - ﷺ - : " نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس، الصحة، والفراغ" <sup>(٢)</sup>.

فهاتان نعمتان كثيراً ما يغبن فيها الإنسان، فإن الفراغ مفسدة للمرء، وداء مهلك، وملتف للدين. ونفسك إن لم تشغلها شغلتك، فإن لم تشغل النفس بما ينفع شغلتك هي بما لا ينفع، والفراغ النفسي، والعقلي، أرض خصبة لقبول كل فكر هدام وعلو وتطرف، فتتغلل الأفكار وتغزو القلوب فتولد جذوراً يصعب اقتلاعها إلا بالانشغال بالعمل الصالح، والعلم النافع.

ومن رحم الفراغ تولد الضلالة، وفي أحضانه تنشأ البطالة، وفي كنفه تعيش الشبه. وهو عدو متريص تجب محاربتة، باستهلاك طاقات الشباب المتعددة، وأرواحهم المتوقدة وتسخير مواهبهم لخدمة الدين، وتشجيع طموحاتهم لصالح الأمة.

- قلة القدوة الناصحة المخلصة التي تعود على الأمم بغرض النفع، وإرضاءً لله تبارك وتعالى، وحباً في دينهم وأوطانهم. وغياب القدوة يؤدي للتخبط، وعدم وجود المرجعية الصالحة والأسوة الحسنة، من عوامل التفكك والانحطاط والتخلف.
- غياب التربية الحسنة والموجهة التي توجه الأفراد للأخلاق القيمة الحسنة.

(١) محمد بن إسماعيل البخاري، مرجع سابق، باب انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، ج٢، ص٨٦٢.

(٢) محمد بن إسماعيل البخاري، مرجع سابق، كتاب الرقاق، ج٥، ص٢٣٥٧.

- الجهل بالنصوص الشرعية وعدم العلم بمقاصد الشريعة السمحاء.
- عدم قدرة، بعض الدعاة على صياغة خطاب إرشادي، يتوافق مع روح العصر، في عباراته، ويحاكي الواقع الذي تعيشه الأمة، ويقدم الحلول، والمقترحات.
- عدم وجود ساحات حرة للحوار، والفكر، وعرض الرأي، والرأي المخالف، مهما كانت شدته؛ مما أدى لانزواء البعض بعيداً عن المجتمع، ولو بشكل حسي، وإن اختلطوا به مادياً، مما يجعل هذه الفئة تفتى وتبرر بنفسها ما تقوم به، دون قائد، أو قدوه، أو عالم.
- قلة ثقافة، بعض الدعاة وضحالة قدراتهم العلمية، والتحليلية؛ فنجدهم يأخذون بنصوص، دون أخرى، ويأخذون بالمتشابه، ويتركون المحكم، ويتشبثون بالجزئيات دون الكلليات.

#### أخطار التكفير على الإسلام و المسلمين:

من أخطار ظاهرة التكفير على الإسلام والمسلمين فشو الجهل وخفاء العلم بالدين: عقيدة، وشرعية؛ وتشويه سماحة الإسلام وعالميته؛ وكذلك اختلال الأمن العام، للمسلمين وغيرهم: الأمن العقدي، والفكري، و الأمن الديني، والأمن الاجتماعي، والأمن السياسي، والعسكري، والأمن الأسري، والأمن النفسي؛ ولا سيما على العقل، والدين، والعرض، والنفس، والمال؛ وهي الضرورات الخمس التي أجمعت على حفظها شرائع الله قاطبة. والنبى - ﷺ - يقول: (كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله، وعرضه). وفي حجة الوداع، في يوم عرفة قال: (إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم، حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا). (متفق عليه).

#### علاج ظاهرة التكفير:

علاج هذه الظاهرة - ظاهرة التكفير- بين الناس، ولا سيما المتعاملين أو

المتعجلين في أحكامهم أو الجاهلين بعلاج النبي - ﷺ -، وعلاج أصحابه - رضي الله عنهم - لظاهرة الغلو في الدين، والتجافي عن منهج العدل والوسطية عقيدةً وقولاً وعملاً. يتأتى بما يلي:

- نشر العلم الصحيح الموروث عن الله وعن رسوله - ﷺ -، ومن فقه السلف الصالح من لدن الصحابة والتابعين، وعلماء الأمة - رضي الله عنهم ورحمهم -، والقضاء بالتالي على الجهل أو محاصرته، وهو بيئة التكفير التي يترعرع فيها.
- قيام المربي الواعي والدعاة، كلٌ منهم بواجبه المناط به، وأداء الأمانة الواجبة، والنصح للأمة بالرفق واللين والتوجيه والتربية وحسن البيان لمن اشتبه عليه الأمر أو كثرت عليه الشبهات.. ولا يتأتى هذا إلا على يد ذوي العلم والغيرة، الراسخون في العلم، مستخدمين في ذلك أسلوب مقارعة الحجة ودفع الشبهة، والتأديب، والتعزير، اللاتقين في المعاند والمكابر، ومن على شاكلة هؤلاء. وهذا مناط بالقضاة والعلماء.
- أن ينظر إليهم بعين الحكم الشرعي والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والولاء والبراء، والنصح والدعوة لكل بحسبه.
- قيام العلماء بواجبهم الكبير والمهم، وعلى مختلف الأصعدة والمستويات، والمؤمل فيهم المبادرة إلى توجيه الناس وتربيتهم على الحق والخير، ودعوتهم إليه وحملهم عليه، وبيان الأمور المشككة عليهم وإيضاحها لهم حسب تقديرهم للأحوال والأمور، ولا يليق بهم التخلف وعدم المبادرة لذلك، حيث هم الدعاة لهذا الدين وهم ورثة الأنبياء، ولذلك يقع على عاتقهم تبليغ رسالة الأنبياء والقيام بوظيفتهم من التوعية والتوجيه.
- العودة إلى أهل الاختصاص في الأمور الشرعية، وسؤال العلماء، والمراجع العلمية، والفقهية، في التفسير والاستدلال، وإيضاح المفاهيم.

■ الدعوة إلى الوسطية، والتحذير من التطرف؛ فالإسلام منهج وسط في كل شيء، في التصور والاعتقاد، والتعبد، والتسك والأخلاق، والسلوك، والمعاملة، والتشريع. وهذا المنهج هو الذي سماه الله الصراط المستقيم. وهو منهج متميز عن طريق أصحاب الديانات، والفلسفات الأخرى. والوسطية إحدى الخصائص العامة للإسلام وهي إحدى المعالم الأساسية التي ميز الله بها أمته عن غيرها قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ ، وكذلك في قوله تعالى: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ ، وقوله: ﴿ فَاْمَشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ﴾ . والنصوص التي تحدد أن من معالم هذا الدين العظيم وخصائصه الوسطية كثيرة جداً.

■ التحذير من الغلو والتتبع في الدين . فالنصوص الإسلامية تدعو إلى الاعتدال، وتحذر من التطرف الذي يعبر عنه «بالغلو» والتتبع والتشدد. وهناك نصوص محذرة من الغلو منها قوله تعالى: " يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم " ومن النصوص حديث النبي ﷺ الذي رواه مسلم: " هلك المتتبعون قالها ثلاثاً " فالحديث جعل الغلو والتتبع هو الهلاك.

عملية التنشئة الاجتماعية ذات أهمية قصوى، حيث يكتسب الفرد، من خلالها، قيم المجتمع، وعاداته، وسلوكه، من أجل التكيف مع هذا المجتمع، والاندماج فيه لأداء دور معين، وفق المعايير الاجتماعية التي تسهم في الضبط الاجتماعي. وأن هناك الكثير من الجماعات، والمؤسسات، التي تؤدي دوراً رئيساً في عملية التنشئة الاجتماعية، ومنها الأسرة، المدرسة والمؤسسات الدينية؛ والمؤسسات غير الرسمية كالإعلام بوسائله المختلفة، والنادي، والرفقة والحي، والجمعيات، وفيما يلي بيان لدور بعض

## هذه المؤسسات:

١- **الأسرة:** هي المحضن الأول لتربية الأفراد، وهي حجر الأساس في البناء التربوي. وكلما كان المحضن الأول متيناً أمكن التنبؤ بمستقبل يبشر بالخير للمجتمع. وبخلافه إذا كان هشاً؛ لذا لا بد أن نركز الخطاب الدعوي على عوامل تقوية الأسرة وتوعية كل أفرادها بأدوارهم المختلفة، والحث بشكل مستمر على موضوع الترابط الأسري، والإشارة لمخاطر التفكك على الأبناء.

وللأسرة دور كبير يمكن أن تمارسه بفاعلية كبيرة، في تحقيق الأمن الفكري إذا ما قامت بما يلي: التربية الفكرية الصالحة للأبناء، تثقيف الأبناء ثقافة دينية متزنة، وقاية الأبناء مما يتلقونه من انحرافات فكرية وتحصينهم فكرياً ضد الكتب، والفتاوى، التي لا تستند إلى كتاب الله وسنة نبيه، توجيه الأبناء بعدم مجالسة أهل الانحراف الفكري، وتعريفهم بحقوق الإنسان التي كفلها الإسلام، ومساعدة الأبناء على فهم المصطلحات الشرعية المتداولة، وضبطها بضوابط الإسلام، وتحذيرهم من الابتداع بالدين وتبني أفكار الغلاة؛ وتثقيف الأبناء حول معنى الجهاد، وحقيقته في الإسلام، وتوعيتهم بمقاصد الإسلام، وحقوق غير المسلمين في المجتمع المسلم، وتثقيف الأبناء سياسياً وتعريفهم بنظام الحكم وواجبات المواطن، وتنمية روح المواطنة لدى الأبناء، في مراحل نموهم المختلفة.

٢- **المدرسة:** وهي المحضن الثاني بعد الأسرة، وأحد مصادر التلقي الأساسية. لذا لا بد من متابعة ما يجري داخل هذه المدارس من سلوكيات، والتعاون بين المنظمات الأهلية، والمدرسة، لمحاربة السلوكيات الخاطئة. ولا يعني هذا التجسس أو التدخل في شؤون المدرسة، وأسلوب إدارتها، ولكنه

سعي لتضافر جهود أهالي المنطقة، ممثلة بالمؤسسة الخيرية وإدارة المدرسة.

وبما أن تحقيق الأمن الفكري، مسؤولية مشتركة، فإن إسهام المؤسسات التعليمية، بمراحلها المختلفة، في ذلك، يكون بقيام مؤسسات التعليم، خاصة الجامعات، من خلال مراكز البحوث العلمية، بتفعيل دور البحث العلمي لتحقيق الأمن الفكري لدى الطلاب؛ وتضمين المناهج التعليمية، والمناشط الدراسية المختلفة، ما يوضح مدى خطورة الانحراف الفكري، ورفع مستوى ثقافة الطلاب الدينية المتسمة بالاعتدال والوسطية، وتوعية الطلاب، وتوجيههم لمواجهة الأفكار والمعتقدات المنحرفة، وتوجيه العاملين، في الميدان التربوي، إلى التعاون في مواجهة الذين يفتون بغير علم، والمراجعة الدورية للمناهج، وتنشئة الطلاب على الحوار؛ لتصحيح المفاهيم، وتربيتهم على مفاهيم الانتماء للجماعة، والوطن، والأمن الوطني، والثقافة الأمنية المناسبة.

٣- **المسجد:** وهو أول شكل مؤسسي في التكوين التنظيمي في الإسلام، فهو مكان للعبادة، وإدارة الدولة، وتجييش الجيوش وحل المشاكل، بل والزواج والترفيه. ومع تعدد المؤسسات الاجتماعية، تقلص دور المسجد ليكون داراً للعبادة اليومية، والأسبوعية. ولسنا بصدد قبول، أو رفض هذا التقليص، وإنما بيان أهمية دور المسجد؛ حتى مع محدودية هذا الدور الآن. لذا لا بد من إعادة النظر بالخطبة من حيث اختيار المواضيع ذات العلاقة بالواقع المعاش، ومناقشة هذه المواضيع بتجرد، وعلمية، والتخفيف من اللغة الوعظية، والحماسية التي تخاطب العواطف ولا تحرك العقول. ولا بد من اختيار الخطباء، فلكل وظيفة شروط، وآلية اختيار صعبة إلا الخطباء، فالشروط ميسرة. فالمطلوب حفظ عدد من



أجزاء القرآن، ومعرفة بعض الأحكام الفقهية المرتبطة بالصلاة. ويمكن أن يسهم المسجد بدور فاعل في تحقيق الأمن الفكري؛ من خلال القيام بما يلي: بيان التصورات والأفكار المنحرفة، والتيارات الهادمة، التي تستهدف العقول، والمعتقدات الدينية الراسخة في المجتمع لتحسين الأمن العقائدي؛ ثم التحذير من السيل، الثقافي، والفكري، القادم عبر الانترنت والقنوات الفضائية، والتحذير من الكتب، والفتاوى التي يصدرها من لا يعتد بهم، والنهي عن مجالسة أهل الانحراف الفكري، المغالين في دينهم، الذين يريدون خرق سفينة المجتمع، والتحذير من التستر على أصحاب الفكر المنحرف، وبيان مدى فداحة الأضرار المترتبة على الانحراف الفكري، وما يؤديه من عمليات إرهابية؛ ثم الشرح الوافي لحقيقة الإسلام، وموقفه مما تقوم به بعض الجماعات المنحرفة، وإظهار وسطية الإسلام، واعتداله والتحذير من الغلو في الدين، والجهل وشرح أحكام الإسلام؛ والحث على الحوار، داخل المجتمع المسلم، والاهتمام بالجانب الثقافي للأئمة.

- ٤- **الصحف والمجلات اليومية والدورية:** وهنا نشير لأمرين مهمين، الأول يتناول الكتابة في هذه الصحف والمجلات، والتواصل الدائم مع كتابها، ودعوتهم لأنشطة المنظمات الخيرية، وتزويدهم بالتقارير والنشرات الصادقة، التي تبين عمل المنظمات الخيرية، أيًا كانت اتجاهاتهم. والأمر الثاني: السعي لإنشاء الصحف، والمجلات الخاصة بهذه المؤسسات بشكل فردي، أو بشكل جماعي، على أن تستوفي الشروط المعتادة في هذا المجال، وتكون ذات أسلوب إعلامي شيق، وليست منابر إعلامية جافة، لا تختلف عن الخطب والدروس؛ فالجمهور هنا مختلف.
- ٥- **الإعلام المرئي:** وهو من أكثر أدوات الإعلام، تقدماً، وتعقيداً وكلفة. لذا

علينا التروي في طرح طموح التعامل مع هذا النوع من الإعلام، لأن إنشاء القنوات الفضائية، طموح جميل، لكن تحويله لواقع أمر يحتاج لحوار من نوع خاص، ودراسات جدوى، ذات أبعاد مختلفة. ولكن هذا لا يمنع من السعي للاستفادة من الانتشار الفضائي لهذه القنوات، بتقديم البرامج الخاصة ذات العلاقة بأحوال الناس، ومعيشتهم اليومية، وعدم التركيز فقط، على برامج الفتاوى الشرعية، والدروس الشرعية البحتة.

٦- **الإعلام المسموع:** ويندرج تحت هذا البند الإذاعة، والتي يستمع لها أعداد تفوق من يشاهد التلفزيون لسهولة سماعها - خاصة في السيارة - وهناك الشريط، وهو من أهم الأدوات التي لاقت نجاحاً كبيراً في الدعوة الإسلامية. بل وساهمت، وبشكل مبسط، في تثقيف الناس

٧- **الشبكة العالمية للمعلومات (الإنترنت):** وهي أحدث وسائل الاتصال والتواصل، التي يتعامل معها الناس، والتي أصبحت تشكل مصدراً مهماً من مصادر المعلومات؛ وعملية مراقبتها لم تعد تجدي نفعاً. لذا لا بد من وجود استراتيجية واضحة، للتعامل معها، والاستفادة من إمكانياتها الضخمة.

#### الدراسات السابقة:

بعد البحث والسؤال عن الدراسات التي تناولت التكفير، فقد وجدت الباحثة أنها التي حُصصت للتكفير قليلة، وأغلبها خصصت لدراسة موضوع الغلو، وتناولت التكفير، في جزء بسيط، من حيث علاقته بالغلو، وهذه بعض الدراسات التي تناولت موضوع التكفير:

- دراسة: هاني علي نسيرة، ١٩٩٨م<sup>(١)</sup> تناولت هذه الدراسة، نزعة التكفير

(١) هاني علي نسيرة، التكفير بين الإسلام والتيارات الفكرية المعاصرة، المؤتمر الدولي الثالث للفلسفة الإسلامية بعنوان دور العقيدة في حياة الإنسان المعاصر، القاهرة، جامعة القاهرة، ١٩٩٨م.

بين الإسلام، والتيارات الفكرية المعاصرة، ومجالاته في الثقافة العربية، عقدياً وتاريخياً. وتختلف هذه الدراسة، عن دراستنا، في تناولها لهذه الظاهرة من ناحية عقدية، وتاريخية. أما الدراسة الحالية فهي تربوية ميدانية.

- دراسة: السيد رزق الحجر، ١٩٩٨<sup>(١)</sup> تناولت هذه الدراسة، المفهوم العقدي لظاهرة التكفير، من حيث مضارها، وطرق علاجها، وموقف الشريعة الإسلامية منها. وتختلف تلك الدراسة عن هذه، في أن الحالية تناولت هذه الظاهرة من المنظور التربوي.

- دراسة: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ١٤١٢هـ<sup>(٢)</sup>: تناولت الغلو في الدين، وقد تضمنت الدراسة في أحد فصولها الغلو في التكفير، وهي دراسة شريعة فهي تختلف عن الحالية في أن الحالية تتناول التكفير من وجهة نظر تربوية، وقد استفادت منها في الجانب العقدي فقط

- دراسة: عبد الله محمد القرني، ١٤١٣هـ<sup>(٣)</sup>: تحدثت عن التكفير وضوابطه وعرضت لحقيقة الإيمان والأصل في ثبوت وصف الإسلام للمعين والكفر والشرك وبينت منهج أهل السنة والجماعة في هذا الموضوع والرد على مخالفاتهم. وهذه الدراسة تتشابه كثيرا مع الحالية حيث تناولت ظاهرة التكفير، وقد استفادت منها الدراسة في الإطار النظري، وتختلف عنها في أن الحالية ميدانية.

مؤتمر ظاهرة التكفير .. الأسباب .. الآثار .. العلاج

(١) السيد رزق الحجر ، ظاهرة التكفير مضارها وعلاجها ، المؤتمر الدولي الثالث للفلسفة الإسلامية بعنوان دور العقيدة في حياة الإنسان المعاصر ، القاهرة: جامعة القاهرة ، ١٩٩٨م.

(٢) عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة ، رسالة ماجستير منشورة ، مقدمة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، قسم الثقافة الإسلامية ، كلية الشريعة ، الرياض ١٤١٢هـ.

(٣) عبد الله محمد القرني ، ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة ، رسالة ماجستير منشورة ، مقدمة لقسم العقيدة ، كلية الدعوة وأصول الدين ، جامعة أم القرى بمكة المكرمة ، ١٤١٣هـ.

- دراسة: عبد السلام بن برجس العبد الكريم<sup>(١)</sup>. حيث تحدث في فصل من فصول البحث عن الغلو في الحكم على الناس والذي هو مجاوزة الحد في إلحاق الحكم عليهم بالكفر أو البدعة أو الفسوق. وذكر الباحث أن تنزيل هذه الأحكام على الشخص المعين لا بد لها من شروط تتوفر، وموانع تنتفي، كما أجمع على ذلك علماء أهل السنة والجماعة. وهذه الدراسة تناولت ظاهرة التكفير باعتبارها من الغلو في جزء بسيط من البحث وبقيّة البحث تناول الغلو، أما الدراسة الحالية فتتناول التكفير بشيء من التفصيل.

- دراسة: حنان درويش، (١٤٢٦هـ)<sup>(٢)</sup>: تناولت مفاهيم الغلو والتطرف والوسطية، وأسباب الغلو والتطرف، وأنواع الغلو وأهمية الوسطية للقضاء على الغلو والتطرف وأن الإسلام هو دين الوسطية، وهذه الدراسة اقتصرت على مفهوم الغلو والوسطية، ولم تذكر موضوع التكفير.

- دراسة: إسماعيل وصفي الآغا، (١٤٢٥هـ)<sup>(٣)</sup>: هدفت الدراسة إلى التعرف على دور المؤسسة الصحفية اليومية في تغطية موضوع الإرهاب، والتعرف على مدى استجابة الصحف العربية لمتطلبات معالجة موضوع الإرهاب، وقد توصلت إلى النتائج التالية: أن الصحف العربية تفتقر في تغطيتها لقضايا الإرهاب إلى إستراتيجية واضحة ومتناسكة ومتكاملة تنطلق منها، وسيطرة النمط الإخباري بالصحف اليومية العربية، وأن المعالجة

(١) عبد السلام بن برجس العبد الكريم ، الغلو مظاهره وأسبابه ، مظاهر الغلو في الاعتقاد والعمل والحكم على الناس ، من بحوث ندوة أثر القرآن في تحقيق الوسطية و دفع الغلو.

(٢) حنان درويش ، الوسطية سلاح التصدي للغلو والتطرف في المجتمع الإسلامي ، دراسة قدمت الدراسة لمركز الأمير سلطان الحضاري بمدينة حائل بالملكة العربية السعودية ضمن فعاليات الاحتفال بمكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية ، ١٤٢٦هـ.

(٣) إسماعيل وصفي الآغا ، (معالجة الصحف العربية لظاهرة الإرهاب) ، سالة ماجستير مقدمة إلى جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ، ١٤٢٥هـ.

الصحفية العربية لظاهرة الإرهاب غير قادرة على تقديم رسالة إعلامية قادرة على تكوين نسق معرفي وفكري وقيمي يؤدي إلى اتجاهات وترسيخ ووعي.

- دراسة: عبد الرحمن سالم الطريف<sup>(١)</sup>: هدفت الدراسة إلى التعرف على مفهوم الإرهاب لدى الطلاب الجامعيين ومدى معرفتهم بأساليب الإرهابيين، واتجاهات الطلاب نحو مواجهة هذه الظاهرة، وقد توصلت إلى النتائج التالية: تكوين اتجاه سلبي لظاهرة الإرهاب من قبل الطلاب، وعداء الطلاب الشديد لها ورفضهم أي صورة من صور التخريب
- دراسة: راشد سعد الباز، ١٤٢٥<sup>(٢)</sup>: وقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج منها: أن من بين الأسباب التي قد تؤدي إلى الانحراف والتطرف الديني والإرهاب لدى الشباب ما يلي

■ القصور في فهم نصوص الإسلام، وتعاليمه وتفسيرها بما لا تحتمل، والاندفاع، وتغليب العاطفة، دون الرجوع إلى أسس الدين والنصيحة أو العقل السليم.

■ الفجوة بين علماء الدين والشباب، فهناك من الشباب، من لا يثق بآراء العلماء المعروفين، أو فتواهم ويستأنس بآراء أناس آخرين.

- دراسة: تيسير بن حسين السعيدين، (١٤٢٦هـ)<sup>(٣)</sup>: هدفت إلى بحث ظاهرة التطرف وفهمها، والتعرف على جذوره في الفكر الإسلامي، والكشف

(١) عبد الرحمن سالم الطريف ، رسالة ماجستير بعنوان (اتجاهات الطلاب الجامعيين نحو ظاهرة الإرهاب) ، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ، ١٤٢٧هـ.

(٢) دراسة راشد سعد الباز ، (أزمة الشباب الخليجي واستراتيجيات المواجهة) ، دراسة مقدمة لجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ، الرياض ، ١٤٢٥.

(٣) دراسة تيسير بن حسين السعيدين ، (دور المؤسسات التربوية في الوقاية من الفكر المتطرف ، مجلة البحوث الأمنية ، العدد ٣٠ ، ربيع الآخر ، ١٤٢٦.

عن الأسباب المؤدية له، وقد توصلت الدراسة إلى النتائج التالية: أن التطرف ظاهرة عالمية قديمة وحديثة، وهي مشكلة عامة، والإسلام بريء منها، وأن هناك مجموعة من المؤسسات التربوية يقع على عاتقها الإسهام في الوقاية من الفكر المتطرف، وتتمثل هذه المؤسسات في، الأسرة، والمدرسة، والمسجد.

- دراسة: عبد الله بن عبد العزيز اليوسف (١٤٢٥)<sup>(١)</sup>: هدفت إلى: تقديم قراءة اجتماعية لدور المدرسة في مقاومة الإرهاب، والعنف، والتطرف، وقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج منها: أهمية المدرسة كونها الوسط الاجتماعي الثاني بعد الأسرة التي يتلقى فيها الناشئة، القيم الاجتماعية والثقافية في المجتمع، فإذا فشلت المدرسة في توعية الناشئة بتلك القيم، فإن المجتمع يفقد خط الدفاع الثاني، ضد الأفكار المنحرفة.

- دراسة: الغامدي (١٤٢٦)<sup>(٢)</sup>: هدفت إلى التعرف على أهم العوامل التي أسهمت في حدوث الانحراف الفكري لدى بعض الشباب في منطقة الخليج العربي، والتعرف على الآثار الخطية للانحراف الفكري وانعكاساته على الأمن الوطني لدول مجلس التعاون، وأهم أساليب الوقاية والعلاج لهذا الفكر المنحرف، ومن النتائج التي توصلت لها الدراسة ما يلي: أن أهم العوامل المؤدية إلى الانحراف الفكري؛ قصور دور الأسرة التربوي، وقصور دور المدرسة التربوي، والتأثر بأفكار

(١) عبد الله بن عبد العزيز اليوسف ، (دور المدرسة في مقاومة الإرهاب والعنف والتطرف ، بحث مقدم في المؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب الذي نظمته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية خلال الفترة ٣-٣ / ٢ / ١٤٢٥هـ، الرياض.

(٢) سعيد محمد الغامدي ، الانحراف الفكري وأثره على الأمن الوطني لدول مجلس التعاون ، بحث غير منشور ، (١٤٢٦).

الغلاة، والتأثر بما يبث عبر مواقع المتطرفين الالكترونية.  
- دراسة: الزهراني (١٤٢٥)<sup>(١)</sup>: هدفت الدراسة إلى التعرف على المؤسسات  
المسؤولة عن التعاون في المجال الأمني لمواجهة الجريمة والإرهاب، ومن  
ضمنها المدرسة من خلال المساهمة في حفظ التوازن الاجتماعي في  
المجتمع، عبر دورها المؤثر في توجيه السلوك الاجتماعي للفرد، وبث  
القيم الأخلاقية والاجتماعية التي تحمي الأفراد من الانحراف.

### التعليق على الدراسات السابقة:

من استعراض الدراسات السابقة، يلاحظ أنها عالجت بعض الجوانب محل  
الدراسة الحالية من زوايا مختلفة، حيث أكد البعض على أهمية الأمن  
الفكري وأهميته لحياة أفراد المجتمع، وأشارت بعض الدراسات إلى مسؤولية  
الأسرة، والمدرسة، والمجتمع في الوقاية من الانحراف الفكري، الذي يؤدي  
إلى ظهور، الفكر التكفيري، ومن ثم الآثار المترتبة عليه، أغلب الدراسات  
السابقة تتفق مع الدراسة الحالية في معالجتها لموضوع الانحراف الفكري،  
والمؤدي إلى التكفير، واختلفت معها في أنها عالجت قضايا الإرهاب والعنف،  
كما ركزت على مفهوم الأمن وأهميته.

### إجراءات الدراسة:

#### حدود الدراسة:

الحدود المكانية: كلية التربية بجامعة الطائف.  
الحدود الموضوعية: تقتصر هذه الدراسة على دراسة ظاهرة التكفير  
دراسة تربوية من وجهة نظر عينة من طلاب كلية التربية بجامعة الطائف.  
الحدود البشرية: عينة ممثلة من طلاب كلية التربية بجامعة الطائف

(١) هاشم بن محمد الزهراني ، الأمن مسئولية الجميع \_ رؤية مستقبلية \_ (١٤٢٥) ، ندوة المجتمع والأمن  
الرياض ، كلية الملك فهد الأمنية.

وعددهم (٢٠٠) طالب.

الحدود الزمانية: الفصل الدراسي الثاني لعام ١٤٣٠، ١٤٣١هـ.

### عينة الدراسة:

تكونت من مئتي (٢٠٠) طالب، من كلية التربية بجامعة الطائف.

### أدوات الدراسة:

قامت الباحثة بإعداد استبانة تقيس درجة وعي الطلاب بظاهرة التكفير

وتكونت من خمسة محاور:

- المحور الأول: يقيس درجة وعي الطلاب بمفاهيم ظاهرة التكفير وأحكامها الشرعية. ويتكون من عشرة أسئلة. ويتم الإجابة عليها باختيار أحد البدائل الثلاث (صحيحة، خاطئة، لا أعرف).
  - المحور الثاني: يقيس أهم الأسباب التي تكمن وراء ظاهرة التكفير ويتكون من أربعة عشر (١٤) مفردة.
  - المحور الثالث: يقيس درجة وعي الطلاب بأهم خمس (٥) جهات، (مؤسسات وأفراداً) مسؤولة عن علاج هذه الظاهرة من وجهة نظرهم. وتتكون من ثماني (٨) مفردات.
  - المحور الرابع: يقيس وعي الطلاب بأهم الآثار، الاجتماعية، والاقتصادية، المترتبة على هذه الظاهرة.
  - المحور الخامس: يقيس وعي الطلاب بأهم سبل علاج هذه الظاهرة.
- من المحور الثاني إلى المحور الخامس، يطلب من أفراد العينة ترتيب أهم خمس (٥) مفردات مما جاء في هذه المحاور.

### حساب الصدق:

تم حساب صدق أداة الدراسة، باستخدام صدق المحكمين: حيث تم عرض الأداة على عدد عشرة (١٠) من المحكمين المختصين في الدراسات



الإسلامية، والتربية، وعلم النفس، بكليتي التربية والآداب، بجامعة الطائف وأسفرت عن تعديل بعض العبارات وفقاً لآرائهم.

حساب الثبات: تم حساب الثبات باستخدام طريقة إعادة التطبيق على عينة بلغ عددها (٦٠) طالباً، وبفاصل زمني (٢١) يوم بين التطبيق الأول والتطبيق الثاني وبلغت قيمة معامل الارتباط (٠,٨٧) دالة عند مستوى (٠,٠١).

#### مصطلحات الدراسة:

التكفير: هو الحكم على أشخاص معينين بالكفر، المخرج عن الملة، وهو ما يسميه العلماء (بتكفير المعين)<sup>(١)</sup>.

#### نتائج الدراسة:

**الإجابة عن السؤال الأول:** وينص السؤال الأول على " ما درجة وعي الطلاب بظاهرة التكفير " ؟ للإجابة عن هذا السؤال، تم حساب التكرارات، والنسب المئوية، لاستجابات أفراد العينة، لكل مفردة على حدة؛ وذلك للحكم على كل مفردة من حيث كونها صحيحة أو خاطئة أو عدم معرفة الفرد إذا ما كانت المفردة صحيحة أم خاطئة، ويوضح الجدول (١) نتائج التحليل

جدول (١) : يوضح التكرارات والنسب المئوية لأفراد العينة على السؤال الأول

الاستجابات						رقم المفردة
لا أعرف		خاطئة		صحيحة		
النسبة المئوية	التكرارات	النسبة المئوية	التكرارات	النسبة المئوية	التكرارات	
٣٠,٥%	٦١	٤١%	٨٢	٢٨,٥%	٥٧	١
٣٨,٥%	٧٧	٢٩%	٥٨	٣٢,٥%	٦٥	٢
٣٦%	٧٢	٣٤,٥%	٦٩	٢٩,٥%	٥٩	٣
٣٤,٥%	٦٩	٢٤,٥%	٤٩	٤١%	٨٢	٤
٤٩,٥%	٩٩	٢٣,٥%	٤٧	٢٧%	٥٤	٥
٥٤,٥%	١٠٩	٢٧,٥%	٥٥	١٨%	٣٦	٦
٣٦%	٧٢	٣١,٥%	٦٣	٣٢,٥%	٦٥	٧
٣٨%	٧٦	٣١%	٦٢	٣١%	٦٢	٨
٣٢%	٦٤	٥٣%	١٠٦	٤٥%	٩٠	٩
٣٨%	٧٦	٢٧%	٥٤	٣٥%	٧٠	١٠
٣٨,٧٥%	٧٧٥	٣٢,٢٥%	٦٤٥	٣٢%	٦٤٠	المجموع

يتضح من الجدول (١) ضعف درجة وعي الطلاب بمفهوم ظاهرة التكفير وأحكامها الشرعية؛ حيث جاءت النسبة المئوية لاستجابات أفراد العينة، بالنسبة لصحة المفردات، مساوية ٣٢% بينما جاءت النسبة المئوية لاستجابات أفراد العينة، لعدم صحة المفردات، بنسبة ٣٢,٢٥%، وجاءت النسبة المئوية لاستجابة (لا أعرف) مساوية ٣٨,٧٥%

وقد يعود تفسير ضعف وعي الشباب بظاهرة التكفير إلى عدة أسباب، منها:

- عدم قيام المؤسسات التربوية، الرسمية، أو غير الرسمية، بدورها في توعية الشباب بخطورة هذه الظاهرة على مستوى الفرد، والجماعة، والوطن،

والأمة، بأسرها بل والعالم أجمع. وهذا يتطلب ضرورة قيام المؤسسات المسؤولة بدورها تجاه توعية فئة الشباب بهذه الظاهرة. وهذا ما تؤكدته دراسة الزهراني (١٤٢٥)، التي بينت أهمية جهود التربية والتعليم في هذا الشأن، وذلك عن طريق القيم الأخلاقية والاجتماعية التي تحمي الأفراد من الانحراف وتؤكد مفاهيم الأمن والاستقرار من خلال بناء شخصيات الطلاب عقلياً، وأخلاقياً، وتقوية روح المسؤولية الفردية والجماعية والولاء للوطن وقيمه.

■ قلة الفقه بأحكام الشريعة الإسلامية وعدم إرجاع السؤال عنها لذوي الاختصاص، وقد ذكر ذلك الباز (١٤٢٥هـ)، في دراسته، وهو مختص في العلوم الاجتماعية، ذكر أن من بين الأسباب التي قد تؤدي إلى الانحراف والتطرف الديني والإرهاب لدى الشباب ما يلي:

○ القصور في فهم نصوص الإسلام وتعاليمه، وتفسيرها بما لا تحتمل، والاندفاع، وتغليب العاطفة دون الرجوع إلى أسس الدين والنصيحة أو العقل السليم.

○ الفجوة بين علماء الدين والشباب؛ فهناك من الشباب، من لا يثق بآراء العلماء المعروفين، أو فتواهم ويستأنس بآراء أناس آخرين.

**الإجابة عن السؤال الثاني: وينص السؤال الثاني على " ما أهم الأسباب التي تكمن وراء ظاهرة التكفير في المجتمع السعودي " ؟**

للإجابة عن هذا السؤال تم حساب التكرارات، والنسب المئوية، والخاصة بمفردات هذا السؤال في ضوء ترتيب أفراد العينة لأهم خمسة أسباب تكمن وراء ظاهرة التكفير وفقاً لدرجة أهميتها من وجهة نظرهم، ويوضح الجدول (٢) هذه النتائج.

جدول (٢) : يوضح استجابات أفراد العينة حول ترتيب أهم خمسة أسباب تكمن وراء ظاهرة

التكفير في المجتمع السعودي

رقم المفردة	مج الترتيب (١)	النسبة المئوية	مج الترتيب (٢)	النسبة المئوية	مج الترتيب (٣)	النسبة المئوية	مج الترتيب (٤)	النسبة المئوية	مج الترتيب (٥)	النسبة المئوية
١	١٤	%٧	١٦	%٨	١٨	%٩	٢٣	%١٦	١٧	%٨,٥
٢	١٨	%٩	١٣	%٦,٥	١٧	%٨,٥	١٧	%٨,٥	١٨	%٩
٣	٨	%٤	١٥	%٧,٥	١٦	%٨	١٣	%٦,٥	١٢	%٦
٤	١٧	%٨,٥	١٠	%٥	١٤	%٧	١٥	%٧,٥	١٩	%٩,٥
٥	١٣	%٦,٥	١٦	%٨	١٧	%٨,٥	١٣	%٦,٥	١٢	%٦
٦	١٥	%٧,٥	١٧	%٨,٥	١٢	%٦	١٤	%٧	١١	%٥,٥
٧	١٢	%٦	٨	%٤	٩	%٤,٥	١٧	%٨,٥	٨	%٤
٨	٢١	%١٠,٥	٢٠	%١٠	١٦	%٨	١٣	%٦,٥	٢٠	%١٠
٩	١٢	%٦	١٨	%٩	٨	%٤	٨	%٤	١٤	%٧
١٠	١٦	%٨	١٧	%٨,٥	١١	%٥,٥	١٢	%٦	١٥	%٧,٥
١١	١٥	%٧,٥	١٢	%٦	٨	%٤	١٩	%٩,٥	١٠	%٥
١٢	٩	%٤,٥	١٢	%٦	٢٤	%١٢	١٢	%٦	١٦	%٨
١٣	١٥	%٧,٥	١٤	%٧	١٤	%٧	١٣	%٦,٥	٩	%٤,٥
١٤	١٥	%٧,٥	١٢	%٦	١٥	%٧,٥	١١	%٥,٥	١٣	%٦,٥

يتضح من الجدول (٢) النتائج التالية:

- جاءت المفردة رقم (٨) في الترتيب الأول، والتي تنص على: "ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو التقصير فيه"؛ حيث جاءت نسبتها المئوية مساوية %١٠,٥
- جاءت المفردة رقم (٢) في الترتيب الثاني، والتي تنص على: "النقمة على الواقع وأهله بسبب سوء الأوضاع الدينية والاقتصادية والسياسية"؛ حيث جاءت نسبتها: %٩.

- جاءت المفردة رقم (٤) في الترتيب الثالث، والتي تنص على: "التعالى على العلماء وعلى الناس، واحتقار آراء الآخرين"؛ حيث جاءت نسبتها ٨,٥٪.
  - جاءت المفردة رقم (١٠) في الترتيب الرابع، والتي تنص على: "التلقى عن دعاة السوء والفتنة والأهواء والالتفاف حولهم" بنسبة ٨٪.
  - جاءت المفردات (٦، ١١، ١٣، ١٤) في الترتيب الخامس ونصوصها على الترتيب: "ظهور نزعات الأهواء والعصبية والتحيزات والشعارات"، "أخذ العلم عن غير أهله أو على غير نهج سليم". "ضعف مستوى بعض الدعاة"، "الجمود الفكري وعدم تقبل الرأي الآخر".؛ نسبتها ٧,٥٪.
- وللتعرف على درجة وعي أفراد العينة بأهم هذه الأسباب، تم مقارنة آرائهم بآراء ذوي الاختصاص وهي كالتالي:
- المفردة رقم (٧) جاءت في الترتيب الأول، وقد نصت على: "قلة الفقه في الدين أي ضعف العلم الشرعي".
  - المفردة رقم (٥) جاءت في الترتيب الثاني، والتي نصت على: "الابتعاد عن العلماء وجفوتهم، وترك التلقى عنهم، وعدم الاقتداء بهم".
  - المفردة رقم (٦) جاءت في الترتيب الثالث، والتي نصت على: "ظهور نزعات الأهواء والعصبية والتحيزات والشعارات".
  - المفردة رقم (١٠) جاءت في الترتيب الرابع، وقد نصت على: "التلقى عن دعاة السوء والفتنة والأهواء والالتفاف حولهم".
  - المفردة رقم (٩) جاء ترتيبها الخامس، وقد نصت على: "شيوخ البدع والمنكرات والفساد والظلم في المجتمعات".
- وبمقارنة استجابات أفراد العينة مع آراء المنظرين من أهل الاختصاص، لظاهرة التكفير؛ يتضح أن هناك اختلافاً في الترتيب، مما يدل على ضعف وعيهم بهذه الظاهرة. وتتفق هذه نتائج دراسة السعيدين (١٤٢٦هـ)، إلى أن

هناك أسباب أسهمت في تشكيل الفكر المتطرف؛ بعضها اقتصادي، وبعضها اجتماعي، وبعضها أسري، وبعضها يعود إلى الضعف في فهم النصوص الشرعية.

وجاء ترتيب (الصحافة) في أدنى ترتيب للمؤسسات المسؤولة عن توعية الشباب بظاهرة التكفير، وهذا يتفق مع ما توصل إليه إسماعيل الأغا (١٤٢٥هـ) في دراسته؛ أن الصحف اليومية العربية تفتقر في تغطيتها لقضايا الإرهاب والانحراف الفكري إلى إستراتيجية واضحة، ومتماسكة، ومتكاملة تنطلق منها، لرسم سياسات ووضع خطط لمعالجة هذه القضايا، وسيطرة النمط الإخباري للصحف اليومية العربية التي تقدم معلومات بسيطة وجزئية، وبالتالي فإن المعالجة الصالحة غير قادرة على تقديم رسالة إعلامية قادرة على تكوين نسق معرفي، وفكري، وقيمي، يؤدي إلى تكوين اتجاهات وترسيخ وعي، والدفح باتجاه سلوك معين.

**السؤال الثالث: وينص على: " ما أهم الجهات المسؤولة عن توعية الشباب بهذه الظاهرة " ؟**

وللإجابة عن هذا السؤال، تم حساب التكرارات، والنسب المئوية، لأهم خمس جهات مسؤولة عن توعية الشباب بظاهرة التكفير، ويوضح الجدول (٣) هذه النتائج.

### جدول (٣) : يوضح التكرارات والنسب المئوية لترتيب

#### أهم خمس جهات مسؤولة عن توعية الشباب بظاهرة التكفير

رقم المفردة	مجم الترتيب (١)	النسبة المئوية	مجم الترتيب (٢)	النسبة المئوية	مجم الترتيب (٣)	النسبة المئوية	مجم الترتيب (٤)	النسبة المئوية	مجم الترتيب (٥)	النسبة المئوية
١	٦٥	%٣٢,٥	١٥	%٧,٥	٢٩	%١٤,٥	٢٧	%٣١,٥	٢٦	%٣١
٢	٢٦	%٣١	٤٠	%٢٠	٢٠	%١٠	٢٦	%٣١	٣٠	%١٥
٣	٢٠	%١٠	٣٠	%١٥	٢٣	%١١,٥	٢١	%١٠,٥	٢٨	%١٤
٤	١٧	%٨,٥	٢٥	%١٢,٥	٣٥	%١٧,٥	٢٣	%١١,٥	٢١	%٦
٥	٢١	%١٠,٥	٢٥	%١٢,٥	٣٦	%١٨	٢٩	%١٤,٥	٢٩	%١٤,٥
٦	١٨	%٩	٢٥	%١٢,٥	١٩	%٩,٥	٢٢	%١١	٢٤	%١٢
٧	١٣	%٦,٥	١٧	%٨,٥	٢٦	%١٣	٢٢	%١١	١٩	%٩,٥
٨	٢٠	%١٠	٢٣	%١١,٥	٢٢	%١١	٣٠	%١٥	٢٢	%١١

#### يتضح من الجدول (٣) النتائج التالية:

- جاءت المفردة رقم (١) في الترتيب الأول، وهي: "الأسرة"؛ حيث جاءت نسبتها المئوية، مساوية ٣٢,٥ %.
  - جاءت المفردة رقم (٢) في الترتيب الثاني وهي: "المدرسة"؛ حيث جاءت نسبتها، ٣١ %.
  - جاءت المفردة رقم (٥) في الترتيب الثالث، وهي: "المفكرون والمتقفون؛ حيث جاءت نسبتها، ١٠,٥ %.
  - جاءت المفردة رقم (٨) في الترتيب الرابع، والتي تنص على: "القنوات الفضائية"، بنسبة، ١٠ %.
  - جاءت المفردة (٦) في الترتيب الخامس، ونصت على: "علماء الدين"؛ حيث كانت نسبتها، ٩ %.
- وللتعرف على درجة وعي أفراد العينة بأهم هذه الأسباب، تم مقارنة آرائهم

بآراء ذوي الاختصاص من التربويين؛ حيث تم عرضها على خمسة (5) من المختصين في التربية، وعلم النفس. وجرى ترتيب هذه الجهات وفقاً لدرجة أهميتها على النحو التالي:

- الأسرة.
- المدرسة.
- المساجد.
- القنوات الفضائية.
- المفكرون والمثقفون.

وبمقارنة ما جاء في استجابات أفراد العينة، بآراء ذوي الاختصاص، نجد اتفاقاً بينهما في الترتيب الأول والثاني، بينما اختلفت استجاباتهما في الترتيب الثالث والرابع والخامس. وتؤكد هذه النتيجة، أن الأسرة هي الخلية الأولى لعملية التنشئة الاجتماعية وصقل الشخصية الإنسانية، يليها المؤسسة الثانية في عملية التنشئة ألا وهي المدرسة، ويليهما في الأهمية باقي المؤسسات الاجتماعية ويتفق ذلك مع ما توصل إليه السعيدين (١٤٢٦هـ)، في أن هناك مجموعة من المؤسسات التربوية يقع على عاتقها الإسهام في الوقاية من الفكر المتطرف، وتمثل هذه المؤسسات في، الأسرة، والمدرسة، والمسجد.

ويؤكد، اليوسف (١٤٢٥هـ) على أهمية المدرسة كونها الوسط الاجتماعي الثاني بعد الأسرة التي يتلقى فيها الناشئة، القيم الاجتماعية والثقافية في المجتمع، فإذا فشلت المدرسة في توعية الناشئة بتلك القيم، فإن المجتمع يفقد خط الدفاع الثاني، ضد الأفكار المنحرفة.

**السؤال الرابع: وينص على: " ما أهم الآثار الاجتماعية والاقتصادية المترتبة على ظاهرة التكفير" ؟**

وللإجابة عن هذا السؤال، تم حساب التكرارات، والنسب المئوية، لخمس



من الآثار الاجتماعية، والاقتصادية، المترتبة على ظاهرة التكفير والجدول (٤) يوضح ذلك.

جدول (٤) يوضح التكرارات والنسب المئوية لاستجابات أفراد العينة حول الآثار الاجتماعية، والاقتصادية، المترتبة على ظاهرة التكفير.

رقم المفردة	مجم الترتيب الأول	النسبة المئوية	مجم الترتيب الثاني	النسبة المئوية	مجم الترتيب الثالث	النسبة المئوية	مجم الترتيب الرابع	النسبة المئوية	مجم الترتيب الخامس	النسبة المئوية
١	٢٣	%١١,٥	١٨	%٩	١٩	%٩,٥	١٢	%٦	١٦	%٨
٢	٢١	%١٠,٥	١٨	%٩	١٩	%٩,٥	٢٠	%١٠	١٨	%٩
٣	١٧	%٨,٥	١٤	%٧	٢٢	%١١	١٨	%٩	٢٠	%١٠
٤	١٥	%٧,٥	١٤	%٧	٢٠	%١٠	١٩	%٩,٥	٢٠	%١٠
٥	١٧	%٨,٥	١٤	%٧	١٤	%٧	١٨	%٩	١٦	%٨
٦	١٨	%٩	٢٢	%١١	٢٠	%١٠	١٨	%٩	٢١	%١٠,٥
٧	١٤	%٧	٢١	%١٠,٥	٢١	%١٠,٥	٢٠	%١٠	٢١	%١٠,٥
٨	٢٠	%١٠	٢١	%١٠,٥	١٧	%٨,٥	١٩	%٩,٥	١٤	%٧
٩	١٨	%٩	٢٣	%١١,٥	١٨	%٩	٢١	%١٠,٥	١٩	%٩,٥
١٠	٢٠	%١٠	٢١	%١٠,٥	١٤	%٧	٢١	%١٠,٥	١٦	%٨
١١	١٧	%٨,٥	١٤	%٧	١٦	%٨	١٤	%٧	١٩	%٩,٥

يتضح من الجدول (٤) النتائج التالية:

- جاءت المفردة (١) في الترتيب الأول والتي تنص على: "انتشار الجريمة."؛ حيث جاءت نسبتها المئوية مساوية ١١,٥%.
- جاءت المفردة رقم (٢) في الترتيب الثاني، وقد نصت على: "انتشار الأعمال التخريبية وإتلاف الأموال والممتلكات العامة."؛ بنسبة، ١٠,٥%.
- جاءت المفردتان (٨)، و(١٠)، في الترتيب الثالث، وهما على الترتيب: "تأخر المجتمع الإسلامي حضارياً وتخلفه مدنياً."؛ "احتقار العلماء وإهانتهم والوقوع في أعراضهم"؛ بنسبة ١٠%.

- جاءت المفردة رقم (٩) في الترتيب الرابع، والتي نصت على: "ترويع المسلمين الأمنين وإخافتهم"، بنسبة ٩٪.
  - جاءت المفردات (٣، ٥، ١١) في الترتيب الخامس، بنسبة ٨,٥٪؛ وهي على الترتيب: "مزيد من اليأس والإحباط لدى الناس"؛ "زعزعة العقيدة لدى البعض"؛ "ظهور الفرقة والشحناء بين المسلمين". وللتعرف على درجة وعي أفراد العينة، بأهم الآثار الاجتماعية، والاقتصادية، المترتبة على ظاهرة التكفير، تم مقارنة آرائهم، بآراء ذوي الاختصاص من التربويين، حيث تم عرضها على خمسة (٥) من المختصين في التربية، وعلم النفس؛ حول ترتيب هذه الآثار، وفقاً لدرجة أهميتها، التي جاءت كالتالي:
  - المفردة رقم (١١) في الترتيب الأول، وقد نصت على: "ظهور الفرقة والشحناء بين المسلمين".
  - المفردة رقم (١٠) في الترتيب الثاني، وقد نصت على: "احتقار العلماء وإهانتهم والوقوع في أعراضهم".
  - المفردة رقم (٥) في الترتيب الثالث، والتي نصت على: "زعزعة العقيدة لدى البعض".
  - المفردة رقم (٦) في الترتيب الرابع، وقد نصت على: "الخروج على ولي أمر المسلمين".
  - المفردة رقم (٢) في الترتيب الخامس، وقد نصت على: "انتشار الأعمال التخريبية وإتلاف الأموال والممتلكات العامة".
- يتضح مما سبق عدم الاتفاق بين آراء أفراد العينة، والمختصين، وذلك يبين ضعف وعي أفراد العينة بأهم هذه الآثار. والتسرع في التكفير يترتب عليه أمور خطيرة من استحلال الدم والمال، ومنع التوارث، وفسخ النكاح، وغيره

مما يترتب على الردّة، فكيف يسوغ للمؤمن أن يُقدّم عليه لأدنى شبهة. لقول الله - عز وجل - ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْأثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

والنهي عن التكفير في ولاة الأمر أشد، لما يترتب عليه من التمرد عليهم وحمل السلاح عليهم، وإشاعة الفوضى، وسفك الدماء، وفساد العباد والبلاد، ولهذا منَعَ النبي - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم - من منابذتهم، فقال: "إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان"، فأفاد قوله: "إلا أن تروا أنه لا يكفي مجرد الظن والإشاعة. وأفاد قوله: كفراً أنه لا يكفي الفسوق ولو كَبُرَ، كالظلم وشرب الخمر ولعب القمار، والاستئثار المحرم. وأفاد قوله: بواحا أنه لا يكفي الكفر الذي ليس ببواحا أي صريح ظاهر، وأفاد قوله: عندكم فيه من الله برهان أنه لا بد من دليل صريح، بحيث يكون صحيح الثبوت، صريح الدلالة، فلا يكفي الدليل ضعيف السند، ولا غامض الدلالة. وأفاد قوله: من الله أنه لا عبرة بقول أحد من العلماء مهما بلغت منزلته في العلم والأمانة إذا لم يكن لقوله دليل صريح صحيح من كتاب الله أو سنة رسوله - ﷺ - . وهذه القيود تدل على خطورة الأمر<sup>(٢)</sup>.

### السؤال الخامس: وينص على: " ما أهم سبل علاج هذه الظاهرة " ؟

وللإجابة عن هذا السؤال تم حساب التكرارات، والنسب المئوية، لخمس من سبل علاج ظاهرة التكفير والجدول (٥) يوضح ذلك.

(١) سورة الأعراف آية (٣٣).

(٢) موقع السكينة WWW. asskeenh.com

## جدول (٥) يوضح استجابات أفراد العينة حول سبل علاج ظاهرة التكفير

### من وجهة نظر أفراد العينة

رقم المفردة	تكرارات الترتيب الأول	النسبة المئوية	تكرارات الترتيب الثاني	النسبة المئوية	تكرارات الترتيب الثالث	النسبة المئوية	تكرارات الترتيب الرابع	النسبة المئوية	تكرارات الترتيب الخامس	النسبة المئوية
١	٣٥	%١٧,٥	٢٧	%١٣,٥	٢٧	%١٣,٥	١٨	%٩	١٨	%٩
٢	٣٤	%١٧	٣٢	%١٦	٣٠	%١٥	٢٣	%١١,٥	١٧	%٨,٥
٣	٢٧	%١٣,٥	٣٠	%١٥	٢٤	%١٢	٢١	%١٠,٥	١٨	%٩
٤	١٣	%٦,٥	١٩	%٩,٥	٢٣	%١١,٥	٣١	%١٥,٥	٢٢	%١١
٥	٢١	%١٠,٥	١٧	%٨,٥	١٩	%٩,٥	٢٥	%١٢,٥	٣٠	%١٥
٦	١٩	%٩,٥	١٩	%٩,٥	١٧	%٨,٥	٢٣	%١١,٥	٢٣	%١١,٥
٧	١٣	%٦,٥	١٨	%٩	١٨	%٩	٢٠	%١٠	٢٠	%١٠
٨	١٥	%٧,٥	١٨	%٩	٢١	%١٠,٥	٢٠	%١٠	٢٧	%١٣,٥
٩	٢٣	%١١,٥	٢٠	%١٠	٢١	%١٠,٥	١٩	%٩,٥	٢٣	%١١,٥

### يتضح من الجدول (٥) ما يلي:

- جاءت المفردة رقم (١) في الترتيب الأول، وقد نصت على: "نشر الفكر والثقافة والوعي الصحيح"، بنسبة ١٧,٥.
- جاءت المفردة رقم (٢) في الترتيب الثاني، والتي نصت على: "تنشئة الأبناء وفقا لقواعد التربية الإيمانية لصيانة جانب الاعتقاد لديهم"، بنسبة ١٧%.
- جاءت المفردة رقم (٣) في الترتيب الثالث، وقد نصت على: "نشر الأفكار الثقافية والدينية المتمثلة بتعاليم الإسلام الصحيحة بمبادئه القائمة على الوسطية"، بنسبة ١٣,٥%.
- جاءت المفردة رقم (٩) في الترتيب الرابع، وقد نصت على: "دعوة المخطئ إلى الرجوع عن خطئه"، بنسبة ١١,٥%.
- جاءت المفردة رقم (٥) في الترتيب الخامس، والتي نصت على: "إبعاد المتشددین عن مراكز القيادة والتوجيه والتربية والتعليم والإعلام"، بنسبة ١٠,٥%.
- وللتعرف على درجة وعي أفراد العينة، بأهم خمس سبل تستخدم في علاج ظاهرة التكفير، تم مقارنة آرائهم، بآراء ذوي الاختصاص من التربويين؛ حيث

- تم عرضها على خمسة (5) من المختصين في التربية، وعلم النفس، حول ترتيب هذه الآثار، وفقاً لدرجة أهميتها، التي جاءت كالتالي:
- المفردة رقم (1) في الترتيب الأول، وقد نصت على: "نشر الفكر والثقافة والوعي الصحيح."
  - المفردة رقم (2) في الترتيب الثاني، وقد نصت على: "تنشئة الأبناء وفقاً لقواعد التربية الإيمانية لصيانة جانب الاعتقاد لديهم."
  - المفردة رقم (4) في الترتيب الثالث، والتي نصت على: "التصدي لمقولات المتشددين، وذلك بالتصدي الفكري الواعي وليس التصدي العشوائي."
  - المفردة رقم (6) في الترتيب الرابع، وقد نصت على: "النهي عن مجالسة أهل الانحراف الفكري."
  - المفردة رقم (5) في الترتيب الخامس، وقد نصت على: "إبعاد المتشددين عن مراكز القيادة والتوجيه والتربية والتعليم والإعلام."
- وبمقارنة ما جاء في استجابات أفراد العينة، بأراء ذوي الاختصاص نجد اتفاقاً بينهما في الترتيب الأول، والثاني، بينما اختلفت استجاباتهما في الترتيب الثالث، والرابع، والخامس، وهذا يدل على قلة وعي أفراد العينة بأهم هذه السبل. وتتفق هذه النتائج جزئياً مع نتائج دراسة الغامدي (١٤٢٦هـ)، حيث أشار أن من بين العوامل المؤدية للانحراف الفكري، القصور في دور الأسرة التربوي، وكذلك القصور في دور المدرسة التوعوي، والتأثر بأقوال الغلاة، ودعاة الانحراف.
- وتتفق أيضاً مع دراسة المالكي (١٤٢٧هـ)، حيث توصل إلى الأسباب المؤدية إلى الانحراف، ومن ثم الإرهاب، والتكفير: الغلو في الدين، والجهل بالدين، والأخذ بظواهر النصوص الشرعية، والتأثر بفكر الغلاة في الداخل والخارج، وتقصير مؤسسات التنشئة الاجتماعية، في أداء وظائفها، الدينية والتربوية، والتعليمية.

## التوصيات

- تكثيف الجهود المنظمة على مستوى الأمة والمجامع الفقهية، والعلمية، والمراكز الدعوية، والجامعات، والكليات المتخصصة، لعقد المؤتمرات الدورية التي تناقش هذه الظاهرة، والأسباب المؤدية إليها، ومحاولة معالجة تلك الأسباب، على هدي من كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ -؛ وتعميم نتائج هذه المؤتمرات، والندوات العلمية، على مستوى المقررات والخطط الدراسية في الجامعات، والمدارس، ووسائل الإعلام.
- تحكيم الإسلام، شريعة، ومنهاجاً، في حياة المسلمين، أفراداً، ومجتمعات، قال - تعالى - فيها : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِطِينَ حَصِيماً ﴾<sup>(١)</sup>. فالأصل في الأحكام الشرعية أنها لمصلحة الخلق، وتحقيق العدل، وحفظ التوازن في الحياة.
- وجوب الاهتمام ببناء الفرد المسلم، على أسس عقدية إيمانية؛ تعيد توازن النفوس، وتفتح آفاق العقول، وتبث فيه روح الدين الحقيقي، وتوصل العزة الإيمانية، وتمحور حياته حول هدف واحد، هو تحقيق العبودية لله، بأبعادها كلها، وإعمار الأرض بشريعة الله. وتحقيق هذا مرتين باتباع طريق الله المستقيم : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>.
- نشر الوعي الديني، والثقافة الشرعية، بين عامة المسلمين وخاصتهم، عن طريق الوسائل المتاحة كلها، وربط المسلمين بدينهم، وتحقيق التحصين

(١) سورة النساء آية ١٠٥.

(٢) سورة الأنعام آية ١٥٣.

الثقافة ضد الفكر الغازي.

- إن مفتاح سعادة هذه الأمة، مطوي في كتابها العزيز؛ الذي لا يأتيه الباطل من يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، إذن: فلا يمكن للمسلمين أن ينهضوا نهضة حقيقية، إلا إذا أقبلوا عليه، واهتدوا بهديه، واستضاءوا بنوره، وساروا على دربه.
- العلم، والرفق، والصبر، مهمة في عملية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فالعلم، قبل الأمر والنهي والرفق معه والصبر بعده.
- الحوار، والحوار المباشر مع المخالفين، أيًا كانوا، ولأي فكر ينتمون، فقد عرض القرآن المنهج الحواري حتى مع فرعون، الطاغية المتجبر والمستكبر، ليؤكد القرآن المنهج العلمي في التعامل مع الآخر؛ حتى لو كان مخالفاً في العقيدة بقوله - تعالى - : ﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ، قَوْلًا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾<sup>(١)</sup> ، وهي الخطوط العامة التي ثبتها القرآن لمنهج الحوار مع المخالفين.
- استحضار الهدف الأساسي من الحوار، وهو الوصول للحقيقة، واكتشاف الحق، وإيصال الطرف الآخر إليها، وليس الهدف هو التغلب عليه، أو تدميره، وإظهاره، بمظهر العاجز المهزوم، والسعي للدليل والبرهان، بالعقل والمنطق.
- النظر لمن أصابتهم هذه الآفة الاجتماعية إلى أنهم مجموعة ضحايا لظروف اجتماعية معينة. أو فهم خاطئ، أو تضليل متعمد، وبالتالي فهم مرضى، ويحتاجون لعلاج، واحتضان، لأنهم ضلوا الطريق ويحتاجون للهداية والرشاد.
- استقطاب أكبر عدد ممكن من الشباب المتحمس للعمل التطوعي، داخل

- المنظمات الأهلية، وإشعارهم بأهميتهم، وقدرتهم على الإنتاج، مع الإشادة الإعلامية بهذه الأعمال، وإبرازها في وسائل الإعلام المختلفة.
- التثبت، والتأكد، من رموز العمل الدعوي، فهم قدوات يتبعها الشباب، فإن لم يحسن اختيارهم، كانت النتائج وخيمة والعواقب سيئة.
  - الاستمرار في تطوير عناصر العملية التربوية، بما يحقق مواكبة العصر، وتعزيز الوحدة الوطنية، وبما ينمي في نفوس الطلاب صفة التقوى، والاستعداد للبدل والتضحية، وتقديم المصلحة العامة، وبما يضمن حماية الهوية الإسلامية للمواطن، ووعيه بها، وحمايتها من أي مؤشر سلبي.
  - مراعاة قضايا الشباب في خطط التنمية، وبرامجها؛ وبذل المزيد من الاهتمام بهم، والمعالجة الشاملة لكافة المشكلات التي يواجهونها.
  - أهمية الحوار كوسيلة للتعبير عن الرأي، واتخاذ أسلوباً للحياة، وتأطيره؛ لتحقيق التعايش، من خلال منهجية شاملة، تلتزم بالأصول والضوابط الشرعية.
  - الاختلاف، والتنوع الفكري، سنة كونية، وحقيقة تاريخية؛ لذا لا يمكن إلغاؤه وتجاوزه. وإن ما يخفف من آثاره الضارة اعتماد منهج القرآن الكريم في الحكم على الآراء، والأشياء، والأشخاص؛ بتجري الحقيقة الموضوعية، والعدل، والتعايش مع هذا الاختلاف وضبطه. ولا بد من التفريق بين الثوابت، الاجتهادات، في مجال التنوع والاختلاف، وتحديد مرجعيته، بالكتاب والسنة.
  - لفتوى مكانة سامية، ومهمة عظيمة في المجتمع المسلم؛ ولذا تتأكد حاجتها إلى مواكبة العصر؛ والتواصل مع مختلف المجامع الفقهية، وتفعيل الاجتهاد، والاستفادة من المختصين في العلوم الأخرى، وتأسيس مراكز للدراسات والبحوث العلمية المساندة للفتوى، وتكوين لجان للفتوى، في مختلف مناطق المملكة.



- الدعوة لدراسة علمية شاملة، ومعمّقة لظاهرة الغلو في المجتمع السعودي: أسبابها، ومظاهرها، وأثرها، وعلاجها؛ لتبنى في ضوءها استراتيجية شاملة للمعالجة.
- تطوير مناهج التعليم في مختلف التخصصات، على أيدي المتخصصين؛ بما يضمن إشاعة روح التسامح، والوسطية، وتنمية المهارات المعرفية، للإسهام في تحقيق التنمية الشاملة، مع التأكيد على ضرورة استمرار المراجعة الدورية لها.
- دعم المناشط الطلابية غير الصفية، وتحديد آلياتها، وإنشاء مراكز للشباب، الذكور، وأخرى للإناث، داخل الأحياء السكنية؛ تتولى هذه المراكز تنظيم البرامج الهادفة، والاهتمام بحاجات الشباب لتنمية روح الإبداع، والابتكار، مع تأهيل المشرفين عليها، وفق ضوابط محددة.
- رصد الظواهر المجتمعية السلبية، ووضع الخطط المستقبلية لمعالجتها، بالتعاون بين الجامعات، ومؤسسات البحث العلمي.
- تعزيز دور المرأة السعودية في كافة المجالات، والدعوة لتأسيس هيئات، وطنية متخصصة؛ تعنى بشؤون الطفل، والمرأة، والأسرة .
- الدعوة لفتح الباب لمن يريد الإقلاع عن العنف، والإفساد في الأرض، والرجوع عن أخطائه، وعدم نبذه، أو التشدد في معاملته، والعمل على إدماجه بالمجتمع.

## المراجع

- ابن قيم الجوزية، تهذيب مدارج السالكين، ط٢، الإمارات العربية المتحدة، دار قتيبة، ١٤١٠هـ.
- أبو الحسن أحمد ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة كفر، عبد السلام محمد هارون، دار الكتب العلمية، إيران، دت.
- أحمد بن تيمية، الفتاوى، ط١، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد قاسم، مطابع الرياض، ١٣٧٢هـ.
- تيسير بن حسين السعيدين، (دور المؤسسات التربوية في الوقاية من الفكر المتطرف)، مجلة البحوث الأمنية، العدد ٣٠، ربيع الآخر، ١٤٢٦هـ.
- البيهقي، شعب الإيمان، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٠هـ
- أحمد بن الحسين البيهقي، سنن البيهقي، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٩٩٤م.
- الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني، صحيح البخاري بشرح فتح الباري، دار الحديث القاهرة.
- أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، ط٢، دار الحديث القاهرة، ١٤١٩هـ.
- أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق أحمد شاكر، دار إحياء التراث.
- أبو إسحاق إبراهيم الشاطبي، الاعتصام، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- أبو القاسم سليمان الطبراني، المعجم الكبير، وزارة الأوقاف العراقية، بغداد، مطبعة الأمة.
- أبو الحسن أحمد ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة كفر، عبد السلام محمد هارون، دار الكتب العلمية، إيران.
- ابن عبد البر القرطبي، جامع بيان العلم وفضله، ط١، دار الكتب العلمية،

- بيروت، لبنان ١٣٩٨هـ.
- أحمد بن الحسين البيهقي، سنن البيهقي، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٩٩٤م.
  - ١٩٩٨م.
  - راشد سعد الباز، (أزمة الشباب الخليجي واستراتيجيات المواجهة)، دراسة مقدمة لجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ١٤٢٥هـ.
  - ، ظاهرة التكفير مضارها وعلاجها، القاهرة: جامعة القاهرة، ١٩٩٨م.
  - صالح بن حميد وآخرون، نضرة النعيم، ط٤، دار الوسيلة، جدة، ١٤٢٦هـ.
  - عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة، رسالة ماجستير منشورة، مقدمة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، قسم الثقافة الإسلامية، كلية الشريعة، الرياض، ١٤١٢هـ.
  - عبد الرحمن سالم الطريف، رسالة ماجستير بعنوان (اتجاهات الطلاب الجامعيين نحو ظاهرة الإرهاب)، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ١٤٢٧هـ.
  - عبد السلام بن برجس العبد الكريم، الغلو مظاهره وأسبابه، مظاهر الغلو في الاعتقاد والعمل والحكم على الناس، من بحوث ندوة أثر القرآن في تحقيق الوسطية ودفن الغلو.
  - عبد الله محمد القرني، ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة، رسالة ماجستير منشورة، مقدمة لقسم العقيدة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، ١٤١٣هـ.
  - محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ط٣، بيروت، دار ابن كثير، دت.
  - محمد بن يزيد القزويني، سنن ماجه، دار الفكر، بيروت.
  - محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، باب مناقب الحسن والحسين، ج٥،

- دار إحياء التراث العربي، بيروت، دت.
- محمد بن زيد ابن ماجة، سنن ابن ماجة، ط ١، تحقيق فؤاد عبد الباقي، مكتبة عيسى البابي الحلبي، القاهرة.
  - محمد بن حبان التميمي، صحيح ابن حبان، بيروت، مؤسسة الرسالة.
  - محمد بن سليمان المنيعي، ورقة عمل بعنوان: التكفير وضوابطه في الشريعة الإسلامية، إعداد إدارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بمكة المكرمة.
  - ، التكفير بين الإسلام والتيارات الفكرية المعاصرة، القاهرة، جامعة القاهرة.
- WWW.alalbany.net موقع مركز الإمام الألباني
- WWW.asskeenh.com موقع السكينة

## ملحق البحث

استبيان درجة وعي عينة من طلاب كلية التربية بجامعة الطائف بظاهرة التكفير من وجهة نظر تربوية.

يقيس هذا الاستبيان درجة الوعي بظاهرة التكفير من وجهة نظر تربوية لدى عينة من طلاب كلية التربية بجامعة الطائف، ويتكون من خمسة (5) أسئلة، يتم الإجابة عن السؤال الأول، باختيار أحد البدائل الثلاثة: صحيحة، خاطئة، لا أعرف، وذلك بوضع علامة (√) أسفل البديل الذي يعتقد في صحته أمام كل عبارة.

والأسئلة من اثنين (2) إلى خمسة (5) يتم ترتيب العبارات الواردة فيها وفقاً لدرجة أهميتها من وجهة نظرك، وفي المكان المخصص لها في داخل الجدول. ملاحظة: الرجاء الإجابة عن جميع عبارات الاستبيان بدقة، وموضوعية، وفقاً لوجهة نظرك؛ علماً بأن نتائج هذا الاستبيان هي لغرض البحث العلمي، وستعامل بمنتهى السرية. شاكرين لكم حسن تعاونكم.

### البيانات الأولية:

المستوى الدراسي:

المستوى الدراسي:

العمر:

التخصص:

## أسئلة الاستبيان:

- ١- المطلوب الحكم على صحة المعلومات التالية، أو خطئها، من وجهة نظرك؛ وذلك بوضع علامة (√) أسفل كلمة صحيحة، أو علامة (×) أسفل كلمة خاطئة، وذلك في المكان المخصص لها في الجدول التالي:

م	العبارات	الحكم على العبارة		
		صحيحة	خاطئة	لا أعرف
١	تكفير المسلم حكم شرعي مبناه على الدليل.			
٢	لا بد من استعمال قاعدة الاحتياط، والتورع عند الإقدام على التكفير.			
٣	ليس كل من وقع في الكفر، حكم بكفره.			
٤	التكفير لا يلحق أحدا، حتى تنطبق عليه الشروط وتنتفي عنه الموانع.			
٥	يوجد فرق بين التكفير المطلق وتكفير المعين.			
٦	تكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعين، إلا إذا وجدت الشروط، وانتفت الموانع.			
٧	التكفيريون يأخذون بظواهر النصوص، دون فهم صحيح لها.			
٨	حقيقة التكفير تتوقف على معنى الكفر.			
٩	كفر العقيدة هو، عدم الإيمان بما يجب الإيمان به، من وجود الله ووحدانيته.			
١٠	كفر العمل، هو جحد المعروف، وعدم شكره.			

مؤتمر ظاهرة التكفير .. الأسباب .. الآثار .. العلاج

٢- أهم الأسباب التي تكمن وراء ظاهرة التكفير في المجتمع السعودي: (رتب الأسباب الآتية حسب درجة أهميتها من وجهة نظرك):

الترتيب	الأسباب	م
	ضعف الحكمة في الدعوة لدى كثير من الغيورين.	١
	النقمة على الواقع. وأهله، بسبب سوء الأوضاع الدينية، والاقتصادية، والسياسية.	٢
	حداثة السن، وقلة التجارب، والغيرة غير المتزنة.	٣
	التعالي على العلماء، وعلى الناس، واحتقار آراء الآخرين.	٤
	الابتعاد عن العلماء، وجفوتهم، وترك التلقي عنهم، وعدم الاقتداء بهم.	٥
	ظهور نزعات الأهواء، والعصبية، والتحيزات، والشعارات.	٦
	قلة الفقه في الدين، أي ضعف العلم الشرعي.	٧
	ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو التقصير فيه.	٨
	شروع البدع، والمنكرات، والفساد، والظلم، في المجتمعات.	٩
	التلقي عن دعاة السوء، والفتنة، والأهواء، والالتفاف حولهم.	١٠
	أخذ العلم عن غير أهله، أو على غير نهج سليم.	١١
	وجود الفراغ الثقافي، والسياسي، والاجتماعي، في أوساط الشباب.	١٢
	ضعف مستوى بعض الدعاة.	١٣
	الجمود الفكري، وعدم تقبل الرأي الآخر.	١٤

٣- ما الجهات الأقدر على علاج ظاهرة التكفير (مؤسسات أو أفراداً)؟ (رتب هذه الجهات حسب درجة أهميتها، من وجهة نظرك):

الترتيب	المؤسسات	م
	الأسرة.	١
	المدرسة.	٢
	الصحافة.	٣
	المساجد.	٤
	المفكرون والمثقفون.	٥
	علماء الدين.	٦
	الجمعيات الأهلية.	٧
	القنوات الفضائية.	٨

٤- أهم الآثار الاجتماعية والاقتصادية المترتبة على هذه الظاهرة؟ (رتب هذه الآثار حسب درجة أهميتها من وجهة نظرك)

م	الآثار	ترتيب
١	انتشار الجريمة.	
٢	انتشار الأعمال التخريبية، وإتلاف الأموال، والممتلكات العامة.	
٣	مزيد من اليأس والإحباط لدى الناس.	
٤	فشل السياسات التنموية للمجتمع.	
٥	زعزعة العقيدة لدى البعض.	
٦	الخروج على ولي أمر المسلمين.	
٧	استحلال الدماء وقتل الأنفس المعصومة.	
٨	تأخر المجتمع الإسلامي حضارياً وتخلفه مدنياً.	
٩	ترويع المسلمين الأمنين وإخافتهم.	
١٠	احتقار العلماء وإهانتهم والوقوع في أعراضهم.	
١١	ظهور الفرقة والشحناء بين المسلمين.	

٥- رتب سبل علاج ظاهرة التكفير الآتية حسب درجة أهميتها من وجهة نظرك:

م	سبل العلاج	الترتيب
١	نشر الفكر، والثقافة، والوعي الصحيح.	
٢	تنشئة الأبناء وفقاً لقواعد التربية الإيمانية؛ لصيانة جانب الاعتقاد لديهم.	
٣	نشر الأفكار الثقافية، والدينية، المتمثلة بتعاليم الإسلام الصحيحة بمبادئه القائمة على الوسطية.	
٤	التصدي لمقولات المتشددين؛ وذلك بالتصدي الفكري الواعي، وليس التصدي العشوائي.	
٥	إبعاد المتشددين عن مراكز القيادة، والتوجيه، والتربية، والتعليم، والإعلام.	
٦	النهي عن مجالسة أهل الانحراف الفكري.	
٧	وجوب الأخذ على أيديهم ومنعهم من الإخلال بالأمن الفكري للمجتمع.	
٨	صيانة الأمن الفكري للمسلم من الغزو الفكري.	
٩	دعوة المخطئ إلى الرجوع عن خطئه.	

مؤتمر ظاهرة التكفير .. الأسباب .. الآثار .. العلاج





ظاهرة التكفير .. الأسباب والعلاج والأثار



# مسؤولية المؤسسات الإجتماعية في علاج داء التكفير: مقارنة تأسيسية أولية من منظور قرآني

أ.د. السيد عمر

أستاذ ورئيس قسم العلوم السياسية

بجامعة العلوم التطبيقية بالبحرين



مؤتمر ظاهرة التكفير .. الأسباب .. الآثار .. العلاج

## حدود الدراسة وإطار المعالجة:

تسعى هذه الدراسة إلى تقديم مقارنة أولية في بناء مفهوم التكفير عبر التحليل السياقي للمواطن التي وردت فيها مادة (كفر) بمختلف تصريفاتها في القرآن الكريم، لتنتقل من ذلك إلى بناء مفهوم المعالجة المؤسسية لهذا الداء في الواقع الراهن والمأمول، بإطلالة على مفهوم المسؤولية الاجتماعية في المنظور الإسلامي، والفضاء المعرفي لمفهوم المؤسسات الرسمية وغير الرسمية ودورها بشتى صورته في مواجهة هذه الظاهرة في وضعيته الراهنة والخطوط العريضة لترشيده.

وفي ضوء هذا التصور تطبق هذه الدراسة منهجية التحليل السياقي وتشمل المحاور التالية: التعريف بداء التكفير في المنظور الإسلامي، وبناء مفهوم المسؤولية الاجتماعية في المنظور الإسلامي (منظومة الرعاية المتبادلة والنصيحة المؤسسية والتدافع وتغيير ما بالنفس)، وماهية المؤسسات الاجتماعية في المنظور الإسلامي، والدور الوقائي للمؤسسات الاجتماعية في معالجة الانحرافات التكفيرية غير المسلحة الكامنة والفعلية، والدور العلاجي للمؤسسات الاجتماعية في معالجة الانحرافات التكفيرية المسلحة الكامنة والفعلية. وتتناول الدراسة هذه المحاور في ثلاثة مباحث وخاتمة، يختص أولها ببنية مفهوم التكفير وتشابكه مع مفهوم الكفر في القرآن الكريم. ويسلط المبحث الثاني الضوء على مفهومي: المسؤولية الاجتماعية وخصوصية مفهوم المؤسسات الاجتماعية في المنظور الإسلامي، ويرصد المبحث الثالث واقع تلك المؤسسات ودورها في علاج الظاهرة محل البحث، وأطر ترشيده. وينتهي البحث بخاتمة تؤكد على أن ظاهرة التكفير جمعية الطابع ويستحيل علاجها إلا في سياق مؤسسي جامع منضبط بالمعيارية الإسلامية.

## المبحث الأول

### التعريف بمفهوم التكفير في السياق القرآني

ثمة فرق جوهري بين مفهومى: الكفر، والتكفير. والكفر لغة هو مطلق الستر والتغطية. فالكفر هو عدم إيمان المرء بالله من الأساس، وفقدان المرء إيمانه، وكفر نعمة الله، والتبرؤ من الأمر. وتكفير الله الذنب عن الإنسان هو مغفرته له<sup>(١)</sup>. وتتسع مادة (كفر) في القرآن الكريم لتشمل ما حقه الستر والتغطية من الشرك والذنوب، بما لذلك من مضامين إيجابية، في مقابل جحد التوحيد وعدم شكر النعمة، بما له من مضامين بالغة السلبية. فهذا المفهوم في أصله محايد والعبارة بمضمونه. والكفر بمعناه السلبي هو في الاصطلاح: نقيض الإيمان بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر، إما بتكذيب أو شك أو إعراض. ومن بين أنواعه: التكذيب القلبي، والتكذيب الظاهر باللسان والجوارح، واستحلال ما حرم الله، أو تحريم ما أحله الله، والإعراض والاستكبار عن اتباع الحق الذى جاء به النبي الخاتم، والشك والريبة بعدم اليقين بصدق ما جاء به سواء بإضمار ذلك بالقلب، أو الجهر به، أو بالنفاق بإبداء التصديق به في الظاهر دون الباطن. فالكفر بهذا المعنى إما تكذيب بالقلب، أو بالقول أو بالفعل.

والكفر بهذه المضامين حالة تقوم على اختيار حر مسؤول، شاءت إرادة الله تعالى أن يجعله بمقدور الذات الإنسانية الفردية والجماعية، فيما يتعلق بأوامر الله تعالى التكليفية، بهدايته للإنسان النجدين، وبتقريره لمبدأ عدم

(١) د. إبراهيم مدكور (وآخرون)، المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٩٩٨، ص ٥٢٧.

الإكراه في الدين.

ومع أن مفهوم التكفير ينباع من ذات مادة (كفر) فإنه يدور في مضامينه حول واحد من مضامين ثلاثة: اتهام طرف لآخر بالتلبس بحالة الكفر سواء كان ذلك الاتهام قائماً على أساس أو عار عن الصحة، والسعى الذاتي من طرف معين للتلبس بحالة الكفر، وسعى طرف معين لجر طرف آخر إلى حالة الكفر.

وسؤال هذا المبحث الرئيس الذي نسعى لتقديم إجابة أولية له يتعلق ببناء خريطة بالغة العمومية لهذا المفهوم من القرآن الكريم، لنفحص من خلالها فرضية ثلاثية الأركان: قابلية الإنسان للإصابة بداء الكفر، وبداء التكفير، وحاجته ممن ثم إلى التحصين منهما، وإلى الدفع والتوبة، وانفراد الله تعالى بالعقاب على ذات الكفر دون أحد من خلقه، والإذن لأمة الإجابة في مواجهة غير المسلمين القاصر على التحصن ضد إتاحة الفرصة لهم لفتنتها في دينها، وامتلاك أسباب رد من يضيف إلى الكفر العدوان عليها. ولا يتسع المقام للمبحث المسحى المستفيض للفضاء المعرفي القرآني لتلك الخريطة بأبعادها الثلاثة المشار إليها، وسنكتفي بعينة تمثيلية.

**أولاً: القسّمات الكبرى لمادة (كفر) في القرآن الكريم: يكشف استقراء هذه المادة في القرآن الكريم عن نتائج ذات دلالات بالغة الأهمية، من بينها:**

١- غلبة صيغة الجمع: يتسع مفهوم (الكفر) ليشمل أفراداً أو جماعات، وكيانات جماعية. ومن الملاحظ أن الحالات التي وردت فيها تلك المادة مشيرة إلى ذوات فردية تحتمل الإشارة إلى ذوات جمعية ينظر إلى كل منها على أنها بمثابة الذات الفردية.

فلقد وردت تلك المادة بصيغة الفعل الماضي (كفر) ثلاثاً وعشرين مرة، مشيرة في واحدة منها بالآية ١٠٢ من سورة النحل إلى قرية. وفي المقابل، وردت

بصيغة الفعل الماضي الجمع ٢٠٦ مرة، وبصيغة الفعل المضارع الجمع خمسين مرة. ووردت بصيغة الأمر المفرد المحتمل للجمع مرة بالآية ١٧ من سورة الحشر، وبصيغة الجمع مرة بالآية ٧٢ من آل عمران.

وورد لفظ (الكفر) ١٧ مرة، وبصيغة النكرة ثماني مرات، وبالتعريف بالإضافة اثنتى عشرة مرة، كلها مرتبطة بجماعة لا بفرد، عدا سبعة فقط مرتبطة بأفراد<sup>(١)</sup>.

وفي مقابل ورود لفظ (كافر) خمس مرات، من بينها مرة تشير إلى فئة (الآية ١٣ من آل عمران) ورد لفظ (الكافرون) ١٥١ مرة.

ويؤشر هذا كله على مركزية البعد الجمعي في ظاهرة الكفر، وتخطيها بطبيعتها للبعد الفردي في كنهها وفي عواقبها وتبعاتها.

٢- الكفر متصل، وليس مجرد حالة واحدة: في حين أشار القرآن إلى حالة كان فيها قوم في وضعية بينية لا هي بالكفر ولا هي بالإيمان، وإن كانت أقرب للأول منها إلى الثاني، عبر عنها بقوله سبحانه: ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفَرِ يَوْمِيذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ (آل عمران ١٦٧)، وردت نعت أفراد وجماعات بصفة: كافر، وكفار، في حين ورد ذلك النعت بصيغ مبالغة عديدة في مواطن أخرى. فورد بصيغة كفور ١٢ مرة، وبصيغة كفار خمس مرات، وبصيغة أكفر مرة واحدة.

ومعنى ذلك أن الكفر درجات، فكفر دون كفر. ويرتبط المفهوم في السياق القرآني فضلا عن كونه متصلا متعدد المستويات، بباطن لا يعلمه إلا

(١) وردت بالآيات: ٢٣ من التوبة، ١٠٦ من النحل، ٨٠ من الكهف، ٨ من الزمر، ٤٤ من الروم، ٢٣ من لقمان، ٣٩ من فاطر.

الله، وبسلوكيات ظاهرة قد تقف دون العدوان على الغير، ولا السعى لفتنتهم في دينهم، ولا تدخل صاحبها في دائرة السعي إلى التكفير، وترتب له بالتالي حقوقا تصل إلى حد البر والإقساط إليه فردا كان أم جماعة. وقد تدفع به إلى دائرة البغى والعدوان التي تجيز صد صولته، ومنع عدوانه.

٣- الجزء على الكفر، لله وحده: يكشف التحليل السياقي للآيات التي وردت فيها مادة (كفر) بكافة تصريفاتها أن الجزء على الكفر غير المتلبس بتعديه إلى فتنة المسلمين في دينهم والعدوان عليهم، قاصر على الله تعالى. فالإذن بالقتال معلل برد العدوان، ولم يأت إلا بعد استفحال العدوان. والجزء المنصوص عليه في الآيات المتضمنة للإشارة إلى الكفر كحالة وكأفعال يدور بالأساس حول الإهمال والتمتع قليلا فترة هذه الحياة الدنيا قبل اضطرار الله تعالى لهم إلى عذاب النار. وإهمال الشيطان نفسه إلى يوم يبعثون دليل جلي على ذلك.

وفي مقابل عدم شكر نعمة الله، نجد التوكيد على أن الله غنى كريم. وتقف الآيات عند حد فتح باب التوبة ما دام الكافر على قيد الحياة، مع تبييه إلى وقوعه في الظلم والانحراف عن سواء السبيل، واستحقاق الحرمان من الهداية الربانية، وتحمله مسؤولية كفره، وإنذار القرى والذوات الإنسانية الجمعية بأن الكفر مؤذن بتبدل الحال وبإذاعة الله للواقع فيه لباس الجوع والخوف.

والملاحظ أن المواضع القرآنية التي تضمنت إشارة إلى عقوبة دنيوية للكفار قليلة، وكاشفة عن أن القارعة تحل بهم بفعلهم بأنفسهم في المقام الأول، وأن ما يصيبهم على أيدي المؤمنين مسبب بتماديهم في العدوان، لا بذات الكفر مع المسألة، وهي مقرونة على نحو ثابت بفتح باب التوبة لهم<sup>(١)</sup>.

(١) من ذلك على سبيل المثال: البقرة: ٥٦، الأنفال: ٢٨.

ومن المؤشرات العميقة الدلالة في هذا الصدد أن مادة (كفر) في القرآن متضمنة في خمسة عشر موضعا للتكفير عن الذنوب، وكون الإسلام يجب ما قبله<sup>(١)</sup>. ويعمق من دلالة هذه المعطيات الهدي المستخلص من البيان النبوي المؤكد على دور المجتمع في الانحراف بالفرد عن الفطرة السوية. يقول النبي ﷺ: "كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"<sup>(٢)</sup>. ولو أضفنا إلى ذلك مضامين ودلالات التركيبة السكانية لدولة المدينة المنورة، وعهد المدينة المنورة، فإنه سيتبين لنا بجلاء عمق مبدأ عدم الإكراه في الدين في المنظور الإسلامي، والتوجه الإسلامي إلى إقرار حق كل إنسان وكل أمة في تحديد الهوية بدينها، والتسابق في الخيرات وتحديد منظومة علاقاتها مع نفسها ومع غيرها، وحقوقها وواجباتها انطلاقاً من تلك الهوية ومن الكلمة السواء المؤسسة لعبودية العباد لله، ونفي عبودية أحد من البشر لأحد من البشر<sup>(٣)</sup>.

**ثانياً: البنية القرآنية لمفهوم التكفير: وردت مادة (كفر) بالقرآن الكريم مئات المرات، الغالبية العظمى منها بصيغة الفعل، من جهة، وبصيغة الجمع من جهة أخرى. ويستشف من ذلك، أن بناء هذا المفهوم يتأسس على رصد الأفعال والأقوال التي اعتبرها القرآن الكريم سمات لمن وصفهم بالكفر: والتكفير مفهوم يختص بالبداهة برمي طرف معين طرفاً آخر بالكفر.**

(١) محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، القاهرة: دار الحديث، ١٩٨٧، ص ٦٠٥-٦١٣.

(٢) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، الحديث رقم ١٢٩٦، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين. وانظر: أبو الفداء اسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، القاهرة: المطبعة الفنية، دت، ج ٣ ص ٤٣٣-٤٣٤.

(٣) د. اسماعيل راجي الفاروقي، التوحيد ومضامينه في الحياة، ترجمة ودراسة: د. السيد عمر، قيد النشر.



ومعيار سلامة هذا الرمي هو أن يكون له دليل من القرآن. أما في حالة فقدان مثل هذا الدليل فإنه يكون افتراء مردودا عليه. وقد يتصل مفهوم التكفير بسعي ذاتي لتمثل الكفر كحالة عقيدية، أو كأقوال وأفعال مرتبطة بتلك الحالة قد تقف عند حد الانحراف السلمي، وقد تتخطاه إلى الانحراف الرامي إلى ترويح الكفر بالقوة الناعمة تارة، وبالقوة الخشنة تارة أخرى.

وفي مقابل مئات من الآيات القرآنية المبينة لمفهوم الكفر ونماذجه، تشير آيات معدودات من القرآن إلى داء التكفير كمسعى من جانب فريق من البشر أو من الشيطان لغواية الإنسان بالكفر. من نماذج ذلك قول الله تعالى: ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلنَّاسِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ، فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾<sup>(١)</sup>.

ومن صور، السعى إلى التكفير، تشكيك فريق من أهل الكتاب، للمسلمين في دينهم، بالتظاهر بالدخول فيه ثم بالخروج منه. يقول الله تعالى حاكيا عن اتباع طائفة من أهل الكتاب لهذه الخديعة: ﴿ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَيَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكَفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (آل عمران: ٧٢). وتشير الآية ٢١٧ من البقرة إلى اختلاق غير المسلمين حججا مفتعلة ظاهرها رعاية الحرمات، وباطنها الرغبة في رد المسلمين عن دينهم إن استطاعوا. وتبين الآية ١٠٩ من آل عمران أن طاعة فريق من أهل الكتاب تفضى إلى التحول من التصور الصحيح والاعتقاد الصحيح والفهم الصحيح والنظام الصحيح والتنظيم الصحيح، إلى الوقوع في أسر مناهج ملتبسة وهزيمة نفسية. فالتلقى عن غير المسلمين في العقيدة والمنهج

محظور، بعكس المسائل المادية الحياتية البحتة<sup>(١)</sup>.

وتحذر البقرة ١٠٩ من أن أسمى أمانى أهل الكتاب هي ردة المسلمين عن إسلامهم. وتبين سورة البقرة ٢١٧ أن الارتداد مع الثبات عليه حتى الموت محبط للعمل في الدنيا والآخرة. وتحذر البقرة ١٠٩ من أن أسمى أمانى أهل الكتاب هي ردة المسلمين عن إسلامهم. وتبين البقرة ٢١٧ أن الارتداد مع الثبات عليه حتى الموت محبط للعمل في الدنيا والآخرة.

وتجلي الآية ٩١ من النساء، والآية ٤٥ من التوبة خصائص نوعية من البشر المترددين في الريبة والفتنة. وترسم سورة الممتحنة معالم الأسوة الحسنة في البراءة من الشرك وأهله.

وتحذر الآيات: ٢١، ٤٥ من سورة المائدة، ٢٥ من سورة محمد من الارتداد على الأدبار. وترسم سورة الممتحنة معالم الأسوة الحسنة في البراءة من الشرك وأهله. وتشير سورة غافر إلى غرور قوم بما عندهم من العلم في مواجهة رسلهم، واستمرار الغفلة بهم إلى يوم لقاء الله، وإعلانهم ساعتها الإيمان بالله والكفر بما أشركوا به من قبل، ورد تلك التوبة عليهم لكونها توبة فزع لا تنفع<sup>(٢)</sup>.

ومرة أخرى، نلاحظ أن الله تعالى جعل شكر نعمة الله مقابل الكفر. ونجد الجزاء على إنكار أن واهبها هو الله، أو عدم تأدية حقها، أو سوء استعمالها، قاصراً على العذاب الشديد بمحققها وذهاب آثارها والحرمان من

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، القاهرة: دار الشروق، ١٩٨٧، ج ١ ص ٤٣٢-٤٣٧.

(٢) سيد قطب، ج ٥ ص ٣١٠٢-٣١٠١، ج ٦ ص ٦٣٥٣، ص ٢٥٤٢. ويستدل د. محمد طنطاوي من شرعية مؤاكلة ومناكحة أهل الكتاب، ومن تأكيد السنة النبوية على حسن معاملتهم، على ارتباط مفهوم عدم الإكراه في الدين بالتسوية معهم في الحقوق والواجبات في هذه الحياة الدنيا. انظر: د. محمد سيد طنطاوي، من أدب الحوار في الإسلام، القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر، ٢٠٠٤، ص ٥٠، ص ٨٢-٩٧.

الزيادة المقابلة للشكر. وفي مقابل الجهر بتكذيب الرسل، ووضع الأيدي في الأفواه والفحش في التكذيب، نجد عدم تعجيلهم بالاستجابة للداعي للإيمان فور دعوتهم، ولا أخذهم بالعذاب فور تكذيبهم، بل إمهالهم إلى أجل مسمى، إما في هذه الحياة الدنيا أو يوم الدين<sup>(١)</sup>.

ولا يخفى أن هذه الآيات تؤكد على مسؤولية المؤمنين عن اتخاذ كافة الأسباب الكفيلة بصيانة إيمانهم من مساعي غيرهم التكفيرية مع الإلتزام الصارم بمبدأ عدم الاعتداء، وتحملهم تبعه التقصير في ذلك.

### ثالثاً: التجفيف القرآني لمناجع تكفير أهل القبلة: يكشف التحليل السياقي لمفهوم الكفر والتكفير:

بكل جلاء عن ضرورة التحرز من رمى أفراد أو جماعات من أهل القبلة بالكفر، جنباً إلى جنب مع الدعوة إلى التحرز من الإصابة به، ومن التسبب في إصابة الغير به. فالكفر، والتكفير ارتبطا في القرآن الكريم ببيان شاف، دفع الصحابة في صدر الإسلام إلى التحرز من رمي المرتدين والخوارج بالكفر، وعاملوهم على أنهم بغاة مؤمنون، حتى على الرغم من كونهم رموهم بالزور والبهتان، وبالكفر والفسوق.

وسنكتفي في بيان هذا الإجمال، بتحليل السياق القريب لمفهوم الكفر في بعض سور القرآن الكريم<sup>(٢)</sup>، برصد مضامينه التي قد يترتب على تعميق وعى العقل المسلم بها، التحرز من رمى أحد من أهل القبلة به. ففي سورة البقرة يأتي مفهوم الكفر وصفاً لأناس يضاهائون في سماتهم النموذج اليهودي بأن: يصروا على جحد الدعوة إلى الإسلام سواء تبين لهم الحق حتى على لسان نبي من أولى

(١) سيد قطب، مرجع سابق، ج ٤ ص ٢٠٩٠.

(٢) هذا التحليل مستقى من السياق القريب للمفهوم في سور: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة، مع

استدعاءات محدودة لمواضع قرآنية أخرى.

العزم من الرسل، أم لم يتبين. فقلوبهم موصدة لا يدخلها خير، ولا ينتفعون بما يسمعون، يشككون في الأمثال الربانية وينقضون العهد ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض، ويكذبون بآيات الله، ويكفرون بآياته، ويقتلون الأنبياء بغير حق، ويعصون الله، ويعتدون، ويأخذون من الدين ما يوافق هواهم، ويتركون ما وراء ذلك. ومن الثابت أن النبي حذر الأمة من محاكاة اليهود والنصارى، بل من المبالغة في تقليدهم حذو القذة بالقذة<sup>(١)</sup>.

ومن سمات من يندرجون تحت مفهوم الكفر، من منطلق محاكاة ذلك النموذج اليهودي، وفق دلالات ومضامين سورة البقرة: مخالفة الميثاق بين البشر وربهم، بقتل أنفسهم، وإخراج فريق منهم من أرضهم بغير حق، مع التناقض في موقفهم بقاء أسراهم، بما يقوم دليلاً على تعاملهم برؤية انتقائية مع الشرع، وإتباع الاستماع لأمر الله بعصيانه، والارتياح النفسى بالشرك بالله، ورفض الدعوة للدخول في الإسلام رغم علمهم أنه الحق، والمبالغة في الحرص على الحياة، والعداء لله ورسله وملائكته، ونبذ كتاب الله وراء ظهورهم لصالح اتباع السحر وغواية الشيطان، والسعى لإفساد الأسرة وزعزعة استقرارها، وكراهية تنزل خير من الله تعالى على الأمة الإسلامية، والرغبة في رد المسلمين كفارا من بعد إيمانهم من باب الحسد لهم، والتعنّت مع الأنبياء وكثرة الاختلاف عليهم كطلب قوم موسى منه أن يريهم الله جهرة، وتحريف الكلم عن مواضعه، وإرادة الإلحاد بظلم في الحرم، والتفرق والاقتيال بعد تلقى الهدى من عند الله وتكفير فريق منهم للآخر<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر مقارنة مفصلة لنا في بناء هذا النموذج من القرآن الكريم، فضلا عن الأنماط المحاكية له: نمط التعامل المقطع لأوصال الأمة، ونمط المقتصد التائه، في: د. السيد عمر، الرؤية الكلية الإسلامية والتعامل مع الأمة الإسلامية، ضمن: مؤتمر: الرؤية الكلية الإسلامية وانعكاساتها التربوية، الزقازيق: كلية التربية، ومركز الدراسات المعرفية، ٢٠٠٨، ص ٦٧-٦٨.

(٢) راجع سورة البقرة، الآيات: ٦-٧، ٣٩، ٦١، ٨٤، ٩٢-٩٣، ٩٨، ١٠٢، ١٠٥، ١٢١، ٢٥٣.

ونود الإشارة هنا إلى أن سورة البقرة ربطت الكفر بمضامينه. فالكفر سلبي لا يرضاه الله لعباده فيما لو كان مضمونه على شاكلة ذلك النموذج اليهودي. وهو على العكس إيجابي ومطلوب، فيما لو كان مضمونه هو الكفر بالجبت والطاغوت الذي هو شرط تخلية مسبق، لا يقوم ابتغاء الرشد وتجنب البغى، والاستمسك بالعروة الوثقى، والإيمان الحق، إلا عليه.

وفي القرآن الكريم إشارات صريحة للتعبير عن الإيمان، بمفهوم المخالفة وهو الكفر بضده. من ذلك قول الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنَ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٥٦)، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأبيه لَاسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (الممتحنة: ٤).

ومن الأمور التي تحتاج لبحث مستفيض ودقيق، حقيقة أن المواضع التي وردت مادة (كفر) بمختلف تصريفاتها بها في القرآن الكريم، خلت في بيانها الجزاء على الكفر ذاته من أى إشارة تفيد من قريب أو بعيد كون أحد غير الله تعالى له فيه قطمير. فكل ما ورد في القرآن من جزاء دنيوى على يد بشر للكفار، إنما هو على العدوان، وليس على الكفر. وهذا هو المقتضى الدقيق لمبدأ عدم الإكراه في الدين.

وواقع الأمر أن بعض الفقهاء المسلمين، وقعوا في لحظات تاريخية تكالبت فيها أمم أخرى على ديار الإسلام، في دعوى نسخ مبدأ عدم الإكراه بما أسموه: آية السيف، وهى دعوى تحتاج فيما أرى إلى إعادة نظر جذرية، لكونها

مسئولة بالأساس عن تفریح الظاهرة التکفیرية في الصف الإسلامي من جهة، واتخاذ غير المسلمين حجة منها على أمتنا، رغم كونها عارية عن أى سند من القرآن، أو من آداب الجهاد في صدر الإسلام، فيما لوسلمنا بما قاله ابن القيم بحق من أن القرآن يصدق بعضه بعضه، وهو بمثابة الكلمة الجملة الواحدة، بل الكلمة الواحدة. ولا بد أيضا من استعادة الوعي بالتحول الذي طرأ على مفهوم النسخ ذاته، وضبطه<sup>(١)</sup>.

وتتعرز هذه الرؤية بإطلالة خاطفة على الجزء الوارد بسورة البقرة، على من دمغهم القرآن بحق بالكفر. ففي مقابل التحذير من إرادة فريق من أهل الكتاب رد المسلمين عن دينهم، نرى خيرا ربانيا بأن الله تعالى سيمتعه مدة حياته ثم يضطره إلى عذاب النار. يقول الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَيُئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (البقرة: ١٢٦).

أما بالنسبة لنا معشر المؤمنين، فنجد أمر الله تعالى لنبيه، ولنا بالتبعية بالعضو والصفح. يقول الله تعالى: ﴿ فِيمَا تَقْضِيهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَانَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهَا وَتَسُوهُنَّ لَمَّا كُتِبَ عَلَيْهَا مِنْهَا حَرْفٌ مِّنْهَا وَلَا تَنَالُوا الْبِرَّ أَلْسِنَتُهُمْ يَسْعَوْنَ فِي الْبُرْءِ عَن طَرَفٍ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْسِدُونَ ﴾ (البقرة: ١٧٥).  
 (المائدة: ١٣).

وأقصى ما نجده في سورة البقرة من دور للبشر في دائرة جزاء الكافر، هو الاشتراك مع الله ورسوله في لعنة من مات منهم على الكفر. يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَرَاءُ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ (البقرة: ١٦١).

(١) راجع مقارنة مفصلة لهذه الإشكالية في: د. السيد عمر، تقويم إسلامية المعرفة في ربيع قرن، القاهرة: مركز الدراسات المعرفية، دراسة قيد النشر.

وفي مقابل التحذير الشديد من الاستجابة لضغوط أهل الكفر بالردة عن الإسلام، نجد اتجاه التهديد الشديد بعذاب الله، موجها لمن يستجيب لهم. يقول الله تعالى: "وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" (البقرة: ٢١٧).

وتبين سورة البقرة أيضا أن مفهوم الكفر نقيض الشكر. فمقابل شكر النعمة بالطاعة، يوجد الكفر بالمعصية. ولا يخفى أن كفر النعمة هذا مختلف في مداه عن الكفر بمعناه المغلظ السالف الذكر. يقول الله تعالى: "فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ" (البقرة: ١٥٢).

وتفتح سورة البقرة مداركنا على استحقاق ثلاثة أصناف من البشر وصف الكفر: من يدعون القدرة على الإحياء والإماتة، والمرابين، وأولياء الطاغوت. يقول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَرِ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (البقرة: ٢٥٨). ويقول الله تعالى: ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ (البقرة: ٢٧٧). ومن خصال الكفر، التي يجب التحرز منها الغرور بالحياة الدنيا والسخرية بمقاييس دنيوية مادية من الذين آمنوا. يقول الله تعالى: ﴿ زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (البقرة: ٢١٢). ولم يجز الشرع لنا في مواجهة عدوان غير المسلمين علينا أكثر من الرد بالمثل، بالمعاقبة على السيئة بمثلها، مع الحث على الرد بالإحسان والعفو. فالآية سالفة الذكر أردفت سخرتهم من المؤمنين، بجزء آخرى يتمثل في الفوقية في الآخرة، وسعة الرزق، دون أى تطرق للرد.

وفي موضع قرآني آخر، رأينا الرد بالمثل فحسب على لسان نوح عليه السلام. يقول الله تعالى: ﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾ هود: ٣٨.

وخلاصة القول، أن سورة البقرة تبين بجلاء أنه لا عدوان إلا على الظالمين الراضين للإنتهاء عن الظلم. وأن الجهاد ضد الكفار ليس عقابا لهم على الكفر، بل ردا لعدوانهم ولإمكانية فتنهم للمسلمين في دينهم. وخواتيم البقرة خير شاهد على ذلك، حيث تربط طلب المسلمين النصر من الله على الكفار، بالإيمان بالله وملائكته ورسوله واليوم الآخر، أي بالمغايرة لخصال الكفار، كما تربط التكليف بالوسع والاستطاعة، ويطلب العفو عن الخطأ والنسيان، وبدعوة الله تعالى لوضع الإسر والأغلال عن هذه الأمة وتغمدتها بوسع عفو ومغفرته ورحمته.

وتعزز قراءة سورة آل عمران، ما ذهبنا إليه من نفي القرآن أي دور للمؤمنين في جزاء أي فرد أو جماعة على كفره ذاته. فالجزء الذي ذكر بها للكفار يقتصر حصرا على: العذاب الشديد من الله العزيز ذي الانتقام، والإخبار بأن الله تعالى سيأخذهم بذنوبهم، ولن تغني عنهم أموالهم، ولا أولادهم، وسيكونون وقودا للنار، وإنذارهم بأنهم سيغلبون فيما يسعرونه من حروب عدوان، وسيحشرون إلى ربهم الذي هو سريع الحساب.

أما الجزء المقابل، لتمسك المؤمنين بدينهم والذود عنه، والحيلولة دون جعل أنفسهم في وضعية يفتنون فيها عن دينهم، فهو التمكين لهم في الأرض، وتعذيب الكفار في الدنيا والآخرة، بالإضافة إلى الوعد الرباني بإلقاء الرعب في قلوب الذين كفروا لدى عدوانهم على المسلمين، وكبتهم وقطع طرف منهم.

ومن اللافت للنظر أن تعذيب الله تعالى للكفار من أهل الكتاب بالذلة



تضمن أمرين يجب وضعهما في الاعتبار في سبر غور الفرضية التي نحن بصدد التدليل على صحتها، وهما: أن الله اعطاهم حبالاً منه، ممثلاً فيما نرى في الحقوق التي ضمنها سبحانه وتعالى لهم، رغم كفرهم، لكون التكليف مبني بالأساس على حرية الإرادة المسؤولة. وضمن هذا الحبل يجرى تقرير الإسلام لهم الأمان وذمة الله ورسوله والمؤمنين، إن هم قبلوا الدخول في السلام الإسلامي بالكف عن العدوان على المسلمين<sup>(١)</sup>.

وتبين آل عمران أن الكفر ليس نقطة، بل هو بمثابة متصل. فقد يوجد في الصف المسلم منافقون، يرتكبون أعمالاً جسيمة من قبيل: النفاق، وادعاء العجز عن الدفع أو الجهاد في سبيل الله، والرجف والتشكيك، والترويج لدعوى أن في القعود نجاة من الموت أو القتل. ورغم كل تلك المخالفات الجسيمة، نجد الله تعالى لا ينعتهم بالكفر، ويثبت لهم بما بقوا عليه في ظاهرهم رغم مخالفته لباطنهم، أنهم يومئذ أقرب للكفر منهم للإيمان. يقول الله تعالى: ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ، الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أِطَاعُونَا مَا قَاتَلُوا قُلُوبًا فَادْرُؤُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (آل عمران: ١٦٧-١٦٨).

بل إن من علامات هامشية الجزاء الدنيوي على الكفر ذاته، أن الله تعالى أعطى للكفار، ما استلزم تحذيره سبحانه للمؤمنين من الاغترار بتقلبهم في البلاد، والتبنيه، إلى أنه لولا رحمته بالمؤمنين، لأعطاهم ما هو أكثر من ذلك مما يبتليهم به في هذه الحياة الدنيا. يقول الله تعالى: ﴿لَا يَغْرِبُكَ قَلْبُكَ

الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ، مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَاؤَاهُمْ جَهَنَّمَ وَيَسُوسُ الْمُهَادُ ﴿٣٣﴾ آل عمران: ١٩٦-١٩٧). ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لَبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ (الزخرف: ٣٣).

وفي سورة النساء نجد ضمن الجزاء على الكفر تمني من مات عليه أن تسوى به الأرض. ونشهد حالته وهو يقر على نفسه أمام ربه يوم الدين بكل ما جناه على نفسه في حياته الدنيا. يقول الله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا، يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ (النساء: ٤١-٤٢). ومن الملاحظ في هذه السورة الكريمة أن أمر الله تعالى للمؤمنين بالجهاد في سبيله، جاء مشفوعا ببيان العلة وهي كف بأس الذين كفروا عن المؤمنين. يقول الله تعالى: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ (النساء: ٨٤).

ومن سمات النموذج اليهودي المنعوت بالكفر، التي بينها هذه السورة الكريمة: تحريف الكلم عن مواضعه، وسماع المصر على المعصية، والإيمان بالجبت والطاغوت، وتركية النفس بالباطل، وحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله، والافتراء على الله، وإرادة التحاكم إلى الطاغوت، والولاية للشيطان والقتال في سبيل الطاغوت، والتردد بين الكفر والإيمان، ثم الانتهاء إلى الثبات على الكفر، والزيادة فيه<sup>(١)</sup>.  
وتجلى هذه السورة الكريمة نموذج نوعية نعتهم القرآن بوصف

(١) النساء: ٤٦-٥١، ٦٠، ٧٦، ١٤٠.

(الكافرون حقاً)، وهم: الكافرون بالله ورسله، الراغبون في التفريق بين الله ورسله، الداعون إلى الإيمان ببعض الرسل والكفر ببعض الآخر. ومرة أخرى، نجد أن الجزاء المنصوص عليه عقب بيان سمات هذه النوعية، مقتصر على العذاب المهين الذي أعده الله تعالى لهم. يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ، أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ (النساء: ١٥٠-١٥١).

ومن علامات الموصوفين بأنهم الكافرون حقاً: مطالبة النبي بأن ينزل عليهم كتاباً من السماء، وبأن يروا الله جهرة، واتخاذ العجل، ونقض العهد والكفر بالله، وقتل الأنبياء بغير حق، والقول بأن قلوبهم غلف، والبهتان في الافتراء على مريم، والزعم بقتل المسيح عيسى بن مريم، وأكل أموال الناس بالباطل، وتأليه المسيح، والغلو في الدين بغير الحق<sup>(١)</sup>.

ومرة أخرى لا يرد مع كل هذه الأوصاف التي يصعب تصور وقوع مسلم فيها، اللهم إلا على سبيل الاستثناء الذي لا يقيم قاعدة، ذكر لجزاء غير المسلمين في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ، إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ، إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ (النساء: ١٦٧-١٦٨).

ومرة أخرى يعزز التحليل السياقي لسورة المائدة الفرضية محل البحث، بأن الجزاء على الكفر ذاته محصور في جزاء الله تعالى لأهله، وليس لأحد غيره على الإطلاق. ومن الشواهد على ذلك في هذه السورة الكريمة: النهي عن

الاعتداء حتى على الكفار الذين صدوا المؤمنين عن الحرم. يقول الله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (المائدة: ٢). والجزاء الذي يندر الله تعالى به من يكفر بالإيمان هو ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (المائدة: ٥). وفي مواجهة تبديل فريق من بنى إسرائيل إيمانهم كفرا، نرى النص القرآني يرتب جزاء عليهم من فعل الله بهم، بإغراء العداوة والبغضاء في صفوفهم، ويكونهم في الظاهر على قلب رجل واحد وفي حقيقتهم فإن قلوبهم شتى. يقول الله تعالى: ﴿فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ، فِيمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعْنَاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ، وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (المائدة: ١٢-١٤). ويقول سبحانه: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْيٍ مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (الحشر: ١٤). ومن الجزاء الثابت لهم أنه لو حيز لهم ضعف الدنيا بحذاقها، ما نفعتهم يوم القيامة ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (المائدة: ٣٦).

وتجلي هذه السورة الكريمة خصال صنف تسميه: المسارعين في الكفر. ومن خصاله: الإيمان بالأفواه والكفر بالقلوب، الحرص على السماع للكذب، وتحريف الكلم عن مواضعه، وترويج الكذب والتحذير من اتباع

الحق، وأكل السحت، واتخاذ الدين الإسلامي عامة والصلاة بخاصة هزوا ولعبا، والنفاق مع الإصرار على الكفر في قرارة أنفسهم، والمصارعة في الإثم والعدوان وأكل السحت، والطعن في الذات الإلهية، والزيادة في الطغيان والكفر رداً على ما تنزل على محمد من الوحي، والوقوع في الاستهزاء بالرسول وتكذيبهم، والطعن في الدين والزعم بأنه من أساطير الأولين . ومرة أخرى، نجد الجزاء هو: الخزي في الدنيا والعذاب العظيم في الآخرة، وإلقاء العداوة والبغضاء بينهم، وبغض الله لهم لسعيهم في الأرض بالفساد، والوعد الإلهي للمؤمنين بإطفاء كل نار حرب يسعونها، وتوجيه النبي بأن لا يأسى عليهم، والإخبار بأنهم ظالمين محرمة عليهم الجنة ومأواهم النار، والحسرة على التفريط وحمل أوزارهم على ظهورهم يوم القيامة<sup>(١)</sup>.

## المبحث الثاني بناء مفهوم مسؤولية المؤسسات الاجتماعية في المنظور الإسلامي

غاية هذا المبحث هي بيان ماهية المسؤولية الاجتماعية، والمؤسسات الاجتماعية في المنظور الإسلامي، توطئة لبيان مسؤولية تلك المؤسسات في معالجة ظاهرة التكفير على هدي من الرؤية التي بينها في المبحث الأول لموقف الإسلام من مبدأ نفي الإكراه في الدين، على التفصيل التالي:

**أولاً: المسؤولية الاجتماعية:**

تقوم العلاقة بين الإنسان والوجود كله في المنظور الإسلامي على الحرية التوحيدية المؤسسة للمسؤولية الاجتماعية الجامعة لنوعيات ثلاثة من المسؤولية: المسؤولية الأخلاقية للذات الإنسانية العاقلة الفردية والجماعية وفق المعيارية الإسلامية القائمة على منهجية مبينة للإرادة الإلهية، تفهم الجماعة في إطارها وتهتم بها، على محاور حفظ الكليات الخمس وما يرتبط بها: الدين والنفس والعقل والمال والنسل. وعناصر هذه المسؤولية الأخلاقية الإسلامية هي: الاختيار والإلزام والثقة، وترتبط بها المسؤولية الذاتية النابعة من استحضار رؤية الله تعالى ورسوله والمؤمنين لعمل الإنسان الفرد والجماعة، والمسؤولية القانونية الصادرة من خارج الذات الإنسانية والمتعلقة بالسلوك الظاهر دون الباطن. وتتشابك تلك المسؤولية في هذا المنظور الذي ينهى عن غياب الإمارة حتى في الاجتماع العابر في سفر لجماعة تتجاوز الفردين، مع عمليات الإدراك والتعاطف والتفسير والتقييم وتصور العمل الصالح ونتائجه وتنفيذه. وتتعلق تلك المسؤولية من نظرة للفرد ضمن جماعة بالضرورة، تعود به إلى جزم

النسب، متحركة به إلى الفصيلة والعشيرة والفخذ والبطن والقبيلة والشعب والجمهور، وأمة الإجابة، وأمة الدعوة<sup>(١)</sup>.

وتتأسس تلك المسؤولية على مجموعة أنساق تبدأ من العائلة الممتدة التي يناط بالرجل والمرأة في ظلها القيام بدور كوني ينتقل منها بكل خواصه (الجمع المتوازن بين الفردية والجماعية، والمساواة عدا في الاستثناءات التي تقتضيها الخصوصيات ولا يجوز التوسع فيها ولا القياس عليها، والتكامل بين الأدوار، والاستقلالية، والمشاركة بالحضور في كل ساحات الفعل الإنساني الأخلاقي)، إلى كل الأنساق المجتمعية الأخرى (الفصيلة، الفخذ، البطن، العشيرة، القبيلة، الشعب، الجمهور). ويرتكز مفهوم المسؤولية الاجتماعية المؤسس على التوحيد على ثلاث ركائز: الوعي بمنظومة القيم الإسلامية، والوعي بما ينبغي أن يكون، والوعي بما يمكن فعله في حدود الاستطاعة في الزمان والمكان المعينين<sup>(٢)</sup>.

### ثانياً: المؤسسات الاجتماعية:

الخلافة خلافة أمة لا فرد، كل فرد فيها راع لغيره، وغيره راع له. والخلافة نظام له ثلاثة ركائز: الشريعة، والأمة، والأمانة المتمثلة بمنظومة

(١) د. السيد عمر، توجيه بحوث الجامعات الإسلامية لخدمة قضايا الأمة، ١٨-١٩ فبراير ٢٠٠٧، ضمن: مؤتمر توجيه بحوث الجامعات الإسلامية لخدمة قضايا الأمة، المؤتمر العلمي الأول لكلية التربية جامعة الأزهر بالاشتراك مع مركز الدراسات المعرفية بالقاهرة، ص ٣٧٥-٣٩٧. وحول مفهوم المسؤولية وأصول العدل في الإسلام، انظر: د. فضل محمد سلطح، المسؤولية السياسية بين الدولة والمواطن، دراسة تحليلية في فلسفة السياسة، الإسكندرية: دار الوفاء للطباعة والنشر، ٢٠٠٧، ج ١ ص ٧٥-٨٧.

(٢) د. السيد عمر، النسق السياسي للأسرة في المنظور الإسلامي، ضمن مؤتمر: واقع الأسرة في المجتمع: تشخيص لأوضاع الحاضر واستكشاف لسياسات المواجهة، القاهرة كلية الآداب جامعة عين شمس ومركز الدراسات المعرفية، ٢٠٠٤، ص ٢-١٥، د. السيد عمر، الوالدية والتربية السياسية للأبناء في ضوء الرؤية الكونية الحضارية الإسلامية، ضمن الجزء الثاني من أعمال مؤتمر: نحو والدية راشدة من أجل مجتمع أرشد، سوهاج: كلية التربية بسوهاج، مركز الدراسات المعرفية، ٢٠٠٤.

الرعاية المتبادلة لأوامر الله التكليفية بحرية مسؤولة. وأنساق الأمة بوصفها الفاعل في هذا المثلث تمثل متصلاً يبدأ بالفرد المكلف الراعى بداية لجوارحه، وهى راعية له، تليه الأسرة المسلمة، ثم الفصيلة، فالأفخاذ، فالبطون، فالعشائر، فالعمائر، فالقبائل، فالشعوب، فأمة الإجابة، فأمة الدعوة.

وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى أن الصحابة لم يبتكروا نظام الخلافة، بل اجتهدوا في مساقين هما: نصب رأس له، وتهيئة الأنساق الأخرى إما بتحسينها، وإما بإعادتها إلى جادة الإسلام وصراطه المستقيم. فعند وفاة النبي ﷺ، كان المفتقد من نظام الخلافة هو رأسها فحسب، إذ كانت الأنساق الأخرى قائمة، بوجود: الفرد المسلم، والأسرة المسلمة، وأهل الحل والعقد والشورى، والمهاجرين والأنصار بوجه عام، وعمال النبي ﷺ، على الصدقة، وعلى الأقاليم، والجيش الإسلامي، في ظل ترتيبات المسؤولية الجماعية الفرعية والعامّة المؤسسة على عهد المدينة.

وبالجملة، كانت هناك مؤسسات مجعولة من صنع الله تعالى، إلى جانب مؤسسات مصنوعة تابعة من صنع الإنسان. وكانت هناك أمة إجابة قائمة على أمر الله تعالى وفق شريعة تقوم على منظومة من القيم العليا في مقدمتها الحرية التوحيدية والتدافع والنصيحة الشاملة، ونفي الضرر والضرار بالنسبة للدين والنفوس والعقل والمال والنسل، على نحو حر مسؤول، بالاجتهاد في رفع الواقع المعاش قدر الطاقة الإنسانية إلى المستوى الذى يدعو إليه القرآن وصحيح السنة النبوية، عبر الرعاية المتبادلة، والنصيحة والصبر والمصابرة، وإثراء الأمانة، بالحفاظ عليها من دواعى التضییع الكامنة والظاهرة بشتى صورها، وبتعزيز موجبات تجسيد الحياة الطيبة على الأرض.

ومقتضى مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو: قيام حالة مؤسسية



يصير كل إنسان في ظلها رقيباً على غيره من جهة، ومأموراً بالتعاون معه وإسداء النصيحة له من جهة أخرى. وأساس الأمر بالمعروف هو التوجيه. وأساس النهي عن المنكر هو التقويم. والمعروف هو كل قول أو فعل لا يتصادم مع مبادئ الشريعة الإسلامية. والمنكر هو كل فعل أو قول يصدر من مكلف أو من غير مكلف يتعارض مع مبادئ الشريعة الإسلامية. وهو واجب حسب الاستطاعة على المؤمن العاقل الراشد القادر. ويدخل في مفهوم القدرة: التمكّن العلمى والحسى والإذن من أولى الأمر. ويتعين على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أن لا ينقب عن عورات الناس لأن في ذلك إفساداً لهم، بل يواجه المنكر الظاهر دون تجسس، ويتحرى دفعه بأيسر الطرق التي يمكن دفعه بها<sup>(١)</sup>.

ويرتبط مفهوم المسؤولية الاجتماعية بمفهوم الدور. ويمكن التمييز بين نوعيات فرعية عديدة للدور، من أهمها: الدور المعيارى (السلوك المتوقع كما تحدده منظومة معايير محددة)، والدور المتوقع (ما يعتقد القائم بالدور أن الآخرين يتوقعون منه القيام به، وما يعتقد هو أن الآخرين ملزمون به في المقابل تجاهه)، والدور الفعلى (سلوك القائم بالدور في الواقع سواء وافق المعايير أم خالفها)، والدور المتصور (رؤية الدور من منظور ذاتي لأطرافه)، والدور الخلاق (السلوك المنشئ لنموذج تطبيقي للدور المعيارى في أرض الواقع)، والدور المتبادل (دور أصحاب المكنات والمراكز الاجتماعية المترابطة)، والدور المكتسب (الدور الذي يتعلمه الفرد من غيره باختياره لنفسه، أو باختيار الآخرين له)، الدور الفطري الموروث (الدور التلقائي الذي يحصله المرء بواقعة

(١) د. رمضان على الشرباصى، النظريات العامة في الفقه الإسلامى، الإسكندرية: دار الجامعة الجديدة

للنشر، ٢٠٠٢، ص ٢٨٨-٣٠٣.

مولده<sup>(١)</sup>.

وتناغم الدور رهن بالتوافق بين توقعات أطرافه وتصورهم له وتقبلهم له وتحمسه واستعدادهم للتعاون معا من أجل إنجازهم من جهة، ووضوح الدور المعيارى والتناغم بين الثقافة السائدة والثقافات الفرعية في أرض الواقع، ومدى انضباط الدور الوظيفي ووجهته: هل يتمثل الدور الواقعى أم المعيارى، أم المتصور، أم مزيج منهما؟ ومدى الانسجام بين الناظم المعيارى، والناظم الموضوعى (معطيات بيئة الدور الطبيعية والاجتماعية والثقافية)، والبعد الذاتى (رؤى وتصورات أطراف الدور)<sup>(٢)</sup>.

وليس من متسع بهذه الدراسة للدخول في تفصيلات الفضاء المعريف لمفهوم دور الأمة بمختلف مؤسساتها. ونكتفي هنا بالقول بأن الدور وظيفة أو واجب بين بشر، يترتب عليه حركة تؤدي إلى خروج شئ من الكمون إلى الوجود في زمان ومكان معينين. فالدور مفهوم علاقى هادف حركى مقصود، تراكمى، بمعنى أنه يؤثر ويتأثر في الواقع، ويرتبط ببناء اجتماعى وبتفاعل اجتماعى له غايات، ويخضع لمعايير، ويرتبط بتوقعات ومراكز. وهو في التحليل الأخير المظهر الحركى لمنظومة الحقوق والواجبات المتبادلة بين أطرافه.

والكل ضمن أنساق الخلافة: راع، وكل راع مسؤول عن رعيته. فالإمام راع مسؤول عن حفظ الشريعة، وهو نظام للأمة وأساس لاجتماع الكلمة. والرجل راع لأهله بسياسة أمورهم وتوصيل حقوقهم إليهم. والمرأة راعية لبيتها

(١) عبد الهادى الجوهري، معجم علم الاجتماع، القاهرة: مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٨٠، ص ٩٦-٩٧. د. محمد علي محمد ( وآخرون )، المرجع في مصطلحات العلوم الاجتماعية، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٥، ص ٣٩٠-٣٩٥.

(٢) د. سامية حسن الساعاتى، الثقافة والشخصية، بحث في علم الاجتماع الثقافى، القاهرة: مكتبة سعيد رأفت بجامعة عين شمس، ١٩٨١، ص ٢٣٤-٢٤٠.

بتدبير أمره وتربية الأبناء. والخادم حافظ مؤتمن على ما تحت يده من مال سيده. وكل إنسان راع وحاكم بقدر درجة مسؤوليته وفي حدود مقتضياتها. وكل راع مسؤول عن استرعاه الله عليهم، حفظهم أم ضيعهم. وجواب المسألة الذى يدعو الإسلام كل راع إلى إعداده هو: أعمال البر<sup>(١)</sup>.

وفي تحليل عميق لخصوصية المؤسسات الاجتماعية في المنظور الإسلامي يربط الفاروقى رحمه الله بين أركان الإسلام والمؤسسية، ويعتبر تلك الأركان ذاتها مؤسسات، ثم يجعل الأسرة نواة لكافة المؤسسات المفعولة التي هي من صنع الله تعالى، والمصنوعة التي هي من صنع الإنسان، على النحو التالي بيانه:

١- الأسرة: مؤسسة إسلامية تقوم على عقد اتفاقى، ولا تقوم على نواة جامعة لزوج وزوجه وأولاده، بل على عائلة ممتدة تضم الآباء والأزواج والجدود والجندات والأعمام وذرائعهم، وهى المؤسسة الأهم بالنسبة لبنية الأمة، كونها محاطة بأدق تنظيم وأوسع تفصيل لمنظومات العلاقات بينها، وأنساق الرعاية المتبادلة في سياقها، ومنظومات الحقوق والواجبات التابعة منها، بما فيها نظام التوارث والوقف الأهلى. وفي محاكاة لها يقدم الفاروقى تصورا لمؤسسة العروة الوثقى المبنية على المسلم العامل والعروات الوثقى والأسر المسلمة، ضمن تصور لاستعادة مفهوم الأمة وروحها<sup>(٢)</sup>.

٢- المسجد ودور التعليم والوقف: المسجد مؤسسة جامعة للتعليم المستمر، في أحضانها نشأت دور التعليم بما فيها الجامعة. وهو مركز للتشاور وللدعوة، يعتمد على الوقف في تحقيق استقالته واستقلالية المؤسسات

(١) سليمان الجمل، الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، وبهامشه: تفسير ابن عباس، القاهرة: المطبعة العامرة، ١١٩٦هـ، ج ١، ص ١٥٤-١٥٥.

(٢) انظر الفصل التاسع من: اسماعيل الفاروقى، التوحيد ومضامينه في الفكر والحياة، مرجع سابق.

النابعة منه والتابعة له.

٤- مؤسسة الحارة: مركزها المسجد، ويتبعها السوق، وتحقق إمكانية الجمع بين التواصل الوثيق بين سكانها، وغياب الشرطة، وبين يسر تحقيق الخصوصية.

٥- مؤسسة الحسبة: مؤسسة تقام في كل محلة وفي كل حاضرة، تقوم على مبدأ المبادرة في تحقيق مصالح الأمة في كل المجالات ودرء الضرر. ويتسع دورها ليشمل حماية حقوق الإنسان والحيوان والجماد، ورعاية السوق والخدمات العامة، وتفقد المؤسسات الرسمية وغير الرسمية وضبط سلوكها وفق الشرع. وتتمتع تلك المؤسسة بالجمع بين عنصر المبادرة وتلقى الشكاوى، وبين السلطة القضائية وسلطة الضبط القضائي، الكفيلة بسرعة تدارك الانحرافات.

٦- مؤسسة الدولة: هي بمثابة مظلة للمؤسسات التي هي أدنى منها ونظام لأمر الأمة في الداخل ومع الخارج، وهي أداة للتغيير الأخلاقي وللرعاية والنصيحة الشاملة، ونفي الإكراه في الدين. وهي تنفتح في إقامتها للسلام الإسلامي، لكل من يقبله، وتؤسس التنافس بين البشر على اعتبار هوية الإنسان الفرد والجماعة مرتبطة بدينه وليس بأي ناظم آخر، وتقيم تلك المنافسة بين أنساق مجتمعية متمتعة بحريتها الدينية، ومتنافسة في الخيرات على أساس من الكلمة السواء المحققة لحرية العباد في مواجهة بعضها البعض، وعدم التمييز في الحقوق والواجبات بينها على أي أساس غير إنسانية الإنسان.

٧- مؤسسة الأخوة في الدين، والأخوة في الإنسانية: أساس هذه المؤسسة هو اعتبار كل إنسان واحد من اثنين: أخ في الدين، أو أخ في الإنسانية، وانقسام البشرية بالتالي إلي: أمة إجابة وأمة دعوة. وهذه المؤسسة تشمل

عدة دوائر مترابطة:الأفراد، الأسر، الجيران، جماعة المهنة أو الحرفة، القرية، المدينة، الأمة، الجنس البشرى<sup>(١)</sup>.

٨- المؤسسات المصنوعة: تشمل كل المؤسسات التي أنشأها الإنسان كالسلطة التشريعية والتنفيذية والقضائية، والشرطة والجيش، والفعاليات الفكرية، وأهل الحل والعقد، والأحزاب السياسية، والنقابات المهنية والعمالية، وجماعات الضغط وجماعات المصالح، وجماعات الرفاق، وقنوات الاتصال والدعاية والإعلام، والمؤسسات الدينية كالأزهر والمؤسسات الصوفية والدعوية والاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، والمركز العالمي للوسطية، واتحاد جامعات العالم الإسلامي، والمؤسسات المعنية بالتمكين للمرأة، و المنظمات الدولية والإقليمية، والمؤسسات الثقافية والحقوقية في العالم الإسلامي مثل: منظمة المؤتمر الإسلامي، واليونسكو والإيسيسكو وألكسو ومنظمة العفو الدولية وغيرها من المنظمات المعنية بحقوق الإنسان، وبالشباب وبالطفولة، وبمختلف الشؤون الإنسانية العامة.

(١) د. اسماعيل الفاروقى، لوس لمياء الفاروقى، أطلس الحضارة الإسلامية، ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة، الرياض: مكتبة العبيكان، والمعهد العالمى لفكر الإسلامى، ١٩٩٨ ص ٢١٧-٢٤٥.

## المبحث الثالث

### العلاج المؤسسي لداء التكفيريين الواقع والمأمول

موضوع هذا المبحث هو: وصف الحالة الراهنة للتصدي لظاهرة التكفير، على ضوء تحديده لمفهوم المسؤولية الاجتماعية للمؤسسات الاجتماعية وفي مقدمتها الأسرة، ثم صياغة تصور لمعالجة أكثر رشدا وأكثر استلهاما لرؤية الإسلام لمبدأ نفي الإكراه في الدين.

الإنسان هو المخلوق الوحيد صاحب الفعل الحر، زوده الله تعالى بالفطرة الصحيحة، القابلة في ذات الوقت للعطب بفعله أو بفعل غيره، وأمدته في المقابل بأسباب استعادتها ممثلة في الوحي والعقل والحواس والقدرة على الفهم والحدس، فضلا عن منظومات الرعاية والنصيحة والتدافع، والسنن الكونية. والإنسان مكلف مسؤول. والمسؤولية مرتبطة بالاستطاعة الحرة. وهو مكلف بمعرفة الخير ممثلا بالإرادة الإلهية، وقادر على ذلك، ومأمور بتجاوز أمر نفسه إلى غيره، وبالوفاء بالعقود في ظلال الحرية التوحيدية والمسؤولية والسلام الأخلاقي<sup>(١)</sup>.

ولعله قد تبين لنا في المبحثين السابقين أن داء التكفير ظاهرة ذات طابع جمعي مؤسسي، يستعصي علاجها سواء على مستوى الوقاية منها أو على مستوى علاج انحرافات غير العنيفة، وكذا انحرافات المسلحة بجهود فردية، أو حتى بجهود مؤسسية مبعثرة. فجوهر المسؤولية المؤسسية كما تبين في المبحث الثاني هو الحرية التوحيدية القائمة على بذل غاية ما في الوسع من

(١) د. اسماعيل راجى الفاروقى، التوحيد...، مرجع سابق، ص ١٧-٢٠، ص ١٠٩-١٢٧، ص ١٥٥، ص ٢٦٠.

الصبر والمصابرة على ثلاثية: الرعاية المتبادلة، النصيحة الجامعة، الأمر بالمعروف و التناهي عن المنكر<sup>(١)</sup>. وسنشير بإيجاز في حدود المساحة المتاحة لهذه الدراسة، إلى خطوط عريضة لواقع المعالجة المؤسسية لهذا الداء، وما ينبغى أن يكون عليه، على النحو التالي:

### أولاً: واقع المعالجة:

التكفير في جوهره ظاهرة نابعة من انحراف فكري، يرتبط بالأساس بخلل في الرؤية الكلية للخالق، وللإنسان والوجود، وما بعد الحياة الدنيا. ومفتاح علاجه هو: تصحيح المفاهيم، واستعادة الفطرة التي فطر الله الناس عليها بفكر صحيح نابع من معيارية منضبطة، بتحرير مفاهيم مركزية في مقدمتها: الدين، والأمة، والإنسان، وانساق العلاقة بين الإنسان وخالقه، وبينه وبين بنى الإنسان من جهة، ومع بقية الموجودات من جهة أخرى، مما لحق بها من غبش وتحريف. ومن أهم قسّمات صورة الواقع الراهن لمعالجة ظاهرة التكفير:

١- التشرذم المؤسسي: يعاني واقعنا الإسلامي المعاصر من غياب مؤسسة مظلة جامعة تنسق بين رؤى واجتهادات وسلوكيات كل نسق مؤسسي من جهة، ناهيك عن وجود مثل تلك المؤسسة الجامعة على مستوى الأمة الإسلامية ككل من منتصف عشرينيات القرن العشرين حتى الآن. ويفتح ذلك الباب واسعاً أمام غياب التنسيق بين مؤسسات الأمة، فضلاً عن تمكين قوى الخارج، من التلاعب ببعضها لخدمة أهدافه المعلنّة

(١) هذا المفهوم مستقى من القرآن الكريم. يقول الله تعالى في معرض الإشارة إلى ما أصاب اليهود من انحراف ومن سوء المصير: {كَأَنُؤْ أ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مَّنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُؤْ يَفْعَلُونَ} المائدة: ٧٩. وهذا المفهوم متضمن للنهي عن المنكر. إلا أنه يضيف إليه حقيقة أن هذا النهي لا يتم من طرف واحد، بل إن كل طرف ينهى الآخر عن المنكر. وهذا المفهوم يقع في عمق المؤسسية.

## والخفية<sup>(١)</sup>.

٢- سيادة حالة الطوارئ يهيمن على العالم المعاصر سواء الغربي أم العربي هاجس ما يسمى بالظروف الاستثنائية، وكيفية ترتيب العلاقة بين الفرد والسلطة في ظلها. وفي هذا الصدد يتربع نظام الأحكام العرفية بما يتضمنه من نقل السلطة من المدنيين إلى العسكريين، وتوسيع نطاق سلطات أجهزة الأمن، وتمديد ولاية المحاكم العسكرية لتشمل مدنيين. وليس هذا النظام وليد بيئتنا بل هو وافد في الأساس من الخارج. وتعرف بلدان مثل فرنسا أربعة نظم لتنظيم العلاقة بين الفرد والسلطة في الظروف الاستثنائية، تضم إلى جانب نظام الأحكام العرفية، نظام سلطات حالة الحرب، ونظم الظروف الاستثنائية، وحالة الطوارئ. وتعرف بلد مثل مصر ثلاثة أنظمة لتلك الحالة هي: نظام الأحكام العرفية، ولوائح حالة الضرورة، واللوائح التفويضية<sup>(٢)</sup>.

٣- التشويه والتشبيك: يجمع الغرب حالياً بين تشويه صورة كل ما هو إسلامي ورميه بالإرهاب، مع السعي إلى صياغة إسلام على المقاس الغربي، والاجتهاد من أجل التشبيك والتتميط والتوجيه الثقافى للعالم كله. ومن المؤكد أن بناء الأوطان لا يتم أبداً على أيدي الغزاة ووفق

(١) أحمد خلف، مؤسساتنا الدينية بين المأسسة والتسييس والتدويل، ضمن: الأمة ومشروع النهوض الحضارى، حال الأمة عام ٢٠٠٨، أمتى في العالم، القاهرة: مركز الحضارة للدراسات السياسية، ٢٠٠٩، ج ١ ص ١٨٢-٢٠٧.

(٢) د. إيهاب طارق عبد العظيم، علاقة الفرد بالسلطة في ظل الظروف الاستثنائية، القاهرة: مؤسسة الطوبجى، ٢٠٠٥، ص ٦٥-٧٩، ص ٨٦-١٠٩. وأهم ما في هذه الدراسة هو ما خلصت إليه من عدم فاعلية الضمانات الكائنة في تلك النظم بالنسبة لمنع تفول السلطة على الفرد باستغلال تلك الحالات الاستثنائية، والتوسع فيها، وتطويل أمدها، بحيث لا تصير حالة عابرة، بل تتحول إلى حالة شبه ثابتة. انظر هذا المرجع ص ٣٥٥-٤٠٥.



الأجندات الخارجية. فالقوى الخارجية تعرف كيف تهدم، ولكنها لا تعرف كيف تعيد بناء ما هدمته، ناهيك عن اهتمامها بذلك من الأساس. من هنا يتعين التركيز على تعميق ثقافة البناء لا الهدم في صفوف أمتنا<sup>(١)</sup>. وقد يكون من المفيد الإشارة بشئ من التفصيل هنا إلى تقرير موسع من ١٨٣ صفحة أصدرته مؤسسة راند الأمريكية عام ٢٠٠٧، تحت عنوان: بناء شبكات المسلمين المعتدلين، ترد فيه موضوعات ذات عناوين دالة بذاتها من قبيل: تحدى الإسلام الراديكالي، والحلفاء المحتملون، وخريطة طريق لبناء شبكات معتدلة في العالم الإسلامي، ودور المسلمين الأمريكيين وخبرة التشبيك في الوسط الإسلامي، وعملية انتقاء شركاء معتدلين، ومؤسسات بناء الديمقراطية، ورعاية منظمات ترويج الإسلام العلماني<sup>(٢)</sup>.

ولباب الصورة الإدراكية الأمريكية لداء العالم الإسلامي أنه يعاني في ذلك المنظور الغربي من رواج التأويلات الراديكالية للإسلام في كثير من مجتمعاته. والعللة الكبرى الكامنة وراء ذلك هي: انتشار الأنظمة السلطوية وضعف منظمات المجتمع المدني، مما جعل المسجد واحداً من بين ساحات قليلة للتعبير عن السخط الجماهيري من تردى الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وأتاح الفرصة للراديكاليين الإسلاميين لطرح أنفسهم كبديل للأنظمة القائمة. ونجحت الحكومات السلطوية والراديكاليين الإسلاميين معا في تهميش

(١) د. محمد نصر مهنا، العلاقات الدولية بين العولمة والأمركة، الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، ٢٠٠٦، ٣٢٢-٣٢٨. وانظر في سمات عملية الأمركة وكيفية مواجهتها، ص ٣٧٥-٤١٣.  
(٢) راجع فهرست التقرير: Angel Rabasa (et al), Building Moderate Muslim Networks, Rand Center for Middle East Public Policy, Santa Monica: , Rand Corporation, 2007, PP. XI- XIV

الإسلاميين المعتدلين وإسكاتهم. وسر تمكن الراديكاليين من تحقيق ذلك هو تميزهم على المعتدلين بأمور ثلاثة هي: التنظيم، واللجوء إلى العنف والقمع لفرض رؤاهم الدينية السياسية على الجماهير، والحصول على تمويل هائل لنشر ثقافة العنف والتطرف على مدى العقود الثلاثة الأخيرة. وهذا التفاوت في التنظيم والموارد هو السبب في تمكن الراديكاليين رغم كونهم أقلية من تحقيق نفوذ غير متكافئ مع وزنهم العددي في الشارع الإسلامي.

وفي المقابل يعاني المعتدلون من الافتقار إلى التنظيم والموارد فضلاً عن احتياجهم إلى الحماية من استهدافهم بالقمع لكونهم يمثلون بديلاً ممكناً أكثر مقبولية لدى الجماهير من كل من المتشددين والنظام الحاكم معاً. ومن هنا تأتي أهمية تشبيك الفعاليات الإسلامية المعتدلة. وبالنظر لعجز تلك الفعاليات عن القيام بذلك التشبيك بمواردهم الذاتية، فإن الولايات المتحدة تقوم بدور المحفز الخارجي لهم. وخبرة أدائها في الحرب الباردة توحى بقدرتها على لعب دور مهم في إنشاء فضاء واسع يعمل فيه المعتدلون المسلمون، والتوصل بالتعاون معهم إلى تطوير معيار واضح للشراكة بينها وبينهم.

ويتم انتقاء الشريك المراد توصيفه فرداً كان أم جماعة المستحق لوصف (إسلامي معتدل) باستقصاء أمريكي يرتئيه بثبوت تبنيه رؤية كلية ديموقراطية ليبرالية، تكشف عنها عملية فحص دقيقة مدارها هو الأسئلة العشرة المركبة التالية وتوابعها: ما هو موقفه الآني والماضي من ممارسة العنف ومن التسامح معه؟ هل يتبنى الديموقراطية؟ إن كانت الإجابة بنعم: هل يوصفها بمواصفات الديموقراطية الليبرالية الفردية؟ هل يؤيد حقوق الإنسان كما هو متعارف عليها في الغرب؟ هل يرى إمكانيةً

لقبول أية استثناءات على مبدأ حرية العقيدة، وغيرها من حقوق الإنسان؟ هل يعتقد أن التحول إلى دين جديد شأن فردي؟ هل يعتقد بوجود تطبيق الدولة للحدود الجنائية الواردة بالشريعة الإسلامية؟ هل يعتقد وجوب تطبيق الأحكام المدنية الواردة بالشريعة الإسلامية، أم يفضل بدائل علمانية غيرها، أم يقبل بتنظيم الشورى الإسلامية بقانون علماني؟ هل يؤمن بالمساواة التامة بين أعضاء الأقليات الدينية غير المسلمة وبين المسلمين في الحقوق، وهل يؤمن بحق عضو أقلية دينية في شغل منصب سياسي رفيع في بلدان ذات أغلبية مسلمة؟ هل يؤمن بحق الأقليات الدينية في أن يؤسسوا ويديروا مؤسسات دينية خاصة بهم في بلدان ذات أغلبية مسلمة؟ هل يقبل نظاماً قانونياً مؤسساً على مبادئ قانونية غير دينية الأصل؟

ولا تكفي تلك الأسئلة العشرة المركبة للفوز بصفة (الإسلامي المعتدل وفق الميزان الأمريكي)، بل يلزم أيضاً طرح أسئلة أخرى في تدقيق الحالة، تشمل فحص: شبكة علاقات ذلك الفرد أو تلك الجماعة مع الفاعلين السياسيين الآخرين، والعواقب والآثار المحتمل ترتبها على تلك العلاقات. وهل في شبكة علاقات ذلك الشريك المحتمل صلات مع جماعات راديكالية، أو منتظمة في تحالفات مع منظمات تمويل أو بحوث راديكالية؟<sup>(١)</sup>

٤- اختطاف المفاهيم الإسلامية وتمييعها: تتعرض المفاهيم الإسلامية لعملية تشويه واختطاف غير مسبوق في عصر الفضائيات والإنترنت الراهن. فلقد حصر باحث خمسة ملايين وثلاث مئة ألف مقالة حول مفهوم

التجديد على موقعى ياهو وجوجل على سبيل المثال، على نحو يغيب معه على حد قول المستشار طارق البشرى ميزان التفاعل وحراس الحدود داخل الفكر. وتتعرض مفاهيمنا لعملية تسميم تعانى في ظلها عقولنا من سباعية: الوحل والكوابح والصدأ والعجز والمتاهة والإنهار، وتغيب سباعية الاستقامة المفاهيمية: العقيدة الدافعة، والشرعة الرافعة، والقيم الحاكمة، والأمة الشاهدة الجامعة، والحضارة الفاعلة، والسنن القاضية، والمقاصد الحافظة<sup>(١)</sup>.

وفي غمرة الفضائيات، وما يسمى: الدعاة الجدد<sup>(٢)</sup>، نصادف حالة غير مسبوقه من الفوضى المفاهيمية التى لا تحمد عقباها، وتندر بما هو أسوأ في المستقبل، إن لم يتم ضبطها<sup>(٣)</sup>.

وفي حين تدور مسائل العقيدة على الإيمان والكفر، وتدور مسائل السياسة الشرعية على الخطأ والصواب، الذى ينال المجتهد المصيب في إطاره أجرين، وينال المخطئ أجرا، نجد واحدا من الدعاة الجدد يكتب رسالة بعنوان (القول السديد في أن دخول المجلس النيابى يناهى التوحيد).

- (١) محمد كمال محمد، التجديد رؤى وتجارب، ضمن، أمتى في العالم، ٢٠٠٩، ج١، ص ٥٣-٥٤.
- (٢) المراد بهذا المفهوم هو من باتوا يخاطبون الجماهير الإسلامية دون أن يكون لديهم تكوين فقهي بمؤسسات علمية. وبالتالي ينقصهم التخصص. انظر دراستنا: د. السيد عمر، دور أئمة المساجد في التنشئة السياسية، القاهرة: مركز الدراسات المعرفية، تحت النشر.
- (٣) تبين لنا في دراسة أعددها من قبل، أن خطاب الدعاة الجدد يشوه منظومة الجزاء في الإسلام، ويقوض المفاهيم على نحو غير مسبوق. وتكفي الإشارة هنا إلى ترويجه لمفاهيم مثل: مسجد البدعة، وبيئة البدعة والدعوة لعدم دفع الكلب عن الغنم، والاستعانة بالله لتحقيق ذلك، ونفي العصمة عن الأمة، بادعاء أن العصمة دفتت مع النبى، والتزهيد في الدنيا ووصفها بأنها سجن المؤمن، والدعوة إلى معالجة المرضى بالرقية لا عن طريق الطبيب، والزعم بأن موسى عليه السلام فقاً عين ملك الموت، والزعم بأن أحدا لن ينجون لسانه حتى لو بلغ مقام أبى بكر الصديق. انظر: د. السيد عمر، دور أئمة المساجد في التنشئة السياسية، القاهرة: مركز الدراسات المعرفية، تحت النشر، ص ١٣١-١٣٣.

ويبالغ ذلك الخطاب في توظيف مفهوم (كل بدعة ضلالة) على نحو يستدعى إعادة تحريره، فضلا عن الخلط بين السنة التي هي بيان للقرآن اعتنى السلف والخلف بتمحيصها وبسندها، وبين السير والمغازي التي تساهلوا في إسنادها وروايتها.

وتحتاج الأمة بشدة إلى إعادة ضبط دور أجهزة التنشئة والإعلام في التعامل مع المفاهيم الإسلامية<sup>(١)</sup>، وإلى سبر أغوار مفهوم الناسخ والمنسوخ الذي أحاله فقهاء التقليد المتأخرين عما كان عليه لدى السلف الأول<sup>(٢)</sup>. ونحن بحاجة إلى إعادة النظر في مقولة (لا اجتهاد مع النص) لإعادة إخراج الإنسان السوي، والأمة الأمرة بالمعروف الناهية عن المنكر، بمنهج إلهي المصدر، إنساني الموضوع يحكم شؤون إنسان مخلوق لخالق واحد في عالم مخلوق لذات الخالق، هو مؤتمن فيه وفق شروط الاستخلاف استعدادا للقاء الله والحساب.

فالنص يحتاج لاجتهاد في فهمه وفي إنزاله على الواقع، وفي اختيار أنسب السبل لتطبيقه، في عالم شاء الله تعالى أن يخضع لسنن كونية، وجعل الواسطة هي علامة الأمة المسلمة في تعاملها مع نفسها ومع الوجود كله<sup>(٣)</sup>.

مؤتمر ظاهرة التكفير .. الأسباب .. الآثار .. العلاج

(١) راجع في الرد على ذلك: د. يوسف القرضاوي، من فقه الدولة في الإسلام، القاهرة: دار الشروق، ص ١٩٥-٢٠٠، خالد السعد، خطب الشيخ القرضاوي، القاهرة: مكتبة وهبة، ٢٠٠٣، ص ١٤٥-١٧٠.

(٢) راجع: د. السيد عمر، تقويم إسلامية المعرفة في ربع قرن، القاهرة: مركز الدراسات المعرفية، دراسة قيد النشر.

(٣) من الموضوعات الأولى بتركيز البحث العلمي عليها في هذا الصدد التعمق في الفرضية التي بناها الدكتور محمد عمارة التي تبين من فحصه الأولى لها أن إعادة قراءة تراثنا الإسلامي بعيوننا وبمعيار الواسطة الجامعة ستكشف عن أن كثيرا مما اعتبر تاريخيا خلافا بين المفكرين المسلمين هو في جوهره مسالك للوصول إلى نتيجة واحدة. انظر: د. محمد عمارة، معالم المنهج الإسلامي، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والترجمة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ٢٠٠٨، ص ١٨-٤٥.

وفي هذا السياق يؤسس هذا المفكر الإسلامي لما يسميه: مؤسسة الذمة، المعنية بحقوق المواطنة لغير المسلمين، وإجماع الأمة على نفي التكفير بالتأويل الخاطئ، وضرورة التمييز بين غير المسلمين المتعاهدين معهم، والمتحيزين ضدهم المتكالبين عليهم، ويبنى مفهوم الوسطية الجامعة على عشر مرتكزات هي: رفض الجمود على ظاهر النصوص والتقليد، وفهم الدين على طريقة السلف الأول قبل ظهور الخلافة، واستحضار منظومة الصلاح والإصلاح بالإسلام، ونبذ الإفراط والتفريط، والجمع بين النقل والعقل، والوعى بسنن الله الكونية، والشورى، والوعى بجمع الدولة الإسلامية بين صفتي: المدنية والإسلامية، والعدالة الاجتماعية، وإنصاف المرأة، وتحديد فضاء عملية إصلاح المؤسسات السياسية، على ركيزتي: الهداية المستمرة للإنسان في أداء دور الخلافة في الأرض، ورعاية الأسوة الحسنة المستمرة الشاملة للأمة كأساس لفاعلية مؤسساتها. أو بتعبير آخر، الربط بين الهداية والعهد مع الله، بحيث لا ترتبط مشروعية أى فعل إنساني ابتداءً، بذلك الفعل، بل تمتد إلى ما يؤول إليه من آثار<sup>(١)</sup>.

(١) انظر د. محمد عمارة، مستقبلنا بين التجديد الإسلامي والحداثة الغربية، ضمن: أمتى في قرن، القاهرة: مركز الحضارة للدراسات السياسية، ج ٢. و انظر أيضا: د. سيف الدين عبد الفتاح إسماعيل، في النظرية السياسية من منظور إسلامي، القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ص ٢١٩ - ٢٢٠، ٢٤٨ - ٢٤٩، ٢٥٨ - ٢٦٤. وحدد سيد قطب رحمه الله ستة معالم للامة الوسط الشاهدة على الناس هي: الوسطية في التصور والعتقاد، والوسطية في التفكير والشعور، والوسطية في التنظيم والتسيق، والوسطية في الارتباطات والعلاقات، والوسطية في الزمان والمكان، والوسطية في الزمان. راجع تفصيلات ذلك في: سيد قطب، في ظلال القرآن، سورة البقرة، الجزء الثاني، منبر التوحيد والجهاد، ص ١٤٠-١٤٣. ومن المعالم التي رصدناها لهذه الوسطية في دراسة سابقة لنا: الحرية التوحيدية بوصفها أساس التكريم الإنساني - الحياء الحق بالتخلق بالقرآن الكريم بحفظ اللسان والجوارح والتخلي بلباس التقوى الذي لا موضع معه للإفراط ولا للتفريط - التربية على =

وفي ظل تلك الوسطية تتلاقى روافد التنوع الإنساني، ويغيب التعصب والغلو والإفراط والتفريط، والثنائيات المفتعلة، وتتعانق الحرية مع المسؤولية، والسببية مع سمو الإرادة الإلهية، ويغدو الإنسان كائنًا عابدا حرا مسؤولا، لا هو بسيد الكون، ولا هو بالكائن الحقير المتلاشي، وينتهي وهم اعتبار النص مقابلا للإجتهد<sup>(١)</sup>. فالنص يحتاج لاجتهاد في فهمه لإنزاله على الواقع، وفي الموازنة بينه وبين نظائره، وفي فهمه في سياق الكل القرآني، وفي التيقن من شروط تفعيله. وبهذه الوسطية الجامعة تتساند القومية والوطنية والجامعة الإسلامية، ويتحقق للإنسان الانتماء الفعال والفعل المنتمي<sup>(٢)</sup>.

٥- تعثر مساعى التقريب بين الشيعة والسنة: رغم كون الخلاف بين السنة والشيعة في أصله خلافا حول فروع، وذا طابع تاريخي، وكان من المفترض أن يتم طوى صفحته خاصة أمام التحديات المشتركة الراهنة من جهة، وفي ظل جهود المراجعة في الصف الشيعي باتجاه تحريم تكفير المسلمين بعضهم بعضا، وصيانة الدم والمال والعرض المسلم، بل الإنساني، والكف عن سب الصحابة، فإن مؤشرات إخفاق تطل برأسها من آن لآخر، وتدخل الأمة معها في تحذيرات من بعض رموز علماء السنة

= مكارم الأخلاق - التربية على الوعي بالسنن الإلهية الكونية - التربية على الوعي بنسبية الكمال الإنساني وبقابلية الفطرة الإنسانية للانحراف وإمكانية استعادتها بالمراجعة والتوبة النصوح المتواصلة - التأكيد على أساسيات الكلمة السواء بين المسلمين وأهل الكتاب - التربية بعبارة الأسوة الحسنة وبسير الأولين - التربية الكوثرية القائمة على الرعاية والتكافل المتبادلين - الاستحضار الدائم للمحاسبة بمستوياتها الثلاثة المترابطة (معية الله تعالى الدائمة - رؤية صالح المؤمنين لعمل الفرد والجماعة - الوازع الضميري الذاتي)، - التيسير الملتزم بشرع الله. انظر: د. السيد عمر، التشبث السياسية في المنظور القرآني، القاهرة: مركز الدراسات المعرفية (دراسة قيد النشر).

(١) د. محمد عمارة، معالم المنهج....، مرجع سابق، ص ٦٦-٩١.

(٢) المرجع السابق ص ٩٣-١٢٢، ص ١٦٤-١٦٨، ص ٢٢٧.

بوزن القرضاوى من مساع شيعية للمد في المجتمعات السننية، يرد عليها بحروب كلامية، بل بما سمي بالحرب الإليكترونية السننية الشيعية<sup>(١)</sup>.

٦- اعتلال بيئة البحث العلمى المعاصر: يرتبط استفحال ظاهرة التكفير في الواقع المعاصر باعتلال بيئة البحث العلمى، والإخفاق في وضع جدول أعمال نابع من هموم أمتنا نبني به بيتنا في أرضنا لا في أرض الغير. وسبق لى أن رصدت عشرة مؤشرات لاعتلال بيئة البحث العلمى المعاصر تشمل: الاستغراق في الوافد، والهيام بالبحوث المتعجلة والتلغرافية الطابع الشبيهة بالوجبات الجاهزة، وتيه الهوية، والقراءة الأحادية للظواهر بتأثير التخصص الضيق، والإصابة بداء البحث للمؤتمرات والمجالات المحكمة التى لا تنفتح عليها العامة، وغلبة التقويم المادى على أخلاقيات الاحتساب العلمى والإحسان العلمى، وغياب تقاليد البحث الحر، والوقوع في أسر القراءات الضالة والرسالة الإعلامية المعوقة<sup>(٢)</sup>.

وتؤدى تلك البيئة إلى فرار الجماعة العلمىة من تحمل المسؤولية واضطراب المعايير وسيادة موقف السلب والعزلة النفسىة والتشكك والتردد في التفسير والتقويم<sup>(٣)</sup>.

وقد تفسر تلك البيئة السر في كون ظاهرة الجماعات التكفيرىة، لم تفرز بحوثا تأسيسىة داخل الجماعة العلمىة تجفف منابعها، وتستند إليها العناصر التى وقعت فيها في المراجعة. ومن الشواهد المؤسفة على ذلك أن

(١) وسام السويدي، التقريب بين السنة والشيعية، أمتى في العالم، ٢٠٠٩، ج ١ ص ١١١-١٢٣.

(٢) د. سيد أحمد عثمان، التحليل الأخلاقي للمسؤولية الإجتماعية، القاهرة: الأنجلو المصرية، ١٩٩٦، ص ٤٠-٥٩.

(٣) د. السيد عمر، توجيه بحوث التنشئة السياسية والإجتماعية في الجامعات، ضمن أعمال مؤتمر: توجيه بحوث الجامعات الإسلامىة لخدمة قضايا الأمة، ٢٠٠٧ الزقازيق: كلية التربية جامعة الأزهر، ومركز الدراسات المعرفية، ج ١ ص ٢٨٧-٢٩٧.



تخرج المراجعات من جانب الجماعات الإسلامية المتشددة من داخل السجون في مصر، وأن يجئ الاعتراف بارتكاب أخطاء بحق الأمة، والتوصل بعد حالة تيه وفتنة عمياء استمرت أكثر من ربع قرن، من القتل على الجنسية وعلى لون البشرة وعلى المذهب، وقتل من لا يجوز قتله، وتخريب الممتلكات، واستحلال أموال الغير بغير حق، من داخل السجون، وبعد مواجهات أمنية مديدة ومريرة ومدمرة لروح الأمة ومعنوياتها، غاب من نطاقها الفكر، وانتهكت فيها الحرمات من الجانبين.

ومن علامات مرض بيئة البحث العلمي في نظري أنه حتى حين خرجت تلك المراجعات، كان المعنى الأكبر بها تأييدا تارة، ورفضاً وتقنيدا وتشكيكا تارة أخرى، هو الجماعات التكفيرية داخل السجون وخارجها<sup>(١)</sup>.

٧- تاريخنا كتبه غيرنا: من بين أهم روافد الفكر التكفيري وزرع الشك والريبة في نفوس شباب الأمة أن تاريخنا كتب بيد غيرنا. وما كتب منه بأيدينا شابهت عيوب مفصلية سواء بالنقل دون تمحيص عن الآخرين، أو باختزال التاريخ في قمة السلطة في الدولة الإسلامية. ونحن بحاجة ماسة

مؤتمر ظاهرة التكفير .. الأسباب .. الآثار .. العلاج

(١) عبده إبراهيم، المراجعات طريق جديد للجماعات الإسلامية، أمتى في العالم، ٢٠٠٩، ج ١ ص ٧٧-١٠٥. ولعل هذا المؤتمر العالمي يكون فاتحة لتدارك هذا الوضع وعدم الوقوف عند حد كونه تظاهرة فكرية عالمية في وصف تلك الظاهرة والبحث فيها، إلى رحاب بناء أطر مؤسسية تضع هذا الموضوع على رأس أجندة البحث العلمي في كل التخصصات، وعلى رأس أولويات التششئة على صعيد كل مؤسسات الأمة. وراجع: أبو بكر بن العربي، العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي، تحقيق: محب الدين الخطيب، القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٩٩هـ. كما لا يخفى ما ألحقه المستشرقون من تزييف. = لتاريخنا. انظر في التفاصيل: د. نصر محمد عارف، في مصادر التراث السياسي الإسلامي: دراسة في إشكالية التعميم قبل الاستقرار والتأصيل، هيردن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٤، ص ٩٠-٩٢، ص ٢٣٢-٣٤٣.

إلى إعادة كتابة تاريخنا بأيدينا، وبمنهجية وبصيرة. فالتاريخ علم لا ينفصل عن الهوية ولا عن واقع الأمة. وتاريخ أمتنا تعرض لتشوهات بالغة الخطورة، ارتفع في ظلها زيد اللغو والغيبة على زبدة العبرة، وجرى تركيز غريب على البعد السياسي بمعناه المختزل المحصور في رأس السلطة السياسية في الدولة الإسلامية، على حساب الأبعاد المجتمعية والثقافية والاقتصادية.

وعانى العقل المسلم من التناقض بين تقويم أمم من منظور ديني، وتقويمها من منظور تاريخي. فرصد الحالة اليونانية والرومانية والفارسية من منظور ديني مفاير بشدة لما تقدمه المصادر التاريخية التي كتبت بيد الغرب عن أمجادها ووزنها في الحضارة الإنسانية، ومعايرة غيرها بها. ولم يقف الأمر عند القراءة المشوهة والمشوشة لتاريخنا على يد المستشرقين في العصر القديم والمستغربين في العصر الحديث، بل غاب عنها التوازن بين رؤية الفرد والجماعة والمجتمع والدولة والأمة. وبدلاً من بناء الظاهرة التربوية على الأصول الإسلامية ونماذج القدوة من الصدر الإسلامي الأول، وقعنا في محاكاة لفخاخ التمركز حول الذات، والظاهرية والنزعة الشككية<sup>(١)</sup>.

### ثانياً: صوب واقع مأمول لمعالجة مؤسسية لظاهرة التكفير:

يعلّمنا الركن الأول من أركان الإسلام أن أساس الاستقامة هو التخلية ثم التحلية. وبالتالي فإن شرط التحرك نحو واقع مأمول في معالجة هذه الظاهرة

(١) د. زكريا سليمان، نحو منهج للتاريخ في إطار المنهجية الإسلامية، ضمن: د. أحمد فؤاد أبو باشا (وآخرون) المذهبية الإسلامية، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر، ٢٠١٠، ج ١ ص ٦١٥-٦٣٢. وانظر في المقابل ضمن نفس المرجع: د. عبد الرحمن النقيب، النماذج التفسيرية في النهضة الإسلامية، ج ٢ ص ٩٧٩-٩٨٥، د. جمال عبد الهادي محمد، د. وفاء محمد، أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ، المنصورة: الوفاء للطباعة والنشر، ١٩٩٠.

هو البدء من تدارك عيوب الواقع السبعة السالف بيانها ، ثم البناء على ذلك عبر قنوات من أهمها :

١- الانطلاق من حاكمية القرآن ومن اعتباره بمثابة الجملة الواحدة: القرآن الكريم ناسخ لكل صور الوحي السابقة ومهيمن عليها. وهو وحده الميزان الذي ينبغي وصف ظاهرة التكفير، وابتغاء علاج مؤسسي ناجع لها استنادا إليه، وبمعايرة كل ما عداه به، في ضوء ما تعرض له الوحي السابق على القرآن من إقحام شروح إنسانية فيه، ومن تحريفه على نحو دفع أتباعه أنفسهم إلى التعامل معه، ليس على أنه وحي منزل، بل على أنه تراث قابل للإضافة والحذف والتبديل على مدى العصور. ومن هنا ينفرد القرآن بكونه الكتاب السماوي الوحيد الذي لم يتعرض نصه لأدنى تغيير، وتكاملت فيه كل الرسائل السابقة، وجمع بين الشهادة والغيب، وكان هو قوام الوجود كله، وناظم كل ما في هذه الحياة. وبما إنه هو المصدق والمهيمن على كل ما أنزله الله على الرسل من قبله، فإنه ينبغي أن يكون من باب أولى، هو المهيمن والمصدق لكل ما هو صحيح من أقوال البشر كافة بما فيهم رسل الله تعالى<sup>(١)</sup>. والنص القرآني الناظم للدين كله هو قول الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات: ٥٦). والسبيل لاستعادة الوعي بالوزن الحقيقي لكل أبعاد الظاهرة الإنسانية وشبكة علاقاتها وتفسيرها، هو التعامل معها من منطلق الجملة القرآنية الواحدة، أي باعتبار القرآن جملة مناظرة للكون المنظور كله<sup>(٢)</sup>.

(١) د. زغلول راغب محمد النجار، مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، بيروت: دار المعرفة، ٢٠٠٩، ص ٣٧-٣٨، ص ٥١-٥٨.

(٢) الرؤيتان المعرفيتان للاقتصاد الإسلامي والاقتصاد الوضعي، ضمن: مؤتمر الاقتصاد الإسلامي والاقتصاد الوضعي: الفلسفة والنظام، القاهرة: مركز البحوث والمعلومات بأكاديمية السادات =

٢- التوعية بأهمية التعلم على يد متخصصين وليس من الصحف وإفساح مجال للشباب في مجالس الشيوخ: تعود موجة الفراغ الراهنة في أوساط الشباب منذ بداية العقد السابع من القرن العشرين، إلى غياب الاحتكاك المباشر بين الأجيال، واعتماد الصحوة الإسلامية الراهنة على المكتوب مع إمكانية وجود خلل فيه هو ذاته أو في القدرة على استيعابه، أكثر من اعتمادها على التلقى المباشر عن علماء الأمة والاحتكاك بواقعها.

ومن هدي الصحابة الذي يجب العودة إليه حظر إبعاد الشباب عن مجالس الكبار. فلقد كان عمرو بن العاص يوصى عليه القوم أن "أوسعوا للشباب وأدنوهم وحدثوهم وأفهموهم الأمور، فإنهم اليوم صغار قوم وغدا كبار قوم. وإنا كنا صغار قوم وأصبحنا كبار قوم"<sup>(١)</sup>.

٣- التركيز على تحرير العقل المسلم من الخرافات والأساطير والأفكار المغلوطة: من الأهمية بمكان استعادة الخطاب الإسلامي لهدى الصحابة في مجال تحرير عقل الأمة من الخرافات والأساطير. من ذلك حظر عمر بن الخطاب الأخذ من كتب أهل الكتاب. ومنع عمر بن الخطاب رضوان الله عليه، صبيغا من الخوض في متشابه القرآن، وأوصى العامة باعتزاله

= للعلوم الإدارية، ومركز الدراسات المعرفية، ٢٠٠٥، ص ١٥-١٩. ومن المصادر المهمة التي تصب في اتجاه القراءة السياقية للقرآن الكريم: تحية عبد العزيز اسماعيل، قضية السورة ومفتاحها، القاهرة: مطابع الأهرام، د.ت. وللتوسع في الأفق المنهاجية الرحبة لهذه المنهاجية وضوابط الاستعانة بها في بناء المفاهيم القرآنية، انظر: د. طه جابر العلواني، الوحدة البنائية للقرآن الكريم، القاهرة: الشروق الدولية، ٢٠٠٨، ص ٨-١٤، د. طه جابر العلواني، لسان القرآن ومستقبل الأمة القطب، القاهرة: الشروق الدولية، ٢٠٠٦، ص ٥١-٥٤. د. طه جابر العلواني، نحو موقف قرآني من النسخ، القاهرة: الشروق الدولية، ٢٠٠٨، ص ١٢-١٤، ٣٤-٥٠ ص ٦٠-٧٢. وللحصول على فكرة رواد هذه المنهاجية وسيرتها، راجع: د. السيد عمر، الأنا والآخر من منظور قرآني، دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٨، ص ٣٢-٣٣.

(١) محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، بيروت: دار بيروت، ١٩٦٠، ج ٤ ص ١٩٣.

إلى أن يكف عن ذلك<sup>(١)</sup>.

ولنتذكر هنا أهمية محاكاة ما فعله الفاروق عمر بن الخطاب في مواجهة خرافة عروس النيل، التي كان المصريون يلقون بموجبها، بأجمل فتاة لديهم كل عام في النيل ليواصل جريان مائه، حيث قوض ذلك المعتقد الخاطئ بما عرف ببطاقة عمر، التي أرسلها إلى المصريين، وطالبهم بإلقائها هي وليس آدمية في النيل، مكتوب عليها: "إن كنت تجري من قبل نفسك فتوقف، وإن كان الله يجريك، فإننا نسأل الله أن يجريك" وجاء الفيضان في ذلك العام أعلى من أي عام سابق. وتخلص المصريون من تلك الأسطورة إلى الأبد<sup>(٢)</sup>. وكم في أوساط شبابنا من خرافات وأساطير جديدة بالاستئصال.

٤- بناء الوعي بشروط الاجتهاد الصحيح وتعميم الوعي بثمراته: الاجتهاد مضبوط بالاستطاعة، وهو استفراغ الفقيه الجهد في تحصيل ظن بحكم شرعى. ولا بد أن يكون الفقيه بالغاً عاقلاً ثبتت له ملكة استخراج الأحكام من مأخذها. فالاجتهاد مأخوذ من الكشف وبذل الطاقة. ويخرج منه ما يحصل مع التقصير في بذل الوسع. ومعيار بذل الوسع هو أن يحس الفقيه من نفسه أنه لم يعد قادراً على طلب المزيد، وأن يكون عالماً بلسان العرب، وبأصول الفقه، وبنصوص الكتاب والسنة، وبما أجمعت عليه الأمة.

والمسائل على نوعين: نوع لكل مجتهد فيه نصيب من الصحة، ونوع الحق فيه مع مجتهد واحد من المجتهدين. ويتعلق النوع الأول بالعقليات في دائرة

(١) أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة، تفسير سورة الإخلاص، تحقيق: د. عبد العلى عبد الحميد حامد، القاهرة: دار الريان للتراث، ١٩٨٧، ص ٢٥٢-٢٥٩.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج ٣، ص ٤٦٧.

المباحث، والثاني في المعلوم من الدين بالضرورة، وما انعقد عليه إجماع الأمة كمسألة خروج الموحدين من النار، ومسألة خلق القرآن. والمخطئ في دائرة هذا النوع من القضايا لا شك في تأثيمه. إلا أن الصواب تحاشي الخوض في مقولة تكفير أهل القبلة. فالوقوع في ذلك حتى على مستوى رمي البعض أمثال هؤلاء بكفر النعمة، فتح بالنسبة للمعتزلة باب تكفير خصومهم، وكذا تكفير بعضهم بعضا. فلا يكفر إلا من جهل وجود الرب، أو علم وجوده، ولكنه فعل فعلا أو قال قولاً أجمعت الأمة على أنه لا يصدر إلا عن كافر. أما القول بتكفير مجتهدي الإسلام بمجرد الخطأ في الاجتهاد في شئ من مسائل العقل، فقول لا يقول به إلا من لا يبالي بدينه ولا يحرص عليه<sup>(١)</sup>.

وتحتاج الأمة في هذا الصدد إلى إبراز الاجتهادات الفقهية المبينة لمسؤولية الإنسان فردا وجماعة عن الإحسان والعدل في الأرض في مواجهة علاقته بنفسه وبالغير من البشر، وكل الموجودات. وتكفي الإشارة هنا إلى بعض أمثلة. فمن مقتضى حفظ النعمة وشكرها استعمال كل شئ فيما خلقه الله له والتعامل معه على النحو الذي شرعه الله تعالى، و التنشئة على التحوط البالغ في الدين، وفي الدماء والأموال والأعراض، وتحري العدل والإحسان والبعد عن الظلم والعدوان.

ومن بين ما ينبغي التركيز عليه الاجتهاد على تنشئة شباب الأمة عليه: عالمية السلام الإسلامي، ومحورية كلمة السواء. فالآية ٦١ من سورة الأنفال تشير إلى سلم يعنى: طلب غير المسلم المحارب السلامة في الحرب، سواء بالدخول في الإسلام، أو الاستجابة لدواعي الدخول في علاقة عهد

(١) د. محمد كمال إمام، أصول الأحكام الشرعية، الفقه الإسلامي، مفاهيم ومدارس ونصوص،

الإسكندرية: دار الجامعة الجديدة، ٢٠٠٥، ص ٣٠٩ - ٣٢٨.

وصلح مع المسلمين. وتأمرونا الآية ٩٠ من سورة النساء بالاستجابة لمن عرض السلام، بل تصل إلى حد نفي حق الأمة في نصره مسلم بدار قوم بين الدولة الإسلامية وبينهم عهد أو ميثاق. فالوفاء بالعهود وبالأمانة مبدأ إسلامي ملزم في كل الأحوال. والأصل في العلاقات الدولية بين الأمة الإسلامية والأمم الأخرى هو شرعية التعاقد، ووجوب الوفاء بالعقود<sup>(١)</sup>. ومن مقتضى الإيمان الذي هو نقيض الكفر، تحري الإحسان في مواجهة النفس والغير، بتحاشي الإفساد في الأرض بعد إصلاحها. فالله لا يحب الفساد. والشريعة الإسلامية دين ودنيا وحضارة وقانون. والشريعة مقننة بطبيعتها كما جاء بها الوحي المنزل على النبي صلوات الله وسلامه عليه، وكما تبينت في القرآن الكريم وفي صحيح السنة النبوية المطهرة. وما نحتاج إليه ليس تقنين الشريعة، بل تقنين الفقه الذي أنتجه العقل المسلم استناداً إلى فهم للشريعة مرتبط ببيئة وملابسات زمانية ومكانية، وكان رائدهم فيه كما قال قائلهم اعتبره مجرد رأي، علمنا هذا رأي فمن جاءنا بأفضل منه قبلناه.

وما يجب التركيز عليه هنا أن الفقه الإسلامي أنجب ثلة من المبادئ تشكل منظومة عمرانية فريدة، تشمل: التوحيد ونفي الوساطة بين العبد وربّه، الحرية والعدالة والمساواة، والتضامن، وحرية العقيدة، والسببية، والمسؤولية، وعدم جواز التناقض، ولا الفساد ولا التكليف بغير المستطاع، وبالتبعية اعتبار الضرورات تبيح المحظورات بقدرها، وتحري الاقتصاد بكل صوره، والشورى، والتعاون على البر والتقوى، وعدم التعاون على الإثم والعدوان، ونبذ الظن السيئ، ومبدأ عدم جواز الاحتجاج

(١) د. عبد المجيد بوكركب، ضمانات إقرار السلام في الفقه الإسلامي الدولي والقانون الدولي العام (دراسة مقارنة)، المحلة الكبرى: دار الكتب القانونية، ٢٠٠٨، ص ٥٦-٦٣، ص ١٠١-١٠٥.

بالجهل بمبادئ الإسلام، وهيمنة القرآن على الدين كله، فلا دين عند الله إلا الإسلام، ومبدأ ضرورة النظام المجتمعي وحجية القضاء. والعلاقة بين الإنسان والبيئة بما فيها من أرض وهواء وكائنات حية لا ينبغي أن تكون علاقة تسلط، بل علاقة ترابط وتعاضد كعلاقة أعضاء الجسد الواحد المتراحم. وفساد البيئة قد يكون نتيجة فعل مفسد لها، وقد يكون من عواقب تراكمات ذلك الفعل<sup>(١)</sup>.

ومما ينبغي تركيز الاجتهاد عليه التنشئة على روح الأمة، واستعادة الاستجابة لشعار: وا إسلاماه. والسبيل إلى ذلك هو استعادة الوعي بالأخوة في الدين وبأخلاقيات الجسد الواحد المتراحم، وبهدى الصحابة في كراهية الخلاف ودواعي الفرقة. ومن المبادئ التي أكدوا عليها والتي تحتاج الأمة إلى إعادة الوعي بها وتمثلها، أن الخلاف شر، وأن سيفان في غمد واحد لا يصلحان. ومن هدي الصديق أبي بكر اعتبار الضعيف عند ولي الأمر هو المعتدي على حقوق غيره، حتى يأخذ منه الحق، والقوى عنده هو المظلوم حتى يرد عليه مظلمته، فضلا عن دعوته رضي الله عنه لملازمة الجماعة. وبرأي الفاروق عمر، فإنه لا خير في أمير لا يقول الحق، ولا يقال عنده الحق. ومن هديهم بغض الذنب، لا المذنب، ورعاية حرمة الأموال والدماء والأعراض<sup>(٢)</sup>.

٥- التركيز في المقررات الدراسية وفي رسالة المسجد، وفي الرسالة الإعلامية على إبراز القيم التربوية في القصص القرآني: يمثل القصص القرآني

(١) د. أحمد حشيش، المفهوم القانوني للبيئة في ضوء مبدأ أسلمة القانون المعاصر، القاهرة: دار الكتب القانونية، ٢٠٠٨، ص٢٤-٤٢، ص١٤٠-١٤٩.

(٢) محمود طعمة حلي، مختصر حياة الصحابة، بيروت: دار المعرفة، ٢٠٠٣، ص ٨١-٩٠، ص ١٢٦-١٣٣.



معينا ثريا لبناء نماذج للقدوة، وللتنشئة على الوسطية، وبناء الوعي بما ينبغي أن يكون، وبما يمكن أن يكون، وتصوير المعاني الذهنية بصورة ملموسة. ومن شأن بناء الوعي بمساحات الحرية المتضمنة في معاملة شتى الأقسام لرسلمهم تأسيس عقلية مسلمة لا نظير لها في القدرة على التحصين الذاتي ضد التحديات والفتنة في الدين، وقبول المعارضة<sup>(١)</sup>.

٦- التركيز على إعادة بناء المفاهيم: تتسم المفاهيم الإسلامية في وضعيتها المعيارية، بكونها مستمدة من مصدر ثابت، مستقل عن المكلف، وعن الخبرة المعاشة. ومع أن المفاهيم تتفصل في بنيتها المعيارية عن الواقع، فإنها لا تتفصل عنه في تعاملها معه، كما أنها تمثل فهما للنصوص، قابلا لإعادة النظر فيه<sup>(٢)</sup>.

ويحتاج تجفيف منابع ظاهرة التكفير والتحصين ضدها، إلى إعادة بناء المفاهيم المفتاحية الإسلامية مثل مفهوم الإنسان والدين والأمة. ومن أهم ما ينبغي التأسيس له في هذا الصدد بخصوص مفهوم التكفير، بناء الوعي بالتحوط البالغ للسلف الصالح من المفكرين المسلمين من إطلاق لفظ الكفر على أحد.

(١) من النماذج التي تصب في اتجاه مثل هذا التصور، على سبيل المثال: سيد عبد الحميد محمود السعدني، القيم التربوية في القصص القرآني، قصة سيدنا يوسف، رسالة ماجستير غير منشورة، القاهرة: كلية البنات جامعة عين شمس، ١٩٨٢، سيد احمد محمد طهطاوى، القيم التربوية في القصص القرآني، رسالة ماجستير غير منشورة، أسوان: جامعة أسيوط، ١٩٨٥، عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٧٤، د. التهامي نفرة، سيكولوجية القصة في القرآن، تونس: الشركة التونسية للتوزيع والنشر، ١٩٧٤، محمد قطب عبد العال، نظرات في قصص القرآن، مكة: مؤسسة الجريس للتوزيع والإعلان، ١٩٨٦. وتحتاج الأمة في هذا المضمار إلى ترقية ذلك القصص من الإسرائيليات ومن إسقاطات العصر على من تناولوها بالبحث، والتركيز على إبراز عبرتها غير المرتبطة بمكان ولا بزمان.

(٢) د. ماجد زكى الجلاذ، دراسات في التربية الإسلامية، عمان: دار الرازي للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٣، ص ١١٩-١٢٠.

ومن بين النماذج عميقة الدلالة هنا تنبيه ابن تيمية إلى حقيقة أن مفهوم الشرك المطلق لا يدخل فيه أهل الكتاب، بل يدخلون في الشرك المقيد. وميز القرآن بين المشركين وبين أهل الكتاب لأن أصل دينهم ليس فيه شرك. وفي المقابل بين رحمه الله أن مجرد النطق بالشهادتين لا ينقل الإنسان من وضعية الجهالة إلى وضعية العدل، بل يحتاج الإنسان بعد ذلك إلى تحري العدل والاستقامة والتوبة النصوح<sup>(١)</sup>.

ومن الأهمية بمكان في عملية إعادة بناء المفاهيم، تحري استقامتها مع النسق المعرفي والعمق الفكري للأمة، بتحاشي الخوض في الفضاءات التي يوجهنا الشرع إلى كراهية التتقيب فيها، والتي تشمل: السؤال عما لا ينفع في الدين، وبعد بلوغ السائل حاجته من العلم، ومن غير احتياج له في الحال، والسؤال عن المسائل المشككة والمعضلة، والسؤال عن علة حكم تعبدي، والبلوغ بالسؤال حد التكلف، وإظهار معارضة القرآن والسنة بالرأي، والسؤال عن المتشابهات، وسؤال الغلبة والإحكام والتعنت<sup>(٢)</sup>.

٧- التنشئة على الوعي بقيم الحوار في القرآن: في تأسيس رصين لآداب الحوار مع المخالف المصر على رأيه الفاسد، ظهرت مؤخرا كتب دراسية جديدة بالنسج على منوالها وبتدريسها في كل مراحل التعليم وتعميقها، للتحصين ضد ظاهرة التكفير، تجلى حقيقة تفويض الأمر لله بعد النصيحة المتكررة، والصفح عن المخالف ودعوته إلى السلم، مع بذل غاية الجهد في البيان ليحيا من حي عن بينة ويهلك من يهلك عن بينة،

(١) ابن تيمية، دقائق التفسير، تحقيق: د. محمد الجليند، بيروت، مؤسسة علوم القرآن، ١٩٨٤ ج ٣ ص ١٤، ص ٤٢٦-٤٢٧.

(٢) د. ماجد زكي الجلاذ، مرجع سابق، ص ١٥.

وتبين حقيقة كون الإسلام مبنى على رفع الحرج، وعلى هدر نتيجة القول والعمل الواقع تحت الإكراه، وتؤكد على أن الأصل في التعامل بين المسلم وغير المسلم المسالم هو القسط والبر والعدل والتسوية في الحقوق والواجبات<sup>(١)</sup>.

٨- بناء الوعي بتحوط السلف البالغ في إطلاق وصف الكفر: منبع الظاهرة التكفيرية فيما أرى هو القراءة المغرضة والمتهافئة لأصولنا الإسلامية، التي تقوم على التعضية، وعلى لوي عنق النصوص للتدليل بها على صحة رأى مسبق، وليس على البحث فيها عن دليل للإستقامة. وتختزل تلك القراءة عادة المنظومة الفكرية الإسلامية بكاملها في نص واحد، هو حتى على فرض صحته، محكوم بضرورة قراءته في سياق بقية النصوص الشرعية الصحيحة.

وتغيب عن مثل تلك القراءة دلالات مبادئ إسلامية هامة تبين أن الظلم والكفر درجات. فظلم دون ظلم، وكفر دون كفر. ويغيب عنها الوعي بأن أحب الدين إلى الله أدومه، ولا تمتلك أذنا واعية للتحذير من أن من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة مع أن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاما. بل إن مثل تلك القراءة لا تعير بالا لعمق دلالة تصنيف البخارى حديث كفران العشير والإحسان ضمن كتاب الإيمان، ووصف النبي لتصرف صدر من أحد الصحابة بأنه من أمر الجاهلية، ضمن باب المعاصى من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها، ونهى النبي عن قيام الليل كله والندب إلى الاكتفاء بما نطيق، وتصنيف تحذير النبي من أن سباب المسلم فسوق وقتاله كفر، تحت عنوان (خوف المؤمن من أن يحبط

(١) من نماذج ذلك: محمد سيد طنطاوى، مختارات من آداب الحوار في الإسلام، القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر، ٢٠٠٤.

عمله وهو لا يشعر)، وتصنيفه حديث التحذير من أنه إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار، تحت عنوان (إن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا)، وأخيرا التأكيد النبوي على أنه يخرج من النار كل من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة أو ذرة من بر<sup>(١)</sup>.

(١) انظر هذه الشواهد في: زين الدين احمد عبد اللطيف الزبيدي، التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح، تحقيق: ابراهيم بركة، مراجعة: احمد راتب عرموش، بيروت: دار النفائس، ١٩٩٢، ص ٣٠-٣٤، و٣٠٢. وحديث (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) وارد أيضا في صحيح مسلم، باب الإيمان عن أبي محمد بن بكار بن الريان، وعونين سلام، عن محمد بن طلحة عن محمد بن المثنى، عن محمد بن جعفر، عن شعبة، كلهم عن زييد عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود.

## الخاتمة رؤية استشرافية

هذه هي أبعاد التخلية والتحلية لمعالجة مؤسسية للموجهة الراهنة من الظاهرة التكفيرية. والإسلام دين محبة وسلام وعمارة لداخل الإنسان وخارجه فردا وجماعة. وهو لا يرفض غير الإلحاد والعدوان والفتنة في الدين. وهو دين الفطرة الذي يوحد الذات الإنسانية بلا انفصام والمجتمع بلا تطاحن، والعالم تحت راية الأخوة في الإنسانية، ولا يكتفي بالستر الظاهري، بل يضيف إليه تقوى القلوب. والصناعة الثقيلة هي: صناعة الإنسان السوي. والفهم الصحيح هو الذي يصنعه<sup>(١)</sup>.

وما عليه رأى أهل السنة والجماعة مما يجب العوض عليه بالنواجذ، هو عدم جواز تكفير أحد من أهل الملة بذنب ما لم يستحله. فمن أصول أهل السنة والجماعة، كما يقول ابن تيمية، عدم تكفير أحد بذنب. فهم لا يكفرون أحدا ببدعة. والبدعة مقترنة عندهم بالفرقة، والسنة بالجماعة. فيقال: أهل البدعة والفرقة، وأهل السنة والجماعة. والفسق عندهم خاص بارتكاب الكبائر عن عمد، والإصرار على الصغائر بلا تأويل<sup>(٢)</sup>.

وفرض العصر على الجماعة العلمية في عالمنا الإسلامي في مختلف التخصصات هو القيام بجهد بحث مؤسسي رصين يرصد مصادر اعتلال المفاهيم الإسلامية في واقعنا الراهن ومن بينها مفهوم التكفير، ومصادر

(١) د. نعمات احمد فؤاد، عبقرية الإسلام، القاهرة: مطبوعات الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية، ١٩٨٢، ص ١٢٨، ص ٢٤، ص ٢٣٢-٢٣٦.

(٢) د. سامى محمد الصلاحيات، معجم المصطلحات السياسية في تراث الفقهاء، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، والمعهد العالمى للفكر الإسلامى، ٢٠٠٦، ص ١٩١-١٩٣.

الاستقامة المفاهيمية، ويضع خططا عملية لتجفيف منابع الاعتلال، ولترسيخ بذور الاستقامة المفاهيمية في واقع الأمة خاصة والبشرية بوجه عام. فالمفاهيم تعاني في واقع الإنسانية الراهن من: الجدل العقيم، والغيبش المفاهيمي والثنائيات الوهمية المتقابلة وهجر المفاهيم القرآنية ونسيان الأمة حقا مما ذكرت به على نحو جعلها، تتحرك بمغناطيسية غريبة لا إسلامية، تفاضل بين نور الوحي والفطرة السليمة والعقل، وتستبيح حمى المصطلحات، وتغرق في ذهنية المقاربات والمقارنات وتقحم العامة والإعلام في ساحة المفاهيم على نحو يفضي إلى التدليس والاستعمال المراوغ. وتغيب في هذه المتاهة الصورة الصحيحة للإنسان بوصفه المخلوق الحر المؤتمن المكرم العابد المسدد بالرعاية الإلهية المبتلى بالشر والخير فتنة<sup>(١)</sup>. ولا مخرج من هذه الوضعية إلا بعودة حميدة إلى استعادة المؤسسة المتكافلة المتعاونة على البر والتقوى، البانية للوعي بصحيح الإسلام.

والحمد لله الذي بحمده تم الصالحات ..

(١) د. السيد عمر، بناء المفاهيم في المنظور القرآني، مفهوم التزكية نموذجا، القاهرة: مركز الدراسات المعرفية، تحت النشر، ص ٨٣-٨٠، ص ٥٦-٥٠.

## ثبت مصادر الدراسة

- القرآن الكريم.
- د. ابراهيم مدكور (و أبو الفداء اسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، القاهرة: المطبعة الفنية، د.ت آخرون)، المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٩٩٨.
- أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة، تفسير سورة الإخلاص، تحقيق: د.عبد العلی عبد الحمید حامد، القاهرة: دار الريان للتراث، ١٩٨٧.
- أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة، دقائق التفسير، تحقيق: د. محمد الجليند، بيروت، مؤسسة علوم القرآن، ١٩٨٤.
- أبو الفداء اسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، القاهرة: المطبعة الفنية، د.ت، ج٣.
- أبو بكر بن العربي، العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي، تحقيق: محب الدين الخطيب، القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٩٩هـ.
- د. أحمد حشيش، المفهوم القانوني للبيئة في ضوء مبدأ أسلمة القانون المعاصر، القاهرة: دار الكتب القانونية، ٢٠٠.
- أحمد خلف، مؤسساتنا الدينية بين المؤسسة والتسييس والتدويل، ضمن: الأمة ومشروع النهوض الحضاري، حال الأمة عام ٢٠٠٨، امتى في العالم، القاهرة: مركز الحضارة للدراسات السياسية، ٢٠٠٩.
- د. اسماعيل الفاروقى، لوس لمياء الفاروقى، أطلس الحضارة الإسلامية، ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة، الرياض: مكتبة العبيكان، والمعهد العالمى لفكر الإسلامى، ١٩٩٨.
- د. اسماعيل راجى الفاروقى، التوحيد ومضامينه في الحياة، ترجمة ودراسة: د. السيد عمر، قيد النشر.
- د. التهامى نضرة، سيكولوجية القصة في القرآن، تونس: الشركة التونسية

- للتوزيع والنشر، ١٩٧٤.
- د. السيد عمر، النسق السياسي للأسرة في المنظور الإسلامي، ضمن مؤتمر: واقع الأسرة في المجتمع: تشخيص لأوضاع الحاضر واستكشاف لسياسات المواجهة، القاهرة كلية الآداب جامعة عين شمس ومركز الدراسات المعرفية، ٢٠٠٤.
  - د. السيد عمر، الوالدية والتربية السياسية للأبناء في ضوء الرؤية الكونية الحضارية الإسلامية، ضمن الجزء الثاني من أعمال مؤتمر: نحو والدية راشدة من أجل مجتمع أرشد، سوهاج: كلية التربية بسوهاج، مركز الدراسات المعرفية، ٢٠٠٤.
  - د. السيد عمر، الرؤيتان المعرفيتان للاقتصاد الإسلامي والاقتصاد الوضعي، ضمن: مؤتمر الاقتصاد الإسلامي والاقتصاد الوضعي: الفلسفة والنظام، القاهرة: مركز البحوث والمعلومات بأكاديمية السادات للعلوم الإدارية، ومركز الدراسات المعرفية، ٢٠٠٥.
  - د. السيد عمر، الرؤية الكلية الإسلامية والتعامل مع الأمة الإسلامية، ضمن: مؤتمر: الرؤية الكلية الإسلامية وانعكاساتها التربوية، الزقازيق: كلية التربية، ومركز الدراسات المعرفية، ٢٠٠٨.
  - د. السيد عمر، الأنا والآخر من منظور قرآني، دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٨م.
  - د. السيد عمر، توجيه بحوث التنشئة السياسية والاجتماعية في الجامعات، ضمن أعمال مؤتمر: توجيه بحوث الجامعات الإسلامية لخدمة قضايا الأمة، الزقازيق: كلية التربية جامعة الأزهر، ومركز الدراسات المعرفية، ٢٠٠٧.
  - د. السيد عمر، دور أئمة المساجد في التنشئة السياسية، القاهرة: مركز الدراسات المعرفية، تحت النشر.
  - د. السيد عمر، تقويم إسلامية المعرفة في ربع قرن، القاهرة: مركز الدراسات المعرفية، دراسة قيد النشر.
  - د. السيد عمر، بناء المفاهيم في المنظور القرآني، مفهوم التزكية نموذجاً،



- القاهرة: مركز الدراسات المعرفية، تحت النشر.
- د. السيد عمر، التنشئة السياسية في المنظور القرآني، القاهرة: مركز الدراسات المعرفية (دراسة قيد النشر).
  - د. إيهاب طارق عبد العظيم، علاقة الفرد بالسلطة في ظل الظروف الاستثنائية، القاهرة: مؤسسة الطوبجي، ٢٠٠٥.
  - تحية عبد العزيز اسماعيل، قضية السورة ومفتاحها، القاهرة: مطابع الأهرام - د.ت.
  - د. جمال عبد الهادي محمد، د. وفاء محمد، أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ، المنصورة: الوفاء للطباعة والنشر، ١٩٩٠.
  - د. رمضان على الشرياصي، النظريات العامة في الفقه الإسلامي، الإسكندرية: دار الجامعة الجديدة للنشر، ٢٠٠٣.
  - د. زكريا سليمان، نحو منهج للتاريخ في إطار المنهجية الإسلامية، ضمن: د. أحمد فؤاد أبو باشا (وآخرون المذهبية الإسلامية، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر، ٢٠١٠).
  - د. زغلول راغب محمد النجار، مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، بيروت: دار المعرفة، ٢٠٠٩.
  - زين الدين احمد عبد اللطيف الزبيدي، التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح، تحقيق: ابراهيم بركة، مراجعة: احمد راتب عرموش، بيروت: دار النفائس، ١٩٩٢م.
  - د. سامي محمد الصلاحيات، معجم المصطلحات السياسية في تراث الفقهاء، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، والمعهد العالمي للفكر الإسلامي، ٢٠٠٦م.
  - د. سامية حسن الساعاتي، الثقافة والشخصية، بحث في علم الاجتماع الثقافي، القاهرة: مكتبة سعيد رأفت بجامعة عين شمس، ١٩٨١.
  - سليمان الجمل، الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، وبهامشه: تفسير ابن عباس، القاهرة: المطبعة العامرة، ١١٩٦هـ.

- سيد احمد محمد طهطاوى، القيم التربوية في القصص القرآني، رسالة ماجستير غير منشورة، أسوان: جامعة أسيوط، ١٩٨٥م.
- سيد عبد الحميد محمود السعدنى، القيم التربوية في القصص القرآني، قصة سيدنا يوسف، رسالة ماجستير غير منشورة، القاهرة: كلية البنات جامعة عين شمس، ١٩٨٢م.
- د. سيد أحمد عثمان، التحليل الأخلاقي للمسؤولية الإجتماعية، القاهرة: الأنجلو المصرية، ١٩٩٦.
- سيد قطب، في ظلال القرآن، القاهرة: دار الشروق، ١٩٨٧.
- د. سيف الدين عبد الفتاح إسماعيل، في النظرية السياسية من منظور إسلامي، القاهرة: المعهد العالمى للفكر الإسلامى.
- د. طه جابر العلوانى، لسان القرآن ومستقبل الأمة القطب، القاهرة: الشروق الدولية، ٢٠٠٦.
- د. طه جابر العلوانى، الوحدة البنائية للقرآن الكريم، القاهرة: الشروق الدولية، ٢٠٠٨.
- د. طه جابر العلوانى، نحو موقف قرآني من النسخ، القاهرة: الشروق الدولية، ٢٠٠٨.
- د. عبد الرحمن النقيب، النماذج التفسيرية في النهضة الإسلامية، ضمن: د. أحمد فؤاد أبو باشا (وآخرون المذهبية الإسلامية، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر، ٢٠١٠م.
- عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، القاهرة: دار الفكر العربى، ١٩٧٤.
- د. عبد المجيد بوكركب، ضمانات إقرار السلام في الفقه الإسلامى الدولى والقانون الدولى العام (دراسة مقارنة)، المحلة الكبرى: دار الكتب القانونية، ٢٠٠٨.
- د. عبد الهادى الجوهري، معجم علم الاجتماع، القاهرة: مطبعة جامعة القاهرة،

- ١٩٨٠.
- عبده إبراهيم، المراجعات طريق جديد للجماعات الإسلامية، أمتى في العالم، ٢٠٠٩.
  - د. فضل محمد سلطح، المسؤولية السياسية بين الدولة والمواطن، دراسة تحليلية في فلسفة السياسة، الإسكندرية: دار الوفاء للطباعة والنشر، ٢٠٠٧م.
  - د. ماجد زكى الجلاد، دراسات في التربية الإسلامية، عمان: دار الرازي للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٣.
  - محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، بيروت: دار بيروت، ١٩٦٠.
  - د. محمد سيد طنطاوى، مختارات من آداب الحوار في الإسلام، القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر، ٢٠٠٤م.
  - د. محمد علي محمد ( وآخرون )، المرجع في مصطلحات العلوم الإجتماعية، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٥.
  - د. محمد عمارة، معالم المنهج الإسلامي، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والترجمة، المعهد العالمى للفكر الإسلامى، ٢٠٠٨م.
  - محمد قطب عبد العال، نظرات في قصص القرآن، مكة: مؤسسة الجريس للتوزيع والإعلان، ١٩٨٦.
  - د. محمد كمال إمام، أصول الأحكام الشرعية، الفقه الإسلامى، مفاهيم ومدارس ونصوص، الإسكندرية: دار الجامعة الجديدة، ٢٠٠٥.
  - محمد كمال محمد، التجديد رؤى وتجارب، ضمن، أمتى في العالم، ٢٠٠٩.
  - د. محمد نصر مهنا، العلاقات الدولية بين العولمة والأمركة، الإسكندرية: المكتب الجامعى الحديث، ٢٠٠٦.
  - محمود طعمة حلبى، مختصر حياة الصحابة، بيروت: دار المعرفة، ٢٠٠٣.
  - د. نصر محمد عارف، في مصادر التراث السياسى الإسلامى: دراسة في إشكالية التعميم قبل الاستقراء والتأصيل، هيردن: المعهد العالمى للفكر الإسلامى، ١٩٩٤.



- د. نعمات احمد فؤاد، عبقرية الإسلام، القاهرة: مطبوعات الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية، ١٩٨٢م.
- وسام السويدي، التقريب بين السنة والشيعة، أمتى في العالم، ٢٠٠٩.
- د. يوسف القرضاوى، من فقه الدولة في الإسلام، القاهرة: دار الشروق، ص ١٩٥-٢٠٠، خالد السعد، خطب الشيخ القرضاوى، القاهرة: مكتبة وهبة، ٢٠٠٣.
- Angel Rabasa (et al), Building Moderate Muslim Networks, Rand Center for Middle East Puplic Policy , Santa Monica: , Rand Corporation,2007 ,PP. XI- XIV.



ظاهرة التكفير .. الأسباب والعلاج والأثار



دور مناهج التربية الإسلامية في الحد من ظاهرة التكفير

رؤية تطبيقية لمناهج التربية الإسلامية في المرحلة

الثانوية في المملكة العربية السعودية

مروان بن صالح بن عبدالعزيز الصقبي

المشرف التربوي بإدارة التربية والتعليم

بالمحافظة الشرقية



مؤتمر ظاهرة التكفير .. الأسباب .. الآثار .. العلاج

## المقدمة

يتحدد مستقبل الأمة إلى حد بعيد بالقواعد السلوكية، والظروف التربوية التي يتعرض لها ويتعلمها أفراد الجيل الجديد من أبناء هذه الأمة؛ لذلك كان اهتمام الدول كبيراً بضرورة دراسة العوامل المؤثرة في إعداد الأفراد والتي تؤدي إلى صياغة تفكيرهم بالشكل الصحيح.

ولاشك أن مناهج التربية الإسلامية هي أحد أكبر عوامل التأثير في مرحلة صياغة الأفكار وترسيخ جوانب الاعتدال، والوسطية في أفرادها.

لذلك جاء في هذا البحث والذي هو بعنوان "دور مناهج التربية الإسلامية في الحد من ظاهرة التكفير" رؤية تطبيقية لمناهج التربية الإسلامية في المرحلة الثانوية في المملكة العربية السعودية والذي حاولت فيه من خلال محور "مسئولية مؤسسات المجتمع في علاج ظاهرة التكفير" وذلك ضمن الموضوعات المدرجة تحت هذا المحور:

### مسئولية المؤسسات التربوية والتعليمية في علاج ظاهرة التكفير:

وحرصت في هذا البحث إلى إبراز دور مناهج التربية الإسلامية، كمرتكز علمي وتعليمي وتربوي، رسّخ كثيراً من جوانب الوسطية والاعتدال، وكيف كان دور مناهج التربية الإسلامية في تأسيس العقلية الفردية المبنية على الارتباط بكتاب الله سبحانه وتعالى وسنة نبيه الكريم محمد ﷺ. وتم كذلك في هذا البحث قراءة للتطبيقات التربوية والتعليمية والتي عالجت ظاهرة التكفير بشكل مباشر، أو عالجت بشكل غير مباشر من خلال بث قواعد تعزز الاعتدال والبعد عن التكفير، وفي هذا البحث بإذن الله، تم طرح بعض الوسائل الهامة في تعزيز دور معلم التربية الإسلامية؛ حتى يمارس دوره باقتدار، للاستفادة الكاملة من مناهج التربية الإسلامية، ويتأهل

تأهياً سليماً؛ لتوصيل الخبرة العلمية والتربوية التي تحد من ظاهرة التكفير داخل المؤسسات التربوية والتعليمية وفي المجتمع عموماً، ومما تم تسليط الضوء عليه في هذا البحث، دور المؤسسات التربوية والتعليمية في تفعيل مناهج التربية الإسلامية، من خلال تفعيل محتويات المنهج بشكل غير تقليدي، سواءً كان في تطبيق الأنشطة، أو التقويم، أو حسن الصياغة، أو غيرها، مما يساهم في الحد من الوقوع في ظاهرة التكفير.

### وتكمن أهمية هذا البحث من خلال النقاط الآتية:

- (١) أن مناهج التربية الإسلامية هي صاحبة الدور الأهم في مرحلة صياغة الأفكار وترسيخ جوانب الاعتدال والوسطية في أفرادها.
- (٢) أهمية رسم الطريق الواضح الذي تتبعه المؤسسات التعليمية؛ في التأثير الإيجابي على أفرادها من خلال مناهج التربية الإسلامية.
- (٣) أهمية تأهيل العاملين في المؤسسات التربوية والتعليمية ليكونوا على قدر كافٍ من الفهم والوعي للمشاركة في التطبيق العملي المنشود لمناهج التربية الإسلامية.
- (٤) التأكيد على الدور الهام والخصوصية التطبيقية في المؤسسات التعليمية والتربوية، للحد من ظاهرة التكفير.
- (٥) عرض نماذج وتطبيقات من منهج التربية الإسلامية يتم تطبيقها وتفعيلها داخل المؤسسات التربوية والتعليمية ساهمت في الحد من ظاهرة التكفير. ولقد حرصت في هذا البحث على أن أسلط الضوء على الدور الكبير الذي تحتويه مناهج التربية الإسلامية بالملكة العربية السعودية من أدوات وقائية، ووسائل مانعة، وطرق علاجية لظاهرة التكفير والحد من الوقوع فيها ولا يسعني بعد شكر الله - سبحانه وتعالى - إلا أن أشكر القائمين على هذا المؤتمر الفريد " المؤتمر العالمي عن ظاهرة التكفير " والشكر موصول "



لجائزة الأمير نايف بن عبد العزيز آل سعود العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة " على قيامها بالدور العالمي في خدمة الفكر الإسلامي والدراسات الإسلامية والسنة النبوية، ويمتد الشكر للصرح العلمي الرائد " جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية " والتي ما فتئت تساهم في خدمة القضايا الإسلامية والعالمية المعاصرة فالشكر لهم على هذه المبادرة العلمية الهامة؛ أن فتحت لي ولغيري من الباحثين باب المشاركة في مثل هذه البحوث العلمية.

### وخطة البحث على النحو الآتي:

- المقدمة.
- الفصل الأول: الإطار المفاهيمي:
  - المبحث الأول: السياسة التعليمية في المملكة العربية السعودية
  - المبحث الثاني: التربية الإسلامية كمادة تعليمية في المملكة العربية السعودية.
  - المبحث الثالث: مفهوم التكفير في الشريعة الإسلامية.
- الفصل الثاني: الصفات التربوية والتعليمية لمعلمي التربية الإسلامية في المرحلة الثانوية في المملكة العربية السعودية:
  - المبحث الأول: الصفات السلوكية والتربوية لمعلمي التربية الإسلامية في المرحلة الثانوية.
  - المبحث الثاني: الصفات العلمية لمعلمي التربية الإسلامية في المرحلة الثانوية
  - المبحث الثالث: استبعاد وإعادة تأهيل العاملين في المؤسسات التربوية والتعليمية.
- الفصل الثالث: قواعد تربوية وتعليمية في الحد من ظاهرة التكفير من

خلال مناهج التربية الإسلامية بالمملكة العربية السعودية:

- التربية على مفهوم الوسطية.
  - التربية على الحوار وتقبل الخلاف.
  - المنهج الشرعي في التعامل مع الفتن.
  - تعزيز احترام العلماء واتباع أقوالهم.
  - التربية على التفكير الناقد.
- الفصل الرابع: تطبيقات تربوية وتعليمية في منهج التربية الإسلامية بالمملكة العربية السعودية تعزز في الحد من ظاهرة التكفير.
- الخاتمة.
- نتائج البحث.

## الفصل الأول

### إطار المفاهيم

### المبحث الأول

## السياسة التعليمية في المملكة العربية السعودية

لاشك أن مفهوم السياسة التعليمية في المملكة العربية السعودية كمرتكز هام يقودنا إلى معرفة الأسس، والمبادئ، والثوابت التي تبين المنطلقات الإسلامية التي تقوم عليها السياسة التعليمية في المملكة العربية السعودية، وقبل الحديث عن هذه المنطلقات في سياسة التعليم، نل من المهم أن أبين مفهوم السياسة التعليمية كمصطلح فهي " المرجع الأساسي لنظام التعليم في المملكة العربية السعودية واللجنة العليا لسياسة التعليم هي الجهة المسؤولة عن وضع السياسة الشاملة للتعليم ورسم السياسات والأهداف العامة"<sup>(١)</sup>.

فمفهوم السياسة التعليمية كما جاء في وثيقة سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية والتي تم اعتمادها بقرار مجلس الوزراء الموقر رقم ٧٧٩ في: ١٦-١٧ / ٩ / ١٣٨٩ هـ، كالتالي " السياسة التعليمية هي الخطوط العامة التي تقوم عليها عملية التربية والتعليم أداءً للواجب في تعريف الفرد بربه ودينه وإقامة سلوكه على شرعه، وتلبية لحاجات المجتمع، وتحقيقاً لأهداف الأمة، وهي تشمل حقول التعليم ومراحلها المختلفة، والخطط والمناهج، والوسائل

(١) موسوعة تاريخ التعليم في المملكة العربية السعودية في مائة عام (١/ ٢٠٨) د. محمد بن أحمد الرشيد، وآخرون الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ، وزارة التربية والتعليم، الرياض.

التربوية، والنظم الإدارية والأجهزة القائمة على التعليم، وسائر ما يتصل به<sup>(١)</sup>. فهذه الخطوط العامة هي التي تُمثّل المبادئ الأساسية لسياسة التعليم في المملكة العربية السعودية. والذي يتأمل هذا المفهوم الذي ورد في وثيقة سياسة التعليم - وكيف أنه يقوم على تعريف الفرد بربه ودينه وإقامة سلوكه على شرعه - لا يخفى عليه المبدأ الشرعي الأصل الذي قام عليه التعليم في المملكة العربية السعودية، وهذا ما أكدته أيضا الوثيقة بتقريرها أن " السياسة التعليمية في المملكة العربية السعودية تنبثق من الإسلام الذي تدين به الأمة عقيدة وعبادة وخلقاً وشرعية وحكماً ونظاماً متكاملًا للحياة"<sup>(٢)</sup>. وهذا يبين مدى الأصالة التي تقوم عليها هذه السياسة، ووضوح مرجعيتها، وثبات هويتها الإسلامية.

ومن يتأمل الأسس العامة التي يقوم عليها التعليم في المملكة العربية السعودية، وكذلك الأهداف الإسلامية العامة التي تحقق غاية التعليم - والتي بلغت أكثر من (٦٠) أساساً - يجد أن هذه الأسس أكدت على التصور الإسلامي الكامل للكون والإنسان والحياة، وكذلك استثمار المسلم طاقاته للحياة الأبدية في الدار الخالدة، والاهتداء برسالة محمد ﷺ، لتحقيق العزة في الدنيا، والسعادة في الدار الآخرة، مع التأكيد على كرامة الإنسان التي قررها القرآن الكريم، والثقة الكاملة بمقومات الأمة الإسلامية وأنها خير أمة أخرجت للناس.

هذه الأصالة، والتأكيد على الثوابت في سياسة التعليم لم تخلُ من المعاصرة ومواكبة التطور والتغير، فجاءت وثيقة السياسة التعليمية مؤكدة

(١) سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية ص ٥، من مطبوعات وزارة المعارف " سابقاً " الطبعة الرابعة، ١٤١٦ هـ، ١٩٩٥، الرياض.

(٢) مرجع سابق.

على الاستفادة من جميع أنواع المعارف الإنسانية النافعة على ضوء الإسلام؛ للنهوض بالأمة ورفع مستوى حياتها، كذلك التأكيد على أهمية التناسق المنسجم مع العلم والمنهجية التطبيقية (التقنية) باعتبارهما من أهم وسائل التنمية، " فنظام التعليم السعودي يربط بين الدين والتخلق بالأخلاق الفاضلة، ويعد الخلق الضامن القوي لكل من الفرد والمجتمع ضد عوامل الفساد والانحراف"<sup>(١)</sup>.

وقد جاءت وثيقة سياسة التعليم في (٢٣٦) أساساً واضحاً، تبين السياسة التعليمية الرشيدة التي تقوم عليها هذه البلاد المباركة، كما تبين التناسق الواضح بين الإيمان والعلم، والتفاعل الواعي مع التطورات الحضارية العالمية ومستجدات العصر.

ومن يتأمل هذه القواعد والمواثيق في السياسة التعليمية يتأكد له هذا النجاح والتميز في سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية، والتي ما زالت محافظة على الهوية الإسلامية، ومواكبة للتطور التقني.

(١) أخلاقيات مهنة التعليم العام، أ.د. حمدان بن أحمد الغامدي، ص٧، الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ مكتبة الرشد، الرياض.

## المبحث الثاني

### التربية الإسلامية كمادة تعليمية

تعتبر مواد التربية الإسلامية من أهم المرتكزات التربوية والتعليمية التي تقوم عليها سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية، وهذا واضح من خلال الأسس العامة التي تقوم عليها سياسة التعليم؛ فقد جاء في الأساس " الحادي عشر " أن العلوم الدينية أساسية في جميع سنوات التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي بفروعه، والثقافة الإسلامية مادة أساسية في جميع سنوات التعليم العالي<sup>(١)</sup>، فمواد التربية الإسلامية تُدرّس في جميع مراحل التعليم، كل مرحلة لها منهجها المستقل، سواء كان في تعليم البنين أم في تعليم البنات.

والمواد التي تدرس في المرحلة الابتدائية والمتوسطة والثانوية هي: - القرآن الكريم، والتفسير، التجويد، التوحيد، الفقه، الحديث، مع التمييز في خصائص كل مرحلة تعليمية فطلاب المرحلة الابتدائية مثلاً لا يدرسون مادة التفسير، إنما يدرسونها في المرحلة المتوسطة.

ومن الإضافات الرائعة التي قامت بها وزارة التربية والتعليم إضافة مادة السيرة النبوية - كمنهج مستقل في المرحلة الابتدائية، ابتداءً من الصف الرابع الابتدائي - يتم فيها دراسة شمائل النبي الكريم ﷺ، والتعرف على أخلاقه، وهذا يؤكد ما جاء في السياسة التعليمية بأن " المثل العليا التي جاء بها الإسلام لقيام حضارة إنسانية رشيدة بنّاء تهتدي برسالة - محمد ﷺ - لتحقيق العزّة في الدنيا والسعادة في الدار الآخرة"<sup>(٢)</sup>.

(١) سياسة التعليم / ٧.

(٢) سياسة التعليم / ٦.

هذا التمازج في التربية الإسلامية والتعليمية، كان له الأثر الأكبر في تحقيق الهدف المنشود من جعل مواد التربية الإسلامية، مادة تعليمية، وتحقيق الهدف السامي من تعليمها وهو " تحقيق النمو الشامل المتكامل المتزن للإنسان روحياً وجسماً وعقلياً، واجتماعياً وعاطفياً. والتربية الإسلامية بهذا المفهوم فريدة، فهي تربية تعمل على تنمية جميع جوانب الإنسان بخلاف أنواع التربية الأخرى، والتي تركز على جانب دون الجوانب الأخرى"<sup>(١)</sup>.

ولعل من أهم النتائج التي تحققها التربية الإسلامية تكوين العقل الإسلامي الراشد " فإن الهدف الأساسي من كل ما نتلقاه من تعليم وتدريب هو أن نحاول ترشيد أحكامنا العقلية، التي تستند إليها في كل القرارات التي نتخذها في جميع مجالات الحياة.

وهذا يعني أن على مناهج التربية والتعليم استهداف (تكوين العقل المثقف، وهو الذي اجتاز عدداً كبيراً من حالات التدريب على التفكير المستقيم)<sup>(٢)</sup>.

وكيف لا يكون هذا التوجيه والترشيد مطلوباً، وهو ينطلق من المبادئ والقيم السامية التي تحملها التربية الإسلامية، ويتعلمها الطالب منذ فكّه الحرف، ومعرفته الخط، وقدرته على صياغة العبارة، " ذلك أن مفهوم التربية الإسلامية يتضح في كونها أحد فروع علم التربية الذي يتميز في الغاية والمصدر، ويهتم ببناء وإعداد الشخصية المسلمة المتكاملة، ويقوم على نظام تربوي مستقل ومستمد من الأصول الشرعية الإسلامية، ويعتمد اعتماداً كبيراً على معرفة الواقع وظروفه، ولا بد له من متخصصين يجمعون بين علوم

(١) التربية الإسلامية، د. سليمان بن عبد الرحمن الحقييل، ص٦، الطبعة الثانية، ١٤١٦ هـ، بدون دار نشر، الرياض.

(٢) حول التربية والتعليم، د. عبد الكريم بكار، ص١٠٣، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ، دار المسلم للنشر والتوزيع، الرياض.

الشريعة وعلوم التربية، حتى تتم معالجة القضايا التربوية من خلال معالجة إسلامية صحيحة..<sup>(١)</sup>.

ولاشك أن التربية الإسلامية -كمادة تعليمية في جميع مراحل التعليم العام، بل وحتى التعليم الجامعي في المملكة العربية السعودية- تحقق هذا الاتزان والتميز، في شخصية الفرد، متى تم أداء مضمونها بالشكل الصحيح، والإخلاص والصدق في تقديمها.

(١) مقدمة في التربية الإسلامية، د. صالح بن علي أبو عراد، ص ١٥، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ، الدار الصولتية للتربية، الرياض.



## المبحث الثالث

### مفهوم التكفير في الشريعة الإسلامية

الكفر في اللغة: ستر الشيء، ووصف الليل بالكافر لستره الأشخاص<sup>(١)</sup>. ويراد بالكُفْرُ (بالضم) ضد الإيمان، وكافر: جاحد لنعم الله تعالى<sup>(٢)</sup>. فلذلك يكون معنى الكفر، نقيض الإيمان، وكفران النعمة، وستر الشيء، واستخدام الكفر مجازاً في عدة أشياء أظهرها الليل؛ لأنه يستر بظلامه كل شيء.

وفي الاصطلاح الشرعي جاء لفظ الكفر بمعنيين هما: كفر اعتقاد، وكفر عمل. قال ابن القيم رحمه الله: "الكفر نوعان، كفر عمل، وكفر جحود وعناد؛ فكفر الجحود أن يكفر بما علم أن الرسول جاء به من عند الله جحوداً وعناداً من أسماء الرب وصفاته وأفعاله وأحكامه، وهذا الكفر يضاعف الإيمان من كل وجه، وأما كفر العمل فينقسم إلى ما يضاعف الإيمان وإلى ما لا يضاعفه، فالسجود للصنم والاستهانة بالمصحف، وقتل النبي، وسبه، يضاعف الإيمان"<sup>(٣)</sup>.

وفي هذا الزمن تجرأ كثير من الناس على الكفر والتكفير، فتساهلوا في رمي الناس بالكفر، وتناولوا على هذا الحكم الشرعي العظيم.

ولذلك يتفق أهل العلم على أن التكفير حكم شرعي من أحكام الدين،

(١) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، مادة (كفر) دار القلم، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دمشق.

(٢) القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزبادي، فصل "الكاف" الطبعة السادسة، ١٤١٩هـ مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٣) الصلاة وحكم تاركها، للإمام ابن القيم الجوزية، ص ٧٢، المكتب الإسلامي، تحقيق تيسير زعتر، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ بيروت.

له أسبابه وضوابطه وشروطه وموانعه وآثاره، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله " وذلك لأن الكفر حكم شرعي، وإنما يثبت بالأدلة الشرعية"<sup>(١)</sup>. وعندما يقرر أهل العلم أن التكفير حكم شرعي فإنهم يريدون بذلك تعظيم قدره وبيان منزلته وتحريم القول فيه بغير علم، وذلك ما أكدته النصوص الشرعية التي عظمت التجرد على التكفير وحرمت القول فيه بغير علم.

ومن هذه النصوص: قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾<sup>(٢)</sup>.

وكذلك قول الرسول الكريم، ﷺ: (إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما"<sup>(٣)</sup>) ولذا قال الإمام ابن دقيق العيد في (إحكام الأحكام): "وهذا وعيد عظيم لمن كفر أحداً من المسلمين وليس كذلك.. وهي ورطة عظيمة، وقع فيها خلق كثير من المتكلمين ومن المنسوبين إلى السنة وأهل الحديث، لما اختلفوا في العقائد فغلظوا على مخالفيهم وحكموا بكفرهم، وخرق حجاب الهيبة في ذلك جماعة من الحشوية، وهذا الوعيد لاحق بهم، إذا لم يكن خصومهم كذلك"<sup>(٤)</sup>.

(١) مجموعة فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٨/١٧)، جمع وترتيب الشيخ عبد الرحمن بن قاسم، دار عالم الكتب، ١٤١٢هـ. الرياض.

(٢) النساء / ٩٤.

(٣) رواه البخاري كتاب الأدب، باب من كفر أخاه بغير تأويل (٦١٠٣)، ورواه مسلم كتاب الإيمان، باب حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر. (٢١٧).

(٤) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، للإمام تقي الدين ابن دقيق العيد، (٧٦/٤) تحقيق محمد حامد الفقي، مكتبة السنة المحمدية.

ولعظم هذا الباب وخطره، صنف العلماء فيه المصنفات، وقعدوا القواعد، ووضعوا الضوابط التي تمنع من الوقوع في الخطأ في التكفير، فجعلوا هناك شروطاً وموانع، وفرقوا في التكفير المطلق، والمعين، وصاغوا موانع تمنع في الحكم بالتكفير على الأعيان حتى يستوفي شروط ذلك، وهذا كله من باب الاحتراز من التجرؤ على تكفير الناس بغير علم، وأجزم أن هذا المبحث سينال حظه من البحث والتصنيف والتعديد في ثنايا جلسات هذا المؤتمر المبارك<sup>(١)</sup>.

(١) للاستزادة في هذا المبحث انظر إلى منهاج السنة (٤/٥٠٥)، فتح الباري (١٠ / ٤٦٦)، فتاوى شيخ الإسلام (١٢/٤٧٨) مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، شرح لمعة الاعتقاد، القواعد المثلى للشيخ ابن عثيمين، نواقض الإيمان القولية والعلمية، لعبد العزيز ال عبد اللطيف، نواقض الإيمان الاعتقادية، وضوابط التكفير د. محمد الوهيبي، ضوابط التكفير، د.عبد الله القرني.

## الفصل الثاني

### الصفات التربوية والتعليمية لمعلمي التربية الإسلامية في المرحلة الثانوية

#### المبحث الأول

### الصفات السلوكية والتربوية لمعلمي التربية الإسلامية في المرحلة الثانوية

إن الكفاءة لمعلمي التربية الإسلامية لها الأثر الكبير في تحقيق التعليم لغاياته السامية، ومقاصده الواضحة، فقدرة المعلم على إبراز المناهج التعليمية بأسلوب مناسب وبتطبيقات أخلاقية عملية.. يزيد من القبول والتأثير لدى المتعلمين ذلك أن التأهيل الأخلاقي، والسلوكي، من أهم المقومات والأسس، التي ينبغي أن يتحلى بها العاملون، فهو مع كونه مبدأً تربوياً وسلوكياً، فهو قبل ذلك مبدأً شرعياً أصيلاً؛ لذلك جاء عن النبي - ﷺ - قوله: " إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق"<sup>(١)</sup>.

ذلك أن اتصاف معلم التربية الإسلامية بحسن الخلق، جاذب للمتعلم، ومقرب لتقبل المعلومة، وكذلك سوء الخلق وبعده عن مكارم الخلاق صارف عنه، ومبعد لكثير من المتعلمين عن الاستفادة من توجيهه وعلمه، لذلك جاء في قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (٢٠٧) وصححه الألباني (٤٥)، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، دار الصديق، الجبيل.

فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١﴾.

وهذا بيانٌ لهدي النبي - ﷺ - وكسبه من حوله برفقه، ولينه، وتركه، للفظاظلة؛ مما جعل من حوله يتقربون منه، ويجتمعون حوله. قال ابن كثير: "أي لو كنت سيء الكلام قاسي القلب عليهم لانفضوا عنك وتركوك، ولكن الله جمعهم عليك، وآلان جانبك لهم تأليفاً لقلوبهم" (٢). ولاشك أن الحديث بالتفصيل عن الصفات السلوكية لمعلمي التربية الإسلامية بالتفصيل له مكانه وزمانه، وإنما مقصدنا في هذا المبحث المرور على أبرز الصفات السلوكية، والقصد هو الاختصار وعدم الإطالة، فمن أبرز الصفات:

١- **القدوة الحسنة:** وهذه الصفة من أبرز الصفات والسلوكيات التي ينبغي أن يتحلى بها معلم التربية الإسلامية، ذلك أن قوة التأثير تخضع لقوة التطبيق والعمل، فمخالفة القول للعمل نذير بأن تولد لدى المتعلم اضطراباً سلوكياً وأخلاقياً. وقد حث الإسلام، وأكد على أهمية هذا الأسلوب، ومنه الاقتداء بشخصية النبي محمد - ﷺ - كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (٣). والنبي - عليه الصلاة والسلام - كان قدوة للخلق بسيرته، وحسن خلقه، وأسوة لأمته بأخلاقه وأفعاله وأحواله، فكان لهذا الأمر الأثر الشديد على الصحابة أنفسهم، كما ذكروا ذلك رضي الله عنهم، فقد ذكر

(١) آل عمران / ١٥٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم / أبي الفداء إسماعيل بن عمر (ابن كثير)، (٤٣١)، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، دار ابن حزم، بيروت.

(٣) الأحزاب / ٢١.

عمرو بن العاص - رضي الله عنه - انه عندما بعثه النبي - ﷺ - لدعوة الصحابي "الجلندي ملك عُمان" فقال له: "فقد دلني على هذا النبي الأُمي أنه لا يأمر بخير إلا كان أول آخذٍ به، ولا ينهى عن شر إلا كان أول تاركٍ له، وأنه يَغلبُ فلا يبطر، ويُغلبُ فلا يهجر"<sup>(١)</sup>.

ولاشك أن هذه العبارة واضحة في بيان مدى تأثر الصحابة بأفعال النبي - ﷺ - والتي كانت دائماً موافقة لأقواله ﷺ.

٢- **الحوار:** فالحوار من أهم الأساليب التي ينبغي على المربي أن يتصف بها، فهو طريق أصيل في بيان الخطأ وكشفه، وتصحيح المفاهيم. وتطبيقات الحوار في كتاب الله وسنة نبيه الكريم كثيرة، وآثارها ظاهرة.

٣- **الرفق واللين:** وهما من أهم صفات معلم التربية الإسلامية؛ ذلك أنهما جزء وصورة تطبيقية لما يحمله معلم التربية الإسلامية من مبادئ ومثل، والرفق واللين هما تمامٌ للعلم، وكمالٌ له. قال رسول الله ﷺ: "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه"<sup>(٢)</sup>.

٤- **الصبر:** وهو تمام سلوك المعلم وصفاته الحسنة، ذلك أن تعامله مع سلوك طلابه، وتوجيههم والحوار معهم وإضافة إلى ظروف مهنته، وغيرها من المواقف كلها تحتاج من معلم التربية الإسلامية أن يتحلى بالصبر. وهذه الصفات ما هي إلا جزء من صفات أخرى كثيرة، ينبغي أن يتحلى بها معلم التربية الإسلامية، حتى يوصل رسالته، ويحقق المقاصد العظيمة للتربية الإسلامية، والتي تسعى لبناء الإنسان النافع لدينه ووطنه.

(١) الإصابة في تمييز الصحابة للإمام ابن حجر العسقلاني ١ / ٢٩٩، تحقيق خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ، بيروت.

(٢) رواه مسلم، كتاب البر والصلة، باب فضل الرفق (٢٥٩٤).

## المبحث الثاني

### الصفات العلمية والمهنية لمعلمي التربية الإسلامية في المرحلة الثانوية

لاشك أن الذي يقع على معلمي التربية الإسلامية دورٌ كبيرٌ، سواء كان ذلك في تصحيح المفاهيم، أو في غرس القواعد العلمية والسلوكية الصحيحة، ومع أهمية الصفات السلوكية والتربوية لمعلمي التربية الإسلامية، وأثرها الكبير في العملية التعليمية. إلا أنها وحدها، ليست كافية في تكوين الفرد الكامل، خاصة وأن الصفات السلوكية لمعلم التربية الإسلامية يجب أن تتوافق معها صفات علمية ومهنية حتى يستطيع أن يُنشئ أفراداً يملكون أرقى مستويات التفكير " لأجل ذلك كان من واجب كل داعٍ إلى التعليم، أن يوضح لطالبيه الغايات التي يحصلونها من مزاوله التعليم، سواءً كانت غاية دنيوية أو أخروية.. فالتعليم الصحيح إذاً يرمي إلى إنشاء أرقى أصناف الناس من كل من تمرس بالأشغال والأعمال"<sup>(١)</sup>.

#### ولعلي اختصر أهم الصفات في النقاط الآتية:

١- **الكفاءة العلمية:** إن من أهم وأبرز صفات معلم التربية الإسلامية الكفاءة العلمية، والتي تؤهله إلى بيان الحقيقة الشرعية بوضوح، والقدرة على استيعاب الإشكالات العلمية المتجددة، وربطها بالأصول الشرعية، وقدرة المعلم على الإجابة عن تساؤلات وإشكالات المتعلمين والتي تصدر منهم في هذه المرحلة؛ ذلك أن عدم الكفاءة والكفاية العلمية كانت سبباً واضحاً لبناء أفكار وأحكام خاطئتين. وتكمن أهمية الكفاءة

(١) أليس الصبح بقريب، محمد الطاهر بن عاشور، ص ١٥ / ١٧ (بتصرف) الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ، دار سحنون، تونس.

العلمية في قدرة معلم التربية الإسلامية على بيان المسائل المتشابهة والمشكلة وتوضيحها؛ فلذلك ينبغي على المعلم أن يملك قدرًا مناسباً من المعرفة بآراء العلماء وفهمهم الصحيح للنصوص، "فهو ينظر إلى النص الشرعي من حديث أو غيره ليست نظرة انفرادية أو استجزائية، بل نظرة شمولية، تتعامل مع النص في إطار القواعد العامة والنصوص الأخرى التي قد تكون معارضة، وقد تكون موافقة، وقد تكون مخصصة، أو مقيدة أو ناسخة.. إلى غير ذلك من الترابط النسبي بين النصوص.." (١)

لذلك لن يكون لمعلم التربية الإسلامية الأثر الكبير في تقويم الآراء والأفكار، وهو يفتقر إلى الكفاءة العلمية المقنعة، والتي تجعل الأفراد المتعلمين مستفيدين ومتأثرين من زاده العلمي والمعرفي.

٢- **تحمل المسؤولية:** إن امتلاك معلم التربية الإسلامية مبدأ "تحمل المسؤولية كمبدأ مهني علمي، يجعل معلم التربية الإسلامية حريصاً على أداء رسالته العلمية والتربوية بشكل متميز، كذلك وجود هذا المبدأ لدى المعلم يجعله متحرياً لعباراته، وأفكاره، وانضباطه، وكم من معلم، يملك كماً علمياً، وكفاءة من الناحية العلمية ولكنه يفتقر إلى استشعار "الأمانة المهنية، والمسؤولية العلمية، فلا تتم الاستفادة من كفاءته بالشكل المطلوب، بل قد يكون دوره سلبياً سواء استشعر ذلك أم لم يستشعر!

٣- **معرفة المؤشرات السلوكية:** فقدره المعلم على معرفة المؤشرات السلوكية للمتعلمين - من حيث أثر هذه المؤشرات ومآلات هذه الصفات - يجعل منه خبيراً في معرفة الخلل، وقادراً على تفسير هذه المؤشرات تفسيراً

(١) الإجهاد بين مسوغات الانقطاع وضوابط الاستمرار ص ٧١، د. محمد الأمين بن الشيخ ولد سالم، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ، دار البحوث للدراسات الإسلامية بدبي.



علمياً صحيحاً وكما قيل:

أرى خلل الرماد وميض جمرٍ فيوشك أن يكون له ضرام  
فإن النار بالعودين تذكى وإن الحرب أولها الكلام<sup>(١)</sup>

لذلك قد يظهر على الفرد المتعلم بعض السلوكيات التي تكون مؤشراً لأفكار منحرفة، أو بدايات للوقوع في ممارسات شرعية خاطئة؛ فقد يظهر على الفرد - مثلاً - سلوك العزلة، وعدم مخالطة الناس، تحت تبريرات شرعية معينة، أو قد يكون لدى الفرد المتعلم تعاطف وتأييد للأعمال الإرهابية ومدافعة عن أصحابها، وقد توجد عنده مظاهر سلوكية أعمق وأدق من هذه المظاهر.

ولم أرد أن أحصر تلك المؤشرات، إنما ذكرتها على سبيل التمثيل، والمقصود هو بيان أهمية معرفة المؤشرات السلوكية؛ حتى يتم وضع العلاج المناسب، ورفع القدرة على تفسيرها والتفسير الصحيح.

## المبحث الثالث

### استبعاد وإعادة تأهيل العاملين في المؤسسات التربوية والتعليمية

إن وجود من يحملون الأفكار المنحرفة داخل المؤسسات التربوية والتعليمية بالمملكة العربية السعودية، وممارستهم لأفكارهم، وعرضهم لها، هو خلل كبير؛ ذلك أنه يؤدي إلى ضياع الجهود المبذولة، سواء من الدولة أو من نفس المؤسسة التي ينتمي إليها هذا العامل، فوجود مثل هؤلاء العاملين هو فجوة كبيرة بين النظرية والتطبيق يؤدي إلى ضياع الجهود بل إلى هدمها، فالعامل صاحب الاتجاه الفكري المنحرف، هو عامل غير صالح لخوض غمار التأثير الفكري والتوجيه الصحيح في الميدان التعليمي والتربوي.

إن المعلم صاحب الاتجاه الفكري المنحرف، له من الأدوار السلبية والعكسية في صفوف الميدان التربوي الشيء الكثير، وضرره أكثر بمراحل من النفع الذي يترتب على وجوده، إن كان له ذلك.

إن وجود مثل هؤلاء داخل المؤسسات التربوية والتعليمية، هو تأخير للإصلاح داخل هذه المؤسسات، وعائق عن ممارستها لأدوارها الحقيقية، وتشتيت لجهودها؛ فلذلك يعد استبعاد هؤلاء وإبعادهم عن التأثير السلبي داخل المؤسسات أمراً مهماً للأمن الفكري والسلامة للمكونات الفكرية. فكما استبعد الفقهاء من لا عهد له ولا أمانة من الانتظام في صف المجاهدين<sup>(١)</sup>

(١) ذكر القرطبي المسألة في تفسيره في معرض حديثه عن الفادر وهل له أن يجاهد مع الإمام، القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ٢٣/٨، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

فكذلك في ميدان التربية والتعليم من لا أمانة له ولا أمان في أفكاره وولائه الشرعي والوطني حرياً أن يؤهل أو يبعد ، ويستبدل بالقوي الأمين؛ فلذلك أحسنت وزارة التربية والتعليم بإقرار " نقل المعلمين المنحرفين فكرياً وسلوكياً إلى وظائف غير تعليمية " وقد تم العمل على هذا القرار بالتنسيق مع وزارة الخدمة المدنية والتي أصدرت قراراً برقم (١ / ١٠٩٧)، في ١٢/٩/١٤٢٦هـ، يجيز النقل لأسباب متعلقة بالمصلحة العامة، مثل القضايا الأمنية<sup>(١)</sup>.

ولا شك أن استبعاد مثل هؤلاء مطابق تماماً للمصلحة العامة داخل المؤسسات التربوية والتعليمية، ومن ثمَّ يتم بعد ذلك إعادة تأهيل الصالح من هؤلاء للعمل داخل المؤسسات التربوية والتعليمية، أو استبعاده إلى وظائف أخرى، وذلك كله من خلال اللجان المختصة.

إن مبدأ الحذر ورفع مستوى العاملين داخل المؤسسات التربوية والتعليمية، والحرص على مدى كفاءتهم، وسلامة أفكارهم، من أهم الركائز التي ينبغي الحرص عليها داخل المؤسسات التربوية والتعليمية؛ فمبدأ صفاء الأفكار وسلامتها من الانحرافات الفكرية من أهم الصفات التي ينبغي توفرها للعاملين في المؤسسات التربوية والتعليمية، فكيف يتم البناء إذا كنت تبني وغيرك يهدم!

## الفصل الثالث

### قواعد تربوية وتعليمية في الحد من ظاهرة التكفير من خلال مناهج التربية الإسلامية

مناهج التربية الإسلامية في المرحلة الثانوية بالمملكة العربية السعودية، لها الأثر الكبير في تشكيل عقلية الفرد المتعلم داخل المؤسسات التعليمية؛ لأن الفرد يتلقى في هذه المناهج الرؤية الشرعية الصحيحة، بل إنه يتمثل ما في هذه المناهج من رؤى وسلوكيات، ومواقف شرعية لكثير من المسائل المعاصرة التي يواجهها في حياته، والأصل أنه يجد في مناهج التربية الإسلامية، جواباً لكثير من التساؤلات الفكرية والشرعية.

لذلك سأقوم في هذا المبحث بعرض تطبيقات تربوية وتعليمية منتقاة، أعرض فيها محتوى مناهج التربية الإسلامية من خلال قواعد تربوية وتعليمية، وهذه القواعد الجامع فيما بينها أن لها دوراً كبيراً في الحد من اعتناق ظاهرة التكفير، وعدم التأثير بما يبثه أصحاب هذا الفكر، بل إن هذه القواعد لها أثر غير مباشر في تنمية الحس النقدي، والالتزان الشرعي، لدى الفرد المتعلم.

#### وهذه القواعد هي كالاتي:

- التربية على مفهوم الوسطية.
- التربية على الحوار وتقبل الخلاف.
- المنهج الشرعي في التعامل مع الفتن.
- تعزيز احترام العلماء وإتباع أقوالهم.
- التربية على التفكير الناقد.

وقد راعيت في عرض هذه التطبيقات منهج التتبع والاستقراء لمناهج التربية الإسلامية للمرحلة الثانوية خاصةً، لحساسية هذه المرحلة، ولما لها من أثر كبير في تشكيل عقلية الفرد والتأثير في منطلقاته الفكرية. وسوف تكون طريقة العرض ببيان مقدمة موجزة عن أهمية هذه القاعدة وأثرها في الحد من ظاهرة التكفير، ومن ثمَّ يتم وضع جدول تفصيلي، فيه عرض القاعدة والتطبيقات المستخرجة منها بالشكل الآتي: تطبيقات على قاعدة.....

المادة	المرحلة	عنوان الدرس	رقم الصفحة	التطبيق المستخرج من القاعدة
--------	---------	-------------	------------	-----------------------------

## القاعدة الأولى

### التربية على مفهوم الوسطية

تعد الوسطية خاصية من خصائص هذه الأمة المباركة، فتميز هذه الأمة بأنها وسط بين الأمم والفرق والمذاهب، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾<sup>(١)</sup>.

قال ابن كثير "والوسط هنا، الخيار الأجود" ثم قال: "ولما جعل الله سبحانه وتعالى هذه الأمة وسطاً خصها بأكمل الشرائع وأقوم المناهج، وأوضح المذاهب"<sup>(٢)</sup>.

ولاشك أن الحديث عن مفهوم الوسطية يطول ويتشعب، لكن ما يهمنا هو أهمية الوسطية كصفة وخصلة يتم تربية الأفراد في المؤسسات التربوية والتعليمية عليها؛ لأن تربية الفرد على مفهوم الوسطية في جميع مناحي حياته، بدءاً من الاعتقادات والعبادات، مروراً بالأخلاق والسلوكيات والمعاملات يعد من القواعد الثابتة التي تقي الفرد بإذن الله من الانحراف والشطط في أعماله وأقواله.

ومما يجدر التنبيه له أن الجانب النظري في الوسطية، جانب مقبول، وفيه نوع من السهولة واليسر لكن المهم هو تطبيق الوسطية في شئون الحياة ومستجداتها، وهذا الذي يظهر في تطبيقات الوسطية في مناهج التربية الإسلامية في المرحلة الثانوية، وكذلك من الأمور المهمة أن لا يظن الشباب أن

(١) البقرة / ١٤٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم، (٢١٧).

الدعوة إلى الوسطية هي دعوة إلى الضعف، والتوسع في المباحات، والبحث عن الأعذار والتبريرات، وهذا لا ريب تصور خاطئ لمفهوم الوسطية. ومما ينبغي ترسيخه في الذهن، أن الوسطية من خصائص الشريعة الإسلامية، لذلك قال الشاطبي: "الشريعة جارية في التكليف بمقتضاها على طريق الوسط الأعدل، الأخذ بالطرفين بقسط لا ميل فيه" إلى أن قال: "فإن كان التشريع؛ لأجل انحراف المكلف، أو وجود مظنة انحرافه عن الوسط إلى أحد الطرفين، كان التشريع رداً إلى الوسط الأعدل"<sup>(١)</sup>.

(١) الموافقات في أصول الشريعة ٢ / ١٢٤، إبراهيم بن موسى الشاطبي، بدون تاريخ طبعة، دار الكتب العلمية، بيروت.

## القاعدة الأولى : التربية على مفهوم الوسطية

المادة	المرحلة	عنوان الدرس	رقم الصفحة	التطبيق المستخرج
التوحيد	١/ث	الانحراف عن العقيدة السليمة	١٥	السبب الثالث من أسباب الانحراف عن العقيدة: الغلو بأنواعه
التوحيد	١/ث	مفاهيم خاطئة عن العبادة	٦٦	هناك فئتان من الناس على طريقتين نقيضتين في أمر العبادة فئتان قصرت في مفهوم العبادة، وفئتان تشددت.
الفقه	١/ث	الإرهاب	١٤٠	القيم الإسلامية والإرهاب والوسطية
الحديث	٢/ث	من خصائص الشريعة	٥٩	العدل والتوازن والتوسط مع بيان مفهوم الوسطية
تفسير	٢/ث	الدرس الثالث	٩٦	من هداية الله لهذه الأمة وإكرامها أن جعلها أمة وسطاً عدلاً حياداً
الحديث	٢/ث	المال في الإسلام	٨٥	نشأط: أوجد علاقة بين هذه الأنظمة (المالية) وكل من التطرف والاعتدال
التوحيد	٢/ث	الوحدة السابعة: الركن السادس الإيمان بالقدر	١٣٣	بنهاية درس الوحدة يتحقق للطالب الأهداف الآتية: يومنها يستتبط وسطية أهل السنة والجماعة في باب القدر
التوحيد	٣/ث	الفتن	١٢٥	أسباب فتن الشبهات الغلو والتقصير، فإن من أكبر أسباب الوقوع في الفتن الغلو في الدين

مؤتمر ظاهرة التكفير .. الأسباب .. الآثار .. العلاج



## القاعدة الثانية

### التربية على الحوار وتقبل الخلاف

الحوار من المحاوررة، وتجاوزوا: أي تراجعوا الكلام بينهم<sup>(١)</sup> أما الحوار اصطلاحاً فعُرِّفَ بتعريفات كثيرة، من هذه التعريفات: أن الحوار هو المراجعة في الكلام، وهو التجاوب بما يقتضي ذلك من رحابة الصدر، وسماحة النفس، ورجاحة العقل، وبما يتطلبه من ثقة ويقين وثبات، وبما يرمز إليه من القدرة على التكيف، والتجاوب، والتفاعل، والتعامل المتحضر الراقي مع الأفكار والآراء جميعاً<sup>(٢)</sup>. وقد فرق بعضهم بين الحوار والجدل، والبعض وافق بينهما، وليس هناك مجال لعرض آراء العلماء وتفريقهم بين الحوار والجدل، وإن كان الغالب في الجدل أنه يأتي في سياق عدم الجدوى، والحوار الذي لا فائدة مرجوة منه.

إن تعلم الأفراد في المؤسسات التربوية، والتعليمية للحوار، وممارسته في ضوء آدابه الهامة يسهم في نجاحه. ومن هذه الآداب: حسن الاستماع، والاحترام المتبادل بين الطرفين المتحاورين، والأمانة في نقل الحوار ومصداقيته، فهذه القواعد وغيرها من أهم القواعد التي تجعل الفرد يتقبل أن يناقش في أفكاره التكفيرية، وأن يتراجع عن حكمه بتكفير أشخاص أو جماعات، وذلك متى جلس على مائدة الحوار والنقاش، وتعامل مع أخطائه بموضوعية وإنصاف. إن من يتربى على مبدأ الحوار سيتقبل المخالف، بل سيستمع إليه، ويتأثر به، ويتنازل عن أخطائه؛ فالحوار مبدأ هام من مبادئ زرع الاعتدال في نفوس

(١) القاموس المحيط، مرجع سابق، مادة "الحوار" فصل الحاء.

(٢) الحوار من أجل التعايش، ص ١٣، د. عبد العزيز بن عثمان التويجري، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، دار الشروق، القاهرة.

الأفراد؛ ذلك أنه يجعل أفكاره وأحكامه الخاطئة قابلة للتصحيح والتغيير والتوجيه. وإن لمناهج التربية الإسلامية وتطبيقاتها دور كبير في تأسيس ثقافة الحوار المثمر، وتقبل الخلاف، ونتيجة ذلك التراجع عن الأخطاء، بخلاف بعض المحاورات وجلسات الحوار غير المثمرة، التي تؤدي إلى تقبل الخلاف، والزيادة في التشبث بالأفكار، ورفع مستوى الاحتقان وزيادة التوتر. ولا شك أن المطلوب هو ذلك الحوار المنضبط بأداب الحوار ومقاصده السامية، وذلك يتكون من خلال قاعة الدرس والتعليم، واستغلال التطبيقات التربوية والتعليمية واستثمارها في ثقافة الحوار، وتميمته داخل المؤسسات التربوية والتعليمية، وبالتالي داخل المجتمع.

### تطبيقات على القاعدة الثانية: التربية على مفهوم الحوار وتقبل الخلاف

المادة	المرحلة	عنوان الدرس	رقم الصفحة	التطبيق المستخرج
تفسير	١/ث	الدرس العاشر	٥٥	نشاط الحوار والموعظة الحسنة من أساليب الدعوة إلى الله ناقش صفات المحاور
تفسير	١/ث	الدرس الثامن	١٠٦	لو وقع قتال بين جماعتين من المسلمين، فالواجب السعي في الإصلاح بينهما.
تفسير	١/ث	الدرس الثامن	١٠٦	حدث خلاف بين جماعتين داخل المدرسة وطلب منك المعلم أن تحل الخلاف.
الحديث	١/ث	الحديث السابع	٩٤	الجدال وسيلة للوصول لتقريب وجهات النظر.
تفسير	٢/ث	جمع القرآن وتدوينه	٢٢، ٢٣	اختلاف الناس في القراءة، اختلاف الناس في ترتيب السور.
تفسير	٢/ث	الدرس التاسع	١٢٢	نشاط فردي: وضع المقصود بالحوار، المحاجة و المجادلة، وما أهم صفات المحاور؟ وكيف يحاور؟
فقه	٣/ث	أسباب خلاف العلماء	٢٠	ما أسباب خلاف العلماء؟ ما الموقف من خلاف العلماء؟

## القاعدة الثالثة

### المنهج الشرعي في التعامل مع الفتن

إن الحديث عن الفتن وارتقائها، وطريقة التعامل معها، له مجاله العلمي والشرعي، فالآيات والأحاديث التي تحدثت عن الفتن وكيفية التعامل معها كثيرة ومعلومة في كتاب الله وسنة رسوله الكريم، قال سبحانه وتعالى: ﴿الم، أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

وكذلك قول الرسول ﷺ: "ستكون فتن" القاعدُ فيها خيرٌ من القائم، والقائمُ فيها خيرٌ من الماشي، والماشي فيها خيرٌ من الساعي، ومن تشرف لها تستشرفه، ومن وجد ملجأً أو معاذاً فليعُدْ به" (1).

وقد كان علماء السلف - رحمهم الله - عندما يصنفون كتب السنة يصنفون كتاباً مستقلاً يسمونه باب أو كتاب الفتن، بل إن الفقهاء يتطرقون في مسائلهم الفقهية إلى بعض الأحكام الخاصة عند الفتن، كبيع السلاح، وغيره عند الفتن.

ولذلك حري بالمؤسسات التربوية والتعليمية أن تؤسس لدى المتعلمين المنهجية الصحيحة في التعامل مع الفتن، والمبنية على كتاب الله وسنة نبيه الكريم. ومن هنا كانت مناهج التربية الإسلامية في المرحلة الثانوية مرشدة ومبينة لمنهج التعامل مع الفتن، سواءً من خلال الدروس التي بينت أسباب الفتن، أو تلك الدروس التي بينت موقف المسلم منها، وكيف يتعامل المسلم معها، فدور معلم التربية الإسلامية في مثل هذه المواضيع هو بيان التعامل الصحيح في

(1) رواه البخاري (٢٤٠٦).

عرض هذه المواضيع، وتفعيل الأنشطة والتطبيقات المعاصرة، واستيعابها، وهذا ما تساعد عليه مناهج التربية الإسلامية في المرحلة الثانوية، كما يتبين معنا في الجدول الآتي.

### القاعدة الثالثة: المنهج الشرعي في التعامل مع الفتن

المادة	المرحلة	عنوان الدرس	رقم الصفحة	التطبيق المستخرج
توحيد	٣/ث/ش	الفتن	١٢٤	أسباب فتن الشبهات، الهوى، الغلو، المتشابه، الجهل، الفتوى بغير علم وأخذ العلم من غير أهله
توحيد	٣/ث/ش	الفتن	١٢٦	موقف المسلم من الفتن: ١- التعوذ من الفتن، ٢- التمسك بالكتاب والسنة ٣- لزوم جماعة المسلمين
توحيد	٣/ث/ش	الفتن	١٢٧	٤- الرجوع إلى العلماء الراسخين ٥- ترك السعي في الفتن
توحيد	٣/ث/ش	الفتن	١٢٩	نشاط: بالرجوع إلى صحيح البخاري وصحيح مسلم، كتاب الفتن، يجمع كل طالب ٣ أحاديث غير ما مر معه في الكتاب.
توحيد	٣/ث/ش	الفتن	١٢٩	نشاط: ذكر الله سبحانه وتعالى عقوبة تفرق الأمة إلى شيع وأحزاب سجل في كتابك الآية التي ورد فيها ذلك ورقمها
تفسير	٣/ث/ش	تفسير سورة الأنفال من الآية ٢٠-٢٥	١٠٣	أهداف الدرس: أن يحذر الطالب من الفتن الخاصة والعامة.
تفسير	٣/ث/ش	تفسير سورة الأنفال من (٢٠-٢٥)	١٠٨	التقويم: أذكر أمثلة لما يتعرض له المؤمن من الفتن في حياته.
تفسير	٣/ث	تفسير سورة التوبة ١٦-٤٩	١٢٤	من أهداف الدرس: أن يحذر الطالب من إثارة الفتن والدخول فيها

## القاعدة الرابعة

### تعزيز احترام العلماء واتباع قولهم

إن فضل العلماء عظيم، وقدرهم كبير في الشريعة الإسلامية، فهم ورثة الأنبياء، وهم الذين يرفع الله درجاتهم في الدنيا والآخرة، قال سبحانه وتعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾<sup>(١)</sup>، وقال سبحانه وتعالى في بيان فضل العلماء وقدرهم: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾<sup>(٢)</sup>.

ولاشك أن للعلماء دوراً كبيراً في هداية الناس، وبيان الحق، وهذا ظاهر على مدار التاريخ، والوقائع والأحداث في ذلك مشهورة ومعلومة. وما يحتاجه المتعلمون في المرحلة الثانوية، هو معرفة قدر العلماء وفضلهم، وأن أقوالهم مستمدة من الكتاب والسنة، وأقوال السلف الصالح، وهذا ما كان ظاهراً جلياً في التطبيقات والأمثلة التي وردت في مناهج التربية الإسلامية للمرحلة الثانوية. فلامست الأمثلة حاجات الشباب في بيان محبة العلماء، وتقدير جهودهم، والتأدب معهم، فكانت هناك بعض الأمثلة والقواعد التطبيقية العلمية والعملية، كزيارة العلماء والاحتكاك بهم، وكذلك البحث في سيرهم وجهودهم، وكتابة بحوث ومقالات عن بعض العلماء وأثرهم.

(١) المجادلة / ١١.

(٢) فاطر / ٢٨.

ومن يتأمل واقع كثير من الشباب الذين انحرفوا ووقعوا في "متهات" التكفير والتفجير يجد أن من أسباب الخلل الذي وقعوا فيه هو استبعادهم للعلماء ولأقوالهم، وعدم الأخذ برأيهم، فقادهم الهوى والجهل إلى الوقوع في كثير من المخالفات الشرعية التي قادتهم إلى الفساد والإفساد. وأجد أن التطبيقات في مناهج التربية الإسلامية زاخرة بالأمثلة والفوائد، ولكنها تحتاج إلى المعلم الواعي الذي يربط هذه القواعد والنماذج بالواقع، حتى يستفيد منها المتعلمون بشكل مناسب.

## القاعدة الرابعة : تعزيز احترام العلماء واتباع أقوالهم

المادة	المرحلة	عنوان الدرس	رقم الصفحة	التطبيق المستخرج
فقه	٣/ث/ش	الموقف من خلاف العلماء	٢٠-٢٣	يجب احترام العلماء واجلالهم، المخطئ منهم والمصيب
التوحيد	٣/ث/ش	النهي عن سب الصحابة وأئمة الهدى	١١٩	توقير أئمة الهدى من علماء هذه الأمة والنهي عن سبهم
التوحيد	٣/ث/ش	النهي عن سب الصحابة وأئمة الهدى	١٢٠	نشاط: يقوم المعلم مع طلابه بزيارة أحد العلماء والاستفادة من علمه
التوحيد	٣/ث/ش	النهي عن سب الصحابة وأئمة الهدى		التقويم: يحط بعض الناس من قدر العلماء أو بعضهم، فبم توجهه؟
التوحيد	١/ث	الإنحراف عن العقيدة السليمة	٢٠	نماذج من جهود أئمة السنة وأعلام الهدى في بيان العقيدة الصحيحة والدفاع عنها.
التوحيد	١/ث	الإنحراف عن العقيدة السليمة	٢٢	نشاط جماعي: يقسم المعلم طلابه إلى أربع مجموعات كل مجموعة تبحث عن ترجمة موجزة لبعض الذين نصرروا السنة والدعوة إلى الحق ومنهج دعوتهم وثمار ذلك.
التوحيد	١/ث	الإنحراف عن العقيدة السليمة	٢٣	ما أبرز ثمار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وهل تلمس ذلك في حياتك الخاصة؟
الحديث	١/ث	العلم	٧٥	-محبة العلماء، وتقدير جهودهم - التأدب مع المعلم
الحديث	١/ث	العلم	٧٦	نشاط: اذكر صوراً حسنة من احترامهم والقيام بحقوقهم وصوراً سلبية.
تفسير	٣/ث	سورة النساء	١٣	الفوائد: وجوب طاعة ولاة الأمر، وهم الولاة والعلماء؛ وذلك لما في طاعتهم من الاجتماع والائتلاف وما في عصيانهم من الفوضى والاختلاف.

## القاعدة الخامسة التربية على التفكير الناقد

تعتبر مهارة التفكير الناقد من المهارات الهامة في تمييز الحقائق والوصول إلى الصواب وهي من أهم مهارات التفكير العليا، ذلك أن التفكير الناقد عملية عقلية مركبة، ومن أهم خصائصها وفوائدها، أنها تقوم على فحص الحقائق وتشتمل على تصحيح المسائل والمواقف، وقد نال مفهوم " التفكير الناقد " اهتمام التربويين والمفكرين، الذين صنفوا وبحثوا في مجال ما يسمى بـ " دمج مهارات التفكير في التعليم " لذلك عُرِّف التفكير الناقد بتعريفات كثيرة ومتقاربة في مضامينها، ومنها، أن التفكير الناقد هو "فحص وتقييم الحلول المعروضة"، وعُرِّف بأنه: حل المشكلات، أو التحقق من الشيء وتقييمه بالاستناد إلى معايير متفق عليها مسبقاً، وكذلك عُرِّف بأنه تفكير يتصف بالحساسية للمواقف وباشتماله على ضوابط تصحيحية ذاتية، باعتماده على محكات في الوصول إلى الأحكام<sup>(١)</sup>.

وكل هذه التعاريف وغيرها لها دلالة واضحة بأن الفرد يتساءل عن كفاءة الفكرة قبل اعتناقها ويتساءل عن مصداقية المعلومات قبل بناء القرار، لذلك عندما يكتسب الفرد من خلال مناهج التربية الإسلامية، مهارة التفكير الناقد، فإنه يمارس دوراً هاماً في آلية فحص الأفكار التي يعتقها، بل والتي يطلقها على غيره، ومن أخطرها مصطلح التكفير، لذلك عندما يتم ترسيخ مهارة التفكير من خلال مناهج التربية الإسلامية، فإن الفرد المتعلم يستطيع

(١) تعليم التفكير مفاهيم وتطبيقات، د. فتحي جروان ص ٥٩، الطبعة الثانية، دار الفكر، ١٤٢٦هـ، عمّان.



تمييز الحقائق، أو التحقق من صحتها، والتفريق بين الادعاءات والمزاعم، كما أنه من خلال التفكير الناقد يستطيع أن يتأنى في إطلاقه الأحكام، ويملك قدرة على رفض أفكار منحرفة تدعوه للوقوع بها، سواء كان ذلك من خلال علاقاته الاجتماعية، أو من خلال السيل الجارف، من وسائل التأثير التقني، والتي جعلت العالم صغيراً، قريباً، وسهلت توصيل الأفكار السلبية قبل الأفكار الإيجابية لذلك فالتفكير الناقد هام جداً وضروري في زماننا هذا، فهناك تمازج كبير في عالمنا اليوم، وترابط قوي بين جميع جوانب الحياة وهناك اتكال تبادلي شديد داخل هذه القرية الصغيرة<sup>(١)</sup>. وأجزم -كما سيبن معنا- أن مناهج التربية الإسلامية مليئة بهذه النماذج التطبيقية سواء أكانت أمثلة مباشرة أم غير مباشرة. وهذا ما سيتضح من خلال الجدول الآتي:

(١) لنعلم أطفالنا حلوة التفكير، جون لانفرز، ص ٧٦، تعريب سوسن الطباع، مكتبة العبيكان، ١٤٢٤هـ، الرياض.

## تطبيقات على القاعدة الخامسة: التربية على التفكير الناقد

المادة	المرحلة	عنوان الدرس	رقم الصفحة	التطبيق المستخرج
الفقه	١/ث	أحكام البغاة	١٤٦	نشاط: بين الآثار السيئة الناتجة عن تكفير الحكام والخروج عليهم؟
التوحيد	٢/ث	الإيمان بالكتب	٥٦	نشاط حواري: مناقشة كتب الديانات الباطلة والعقائد الفاسدة عبر الشبكة العنكبوتية، وبعض الفضائيات.
الحديث	٢/ث	الشباب	٧٣	نشاط: الشباب أكثر تأثراً بدعوة الخير، وأكثر تأثراً بدعوة الشر. حاول التعرف على أسباب ذلك؟
الحديث	٢/ث	المذاهب الهدامة	٢٢١	نشاط: راسلتك عبر الانترنت أحد المذاهب الهدامة، وأثارت عليك عدداً من الشبهات. ما الخطوات التي يمكنك القيام بها؟
تفسير	٢/ث	الدرس السابع	١٤٤	التحذير من الاغترار بفصاحة المتحدث، إذا لم يكن من أهل الإيمان.
تفسير	٣/ث	الدرس الرابع عشر	٧٨	بين أثر التفرق بالمذاهب، والتحزب والاعتداد بالأراء والبدع، على الأمة الإسلامية؟
توحيد	٣/ث	التكفير	٣٩	نشاط: يقسم المعلم الطلاب إلى مجموعتين، الأولى تتناقش حول أضرار التكفير وخطورته، والمجموعة الثانية، تتناقش علاج ظاهرة التكفير.

## الفصل الرابع

### تطبيقات تربوية وتعليمية في منهج التربية الإسلامية تعزز في الحد من ظاهرة التكفير

تزخر مناهج التربية الإسلامية في المملكة العربية السعودية بتطبيقات تربوية وتعليمية تعزز في الحد من ظاهرة التكفير. وما ذكرناه من التطبيقات في الفصل السابق من قواعد وتطبيقات غير مباشرة، بيّن الكم الكبير للتطبيقات سواءً العلمي منها، أو التربوي والتي تحصن الأفراد من الوقوع في ظاهرة التكفير، وفي هذا الفصل سوف يتم إفراد المواضيع التي تناولت موضوع الكفر والتكفير والتعامل معه بشكل علمي وتربوي متميز، ونبيّن كيف عالجت مناهج التربية الإسلامية في المملكة العربية السعودية هذه الظاهرة.

#### مفهوم التكفير من خلال مناهج التربية الإسلامية في المملكة العربية السعودية:

عرضت مناهج التربية الإسلامية مفهوم التكفير بشكل سهل ومبسّط، يناسب المرحلة والموضوع، فتم عرض موضوع التكفير في المرحلة الثالثة الثانوية، وهي مرحلة مناسبة علمياً وسنياً لطرق مثل هذا الموضوع؛ فتم تعريف التكفير بأنه: الحكم على شخص بأنه كافر. وإن كان هذا التعريف قصير في مبناه، إلا أنه واضح في معناه، وما يزيده وضوحاً هو النقاط الواردة في الدرس، والتي بينت مفهوم التعريف بشكل أكثر وضوحاً للمعنى المقصود.

وقد دُكر مفهوم التكفير في الدرس الثامن والذي كان بعنوان "التكفير المتفرع من الوحدة الأولى والتي بعنوان" الشرك والكفر والنفاق والجاهلية والفسق والردة والتكفير" في المرحلة الثانوية، الصف الثالث الثانوي شرعي، وكذلك الثالث الثانوي، قسم العلوم الطبيعية والإدارية.

## الدروس والمواضيع التي تناولت موضوع التكفير في المرحلة الثانوية:

عُرض موضوع التكفير من خلال عناصر ومواضيع تُجلى الموضوع بشكل يبين خطره وخطر الوقوع في غلاله ، وأبرز هذه النقاط هي كالآتي:

- (١) مفهوم التكفير.
- (٢) خطورة تكفير المسلم.
- (٣) التكفير حق الله.
- (٤) أنواع التكفير:
  - أ- التكفير بالعموم.
  - ب- تكفير أوصاف.
  - ج- تكفير المعين.
- (٥) شروط التكفير:
  - أ- أن يقوم الدليل من الكتاب والسنة على أن هذا القول أو الفعل مما يكفر به فاعله.
  - ب- انطباق الحكم على من فعل ذلك بحيث يكون عالماً قاصداً، مختاراً.
- (٦) موانع التكفير:
  - أ- الجهل.
  - ب- الخطأ.
  - ج- التأويل.
  - د- الإكراه.
- (٧) كيفية قيام الحجة على من وقع عليه التكفير وتوفرت شروطه.
- (٨) عبارات إثرائية متميزة وضعت على جوانب الكتاب، أُخذت من كتب أهل العلم.

مؤتمر ظاهرة التكفير .. الأسباب .. الآثار .. العلاج

٩) أنواع الكفر:

أ- كفر أكبر يخرج من الملة.

ب- كفر أصغر لا يخرج من الملة.

١٠) تعريف البغاة، وكيفية التعامل معهم.

ولاشك أن هذه العناصر - إذا تم عرضها بأسلوب مناسب، وإذا تم توضيحها بشكل، علمي وتربوي - فإنها ستكون قواعد مانعة - بإذن الله - من الوقوع في التكفير.

## تطبيقات تربوية وتعليمية لمناهج التربية الإسلامية في الحد من ظاهرة التكفير

المادة	المرحلة	رقم الصفحة	التطبيق المستخرج
التوحيد	ثالث/ث	٢١	تعريف التكفير، وبيان المخرج من الملة، وغير المخرج من الملة.
التوحيد	ثالث/ث	٢٣	نشاط: اكتب ملخص الفروق بين الكفر الأكبر، والأصغر، في الجدول الآتي.
التوحيد	ثالث/ث	٢٧	تقويم: قارن بين الكفر والنفاق
التوحيد	ثالث/ث	٣٠	قارن بين الفسق الكلي والفسق الجزئي
التوحيد	ثالث/ث	٣٣	الحكم بالردة يرجع فيه على الراسخين في العلم، وتنفيذ حد الردة موكل إلى ولي الأمر
التفسير	ثالث/ث	٢٣	التقويم: ما عقيدة أهل السنة والجماعة في مرتكب الكبيرة ومن الذي خالفهم.
الفقه	أول / ث	١٤٩	بالتعاون مع مجموعتك: بين الآثار السيئة الناتجة عن تكفير الحكام المسلمين، والخروج عليهم.
التوحيد	ثالث/ث	١٢٥	فما أوقع الخوارج في بدعهم إلا الغلو في الدين مما نتج عنه تكفير أصحاب الذنوب من المسلمين.
التوحيد	ثالث/ث	٣٥	المراد بالتكفير، أحوال الناس في الحكم عليهم
التوحيد	ثالث/ث	٣٥	خطورة تكفير المسلم
التوحيد	ثالث/ث	٣٦	أنواع التكفير، شروط التكفير
التوحيد	ثالث/ث	٣٧	موانع التكفير(الجهل، الخطأ، التأويل، الإكراه)

## الخاتمة

وبعد هذا العرض " لمناهج التربية الإسلامية في المملكة العربية السعودية، ودورها في الحد من ظاهرة التكفير " وبعد ما تبين لنا ما تزخر به مناهجنا التربوية والتعليمية من وسائل وقواعد، تدعوا إلى الوسطية والاعتدال، وتمنع بإذن الله من الوقوع في التكفير، لا يسعني إلا أن أدعوا نفسي وإخواني من التربويين والشرعيين والمفكرين، إلى معاودة التأمل والنظر في الطرق والأساليب التي تعزز من الحد من ظاهرة التكفير.

فما أحوجنا إلى أن نعيد استخراج القواعد والتطبيقات من مناهج التربية الإسلامية، ونطبقها ونمارسها الممارسة الصحيحة.

وما أحوجنا في هذه المرحلة إلى أن نجدد أساليب الدراسات التربوية والتعليمية في عرضها وعلاجها لمثل هذه الظاهرة، نحن فعلاً بحاجة إلى أن نمارس الدور التطبيقي لمناهج التربية الإسلامية أكثر من أن نمارس الدور التلقيني.

ولقد حاولت في هذا البحث -ومن خلال موقعي التربوي أن ألقى الضوء على بعض التطبيقات التي تزخر بها مناهج التربية الإسلامية، في الحد من ظاهرة التكفير، بل وهذه التطبيقات متى ما تم تطبيقها بشكل صحيح وتام، فسيكون لها الأثر في تكوين الفرد المتعلم الذي يستطيع أن يدعوا إلى الاعتدال والوسطية، ونبذ التكفير والدعوة إليه.

لقد حرصت في هذا البحث أن أجعل التطبيقات التربوية والتعليمية في مناهج التربية الإسلامية -والتي تحد وتعالج ظاهرة التكفير- قريبة للتطبيق، سهلة التنفيذ، وأعتقد جازماً أنني لا أستطيع أن أتجاوز القصور الذاتي في مثل



هذه المواضيع الهامة، والتي مازال الباحثون يسطرون بأقلامهم الرسائل الأكاديمية، والبحوث العلمية، لكن حسبى سلامة القصد، وبذل الجهد، وإفراغ الوسع. وأسأل الله أن تكون لهذه الدراسة الصدى الإيجابي والمردود النافع لهذا الوطن الكريم، وللعالم الإسلامي أجمع.  
هذا وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مؤتمر ظاهرة التكفير .. الأسباب والآثار .. العلاج



## أبرز نتائج البحث

- (١) السياسة التعليمية في المملكة العربية السعودية هي الخطوط العامة التي تقوم عليها عملية التربية والتعليم؛ أداءً للواجب في تعريف الفرد بربه، ودينه، وإقامة سلوكه على شرعه.
- (٢) السياسة التعليمية في المملكة العربية السعودية تنبثق من الإسلام الذي تدين به الأمة عقيدة وعبادة وخلقاً وشرعية وحكماً ونظاماً متكاملًا للحياة.
- (٣) نظام التعليم السعودي يربط بين التدين، والتخلق بالأخلاق الفاضلة، ويعد الخلق الفاضل هو الضامن القوي لكل من الفرد والمجتمع ضد عوامل الفساد والانحراف.
- (٤) العلوم الدينية أساسية في جميع سنوات التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي بفروعه والثقافة الإسلامية مادة أساسية في جميع سنوات التعليم العالي.
- (٥) أن التربية الإسلامية -كمادة تعليمية في جميع مراحل التعليم العام، بل وحتى التعليم الجامعي في المملكة العربية السعودية- تحقق الاتزان، والتميز في شخصية الفرد، متى تم أداء مضمونها بالشكل الصحيح.
- (٦) يتفق أهل العلم على أن التكفير حكم شرعي من أحكام الدين، له أسبابه وضوابطه وشروطه وموانعه وآثاره.
- (٧) لعظم وخطر التكفير، صنف العلماء فيه المصنفات، وقعدوا القواعد، ووضعوا الضوابط التي تمنع من الوقوع في الخطأ في التكفير.
- (٨) أن كفاءة معلمي التربية الإسلامية لها الأثر الكبير في تحقيق التعليم

- لغاياته السامية، ومقاصده الواضحة.
- (٩) من أبرز الصفات السلوكية لمعلمي التربية الإسلامية: القدوة الحسنة، الحوار، الرفق واللين، والصبر.
- (١٠) أن الصفات السلوكية لمعلم التربية الإسلامية يجب أن يتوافق معها صفات علمية ومهنية يتصف بها معلم التربية الإسلامية.
- (١١) من أهم الصفات العلمية والمهنية لمعلم التربية الإسلامية:
- الكفاءة.
  - تحمل المسؤولية.
  - معرفة المؤشرات السلوكية.
- (١٢) أن المعلم صاحب الاتجاه الفكري المنحرف له أدوار سلبية وعكسية في صفوف الميدان التربوي.
- (١٣) إن استبعاد المعلم صاحب الاتجاه الفكري المنحرف مطابق تماماً للمصلحة العامة داخل المؤسسات التربوية والتعليمية، ومن ثمّ يتم بعد ذلك إعادة تأهيل الصالح من هؤلاء للعمل داخل المؤسسات التربوية والتعليمية.
- (١٤) أن مبدأ الحذر، ورفع مستوى العاملين داخل المؤسسات التربوية، والتعليمية والحرص على مدى كفاءتهم وسلامة أفكارهم من أهم الركائز التي ينبغي الحرص عليها.
- (١٥) احتواء منهج التربية الإسلامية على قواعد جامعة، لها دور كبير في الحد من اعتناق ظاهرة التكفير، وعدم التأثير بما يبثه أصحاب الفكر المنحرف.
- (١٦) مناهج التربية الإسلامية مليئة بالتطبيقات التربوية، والتعليمية وكذلك الشرعية التي تحد من ظاهرة التكفير ومن أبرزها "الوسطية، الحوار وتقبل الخلاف، التعامل مع الفتن، واحترام العلماء، والتفكير الناقد".

- (١٧) عرضت مناهج التربية الإسلامية مفهوم التكفير بشكل مبسط وسهل يناسب المرحلة والموضوع.
- (١٨) تم عرض موضوع التكفير في المرحلة الثالثة الثانوية، وهي مرحلة مناسبة علمياً وسنياً لطرق هذا الموضوع.
- (١٩) عُرِّف التكفير في مناهج التربية الإسلامية بأنه "الحكم الشرعي على شخص بأنه كافر".
- (٢٠) عرض موضوع التكفير من خلال أكثر من (١١) عنصراً شرعياً وتعليمياً.
- (٢١) درس "موانع التكفير" من المواضيع الهامة التي ركزت عليها مناهج التربية الإسلامية ووضحتها بشكل متميز.
- (٢٢) أضيف لمناهج التربية الإسلامية عبارات إثرائية متميزة في موضوع التكفير وضعت على جوانب الكتاب، وأُخذت من كتب أهل العلم.
- (٢٣) احتوى منهج التربية الإسلامية على أكثر من (١٢) نشاطاً تربوياً وتعليمياً موجهاً للحد من ظاهرة التكفير.
- (٢٤) درس التكفير في مادة التوحيد للمرحلة الثالثة الثانوية من الدروس الهامة التي عالجت ظاهرة التكفير بشكل متميز علمياً وتربوياً.

## التوصيات

- ١- أن تتبع المؤسسات التربوية والتعليمية من خلال مناهج التربية الإسلامية منهج التقييم العقلي والفكري في نفوس الأفراد المتعلمين، وذلك من خلال التدريب التطبيقي.
- ٢- وضع خطط مكتوبة ومحكمة، يمكن قياسها وتقويمها لزيادة تأهيل العاملين في قدرتهم على عرض مناهج التربية الإسلامية بشكل متميز.
- ٣- عقد ورش تطبيقية لمناقشة موضوع التكفير، وتصحيح الفهم لدى الشباب في مثل هذا الموضوع العام.
- ٤- أهمية رفع مستوى العاملين وتأهيلهم التأهيل العلمي، والمهني؛ لعلاج موضوع التكفير بشكل علمي ومهني.
- ٥- أهمية تأهيل العاملين في المؤسسات التربوية والتعليمية على القدرة في توصيل مفهوم "التفكير الناقد" وتطبيقها من خلال منهج التربية الإسلامية، والذي يزخر بذلك.
- ٦- أهمية عقد الورش التطبيقية لمنسوبي المؤسسات التربوية والتعليمية في المرحلة الثانوية لبيان دورهم في تفعيل دروس "التكفير" وآلية عرضها وعلاجها.
- ٧- أهمية إجراء الدراسات والبحوث العلمية على مناهج التربية الإسلامية في التعليم العام؛ لإبراز الجوانب التي عالجت ظاهرة التكفير، وغيرها من ظواهر الانحراف.
- ٨- أهمية تضمين مناهج التربية الإسلامية، صوراً لأعمال التخريب التي قامت بها الفئة الضالة، وكذلك على اعترافات أفراد من هذه الفئة، وإجراء دراسات تطبيقية نقدية، ودمجها من خلال الدرس المناسب.

## المصادر والمراجع

- الاجتهاد بين مسوغات الانقطاع وضوابط الاستمرار د. محمد الأمين بن الشيخ ولد سالم، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ، دار البحوث للدراسات الإسلامية بدبي.
- إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، للإمام تقي الدين ابن دقيق العيد، تحقيق محمد حامد الفقي، مكتبة السنة المحمدية، القاهرة.
- أخلاقيات مهنة التعليم العام، أ.د. حمدان بن أحمد الغامدي، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ مكتبة الرشد، الرياض.
- الإصابة في تمييز الصحابة، للإمام ابن حجر العسقلاني، تحقيق خليل مأمون شيجا، دار المعرفة، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ، بيروت.
- أليس الصبح بقريب، محمد الطاهر بن عاشور، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ، دار سحنون، تونس.
- التربية الإسلامية، د. سليمان بن عبد الرحمن الحقييل، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ، بدون دار نشر، الرياض.
- تعليم التفكير مفاهيم وتطبيقات، د. فتحي جروان، الطبعة الثانية، دار الفكر، ١٤٢٦هـ، عمان.
- تفسير القرآن العظيم/ أبي الفداء إسماعيل بن عمر (ابن كثير)، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، دار ابن حزم، بيروت.
- الحوار من أجل التعايش، د. عبد العزيز بن عثمان التويجري، الطبعة الأولى، دار الشروق، القاهرة.
- حول التربية والتعليم، د. عبد الكريم بكار، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، دار المسلم للنشر والتوزيع.
- سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية، من مطبوعات وزارة المعارف سابقاً " الطبعة الرابعة، ١٤١٦هـ.

- الصلاة وحكم تاركها، للإمام ابن القيم الجوزية، المكتب الإسلامي، تحقيق تيسير زعيتر، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ، بيروت.
- فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، أبو عبيد البكري، الطبعة الأولى، بدون تاريخ، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزبادي، الطبعة السادسة، ١٤١٩هـ، مؤسسة الرسالة.
- لنعلم أطفالنا حلاوة التفكير، جون لنغرز، تعريب سوسن الطباع، مكتبة العبيكان، ١٤٢٤هـ.
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم، دار عالم الكتب ١٤١٢هـ، الرياض.
- مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الراغب الأصفهاني، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دمشق.
- مقدمة في التربية الإسلامية، د. صالح بن علي أبو عراد، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ، الدار الصولتية للتربية، الرياض.
- الموافقات في أصول الشريعة، إبراهيم بن موسى الشاطبي، بدون تاريخ طبعة، دار الكتب العلمية، بيروت.
- موسوعة تاريخ التعليم في المملكة العربية السعودية في مائة عام، د. محمد بن أحمد الرشيد وآخرون الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، وزارة التربية والتعليم، الرياض.



ظاهرة التكفير .. الأسباب والعلاج والأثار



**جهود المؤسسات الشرعية بالملكة  
العربية السعودية  
في علاج ظاهرة التكفير**

**د. حامد بن مده الجدعاني**



مؤتمر ظاهرة التكفير .. الأسباب .. الآثار .. العلاج



## المقدمة

الحمد لله الذي جعل الحق مُعزاً لمن اعتقده وتوخاه، ومُعيناً لمن اعتمده وابتغاه، وجعل الباطل مُذلاً لمن آثره وارتضاه، فالحمد لله حَمداً يوازي جميل نعمه، ويضاهي جزيل قسمه، وصلى الله على بشير كل تقيٍّ مُهتدٍ؛ محمد وآله وصحبه الأخيار، ما تعاقب الليل والنهار، وسلم تسليمًا كثيرًا.. أما بعد:

فإن أعظم الأمور خَطراً وقَدراً، وأعمُّها نفعاً ورفداً<sup>(١)</sup>، ما استقام به الدين والدنيا، وانتظم به صلاح الآخرة والأولى؛ لأن باستقامة الدين تصح العبادة، وبصلاح الدنيا تتم السعادة<sup>(٢)</sup>.

ولا يخفى على كل لبيب أن ظاهرة الغلو في التكفير بابٌ عظيم للشر والزلل؛ قد عظمت الفتنة فيه، وكُثر به الافتراق، وتشتت فيه الأهواء، فالتكفير خطر في الدين جليل، ينبغي شدة الاحتراز فيه من كل حليم نبيل، قال الشوكاني<sup>(٣)</sup> رحمه الله: "اعلم أن الحكم على الرجل المسلم بخروجه من دين الإسلام، ودخوله في الكفر لا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يُقدِّم عليه إلا ببرهان أوضح من شمس النهار"<sup>(٤)</sup>.

(١) الرفد: العطاء، والصلة. ينظر: لسان العرب: ابن منْظور (٢٦٤/٥)، مادة: (رفد).

(٢) مقتبسة من أقوال العلامة/ علي بن محمد بن حبيب الماوردي -رحمه الله- في كتابه: "أدب الدنيا والدين"، ص (٦).

(٣) هو: محمد بن علي بن محمد الشوكاني الصنعاني، كنيته: أبو عبد الله، ولد سنة (١١٧٣هـ)، في هجرة شوكان باليمن، فقيه مجتهد، من كبار علماء اليمن، تولى قضاء صنعاء سنة (١٢٢٩هـ)، من كتبه: نيل الأوطار، الدرر البهية في المسائل الفقهية، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، توي -رحمه الله- سنة (١٢٥٠هـ)، بصنعاء. ينظر: الأعلام: خير الدين الزركلي (٢٩٨/٦)، البدر الطالع: الشوكاني، ص (٧٣٢-٧٤٢)، رقم (٤٨٢)، معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة (٥٤١/٢) - (٥٤٢)، رقم (١٤٨٩٦).

(٤) السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار: الشوكاني، ص (٩٧٨).

فالمسلم يجب عليه صون لسانه من الخوض في هذا المجال دون بينة، قال الطَّحَاوي<sup>(١)</sup> رحمه الله: "ولا نكفر أحداً من أهل القبلة (بكل)<sup>(٢)</sup> ذنبٍ ما لم يستحله"<sup>(٣)</sup>؛ ونظراً لخطورة الأمر، وعظم الحاجة إلى العلم به، اخترت أن يكون البحث المقدم إلى "المؤتمر العالمي عن ظاهرة التكفير... الأسباب، الآثار، العلاج"، بعنوان: "جهود المؤسسات الشرعية بالمملكة العربية السعودية في علاج ظاهرة التكفير".

ومن منطلق: أن الأمة الإسلامية هي منارة مضيئة للأمم في سجل الحياة الخالد، وقناة إرشاد للمجتمعات كافة على طريق الفضائل، قد شهد لها رب العالمين وخالق الخلق أجمعين بالخيرية، وأن العلماء هم سراج الأمة في أوقات الظلم، يهتدى بهم كنجوم السماء، ويستضاء بهم في الدهماء، ويشع نور علمهم في الأرجاء، وهم القوم كل القوم إذا افتخر كل قبيل بأقوامهم، "فحياة العالم حياة العالم"<sup>(٤)</sup>؛ ونظراً لما تمتلكه المؤسسات الشرعية بالمملكة العربية السعودية من مكانة متميزة لدى أبناء المسلمين في أنحاء العالم بشتى أقطاره؛ لذا أحببت إبراز جهودهم المباركة وخدماتهم الجليلة في علاج ظاهرة التكفير.

- (١) هو: أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطَّحَاوي، كنيته: أبو جعفر، ولد سنة (٢٣٩هـ)، فقيه حنفي، محدث، من كتبه: أحكام القرآن، معاني الآثار، اختلاف الفقهاء، توفى -رحمه الله- سنة (٣٢١هـ). ينظر: تاج التراجم: قاسم بن قُطُوبُغا السوداني، ص(١٠٠-١٠٢)، رقم (٢١)، الجواهر المُضيئة في طبقات الحنفية: عبد القادر بن محمد القرشي (١/٢٧١-٢٧٢)، رقم (٢٠٤).
- (٢) باب التكفير عظمت فيه الفتنة؛ وكثر فيه الافتراق؛ ولكن ليس معنى هذا أن لا يكفر العلماء الراسخون في العلم أحداً من أهل القبلة إذا ثبت عليه موجب الكفر قطعاً؛ قال ابن أبي العز -رحمه الله- في شرح العقيدة الطحاوية (٢/٤٣٣-٤٣٤): "ولهذا امتنع كثير من الأئمة عن إطلاق القول: بأننا لا نكفر أحداً بذنب، بل يقال: لا نكفرهم بكل ذنب".
- (٣) العقيدة الطَّحَاوية: أحمد بن محمد الطَّحَاوي، ص(٣٥).
- (٤) معاملة العلماء: محمد بن عمر بن سالم بأزمول، ص(٥٨).

وينطلق هذا البحث في محاوره الرئيسة من مكانة المؤسسات الشرعية بالمملكة العربية السعودية في الأمة؛ فإن لها دوراً رائداً في نهضتها وتقدمها؛ فهي ممن يسهم بفعالية في نشر سماحة الإسلام بين فئات المجتمع؛ ودعم ثقافة الاعتدال والوسطية؛ والوقوف سداً منيعاً ضد التكفير والغلو والتطرف والإرهاب.

### أسباب اختيار البحث:

- الحرص على إبراز سماحة الإسلام ورحمته وعدله للناس كافة؛ من خلال إيضاح جهود المؤسسات الشرعية بالمملكة العربية السعودية في معالجة مشكلات التكفير والغلو والتطرف.
- الرغبة الصادقة في رصد الجهود المبذولة من المؤسسات الشرعية بالمملكة العربية السعودية في معالجة مشكلات التكفير والغلو والتطرف، ولا ريب أن لعلمائنا الأفاضل دوراً بارزاً في علاج هذه المشكلات منذ بداية ظهورها، والوقوف مع ولاة الأمر في تعزيز الأمن الفكري في بلادنا.
- الدعوة إلى طرح مقترحات بناءة وأطر عمل تسهم في تطوير عمل المؤسسات الشرعية بالمملكة العربية السعودية؛ لمعالجة مشكلات التكفير والغلو والتطرف.

### أهمية البحث:

- يتناول البحث موضوعاً غاية في الأهمية؛ لكونه يتطرق لظاهرة الغلو في التكفير التي انتشرت مؤخراً بين بعض فئات المجتمع مما سبب أضراراً كبيرة للمجتمعات المسلمة يصعب علاجها.
- كون المملكة دولة إسلامية شرعية جعلت من شريعة الإسلام منهجها في الحياة، ومؤسساتها الشرعية هي الواجهة الممثلة لسمتها الشرعية

بشكل مباشر.

### أهداف البحث:

- ربط أبناء الوطن بثقافتهم الإسلامية الأصيلة، وتوجيههم للاستفادة منها والاعتزاز بها.
- يعزز البحث ثقة المسلم بنفسه ودينه وأمته، وتعميق انتمائه إليها، وتحسينه فكرياً وأخلاقياً بما يستطيع معه الصمود في وجه التيارات المنحرفة، وبما يمكنه من القيام بواجبه في نشر الإسلام، والدعوة إليه.
- بيان جهود المؤسسات الشرعية بالملكة العربية السعودية في تأصيل منهج الاعتدال، وموقفهم من محاربة التكفير والتطرف والغلو وما يتبعهما من إرهاب، وأن مواقفهم إزاء ذلك مواقف صارمة لا تقبل التجاوز في هذا الباب.
- السعي إلى الاستفادة القصوى من إنجازات المؤسسات الشرعية بالملكة العربية السعودية في استشراف المستقبل؛ من خلال البحوث العلمية العميقة التي تتوصل إلى إبراز جهودهم العظيمة التي يفخر بها كل مسلم في أقطار المعمورة.
- يساعد البحث في رفع وعي وثقافة المجتمع تجاه الأفكار الضارة بكيانه واستقراره كالتكفير والتطرف والغلو.
- يسهم البحث في تقصي الحقائق وتفسير الوقائع المتصلة بالمؤسسات الشرعية بالملكة العربية السعودية، ويسعى إلى ربط ماضيها العريق المشرق مع مستقبلنا المأمول الزاهر.

### عناصر البحث (خطة البحث):

يشتمل البحث على: مقدمة، وتمهيد، وخمسة مباحث، وخاتمة، وتفصيل

ذلك كما يأتي:

- المقدمة: وتشمل الأمور الآتية:
  - أسباب اختيار الموضوع.
  - أهمية البحث.
  - أهداف البحث.
  - خطة البحث.
  - منهج كتابة البحث.
- تمهيد: تعريف التكفير.
- البحث الأول: جهود المؤسسات الشرعية بالمملكة العربية السعودية في تأصيل منهج الاعتدال والوسطية.
- البحث الثاني: جهود المؤسسات الشرعية بالمملكة العربية السعودية في حماية عقيدة الإسلام.
- البحث الثالث: جهود المؤسسات الشرعية بالمملكة العربية السعودية في علاج ظاهرة التسرع في التكفير.
- البحث الرابع: جهود المؤسسات الشرعية بالمملكة العربية السعودية في التحذير من تكفير ولي الأمر.
- البحث الخامس: جهود المؤسسات الشرعية بالمملكة العربية السعودية في التعامل مع معتقي الفكر الغالي في التكفير.
- خاتمة.
- فهرس المصادر والمراجع.

## المقصود بالمؤسسات الشرعية:

تتعدد (المؤسسات الشرعية في المملكة العربية السعودية) في شتى مؤسسات الدولة سواءً كانت مستقلةً، كوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد أم كانت ضمن المؤسسات الأخرى نحو إدارة الشؤون الدينية بالقوات المسلحة.

ونظراً لاتساع نطاق المؤسسات الشرعية بهذه الدولة المباركة—أدام الله عزها— فقد تم اختيار المؤسسات ذات الاستقلالية التامة وبعضاً من المؤسسات ذات التبعية لغيرها؛ رغبةً في حصر الجهد في نطاق محدد، وتوفيراً للوقت، ومراعاةً للحجم المتعارف عليه في البحوث المحكمة؛ وهي على النحو الآتي:

**أولاً: المؤسسات الشرعية ذات الاستقلالية في عملها.**

### ١- وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

جاء في رسالة الوزارة: "دعوة الناس إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وتوعية المسلمين بأمور دينهم، ونشر القيم الإسلامية وترسيخها، والعناية بكتاب الله طباعة وحفظاً، وإنشاء المساجد ورعايتها، والعناية برسالتها، والإسهام في تحقيق التضامن والتكافل الإسلامي، وكل ما من شأنه خدمة الإسلام والمسلمين، والتصدي لما يثار حول الإسلام من شبهات من قبل أعداء الإسلام، والمحافظة على أملاك الأوقاف، وحسن إدارتها، واستثمار غلالها"<sup>(١)</sup>، وجاء في بيان أهدافها: "دعوة الناس إلى الإسلام وتوجيههم إلى الخير والمحافظة على القيم الإسلامية"<sup>(٢)</sup>، وجاء أيضاً: "توجيه المسلمين

(١) ينظر: موقع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد على الشبكة العالمية للمعلومات (الإنترنت): [www.moia.gov.sa](http://www.moia.gov.sa)

(٢) المرجع السابق.

للالتزام بحقيقة الإسلام، ومعالجة ظاهرة الغلو والتشدد<sup>(١)</sup>.

## ٢- الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ورؤيتها تتمثل في الآتي: "أن يستمر مجتمعنا محافظاً على وسطية الإسلام، تظهر فيه شعائر الدين، ولا يُجاهر فيه بالمعاصي والمخالفات، يشعر أفرادُه بالمسؤولية"<sup>(٢)</sup>؛ ومن أهم مهامها: "ترسيخ الأمن بأنواعه: العقدي، والفكري، والأخلاقي"<sup>(٣)</sup>.

## ٣- الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء.

## ٤- هيئة كبار العلماء.

## ٥- الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين.

## ثانياً: المؤسسات ذات التبعية لغيرها ولها نشاط توعوي وإرشادي.

١- إدارة الشؤون الدينية بالقوات المسلحة.

٢- جهاز الإرشاد والتوجيه بالحرس الوطني.

٣- الإدارة العامة للأمن الفكري بوزارة الداخلية.

٤- لجان المناصحة بوزارة الداخلية.

٥- الجامعات السعودية؛ ومنها على وجه الخصوص: جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية بالرياض، الجامعة الإسلامية بالمدينة.

وليس المقصود حصر المؤسسات الشرعية فيما ذكر بحيث تكون كل المؤسسات حاضرة في كل مبحث؛ بل المراد إعطاء نماذج مختارة للدلالة على عظم الجهد المبذول في سبيل غرس الوسطية والاعتدال بين أبناء هذه البلاد المباركة.

(١) ينظر: المناشط الثقافية لوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد: مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ص(١٢).

(٢) الحسبة في المملكة العربية السعودية رسالة ومسيرة: إعداد / الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص(٤).

(٣) الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أسس ومبادئ - تاريخ وأعمال، ص (٦١).

## منهج البحث:

اتبعت في كتابة البحث القواعد العلمية المتعارف عليها، وفيما يأتي أهم معالمها:

- أوليت عنايتي الفائقة بتوثيق المادة العلمية من مصادرها الأصلية، فأضع علامة مميزة عند النقل الحرفي للنصوص، وأوضح في الهامش المصدر المنقول منه.
- عند ذكر الآيات القرآنية الكريمة أو جزءاً منها، فإني أذكر اسم السورة ورقم الآية.
- عند ذكر الأحاديث النبوية الشريفة أو الآثار الكريمة، فإني أقوم بتخريجها وفق القواعد العلمية المعتمدة.
- عند ورود بعض الكلمات المشككة في البحث، فإني أقوم بضبط الكلمة المشككة؛ حتى لا يقع القارئ الكريم في اللبس المحيل للمعنى.
- أترجم للأعلام الوارد ذكرهم في أثناء البحث إذا اقتضت الحاجة التعريف بهم؛ مكثفياً بنبذة يسيرة عن العلم المترجم له، تحقق الغرض المنشود من إيراد الترجمة.
- أوليت الهوامش عناية خاصة؛ لما لها من أهمية كبرى في خدمة البحث، ولأنها موطن التوثيق العلمي.
- لا أذكر في الهامش معلومات كاملة عن المصدر المنقول منه، سوى عنوان الكتاب واسم مؤلفه، مقدماً عنوان الكتاب؛ مكثفياً بما أورده من معلومات شاملة عن المصادر والمراجع في الفهرس الخاص بها.
- إذا شمل الهامش الواحد أكثر من مرجع، فإني أقوم بترتيب المراجع حسب حروف المعجم.



- إذا اشترك العنوان بين كتابين، فإني أذكر اسم المؤلف دائماً منعاً للالتباس.
- الاعتناء بصحة المكتوب، وسلامته من الناحية النحوية والإملائية، ومراعاة حسن تناسق الكلام، وورقي أسلوبه.
- الاعتناء بعلامات الترقيم حتى يكون البحث أقرب إلى الإتقان؛ وليكون ذلك مساعداً للقارئ على فهم النصوص.
- حرصت على حُسن الإخراج الطباعي للبحث، والاعتناء بخلوه من الأخطاء اللغوية والمطبعية، وحسن توزيع الفقرات، والاهتمام بعناوين المباحث والمطالب.
- اعتييت بفهرس المصادر والمراجع، ورتبته على حروف المعجم.

### وختاماً:

فإني أمتثل دائماً مقولة العز بن عبدالسلام<sup>(١)</sup> رحمه الله: "ولست أتكلف الكلام فيما لا أعلمه، ولا الجواب بما لا أفهمه"<sup>(٢)</sup>، وقوله -رحمه الله-: "والموفق من رأى المشكّل مشكّلاً، والواضح واضحاً، ومن تكلف خلاف ذلك، لم يخل من جهل أو كذب"<sup>(٣)</sup>.

(١) هو: سلطان العلماء، عبدالعزيز بن عبدالسلام السُّلَمي، الشهير بالعز بن عبدالسلام، كنيته: أبو محمد، ولد سنة (٥٧٧هـ)، فقيه شافعي، دُرُس بدمشق، وولي الخطابة والإمامة بالجامع الأموي، سكن مصر، من كتبه: قواعد الأحكام في إصلاح الأنام، مجاز القرآن، الفتاوى الموصلية، شجرة المعارف، توفّي -رحمه الله- سنة (٦٦٠هـ). ينظر: طبقات الشافعية الكبرى: عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السُّبُكي، الشهير بابن السُّبُكي (٢٠٩/٨-٢٥٥)، رقم (١١٨٣)، العقد المذهب في طبقات حملة المذهب: عمر بن علي بن أحمد الأندلسي التكروري الشافعي، الشهير بابن الملّقن، ص (١٥٩-١٦٢)، رقم (٤٠١).

(٢) قواعد الأحكام في إصلاح الأنام: العز بن عبدالسلام (٤٠٠/٢).

(٣) المرجع السابق.

وأذكر القارئ الكريم بمقولة / ابن رجب<sup>(١)</sup> -رحمه الله-: "فلينعم الناظر فيه النظر، وليوسع العذر، إنَّ اللبيب من عذر، فلقد سنع بالبال على غاية من الإعجال، كالارتجال أو قريباً من الارتجال، في أيام يسيرة وليال، ويأبى الله العصمة لكتاب غير كتابه، والمنصف من اغتفر قليل خطأ المرء في كثير صوابه"<sup>(٢)</sup>.

والله أسأل العون والتوفيق والسداد، فله الحمد على ما ألهم بإبتدائه، وأعان على انتهائه وإنجازه.

(١) هو: زين الدين، عبدالرحمن بن أحمد بن عبدالرحمن البغدادي، الشهير بابن رجب، كنيته: أبو الفرج، ولد سنة (٧٣٦هـ)، فقيه حنبلي، محدث، من كتبه: ذيل طبقات الحنابلة، القواعد الفقهية، لطائف المعارف، الخواتيم، توفى -رحمه الله- سنة (٧٩٥هـ)، بدمشق. ينظر: الجوهر المنضد في طبقات متأخري أصحاب أحمد: يوسف بن الحسن بن عبد الهادي الحنبلي، الشهير بابن المبرد، ص (٤٦-٥٣)، رقم (٥٧)، السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة: محمد بن عبدالله بن حميد التجدي المكي، الشهير بابن حميد (٢/٤٧٤-٤٧٦هـ)، رقم (٢٩٦).

(٢) مقدمة كتاب: "تقرير القواعد وتحريم الفوائد": ابن رجب (٤/١).

## تمهيد تعريف التكفير

أولاً: تعريف التكفير لغة<sup>(١)</sup>.

قال ابن فارس - رحمه الله -: "الكاف والفاء والراء أصلٌ صحيح يدل على معنى واحد، وهو السُّتْرُ والتَّغْطِيَةُ"<sup>(٢)</sup>، فالكفر في اللغة: ستر الشيء<sup>(٣)</sup>. والكُفْر: ضد الإيمان؛ لأنه تغطية الحق<sup>(٤)</sup>، وجمع الكافر: كُفْرًا، وكُفْرَةً، وكِفَارًا<sup>(٥)</sup>. والتكفير: النسبة إلى الكُفْر؛ يقال: كَفَرَ فلاناً: نسبه إلى الكُفْر<sup>(٦)</sup>. والكافر: من لا يؤمن بالله<sup>(٧)</sup>، يقال: كفر فلان: إذا اعتقد الكفر، ويقال ذلك إذا أظهر الكفر وإن لم يعتقد<sup>(٨)</sup>.

(١) ينظر مادة "كفر" في الكتب الآتية: تاج اللغة وصحاح العربية: الجوهري، ص(٩١٦-٩١٧)، العين: الفراهيدي، ص(٨٤٨-٨٤٥)، مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني، ص(٧١٤-٧١٧)، الكليات: الكفوي، ص(٧٦٣)، لسان العرب: ابن منظور (١٢/١١٨-١٢٤)، المصباح المنير: الفيومي، ص(٢٠٤).

(٢) المقاييس في اللغة: ابن فارس (٥/١٩١)، مادة: (كفر).

(٣) ينظر: تاج اللغة وصحاح العربية: الجوهري، ص(٩١٦)، القاموس المحيط: الفيروزآبادي، ص(٦٠٥)، الكليات: الكفوي، ص(٧٦٣)، لسان العرب: ابن منظور (١٢/١١٨)، مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني، ص(٧١٤).

(٤) ينظر: تاج اللغة وصحاح العربية: الجوهري، ص(٩١٦)، العين: الفراهيدي، ص(٨٤٨)، القاموس المحيط: الفيروزآبادي، ص(٦٠٥)، المقاييس في اللغة: ابن فارس (٥/١٩١).

(٥) ينظر: تاج اللغة وصحاح العربية: الجوهري، ص(٩١٦)، لسان العرب: ابن منظور (١٢/١١٨).

(٦) ينظر: المعجم الوسيط: (٢/٧٩٢).

(٧) المرجع السابق.

(٨) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني، ص(٧١٦).

يقال: أَكْفَرُهُ: دعاه كافراً<sup>(١)</sup>، ويقال: لا تُكْفِرُ أحداً من أهل القبلة؛ أي لا تتسبهم إلى الكفر<sup>(٢)</sup>.

وأعظم الكفر: جحود الوجدانية أو الشريعة أو النبوة<sup>(٣)</sup>.  
والكافر على الإطلاق متعارف فيمن يجحد الوجدانية أو النبوة أو الشريعة أو ثلاثتها<sup>(٤)</sup>.

### ثانياً: تعريف التكفير اصطلاحاً.

التكفير هو النسبة إلى الكُفْر، والكفر في معناه الاصطلاحي لا يخرج عن معناه اللغوي.

فالكُفْر شرعاً هو: خلاف الإيمان عند كل طائفة<sup>(٥)</sup>.  
قال ابن تيمية<sup>(٦)</sup> -رحمه الله-: "الكفر: عدم الإيمان، باتفاق المسلمين، سواء اعتقد نقيضه وتكلم به، أو لم يعتقد شيئاً ولم يتكلم به"<sup>(٧)</sup>.  
ومما لا بد منه؛ التنبية إلى أن الكفر في النصوص الشرعية تارة يراد به الكفر المخرج من الملة، وتارة لا يراد منه ذلك<sup>(٨)</sup>؛ فالكفر ذو أصول وشُعب

- (١) ينظر: القاموس المحيط: الفيروزآبادي، ص(٦٠٦)، المعجم الوسيط: (٧٩١/٢).
- (٢) ينظر: تاج اللغة وصحاح العربية: الجوهري، ص(٩١٧).
- (٣) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني، ص(٧١٤).
- (٤) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني، ص(٧١٥)، المعجم الوسيط: (٧٩١/٢).
- (٥) ينظر: أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء: قاسم القونوي، ص(١٧٠)، كشاف اصطلاحات الفنون: التهانوي (١٣٦٨/٢).
- (٦) هو: شيخ الإسلام، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام الحراني الدمشقي، الشهير بابن تيمية، كنيته: أبو العباس، ولد سنة (٦٦١هـ)، فقيه حنبلي، من أعلام الحنابلة، برع في علوم شتى، من كتبه: درء تعارض العقل والنقل، منهاج السنة النبوية، رفع الملام عن الأئمة الأعلام، تولى -رحمه الله- سنة (٧٢٨هـ)، بدمشق. ينظر: الذيل على طبقات الحنابلة: ابن رجب (٤/٤٩١-٥٢٩)، رقم (٥٣١)، شذرات الذهب: ابن العماد (٨/١٤٢-١٥٠).
- (٧) مجموع الفتاوى: ابن تيمية (٨٦/٢٠).
- (٨) ينظر: الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ص(٢٥٢)، الغلو في الدين وأثره في الأمة: خالد بن حمد الخريف، ص(٥٥).

متفاوتة<sup>(١)</sup>، قال ابن عثيمين<sup>(٢)</sup> رحمه الله: "الكفر في شريعة الله في الكتاب وفي السنة كفران: كفر مخرج عن الملة، وكفر لا يخرج عن الملة"<sup>(٣)</sup>.

**والكفر نوعان<sup>(٤)</sup>:**

### الأول: الكفر الأكبر؛ وهو: الموجب للخلود في النار.

وهو خمسة أنواع<sup>(٥)</sup>:

- ١- كفر تكذيب: وهو اعتقاد كذب الرسل، وهذا القسم قيل في الكفار.
  - ٢- كفر الإباء والاستكبار: وهو أن يعرف بقلبه ولا يقر بلسانه؛ نحو: كفر إبليس.
  - ٣- كفر الإعراض: وهو أن يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول لا يصدق ولا يكذبه، ولا يواليه ولا يعاديه، ولا يصغي إلى ما جاء به البتة.
  - ٤- كفر الشك: بأن لا يجزم بصدق الرسول ولا يكذبه، بل يشك في أمره.
  - ٥- كفر النفاق: وهو أن يظهر بلسانه الإيمان، وينطوي بقلبه على التكذيب.
- الثاني: الكفر الأصغر؛ وهو: ما يوجب استحقاق الوعيد دون الخلود.**

(١) ينظر: التكفير وضوابطه: إبراهيم بن عامر الرحيلي، ص(١١٩).

(٢) هو: محمد بن صالح بن محمد العثيمين الوهبي، الشهير بابن عثيمين، كنيته: أبو عبد الله، ولد سنة (١٣٤٧هـ)، فقيه، مشارك في عدة علوم، من كتبه: الأصول من علم الأصول، تسهيل الفرائض، تقريب التدمرية، الشرح الممتع على زاد المستقنع، توفى رحمه الله سنة (١٤٢١هـ). ينظر: ابن عثيمين الإمام الزاهد: جمع وإعداد: ناصر بن مسفر الزهراني، ص(٢٧-٣٥)، أربعة عشر عاماً مع سماحة العلامة الشيخ/ محمد بن صالح العثيمين: عبدالكريم بن صالح المقرن، ص(٩-٢٠)، الجامع لحياة العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله العلمية والعملية وما قيل فيه من المراثي: وليد بن أحمد الحسين، ص(١٠-٢٦، ١٤٧-١٦٤).

(٣) معجم التعريفات والضوابط والتقسيمات والفوائد في المصنفات الاعتقادية للشيخ ابن العثيمين: أحمد سالم المصري، ص(٣٦٦).

(٤) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: ابن القيم (١/٣٤٤).

(٥) ينظر: التكفير وضوابطه: الرحيلي، ص(٩١-١١٧)، الزاهر في غريب ألفاظ الإمام الشافعي: محمد بن أحمد الأزهرى، ص(٤٩٧-٤٩٨)، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية: محمود عبدالرحمن عبدالمنعم (٣/١٥٠).

## المبحث الأول

### جهود المؤسسات الشرعية بالمملكة العربية السعودية في تأصيل منهج الاعتدال والوسطية

مدخل:

الغلو في الدين يعد بحق - من الأسباب المهمة لنشأة الأفكار الهدامة، وعامل مهم في انتشارها، بل يعد الغلو "العدو اللدود لاستقامة الفكر، ومناعته، واستمراره"<sup>(١)</sup>، يدل على ذلك ما جاء عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي - ﷺ - قال: "إن الدين يُسرُّ، ولن يشاد الدين أحدٌ إلا غلبه فسددوا، وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالعدوة"<sup>(٢)</sup>، والرُّوحة"<sup>(٣)</sup>، وشيء من الدُّلجة"<sup>(٤)</sup>(٥).

فالغلو يتنافى مع الشخصية الإسلامية التي تمتاز في أبرز معالمها بعزتها الإيمانية؛ ومكمن هذه العزة ومبعثها، أنها واعية لدقة الرقابة عليها من الله تعالى؛ لذا فهي تتشد الوسطية والاعتدال في كافة أحوالها، وعامة أمورها؛ قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾<sup>(٦)</sup>؛

مؤتمر ظاهرة التكفير .. الأسباب .. الآثار .. العلاج

- (١) المناعة الفكرية: عبدالكريم بن محمد بكار، ص(٦٥-٦٦).
- (٢) العدوة: المرة من العدو، وهو سير أول النهار نقيض الرواح. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير، ص(٦٦٢)، مادة: (غدا).
- (٣) الرُّوحة: يقال: راحوا في ذلك الوقت، وذلك من لدن زوال الشمس إلى الليل. ينظر: المقاييس في اللغة: ابن فارس (٤٥٥/٢)، مادة: (روح).
- (٤) الدُّلجة: سير الليل. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير، ص(٣١٠)، مادة: (دلج).
- (٥) أخرجه: البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، (٢) كتاب: الإيمان، (٢٩) باب: الدين يسر، رقم (٣٩)، ص(٣١).
- (٦) سورة البقرة، الآية (١٤٣).

وقال الرسول ﷺ: "إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين"<sup>(١)</sup>.

إن الوسطية والاعتدال في الإسلام تعتبر منهجاً للأمة الإسلامية؛ وخاصة من خصائصها الرائعة؛ فالمسلم حريص على أن يلتزم بأحكام الشرع الحنيف، التزاماً تاماً في أقواله وأفعاله، جاء عن سفيان بن عبد الله الثقفي<sup>(٢)</sup> -رضي الله عنه- قال: قلت: يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك. قال: "قل آمنت بالله فاستقم"<sup>(٣)</sup>.

فيجب على المسلم أن يكون منهاجه هو المنهج الأمثل الذي لا اعوجاج فيه؛ المتسم بالاعتدال والوسطية، البعيد عن الغلو والتطرف، المتمثل في المنهج النبوي الرائع في كافة التصرفات.

### نماذج من جهود المؤسسات الشرعية في هذا الشأن:

للمؤسسات الشرعية بالملكة العربية السعودية جهوداً مباركة في تأصيل منهج الاعتدال والوسطية بين أبناء المجتمع؛ ومن أبرزها:

١: دعا سماحة الشيخ/ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ -حفظه الله- مفتي عام المملكة العربية السعودية إلى ضرورة انفتاح الدعاة على وسائل الإعلام الغربية لإيصال الدعوة الإسلامية الحقة، وإبلاغ رسالة الوسطية والاعتدال إلى دول العالم أجمع<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه: ابن ماجه، كتاب المناسك، باب:قدر حصي الرمي، رقم:(٣٠٢٩).

(٢) هو: الصحابي الجليل سفيان بن عبدالله بن أبي ربيعة الثقفي الطائفي، معدود من أهل الطائفة، له صحبة، وسمع ورواية، كان عاملاً لعمر بن الخطاب -رضي الله عنه- على الطائفة، ويعد من البصريين. ينظر: الاستيعاب: ابن عبد البر، ص (٢٩٥)، رقم (٩٦٠)، أسد الغابة: ابن الأثير، رقم (٣٣٩/٢)، رقم (٢١١٨)، الإصابة: ابن حجر، ص (٥١٤)، رقم (٣٥٣٣).

(٣) أخرجه: مسلم، (١) كتاب: الإيمان، (١٣) باب: جامع أوصاف الإسلام، رقم (٣٨)، ص (٤٩).

(٤) ينظر: جريدة الرياض، العدد:(١٥٥٢٠)، بتاريخ:(١٥/١/١٤٣٢هـ)، ص(١٦).

٢ : التقى سماحة الشيخ / عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ - حفظه الله - مفتي عام المملكة العربية السعودية مع خطباء مدينة الرياض مساء يوم السبت الموافق: (١٢/١/١٤٣٢هـ)، بقاعة الاجتماعات بفرع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالرياض؛ وألقى محاضرة بعنوان: (واجب الخطيب في بيان خطر الإرهاب والغلو والانحرافات الفكرية)؛ ومما قاله - حفظه الله - : "إن الغلو قضية خطيرة يعالجها الخطيب بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ - ، ويحذر من الغلو، ويدعو إلى الاتزان والوسطية والاعتدال، وسلوك الطريق المستقيم"<sup>(١)</sup>.

٣ : حذر أئمة الحرمين الشريفين في خطب الجمع من شناعة الغلو؛ ودعوا إلى انتهاج سبيل الوسطية والاعتدال؛ ومن ذلك:

- قال فضيلة الشيخ / محمد بن عبدالله السبيل: "إياكم والغلو فيه، أو الجفاء عنه، فإن دين الله بين الغالي والجاي، فكم فرط قوم فانسلخوا من الدين، وكم فرط آخرون فتجاوزوا النهج القويم"<sup>(٢)</sup>.
- قال فضيلة الشيخ / عبدالباري بن عواض الثبتي: "إياكم والغلو في الاعتقادات والأعمال، وإياكم والغلو في المفاهيم والأفكار"<sup>(٣)</sup>.
- قال فضيلة الشيخ / عمر بن محمد بن عبدالله السبيل<sup>(٤)</sup> رحمه الله:

(١) ينظر: جريدة الجزيرة، العدد: (١٣٩٦٢)، بتاريخ: (١٤/١/١٤٣٢هـ)، ص(١٨).

(٢) من منبر المسجد الحرام: محمد السبيل (٦٨/٢).

(٣) نفحات من منبر رسول الله ﷺ - : الثبتي (١٠٠/٣).

(٤) هو: عمر بن محمد بن عبدالله السبيل، ولد سنة (١٣٧٧هـ)، كنيته: أبو أنس، إمام وخطيب المسجد الحرام، الحافظ، الفقيه، من كتبه: الأحكام المتعلقة بالطفل اللقيط، البصمة الوراثية ومدى مشروعيتها استخدامها في النسب والجنابة، حكم الطهارة لمس القران وما يتعلق بذلك من الأحكام؛ توفي - رحمه الله - سنة (١٤٢٣هـ). ترجمة مختصرة كتبها ابنه: أنس؛ ينظر: من منبر الحرم المكي، ص(٣٣٩-٣٤٢).



"أيها المسلمون: إن دين الإسلام؛ هو دين الوسطية والاعتدال، بريء من الانحراف وأهله، سواء الجانح منهم إلى التفريط والتقصير، أو الجانح إلى الإفراط والغلو"<sup>(١)</sup>.

٤: أن وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد من أكبر أجهزة المملكة العربية السعودية المعنية بالدعوة وبيان حقيقة الإسلام، وإيضاح وسطيته، والكشف عن معالمها ومقتضياتها، وتحذير الناس مما يخالف ذلك وينافيه، وتبصيرهم بخطر الجنوح عن الوسطية إلى جانب الغلو أو جانب التقصير، سواء أكان ذلك في الأمور العقدية أم في الأمور العملية أم في السلوك وغير ذلك.

فكان الحرص التام ظاهراً من قبل وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد على القيام بواجبها في الدعوة والتوجيه وفقاً لمنهج السلف الصالح؛ لتوجيه الناس إلى منهج الوسطية والاعتدال؛ ومن ذلك:

محاضرة ألقاها معالي الشيخ/ صالح بن عبدالعزيز بن محمد آل الشيخ وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بعنوان: (الوسطية والاعتدال وأثرها على حياة المسلمين) بنادي ضباط قوى الأمن بالرياض ضمن النشاط الثقافي الشهري بتاريخ: (١٦/٥/١٤٢٩هـ)؛ ومما جاء فيها أن: "دور الأخذ بهذه الوسطية التي ارتضاها لنا (الإسلام) هو أكبر عامل من عوامل بقاء هذه الأمة... إذن نصل إلى نتيجة مهمة وهي: أن الاهتمام بالوسطية ضروري لأجل بقاء الملة وبقاء الدين"<sup>(٢)</sup>.

٥: قامت وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بتنفيذ برنامج

(١) من منبر الحرم المكي: عمر السبيل، ص(٢٢).

(٢) الوسطية والاعتدال وأثرها على حياة المسلمين: صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، ص(١٠).

«مواجهة الغلو والتطرف وتحقيق الأمن العقدي والديني والفكري»<sup>(١)</sup>؛ وذلك بتنظيم ندوات شهرية في المدن والمحافظات لأئمة وخطباء المساجد، تستمر لمدة عام، يحاضر فيها العلماء والدعاة والقضاة والأكاديميون في المملكة، بهدف التعريف بالأسس والمحددات لمفاهيم: (الوسطية، الأمن الفكري، الإرهاب، الغلو، التطرف).

وأكدت هذه الندوات التي أقيمت في مختلف مناطق المملكة أن هناك عدة أسباب للغلو والتطرف، أهمها: الجرأة على الإفتاء، وسوء فهم النصوص، والجهل بالسياسة الشرعية وفقه الموازنات.

#### ومن أنشطة هذا البرنامج:

أ- تحت رعاية أمير منطقة المدينة المنورة صاحب السمو الملكي الأمير/ عبد العزيز بن ماجد بن عبد العزيز آل سعود أقام فرع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد الندوة الأولى في تعزيز الوسطية وتحقيق الأمن الفكري بعنوان: (الأسس المحددات لمفاهيم: الوسطية، الإرهاب، الغلو، التطرف)<sup>(٢)</sup>؛ وذلك مساء يوم الثلاثاء: (٢٥/٦/١٤٣١هـ).

ب- في منطقة الباحة دشّن وكيل إمارة المنطقة الأمير الدكتور/ فيصل بن محمد بن سعود بن عبد العزيز آل سعود سلسلة الندوات المقامة في المنطقة عن الوسطية والاعتدال.

ج- في منطقة الجوف، أكد الأستاذ المشارك في المعهد العالي للقضاء

(١) ينظر: جريدة (عكاظ)، العدد: (١٦٠١٠)، بتاريخ: (١٥/٧/١٤٣١هـ)، والعدد: (١٦٠٢٣)، بتاريخ: (٢٨/٧/١٤٣١هـ).

(٢) ينظر: موقع فرع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمدينة المنورة على الشبكة العالمية للمعلومات (الانترنت): [www.shounislamiamadinah.gov.sa/index.php](http://www.shounislamiamadinah.gov.sa/index.php)

الدكتور/ محمد النجيمي، ورئيس المحكمة الجزئية في سكاكا الشيخ/ سعد العنزي، ومساعد مدير عام فرع وزارة الشؤون الإسلامية في المنطقة الشيخ/ عبيد الجلال في ندوة «الغلو.. الجذور والمنابع»، أن الانحراف الفكري يعد غلواً في الدين؛ وهو بمعنى التشدد ومجاوزة النص الشرعي، وأشاروا إلى عدة أسباب إلى الغلو؛ أهمها: ضعف البنية العلمية، وهشاشة الفكر، وسوء فهم النصوص، والجرأة على الإفتاء، وإبداء الرأي الشرعي دون مؤهلات، والجهل بالسياسة الشرعية وفقه الموازنات، وشيوع الفساد العقدي، والانحلال الأخلاقي، وتغييب دور العلماء، والتآمر الدولي والعالمي على الإسلام، واستثارة الشباب وتضليل أفكارهم، والغزو الإعلامي والفكري.

د- وفي منطقة تبوك، أوضح الدكتور/ منصور الجاسر، والدكتور/ علي الشبل، والشيخ/ ماجد الشويمان؛ أن العدل هو الخيار الذي اختاره الله للأمة الإسلامية ديناً وسلوكاً وحياتاً؛ مشيرين إلى أن للوسطية (٣٠) خاصية؛ منها: العدل على الكتاب والسنة، الاجتماع لا التفرق، الاستقامة مظهراً وسلوكاً، عدم التصنيف أو الظلم أو التكفير بلا دليل، مؤكداً أن الله تعالى ميز الأمة الإسلامية عن باقي الأمم بالتزام المنهج الرباني.

ه- وفي محافظة المنطق، نظمت ندوة بعنوان «دور خطبة الجمعة في تحقيق الوسطية»، حيث أشار المشاركون في الندوة وهم: مدير مركز الدعوة والإرشاد في المحافظة الشيخ/ حسن بن جمعان، وعميد كلية القرآن في الجامعة الإسلامية سابقاً الدكتور/ أحمد بن عبدالله العماري، ورئيس محكمة المنطق الشيخ/ عبدالله

الهو يميل؛ إلى أهمية الإعداد الجيد لخطبة الجمعة، واختيار الموضوعات المناسبة للزمان والمكان والمجتمع، موضحين دور الدعاة في نشر الوسطية داخل المجتمع.

و- وفي منطقة نجران، شهد وكيل المحافظة الأستاذ/ عبد الله القحطاني، و(٢٠٠) من الخطباء والأئمة الندوة الأولى في المنطقة التي تحدث فيها عضو الدعوة في منطقة القصيم الشيخ/ حمد الحريقي حول الأسس والمحددات لمفهوم الوسطية، والأمن الفكري، والإرهاب، والغلو، والتطرف؛ حضرها عميد كلية الشريعة في جامعة نجران الدكتور/ عابد السفياي، ومدير عام الشؤون الإسلامية في المنطقة الدكتور/ صالح الدسيماي.

٦: رصدت وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد رصدت ما يزيد على (٢٥٠) ألف خطبة جمعة<sup>(١)</sup> أقيمت في مساجد المملكة تتناول قضايا وموضوعات الإرهاب وسبل مواجهة الفكر المنحرف والتحذير من أربابه<sup>(٢)</sup>.

٧: تحرص إدارة الشؤون الدينية للقوات المسلحة على إقامة دورات (الأمن الفكري)، وذلك بناءً على موافقة صاحب السمو الملكي مساعد وزير الدفاع والطيران والمفتش العام للشؤون العسكرية رقم: (١٤٠٩٩)، وتاريخ: (٢٧/٤/١٤٢٦هـ)<sup>(٣)</sup> على توصيات اللجنة المشكلة بأمره

(١) ينظر: جهود وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في مكافحة الإرهاب والأفكار الضالة: توفيق بن عبدالعزيز السديري، ضمن أبحاث المؤتمر العالمي الأول عن جهود المملكة العربية السعودية في خدمة القضايا الإسلامية، المحور الرابع، القسم الأول، ص(٢١١)؛ جريدة المدينة، العدد: (١٧١٤٣)، بتاريخ: (١٥/٤/١٤٣١هـ)، ص(١٤).

(٢) موقع الفقه الإسلامي على الشبكة العالمية للمعلومات (الإنترنت): [www.islamfeqh.com](http://www.islamfeqh.com)

(٣) ينظر: دليل إجراءات دورة الأمن الفكري: إعداد لجنة الأمن الفكري، قسم التوعية الإسلامية، إدارة الشؤون الدينية للقوات المسلحة، ص(٦٦).

رقم: (١٩٨/١/١)، وتاريخ: (١٠/١/٢٦هـ) بخصوص عقد دورات شرعية متخصصة في الأمن الفكري للضباط والمرشدين ومدرسي التربية الإسلامية بإدارات الشؤون الدينية؛ ومن أهم أهدافها<sup>(١)</sup>:

- بيان منهج السلف الصالح في الولاء والبراء، والجهاد الشرعي، والبيعة، وحقوق ولاية الأمر.
- إيجاد حصانة فكرية ضد التيارات والمذاهب الفكرية المعاصرة.
- الالتقاء بالعلماء والنهل من علمهم، والإفادة من توجيهاتهم السديدة.
- مواجهة الأفكار الضالة وبيان خطرها.
- تكاتف الجهود على العمل لحفظ أمن هذه البلاد المباركة، وسلامتها من الأفكار الدخيلة.
- بيان تمسك هذه الدولة بعقيدة التوحيد وجهودها في ذلك.

٨: قامت وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بترجمة عدد من الكتب التي تبين موقف الإسلام من الإرهاب والعنف إلى اللغتين الإنجليزية والفرنسية، ومنها: (هذا هو الإسلام: صالح بن فوزان الفوزان، الوسطية والاعتدال: صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، سمات المؤمنين في الفتن وتقلب الأحوال: صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، الضوابط الشرعية لموقف المسلم في الفتن: صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، خطب مختارة: سماحة مفتي عام المملكة العربية السعودية).

وقد طبع ووزع من هذه الكتب أكثر من (٥٠,٠٠٠) كتاب باللغة الإنجليزية، و(٢٠,٠٠٠) كتاب باللغة الفرنسية<sup>(٢)</sup>.

(١) المرجع السابق.

(٢) ينظر: جهود وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في مكافحة الإرهاب والأفكار الضالة: توفيق بن عبدالعزيز السديري، ضمن أبحاث المؤتمر العالمي الأول عن جهود المملكة العربية السعودية في خدمة القضايا الإسلامية، المحور الرابع، القسم الأول، ص(٢٢١).

٩ : للجامعة الإسلامية بالمدينة دورٌ كبير في معالجة الإرهاب فكرياً، وبيان خطورة الفكر الضال، ومعالجة الانحراف الفكري، فالجامعة الإسلامية نظمت ما يزيد على (٥٠) محاضرة منذ عام (١٣٩٨هـ) إلى عام (١٤٣٠هـ) تتعلق ببيان منهج الوسطية، والدعوة إلى الاعتدال، ونبذ العنف والتطرف، إضافة إلى عقد (١٤) ندوة، وكذلك (٦٥) رسالة في مرحلتي الماجستير والدكتوراه تتناول ظاهرة الإرهاب، وبيان خطرهما على الفرد والمجتمعات، وسبل معالجتها فكرياً، إضافة إلى إعداد ما يزيد على (٣٠) بحثاً علمياً ذات صلة بمعالجة الأفكار المنحرفة، وورشة عمل عن ظاهرة العنف لدى الشباب في منطقة المدينة المنورة<sup>(١)</sup>.

١٠ : أقامت الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر العديد من الدورات التربوية تخللها الكثير من المحاضرات التي تشمل موضوعات تحذر من الغلو والتشدد نحو<sup>(٢)</sup>: (فضل حسن الخلق، حق المسلم على المسلم، الحرص على هداية الناس، القدوة الحسنة، الصبر وحسن عاقبته، الرفق واللين، الأمر بالاجتماع والاتلاف، خشية الله في السر والعلن، التقوى، النصيحة لله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم، صفات عباد الرحمن).

١١ : قامت المكاتب التعاونية للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات - ويبلغ عددها

(١) موقع الفقه الإسلامي على الشبكة العالمية للمعلومات (الإنترنت): [www.islamfeqh.com](http://www.islamfeqh.com)  
(٢) ينظر: أثر الحسبة وجهود هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في تحقيق الأمن الفكري (دراسة عقديّة): إعداد: أ.د. ناصر بن عبد الكريم العقل، بحث مقدم إلى ندوة: (الحسبة وعناية المملكة العربية السعودية بها) المنعقدة في الفترة: (١١/١٢/١٤٣١هـ) تحت إشراف الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، المجلد السادس، الجزء الأول، ص(١٩٨-١٩٩)، جهود الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المملكة العربية السعودية في محاربة الإرهاب (دراسة تحليلية): د. عبد الله بن دجين السهلي، ص(١٣٦).

أكثر من (٢٥٠) مكتباً في مختلف مناطق المملكة- ببرامج متنوعة مركزة على مكافحة الغلو ومعالجته بكل الوسائل الممكنة وحسب إمكاناتها المختلفة؛ وقد تركزت جهودها لمعالجة الغلو في عدة محاور<sup>(١)</sup>، وهي:

- نشر منهج الإسلام الوسطي المعتدل بجميع اللغات.
- توثيق صلة الناس بعلمائهم وولادة أمورهم.
- التحذير من دعاة الغلو ومناهجهم.
- نقض شبهات الغلاة وكشف باطلهم.

١٢: عقدت الجامعة الإسلامية بالمدينة مؤتمراً بعنوان: (الإرهاب بين تطرف الفكر وفكر التطرف) تناول في عدة محاور الفكر المتطرف؛ ومما جاء في توصياته: "أوصى المؤتمر شباب المسلمين بالتمسك بوسطية الإسلام واعتداله وتسامحه مع الآخر، والالتفاف حول القيادات في بلدانهم، والحذر من مفارقة جماعة المسلمين، وأخذ الدين من علمائه المتخصصين الثققات والمعروفين بوسطيتهم، ونبذ التفسيرات الخاطئة لقضايا التكفير والجهاد والولاء والبراء، وفي هذا السياق يوصي المؤتمر شباب المسلمين بتكثيف مواقع الدعوة إلى الإسلام وبيان سماحته ووسطيته والدفاع عنه على شبكة الإنترنت؛ بعد أن يتحصنوا بالعلم الشرعي الصحيح، ويجيدوا ثقافة الحوار مع الآخر"<sup>(٢)</sup>.

١٣: (كرسي الأمير/سلطان بن عبدالعزيز للدراسات الإسلامية المعاصرة)<sup>(٣)</sup>

(١) ينظر: جهود وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في مكافحة الإرهاب والأفكار الضالة: توفيق بن عبدالعزيز السديري، ضمن أبحاث المؤتمر العالمي الأول عن جهود المملكة العربية السعودية في خدمة القضايا الإسلامية، المحور الرابع، القسم الأول، ص(٢٢٤-٢٢٥).

(٢) ينظر: جريدة(المدينة)، العدد:(١٧١٤٤)، بتاريخ:(١٦/٤/١٤٣١هـ).

(٣) جاءت مبادرة صاحب السمو الملكي الأمير/ سلطان بن عبد العزيز آل سعود -ولي العهد، نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران والمفتش العام - حفظه الله تعالى، وتبرعه السخي لتمويل إنشاء كرسي بحث يعني بالدراسات الإسلامية المعاصرة، في إطار برنامج كراسي البحث الذي =

بجامعة الملك سعود بالرياض؛ له جهود مباركة في زرع الوسطية والاعتدال في المجتمعات الإسلامية؛ قال الأمير/سلطان بن عبدالعزيز آل سعود-حفظه الله-: "الهدف من إنشاء كرسي للدراسات الإسلامية المعاصرة هو التأكيد على وسطية الإسلام وسماحته ودعم الأبحاث ذات العلاقة"<sup>(١)</sup>.

ويعد سماحة الوالد الشيخ/ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ -مفتي عام المملكة العربية السعودية ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء- المشرف العام على الكرسي؛ ورسالة الكرسي هي: "التأكيد على وسطية الإسلام وسماحة أحكامه"<sup>(٢)</sup>.

#### ومن أهدافه:

- دعم الدراسات والأبحاث المؤكدة على وسطية الإسلام وسماحته.
- معالجة الأفكار المنحرفة والتيارات الهدامة بأسلوب منهجي وموضوعي.
- تنمية جوانب التوازن والشمول والاعتدال في أوساط الشباب.
- مواجهة ومعالجة ظواهر الغلو والانحلال في واقع المسلمين.

= اضطلمت به جامعة الملك سعود بالرياض، رافداً جديداً لدعم البحث العلمي، واستثماره في التأكيد على وسطية الإسلام وسماحة أحكامه، وصلاحيته لكل زمان ومكان، وتقديم حلول موضوعية علمية للقضايا المعاصرة والمستجدة على ضوء تعاليم الشريعة الإسلامية الغراء ومبادئها؛ وقد وقع سماحة الوالد الشيخ/ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ مفتي عام المملكة العربية السعودية ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء مع معالي مدير جامعة الملك سعود الأستاذ الدكتور/ عبد الله بن عبد الرحمن العثمان عقد كرسي الأمير سلطان بن عبد العزيز للدراسات الإسلامية المعاصرة، بتاريخ: (٢٢/١٢/١٤٢٨هـ). ينظر: موقع (كرسي الأمير/ سلطان بن عبدالعزيز للدراسات الإسلامية المعاصرة): ebhc-kt.ksu.edu.sa

(١) كرسي الأمير/سلطان بن عبدالعزيز للدراسات الإسلامية المعاصرة التقرير السنوي (١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م):ص(٣٦).

(٢) المرجع السابق، ص(٦).



## ومن المشروعات البحثية للكرسي:

مشروع "موسوعة أبحاث الوسطية"<sup>(١)</sup>؛ وهي سلسلة أبحاث تستهدف إبراز وسطية الإسلام في أهم القضايا الإسلامية المعاصرة؛ يتم تناولها بأسلوب علمي رصين بمشاركة نخبة من العلماء والباحثين داخل المملكة وخارجها.

### يسعى هذا المشروع إلى تحقيق جملة من الأهداف؛ من أهمها:

- بيان المصطلحات الشرعية المتصلة بالوسطية، وضبط دلالاتها.
- تصحيح المفاهيم الخاطئة عن الوسطية في الإسلام.
- التأكيد على سماحة الإسلام ويسره وإبراز أهم القضايا الدالة على ذلك.

١٤: قامت جامعة الملك عبدالعزيز بجدة بتأسيس (كرسي الأمير خالد الفيصل لتأصيل منهج الاعتدال السعودي)<sup>(٢)</sup>؛ ورؤية الكرسي ورسالته تتمثل في التأصيل العلمي لمنهج الاعتدال السعودي تعزيزاً للوحدة الوطنية، ونشر ثقافة الاعتدال السعودية؛ لمواجهة التحديات النابعة من تيارات التطرف والغلو والتغريب، أما أهدافه فتتمثل فيما يأتي:

- إظهار الصورة الصحيحة لمنهج الاعتدال السعودي وتطبيقاته عبر الامتداد التاريخي للمملكة العربية السعودية.
- تعزيز الانتماء الوطني لدى أفراد المجتمع.
- رفع وعي وثقافة المجتمع تجاه الأفكار الضارة بكيانه واستقراره، كالتطرف والغلو والتغريب.

١٥: أعلن مدير الجامعة الإسلامية الأستاذ الدكتور/ محمد بن علي العقلا

(١) المرجع السابق، ص(٢٧-٢٨).

(٢) ينظر: موقع كرسي الأمير خالد الفيصل لتأصيل منهج الاعتدال السعودي: [www.kau.edu.sa](http://www.kau.edu.sa)

عن تأسيس كرسي الإمام/ محمد بن عبد الوهاب للوسطية وتطبيقاتها المعاصرة<sup>(١)</sup>.

١٦: قامت الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بمواجهة الغلو والتطرف؛ وبيان موقف الشريعة من هذه الآفة، ومن ملامح جهودها<sup>(٢)</sup>:

- كشف مواطن الخلل في تفكيرها، والتعريف بمخاطر أفكارها التكفيرية، وعملياتها التفجيرية.
- خروجها على الجماعة، وبذرها لبذور الفرقة والفتنة.
- التعريف بمسؤولية المسلم في مواجهة هذه الفرق الضالة كل في حدود استطاعته.

١٧: أقامت الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة قناة خاصة بمسمى: (قناة جامعتي) التي تهدف في المقام الأول إلى محاربة الإرهاب والتطرف والأفكار المنحرفة ونشر رسالة الإسلام بما فيها من وسطية واعتدال وعدل وتسامح<sup>(٣)</sup>.

١٨: ألقى معالي الشيخ/ عبدالله بن سليمان المنيع محاضرة بالجامعة الإسلامية بعنوان: (الوسطية في الإسلام) عام (١٤٢٧هـ)<sup>(٤)</sup>.

١٩: من جهود (الجمعية الفقهية السعودية) في جامعة الإمام محمد بن سعود

(١) ينظر نشرة: أخبار الجامعة: إصدار وحدة الإعلام بالجامعة الإسلامية بالمدينة، (محرم ١٤٢٢هـ).

(٢) ينظر: جهود وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في مكافحة الإرهاب والأفكار الضالة: توفيق بن عبدالعزيز السديري، ضمن أبحاث المؤتمر العالمي الأول عن جهود المملكة العربية السعودية في خدمة القضايا الإسلامية، المحور الرابع، القسم الأول، ص(٢٢٦).

(٣) ينظر: جهود الجامعة الإسلامية في معالجة الإرهاب فكرياً: حسين بن هادي العواجي، ضمن أبحاث المؤتمر العالمي الأول عن جهود المملكة العربية السعودية في خدمة القضايا الإسلامية، المحور الرابع، القسم الأول، ص(٣٦١).

(٤) المرجع السابق، ص(٢٣٩).

الإسلامية أن أقامت محاضرة في قاعة الشيخ/ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز-رحمه الله- بكلية الشريعة، بعنوان: "الوسطية في الإسلام" لمعالي الشيخ/ صالح بن فوزان الفوزان؛ في صباح يوم الاثنين الموافق: (٢٤/١١/١٤٣١هـ).

٢٠: من جهود (الجمعية العلمية السعودية للقران الكريم وعلومه) في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية أن أقامت لقاءً علمياً بعنوان: (الوسطية في القران الكريم)، قدمه: د. فهد الجهني، د.ناصر القشامي؛ في جامعة الطائف، بتاريخ: (١٤/٤/١٤٣١هـ)<sup>(١)</sup>.

٢١: نظمت وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ندوة بعنوان: (أثر القران الكريم في تحقيق الوسطية ودفن الغلو) بتاريخ: (١١/٩/١٤٢٤هـ) وذلك خلال انعقاد مسابقة الملك عبدالعزيز الدولية لحفظ القران الكريم؛ وناقشت أربعة محاور هي<sup>(٢)</sup>:

#### المحور الأول: (الوسطية والاعتدال في القران الكريم والسنة).

وفيه أربعة بحوث:

- مفهوم الوسطية والاعتدال.
- أدلة الوسطية في القران الكريم.
- مظاهر الوسطية في الإسلام.
- ثمار الوسطية والاعتدال.

#### المحور الثاني: (دلالة القران على سماحة الإسلام ويسره).

(١) ينظر: التقرير السنوي للجمعية العلمية السعودية للقران الكريم وعلومه لعام (١٤٣٠هـ-١٤٣١هـ)، ص(٣٠).

(٢) ينظر: جهود وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في مكافحة الإرهاب والأفكار الضالة: توفيق بن عبدالعزيز السديري، ضمن أبحاث المؤتمر العالمي الأول عن جهود المملكة العربية السعودية في خدمة القضايا الإسلامية، المحور الرابع، القسم الأول، ص(٢٢٨-٢٢٩).

وفيه ثلاثة بحوث:

- مفهوم السماحة واليسر في الكتاب والسنة وأدلتها.
  - سماحة الإسلام في التعامل مع المخالف.
  - سماحة الشريعة في التعامل مع الواقع للدول والأفراد.
- المحور الثالث: (الغلو مظاهره وأسبابه).**

وفيه أربعة بحوث:

- مفهوم الغلو في الكتاب والسنة.
  - مظاهر الغلو في الاعتقاد والعمل والحكم على الناس.
  - أسباب الغلو العلمية والمنهجية وعلاجها (الخوارج أنموذجاً).
  - أسباب الغلو النفسية والاجتماعية وعلاجها.
- المحور الرابع: (استثمار تعليم القرآن في ترسيخ الوسطية ومعالجة الغلو).**

وفيه أربعة بحوث:

- أثر القرآن في بناء الشخصية المعتدلة.
  - معالجة القرآن الكريم لظواهر الانحراف والغلو.
  - أثر معلم القرآن الكريم في تربية طلابه على الاعتدال.
  - مؤسسات تعليم القرآن الكريم وأثرها في نشر الوسطية.
- ٢٢: أقامت إدارة الشؤون الدينية بقوات الدفاع الجوي الملكي السعودي؛ معرضاً لمكافحة الإرهاب بقيادة قوات الدفاع الجوي خلال المدة: (١٩-٢٣/٥/١٤٢٩هـ)، كان من أبرز عناوينه ما يأتي:
- (الوسطية لا إفراط ولا تفريط، الإرهاب وأثره على المجتمع، أقوال السلف في طاعة ولي الأمر، ثورة في وجه الإرهاب، حرمة التعدي على رجال

الأمن، التخريب مصلحة لأعداء الإسلام<sup>(١)</sup>.

٢٣: نظم (كرسي الأمير خالد الفيصل لتأصيل الاعتدال السعودي) بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة، ندوته العلمية الأولى بعنوان: (منهج الاعتدال السعودي: الأسس والمنطلقات)<sup>(٢)</sup> بتاريخ: (١٧-١٨/١٠/١٤٣١هـ) الموافق: (٢٦-٢٧/٩/٢٠١٠م) شارك فيها خمسة عشر متحدثاً وباحثاً بأوراق وبحوث قيمة في مجموعة مختلفة من المحاور العلمية. وأهداف الندوة هي:

- إظهار الصورة الصحيحة لمنهج الاعتدال السعودي وتطبيقاته عبر الامتداد التاريخي للمملكة العربية السعودية.
- تأصيل الأسس والمنطلقات التي بُني عليها منهج الاعتدال السعودي.
- نشر ثقافة الاعتدال بين أفراد المجتمع السعودي.
- وأما المحاور العلمية للندوة فهي:
- الثوابت الدينية ودورها في تأصيل منهج الاعتدال السعودي.
- الخصوصية الثقافية في بناء منهج الاعتدال السعودي.
- المفاهيم الاجتماعية وأثرها في تشكيل أبعاد منهج الاعتدال السعودي.
- الجذور التاريخية لتأصيل منهج الاعتدال السعودي.
- صياغة الأنظمة والمواقف السياسية وفق منهج الاعتدال السعودي.

(١) ينظر: تقرير أعمال إدارة الشؤون الدينية لقوات الدفاع الجوي وأقسامها لعام (١٤٢٩هـ): إعداد/ إدارة الشؤون الدينية لقوات الدفاع الجوي، ص(٢٣)، الملحق الخاص لمعرض قوات الدفاع الجوي لمكافحة الإرهاب: مجلة دورية تصدر عن إدارة الشؤون الدينية لقوات الدفاع الجوي، العدد الأول، (جماد الأول-١٤٢٩هـ).

(٢) ينظر: بحوث الندوة العلمية الأولى لكرسي الأمير خالد الفيصل لتأصيل منهج الاعتدال السعودي (منهج الاعتدال السعودي: الأسس والمنطلقات): مركز النشر العلمي بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة، ص(ز-ح).

- السياسات الاقتصادية ومرتكزات منهج الاعتدال السعودي.
- ٢٤: أصدرت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (سلسلة موقف الإسلام من الإرهاب) ومن ضمن مطبوعاتها ما يأتي<sup>(١)</sup>:
- الانحراف الفكري وعلاقته بالإرهاب: إبراهيم بن ناصر بن محمد الحمود، ط ١، (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م).
- الإرهاب الفكري: مفهومه، بعض صورته، سبل الوقاية منه: خالد بن عبدالرحمن بن رشيد القرشي، ط ١، (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م).
- فكر التصدي للإرهاب: مراجعات في المفهوم والأسباب والهوية والأوزار: علي بن إبراهيم بن حمد النملة، ط ١، (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م).
- ٢٥: ضمن برنامج (تحقيق الوسطية والأمن الفكري) التقى الشيخ الدكتور/ عبدالله بن عبدالرحمن الشثري وكيل جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية يوم الثلاثاء: (١٥/١/١٤٣٢هـ) بخطباء جوامع محافظة المجمعة في لقاء بعنوان: (واجب الخطيب في بيان خطر الإرهاب والغلو والانحراف الفكري)<sup>(٢)</sup>.
- ٢٦: قامت إدارة الشؤون الدينية بقوات الدفاع الجوي بإصدار الشريط الرابع (مجموعة كلمات مختارة) ألقى بمسجد قيادة قوات الدفاع الجوي؛ تحت عنوان: "وسطية لا إفراط ولا تفريط"<sup>(٣)</sup>.
- ٢٧: إعداد وإصدار الرسائل العلمية والكتب ذات العلاقة بتوضيح وسطية الإسلام وسماحته واعتداله؛ ومن أمثلة ذلك:
- (الوسطية في الإسلام مفهومها وضوابطها وتطبيقاتها): إعداد/فريد

(١) ينظر: مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: إعداد/ عمادة شؤون المكتبات، ص(٢٩).

(٢) جريدة الرياض، العدد: (١٥٥٢٠)، بتاريخ: (١٥/١/١٤٣٢هـ)، ص(١٦).

(٣) ينظر: تقرير أعمال إدارة الشؤون الدينية لقوات الدفاع الجوي وأقسامها لعام (١٤٢٩هـ): إعداد/ إدارة الشؤون الدينية لقوات الدفاع الجوي، ص(٦).

محمد هادي عبدالقادر؛ رسالة لنيل درجة الماجستير عام (١٤١٠هـ) -  
 (١٤١١هـ)، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود  
 الإسلامية بالرياض.

■ بحث بعنوان: (الغلو... الأسباب والعلاج). تأليف: أ.د/ ناصر بن  
 عبدالكريم العقل، مقدم إلى "المؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من  
 الإرهاب"؛ المنعقد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام:  
 (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).

■ بحث بعنوان: (جهود أئمة الدعوة السلفية بنجد في التصدي للعنف  
 والإرهاب من خلال الدعوة إلى فقه إنكار المنكر) تأليف: د/ صالح  
 بن عبدالله الفريح، مقدم إلى "المؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من  
 الإرهاب"؛ المنعقد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام:  
 (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).

■ (التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب) تأليف/ معالي الشيخ صالح  
 بن عبدالرحمن الحصين؛ من إصدارات كرسي الأمير سلطان  
 للدراسات الإسلامية المعاصرة؛ بجامعة الملك سعود، الرياض،  
 (١٤٢٩هـ).

■ بحث بعنوان: (موقف المؤسسات الشرعية في المملكة العربية السعودية  
 من الإرهاب والعنف والتطرف) تأليف: د/ علي بن راشد الديبان،  
 مقدم إلى "المؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب"؛ المنعقد  
 بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام: (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).

■ بحث بعنوان: (وظيفة العلماء والدعاة في احتواء السلوك الإرهابي):  
 تأليف: د/ عبدالرحمن بن سليمان الخليفي، مقدم إلى "المؤتمر العالمي  
 عن موقف الإسلام من الإرهاب"؛ المنعقد بجامعة الإمام محمد بن سعود

- الإسلامية عام: (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).
- بحث: (الغلو في الدين معناه، وتاريخه، وأسبابه) تأليف: د. علي بن عبد العزيز الشبل؛ مجلة البحوث الإسلامية، العدد: (٧٩).
  - بحث بعنوان: (أثر العلم الشرعي في مواجهة العنف والعدوان) تأليف: د/ عبد العزيز بن فوزان بن صالح الفوزان، مقدم إلى "المؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب"؛ المنعقد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام: (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).



## المبحث الثاني

### جهود المؤسسات الشرعية بالمملكة العربية السعودية في حماية عقيدة الإسلام

#### مدخل:

المسلم عليه أن يكون حريصاً على عقيدة الإسلام، وأن تكون عقيدته سليمة من كل شائبة؛ فيكون ما ينطق به موافقاً لقواعد الشريعة، بعيداً عما نهى الله عنه؛ وليعلم كل مسلم أن الإسلام جاء محققاً للفرد مصالحه في دار دنياه ومعاشه، ميسراً له أموره مُبعداً عنه كل ما يؤدي إلى مشقة ظاهرة، أو عسرٍ لا يحتمل، أو حرجٍ بَيْنٍ، فالإسلام متلائم تماماً مع فطرة الإنسان، وحاجاته؛ وجاء الإسلام—أيضاً—محققاً للأمة ما تصبوا إليه من وحدة صفها، واجتماع كلمتها، وتحقيق آمالها، فالإسلام يتناول الحياة كلها، ويتولى شؤون الأمة جميعها.

فالإسلام هو الدين الذي شرعه الله لنفسه، وبعث به رسله، لا يقبل غيره، ولا يجزى إلا به، فالله سبحانه لم يخلق الناس عبثاً، ولم يتركهم سدى، بل خلقهم لأمر عظيم، وخطب جسيم، خلقهم لعبادته، قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ، يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(١)</sup>.

#### نماذج من جهود المؤسسات الشرعية في هذا الشأن:

حرصت المؤسسات الشرعية بالمملكة العربية السعودية غاية الحرص على حماية عقيدة الإسلام؛ ومن أبرز جهودها في ذلك ما يأتي:

(١) سورة المائدة، الآيتان: (١٥-١٦).

١ : اهتمت وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بشأن حماية العقيدة، والحفاظ عليها، تمثل هذا جلياً في مختلف أنشطتها؛ وجاء في الأهداف الثقافية للوزارة ما يأتي<sup>(١)</sup>:

- تأصيل العقيدة الصحيحة، ونبذ ما يضادها، وإيضاح موقف الإسلام من القضايا الفكرية المعاصرة.
- العمل على تصحيح المفاهيم الخاطئة عن الإسلام، ومحاربة المبادئ الهدامة والأفكار المنحرفة، ودحض الشبه التي تثار ضد الإسلام(بين حين وآخر)؛ لبيان مخالفتها للكتاب والسنة مع الرد على ذلك وقت الاقتضاء.
- نشر الوعي الديني بين أفراد المجتمع عن طريق المسجد والعناية به، وإقامة ملتقيات للأئمة والخطباء والدعاة داخل المملكة وخارجها.

٢ : حرصت هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية على التوجيه الدائم لعموم الناس على التمسك بعقيدة الإسلام، والذود عنها، فجاء في إحدى بياناتها: "والواجب التمسك بهذا الدين القويم، والسير فيه على الصراط المستقيم؛ المبني على الكتاب والسنة وفق فهم الصحابة - رضي الله عنهم- ومن تبعهم بإحسان، ووجوب تربية النشء والشباب على هذا المنهج القويم والصراط المستقيم؛ حتى يسلموا بتوفيق من الله من التيارات الفاسدة، ومن تأثير دعاة الضلالة والفتنة والفرقة، وحتى ينفع الله بهم أمة الإسلام، ويكونوا حملة علم وورثة للأنبياء، وأهل خير وصلاح وهدى"<sup>(٢)</sup>.

(١) ينظر: المناشط الثقافية لوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد: مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ص(٣٤).

(٢) بيان مجلس هيئة كبار العلماء في دورته (التاسعة والخمسين) التي انعقدت في مدينة الطائف ابتداء

٣: من الجهود المباركة لسماحة الوالد الشيخ/ عبدالعزيز بن عبدالله بن محمد آل الشيخ - حفظه الله - مفتي عام المملكة العربية السعودية ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء؛ حرصه الدائم على تقرير العقيدة الصحيحة وبيان أهميتها، وعظم شأنها في حياة الأمة حتى أصبحت محوراً رئيساً في خطب (يوم عرفة) التي يلقيها منذ عام (١٤٠٢هـ) ولا يزال؛ ومن نماذج ذلك ما يأتي:

■ قوله حفظه الله: "إن دعوة جميع الرسل دعوة واحدة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه؛ هذه طريقة أنبياء الله ورسله من نوح إلى سيدهم وأعظمهم وأكملهم وأفضلهم محمد ﷺ" (١).

■ قوله حفظه الله: "أيها المسلمون: إن أصل هذا الدين وأساسه وقاعدته التي بني عليها تحقيق الشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؛ فهذان ركن التوحيد الذي لا يستقيم إسلام عبد إلا بتحقيق هاتين الكلمتين" (٢).

■ قوله حفظه الله: "أمة الإسلام: إن هذا الدين الإسلامي قول وعمل واعتقاد، فلا بد من اعتقاد القلب، ولا بد من نطق اللسان، وعمل الجوارح، هذا هو الإسلام النافع" (٣).

٤: أعدت وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد خطة تنفيذية

من تاريخ: (١١/٦/١٤٢٤هـ)، وقد استعرض ما جرى في المملكة العربية السعودية من تفجيرات استهدفت تخريباً وقتل أناس معصومين وأحدثت فزعاً وإزعاجاً.  
(١) الجامع لخطب عرفة: عبدالعزيز بن عبدالله بن محمد آل الشيخ، ص(٢١)؛ من خطبة يوم عرفة عام (١٤٠٢هـ).

(٢) المرجع السابق، ص(٨١)؛ من خطبة يوم عرفة عام (١٤٠٥هـ).

(٣) المرجع السابق، ص(١٩٤)؛ من خطبة يوم عرفة عام (١٤١٠هـ).

لمكافحة الفكر المنحرف الضال؛ وتم تشكيل فريق عمل من طلبة العلم يتولى الإشراف على تنفيذ هذه الحملة من خلال مناشط منبرية وإعلامية، ومحاضرات وندوات ومؤتمرات وطباعة كتب ومنشورات؛ وتضمنت جهود الوزارة العديد من المناشط والأعمال التي تجاوزت خمسة عشر مليون منشط<sup>(١)</sup>.

٥: وضعت وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد خطة متكاملة تتضمن إبراز رسالة المسجد في مكافحة الأفكار الضالة؛ ولدى الوزارة برنامج طويل المدى لمحاربة الأفكار المتطرفة عبر أكثر من (٧٢) ألف مسجد في المملكة<sup>(٢)</sup>.

٦: أن الحسبة في المجتمع السعودي لها دور بارز في منع انتشار الأفكار الهدامة، والتصدي لها، وحماية المجتمع من أضرارها؛ جاء في "نظام هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" ما نصه: "من أهم واجبات هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: إرشاد الناس، ونصحهم؛ لاتباع الواجبات الدينية المقررة في الشريعة الإسلامية، وحمل الناس على أدائها، وكذلك النهي عن المنكر بما يحول دون ارتكاب المحرمات والممنوعات شرعاً، أو اتباع العادات والتقاليد السيئة، أو البدع المنكرة، ولها في سبيل ذلك كله اتخاذ الإجراءات، وتوقيع العقوبات المنصوص عليها في هذا النظام"<sup>(٣)</sup>، وجاء أيضاً ما نصه: "للهيئة حق المشاركة في مراقبة

(١) ينظر: جهود وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في مكافحة الإرهاب والأفكار الضالة: توفيق بن عبدالعزيز السديري، ضمن أبحاث المؤتمر العالمي الأول عن جهود المملكة العربية السعودية في خدمة القضايا الإسلامية، المحور الرابع، القسم الأول، ص(٢٠٠).

(٢) المرجع السابق، ص(٢٠٩).

(٣) مجموعة الأنظمة السعودية: نظام هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الباب الرابع، المادة التاسعة (١٦٨/٣).

الممنوعات مما له تأثير على العقائد أو السلوك أو الآداب العامة مع الجهات المختصة، وطبقاً للأوامر والتعليمات، وتُحدد اللائحة كيفية مشاركة الهيئة في المراقبة<sup>(١)</sup>، وقد وجه الرئيس العام لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فروع الرئاسة في جميع مناطق المملكة بعقد الدروس والمحاضرات والكلمات التوجيهية في المساجد والمدارس والدوائر الحكومية والمؤسسات الأهلية للتحذير من الفكر الضال وكشف أستاره و شبهاته<sup>(٢)</sup>.

٧: سعت الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لتحسين منسوبي الرئاسة عقدياً وفكرياً، وتأهيلهم لمعالجة الأفكار الضالة؛ ومن ذلك إقامة دورة تأهيلية للمستجدين من أعضاء الهيئة؛ طرحت فيها قضايا تأصيلية مهمة نحو<sup>(٣)</sup>:

- وجوب الائتلاف والاجتماع وخطورة التفرق والاختلاف.
- أن أهل السنة لا يكفرون بالذنوب.
- وجوب السمع والطاعة لولاة الأمر.
- مرجعية العلماء.
- كيفية إنكار المنكر ودرجاته.

٨: تقوم الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء بتوزيع كميات كبيرة من الكتب الشرعية كل عام؛ ومن ذلك الكتب ذات العلاقة بالعقيدة

(١) المرجع السابق، الباب الرابع، المادة الثانية عشرة (١٦٨/٣).

(٢) ينظر: جهود الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المملكة العربية السعودية في محاربة الإرهاب (دراسة تحليلية): السهلي، ص(٣٠٥).

(٣) ينظر: أثر الحسبة وجهود هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في تحقيق الأمن الفكري (دراسة عقديّة): إعداد: أ.د.ناصر بن عبدالكريم العقل، ضمن بحوث ندوة:(الحسبة وعناية المملكة العربية السعودية بها)، الجزء الأول، ص(١٩٧-١٩٨).

الإسلامية؛ ومنها على سبيل المثال:

- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة: أحمد بن الحسين البيهقي، تخريج وتعليق: فريح بن صالح البهلال.
  - قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة: شيخ الإسلام ابن تيمية.
  - شرح العقيدة الواسطية: د. صالح بن فوزان الفوزان.
  - رسائل في حكم الاحتفال بالمولد النبوي: مجموعة من العلماء.
  - فتح المجيد شرح كتاب التوحيد: عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ.
- ٩: ومن الجهود المباركة للرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للحفاظ على عقيدة الإسلام ما يأتي:
- تقوم الهيئة بالاحتساب على من يسب الدين علناً، أو ينتقصه سواء مشافهة أو كتابة، ومن ذلك ما يوجد في بعض الصحف الوافدة من الإساءة للدين<sup>(١)</sup>.
  - إزالة الأسماء التي لا تتفق مع العقيدة الإسلامية مثل اسم "فينوس"<sup>(٢)</sup>.
  - لاحظ أعضاء هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ظهور أحذية وملابس داخلية مستوردة مكتوب عليها لفظ الجلالة (الله): فقاموا بالرفع للجهات المختصة بطلب إزالة هذا المنكر العظيم<sup>(٣)</sup>.
  - قامت هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالتعميم بشأن منع

(١) خطاب الهيئة رقم: (٤/٢٧٥٢)، وتاريخ: (٤٠٣/٦/٣هـ)، وخطاب رقم: (١٢٥٧)، وتاريخ: (١٤٠٤/٣/٣٠هـ).

(٢) خطاب الهيئة رقم: (١/١٠١٥)، وتاريخ: (١٤٠٤/٣/١٤هـ) ينظر: الحسبة والسياسة الجنائية بالمملكة العربية السعودية: العريفي (٦٧/١).

(٣) خطاب الرئيس العام لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى مقام وزارة الداخلية رقم: (١/٦١٠)، وتاريخ: (١٣٩٩/٣/٢٠هـ).

- دخول السراويل المكتوب عليها كلمة التوحيد: (لا إله إلا الله) <sup>(١)</sup>.
- قامت هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالتعميم بشأن منع المكتبات التجارية من بيع حقائب مدرسية عليها صلبان، وكذلك أقلام تحمل الصليب <sup>(٢)</sup>.
  - قامت هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالتعميم بشأن منع بعض بائعي الذهب من استيراد حُلِي من الذهب مرسوم عليها الصليب؛ وطالبتهم بسحبها من الأسواق، وأخذت عليهم التعهد بعدم استيرادها <sup>(٣)</sup>.
  - مراقبة الهيئة إزالة التماثيل المنحوتة في الصخور في أحد المصانع بالمنطقة الصناعية بمدينة الرياض <sup>(٤)</sup>.
  - تفقد أسماء المحلات وإزالة ما من شأنه أن يؤثر على العقيدة أو يخالفها، وإزالة أي منكر أو بدعة تחדش العقيدة، وملاحظة ما ينشر في الكتب والصحف من مخالفات العقيدة والرد عليها <sup>(٥)</sup>.
  - لاحظ رجال الهيئة أن عمال سمكرة ودهانات السيارات يستعملون أوراق الصحف وبها آيات قرآنية عند دهانهم السيارات؛ فأخذت

(١) تعميم الهيئة رقم: (١/١/٨٢٧)، وتاريخ: (١٣٩٩/٤/٢٢).

(٢) خطاب الهيئة رقم: (٢/٢٧٢٦)، وتاريخ: (١٤٠٢/٦/٢٦)، وخطاب رقم: (٣٣٧٦)، وتاريخ: (١٤٠٢/٨/٥).

(٣) خطاب الهيئة المؤرخ بتاريخ: (١٣٩٩/٦/٤).

(٤) ينظر: أثر الحسبة في حفظ العقيدة والعبادات والحدود وتطبيقاتها المعاصرة في المملكة العربية السعودية: إعداد: د. محمد عبدالرزاق أسود، بحث مقدم إلى ندوة: (الحسبة وعناية المملكة العربية السعودية بها) المنعقدة في الفترة: (١٣١١/٤/١٢ - ١٤٣١هـ) تحت إشراف الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، المجلد السادس، الجزء الأول، ص(٣٦٨).

(٥) خطاب الهيئة رقم: (٤/٤٥٣)، وتاريخ: (١٤٠٤/٢/٥)، وخطاب الهيئة رقم: (٢/١٦٢١)، وتاريخ: (١٤٠٤/٤/٢١).

عليهم التعهد بعدم استعمال ذلك<sup>(١)</sup>.

١٠: تم إنشاء وحدة مركزية تحت مسمى: (وحدة مكافحة السحر والشعوذة)<sup>(٢)</sup> لها مهام وتعمل وفق آليات محددة في الإدارة العامة للقضايا بالرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ وتهدف إلى مكافحة السحر والشعوذة في هذه البلاد؛ وذلك بالقبض على السحرة والمشعوذين، وتوعية المجتمع بخطرهم؛ وحمايةً لجناب التوحيد من مظاهر الشرك والتعلق بغير الله تعالى<sup>(٣)</sup>.

١١: تقوم اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بإصدار الفتاوى في مختلف صنوف المعرفة؛ والإجابة على أسئلة المستفتين المتنوعة؛ ومن أمثلة فتاوى العقيدة ما يأتي:

■ **السؤال: أريد تفسير كلمة (لا إله إلا الله محمد رسول الله)؟**

■ الفتوى<sup>(٤)</sup>: شهادة (أن لا إله إلا الله) و(أن محمداً رسول الله) هي الركن الأول من أركان الإسلام، ومعنى (لا إله إلا الله): لا معبود بحق إلا الله، وهي نفي وإثبات؛ (لا إله) نافياً جميع العبادات لغير الله، (إلا الله) مثبتاً جميع العبادات لله وحده لا شريك له، ونوصيك بمراجعة كتاب (فتح المجيد شرح كتاب التوحيد) تأليف الشيخ عبد الرحمن بن حسن؛ لأنه قد بسط

(١) تعميم الهيئة رقم: (١٦٢١)، وتاريخ: (١٤/٣/١٤٠٤هـ).

(٢) ينظر: الحسبة في المملكة العربية السعودية رسالة ومسيرة: الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص(٣٨).

(٣) تعميم الهيئة رقم: (١/٥٢٦)، وتاريخ: (١٩/٣/١٤٠٠هـ)، وخطاب الهيئة رقم: (٢٧٥)، وتاريخ: (٢١/١/١٤٠٣هـ)، وخطاب الهيئة رقم: (٣/١٨٣)، وتاريخ: (٢١/١١/١٤٠١هـ)، وخطاب وكيل

الرئيس العام رقم: (٢/١٩٨٣) وتاريخ: (٣/٨/١٤٠٠هـ).

(٤) ينظر: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (المجموعة الأولى): (٨٦/١)، السؤال الثالث من الفتوى رقم (٦١٤٩).



- الكلام في ذلك في باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله.
- وأما كلمة (محمد رسول الله) فمعناها: الإقرار برسالة محمد - ﷺ - والإيمان بها، والانقياد لها قولاً وفعلاً واعتقاداً، واجتناب كل ما يناقضها من الأقوال والأعمال والمقاصد والتروك، وبعبارة أخرى معناها: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم.

#### اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو	عضو	نائب رئيس اللجنة	الرئيس
عبد الله بن قعود	عبد الله بن غديان	عبد الرزاق عفيفي	عبد العزيز بن عبد الله بن باز

- السؤال: ما هي ظواهر الشرك القولية والعملية الموجودة في المجتمع الإسلامي؟
- الفتوى<sup>(١)</sup>: الظواهر الشركية في المجتمعات الإسلامية كثيرة، منها: الاستغاثة والاستعانة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، والنذر لغير الله، والذبح لغير الله، والحلف بغير الله، ومن وسائل الشرك: اتخاذ القبور مساجد والصلاة فيها، وقد نهوا عن ذلك، قال الله تعالى: (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين)، وعلم الله المسلمين أن يقولوا في كل ركعة من صلاتهم: إياك نعبد وإياك نستعين، وقال النبي ﷺ: (لعن الله من ذبح لغير الله)، وقال: (إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله)، وقال: (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحهم مساجد... الحديث)، وقوله ﷺ: (ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم

(١) ينظر: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (المجموعة الأولى): (١/٧٦٣-٧٦٤)، السؤال الثالث من الفتوى رقم (٨٩٤٣).

وصالحهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك)، وقال: (من حلف بغير الله فقد أشرك) إلى غير ذلك من مظاهر البدع الشركية.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم.

#### اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو	عضو	نائب رئيس اللجنة	الرئيس
عبد الله بن قعود	عبد الله بن غديان	عبد الرزاق عفيفي	عبد العزيز بن عبد الله بن باز

١٢: قامت الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بطباعة

العديد من الكتب في بيان العقيدة الصحيحة والذود عنها؛ ومن ذلك<sup>(١)</sup>:

▪ كتاب التوحيد، وكتاب مسائل الجاهلية: شيخ الإسلام/ محمد بن عبد الوهاب.

▪ معارج القبول شرح سلم الوصول: حافظ الحكمي.

▪ العقيدة الصحيحة وما يضادها: عبدالعزيز بن عبد الله بن باز.

▪ القوادح في العقيدة ووسائل السلامة منها: عبدالعزيز بن عبد الله بن باز.

▪ القول المفيد على كتاب التوحيد: محمد بن صالح العثيمين.

▪ شرح العقيدة الواسطية: محمد بن صالح العثيمين.

▪ مجمل أصول أهل السنة والجماعة: د.ناصر العقل.

▪ ضوابط تكفير المعين: أ.د/ عبد الله بن عبدالعزيز الجبرين.

١٣: تقوم إدارة الشؤون الدينية بقوات الدفاع الجوي الملكي السعودي، بجهد

(١) ينظر: الأمن الفكري وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر البرامج والوسائل: إعداد: د.عبد الله بن

دجين السهلي، ضمن بحوث ندوة: (الحسبة وعناية المملكة العربية السعودية بها)، المجلد السادس،

الجزء الثاني، ص(٦١-٦٢).

مشكور في التوعية والإرشاد؛ جاء في بيان مهمتها: "التخطيط والإشراف على توعية منسوبي قوات الدفاع الجوي بأمور دينهم ومكافحة الأفكار الهدامة والمنكرات ورفع المعنوية وتوفير احتياجات المساجد والمكتبات والإشراف عليها وتفعيل دور التكافل الاجتماعي"<sup>(١)</sup>، ومن أهم أهدافها<sup>(٢)</sup>:

- تصحيح الأفكار الخاطئة وتحسين المسلم ضد المبادئ والعقائد الهدامة والمنحرفة.
- التصدي لظاهرة التكفير وإيضاح أخطارها.

١٤: من جهود الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لحفظ عقيدة المسلمين في هذه البلاد المباركة؛ ما قامت به من المتابعة والقبض على بعض العمالة الوافدة التي تستغل سكنها في إقامة معابد خاصة بهم، والقيام بأعمال تخالف العقيدة الإسلامية، ونشر المعتقدات الخاطئة<sup>(٣)</sup>.

١٥: من جهود الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء قيامها بإصدار مجلة دورية محكمة بعنوان: (مجلة البحوث الإسلامية) تحوي العديد من البحوث المفيدة؛ منها البحوث الخاصة بالعقيدة الإسلامية نحو:

- افتتاحية بعنوان: (وجوب عبادة الله وحده وبيان أسباب النصر على

(١) ينظر: خطة إدارة الشؤون الدينية وأقسامها لعام (١٤٣٢هـ): إعداد / إدارة الشؤون الدينية بقوات الدفاع الجوي الملكي السعودي، ص(٢).

(٢) المرجع السابق، ص(١).

(٣) ينظر: أثر الحسبة وجهود هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حفظ كيان الأمة وسلامة المعتقد: إعداد: أ.د. عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار، ضمن بحوث ندوة: (الحسبة وعناية المملكة العربية السعودية بها)، المجلد السادس، الجزء الأول، ص(٢٧٥-٢٧٦).

الأعداء): سماحة الشيخ/ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز<sup>(١)</sup>.

- تعريف البدعة، أنواعها، وأحكامها: صالح بن فوزان الفوزان<sup>(٢)</sup>.
- عقيدة الأمة في المهدي المنتظر: يوسف بن عبدالرحمن البرقاوي<sup>(٣)</sup>.
- الكفر مفهومه وأنواعه والغلاة فيه: د.سارة بنت فراج العقلا<sup>(٤)</sup>.
- نواقض كلمة التوحيد: د.عواد بن عبدالله المعتق<sup>(٥)</sup>.

١٦: إدارات التوعية الإسلامية بالمؤسسات التعليمية تلعب دوراً مهماً في إعداد الأجيال، وصياغة عقولهم، وحمايتهم من الأفكار الهدامة، وبناء المناعة الفكرية الراسخة لديهم؛ لتتطلق في بناء مستقبلها على أسس سليمة، ومن منطلق أن "هدف التعليم الإسلامي هو تنشئة الإنسان الصالح الذي يعبد الله حق عبادته، ويعمر الأرض وفق شريعته، ويسخرها لخدمة العقيدة وفق منهجه"<sup>(٦)</sup>.

ولقد حرصت المملكة العربية السعودية في سياستها التعليمية أن تحمي أبنائها من ضرر الأفكار الهدامة، ومن ذلك:

- ١- جاء في الأهداف الإسلامية العامة للتعليم: "تنمية روح الولاء لشريعة الإسلام، وذلك بالبراءة من كل نظام أو مبدأ يخالف هذه الشريعة، واستقامة الأعمال والتصرفات وفق أحكامها العامة الشاملة"<sup>(٧)</sup>.

(١) ينظر: مجلة البحوث الإسلامية، العدد: (١٨)، عام (١٤٠٧هـ)، ص(٧).

(٢) ينظر: مجلة البحوث الإسلامية، العدد: (٢٣)، عام (١٤٠٨هـ-١٤٠٩هـ)، ص(٣٤٩).

(٣) ينظر: مجلة البحوث الإسلامية، العدد: (٤٩)، عام (١٤١٧هـ)، ص(٣٠٣).

(٤) ينظر: مجلة البحوث الإسلامية، العدد: (٨٣)، عام (١٤٢٨هـ-١٤٢٩هـ)، ص(٩٩).

(٥) ينظر: مجلة البحوث الإسلامية، العدد: (٨٥)، عام (١٤٢٩هـ)، ص(٧٧).

(٦) ينظر: جامعة الملك عبدالعزيز، كتاب المؤتمر (المؤتمر العالمي الأول للتعليم الإسلامي: ١٢-٢٠، ربيع الثاني، ١٣٩٧هـ)، ص(٩٠).

(٧) وثيقة التعليم الصادرة من اللجنة العليا لسياسة التعليم عام ١٣٩٠هـ، الباب الثاني، المادة: (٢٩).

٢- جاء في أهداف المرحلة المتوسطة: "تقوية وعي الطالب ليعرف-بقدر سنه- كيف يواجه الإشاعات المضللة، والمذاهب الهدّامة، والمبادئ الدخيلة"<sup>(١)</sup>.

٣- جاء في أهداف المرحلة الثانوية: "تكوين الوعي الإيجابي الذي يواجه به الطالب الأفكار الهدّامة والاتجاهات المضللة"<sup>(٢)</sup>.

ومن الجهود المشكورة ما أعلنت عنه وزارة التربية والتعليم من إطلاق أضخم مشروع لمواجهة الانحرافات الفكرية في مدارس البنين والبنات تحت اسم برنامج "الأمن الفكري"، واتخذت شعاراً له "فكر آمن.. حياة مطمئنة".

و أكد الدكتور/ سعيد المليص نائب وزير التربية والتعليم-سابقاً- خلال إطلاق البرنامج: "أن الحرب اليوم غير معلنة، حرب عقل وفكر وقيم ومبادئ، حرب خفية تفننت التقنية والصناعة الإعلامية لجعلها أشد تشويقاً وأكثر تأثيراً وجذباً، وهذا هو التحدي اليوم أمام المدرسة في مواجهة حرب الأفكار"<sup>(٣)</sup>.

ومما جاء في أهداف برنامج الأمن الفكري لجميع المدارس الحكومية والأهلية ما يأتي<sup>(٤)</sup>:

١- تحصين البيئة التعليمية من الانحرافات الفكرية والسلوكية

(١) وثيقة التعليم الصادرة من اللجنة العليا لسياسة التعليم عام ١٣٩٠هـ، الباب الثالث، الفصل الثالث، المادة:(٩١).

(٢) وثيقة التعليم الصادرة من اللجنة العليا لسياسة التعليم عام ١٣٩٠هـ، الباب الثالث، الفصل الرابع، المادة:(١٠٧).

(٣) جريدة الشرق الأوسط: الخميس، (٢٠ / ٣ / ١٤٢٩ هـ)، الموافق:(٢٧، مارس، ٢٠٠٨ م)، العدد:(١٠٧١٢).

(٤) ينظر: موقع الإدارة العامة للتربية والتعليم بمحافظة جدة، <http://jeddahedu.gov.sa>

ومعالجتها.

٢- تعزيز المسؤولية الفردية في المحافظة على أمن الوطن ومدخراته ومكتسباته.

٣- بيان حقوق العلماء وأهمية الرجوع إليهم والتلقي عنهم.

٤- تعميق الولاء والانتماء تجاه عقيدة هذه البلاد (المملكة العربية السعودية) وولادة أمرها.

٥- ترسيخ الفكر الوسطي في المجتمع التعليمي.

وأقرت وزارة التربية والتعليم تنفيذ برنامج ضخم خلال فترة الإجازة الصيفية لعام (١٤٢٧هـ)، تحت عنوان (الأندية الصيفية والأمن الفكري) يهدف إلى غرس حب الوطن، وتنمية الحس الوطني لدى الطلاب، وتحسينهم من الأفكار الدخيلة، ونبذ المنحرف منها إلى جانب تعريف الطلاب بالمنجزات والمكتسبات الوطنية، ودعم انتماء الطلاب لقادة الوطن<sup>(١)</sup>.

إن مجال التعليم إذا اتصفت مناهجه بالصبغة الإسلامية، وتنوعت سياسته بالشمولية، فلا شك أنه سوف يوقظ الضمائر المنحرفة، ويصلح السلوك المنعوج، ويهذب النفوس الضالة، ويحقق استقراراً في الفكر، وسمواً في الغاية والهدف<sup>(٢)</sup>.

١٧: قامت الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بإعداد برامج توجيه وتوعية لمدة أسبوع فأكثر بشكل مكثف في المناطق النائية من المملكة والتي يكثُر فيها الجهل بأمور الدين الأساسية، وتنتشر فيها

(١) ينظر: جريدة الشرق الأوسط: الأربعاء، (٢٠١٧/٦/٢هـ)، الموافق: (٢٨، يونيو، ٢٠١٦م)، العدد: (١٠٧٤).

(٢) ينظر: الأمن والتنمية دراسة تحليلية: محمد محمد علي نصير، ص(٢٣).

الخرافات، والشعوذة، والبدع<sup>(١)</sup>.

١٨: ألقى معالي الشيخ الدكتور/ صالح بن عبدالله بن حميد رئيس مجلس القضاء الأعلى، وعضو هيئة كبار العلماء، ورئيس مجمع الفقه الإسلامي الدولي؛ في حفل افتتاح كرسي الأمير/ نايف بن عبدالعزيز لدراسات الأمن الفكري محاضرة بعنوان: (الأمن الفكري في ضوء مقاصد الشريعة)، بتاريخ (١٢/٥/٢٩هـ)، ومما جاء فيها ما نصه:  
"إن هذا الموضوع أمان الأفكار (أي أمان العقيدة والدين) هو مبنى الأمن وأساسه ومحركه، فكل أمة حُقق أمن فكر أفرادها حُقق لها الأمن بكل أنواعه وصوره وأشكاله، وما يضبط فكر الأفراد ويصونه من الانحراف والخلل هو التمسك بدين الله كما جاء في كتابه الحكيم، ووفق ما بينه الرسول - ﷺ - وسنَّه"<sup>(٢)</sup>.

(١) ينظر: أثر الحسبة في حفظ العقيدة والعبادات والحدود وتطبيقاتها المعاصرة في المملكة العربية السعودية: إعداد: د. محمد عبدالرزاق أسود، ضمن بحوث ندوة: (الحسبة وعناية المملكة العربية السعودية بها)، المجلد السادس، الجزء الأول، ص(٣٦٥).  
(٢) الأمن الفكري في ضوء مقاصد الشريعة: صالح بن عبدالله بن حميد، ص(٨).

## المبحث الثالث

### جهود المؤسسات الشرعية بالمملكة العربية السعودية في علاج ظاهرة التسرع في التكفير

**مدخل:**

تكفير المسلم والحكم عليه بالخروج من الملة مسألة عظيمة يجب الاهتمام بها؛ فالإنسان مسؤول عما يتلفظ به أياً كانت كلماته، فالكلمات معدودة على قائلها، وهذا الأمر يشعر بأهمية الكلمة، والضرورة الملحة إلى مراعاة الإنسان ما ينطق به، قال جل وعلا: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾<sup>(١)</sup>، والمقصود: "ما يتكلم الإنسان بشيء إلا كتُبَ عليه"<sup>(٢)</sup>، وقال سبحانه: ﴿ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا ﴾<sup>(٣)</sup>، وقال عز وجل: ﴿ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴾<sup>(٤)</sup>.

وقد فقه السلف الصالح ضرورة عناية المرء بما يقول، وأن الكلمة أمانة، وعرفوا خطورتها، فالكلمة لا بد أن تكون بعيدة عما نهى الله عنه وزجر؛ مسترشدين بحديث سهل بن سعد<sup>(٥)</sup> -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ:

مؤتمر ظاهرة التكفير .. الأسباب .. الآثار .. العلاج

(١) سورة ق، الآية (١٨).

(٢) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (١١/١٧). وينظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، ص (١٤٩٨) - (١٤٩٩)، معالم التنزيل: البغوي، ص (١٢٢٨).

(٣) سورة آل عمران، الآية (١٨١).

(٤) سورة مريم، الآية (٧٩).

(٥) هو: الصحابي الجليل سهل بن سعد بن مالك الأنصاري الساعدي، كنيته: أبو العباس، وقيل: أبو يحيى، آخر من مات بالمدينة من الصحابة، توفي -رضي الله عنه- سنة (٩١هـ)، وقد قارب المائة. ينظر: الاستيعاب: ابن عبد البر، ص (٣٠٨-٣٠٩)، رقم (١٠٥)، أسد الغابة: ابن الأثير (٣٩٠/٢) - (٣٩١)، رقم (٢٢٩٥) سير أعلام النبلاء: الذهبي (٤٢٢/٣-٤٢٤)، رقم (٧٢).



"من يضمن لي ما بين لحييَّه، وما بين رجليه أضمن له الجنة"<sup>(١)</sup>؛ حيث دل الحديث الشريف على ضرورة صيانة اللسان من لغو الحديث؛ وهذا يدل على أهمية الكلمة، وضرورة العناية بها، وأن يراعي المرء ما امتن الله -جل ثناؤه- به عليه من نعمة اللسان، فقد قال تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ، وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ، وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾<sup>(٢)</sup>، فلا يستخدمه إلا في كل خير ينفعه في الدارين، فالمؤمن يستشعر قيمة كلمته؛ "فإن كان الناس يعتنون بكلماتهم من منطلق النفع الدنيوي، وحياسة الشرف للأمة، فإن المسلم يعتني بكلماته من منطلق الاستجابة الإيمانية لأوامر دينه، وتوجيهات شريعته"<sup>(٣)</sup>.

ومن أخطر الآفات في عصرنا هذا ظاهرة أبتلي بها بعض فئات المجتمع من التسرع في التكفير؛ بدون الاستناد إلى مبرر شرعي، أو الرجوع إلى العلماء الراسخين في العلم.

### نماذج من جهود المؤسسات الشرعية في هذا الشأن:

**للمؤسسات الشرعية بالملكة العربية السعودية جهود مباركة وثمررة في مواجهة وعلاج ظاهرة التسرع في التكفير؛ من أبرزها:**

١: صدور بيان من هيئة كبار العلماء<sup>(٤)</sup> عن ظاهرة التكفير وخطرها على الأمة؛ ونصه:

"الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، أما بعد: فقد درس مجلس هيئة كبار العلماء في دورته التاسعة والأربعين المنعقدة بالطائف ابتداء من تاريخ: (٢/٤/١٤١٩هـ)، ما

(١) أخرجه: البخاري، (٨١) كتاب الرقاق، (٢٣) باب: حفظ اللسان، رقم (٦٤٧٤)، ص (١٢٤٢).

(٢) سورة البلد، الآيتان (٨-٩).

(٣) مسؤولية الكلمة: عبدالله بن وكييل الشيخ، ص (٨).

(٤) مجلة البحوث الإسلامية، العدد: (٥٦)، بتاريخ: (ذو القعدة - ذو الحجة - محرم - صفر)، عام ١٤١٩هـ -

ص (٣٥٧-٣٦٢).

يجري في كثير من البلاد الإسلامية وغيرها من التكفير والتفجير، وما ينشأ عنه من سفك الدماء، وتخريب المنشآت، ونظراً إلى خطورة هذا الأمر، وما يترتب عليه من إزهاق أرواح بريئة، وإتلاف أموال معصومة، وإخافة للناس، وزعزعة لأمنهم واستقرارهم، فقد رأى المجلس إصدار بيان يوضح فيه حكم ذلك نصحاً لله ولعباده، وإبراءً للذمة، وإزالة للبس في المفاهيم لدى من اشتبه عليه الأمر في ذلك، فنقول وبالله التوفيق:

أولاً: التكفير حكم شرعي، مرده إلى الله ورسوله، فكما أن التحليل والتحریم والإيجاب إلى الله ورسوله، فكذلك التكفير، وليس كل ما وصف بالكفر من قول أو فعل، يكون كفراً أكبر مخرجاً عن الملة.

ولما كان مرد حكم التكفير إلى الله ورسوله لم يجز أن نكفر إلا من دل الكتاب والسنة على كفره دلالة واضحة، فلا يكفي في ذلك مجرد الشبهة والظن، لما يترتب على ذلك من الأحكام الخطيرة، وإذا كانت الحدود تدرأ بالشبهات مع أن ما يترتب عليها أقل مما يترتب على التكفير، فالتكفير أولى أن يدرأ بالشبهات؛ ولذلك حذر النبي - ﷺ - من الحكم بالتكفير على شخص ليس بكافر، فقال: (أيما امرئ قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما، إن كان كما قال وإلا رجعت عليه) (١)، وقد يرد في الكتاب والسنة ما يفهم منه أن هذا القول أو العمل أو الاعتقاد كفر، ولا يكفر من اتصف به؛ لوجود مانع يمنع من كفره، وهذا الحكم كغيره من الأحكام التي لا تتم إلا بوجود أسبابها

(١) أخرجه: البخاري، كتاب: الأدب، رقم: (٦١٠٤)، ومسلم، كتاب: الإيمان، رقم: (٦٠).

وشروطها، وانتفاء موانعها كما في الإرث، سببه القرابة- مثلاً-  
 وقد لا يرث بها لوجود مانع كاختلاف الدين، وهكذا الكفر  
 يكره عليه المؤمن فلا يكفر به، وقد ينطق المسلم بكلمة  
 بالكفر؛ لغلبة فرح أو غضب أو نحوهما فلا يكفر بها لعدم  
 القصد، كما في قصة الذي قال: ﴿اللهم أنت عبيدي وأنا ربك﴾<sup>(١)</sup>؛  
 أخطأ من شدة الفرح، والتسرع في التكفير يترتب عليه أمور خطيرة  
 من استحلال الدم والمال، ومنع التوارث، وفسخ النكاح وغيرها مما  
 يترتب على الردة، فكيف يسوغ للمؤمن أن يقدم عليه لأدنى شبهة.  
 وإذا كان هذا في ولاية الأمور كان أشد؛ لما يترتب عليه من التمرد  
 عليهم وحمل السلاح عليهم، وإشاعة الفوضى، وسفك الدماء،  
 وفساد العباد والبلاد، ولهذا منع النبي-صلى الله عليه وعلى آله  
 وصحبه وسلم- من منابذتهم، فقال: ﴿إلا أن تروا كفراً بواحاً  
 عندكم فيه من الله برهان﴾<sup>(٢)</sup>؛ فأفاد قوله: "إلا أن تروا"، أنه لا  
 يكفي مجرد الظن والإشاعة؛ وأفاد قوله: "كفراً" أنه لا يكفي  
 الفسوق ولو كبر، كالظلم، وشرب الخمر، ولعب القمار،  
 والاستئثار المحرم؛ وأفاد قوله: "بواحاً" أنه لا يكفي الكفر الذي  
 ليس ببواح أي صريح ظاهر، وأفاد قوله: "عندكم فيه من الله  
 برهان"؛ أنه لا بد من دليل صريح، بحيث يكون صحيح الثبوت،  
 صريح الدلالة، فلا يكفي الدليل ضعيف السند، ولا غامض  
 الدلالة؛ وأفاد قوله: "من الله" أنه لا عبرة بقول أحد من العلماء مهما  
 بلغت منزلته في العلم والأمانة إذا لم يكن لقوله دليل صريح صحيح

(١) أخرجه: البخاري، كتاب: الدعوات، رقم: (٦٣٠٩)، ومسلم، كتاب: التوبة، رقم: (٢٧٤٧).

(٢) أخرجه: البخاري، كتاب: الفتن، رقم: (٧٠٥٦).

من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ، وهذه القيود تدل على خطورة الأمر.

وجملة القول: أن التسرع في التكفير له خطره العظيم؛ لقول الله عز وجل: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْأثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾<sup>(١)</sup>.

ثانياً: ما نجم عن هذا الاعتقاد الخاطئ من استباحة الدماء، وانتهاك الأعراض، وسلب الأموال الخاصة والعامة، وتفجير المساكن والمركبات، وتخريب المنشآت، فهذه الأعمال وأمثالها محرمة شرعاً بإجماع المسلمين؛ لما في ذلك من هتك لحرمة الأنفس المعصومة، وهتك لحرمة الأموال، وهتك لحرمات الأمن والاستقرار، وحياة الناس الآمنين المطمئنين في مساكنهم ومعايشهم، وغدوهم ورواحهم، وهتك للمصالح العامة التي لا غنى للناس في حياتهم عنها. وقد حفظ الإسلام للمسلمين أموالهم وأعراضهم وأبدانهم وحرم انتهاكها، وشدد في ذلك، وكان من آخر ما بلغ به النبي - ﷺ - أمته فقال في خطبة حجة الوداع: (إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا، في بلدكم هذا)<sup>(٢)</sup>، ثم قال - ﷺ - : (ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد)<sup>(٣)</sup>، متفق عليه.

(١) سورة الأعراف، الآية: (٢٣).  
 (٢) أخرجه: أبو داود، كتاب: المناسك، رقم: (١٩٠٥)، والإمام أحمد بن حنبل في مسنده (٣/٣٧١)، والدارمي، كتاب: المناسك، رقم: (١٨٥٠).  
 (٣) أخرجه: البخاري، كتاب: الحج، رقم: (١٧٤١)، ومسلم، كتاب: القسامة والمحاربين والقصاص والديات، رقم: (١٦٧٩).

وقال - ﷺ -: (كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه)<sup>(١)</sup>، وقال عليه الصلاة والسلام: (اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة)<sup>(٢)</sup>، وقد توعد الله سبحانه - من قتل نفساً معصومة بأشد الوعيد، فقال سبحانه - في حق المؤمن: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾<sup>(٣)</sup>، وقال سبحانه - في حق الكافر الذي له ذمة في حكم قتل الخطأ: ﴿ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَرِيئًا مُسَلِّمًا إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ﴾<sup>(٤)</sup>، فإذا كان الكافر الذي له أمان إذا قتل خطأ فيه الدية والكفارة، فكيف إذا قُتل عمداً، فإن الجريمة تكون أعظم، والإثم يكون أكبر، وقد صح عن رسول الله - ﷺ - أنه قال: (من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة)<sup>(٥)</sup>.

ثالثاً: إن المجلس إذ يبين حكم تكفير الناس بغير برهان من كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - وخطورة إطلاق ذلك؛ لما يترتب عليه من شرور وآثام، فإنه يعلن للعالم أن الإسلام بريء من هذا المعتقد الخاطئ، وأن ما يجري في بعض البلدان من سفك للدماء البريئة، وتفجير للمساكن والمركبات والمرافق العامة والخاصة، وتخريب للمنشآت هو عمل إجرامي، والإسلام بريء منه، وهكذا كل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر بريء منه، وإنما هو تصرف من صاحب فكر منحرف، وعقيدة ضالة، فهو يحمل إثمه وجرمه، فلا يحتسب عمله

(١) أخرجه: مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، رقم: (٢٥٦٤).

(٢) أخرجه: مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، رقم: (٢٥٧٨).

(٣) سورة النساء، الآية: (٩٢).

(٤) سورة النساء، الآية: (٩٢).

(٥) أخرجه: البخاري، كتاب: الجزية، رقم (٢١٦٦).

على الإسلام، ولا على المسلمين المهتدين بهدي الإسلام، المعتصمين بالكتاب والسنة، المستمسكين بحبل الله المتين، وإنما هو محض إفساد وإجرام تأباه الشريعة والفطرة؛ ولهذا جاءت نصوص الشريعة قاطعة بتحريمه محذرة من مصاحبة أهله، قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾<sup>(١)</sup>، ﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمُهَادُّ ﴾<sup>(٣)</sup>.

والواجب على جميع المسلمين في كل مكان: التواصي بالحق، والتناصح والتعاون على البر والتقوى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾<sup>(٤)</sup>، وقال عز شأنه: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾<sup>(٥)</sup>، وقال عز وجل: ﴿ وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾<sup>(٦)</sup>، وقال النبي ﷺ: ("الدين النصيحة". قيل: لمن يا رسول الله؟

(١) سورة البقرة، الآية: (٢٠٤).

(٢) سورة البقرة، الآية: (٢٠٥).

(٣) سورة البقرة، الآية: (٢٠٦).

(٤) سورة المائدة، الآية: (٢).

(٥) سورة التوبة، الآية: (٧١).

(٦) سورة العنكبوت، الآية: (٢٠).

قال: "لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم"<sup>(١)</sup>، وقال عليه الصلاة والسلام: (مثل المؤمن في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)<sup>(٢)</sup>، والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، ونسأل الله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يكف البأس عن جميع المسلمين، وأن يوفق جميع ولاة أمور المسلمين إلى ما فيه صلاح العباد والبلاد وقمع الفساد والمفسدين، وأن ينصر بهم دينه، ويعلي بهم كلمته، وأن يصلح أحوال المسلمين جميعاً في كل مكان وأن ينصر بهم الحق إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه".

٢: حرص أئمة الحرمين الشريفين على التحذير من فتنة التكفير وخطورتها؛ وفيما يأتي نماذج من خطبهم:

أ. قال فضيلة الشيخ/ د. صالح بن عبدالله بن حميد حفظه الله: "عباد الله: وهذه-حفظكم الله-وقفة عند فتنة خطيرة، بدأت تُطَلِّ برأسها في بعض المجتمعات والفئات، ينبغي أن يتنادى أهل العلم والإيمان والفضل والصلاح والدين والغيرة إلى مقاومتها والتحذير منها؛ حذر منها السلف رحمهم الله، وبيّنوا خطرَها وعوارها، إنَّها مسألة تكفير المسلم لأخيه المسلم، والمجازفة بالحكم على المسلم بخروجه من ملة الإسلام وعده من أهل الكفر والشرك والقطع والجزم بأنَّه خالد مخلد في النار عياداً بالله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، مسألة التَّكفير من المسائل الكبار والقضايا

(١) أخرجه: مسلم، كتاب: الإيمان، رقم: (٥٥).

(٢) أخرجه: البخاري، كتاب: الأدب، رقم: (٦٠١١)، ومسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، رقم: (٢٥٨٦).

العظام، لها آثارها العظيمة، فلا يحلّ لمسلم أن يقدم عليها إلا ببرهانٍ عنده من الله، ودليلٍ هو في دلالته أوضح من الشمس في رابعة النهار<sup>(١)</sup>.

ب. قال فضيلة الشيخ / د. أسامة بن عبد الله خياط حفظه الله: "وإنّ الفتن التي تصيب من هجر سبيل الأتباع وجانب طريق التأسّي صنوفٌ وألوان، لا يكاد يحيط بها الحصر، غير أنّ من أعظم هذه الفتن خطراً وأشدّها ضرراً؛ فتنة التكفير التي أحدثت في الحياة الإسلاميّة فساداً عريضاً، عمّ كلّ جوانبها، وأدخل على المجتمع المسلم من الشرّ والنكر والبلاء ما لا مزيد عليه".  
وقال أيضاً: "عباد الله، إنّ التكفير-أي: الحكم بالكفر- أمرٌ خطير، يستبين خطره وشدّة ضرره بمعرفة ما يترتب عليه من حلّ دم المكفّر وماله، والتفريق بينه وبين زوجته، وقطع الأواصر التي تربطه بالمسلمين، فلا توارث بينه وبينهم، ولا ولاء له، وإذا مات لم يغسل ولم يكفن ولم يصلّ عليه، ولم يدفن في مقابر المسلمين؛ ولذا فقد جاء في صحيح السنة التحذير الشديد والوعيد الزاجر لمن استباح هذا الحمى وخاض غمار هذا البحر اللجّيّ بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ولا دليل أمين تقى نقى يخاف الله واليوم الآخر"<sup>(٢)</sup>.

ج. قال فضيلة الشيخ / د. حسين آل الشيخ حفظه الله: "هناك مسائل في هذا الدين؛ خطير أمرها، عظيم شأنها، دقيق فهمها، هي مزلة

(١) من خطبة بالمسجد الحرام لفضيلة الشيخ / د. صالح بن عبد الله بن حميد؛ بتاريخ: (٢٢/٧/١٤٢٤هـ).

ينظر: موقع (ملتقى الخطباء) على الشبكة العالمية للمعلومات (الإنترنت): <http://www.khutabaa.com>  
(٢) من خطبة بالمسجد الحرام لفضيلة الشيخ / د. أسامة بن عبد الله خياط؛ بتاريخ: (٢٢/٢/١٤٢٤هـ)؛ بعنوان: (التحذير من خوض غمار التكفير). ينظر: موقع (ملتقى الخطباء) على الشبكة العالمية للمعلومات (الإنترنت): <http://www.khutabaa.com>



أقدامٍ ومضلةً أفهام، ومِن أخطر هذه القضايا قضيةٌ يتعتر في ساحتها مَنْ ليس بمحققٍ فقيهٍ دقيق، ويتبلد عند تشعب طرائقها مَنْ ليس بعالمٍ ربّانيٍّ ضليع؛ قضيةٌ غلا فيها أقوامٌ وفرط في فهمها آخرون؛ قضيةٌ لا يهتدي إلى ما هو الصواب فيها إلا من استنار بهدي الوحيين ونهجٍ منهج الصّحابة والتّابعين؛ قضيةٌ أحكم علماء الإسلام المحققون قواعدها، وأرسوا أقسامها وشعبها، وأصلوا أصولها وضوابطها، وبيّنوا شروطها وموانعها، ذلكم هي قضية التّكفير والحكم به على آحاد المسلمين أو مجتمعاتهم<sup>(١)</sup>.

٣: من الجهود المباركة للعلامة الشيخ/ محمد بن صالح العثيمين-رحمه الله-عضو هيئة كبار العلماء؛ تحذيره ممن انتهج منهج الخوارج من أهل الجزائر؛ وقد اهتم-رحمه الله- بالأمر الآتية<sup>(٢)</sup>:

- تذكيره المتطرفين بحرمة فعلهم، وأنه كفعل الخوارج.
- دعوة أهل الجزائر إلى الحكمة في حل خلافهم مع الحكومة.
- جهوده في تعليم المسلحين بعض مسائل العقيدة الصحيحة التي جهلها وأدت لخروجهم.
- نفيه كل ما نسب إليه كذباً في تأييد الجماعات المسلحة.
- رسائله ومناصحاته لأهل الجزائر حكومة وشعباً.

(١) من خطبة بالمسجد النبوي لفضيلة الشيخ/ د.حسين آل الشيخ؛ بتاريخ: (٢٥/١٠/١٤٢٤هـ)؛ بعنوان: (التذكير بخطورة التكفير). ينظر: موقع (ملتقى الخطباء) على الشبكة العالمية للمعلومات (الإنترنت): [www.khutabaa.com](http://www.khutabaa.com)

(٢) ينظر: جهود الشيخ/محمد بن صالح العثيمين-رحمه الله- في نشر العقيدة الصحيحة (مقاومة التطرف في الجزائر أنموذجاً): مديحة بنت إبراهيم بن عبد الله السدحان، ضمن أبحاث المؤتمر العالمي الأول عن جهود المملكة العربية السعودية في خدمة القضايا الإسلامية، المحور الرابع، القسم الثاني، ص(٢٤٩).

- اتخاذ أسلوب الرفق واللين مع الحكومة الجزائرية. وبلغ عدد رسائله ونصائحه-رحمه الله- للجماعات المسلحة سبع رسائل على النحو الآتي<sup>(١)</sup>:
  - إجابة على أسئلة منهم في شهر شوال عام (١٤١٤هـ).
  - نصيحة في التحذير من الاعتصام بالمساجد أو المظاهرات.
  - إجابة عن أسئلة متفرقة حول الجماعات المسلحة في (صفر-١٤٢٠هـ).
  - نصيحة من الشيخ-رحمه الله- للمقاتلين في الجزائر في (١٦/١٢/٢٠١٤هـ).
  - إجابة على أسئلة متفرقة، ونصيحة أخرى من الشيخ-رحمه الله- في (١٧/١٢/٢٠١٤هـ).
  - نصيحة من الشيخ-رحمه الله- إلى أمير الجماعة المسلحة في الجزائر/ حسان خطاب في (ربيع الأول عام ١٤٢١هـ).
- ٤ : قامت الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بطباعة العديد من الكتب والبيانات والمطويات التي تتطرق لموضوعات تتنافى مع الغلو والتشدد، وتعالج ظاهرة التكفير؛ نحو<sup>(٢)</sup>:
- بيان هيئة كبار العلماء في التكفير والتفجير.
  - حرمة النفس والإفساد في الأرض وترويع الأمنين: محمد بن صالح العثيمين.

(١) المرجع السابق، ص(٢٤٧-٢٤٨).

(٢) ينظر: أثر الحسبة وجهود هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في تحقيق الأمن الفكري(دراسة عقديّة): إعداد: أ.د.ناصر العقل، بحث مقدم إلى ندوة:(الحسبة وعناية المملكة العربية السعودية بها)، المجلد السادس، الجزء الأول، ص(١٩٩)، جهود الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المملكة العربية السعودية في محاربة الإرهاب(دراسة تحليلية): د. عبد الله بن دجين السهلي، ص(١٦٢).

- الأمن وأهميته وخطورة الإخلال به: صالح الفوزان.
- ٥: أقامت الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ندوة بعنوان: (منهج أهل السنة والجماعة في التكفير) عام (١٤١٣ هـ)؛ شارك فيها: د. علي بن ناصر فقيهي، د. صالح بن سعد السحيمي<sup>(١)</sup>.
- ٦: أسهمت الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالتعاون مع الجهات الأمنية في متابعة الفئة المنحرفة، والحد من نشاطها عن طريق التوعية الجادة، والقيام بعمل محاضن تربوية، وتوزيع نشرات، والقيام بعمل ندوات ومحاضرات؛ كما قامت بنصح الشباب الذين وقعوا فريسة للفكر التكفيري الضال؛ وقد رجع منهم عدد كبير<sup>(٢)</sup>.
- ٧: تسعى جائزة نايف بن عبدالعزيز آل سعود العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة بالاشتراك مع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية إلى تنظيم المؤتمر العالمي عن ظاهرة التكفير بعنوان: "المؤتمر العالمي عن ظاهرة التكفير... الأسباب، الآثار، العلاج".

#### أهداف المؤتمر<sup>(٣)</sup>:

- إيضاح الحكم الشرعي للتكفير.
- بيان الجذور الفكرية والتاريخية لظاهرة التكفير.
- الوقوف على أسباب ظاهرة التكفير.

(١) ينظر: جهود الجامعة الإسلامية في معالجة الإرهاب فكرياً: حسين بن هادي العواجي، ضمن أبحاث المؤتمر العالمي الأول عن جهود المملكة العربية السعودية في خدمة القضايا الإسلامية، المحور الرابع، القسم الأول، ص(٣٤٢).

(٢) ينظر: أثر الحسبة وجهود هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حفظ كيان الأمة وسلامة المعتقد: إعداد: أ.د. عبدالله الطيار، بحث مقدم إلى ندوة: (الحسبة وعناية المملكة العربية السعودية بها)، المجلد السادس، الجزء الأول، ص(٢٧٤-٢٧٥).

(٣) ينظر: موقع المؤتمر العالمي عن ظاهرة التكفير على الشبكة العالمية للمعلومات (الإنترنت):

- إبراز أخطار ظاهرة التكفير وآثارها.
- تقديم الحلول المناسبة لعلاج ظاهرة التكفير.

### أهم محاور المؤتمر<sup>(١)</sup>:

- المحور الأول: مفهوم التكفير في الإسلام وضوابطه.
  - المحور الثاني: ظاهرة التكفير جذورها التاريخية والعقدية والفكرية.
  - المحور الثالث: الأسباب المؤدية لظاهرة التكفير.
  - المحور الرابع: شبهات الفكر التكفيري قديماً وحديثاً، ومناقشتها وفق الضوابط الشرعية.
  - المحور الخامس: شبهات الخوارج والجماعات التكفيرية المعاصرة والرد عليها.
  - المحور السادس: الآثار الأمنية والاجتماعية والاقتصادية لظاهرة التكفير.
  - المحور السابع: أثر التكفير في مستقبل الإسلام.
  - المحور الثامن: مسؤولية مؤسسات المجتمع في علاج ظاهرة التكفير.
  - المحور التاسع: علاج ظاهرة التكفير: الوسائل والأساليب.
- ٨: أصدرت جائزة نايف بن عبدالعزيز آل سعود العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة كتاباً بعنوان: (التكفير في ضوء السنة النبوية)، تأليف: أ.د. باسم بن فيصل الجوابرة، الدورة الثانية، (١٤٢٧هـ).

(١) المرجع السابق.

## المبحث الرابع جهود المؤسسات الشرعية بالملكة العربية السعودية في التحذير من تكفير ولي الأمر

### مدخل:

إن ولي الأمر له مكانة كبرى في حياة الأمة، فهو الذي يتولى إدارة شؤونها، ورعاية مصالحها، فعلى الأمة أن تحترم ولي أمرها وتوقره، وتنزله المنزلة التي يستحقها، قال النووي<sup>(١)</sup> رحمه الله: "لا بد للأمة من إمام يقيم الدين، وينصر السنة، وينتصف للمظلومين، ويستوفي الحقوق، ويضعها مواضعها"<sup>(٢)</sup>، وقال ابن رجب رحمه الله: "وأما السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين، ففيها سعادة الدنيا، وبها تنتظم مصالح العباد في معاشهم، وبها يستعينون على إظهار دينهم وطاعة ربهم"<sup>(٣)</sup>.

ومنهج السلف الصالح هو طاعة الإمام بالمعروف، واحترام رأيه، والبعد عن التشهير بعيوبه، قال العلامة/ ابن باز رحمه الله: "ليس من منهج السلف التشهير بعيوب الولاة وذكر ذلك على المنابر؛ لأن ذلك يفضي إلى الفوضى،

(١) هو: محيي الدين، يحيى بن شرف بن مَرَى النووي، كنيته: أبو زكريا، ولد سنة (٦٣١هـ)، بقرية نوى، وإليها ينتسب، فقيه شافعي، من أعلام الشافعية، من كتبه: المذهب، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، رياض الصالحين، توفي -رحمه الله- سنة (٦٧٦هـ). ينظر: العقد المذهب في طبقات حملة المذهب: ابن الملقن، ص (١٧١)، رقم (٤١٨)، طبقات الشافعية الكبرى: ابن السبكي (٣٩٥/٨-٤٠٠)، رقم (١٢٨٨).

(٢) ينظر: روضة الطالبين: النووي (٤٢٠/١٠).

(٣) جامع العلوم والحكم: ابن رجب (١١٧/٢). وينظر: الورد المقطوف في وجوب طاعة ولاة أمر المسلمين بالمعروف: فوزي الأثري، ص (٨).

وعدم السمع والطاعة في المعروف، ويفضي إلى الخوض الذي يضر ولا ينفع<sup>(١)</sup>.  
 إن طاعة ولي الأمر في الأمة لمن يتولى شؤونها، وقيم فيها شعائر دينها؛  
 إنما هي في حقيقتها عنوان وفاء من الأمة لولي أمرها؛ فهو المسؤول الأول عن  
 سبل تقدمها، والآخذ بزمامها إلى مصاف الرقي والتقدم العلمي بشتى  
 صنوفه، فكانت ولا تزال طاعة ولي الأمر بالمعروف سمة بارزة للمسلمين عبر  
 حلقات تاريخهم العريق.

### ومن العبارات الشهيرة التي تبرز أهمية طاعة ولي الأمر؛ ما يأتي:

- "من عصى السلطان فقد أطاع الشيطان"<sup>(٢)</sup>.
- "طاعة الأئمة فرض على الرعية"<sup>(٣)</sup>.
- "أقلوا الخلاف على الأمراء فلا ظفر مع اختلاف"<sup>(٤)</sup>.
- "عصيان الأئمة يهدم أركان الملة"<sup>(٥)</sup>.
- "عماد الجماعة السمع والطاعة"<sup>(٦)</sup>.
- "قيام السنة بطاعة الأئمة"<sup>(٧)</sup>.

وصيانة حق ولي الأمر من العبث والاعتداء واجبٌ محتمٌ على كل فرد من  
 أفراد الأمة، فصالح الأمة إنما يكون بصالح إمامها<sup>(٨)</sup>.

(١) ينظر: المعلوم من واجب العلاقة بين الحاكم والمحكوم: ابن باز، ص (٢٠).  
 (٢) الشهب اللامعة في السياسة النافعة: ابن رضوان القاسمي، ص (٦٦).  
 (٣) سراج الملوك: أبو بكر الطرطوشي، ص (١٣٧).  
 (٤) الشهب اللامعة في السياسة النافعة: ابن رضوان القاسمي، ص (٣٨٩).  
 (٥) ينظر: سراج الملوك: أبو بكر الطرطوشي، ص (١٣٧)، من بدائع السلك في طبائع الملك: اختيار: د. نهاد نور الدين جرد (٦٥/١).  
 (٦) الشهب اللامعة في السياسة النافعة: ابن رضوان القاسمي، ص (٣٨٩).  
 (٧) سراج الملوك: أبو بكر الطرطوشي، ص (١٣٨).  
 (٨) ينظر: التعليق على السياسة الشرعية: محمد بن صالح العثيمين، ص (٤٥٢)، هامش (١).

## نماذج من جهود المؤسسات الشرعية في هذا الشأن:

**من جهود المؤسسات الشرعية بالمملكة العربية السعودية في السعي لحفظ مكانة ولي الأمر؛ والتحذير من تكفيره أو النيل من مكانته؛ ما يأتي:**

١: حرص علماء هذه البلاد المباركة على بيان مكانة ولي الأمر وعظم شأنها؛

والتحذير الشديد من النيل منها؛ ومن نماذج أقوالهم في هذا الشأن ما يأتي:

أ- قال سماحة الوالد الشيخ/عبدالعزیز بن باز مفتي عام المملكة العربية السعودية: "ليس من منهج السلف التشهير بعيوب الولاية وذكر ذلك على المنابر؛ لأن ذلك يفضي إلى الفوضى، وعدم السمع والطاعة في المعروف، ويفضي إلى الخوض الذي يضر ولا ينفع"<sup>(١)</sup>. وقال رحمه الله: "ويجب على المسلمين طاعة ولاية الأمور في المعروف لا في المعاصي، فإذا أمروا بالمعصية فلا يطاعون في المعصية، لكن لا يجوز الخروج عليهم بأسبابها"<sup>(٢)</sup>.

وقال رحمه الله: "وهذه الدولة (يقصد المملكة العربية السعودية) بحمد الله لم يصدر منها ما يوجب الخروج عليها، وإنما الذي يستتبع الخروج على الدولة بالمعاصي هم الخوارج، الذين يكفرون المسلمين بالذنوب، ويقاتلون أهل الإسلام، ويتركون أهل الأوثان"<sup>(٣)</sup>.  
ب- قال سماحة الشيخ/محمد بن صالح العثيمين عضو هيئة كبار

(١) وجوب طاعة السلطان في غير معصية الرحمن: محمد العريني، ص (٤١).

(٢) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة: عبدالعزيز بن عبدالله بن باز (٢٠٢/٨).

(٣) بيان سماحة الشيخ/عبدالعزیز بن عبدالله بن باز- رحمه الله- حول الحادثة النكراء والجريمة الشنعاء التي قام بها جماعة من المسلمين بعد صلاة الفجر من يوم الثلاثاء الموافق: (١٤٠٠/١/١هـ): باقتحامهم المسجد الحرام وإطلاقهم النار بين الطائمين والقائمين والركع السجود في بيت الله الحرام أقدس بقعة وآمنها؛ وقد نُشر في العدد الخامس من مجلة البحوث الإسلامية، بتاريخ: (محرم- صفر- ربيع الأول- ربيع الثاني)، سنة (١٤٠٠هـ)، ص (٣٠٩-٣١١)؛ وينظر: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة: عبدالعزيز بن عبدالله بن باز (٨٩/٤-٩٧).

العلماء رحمه الله مبيناً عظم مفسدة تكفير إمام المسلمين: "أما تكفير الأمراء فإنه يتضمن مفسدة اجتماعية عظيمة وهي: الفوضى والحروب الأهلية التي لا يعلم مدى نهايتها إلا الله عز وجل، ولذلك فيجب الحذر من مثل هذا ويجب على من سمع أحداً يطلق هذا القول أن ينصحه ويخوفه بالله-عز وجل-"<sup>(١)</sup>.

ج- قال سماحة الوالد الشيخ/ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ مفتي عام المملكة العربية السعودية: "لا مجال في واقعنا، ولا في بلادنا لمن يريد أن يشق عصا الطاعة، وينحرف بالفكر"<sup>(٢)</sup>.

٢: ألقى سماحة الشيخ/ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز-رحمه الله- كلمة بيّن فيها حقوق ولاة الأمور على الأمة بالأدلة من الكتاب والسنة وبيان ما يترتب على الإخلال بذلك، في الجامع الكبير بالرياض بتاريخ: (١٤١٧/٥/١هـ)<sup>(٣)</sup>.

٣: حرصت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء على إصدار العديد من الفتاوى التي تبين أهمية ولي الأمر؛ وخطورة الاعتداء على حقوقه؛ ومن ذلك:

١. السؤال: ما هو معنى حديث رسول الله - ﷺ - المتفق عليه حيث قال: "سيخرج قوم في آخر الزمان جداث الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من قول خير البرية لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة". فيمن قيل هذا الحديث؟ وأي زمان الذي أشار إليه الرسول - ﷺ -؟

(١) سياسة الإسلام في التعامل مع الفتن المعاصرة: مصطفى بن أحمد بن سلطان عسييري، ص (١٤١).

(٢) جريدة المدينة: العدد (١٦٧١٣)، بتاريخ: (١٤٢٠/١/٢٨هـ)، ص (٦).

(٣) نشرت في جريدة المسلمون: العدد (٦٠٧)، بتاريخ: (١٤١٧٠/٥/٨هـ)، كما نشرت في كتاب "مجموع

فتاوى ومقالات متنوعة": جمع وترتيب/محمد بن سعد الشويعر، (٩٣/٩-١٠٢).



الفتوى<sup>(١)</sup>: هذا الحديث وما في معناه قاله النبي - ﷺ - في الطائفة المسماة ب: الخوارج؛ لأنهم يغفلون في الدين ويكفرون المسلمين بالذنوب التي لم يجعلها الإسلام مكفرة، وقد خرجوا في زمن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأنكروا عليه أشياء؛ فدعاهم إلى الحق وناظرهم في ذلك فرجع كثير منهم إلى الصواب، وبقي آخرون، فلما تعدوا على المسلمين قاتلهم علي رضي الله عنه - وقاتلهم الأئمة بعده؛ عملاً بالحديث المذكور وما جاء في معناه من الأحاديث، ولهم بقايا إلى الآن، والحكم عام في كل من اعتقد عقيدتهم في كل زمان ومكان.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم.

#### اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو	عضو	الرئيس
عبد الله بن قعود	عبد الله بن غديان	عبد العزيز بن عبد الله بن باز

- السؤال: قال رسول الله ﷺ: "من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية"، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية" أو كما قال، فما المقصود بالحديث في العصر الراهن؟ وكيف نفهمه ونطبقه؟
- الفتوى<sup>(٢)</sup>: الحديث الأول: لا نعلم صحته بهذا اللفظ، وأما الحديث الثاني: فأخرج الإمام مسلم في صحيحه عن نافع -رحمه الله- قال: لما خلعوا يزيد واجتمعوا على ابن مطيع أتاه ابن عمر -رضي الله عنه- فقال عبد الله بن مطيع: اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة، فقال له عبد الله بن عمر: إني

(١) ينظر: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (المجموعة الأولى): (٢/٣٦٨-٣٦٩)، السؤال الثالث من الفتوى رقم (٤٢٩٧)، بتاريخ: (٥/١/١٤٠٢هـ)، مجلة البحوث الإسلامية، العدد: (٢٤)، بتاريخ: (ربيع الأول - ربيع الثاني - جماد الأول - ربيع الثاني)، لعام: (١٤٠٩هـ)، ص (٨٧).

(٢) ينظر: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (المجموعة الأولى): (٤/٤١٩)، السؤال الثامن من الفتوى رقم (٨٢٢٥).

لم آتكَ لأجلِس، أتيتك لأحدثك؛ سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: "من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة الجاهلية"<sup>(١)</sup>.

ومعنى الحديث: أنه لا يجوز الخروج على الحاكم (ولي الأمر) إلا أن يرى منه كفراً بواحاً، كما جاء ذلك في الحديث الصحيح، كما أنه يجب على الأمة أن يؤمروا عليهم أميراً يرضى مصالحهم ويحفظ حقوقهم. وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو	عضو	نائب رئيس اللجنة	الرئيس
عبد الله بن قعود	عبد الله بن غديان	عبد الرزاق عفيفي	عبد العزيز بن عبد الله بن باز

٤: اهتم أئمة الحرمين الشريفين بشأن تأصيل طاعة ولي الأمر بالمعروف؛ والتحذير من الخروج عليه؛ وضربوا أروع الأمثلة للشباب حين أعلنوا للناس كافة البيعة الشرعية لولاة الأمر؛ فاقترن العلم بالعمل؛ ومن أمثلة ذلك:

■ قال فضيلة الشيخ / عبدالرحمن بن عبدالعزيز السديس حفظه الله: "وبهذه المناسبة<sup>(٢)</sup> فإننا نجدد ونؤكد البيعة الشرعية لولاة أمرنا وفقهم الله، على كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ -، بيعة مخلصه، وولاء صادقاً، على السمع والطاعة بالمعروف في العسر واليسر، والمنشط والمكره، امتثالاً لأمر الله عز وجل، واستتائاً بسنة رسوله ﷺ"<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه: مسلم، (٣٣) كتاب:الإمارة، (١٣) باب:وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال، وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة، رقم:(١٨٥٠)، ص (٧٣).

(٢) المقصود: مبايعة خادم الحرمين الشريفين الملك / عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود - حفظه الله -.

(٣) خطبة الجمعة بالمسجد الحرام بتاريخ: (٢٠/٦/١٤٢٦هـ)؛ والتي ألقاها فضيلة الشيخ / عبدالرحمن بن عبدالعزيز السديس حفظه الله؛ بمناسبة وفاة خادم الحرمين الشريفين الملك / فهد بن عبدالعزيز آل سعود رحمه الله.

■ قال فضيلة الشيخ/ صلاح البدير حفظه الله: "وها هي أيدينا تمتد إلى ولاية أمرنا مجدددين البيعة على السمع والطاعة، والولاء والوفاء على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، صدقاً من قلوبنا، وإخلاصاً من نفوسنا في العسر واليسر والمنشط والمكره؛ أيها المسلمون، الجماعة مَنَعَةٌ والفرقة مهيعة، الجماعة لبُّ الصواب والفرقة أَسُّ الخراب، الفرقة باذرة العُتار وباعثة النِفَار، تُحِيل العَمَارَ خراباً والأمن سراباً، وهي العاقرة والحالقة، ومن قواعد الشرع المعتبرة وأصوله المقررة وأساسه المحررة، أنه لا دين إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمامة، ولا إمامة إلا بسمع وطاعة"<sup>(١)</sup>.

٥: لعظم الابتلاء بالفئة الضالة؛ وما تقوم به من تكفير للأئمة، وأعمال إجرامية؛ فقد وجهت وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالقنوت لنازلة الفئة الضالة في الصلوات الجهرية في جميع مساجد المملكة؛ جاء في خطاب وزير الشؤون الإسلامية ما نصه: "لما شرع الله من قنوت للنوازل وفق مقتضياته وشروطه الشرعية، ورغبة إلى الله في أن يحفظ هذه البلاد ويمكنها من القضاء على هذه الفئة؛ فإني أُرغب إليكم إبلاغ جميع الأئمة والخطباء بالقنوت لهذه النازلة في بلادنا بالصلاة الجهرية حسب السنة النبوية والإلحاح في الدعاء"<sup>(٢)</sup>.

٦: حرصت الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على وحدة البلاد واجتماع الكلمة بالدعوة إلى طاعة ولي الأمر بالمعروف؛ وترسيخ

(١) خطبة الجمعة المسجد النبوي الشريف بتاريخ: (١٤/٧/٢٠١٤هـ)؛ والتي ألقاها فضيلة الشيخ/ صلاح البدير -حفظه الله-. ينظر: الموقع الإلكتروني (خطب الجمعة من الحرمين الشريفين) على الشبكة العالمية للمعلومات: www.khotab.net

(٢) ينظر: جهود وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في مكافحة الإرهاب والأفكار الضالة: توفيق بن عبدالعزيز السديري، ضمن أبحاث المؤتمر العالمي الأول عن جهود المملكة العربية السعودية في خدمة القضايا الإسلامية، المحور الرابع، القسم الأول، ص(٢١١).

هذا المفهوم في نفوس الناشئة؛ ومن هذه الأنشطة محاضرة لمعالي رئيس الهيئة في الجامع الكبير بالرياض بعنوان: "أبناؤنا والأمن الفكري"<sup>(١)</sup>.  
 ٧: قامت الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بطباعة العديد من الكتب في بيان مكانة ولي الأمر وعظم شأنها؛ ومن نماذج ذلك ما يأتي<sup>(٢)</sup>:

- قاعدة مختصرة في وجوب طاعة الله ورسوله وولاية الأمر.
- نبذة مفيدة عن حقوق ولاية الأمر: د. عبدالعزيز العسكر.
- عدة كتب في اعتقاد أهل السنة والجماعة الذي ينص على وجوب طاعة ولاية الأمر<sup>(٣)</sup>.

٨: ضمن المناشط المصاحبة لجائزة الأمير سلطان الدولية في حفظ القرآن الكريم للعسكريين؛ تحت إشراف إدارة الشؤون الدينية للقوات المسلحة؛ أقيمت مسابقة ثقافية للبحوث العلمية؛ وكان الفرع الأول منها بعنوان: (طاعة ولي الأمر وأثرها في تحقيق النصر)<sup>(٤)</sup>.

٩: إعداد الرسائل العلمية في الكليات الشرعية في الجامعات السعودية، وإصدار الكتب ذات العلاقة بتوضيح طرق التعامل مع ولي الأمر؛ ومن

(١) ينظر: جريدة: (الجزيرة)، العدد (١٢٦٢٢)، بتاريخ: (٣/٤/١٤٢٨هـ)، ص (٤٠).  
 (٢) ينظر: الأمن الفكري وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر البرامج والوسائل: إعداد: د.عبدالله بن دجين السهلي، بحث مقدم إلى ندوة: (الحسبة وعناية المملكة العربية السعودية بها)، المجلد السادس، الجزء الثاني، ص(٧٢).  
 (٣) ينظر: أثر الحسبة وجهود هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حفظ ثوابت الأمة وسلامة المعتقد: إعداد: أ.د.محمد بن يحيى النجيمي، بحث مقدم إلى ندوة: (الحسبة وعناية المملكة العربية السعودية بها) المنعقدة في الفترة: (١١-١٢/٤/١٤٣١هـ) تحت إشراف الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، المجلد السادس، الجزء الأول، ص(٣١٦-٣١٧).  
 (٤) ينظر: البحوث العلمية الفائزة في جائزة الأمير سلطان الدولية في حفظ القرآن للعسكريين الخامسة: بحث: (طاعة ولي الأمر وأثرها في تحقيق النصر): د.حامد بن مده بن حميدان الجعداني، إدارة الشؤون الدينية للقوات المسلحة بالمملكة العربية السعودية، ص(٩-٦٥).

أمثلة ذلك:

- كتاب: (ضوابط معاملة الحاكم عند أهل السنة والجماعة وأثرها على الأمة): تأليف/ خالد ضحوي الظفيري؛ الإصدار رقم: (١١٣) لعمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة.
- البيعة في الكتاب والسنة: إعداد: بدر إبراهيم الصالح الرخيص، بإشراف فضيلة الدكتور/ محمود نادي عبيدات، رسالة لنيل درجة العالمية (الماجستير)، قسم الكتاب والسنة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، (١٤٠٧هـ - ١٤٠٨هـ).
- سلطة الحاكم في الشريعة الإسلامية: إعداد: نور الدين معلم، إشراف الأستاذ الدكتور/ حسين خلف الجبوري، رسالة مقدمة لنيل درجة العالمية (الماجستير) في الفقه الإسلامي، فرع الفقه والأصول، قسم الدراسات العليا الشرعية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، (١٤٠٣هـ - ١٤٠٤هـ).
- رسالة في وجوب طاعة ولاة الأمر في الإسلام: ابن تيمية - رحمه الله -: حيث قامت الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بتوزيع كميات كبيرة منها<sup>(١)</sup>.

(١) ينظر: جهود الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المملكة العربية السعودية في محاربة الإرهاب: السهلي، ص (١٨٣).

## المبحث الخامس

### جهود المؤسسات الشرعية بالمملكة العربية السعودية في التعامل مع معتنقي الفكر الغالي في التكفير

مدخل:

إن الحوار الهادف والقول الحسن من شأن المسلم، فهو لا يصدر منه إلا الطيب من الكلام، قال تعالى: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهْدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾<sup>(١)</sup>؛ وقد أمر الله - سبحانه - بالقول الحسن فقال جل وعلا: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾<sup>(٢)</sup>، وقال عز ثناؤه ك ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾<sup>(٣)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾<sup>(٤)</sup>، وقال - جل شأنه - : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِغِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾<sup>(٥)</sup>.

فعلى المؤمن الاستجابة لهذا النداء الإيماني؛ لأن فيه صلاحه، قال ابن كثير رحمه الله: "يقول تعالى أمراً عباده المؤمنين بتقواه، وأن يعبدوه عبادة من كأنه يراه، وأن يقولوا قولاً سديداً أي مستقيماً لا اعوجاج فيه، ولا انحراف، ووعدهم أنهم إن فعلوا ذلك أثابهم عليه بأن يصلح أعمالهم أي يوفقهم للأعمال الصالحة، وأن يغفر لهم الذنوب الماضية، وما قد يقع منهم في المستقبل يلهمهم

مؤتمر ظاهرة التكفير .. الأسباب .. الآثار .. العلاج

(١) سورة الحج، الآية (٢٤).

(٢) سورة البقرة، الآية (٨٣).

(٣) سورة الإسراء، الآية (٥٣).

(٤) سورة النساء، الآية (٥).

(٥) سورة الأحزاب، الآيتان (٧٠-٧١).

التوبة منها" <sup>(١)</sup>.

وحسن استخدام المسلم للكلام يدل على طيب خلقه، وحرصه على الخير، قال ابن بَطَّال <sup>(٢)</sup> -رحمه الله-: "طيب الكلام من جليل عمل الهر؛ لقوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ <sup>(٣)</sup>، والدفع قد يكون بالقول كما يكون بالفعل" <sup>(٤)</sup>.

إن الكلمة هي أساس الحوار البنَّاء الهادف، وأبرز معالمه، وهي وسيلة الداعية للوصول إلى نشر دعوته بأيسر السبل، فإن الكلمة الطيبة هي سلاحه الأول في أداء رسالته النبيلة، سواء في عرضها على الآخرين ابتداءً، أو الدفاع عنها حيال شبهة أو فرية، كما أنها سبيله الأول في التعامل مع الآخرين من الدعاة أمثاله، خاصة إذا تباينت بينه وبينهم وجهات النظر في قضية، أو أسلوب، أو أولوية <sup>(٥)</sup>.

ولا يخفى ما للكلمة الطيبة من دور فعال في إزالة الخصومات، وقطعها، وحل المشكلات، فإن "الكلمة هي غذاء الروح" <sup>(٦)</sup>، قال العز بن عبد السلام رحمه الله: "إحسان الكلام سبب للتحاب، والتوألّف، وزوال الأحقاد،

(١) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، ص (١٢٩٠).

(٢) هو: علي بن خلف بن بَطَّال البكري القرطبي البُلُنْسِي، كنيته: أبو الحسن، يعرف بابن اللِّجَام، والشهير بابن بَطَّال، فقيه مالكي، محدث، من كتبه: شرح صحيح البخاري، الاعتصام في الحديث، توفّي -رحمه الله- سنة (٤٤٩هـ)، ينظر: الديباج المذهب: ابن فرحون (٩٦/٢)، رقم (٣٩٢)، سير أعلام النبلاء: الذهبي (٤٧/١٨)، رقم (٢٠)، شجرة النور الزكية: مخلوف، ص (١١٥)، رقم (٣١٦)، الصلة في تاريخ علماء الأندلس: ابن بَشْكُوَال، ص (٣٢٢)، رقم (٨٩٢).

(٣) سورة فصلت، الآية (٣٤).

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر (٥١١/١٠).

(٥) ينظر: في أصول الحوار: إعداد: الندوة العالمية للشباب الإسلامي - وحدة الدراسات والبحوث، ص (١٠).

(٦) أدب الكلام وأثره في بناء العلاقات الإنسانية في ضوء القرآن الكريم: د. عودة عبد عودة عبد الله، ص (١٥٥).

ومجاملة العدو، حتى يصير كأنه وليّ حميم<sup>(١)</sup>.  
**نماذج من جهود المؤسسات الشرعية في هذا الشأن:**

للمؤسسات الشرعية بالملكة العربية السعودية جهودٌ مباركة في استخدام الكلمة البناءة الهادفة في التعامل مع معتقي الفكر الغالي في التكفير؛ من أبرزها:

**١: حرصت هيئة كبار العلماء بالملكة العربية السعودية دائماً على تنفيذ شبه الفئة الضالة بالحكمة والموعظة الحسنة والاستناد على الحجج القوية والبراهين الواضحة؛ فجاء في أحد بياناتها:**

"والهيئة إذ ترى في هذه الفئة الظالمة هذا الرأي ترى أن في منشوراتها من الشبه الآثمة والتأويلات الباطلة والاتجاهات الضالة؛ ما يعتبر بذور شر وفتنة وضلال، وطريق إلى الفوضى والاضطرابات، والتلاعب بمصالح البلاد والعباد بدعاوى قد يغتر بعض السذج بظاهرها وفي بواطنها الشر المستطير، وإذ تبين الهيئة ذلك وتستكره فإنها تحذر المسلمين جميعاً مما في تلك المنشورات من الشبه الآثمة والتأويلات الباطلة والاتجاهات السيئة"<sup>(٢)</sup>.

**٢: أوضح سماحة الشيخ/ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ- حفظه الله- مفتي عام المملكة العربية السعودية:**

في لقاء له استمر ساعة كاملة مع عدد من التائبين والعائدين من الفكر الضال؛ أن الفكر المنحرف لا يعالج بالعرف، وإنما بالتوعية، وتفعيل الحوار الهادف المبني على الرفق والهدوء في أوساط من يحملون أفكاراً ضالة

(١) شجرة المعارف والأحوال: العز بن عبد السلام، ص (٢٤٦).

(٢) بيان من هيئة كبار العلماء بشأن الاعتداء على المسجد الحرام عام (١٤٠٠هـ). ينظر: مجلة البحوث الإسلامية، العدد: (٥)، بتاريخ: (محرم - صفر - ربيع الأول - ربيع الثاني)، سنة (١٤٠٠هـ)، ص (٣٢١ - ٣٢٤).



ومنحرفة، وبيّن -حفظه الله- أن أبناء الفطرة السليمة إذا جاءهم من يوقظهم من غفلتهم وسياتهم، ويصحح لهم مسارهم، ويمتص حماسهم، ويستأصل أفكارهم؛ فإنهم يتراجعون ويعودون إلى جادة الحق والصواب<sup>(١)</sup>؛ وقال حفظه الله: "في قلوبنا لكم محبة ومودة، ونحن نتعاون معكم لهدف واحد هو علو هذا الدين... فهذا البلد المبارك الذي تربيينا وعشنا فيه له حق علينا في أن نحفظه من كيد الكائدين، وألا نكون مطية للحاقدين علينا، الذين يسعون لإفساد شباب الأمة، ويغيضهم ما نحن عليه من خير"<sup>(٢)</sup>.

وقال أيضاً: "سعداء وأنتم في بلد أمان تسعى قياداتها لاستئصال الفكر المنحرف، سعداء طالما استجبتم للنصيحة، وأقلعتم عن الفكر السيء، والتزمتم الحق، ورجعتم إلى الفكر الصحيح، سعداء بوحودكم بين علمائكم الذين طالما ناشدوكم أن تكونوا يداً واحدة مع ولاة أمومكم، وصفاً واحداً معهم، وعدم الانخداع للأراء الشاطحة والمنحرفة والذين يصورون لكم الباطل على أنه حق"<sup>(٣)</sup>.

### ٣: تقوم وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد :

بتنظيم العديد من الندوات والمحاضرات عن أهمية الحوار البناء وأثره في البناء الفكري الإيجابي<sup>(٤)</sup>.

### ٤: حملة السكينة<sup>(٥)</sup>:

تقوم فكرة الحملة على الانتشار في مواقع ومنتديات ومجموعات

(١) ينظر: جريدة الجزيرة، العدد: (١٣٩٦٣)، وتاريخ: (١٥/١/١٤٣٢هـ)، ص(٣٧).

(٢) جريدة الرياض، العدد: (١٥٥٢٠)، بتاريخ: (١٥/١/١٤٣٢هـ)، ص(١٦).

(٣) ينظر: جريدة (عكاظ)، العدد: (١٦١٨٧)، بتاريخ: (١٥/١/١٤٣٢هـ)، ص(٣١).

(٤) ينظر: جريدة (عكاظ)، العدد: (١٦٠٢٣)، بتاريخ: (٢٨/٧/١٤٣١هـ)، ص(٣٤).

(٥) ينظر: الموقع الرسمي لحملة السكينة على الشبكة العالمية للمعلومات (الإنترنت):

الإنترنت، وذلك عبر فريق عمل مُختلِف التخصصات، يُحقق بتكامله أهداف الحملة عبر الوسائل والأساليب المناسبة والمؤثرة؛ على أن تكون صفة الانتشار والتعامل مع الجمهور صفة شخصية وديّة، ومن خلال هذه المواقع والمنتديات يتم بث المفاهيم الصحيحة، ومناقشة الأفكار المنحرفة؛ وقد يكون هذا النقاش علناً أو عبر الرسائل الخاصّة.

وفي (١٤٢٥/٢/١هـ) انطلقت الحملة رسمياً بعد أن تمّ تحديد مجموعة من الأهداف العامّة والخاصّة، وتجربة أفضل الوسائل للتأثير، وتدريب مجموعة من المحاورين على كشف الشبهات ونشر المفاهيم الصحيحة، وكان ذلك بناءً على مُعطيات فترة التجربة والرصد والمتابعة والتدريب، حيث وافق معالي الشيخ/صالح بن عبدالعزيز بن محمد آل الشيخ وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد-حفظه الله- على انطلاق الحملة وأن تكون حملة (مُستقلة) تحت إشراف وزارة الشؤون الإسلامية.

#### الأهداف العامّة لحملة السكينة:

- نشر المنهج المعتدل وتكريس قواعده وضوابطه ومفاهيمه.
- التصديّ للأفكار والمناهج المنحرفة المؤدية إلى العنف والغلو.
- بناء شخصية إسلامية متوازنة مُنتجة وإيجابية وواعية.

#### الأهداف الخاصّة لحملة السكينة:

- بثّ المفاهيم والقواعد الشرعية التي تُكرّس المنهج المعتدل.
- كشف الشُّبهات التي يعرضها أصحاب الاتجاهات المنحرفة.
- فتح الحوار والنقاش في القضايا المُشكلة، بأساليب شرعية وأخلاقية.
- التصديّ لمن يبثّ أفكاره المنحرفة.
- تعميق مفاهيم الولاء والانتماء.
- معالجة الأسباب التي تؤدي إلى الغلو والانحراف سواء كانت فكرية أم اجتماعية أم نفسية.

- تقديم استشارات وحلول منطقيّة للأسر التي تلاحظ انحرافاً في سلوك أحد أبنائها لاستدراك الوضع بالطريقة المناسبة.
- رصد الحركة الفكرية وتحليلها ودراستها.

#### ٥: إنشاء لجان المناصحة بوزارة الداخلية<sup>(١)</sup>.

لجنة المناصحة هي: "لجنة على مستوى المملكة العربية السعودية؛ تعنى بمناصحة المتأثرين بالفكر الضال"<sup>(٢)</sup>.

انطلقت أواخر عام (١٤٢٤هـ)؛ بتوجيه كريم من صاحب السمو الملكي الأمير/ محمد بن نايف بن عبدالعزيز آل سعود-مساعد وزير الداخلية للشؤون الأمنية-؛ وتهدف لجان المناصحة إلى الالتقاء بأصحاب الفكر الضال، ومناقشتهم بالحكمة والموعظة الحسنة، والسعي إلى تقديم الحجة الواضحة المبنية على الدليل الصحيح لدفع شبهاتهم، وتعتمد في عملها على الصدق والشفافية في الطرح الشرعي العلمي للوصول إلى الحق.

وبدأت اللجان بتنفيذ عدد من المحاضرات والدورات في المساجد والمدارس والمراكز الصيفية؛ لتوعية المجتمع من الأفكار الضالة والمفاهيم المغلوطة<sup>(٣)</sup>. وتوجت هذه الجهود المباركة بتأسيس: (مركز الأمير محمد بن نايف للمناصحة والرعاية)<sup>(٤)</sup>.

(١) مدى توافر الخبرات التربوية المصاحبة في منهج التوحيد وإسهامها في تعزيز الأمن الفكري لدى طالبات الصف الثالث الثانوي من وجهة نظر مشرفات ومعلمات التربية الإسلامية بمنطقة مكة المكرمة: لطيفة بنت سراج بن علي قمره، ص(٨٢-٨٦)؛ رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التربية، تخصص مناهج وطرق تدريس التربية الإسلامية، قسم التربية وعلم النفس، كلية التربية (الأقسام الأدبية)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٧هـ-١٤٢٨هـ، غير منشورة.

(٢) جريدة المدينة: العدد: (١٧١٦٠) بتاريخ: (٣/٥/١٤٣١هـ)، ص(١١).

(٣) المرجع السابق.

(٤) التقدم والإنجاز الذي حققه (مركز الأمير/محمد بن نايف للمناصحة والرعاية)؛ ونجاحه في الحد من ظاهرة الإرهاب أعطته شهرة عالمية؛ وذلك لتميزه في إعادة تأهيل الموقوفين في قضايا لها

وقد بدأ عمله عام (١٤٢٦هـ / ٢٠٠٦م)<sup>(١)</sup>؛ وتقوم لجنة المناصحة بالإشراف على برنامجين<sup>(٢)</sup>:

- جلسات إرشاد منفردة: وتتكون من عدة جلسات قصيرة في حدود الساعتين.
  - جلسات الدراسة المطولة: يقوم فيها عالمي شرعي ومتخصص في علم الاجتماع بقيادة مجموعة من (٢٠) شخصاً في برنامج محاضرات لمدة (٦) أسابيع، يتم خلالها تغطية (١٠) مواد دراسية تتضمن المواد الآتية: (التكفير- الولاء والبراء- البيعة- الإرهاب- الأحكام الفقهية للجهاد- الاعتداء على الأنفس المعصومة)؛ كما تقوم لجنة المناصحة بالسفر إلى جميع سجون المملكة والالتقاء بالمتحجزين ومناقشتهم.
- وتنقسم لجان المناصحة إلى أربع لجان فرعية:
١. لجنة دينية: مكونة من (١٥٠) عالماً وأستاذ جامعاً يقومون بالتفاعل المباشر مع المحتجزين من خلال الحوار والنقاش.

= علاقة بالفكر الضال والإرهاب؛ وقد استدعى هذا التميز أن يعلن وزير الدفاع الأمريكي/ روبرت غيتس خلال زيارته للمملكة بتاريخ: (١٠/٥/١٤٣٠هـ الموافق: ٦/٥/٢٠٠٩م)؛ عن قيامه بمباحثات مع مسؤولين سعوديين عن إمكانية إلحاق معتقلين يمنيين في (جوانتانامو) ببرنامج المناصحة السعودي، وقبل ذلك في (٢٦/٢/١٤٣٠هـ)؛ الموافق: (٢٢/٢/٢٠٠٩م) أعلن رئيس المحكمة العليا البريطانية/ كريستوفر بيتشر خلال ترؤسه وفداً قضاياً بريطانياً إلى المملكة عن إمكانية الاستعانة بخبراء سعوديين في المناصحة. ينظر: جريدة الوطن، العدد: (٣٢٥٧)؛ بتاريخ: (٩-رمضان-١٤٣٠هـ)؛ الموافق: (٣٠-أغسطس-٢٠٠٩م).

(١) وصف رئيس هيئة حقوق الإنسان الدكتور/ بندر العبيان (مركز الأمير/محمد بن نايف للمناصحة والرعاية) بقوله: "هذا المركز الإنساني المميز أنشئ؛ ليكون مكاناً لتصحيح مفاهيم من وقع في شرك الفكر الضال". ينظر: جريدة عكاظ، العدد: (١٦٠٣٠)؛ بتاريخ: (٥-شعبان-١٤٣١هـ)؛ الموافق: (١٧-يوليو-٢٠١٠م).

(٢) ينظر: جريدة الوطن، العدد: (٣٢٥٧)؛ بتاريخ: (٩-رمضان-١٤٣٠هـ)؛ الموافق: (٣٠-أغسطس-٢٠٠٩م).

٢. لجنة نفسية واجتماعية: مكونة من (٥٠) عضواً و(٢٦) باحثاً ومساعداً تقوم هذه اللجنة -اعتماداً على خبرة أعضائها في الطب النفسي وعلم الاجتماع- بتقييم وضع المحتجزين وحاجاتهم الاجتماعية، وتشخيص المشاكل النفسية التي يعانون منها، كما تقوم هذه اللجنة بالتوثيق والتحقق من مدى نجاح إعادة التأهيل قبل إطلاق سراح النزلاء إضافة إلى قيامها بالأبحاث في هذا المجال.
٣. لجنة أمنية: معظم أعمال هذه اللجنة يندرج تحت بند السرية، ولكنه يعتمد على تقييم اللجنتين السابقتين في تقييم المخاطر الأمنية من إطلاق سراح نزلاء البرنامج، كما تقوم هذه اللجنة بتوجيه النزلاء بعد إطلاق سراحهم ومراقبتهم بعد ذلك في حالة الاضطرار لإعادة احتجازهم.
٤. لجنة إعلامية: تقوم بالتركيز على برامج التعليم والتواصل، وإصدار مواد إعلامية تستخدم في برنامج المناصحة، إضافة إلى تلك التي يتم استخدامها في المساجد والمدارس.
- ٥: ومن ثمرات المركز: التأثير الإيجابي لبرامجه من خلال تغيير سلوك السجناء واعترافهم بأخطائهم وانتهاكهم للمبادئ الإسلامية حيث إن نسبة (٩٠٪) من الأشخاص نزلاء المركز تخلوا عن آرائهم المنحرفة<sup>(١)</sup>؛ كما أن من ثمار المركز أنه أدخل إليه (٢٧٠) شخصاً بينهم (١١٧) من العائدين من جوانتانامو؛ واستطاع المركز إعادة دمج هؤلاء السعوديين العائدين في الحياة المدنية، وقد عاد (١١) منهم فقط للالتحاق بنشاط الفكر الضال وهو رقم يمثل نسبة نجاح جيدة<sup>(٢)</sup>.

(١) جريدة المدينة؛ العدد: (١٧١٦٠) بتاريخ: (٢/٥/١٤٢١هـ)، ص(١١).

(٢) ينظر: جريدة الوطن، العدد: (٣٢٥٧)؛ بتاريخ: (٩-رمضان-١٤٣٠هـ)؛ الموافق: (٣٠-أغسطس-٢٠٠٩م).

وقد حرصت وزارة الداخلية بالمملكة العربية السعودية على الاستفادة من العلماء في محاربة فكر التكفير والتطرف؛ كما جاء في أحد البيانات الصادرة من وزارة الداخلية؛ وفيه: "تهيب الوزارة بعلماء الشريعة والمختصين في العلوم الإنسانية والثقافة والإعلام والمواطنين كل على قدر استطاعته بالعمل على كل ما من شأنه استئصال هذا الفكر المنحرف وتوعية المجتمع بجميع شرائحه بالمقاصد الشرعية العليا الهادفة إلى إشاعة العدل والتسامح والمحافظة على حق الإنسان في الحياة ومكافحة الغلو والتطرف والاعتداء والإجرام"<sup>(١)</sup>.

٦: إصدار الكتب في رد شبهات التكفيريين؛ ومن أمثلة ذلك ما قام به الباحث الشرعي بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد؛ الشيخ الدكتور/ ماجد بن محمد المرسل من تأليف كتاب حمل عنوان: «الندير: مناقشة علمية لأبرز الشبهات المتعلقة بالإمامة والجهاد والتكفير» رصد فيه (٣١) شبهة من شبهات الفئة الضالة عقب تجربة علمية وعملية في الحوار مع الموقوفين في لجان المناصحة، وفي حملة السكينة للحوار، وما يطرحه بعض المناوئين والمتحاملين على الدعوة الإصلاحية، وجاء الرد على الشبهات بأسلوب علمي تفصيلي، ووثق ذلك في (٥١١) صفحة من القطع المتوسط، رصد أبرز الشبهات التي يحتج بها الغلاة.

ويشتمل الكتاب على: مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة<sup>(٢)</sup>.  
جاء في الفصل الأول: تساؤلات مشروعة، وفيه الإجابة عن أربعة أسئلة، كثيراً ما يرددها بعض الناس أثناء مناقشة شبهات الغلاة وأفكارهم.

(١) نشر البيان في الصحف المحلية. ينظر: جريدة الوطن، العدد (١٢٠١)، بتاريخ: (١١/٢١/١٤٢٤هـ).

(٢) ينظر: الرسالة، بتاريخ: (٦/٢١/١٤٣١هـ)، ص(٩).

وجاء في الفصل الثاني: الأصول الشرعية في مواجهة الشبهات: واشتمل على تعريف الشبهات، و (١١) أصلاً تحمي المسلم من الزلل في مسائل الشبهات، وهي تحريم القول على الله بلا علم، ووجوب الرد في مسائل الشريعة إلى أهل العلم المعتبرين، وتحريم الافتئات في مسائل السياسة والقضايا العامة على اختصاصات ولاية الأمر، والحذر من أهل الأهواء والشبهات ومواقعهم، ووجوب رد المتشابهات إلى المحكمات، ووجوب الجمع بين النصوص وخطورة اجترائها عن بعضها أو ضرب بعضها ببعض، وأهمية مراعاة مقاصد الشريعة، ورد الفروع الجزئية إلى الأصول الكلية، والنظر في المآلات وعواقب التصرفات، والعاطفة في الميزان الشرعي والميزان النفسي، والفقهاء في التعامل مع الفتن والنوازل، والتضرع لله تعالى بطلب الهداية لما اختلف فيه من الحق.

أما الفصل الثالث: فتطرق الباحث فيه إلى أجوبة الشبهات: وهو الفصل الرئيس في هذا الكتاب، وفيه رصد لأبرز الشبهات التي يحتج بها الغلاة، وبلغت (٣١) شبهة، تم الجواب عن كل شبهة منها من وجوه متعددة، بطريقة علمية مقنعة لطالب الحق إن شاء الله تعالى، وهذه الشبهات هي: التكفير، وتحكيم القوانين، والانضمام للهيئات الدولية، والولاء والبراء، كما تطرق الباحث إلى موضوعات: مدهانة الكفار، ووجود الريا والمنكرات، والعذر بالجهل، ومن لم يكفر الكافر فهو كافر، وتعطيل الجهاد، وعدم الاعتراف بالحدود السياسية وتعدد الدول الإسلامية، والقتال لإقامة الخلافة، والجهاد هو المخرج الوحيد للأمة، والجهاد فرض عين، والإسلام دين الإرهاب، والجهاد والشهادة عبادات مقصودة لذاتها، واشتراط إذن الحاكم في الجهاد، والمجاهدون هم الطائفة المنصورة، والنصر الحقيقي ليس الانتصار المادي، وتطرق الباحث أيضاً في هذا الفصل إلى نقاط مهمة منها: ليس

للكفار إلا السيف، وعدم صحة العهود، والعمليات الاستشهادية أو الانتحارية، والاعتقالات، وإخراج المشركين من جزيرة العرب، وقتل رجال الأمن دفعاً للصائل، ومن المواضيع التي تطرق إليها أيضاً: سؤال أهل الثغور، والرؤى والكرامات، والمهدي، والوطنية جاهلية، وما الفرق بين الجهاد في أفغانستان أمام السوفيت والجهاد في أفغانستان والعراق أمام أمريكا، والعزلة الشعورية عن المجتمعات الجاهلية، وتحريم الدراسة النظامية. وجاءت الخاتمة بعنوان: "الذكرى تتفع المؤمنين"؛ وجه الباحث فيها نداءات أخوية، وفيها ثلاث نصائح: الأولى: (وفي التاريخ عبرة). الثانية: (الحكمة ضالة المؤمن). الثالثة: (فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم). والكتاب من مطبوعات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد؛ واستغرق تأليفه أكثر من خمس سنوات<sup>(١)</sup>.



## الخاتمة

الحمد لله الذي أعلى معالم العلم وأعلامه، وأظهر شعائر الشرع وأحكامه، وبعث رسله-صلوات الله عليهم وسلامه-إلى سبيل الحق والهدى داعين، وأخلفهم علماء على سننهم ماضين... أما بعد:

فبعد رحلة مع هذا البحث المعنون له: "جهود المؤسسات الشرعية بالمملكة العربية السعودية في علاج ظاهرة التكفير"، أضع بين القارئ الكريم أهم نتائج ومقترحات البحث.

### النتائج:

- أن ظاهرة الغلو في التكفير تحتاج إلى مقارعة الفكر بالفكر؛ والاستناد إلى الحجج الواضحة القوية؛ فإن العمل الأمني-مع أهميته- بدون عمل فكري لا يكفي لمواجهة هذه الظاهرة الخطيرة.
- أن منهج السلف الصالح هو طاعة الإمام في المعروف، واحترام رأيه، والبعد عن التشهير بعيوبه.
- يجب على فئات المجتمع أن تحفظ مكانة ولي الأمر بينها، والابتعاد عما يقدح فيه كتابة أو مشافهة؛ ولولي الأمر أن يضع من الأنظمة ما يكفل حفظ هيئته، ويحفظ للأمة وحدتها.
- أن المؤسسات الشرعية بالمملكة العربية السعودية تعتبر-بحق-صمام أمان للمجتمع يحفظ له أمنه وتطوره ورفقيه.
- أن العلماء-رحمهم الله-لم يكن أثرهم ليقف على نشر العلم الشرعي فحسب، بل كان أثرهم واسعاً شمل مناحي الحياة المتنوعة؛ فهم بحق سراج الأمة.

- أن العلماء-رحمهم الله- هم من أكثر الناس قريباً بشؤون أمتهم، وأشدهم تأثراً لما يصيبها؛ وأكثرهم سعياً في تحقيق آمالها.

### المقترحات:

- إنشاء مركز عالمي لتتبع ظاهرة الغلو في التكفير ومدى انتشارها عالمياً؛ وتتبع شبكات معتقي الفكر الغالي في التكفير للرد عليها فوراً.
- الدعوة إلى إنشاء قناة فضائية متخصصة للتصدي للأفكار الضالة والمنحرفة.
- الدعوة إلى استثمار مواقع الإنترنت في الدعوة والحوار وإيصال رسالة الإسلام.
- أن يتم إضافة مفردات عن: "ظاهرة الغلو في التكفير وخطرها" في مقررات الثقافة الإسلامية بالجامعات السعودية.
- إنشاء مراكز وجمعيات ومؤسسات متخصصة غير رسمية تعنى بشؤون معالجة ظواهر الغلو والتطرف والتكفير، وغرس مبادئ الحوار البناء، وتهتم بالمناسبة.
- عقد دورات عامة مركزة حول أصول الدين وثوابته ومسلماته، ومحاربة الغلو واتجاهاته؛ وإيضاح القواعد الشرعية للتعامل مع الحاكم.
- الاهتمام العميق بعقد الندوات والمحاضرات في المؤسسات التعليمية- بجميع مراحلها- التي تبين بجلاء أهمية معالجة ظاهرة الغلو في التكفير وطرق علاجها للفرد والأمة، وأن تقوم الجامعات والكليات بتنظيم اللقاءات العلمية التي تهتم بمناقشة قضايا التكفير وشبهاته؛ وفق الأسلوب الأكاديمي البناء المتعارف عليه.

- إعداد دراسة خاصة بعنوان: "أسباب انتشار الفكر الغالي في التكفير لدى الشباب، وأثر ذلك على تحقيق الأمن الفكري"، كما اقترح - أيضاً- إعداد دراسة خاصة بعنوان: "دور المسجد في مواجهة ظاهرة الغلو في التكفير".
  - الحرص التام على نشر كتب العلماء التي تحارب الفكر الغالي في التكفير، والسعي إلى نشرها بين فئات المجتمع.
  - جمع جهود العلماء في التصدي للأفكار الهدّامة، والحرص على طبعتها ونشرها على نطاق واسع؛ ليستفيد منها أبناء المجتمع، كما أقترح الحرص على الاستفادة القصوى من تجارب لجان المناصحة بوزارة الداخلية؛ وتوثيق تلك الجهود للاستفادة منها مستقبلاً.
  - أن تتولى وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد إصدار سلسلة علمية متميزة تقوم فيها بطباعة ونشر الرسائل الجامعية (الماجستير والدكتوراه) المتعلقة بالجوانب العلمية لظاهرة الغلو في التكفير التي صدرت في الجامعات السعودية.
  - توجيه طلبة الدراسات العليا بالجامعات السعودية للكتابة في الموضوعات المتعلقة بظاهرة الغلو في التكفير.
- وآخر دعوانا أن الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

## فهرس المصادر والمراجع

### أولاً: الكتب المطبوعة.

- الأحكام السلطانية والولايات الدينية: لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي (ت/٤٥٠هـ)، تحقيق: سمير مصطفى رباب، المكتبة العصرية، صيدا، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
- أدب الدنيا والدين: لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي (ت/٤٥٠هـ)، حققه ووضع فهرسه: ياسين محمد السوّاس، دار ابن كثير، دمشق، ط٣، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
- أدب الكلام وأثره في بناء العلاقات الإنسانية في ضوء القرآن الكريم: د. عودة عبد عودة عبدالله، دار النفاثس، الأردن، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.
- أربعة عشر عاماً مع سماحة العلامة الشيخ/ محمد بن صالح العثيمين: عبد الكريم بن صالح المقرن، دار الطريق، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب: لأبي عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي، الشهير بابن عبد البر (ت/٤٦٣هـ)، صححه وخرج أحاديثه: عادل مُرشيد، دار الأعلام، الأردن - عمان، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة: عز الدين أبو الحسين علي بن محمد الجزري، الشهير بابن الأثير (ت/٦٣٠هـ)، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- الإصابة في تمييز الصحابة: أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، الشهير بابن حجر (ت/٨٥٢هـ)، اعتنى به: حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، الأردن - عمان، د.ط، د.ت.
- الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين: خير الدين محمود الزركلي (١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٤١٨، ١٢هـ/١٩٩٧م.

- الأمن الفكري في ضوء مقاصد الشريعة: صالح بن عبدالله بن حميد، مطبوعات كرسى الأمير نايف بن عبدالعزيز لدراسات الأمن الفكري، جامعة الملك سعود، الرياض، ط ١، (١٤٢٩هـ).
- الأمن والتنمية دراسة تحليلية، : محمد محمد علي نصير، دن، ط ٢، ١٤١٨هـ.
- الأمن الفكري وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر البرامج والوسائل: إعداد: د. عبدالله بن دجين السهلي، بحث مقدم إلى ندوة: (الحسبة وعناية المملكة العربية السعودية بها) المنعقدة في الفترة: (١١-١٢/٤/١٤٣١هـ) تحت إشراف الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ط ١، (١٤٣١هـ).
- أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء: قاسم القونوي (ت/٩٧٨هـ)، تحقيق: د. أحمد عبد الرزاق الكبيسي، دار ابن الجوزي، الدمام، ط ١، ١٤٢٧هـ.
- بحوث الندوة العلمية الأولى لكرسى الأمير خالد الفيصل لتأصيل منهج الاعتدال السعودي (منهج الاعتدال السعودي: الأسس والمنطلقات): مركز النشر العلمي بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة، ط ١، (١٤٣١هـ/٢٠١٠م).
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: محمد بن علي الشوكاني (/١٢٥٠هـ)، تحقيق: د. حسين بن عبدالله العمري، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
- بيان حقوق ولاية الأمور على الأمة بالأدلة من الكتاب والسنة وبيان ما يترتب على الإخلال بذلك: سماحة الشيخ / عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، طبع ونشر الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط ٣، (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).
- تاج التراجم: زين الدين قاسم بن قُطُوبُغا السوداني (ت/٨٧٩هـ)، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- تاج اللغة وصحاح العربية، الشهير "الصحاح": لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت/٣٩٨هـ)، ومعه: أ- حواشي عبدالله بن برّي بن عبد

- الجبار المقدسي المصري، أبي محمد بن أبي الوحش (ت/٥٨٢هـ)، ب- الوشاح:  
 للتادلي أبي زيد عبد الرحمن بن عبد العزيز المغربي(ت/١٢٠٠هـ)، اعتنى بها:  
 مكتب التحقيق بدار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.
- التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب: تأليف/ معالي الشيخ صالح بن عبد الرحمن الحصين؛ من إصدارات كرسي الأمير سلطان للدراسات الإسلامية المعاصرة؛ بجامعة الملك سعود، الرياض، (١٤٢٩هـ).
  - تقرير أعمال إدارة الشؤون الدينية لقوات الدفاع الجوي وأقسامها لعام (١٤٢٩هـ): إعداد/ إدارة الشؤون الدينية لقوات الدفاع الجوي، الرياض، (١٤٢٩هـ).
  - التقرير السنوي للجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه لعام (١٤٣٠هـ/١٤٣٢هـ): كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
  - التعليق على السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية لشيخ الإسلام ابن تيمية: محمد بن صالح العثيمين، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، عنيزة، إصدار رقم: ٦٨، مار الوطن، الرياض، ط١، ١٤٢٧هـ.
  - تفسير القرآن العظيم: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، الشهير بابن كثير (ت/٧٧٤هـ)، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.
  - تقرير القواعد وتحريم الفوائد: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، الشهير بابن رجب (ت/٧٩٥هـ)، وبآخذه: "فهرست كتاب تقرير القواعد وتحريم الفوائد": جلال الدين نصر الدين البغدادي، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن القيم، الدمام، دار ابن عفان، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
  - التكفير وضوابطه: إبراهيم بن عامر الرحيلي، دار الإمام البخاري، الدوحة، ط١، سنة ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٦م.

- جامع الترمذي: لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت/٢٧٩هـ)، اعتنى به: فريق بيت الأفكار الدولية، نشر: بيت الأفكار الدولية، د. ط، د. ت.
- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم: زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن البغدادي ثم دمشقي، الشهير بابن رجب (ت/٧٩٥هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
- الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت/٦٧١هـ)، اعتنى به وصححه: هشام سمير البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
- الجامع لحياة العلامة محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله - العلمية والعملية وما قيل فيه من المراثي: وليد بن أحمد الحسين، سلسلة إصدارات الحكمة رقم: ١٠، مجلة الحكمة، بريطانيا - ليدز، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.
- الجامع لخطب عرفة (من عام ١٤٠٢هـ إلى عام ١٤١١هـ): سماحة الشيخ/ عبدالعزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ، طبع ونشر الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الإدارة العامة لمراجعة المطبوعات الدينية، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
- جهود الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المملكة العربية السعودية في محاربة الإرهاب (دراسة تحليلية): د. عبد الله بن دجين السهلي، النشر/مركز البحوث والدراسات بالرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الرياض، ط١، ١٤٣٠هـ.
- الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية: محيي الدين عبد القادر بن محمد بن محمد بن نصر الله بن سالم بن أبي الوفاء القرشي الحنفي (ت/٧٧٥هـ)، تحقيق: د. عبد الفتاح محمد الحلو، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
- الجوهر المنضد في طبقات متأخري أصحاب أحمد: جمال الدين يوسف بن

- الحسن بن عبد الهادي الحنبلي، الشهير بابن المبرد (ت/٩٠٩هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
- الحسبة في المملكة العربية السعودية رسالة ومسيرة: الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الرياض، (١٤٣١هـ/٢٠١٠م).
  - خطة إدارة الشؤون الدينية وأقسامها لعام (١٤٣٢هـ): إعداد / إدارة الشؤون الدينية بقوات الدفاع الجوي الملكي السعودي، الرياض، (١٤٣٢هـ).
  - دليل إجراءات دورة الأمن الفكري: إعداد لجنة الأمن الفكري، قسم التوعية الإسلامية، إدارة الشؤون الدينية للقوات المسلحة، المملكة العربية السعودية، (١٤٣٠هـ).
  - الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب: إبراهيم بن علي بن محمد المالكي، الشهير بابن فرحون (ت/٧٩٩هـ)، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.
  - الذيل على طبقات الحنابلة: لأبي الفرج زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن البغدادي، الشهير بابن رجب (ت/٧٩٥هـ)، تحقيق وتعليق: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.
  - روضة الطالبين وعمدة المفتين: محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي (ت/٦٧٦هـ)، إشراف: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.
  - الزاهر في غريب ألفاظ الإمام الشافعي (المعروف بتفسير ألفاظ مختصر المزني): لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى (ت/٣٧٠هـ)، دراسة وتحقيق: د. عبد المنعم طوعي بشناتي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
  - السحب الوايلة على ضرائح الحنابلة: محمد بن عبد الله بن حميد النجدي المكي، الشهير بابن حميد (ت/ ١٢٩٥هـ)، تحقيق: بكر بن عبد الله أبو زيد،



- د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
- سراج الملوك: لأبي بكر محمد بن الوليد بن محمد الطرطوشي (ت/٥٢٠هـ)، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٩٩٥م.
  - سنن ابن ماجه: لأبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني، الشهير بابن ماجه (ت/٢٧٣هـ)، اعتنى به: فريق بيت الأفكار الدولية، نشر: بيت الأفكار الدولية، د. ط، د. ت.
  - سنن أبي داود: لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت/٢٧٥هـ)، اعتنى به: فريق بيت الأفكار الدولية، نشر: بيت الأفكار الدولية، د. ط، د. ت.
  - سنن الدارمي: عبدالله بن عبد الرحمن الدارمي السمرقندي (ت/٢٥٥هـ)، حقق نضه، وخرج أحاديثه، وفهرسه: فواز أحمد رمزي، خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
  - سنن النسائي: لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي (ت/٣٠٣هـ)، اعتنى به: فريق بيت الأفكار الدولية، الأردن - عمان، نشر: بيت الأفكار الدولية، د. ط، د. ت.
  - سياسة الإسلام في التعامل مع الفتن المعاصرة: مصطفى بن أحمد عسييري، دار القبس، الرياض، ط ١، سنة ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
  - السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية: شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم السلام الحراني، الشهير بابن تيمية (ت/٧٢٨هـ)، تحقيق: علي بن محمد المغربي، دار الأرقم، الكويت، د. ط، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
  - سير أعلام النبلاء: محمد بن أحمد الذهبي (ت/٧٤٨هـ)، أشرف على تحقيق الكتاب: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
  - السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار: محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت/١٢٥٠هـ)، دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
  - شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال: سلطان العلماء عبد العزيز بن

- عبد السلام السُّلَميَ الدمشقي، الشهير بالعز بن عبد السلام (ت/١٦٦٠هـ)، اعتنى به: حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، الأردن - عمان، د.ط، د.ت.
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: محمد بن محمد مخلوف (ت/١٣٦٠هـ)، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: شهاب الدين عبد الحي بن أحمد بن محمد العسكري الحنبلي، الشهير بابن العماد (ت/١٠٨٩هـ)، حققه وعلق عليه: محمود الأرناؤوط، أشرف على تحقيقه وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- الشهب اللامعة في السياسة النافعة: لأبي القاسم محمد بن عبد الله بن رضوان الأندلسي المغربي، الشهير بابن رضوان (ت/٧٨٣هـ)، تحقيق: علي سامي النشار، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
- صحيح البخاري: لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت/٢٥٦هـ)، اعتنى به: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، بيروت، د.ط، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
- صحيح سنن أبي داود: محمد ناصر الدين الألباني (ت/١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف، الرياض، ط١ للطبعة الجديدة، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
- صحيح سنن الترمذي: محمد ناصر الدين الألباني (ت/١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف، الرياض، ط٢ للطبعة الجديدة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.
- صحيح مسلم: لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت/٢٦١هـ)، اعتنى به: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، بيروت، د.ط، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
- الصلّة في تاريخ علماء الأندلس: لأبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكُوال (ت/٥٧٨هـ)، تحقيق: د. صلاح الدين الهوّاري، المكتبة العصرية، صيدا، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.
- طبقات الشافعية الكبرى: عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي،

- الشهير بابن السبكي (ت/٧٧١هـ)، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبدالفتاح محمد الحلو، دار هجر، القاهرة، ط٢، ١٤١٣هـ.
- العقد المذهب في طبقات حملة المذهب: سراج الدين عمر بن علي بن أحمد الأندلسي التكروري الشافعي، الشهير بابن الملقن (ت/٨٠٤هـ)، حققه وعلق عليه: أيمن نصر الأزهرى، سيد مهني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
  - العقيدة الطحاوية: حجة الإسلام أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي (ت/٣٢١هـ)، تحقيق وتعليق: عبد العزيز بن عبدالله بن باز - رحمه الله -، مؤسسة قرطبة، مصر، د.ط، د.ت.
  - العين: لأبي عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت/١٧٥هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
  - الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٥، سنة ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
  - الغلو في الدين وأثره في الأمة: خالد بن عبدالله الخريف، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، سنة ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
  - الغلو: الأسباب والعلاج: تأليف: أ.د/ ناصر بن عبدالكريم العقل، بحث مقدم إلى "المؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب": المنعقد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام: (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).
  - فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (المجموعة الأولى): جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، تحت إشراف: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، مطبوعات رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، ط٣، ١٤١٩هـ.
  - فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت/٨٥٢هـ)، دار السلام، الرياض، دار الفيحاء، دمشق، ط١، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.
  - في أصول الحوار: إعداد: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، وحدة الدراسات

- والبحوث، ط ٤، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
- القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت/٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤٠٧هـ.
  - قواعد الأحكام في إصلاح الأنام (أو القواعد الكبرى): عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي، الشهير بالعز بن عبد السلام (ت/٦٦٠هـ)، تحقيق: د. نزيه كمال حماد، د. عثمان جمعة ضميرية، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
  - كتاب المؤتمر (المؤتمر العالمي الأول للتعليم الإسلامي: ١٢-٢٠، ربيع الثاني، ١٣٩٧هـ): إصدار جامعة الملك عبدالعزيز، جدة، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.
  - كرسي الأمير/سلطان بن عبدالعزيز للدراسات الإسلامية المعاصرة التقرير السنوي (١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م): مطبوعات كرسي الأمير/سلطان بن عبدالعزيز للدراسات الإسلامية المعاصرة، جامعة الملك سعود بالرياض، تنفيذ وإخراج نافذة للإعلام، الرياض، (١٤٢٩هـ).
  - كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد علي التهانوي، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص من الفارسي إلى العربية: د. عبدالله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زينات، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، مكتبة لبنان، ط ١، ١٩٩٦م.
  - الكلّيات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت/١٠٩٤هـ)، تحقيق: د. عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
  - لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري، الشهير بابن منْظُور (ت/٧١١هـ)، اعتنى بتصحيحه: أمين محمد عبد الوهاب، محمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.

- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية: جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي (ت/١٣٩٢هـ)، وساعده ابنه: محمد، دار عالم الكتب، الرياض، د. ط، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.
- مجموع فتاوى ومقالات متنوعة: عبدالعزيز بن عبد الله بن باز (ت/١٤٢٠هـ)، جمع وترتيب وإشراف: د. محمد بن سعد الشويعر، طبع تحت إشراف: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء الإدارة العامة لمراجعة المطبوعات الدينية، الرياض، ط٣، ١٤٢١هـ.
- مجموعة الأنظمة السعودية: هيئة الخبراء بمجلس الوزراء، المملكة العربية السعودية، الرياض، د. ط، ١٤٢٣هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لأبي محمد عبدالحق بن عطية الأندلسي (ت/٥٤١هـ)، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي، الشهير بابن قيم الجوزية (ت/٧٥١هـ)، تحقيق وتعليق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
- مسؤولية الكلمة: د. عبد الله بن وكييل الشيخ، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٣هـ.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل: للإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت/٢٤١هـ)، أشرف على طبعه: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- المصباح المنير: أحمد بن محمد الفيومي (ت/٧٧٠هـ)، مكتبة لبنان، د. ط، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: إعداد / عمادة شؤون المكتبات، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، (١٤٣١هـ).
- معالم التنزيل (أو تفسير البغوي): لأبي محمد الحسين بن مسعود

- البغوي(ت/٥١٦هـ)، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
- معاملة العلماء: د. محمد بن عمر بن سالم بازْمُول، دار الإمام أحمد، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
- معجم التعريفات والضوابط والتقسيمات والفوائد في المصنفات الاعتقادية للشيخ ابن العثيمين، أحمد بن سالم المصري، دار الكيان، الرياض، مكتبة ابن تيمية، الشارقة، ط١، ٢٠٠٦م.
- معجم المؤلفين تراجم مصنفى الكتب العربية: عمر رضا كحالة (ت/١٤٠٨هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية: د. محمود عبدالرحمن عبدالمنعم، دار الفضيلة، القاهرة، د. ط، د. ت.
- المعجم الوسيط: إصدار مجمع اللغة العربية بمصر، قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، المكتبة الإسلامية، تركيا، ط٢، د. ت.
- المعلوم من واجب العلاقة بين الحاكم والمحكوم: سماحة الشيخ/ عبد العزيز بن عبدالله بن باز، دار الإمام أحمد، القاهرة، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
- مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني(ت/في حدود سنة٤٢٥هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.
- المقاييس في اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، الشهير بابن فارس(ت/٣٩٥هـ)، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط٢، د. ت.
- المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد: لأبي إسحاق برهان الدين إبراهيم بن محمد بن محمد بن مفلح بن محمد المقدسي الصالحي، الشهير بابن مفلح (ت/٨٨٤هـ)، تحقيق وتعليق: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

- من بدائع السلك في طبائع الملك: اختيار وتقديم: د.نهاد نور الدين جرد، مديرية إحياء ونشر التراث العربي، وزارة الثقافة، سوريا، رقم: (١٣١)، ط١، (٢٠٠٥م).
- من منبر الحرم المكي: عمر بن محمد السبيل، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، (١٤٢٤هـ).
- المناعة الفكرية: عبدالكريم بن محمد بكار، سلسلة إصدارات الإسلام اليوم رقم: (١٥)، مؤسسة الإسلام اليوم، الرياض، ط٢، ١٤٢٨هـ.
- نضجات من منبر رسول الله ﷺ: إعداد/ عبدالباري بن عواض بن علي الثبتي، دار الخراز، جدة، ط١، (١٤١٩هـ/١٩٩٩م).
- المناشط الثقافية لوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد: مركز البحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط١، (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).
- النهاية في غريب الحديث والأثر: لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، الشهير بابن الأثير (ت/٦٠٦هـ)، أشرف عليه: علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤٢١هـ.
- وثيقة التعليم: الصادرة من اللجنة العليا لسياسة التعليم، عام (١٣٩٠هـ).
- وجوب طاعة السلطان في غير معصية الرحمن بدليل السنة والقران: إعداد: محمد بن ناصر العريني، مطابع ابن تيمية، القاهرة، ط٣، ١٤١٦هـ.
- الورد المقطوف في وجوب طاعة ولاة أمر المسلمين بالمعروف: تأليف: أبي عبد الرحمن فوزي الأثري، قدم له: د.صالح بن فوزان الفوزان، مكتبة الفرقان، عجمان-الإمارات العربية المتحدة، ط٣، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
- الوسطية والاعتدال وأثرها على حياة المسلمين: محاضرة ألقاها معالي الشيخ/صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ؛ وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد؛ ضمن النشاط الثقافي الشهري بنادي ضباط قوى الأمن؛ إدارة الشؤون الثقافية، الإدارة العام للعلاقات والتوجيه، مطبعة وزارة الداخلية، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٩هـ.

## ثانياً: البحوث العلمية والمقالات.

- أثر الحسبة في حفظ العقيدة والعبادات والحدود وتطبيقاتها المعاصرة في المملكة العربية السعودية: إعداد: د.محمد عبدالرزاق أسود، بحث مقدم إلى ندوة:(الحسبة وعناية المملكة العربية السعودية بها) المنعقدة في الفترة:(١١-١٢/٤/١٤٣١هـ) تحت إشراف الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ط١، (١٤٣١هـ).
- أثر الحسبة وجهود هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في تحقيق الأمن الفكري(دراسة عقدية): إعداد: أ.د.ناصر بن عبدالكريم العقل، بحث مقدم إلى ندوة:(الحسبة وعناية المملكة العربية السعودية بها) المنعقدة في الفترة:(١١-١٢/٤/١٤٣١هـ) تحت إشراف الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ط١، (١٤٣١هـ).
- أثر الحسبة وجهود هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حفظ ثوابت الأمة وسلامة المعتقد: إعداد: أ.د.محمد بن يحيى النجيمي، بحث مقدم إلى ندوة:(الحسبة وعناية المملكة العربية السعودية بها) المنعقدة في الفترة:(١١-١٢/٤/١٤٣١هـ) تحت إشراف الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ط١، (١٤٣١هـ).
- أثر الحسبة وجهود هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حفظ كيان الأمة وسلامة المعتقد: إعداد: أ.د.عبدالله بن محمد بن أحمد الطيار، بحث مقدم إلى ندوة:(الحسبة وعناية المملكة العربية السعودية بها) المنعقدة في الفترة:(١١-١٢/٤/١٤٣١هـ) تحت إشراف الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ط١، (١٤٣١هـ).
- البحوث العلمية الفائزة في جائزة الأمير سلطان الدولية في حفظ القرآن للعسكريين الخامسة: بحث:(طاعة ولي الأمر وأثرها في تحقيق النصر):د.حامد بن مده بن حميدان الجدعاني، إدارة الشؤون الدينية للقوات المسلحة بالمملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٣٠هـ.



- بحوث ندوة: (الحسبة وعناية المملكة العربية السعودية بها): المنعقدة في الفترة: (١١-١٢/٤/١٤٣١هـ) برعاية خادم الحرمين الشريفين الملك/ عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود؛ وتحت إشراف الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ط١، (١٤٣١هـ).
- جهود أئمة الدعوة السلفية بنجد في التصدي للعنف والإرهاب من خلال الدعوة إلى فقه إنكار المنكر: تأليف: د/ صالح بن عبدالله الفريح، بحث مقدم إلى "المؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب": المنعقد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام: (١٤٢٥هـ/٤/٢٠٠٤م).
- جهود الجامعة الإسلامية في معالجة الإرهاب فكرياً: د.حسين بن هادي العواجي، ضمن أبحاث المؤتمر العالمي الأول عن جهود المملكة العربية السعودية في خدمة القضايا الإسلامية، مطبوعات الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، (١٤٣٢هـ/١٠/٢٠١٠م).
- جهود الشيخ/محمد بن صالح العثيمين-رحمه الله- في نشر العقيدة الصحيحة (مقاومة التطرف في الجزائر أنموذجاً): مديحة بنت إبراهيم بن عبدالله السدحان، ضمن أبحاث المؤتمر العالمي الأول عن جهود المملكة العربية السعودية في خدمة القضايا الإسلامية، مطبوعات الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، (١٤٣٢هـ/١٠/٢٠١٠م).
- جهود وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في مكافحة الإرهاب والأفكار الضالة: توفيق بن عبدالعزيز السديري، ضمن أبحاث المؤتمر العالمي الأول عن جهود المملكة العربية السعودية في خدمة القضايا الإسلامية، مطبوعات الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، (١٤٣٢هـ/١٠/٢٠١٠م).
- الحوار الديني ودوره في مواجهة التطرف الديني والإرهاب: تأليف: أ.د/ محمد خليفة حسن، بحث مقدم إلى "المؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب": المنعقد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام: (١٤٢٥هـ/٤/٢٠٠٤م).
- موقف المؤسسات الشرعية في المملكة العربية السعودية من الإرهاب والعنف

والتطرف: تأليف: د/ علي بن راشد الديبان، بحث مقدم إلى "المؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب"؛ المنعقد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام: (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).

### ثالثاً: المجلات والصحف.

- أخبار الجامعة: إصدار وحدة الإعلام بالجامعة الإسلامية بالمدينة، (محرم-١٤٣٢هـ).
- جريدة الجزيرة، العدد: (١٣٩٦٢)، بتاريخ: (١٤٣٢/١/١٤هـ).
- جريدة الجزيرة، العدد: (١٣٩٦٣)، وبتاريخ: (١٤٣٢/١/١٥هـ).
- جريدة الرياض، العدد: (١٥٥٢٠)، بتاريخ: (١٤٣٢/١/١٥هـ).
- جريدة الشرق الأوسط: الأربعاء، (١٤٢٧/٦/٢هـ)، الموافق: (٢٨، يونيو، ٢٠٠٦م)، العدد: (١٠٠٧٤).
- جريدة الشرق الأوسط: الخميس، (٢٠/٣/١٤٢٩هـ)، الموافق: (٢٧، مارس، ٢٠٠٨م)، العدد: (١٠٧١٢).
- جريدة (عكاظ)، العدد: (١٦١٨٧)، بتاريخ: (١٤٣٢/١/١٥هـ).
- جريد عكاظ، العدد: (١٦٠٢٣)، بتاريخ: (١٤٣١/٧/٢٨هـ).
- جريدة المدينة: العدد (١٦٧١٣)، بتاريخ: (١٤٣٠/١/٢٨هـ).
- جريدة المدينة، العدد: (١٧١٤٣)، بتاريخ: (١٤٣١/٤/١٥هـ).
- جريدة المدينة: العدد: (١٧١٦٠) بتاريخ: (١٤٣١/٥/٣هـ).
- جريدة المسلمون: العدد (٦٠٧)، بتاريخ: (١٤١٧٠/٥/٨هـ).
- جريدة الوطن، العدد (١٢٠١)، بتاريخ: (١٤٢٤/١١/٢١هـ).
- جريدة الوطن، العدد: (٣٢٥٧)؛ بتاريخ: (٩-رمضان-١٤٣٠هـ)؛ الموافق: (٣٠-أغسطس-٢٠٠٩م).
- جريدة عكاظ، العدد: (١٦٠٣٠)؛ بتاريخ: (٥-شعبان-١٤٣١هـ)؛ الموافق: (١٧-يوليو-٢٠١٠م).
- جريدة (المدينة)، العدد: (١٧١٤٤)، بتاريخ: (١٤٣١/٤/١٦هـ).

- جريدة (عكاظ)، العدد: (١٦٠١٠)، بتاريخ: (١٥/٧/١٤٣١هـ).
  - جريدة: (الجزيرة)، العدد (١٢٦٢٢)، بتاريخ: (٣/٤/١٤٢٨هـ).
  - الملحق الخاص لمعرض قوات الدفاع الجوي لمكافحة الإرهاب: مجلة دورية تصدر عن إدارة الشؤون الدينية لقوات الدفاع الجوي، العدد الأول، (جماد الأول-١٤٢٩هـ).
  - الرسالة، بتاريخ: (٢١/٦/١٤٣١هـ).
  - مجلة البحوث الإسلامية، العدد: (١٨)، عام (١٤٠٧هـ).
  - مجلة البحوث الإسلامية، العدد: (٢٣)، عام (١٤٠٨هـ-١٤٠٩هـ).
  - مجلة البحوث الإسلامية، العدد: (٢٤)، بتاريخ: (ربيع الأول-ربيع الثاني-جماد الأول-ربيع الثاني)، لعام: (١٤٠٩هـ).
  - مجلة البحوث الإسلامية، العدد: (٤٩)، عام (١٤١٧هـ).
  - مجلة البحوث الإسلامية، العدد: (٥)، بتاريخ: (محرم-صفر-ربيع الأول-ربيع الثاني)، سنة (١٤٠٠هـ).
  - مجلة البحوث الإسلامية، العدد: (٥٦)، بتاريخ: (ذو القعدة-ذو الحجة-محرم-صفر)، عام (١٤١٩هـ-١٤٢٠هـ).
  - مجلة البحوث الإسلامية، العدد: (٨٣)، عام (١٤٢٨هـ-١٤٢٩هـ).
  - مجلة البحوث الإسلامية، العدد: (٨٥)، عام (١٤٢٩هـ).
- رابعاً: البيانات الرسمية، والتعاميم.**
- بيان سماحة الشيخ/عبدالعزیز بن عبدالله بن باز-رحمه الله-حول الحادثة النكراء والجريمة الشنعاء التي قام بها جماعة من المسلمين بعد صلاة الفجر من يوم الثلاثاء الموافق: (١/١/١٤٠٠هـ)؛ باقتحامهم المسجد الحرام وإطلاقهم النار بين الطائفين والقائمين والركع السجود في بيت الله الحرام أقدس بقعة وأمنها.
  - بيان مجلس هيئة كبار العلماء في دورته (التاسعة والخمسين) التي انعقدت في مدينة الطائف ابتداء من تاريخ: (١١/٦/١٤٢٤هـ)، وقد استعرض ما جرى في

المملكة العربية السعودية من تفجيرات استهدفت تخريباً وقتل أناس معصومين وأحدثت فزعاً وإزعاجاً.

- بيان من هيئة كبار العلماء بشأن الاعتداء على المسجد الحرام عام (١٤٠٠هـ).
- تعميم الهيئة رقم: (١٦٢١)، وتاريخ: (١٤/٣/١٤٠٤هـ)؛ بشأن ما لاحظته رجال الهيئة أن عمال سمكرة ودهانات السيارات يستعملون أوراق الصحف وبها آيات قرآنية عند دهانهم السيارات.
- تعميم الهيئة رقم: (١/٥٢٦)، وتاريخ: (١٩/٣/١٤٠٠هـ)؛ بشأن مكافحة السحر والشعوذة.
- تعميم الهيئة رقم: (١/٨٢٧)، وتاريخ: (٢٢/٤/١٣٩٩هـ)؛ بشأن منع دخول السراويل المكتوب عليها كلمة التوحيد: (لا إله إلا الله).
- خطاب الرئيس العام لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى مقام وزارة الداخلية رقم: (١/٦١٠)، وتاريخ: (٢٠/٣/١٣٩٩هـ)؛ بشأن ظهور أحذية وملابس داخلية مستوردة مكتوب عليها لفظ الجلالة (الله).
- خطاب الهيئة رقم: (١٢٥٧)، وتاريخ: (٣٠/٣/١٤٠٤هـ)؛ بشأن بالاحتساب على من يسب الدين علناً، أو ينتقصه سواء مشافهة أو كتابة، ومن ذلك ما يوجد في بعض الصحف الوافدة من الإساءة للدين.
- خطاب الهيئة المؤرخ بتاريخ: (٤/٦/١٣٩٩هـ)؛ بالتعميم بشأن منع بعض بائعي الذهب من استيراد حُلِي من الذهب مرسوم عليها الصليب؛ وطالبتهم بسحبها من الأسواق، وأخذت عليهم التعهد بعدم استيرادها.
- خطاب الهيئة رقم: (١/١٠١٥)، وتاريخ: (١٤/٣/١٤٠٤هـ)؛ بشأن إزالة الأسماء التي لا تتفق مع العقيدة الإسلامية مثل اسم "فينوس".
- خطاب الهيئة رقم: (٢/١٦٢١)، وتاريخ: (٢١/٤/١٤٠٤هـ)؛ بشأن تفقد أسماء المحلات وإزالة ما من شأنه أن يؤثر على العقيدة أو يخالفها، وإزالة أي منكر أو بدعة تחדش العقيدة، وملاحظة ما ينشر في الكتب والصحف من مخالفات العقيدة والرد عليها.

- خطاب الهيئة رقم: (٣/١٨٣)، وتاريخ: (٢١/١١/١٤٠١هـ)؛ بشأن مكافحة السحر والشعوذة.
  - خطاب الهيئة رقم: (٢/٢٧٢٦)، وتاريخ: (٢٦/٦/١٤٠٢هـ)؛ بشأن منع المكتبات التجارية من بيع حقائب مدرسية مرسوماً عليها صلبان، وكذلك أقلام تحمل الصليب.
  - خطاب الهيئة رقم: (٢٧٥)، وتاريخ: (٢١/١/١٤٠٣هـ)؛ بشأن مكافحة السحر والشعوذة.
  - خطاب الهيئة رقم: (٤/٢٧٥٢)، وتاريخ: (٣/٦/١٤٠٣هـ)؛ بشأن بالاحتساب على من يسب الدين علناً، أو ينتقصه سواء مشافهة أو كتابة، ومن ذلك ما يوجد في بعض الصحف الوافدة من الإساءة للدين.
  - خطاب الهيئة رقم: (٤/٤٥٣)، وتاريخ: (٥/٢/١٤٠٤هـ)؛ بشأن تفقد أسماء المحلات وإزالة ما من شأنه أن يؤثر على العقيدة أو يخالفها، وإزالة أي منكر أو بدعة تחדش العقيدة، وملاحظة ما ينشر في الكتب والصحف من مخالفات العقيدة والرد عليها.
  - خطاب رقم: (٣٣٧٦)، وتاريخ: (٥/٨/١٤٠٢هـ) بشأن منع المكتبات التجارية من بيع حقائب مدرسية مرسوماً عليها صلبان، وكذلك أقلام تحمل الصليب.
  - خطاب وكيل الرئيس العام رقم: (٢/١٩٨٣) وتاريخ: (٣/٨/١٤٠٠هـ)؛ بشأن مكافحة السحر والشعوذة.
- خامساً: المواقع الإلكترونية.**
- موقع (كرسي الأمير/ سلطان بن عبدالعزيز للدراسات الإسلامية المعاصرة):  
ebhc-kt.ksu.edu.sa
  - موقع (ملتقى الخطباء) على الشبكة العالمية للمعلومات (الإنترنت):  
www.khutabaa.com
  - موقع الإدارة العامة للتربية والتعليم بمحافظة جدة: jeddahedu.gov.sa
  - الموقع الإلكتروني (خطب الجمعة من الحرمين الشريفين) على الشبكة العالمية



- للمعلومات : [www.khotab.net](http://www.khotab.net)
- موقع الفقه الإسلامي على الشبكة العالمية للمعلومات (الإنترنت):  
[www.islamfeqh.com](http://www.islamfeqh.com)
  - موقع المؤتمر العالمي عن ظاهرة التكفير على الشبكة العالمية للمعلومات (الإنترنت): [www.ict-madinah.org](http://www.ict-madinah.org)
  - موقع حملة السكنية على الشبكة العالمية للمعلومات (الإنترنت):  
[www.assakina.com](http://www.assakina.com)
  - موقع فرع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمدينة المنورة على الشبكة العالمية للمعلومات (الإنترنت):  
[www.shounislamiamadinah.gov.sa/index.php](http://www.shounislamiamadinah.gov.sa/index.php)
  - موقع كرسي الأمير خالد الفيصل لتأصيل منهج الاعتدال السعودي:  
[www.kau.edu.sa](http://www.kau.edu.sa)
  - موقع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد على الشبكة العالمية للمعلومات (الإنترنت): [www.moia.gov.sa](http://www.moia.gov.sa)



ظاهرة التكفير .. الأسباب والعلاج والأثار



# مسؤولية المؤسسات الدعوية في علاج ظاهرة التكفير

د. لمياء بنت سليمان الطويل  
أستاذ مساعد

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



مؤتمر ظاهرة التكفير .. الأسباب .. الآثار .. العلاج



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً أما بعد:

إن مما ابتليت به الأمة الإسلامية وأشد ما ابتليت به اليوم ما يسمى بالتكفير!، فلم تسلم من هذا الداء قديماً وحديثاً، ونجد أن أشهر من عُرف قديماً بالتكفير والعنف والغلو هم الخوارج الذين حكموا بالكفر على من لا يستحقه من المسلمين، وخرجوا على ولي الأمر وصاروا شراً ومحنة على الإسلام والمسلمين، وقد تعرض علي عليه السلام نفسه إلى عملية التكفير من قبل الخوارج الذين رفضوا التحكيم بين علي ومعاوية، وبالرغم من أن مأخذهم لم يكن يتعدى الاجتهاد السياسي إلا أنهم أضفوا عليه صفة الكفر والإيمان، وذهبوا إلى حد شق وحدة الأمة المسلمة وإعلان الحرب على المسلمين.

ولئن كانت الأمة قد عايشَت صوراً من الغلو والتطرف في عصور سلفت، فإن أشد أنواع التطرف ما عاشته الأمة في عهودها الأخيرة، وما زال هذا الفكر يمضي في أوساط الأمة ومنذ ذلك الحين استمرت ظاهرة التكفير في المجتمعات الإسلامية والعربية حتى عصرنا الحاضر، فأصبحت هذه المجتمعات تعاني من اضطرابات فكرية، وانحراف مخيف من خلال تلبيس فئة من الناس بالتكفير المنحرف الذي لا يلتزم بالضوابط الشرعية المقررة، ولا يمكن للغة التكفير أو التفجير أن تبني دولة، أو تسود أمة. فجماعات التكفير التي تطلق الكفر على الحكام، أو على المجتمعات، دونما تفصيل ومعرفة للأحوال والواقع، تتابع ما قالته وفعلته الخوارج منذ القدم، في مرتكبي الكبائر وتكفيرهم بذلك، وقد استغل هذه الأقوال الخاطئة

أصحاب الأهواء والمصالح، من أجل تنفير المسلمين من حكامهم، ودعوتهم للخروج عليهم.

فقضية التكفير فتنة تستوجب التأمل وتستدعي التفكير، فالتكفير لم ينشأ جزافاً بل له أسبابه ودواعيه، وله أيضاً طرقٌ علاجية، فانتشار هذه الظاهرة الشاذة، وتسلسلها إلى مجتمعاتنا بفئاته وشرائحه المختلفة يحتم علينا أن تكون لنا وقفة مساهمة تعالج مثل هذه القضايا الخطيرة، وتوضح لكل مسلم أنه يجب عليه ألا يتعجل في إطلاق تعابير التكفير، والتفسيق على المعينين أو الجماعات حتى يتأكد من وجود جميع أسباب الحكم عليه بالكفر وانتفاء جميع موانع التكفير في حقه، وهذا يجعل مسألة التكفير من مسائل الاجتهاد التي لا يحكم فيها بالكفر على شخص أو جماعة إلا العلماء الراسخون في العلم، وهذا طريق السلف الصالح يحتاطون في أمر التكفير أشد الاحتياط، يجمعون النصوص بعضها إلى البعض، ويفسرون مدلولاتها، دون تطرف أو غلو أو شطط. يحكمون على الظاهر، والله يتولى السرائر.

إن قضية التكفير خطيرة لا يجوز بحال التساهل فيها، أو القول فيها بغير علم وبصيرة.

وإسهاماً منا في هذا الموضوع المهم سأتناول دور المؤسسات الدعوية في علاج هذه الظاهرة لتكون إضافة إلى الجهد الذي يتبقى فيه الوجهة النافعة والحل الأمثل وتقديم العلاج والدواء النافع والقضاء على هذه الظاهرة من خلال هذا البحث والذي يتكون من مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة:

■ المبحث الأول: نشر مذهب السلف الصالح لعلاج ظاهرة التكفير من خلال المطالب التالية:

○ المطلب الأول: بيان ضوابط التكفير وأصوله عند أهل السنة

والجماعة.

- المطلب الثاني: معرفة المقاصد الشرعية للدين الإسلامي.
- المطلب الثالث: معالجة الشبهات الواقعة في أذهان الشباب.
- المطلب الرابع: ذكر الأدلة على حرمة دم المسلم، وحرمة قتل الكافر المعاهد أو المستأمن...

■ المبحث الثاني: الدعوة إلى الأخذ بمنهج الوسطية والاعتدال من خلال المطالب التالية:

- المطلب الأول: الوسطية من خصائص الإسلام.
- المطلب الثاني: تأصيل وترسيخ منهج الوسطية في نفوس الشباب.
- المطلب الثالث: إبراز وسطية الأمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

○ المطلب الرابع: التأكيد على تعاليم الإسلام السمحة ومجاريته للتكفير.

■ المبحث الثالث: إبراز دور ولادة الأمر والعلماء والتذكير بحقوقهم من خلال المطالب التالية:

- المطلب الأول: وجوب السمع والطاعة لولاة أمر المسلمين.
- المطلب الثاني: التحذير من الفرقة والخروج عليهم.
- المطلب الثالث: احترام العلماء وتقديرهم والالتفاف حولهم.
- المطلب الرابع: غرس مفهوم المواطنة الصالحة لدى الشباب.

■ المبحث الرابع: استخدام الأساليب الدعوية في علاج ظاهرة التكفير من خلال المطالب التالية:

- المطلب الأول: أسلوب النصيحة.
- المطلب الثاني: أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة.

- المطلب الثالث: الأساليب الحوارية.
- المطلب الرابع: الأساليب الأقتناعية.
- المبحث الخامس: إعداد شخصية الشاب المسلم من خلال المطالب التالية:
  - المطلب الأول: تكوين عقلية الشباب عن طريق التربية والتوجيه.
  - المطلب الثاني: تبصير الناشئة وتوعيتهم بأخطار التكفير والغلو في الدين.
  - المطلب الثالث: تحصين أفكار وعقول الشباب من أي انحراف فكري مضلل موجه من وسائل الإعلام المعاصرة.

## المبحث الأول

### نشر مذهب السلف الصالح لعلاج ظاهرة التكفير

#### المطلب الأول

#### بيان ضوابط التكفير وأصوله عند أهل السنة والجماعة

أهل السنة والجماعة هم الفرقة الناجية من بين الفرق الإسلامية، وهم أصحاب المنهاج الحق، الذي يمثل وسطية الأمة الإسلامية، يقول الإمام ابن تيمية - رحمه الله: (وهذه الفرقة الناجية هم وسط في النحل، كما أن الإسلام وسط في الملل)<sup>(١)</sup>. إن علامة الفرقة الناجية، هي متابعة رسول الله ﷺ ولزوم طريق المسلمين، من صحابته رضوان الله عليهم، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ويقول الإمام أحمد - رحمه الله -: (أصول أهل السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب النبي ﷺ، والاعتداء بهم وترك البدع)<sup>(٢)</sup>. ولقد كان السلف الصالح رضي الله عنهم من الصحابة والتابعين أشد الناس تمسكاً ولعلها اقتفاء لنصوص الشريعة، ومع هذا لم يحصل منهم غلو ولا تشدد إلا في قضايا يسيرة في حياة الرسول ﷺ أرشد عليه الصلاة والسلام أصحابه إليها، وعلمهم وبيّن لهم طريق العبادة المعتدل، وما ذلك إلا لحرصهم على التمسك بالعلم الصحيح، والفهم السليم، ولكن لما بعد الناس عن عصر النبوة والصحابة والتابعين، ومن تبعهم حتى أطبق الجهل على كثير من أهل الإسلام، فصار التمسك بسنة المصطفى ﷺ مستهزئاً به في تلك المجتمعات معدوداً.

(١) انظر: منهاج السنة، لابن تيمية، ج ٣، ص ٤.

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة، اللالكائي، ج ١، ص ١٥٦.

ولقد تقرر عند الأئمة من السلف أن أقوال الناس توزن بالنص والإجماع فمن وافق النص قبل منه ومن خالف رد عليه، ولم يكن منهج السلف تكفير من لا يستحق التكفير من المسلمين من أهل الكبائر، ولا يكفرون أحداً من أهل البدع أو يفسقونه إلا بدليل وقد سار على هذا المنهج صحابة رسول الله ﷺ والتابعون والأئمة من بعدهم، فالإسلام يأبى كل عمل يقوم به المتطرفون مما يخالف أصول منهج السلف الصالح، ويغلق جميع الأبواب والسبل المؤدية إلى التطرف والغلو، كما حذر الأئمة من الغلو في الدين والتطوع في الأحكام، فالغلو آفة التدين، فتحريف الغالين كان سبباً في هلاك الأمم السابقة ممن غلوا في عقيدتهم وعبادتهم على حد سواء، فحرموا على أنفسهم ما أحل الله، وحرموا طيبات أحلت لهم، قال تعالى في وصف أهل الكتاب: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ (المائدة: ٧٧)، وقال ﷺ: (إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين)<sup>(١)</sup>، وقال: (هلك المتطعون، قالها ثلاثاً)<sup>(٢)</sup> والغلو في الدين يؤدي إلى تكفير المسلمين، وتفسيقهم وإخراجهم من دينهم ودائرة الإسلام، بل يؤدي إلى قتالهم واستباحة دمائهم وأموالهم، كما فعلت الخوارج الذين قال النبي ﷺ في وصفهم: (يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وقراءته مع قرأتهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية)<sup>(٣)</sup>.

(١) مسند الإمام أحمد، مسند عبد الله بن عباس، ج ١، ص ٥٧٢ رقم الحديث (٣٢٤٦).

(٢) صحيح مسلم، كتاب العلم، باب هلك المتطعون ج ١٦، ص ١٩٠ رقم الحديث (٦٧٣٥).

(٣) صحيح البخاري، كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام، ج ٣، ص ١٢٢٠ رقم الحديث (٣٥٣٢).



والشباب أحوج ما يكون إلى معرفة المنهاج الرباني الذي اختص الله - عز وجل - به هذه الأمة، وهو منهاج تفرد به الإسلام دون سواه، فواجب الدعاة بيان هذه المسألة، فهذا هو منهاج أهل السنة والجماعة في الاعتقاد، المنهاج الوسط الذي جاء من عند الله، وبيّنه رسوله ﷺ ودعا إليه، وسار عليه الصحابة - رضوان الله عليهم - ومن تبعهم بإحسان.

## المطلب الثاني

### معرفة المقاصد الشرعية للدين الإسلامي

إن الأمة الإسلامية مجمعة على أن الشريعة إنما هي حكمة ورحمة ومصالحة للعباد في دنياهم وآخرتهم، وأن أحكامها كلها على هذا المنوال، ما علمنا من ذلك و ما لم نعلم. قال الله - عز وجل - : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء: ١٠٧) قال العلامة القرطبي في تفسيره " ولا خلاف بين العقلاء أن شرائع الأنبياء قصد بها مصالح الخلق الدينية والدينية"<sup>(١)</sup>.

المتأمل للشريعة الإسلامية و ما أقرته من نظم يجد أنها جميعا من نظام العبادة أو نظام السياسة أو نظام الأسرة أو نظام الاقتصاد وغيرها تعود إلى حفظ هذه الضروريات الخمس؛ فكل أمر هو في حقيقته عملٌ يرمي الشارع من ورائه إلى تثبيت هذه الأصول، و كل نهي كان مقصودا به حمايتها من الإبطال، ومن هنا كان كل ما يحقق تلك الكليات الشاملة، مصلحة و كل ما ينقضها، مفسدة.

وإذا كان الصحابة هم أول القائلين -وأول المجمعين- بأن الشريعة مصلحة، وأن أحكامها لا تعدو أن تكون لخير تجلبه أو لشر تدفعه، فمن الطبيعي أن يكونوا هم أول الملتفتين لمقاصد الشرع ولحكمة الله تعالى. قال ابن القيم "وقد كان الصحابة أفهم الأمة لمراد نبيه وأتبع له. وإنما كانوا يدندنون حول معرفة مراده ومقصوده"<sup>(٢)</sup>.

فالإسلام جاء لحفظ الضروريات الخمس وهي (الدين - النفس - العقل -

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ج٢، ص٦٤.

(٢) أعلام الموقعين، لابن القيم، ج٢، ص٣.



العرض - المال)، ورتب حدوداً صارمة في حق من يعتدي على هذه الضرورات، سواء كانت هذه الضرورات للمسلمين والكفار من (معاهدين، أو مستأمنين أو ذميين)، فالإسلام كفل لهؤلاء الأنواع من الكفار الأمن على دمائهم وأموالهم وأعراضهم، ومن اعتدى عليهم، فقد خان الإسلام، واستحق العقوبة الرادعة، لأن العدل واجب مع المسلمين ومع الكفار، حتى لو لم يكونوا معاهدين أو مستأمنين أو أهل ذمة<sup>(١)</sup>، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا ﴾ (المائدة:٢).

فلا بد للداعية من تعميق الوعي بمقاصد الشريعة الإسلامية وربط الأحكام بها، وتبنيه المسلم على دورها في توضيح الصورة المتكاملة للدين كونه طريق السعادة في الدارين، فالواقع الذي تمر به الأمة الإسلامية والمتمثل بصور التكفير والعنف والإرهاب يحتاج إلى عودة عاجلة إلى الكليات والمقاصد العامة، لأن الرد إلى مقاصد الشريعة يعيد الاعتبار إلى فقه الأولويات ويثبت في الذهن ميزان المنافع أو المضار بدءاً بحفظ الضروريات التي لا يقوم مجتمع إلا بها في كل شؤونه الحياتية والفكرية ثم الحاجيات ثم التحسينيات، والإخلال في هذا إخلال في بنية المجتمع والأفراد.

(١) الأمن وأهميته في المجتمع وخطورة الإخلال به، للشيخ د. صالح الفوزان، من منشورات المكتب التعاوني لمحافظة بقيق.

## المطلب الثالث

### معالجة الشبهات الواقعة في أذهان الشباب

يجب على الدعاة استقراء شبهات التكفيريين ودعواويهم والأمور الملتبسة عليهم، وتتبع مقالاتهم ومؤلفاتهم وسائر مزاعمهم والتعرف على رؤوسهم ومرجعياتهم، ثم الرد عليهم بالحجة والدليل والبرهان الشرعي والعقلي، والحوار الجاد مع المنظرين والمتبوعين ومن هذه الشبهات:

#### ١- فتنة التفجيرات والاعتيالات باسم الجهاد:

فلقد انتشر هذا الفكر عند بعض الشباب الذي ليس لديه تحقيق من هذه الأفكار، وليس عنده مناعة كافية لدفع هذه الأقوال، فكانت مشكلة التفجيرات والاعتيالات باسم الجهاد في استخدام العبوات الناسفة<sup>(١)</sup>، والأسلحة الحديثة الفتاكة في هذا العصر. له آثار جسيمة، وعواقب وخيمة، وأحدثت من المفساد الشيء الكثير من إزهاق أرواح الأبرياء وتدمير الممتلكات، وإفساد المصالح، والمنشآت العامة، وقتل عددٍ من غير المسلمين المستأمنين في بلاد الإسلام بعهد أمان من ولي الأمر، سواء كانوا سائحين أو خبراء أو عمال وغيرهم، وهذا ناتج عن الجهل بكتاب الله - عز وجل - وسنة رسوله ﷺ وعدم لزوم منهج السلف، والطعن في العلماء والنيل منهم، والحماس والثورة لدى بعض الشباب ولنيل الشهادة، ووضع أحاديث فضل الجهاد والشهادة في غير موضعها.

(١) لمزيد من التفصيل، ينظر كتاب التفجيرات والاعتيالات (الأسباب والآثار والعلاج)، أبو الحسن السليمانى.

وقد أجاب فضيلة الشيخ صالح الفوزان في سؤال على من جعل التفجيرات والاختيالات من باب الجهاد في سبيل الله، فقال: هذا من الافتراء على الله، وعلى دينه نسأل الله العافية والسلامة، فالاختيالات والتفجيرات والتمرد على الولاية، كل هذا ليس من الإسلام، بل يسبب على المسلمين شراً وخطراً، كما هو معلوم من الوقائع المعاصرة<sup>(١)</sup>.

## ٢ - فتنة التكفير باسم الجهاد.

نجد أن للتكفيريين والمتأثرين بأفكارهم شبهات يرددونها في كتب يؤلفونها ومواقع في الشبكات العنكبوتية يبثونها، فأدخلوا في نفوس كثير من ذوي الحماسة الدينية المفرطة شكاً وريباً<sup>(٢)</sup>، كما تبثوا دعوات الخروج على ولاة الأمر وتكفيرهم بغير برهان من الله ودليل واضح، فقاموا بأعمال مشينة من تفجير وغيره باسم الجهاد لأجل الإصلاح، وهذا من أبطل الباطل يقول تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ، أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (البقرة: ١١ - ١٢).

وقد صدر بيان من مجلس هيئة كبار العلماء في دورته التاسعة والأربعين المنعقدة بالطائف ابتداء من تاريخ (٢/٤/١٩٤١هـ) ما يجري في كثير من البلاد الإسلامية وغيرها من التكفير والتفجير، وما ينشأ عنه من سفك الدماء وتخريب المنشآت، ونظراً لخطورة هذا الأمر، وما يترتب عليه من إزهاق أرواح بريئة، وإتلاف الأموال، فقد رأى المجلس إصدار بيان يوضح فيه حكم ذلك بأن:

■ أولاً: التكفير حكم شرعي، مرده إلى الله ورسوله وأن التسرع في التكفير له خطره العظيم.

(١) الإجابات المهمة في المشاكل الملحة، الشيخ د. صالح الفوزان، ص ٣٢٤.

(٢) انظر: البرهان المنير في دحض شبهات أهل التكفير والتفجير، عبد العزيز الريس، ص ٥.

- ثانياً: إن الإسلام قد حفظ للمسلمين أموالهم وأعراضهم وأبدانهم، وحرّم انتهاكها.
- ثالثاً: أن المجلس في بيانه لحكم التكفير، وما يترتب عليه من شرور وآثام، فإنه يعلن للعالم أن الإسلام بريء من هذا المعتقد الخاطئ، وأن ما يجري في بعض البلدان هو عمل إجرامي، والإسلام بريء منه<sup>(١)</sup>.
- **إذاً يجب على الدعاة إيجاد الحلول لكشف حقائق التكفيريين، فأكثر ما يثيره أهل التكفير والغلو مبني على أوهام وظنون وشائعات وتلبيس، ويمكن معالجة هذه الشبهات من طريقين:**
- أحدهما: بالرفق واللين والتوجيه والتربية وحسن البيان لمن اشتبه عليه الأمر أو ادلّهت عليه الشبهات، ولا يتأتى هذا إلا على يد ذوي العلم والغيرة الراسخين.
- والثاني: بأسلوب مقارعة الحجّة ودفع الشبهة، والتأديب والتعزيز اللائقين في المعاند والمكابر، ومن على شاكلة هؤلاء، وهذا مناط بالقضاء والعلماء والدعاة.

(١) انظر: مجلة البحوث الإسلامية، ع ٥٦، ص ٣٥٧.

## المطلب الرابع

### ذكر الأدلة على حرمة دم المسلم

### وحرمة قتل الكافر المعاهد أو المستأمن

إن الدين الإسلامي الذي ارتضاه الله - عز وجل - لهذه الأمة، وبعث به محمد ﷺ، دين وفاء وصدق وعدل، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ نَعِرْتُمْ أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (المائدة: ٨)، فدين الإسلام كما يأمر بالأخلاق الفاضلة، والآداب العادلة، فإنه يحارب الغدر والخيانة، والجور، والكذب، ومن أعظم الغدر قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق.

إن للدماء في الإسلام حرمة عظيمة، وحصانة منيعة تظهر من خلال النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية، والمقاصد الشرعية، وإجماع الأئمة، وليس لأحد أن يجازف بدينه، ويسفك الدم الذي حرمه الله إلا بالحق. ولقد وضع الإسلام دستوراً حريماً عظيماً راعى فيها الحرمات ألا تنتهك، وأمر فيه بالعدل والقسط، ولو نظر أعداء هذا الدين لهذا الدستور الحربي الإسلامي، لعلموا أن هذا الدين لم يضعه بشر، وأنه ما جاء لقتل الناس، وإنما جاء لدعوة الناس إلى الخير، وأما القتال فهو علاج يستعمل عند الحاجة، لكن الأصل الدعوة إلى الله - عز وجل - بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، ثم إن قتال المسلمين للكفار يشتمل على أحكام عظيمة، وهذا من وسطية هذا الدين القويم والتي تدل على أن الإسلام دين العدل والرحمة حتى مع الكفار.

## ومن المبادئ العامة لكيفية القتال ما يلي:

### ١ - عدم الاعتداء والنهي عن قتل النساء والأطفال والشيوخ:

فلا يجوز الاعتداء على الكفار بغير حق، ولا بد ألا يقاتل الكفار والمشركين قبل دعوتهم إلى الإسلام، قال ابن قدامة في المغني: (ومن لم تبلغه الدعوة يدعى قبل القتال، ولا يجوز قتالهم قبل الدعاء)<sup>(١)</sup>، كما أن قتل النساء والصبيان والشيوخ الذين لا رأي لهم في القتال داخل في الاعتداء المنهي عنه، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (البقرة: ١٩٠).

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - في تفسير هذه الآية: (أي قاتلوا في سبيل الله ولا تعتدوا في ذلك، ويدخل في ذلك ارتكاب المناهي من المثلة، والغلول، وقتل النساء والصبيان والشيوخ الذي لا رأي لهم ولا قتال فيهم، والرهبان)<sup>(٢)</sup>.

### ٢ - حرمة قتل المدنيين من غير أهل المقاتلة والممانعة:

ولذلك نجد أن الإسلام حرم قتل الكفار من المعاهدين، لأن لهم ذمة الله، وذمة المسلمين، فمن قتلهم فقد خان وغدر بذمة الله وذمة المسلمين، والمعاهد يشمل الذمي الذي يدفع الجزية، ويشمل المستأمن الذي يدخل بلاد المسلمين بأمان منهم، وكذلك يشمل الذين بيننا وبينهم عهد ولو كانوا في بلادهم، إذا تعاهد المسلمون مع الكفار فإنه يجب على المسلمين الوفاء مع الكفار سواء كانوا في بلاد المسلمين أو في بلاد الكفار.

فالوفاء بالعهد واجب، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء: ٣٤).

(١) المغني، لابن قدامة، ج ٨، ص ٣١٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج ١، ص ٥٢٨.

## المبحث الثاني الدعوة إلى الأخذ بمنهج الوسطية والاعتدال

### المطلب الأول الوسطية من خصائص الإسلام

الوسطية سمة بارزة ثابتة تشمل الشريعة كلها، سواء في الاعتقاد أو التشريع أو العبادة، أو الحكم، كما تشمل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد، إن مفهوم الوسطية الحقيقي هو التمسك بجميع تعاليم الشريعة السمحة بذاتها؛ لأن الإسلام بتعاليمه وشريعته يمثل الوسطية الحقيقية في جميع الأمور الدينية والدنيوية، وقد حذر النبي ﷺ من الخروج عن منهج الاعتدال في الدين الذي كان عليه النبي ﷺ من ذلك في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (إن هذا الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه)<sup>(١)</sup> والتشدد في الدين كثيرا ما ينشأ عن قلة الفقه في الدين، وهما من أبرز سماته الخوارج.

ولقد بيّن رسول الله ﷺ لأمة منهج التوازن والوسطية في الحياة كلها، وحذر من عواقب الانحراف عن الوسطية، كما أن الاتصاف بهذا المنهج لمن أكبر العون على معرفة سنن الله الثابتة الشاملة في الأفراد والمجتمعات التي لا تتغير ولا تتبدل، كما نهى في الوقت نفسه عن الغلو، يقول تبارك وتعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ (المائدة: ٧٧).

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، ج ١، ص ٢٢ رقم الحديث (٢٩).

ولذلك كان لابد للدعاة من بيان وسطية الإسلام لعلاج ظاهرة التكفير فهو خصيصة من خصائصه التي حفظت هذا الدين من تيارات هي في الحقيقة هادمة له ، ولو فقد مع هذه التيارات أهل الوسط والاعتدال لحصل لهذا الدين ما حصل لغيره من الأديان الأخرى ، وهذه التيارات قد تكون غالية متشددة تخرج الإسلام عن وسطيته ، وتذهب عنه سماحته إلى التشدد ، وتكلف النفس ما لا تطيق ، وتضمن قضايا وصل الحال عند البعض إلى تفسيق الناس ، وفي بعض الأحيان إلى تكفيرهم.

والحق هو الوسط فلا إفراط ولا تفريط ، ولا غلو ولا تقصير ، وهذا لا يتأتى إلا من العلماء الراسخين الذين يعرفون مجريات الأمور ، وتغيرات الأحوال.



## المطلب الثاني تأصيل وترسيخ منهج الوسطية في نفوس الشباب

لقد وعى السلف الصالح ووسطية المنهج والتوازن في الدين فراحوا يدعون إليه قولاً وعملاً، وإن خير من تمثل الوسيطة التي جاء بها الإسلام – هم أهل السنة والجماعة – فتمثلوا الإسلام في جميع أمورهم اقتداءً بالنبي ﷺ وخلفائه الراشدين اتباعاً للكتاب والسنة وفق فهم سلف الأمة، فهم أولى الناس دخولاً في هذه الوسطية، وإن كل معنى من معاني الوسطية ثبت لهذه الأمة، فلاهل السنة والجماعة منه الحظ الأوفر والنصيب الأعلى<sup>(١)</sup>.

**ومن أبرز دور المؤسسات الدعوية فيما يتعلق بتأصيل وترسيخ منهج الوسطية ما**

**يلي:**

- على الدعاة إبراز وسطية الإسلام لتحسين المجتمع من القضايا التي يمكن أن توجد بسبب التضيق من المتطرفين الذي يعتمدون على نظرة ضيقة للكون وللحياة، وينطلقون منها إلى تخطئة كل رأي مخالف لهم باسم الدين، ويدينون كل فكر مخالف لفكرهم باسم الدين، الأمر الذي ينتهي بهم إلى تكفير الناس، بل والنيل من أعراض العلماء، ووصمهم بصفات غير لائقة، فالغلو في الدين باب إلى التطرف الذي يقود إلى العنف والسعي إلى إلزام المخالف رأيه بالقوة.
- توضيح مكونات الهوية الوسطية في الابتعاد عن اتهام أحد ممن دخل في

عقد الإسلام بالكفر والبدعة بأعيانهم، ما لم يصرحوا بذلك، أو يصدر منهم مكفر أو بدعة من غير جهل ولا تأويل ولا خطأ ولا إكراه، ولا يعني هذا عدم بيان الحق أو عدم الرد على الخطأ بالحسنى أياً كان مصدره، ولما ورد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما)<sup>(١)</sup>.

■ يجب عدم الخلط بين القضايا التي لها أصول شرعية وبين ما فيه مخالفة للشرع، فالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والولاء والبراء ونحوها كلها أصول عقدية معتبرة شرعا بشروطها، فيجب بيان الخطأ في تفسيرها وفهمها، وعدم الخلط بينها وبين التكفير والعنف والإرهاب والغلو، فليس كل أهل الغلو والتكفير خوارج. وليس كل مكفر جهادياً، وليس كل مجاهد مكفراً، والخلط بينهم أدى إلى تعاطف بعضهم مع بعض وإلى التباس الأمور على كثير من الناس، وإلى تعاطف آخرين معهم كذلك.

■ أن ضلال كثير من الفرق والطوائف في التاريخ الإسلامي قديماً وحديثاً بسبب عدم التفقه في الدين، وعدم متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم، وعدم معرفة ما كان عليه السلف الصالح، وبذلك لم تتبع هذه الفرق سبيل المؤمنين، بل شاققت رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرجت عن الفرقة الناجية التي تمثل أمة الإسلام، الأمة الوسط، فاستحقت وعيد الله في قوله: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء: ١١٥).

(١) رواه مسلم، باب بيان حال من قال لأخيه يا كافر، ج ٢، ص ٤٢ رقم الحديث (١٧٧).



إذاً فالشباب المسلم أحوج ما يكون إلى اتباع هذا المنهاج في فهم أحكام الشريعة، وفي الدعوة إلى الله على أساسه؛ لأن الأمة الإسلامية، هي الشاهدة على غيرها من الأمم يوم القيامة، ولأنها - بما هي عليه من الحق - شاهدة على الخلق في هذه الدنيا، وقادرة على إصلاح نفسها، وإصلاح غيرها بما لديها من هدي الكتاب والسنة.

إن على العلماء والدعاة إلى الله، أن يخاطبوا الناس بمنهاج الوسطية في كافة أمور الدين علماً أو إفتاءً أو دعوة، لأن الدين في أصله يرفض التكفير والغلو والتطرف في كل جوانبه.

## المطلب الثالث

### إبراز وسطية الأمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

فالإسلام الذي رضيه الله لعباده وأمرهم باتباعه هو دين الوسطية الذي لا غلو فيه ولا جفاء ولا إفراط ولا تفريط. قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣) أي عدلاً خياراً، والوسط هو أعدل الشيء وأخيره وأجوده.

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في تفسير هذه الآية: (أي: عدلاً خياراً، وما عدا الوسط، فالأطراف داخلة تحت الخطر. فجعل الله هذه الأمة وسطاً في كل أمور الدين. وسطاً في الأنبياء، بين من غلا فيهم كالنصارى، وبين من جفاهم كاليهود، بأن آمنوا بهم. ووسطاً في الشريعة، لا تشديدات اليهود وآصارهم، ولا تهاون النصارى، فلهذه الأمة من الدين أكمله، ومن الأخلاق أجلها، ومن الأعمال أفضلها، ووهبهم الله من العلم والحلم والعدل والإحسان ما لم يهبه لأمة سواهم، فلذلك كانوا (أمةً وسطاً) كاملين معتدلين، ليكونوا (شهداء على الناس) بسبب عدالتهم وحكمهم بالقسط، يحكمون على الناس من سائر أهل الأديان، ولا يحكم عليهم غيرهم)<sup>(١)</sup>.

ولا يخفى على أحد أن الإسلام هو دين الرحمة ودين الوسطية والاعتدال، وأن الأمة الإسلامية هي خير أمة أخرجت للناس كرمها الله بفضل الإسلام، وجعل خيريتها مرتبطة بأداء رسالتها أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر، وتمسكاً بالإسلام كما قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ: عبد الرحمن بن سعدي، ج ١، ص ١٥٧.

خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ (آل عمران: ١١٠).

وقد جاءت كثير من آيات القرآن الكريم مقرّرة أن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، هو طريق الخيريّة والاستقامة، وأن ما عداه طريق الانحراف والضلالة.

ولكن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، يختلف من حال إلى حال، ومن مقام إلى مقام، فليس كل من تصوّر أنّه قام به قد وافق الصّواب في ذلك، فكم من داعية يأمر وينهى - استجابة للآيات الداعية لذلك على وجه العموم - ضلّ في هذا الأمر، ولم يوفّق للمنهج الوسط، وهو المنهج الحق، فقد يتكلّم في مقام يجب فيه السكوت، وقد يغلظ في حال تجب فيها اللين والرفق، وقد يلين القول فيما لا يجدي فيه إلا الغلظة والشدة، ، والوسطية في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر مسألة نسبية تختلف باختلاف ملابساتها والظروف المحيطة بها<sup>(١)</sup>.

ومن هنا يتّضح أن القرآن الكريم قد وضع قاعدة في رسم منهج الوسطية، وأنّ الحكم يدور مع علته وجوداً وعدمًا، وكذلك فمن الحق النظر إلى مآلات الأمور دون الوقوف عند ظواهرها فقط.

لذا كان من الواجب على المؤسسات الدعوية تربية الشباب على هذا المنهج تربية عملية شاملة، مما يقضي على الخلل الموجود في محيط المجتمع المسلم سواء أكان إفراطاً أو تفريطاً، لأنّ هناك لبساً في فهم الوسطية وممارساتها من قبل بعض الجماعات، وهذا اللبس أدى إلى أنهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً.

(١) انظر: الوسطية في ضوء القرآن الكريم، للشيخ: ناصر العمر، ص ١٥٣-١٥٥.

## المطلب الرابع

### التأكيد على تعاليم الإسلام السمحة ومجاريته للتكفير

لقد جاء الإسلام خاتم الأديان، وجاءت شريعته السمحة خاتمة الشرائع السماوية، واشتملت عقيدة الإسلام على الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبعث رسول الله ﷺ خاتماً للأنبياء والمرسلين، ومصداقاً للرسل أجمعين، وأنزل الله - عز وجل - عليه القرآن الكريم تبياناً لكل شيء، ومصداقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيماً عليه. إن مبدأ اليسر والسماحة ثابت في هذا الدين، وهو قصد عظيم لا ينكره إلا الجاهلون بأحكام الإسلام وحقيقة رسالته، ولقد أدرك السلف - رحمهم الله - أن الابتعاد عن المنهج يورث آثاراً سلبية وأضراراً خطيرة على عمل الإنسان وسلوكه في دينه ودنياه، وربما يخرج عن الصراط السوي إلى السبل المتفرقة والأفكار المنحرفة، فتفتح أبواب البدع والمحدثات على هذا الدين.

كما فهم السلف أن تقرير مبدأ السماحة واليسير في الدين لا يعني الإخلال بمقاصد الشريعة والدين، فلا نفهم من مبدأ التيسير أنه تفريط في تطبيق أحكام هذا الدين وتنفيذ أوامره، لأن هذا اليسر لا يكون في إثم ولا معصية. كما روت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في حديث (ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه) (١).

**ومن صور يسر وسماحة الإسلام:**

الحذر من التعصب: فمن سماحة الإسلام أنه لا يقبل التعصب ضد أي دين من الأديان أو شريعة من الشرائع أو أي كتاب من الكتب السماوية، وقد

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ ج٣، ص ١٣٠٥ رقم الحديث (٣٤٨٤).

قضت مشيئة الخالق - عز وجل - أن يكون الناس مختلفين في عقائدهم ومواهبهم، وملكاتهم العقلية وهي الحكمة الإلهية قال تعالى: ﴿ وَكُوْشَاءَ رَبِّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ، إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ (هود: ١١٨ - ١١٩) ولو تأمل أولئك التكفيريون والغلاة والمتطرفون أن من حكمة بعثة محمد ﷺ رفع الإصر والأغلال الواقعة بالأمم السابقة من قبلنا يقول الله - جل جلاله -: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (الأعراف: ١٥٧).

فالحرج ليس من مقاصد الشرع، والغلو في الدين فيه مشقة وهو يتعارض مع تعاليم الإسلام الداعية إلى اليسر ورفع الحرج، بل إن يسر الإسلام وتيسيره سمة من سماته التي اختلف بها عمّن سواه من الأديان، يقول الله جل جلاله في سياق الامتتان على هذه الأمة: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (الحج: ٧٨)، ويقول تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ (البقرة: ١٨)، ويقول تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾ (النساء: ٢٨)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه).

إذا أردنا التعمق في مبدأ التيسير والسماحة في دين الله فإننا نجد أنفسنا أمام بحر زاخر من الشواهد والنصوص والأحداث التي تقر هذا المبدأ وتحث عليه.

## المبحث الثالث

### إبراز دور ولاية الأمر والعلماء والتذكير بحقوقهم

#### المطلب الأول

#### وجوب السمع والطاعة لولاية أمر المسلمين

إن السمع والطاعة لولاية أمر المسلمين أصل من أصول العقيدة السلفية، قل أن يخلو كتاب فيها من تقريره وشرحه وبيانه، وما ذلك إلا لبالغ أهميته وعظيم شأنه، إذ بالسمع والطاعة لهم تنتظم مصالح الدين والدنيا معاً، وبالخروج عليهم قولاً أو فعلاً فساد الدين والدنيا، وقد علم بالضرورة من دين الإسلام أنه لا دين إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمامة، ولا إمامة إلا بسمع وطاعة، يقول الحسن البصري - رحمه الله تعالى - في الأمراء: "هم يلون من أمورنا خمساً: الجمعة، والجماعة، والعيد، والشعور، والحدود. والله لا يستقيم الدين إلا بهم، وإن جاروا وظلموا. والله لَمَا يصلح الله بهم أكثر مما يفسدون، مع أن طاعتهم والله لغبطة، وأن فرقتهم لكفر"<sup>(١)</sup>.

وحقوق ولاية الأمر والأئمة نص الله تعالى عليها في كتابه العزيز، ونص عليها النبي ﷺ، وذلك ليعلم العبد المسلم أن هذه الحقوق في غاية الأهمية، فالقيام بها حتم لا يسمح بالتقصير فيها، ومن قصر فقد رتب الشرع المطهر له عقوبات تتعلق في الدنيا، ومنها تتعلق في الآخرة.

#### ومن هذه الحقوق:

١. البيعة له، ففي حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال

(١) آداب الحسن البصري، لابن الجوزي، ص ١٢١.



(من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية)<sup>(١)</sup>.

٢. السمع والطاعة في غير معصية الله - عز وجل - ، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوَلِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ (النساء: ٥٩).

٣. النصح له ، ومن الأحاديث المؤكدة لذلك أن النبي ﷺ قال (الدين النصيحة) قلنا لمن ؟ قال: لله ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين ، وعامتهم<sup>(٢)(٣)</sup>.

(١) أخرجه مسلم ، كتاب الأمانة ، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال ، رقم ١٨٥٠.

(٢) أخرجه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب أن الدين النصيحة ، رقم ٥٥ من حديث تميم الداري.

(٣) ولمزيد من التفصيل ، عقيدة أهل الإسلام فيما يجب على الإمام ، د. عبد السلام بن البرجس ، وحقوق الراعي والرعية ، للشيخ محمد بن عثيمين.

## المطلب الثاني

### التحذير من الفرقة والخروج عليهم

لزوم جماعة المسلمين واجب شرعي دلّ عليه الكتاب والسنة والعقل، قال الإمام النووي في كتابه شرح صحيح مسلم: (باب وجوب لزوم جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال)<sup>(١)</sup>.

وفي هذا دلالة قاطعة على هذا الحكم، ويحرم الخروج على ولاة الأمر وجماعة المسلمين لأي سبب من الأسباب، وبأي وسيلة من الوسائل، ومهما كانت المبررات، لأن في ذلك تفريقاً للأمة وتمزيقاً لاجتماعها، وإضعافاً لقوتها، ومخالفة صريحة لكتاب الله، وسنة رسوله ﷺ من الأمر بوجوب الحفاظ على جماعة المسلمين<sup>(٢)</sup>.

إن دين الإسلام جاء بالأمر بالاجتماع، وأوجب الله ذلك في كتابه، وحرم التفرق والتحزب يقول الله - عز وجل - : ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ (آل عمران: ١٠٣)، ويقول سبحانه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (الأنعام: ١٥٩)، فبرأ الله رسوله ﷺ من الذين فرقوا دينهم وحزبوه، وكانوا شيعاً، وهذا يدل على تحريم التفرق، وأنه من كبائر الذنوب، وقد علم من الدين بالضرورة وجوب لزوم الجماعة، وطاعة من تولى إمامة المسلمين في طاعة الله بقول الله - عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا

(١) شرح صحيح مسلم، للنووي، كتاب الأمانة، الأحاديث ١٨٤٧ - ١٨٥١.

(٢) انظر: الأمر بلزوم جماعة المسلمين وإمامهم والتحذير من مفارقتهم، عبد السلام البرجس، ص ٧ -



الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴿ (النساء: ٥٩)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (عليك بالسمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك) <sup>(١)</sup>.

إن على المؤسسات الدعوية مسؤوليته عظيمة وأمانة جسيمة في توجيه الشباب، وإبراز دور ولاية الأمر والتذكير بحقوقهم، لأنهم إذا علموا بهذه المهمات من أمور الدين فإننا بذلك نضمن صلاحهم في دنياهم وآخرتهم - بإذنه تعالى-.

(١) رواه مسلم، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ج ١٢، ص ١٧٧، رقم الحديث (٤٧١٠).

## المطلب الثالث

### احترام العلماء وتقديرهم والالتفاف حولهم

فمن منهج أهل السنة احترام العلماء، وتوقيرهم، وإكرامهم، وذكر محاسنهم، والثناء عليهم؛ فهم ورثة الأنبياء، وهم مصاييح الدجى، وأنوار الهدى..

يقول الله - عز وجل - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ (النساء: ٥٩).

قال ابن كثير: "والظاهر - والله أعلم - أنها عامة في كل أولي الأمر من الأمراء والعلماء"<sup>(١)</sup>.

قال الإمام الطحاوي - رحمه الله - : "وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر: لا يذكرون إلا بالجميل. ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل"<sup>(٢)</sup>.

يقول ابن القيم (معرفة فضل أئمة الإسلام ومقاديرهم وحقوقهم ومراتبهم وأن فضلهم وعلمهم ونصحهم لله ورسوله لا يوجب قبول كل ما قالوه وما وقع في فتاويهم من المسائل التي خفي عليهم فيها ما جاء به الرسول فقالوا بمبلغ علمهم والحق في خلافها لا يوجب اطراح أقوالهم جملة وتقصهم والوقية فيهم فهذان طرفان جائران عن القصد وقصد السبيل بينهما فلا نؤثم ولا نعصم ولا نسلك بهم مسلك الرافضة في علي ولا مسلكهم في الشيخين، بل نسلك مسلكهم أنفسهم فيمن قبلهم من الصحابة فإنهم لا يؤثمونهم ولا يعصمونهم

(١) تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٥٣٠.

(٢) العقيدة الطحاوية، ج ٢، ص ٧٢٠.

ولا يقبلون كل أقوالهم ولا يهدرونها فكيف ينكرون علينا في الأئمة الأربعة مسلوكا يسلكونه هم في الخلفاء الأربعة وسائر الصحابة ولا منافاة بين هذين الأمرين لمن شرح الله صدره للإسلام، وإنما يتنافيان عند أحد رجلين جاهل بمقدار الأئمة وفضلهم أو جاهل بحقيقة الشريعة التي بعث الله بها رسوله ومن له علم بالشرع والواقع يعلم قطعاً أن الرجل الجليل الذي له في الإسلام قدم صالح وآثار حسنة وهو من الإسلام وأهله بمكان قد تكون منه الهفوة والزلة هو فيها معذور بل ومأجور لاجتهاده، فلا يجوز أن يتبع فيها ولا يجوز أن تهدر مكانته وإمامته ومنزلته من قلوب المسلمين<sup>(١)</sup>.

فيجب على المؤسسات الدعوية التأكيد على أن الإسلام قد حدث على احترام العلماء ودورهم، وأن على الشباب أن يحملوا ما يجري بين العلماء من الاختلاف على حسن النية، وعلى الاجتهاد، وأن يعذروهم فيما أخطؤوا فيه، ولا مانع أن يتكلموا معهم فيما يعتقدون أنه خطأ، ليبيّنوا لهم هل الخطأ منهم أو من الذين قالوا إنهم أخطؤوا؟ لأن الإنسان أحياناً يتصور أن قول العالم خطأ، ثم بعد المناقشة يتبين له صوابه. والإنسان بشر.

## المطلب الرابع غرس مفهوم المواطنة الصالحة لدى الشباب

تأتي أهمية تربية المواطنة من حيث أنها عملية متواصلة لتعميق الحس والشعور بالواجب تجاه المجتمع، وتنمية الشعور بالانتماء للوطن والاعتزاز به، وغرس حب النظام والاتجاهات الوطنية، والأخوة والتفاهم والتعاون بين المواطنين، واحترام النظم والتعليمات، وتعريف الناشئة بمؤسسات بلدهم، ومنظماته الحضارية، وأنها لم تأت مصادفة بل ثمرة عمل دؤوب وكفاح مرير، ولذا من واجبهم احترامها ومراعاتها.

يسهم الداعية في ترسيخ مفهوم المواطنة لدى الشباب، ويعزز لديهم الإحساس بالانتماء لدينهم ووطنهم، بالتعرّف على مفهوم المواطنة والعمل على تحقيقها في حياتهم، ومحبة الوطن والإخلاص له تكون بتربية الشباب التربوية الصحيحة، وغرس مفاهيم المواطنة الصحيحة لديه.

وينبغي على الداعية أن يوضح أن الانتماء إلى الوطن والأرض أمر عُرف في الإسلام، بل إنه دعا إليه، شريطة أن تكون تلك المحبة، وذلك الانتماء في ضوء العقيدة الإسلامية، لا يحاد عنها، ولا تنتهك بدعوى العصبية الممقوتة<sup>(١)</sup>. إن عدم الشعور بالمواطنة من أي فرد من أفراد هذا الوطن يعتبر جريمة في حقه، قد شكل بها تعميم الفوضى بين أبنائه، ومن ثم ضياع لجميع المكتسبات.

مؤتمر ظاهرة التكفير .. الأسباب .. الآثار .. العلاج

(١) انظر: الوطن في ضمير الشرفاء، بدر علي العبد القادر، ص ٢١.

كما أن المسؤولية تقع علينا جميعاً في غرس مفهوم الانتماء الوطني لدى الأبناء منذ الطفولة، لأن حب الوطن واجب ديني، وهذه القضية مسؤولية جماعية لكل أفراد المجتمع.

نحن بحاجة لإعادة غرس مفهوم الوطن والوطنية والمواطنة في الضمائر والنفوس من خلال أهمية دور المؤسسات الدعوية واستشعارها لأهمية هذا الدور، بحيث يمكن إزالة أية تشوهات اعترت مفهوم الوطن من قبل البعض في هذا الجيل، وهي مسؤولية كل الشرفاء والمخلصين من العلماء والدعاة.

## المبحث الرابع استخدام الأساليب الدعوية في علاج ظاهرة التكفير

### المطلب الأول أسلوب النصيحة

ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال (الدين النصيحة) " ثلاثاً " قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: " لله ولكتابه ولرسوله ، وأئمة المسلمين وعامتهم" (١) ، وقد أخبر ﷺ خبراً متضمناً للحث على النصيحة والترغيب فيها أن الدين كله منحصر في النصيحة ، يعني: ومن قام بالنصيحة فقد قام بالدين وفسره تفسيراً يزيل الإشكال ويعم جميع الأحوال ، وأن موضوع النصيحة خمسة أمور باستكمالها يكمل العبد.

- ومن أعظم النصيحة لله الذب عن الدين وتفنيد شبه المبطلين ، وشرح محاسن الدين الظاهرة و الباطنة ، أما النصيحة لكتاب الله فهي الإقبال بالكلية على تلاوته وتدبره وتعلم معانيه وتعليمها والتخلق بأخلاقه والعمل بأحكامه واجتنب نواهيه والدعوة إلى ذلك.
- أما النصيحة للرسول ﷺ فهو الإيمان الكامل به ، وتعظيمه وتوقيره وتقديم محبته ، والحرص على تعلم سنته وتعليمها استخراج معانيها وفوائدها الجليلة.

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان ، باب بيان أن الدين النصيحة، ج٢، ص٣٢ رقم الحديث (١٥٩).



■ أما النصيحة لأئمة المسلمين وهم ولاتهم. فهؤلاء لما كانت مهماتهم وواجباتهم أعظم من غيرها وجب لهم من النصيحة بحسب مراتبهم ومقاماتهم، وذلك باعتقاد إمامتهم والاعتراف بولايتهم ووجوب طاعتهم بالمعروف وعدم الخروج عليهم، وحث الرعية طاعتهم ولزوم أمرهم الذي لا يخالف أمر الله ورسوله - وأما النصيحة لعامة المسلمين فقد أوضحها الرسول ﷺ بقوله (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)<sup>(١)</sup> وذلك بمحبة الخير لهم والسعي في إيصاله إليهم بحسب الإمكان وتعليم جاهلهم ووعظ غافلهم ونصحهم في أمور دينهم ودنياهم<sup>(٢)</sup>.

وبعد بيان واجب النصيحة، ولمن؟ وكيف تكون؟ فلا يصح أن يسلك أحد من شباب هذه الأمة مسلكاً، يكون له أثر قريب أو بعيد في تفريق الكلمة، أو إضعاف كيان الدولة أو الأمة، أو يتخذ وسيلة من الوسائل التي لا تتلاءم مع الطريق الصحيح للدعوة، والأسلوب الأنفع فيها، في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وطاعة ولي الأمر، والافتداء بالعلماء الثقات المعبرين، واحترامهم، والتلمذ عليهم، والنصح لله ولأئمة المسلمين وعامتهم، نصحاً يجلب المصالح ويرعاها، ويدراً المفاصد ويتجنبها.

وفي العصر الذي نعيش فيه، تبدو حاجة المجتمع ماسة إلى جهد الدعوة في الدعوة إلى الله، وبيان حقيقة النصيحة حفاظاً على الدين، وعلى أحكام الشريعة والأخلاق الإسلامية التي يتعامل الناس بها في المجتمع، واستخدام الرفق واللين والتوجيه والتربية وحسن البيان لمن اشتبه عليه الأمر أو ادلهمت

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل أن من خصال الإيمان...ج٢، ص١٥ رقم الحديث (١٣٣).

(٢) الرياض الناضرة والحدائق النبوية الزاهرة. العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ص٣٩.

عليه الشبهات.. ولا يتأتى هذا إلا على يد ذوي العلم والغيرة الراسخين.  
فأهل العلم والدعاة هم المكلفون بذلك ببيان الحق للناس وهدايتهم إليه،  
وتلك مسئولية كبرى، فإن الله جل وعلا حملهم مسئولية عظيمة من هداية  
البشرية، ونشر العلم، وبذل النصح، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر،  
وإبلاغ الحق، وتعليم الجاهل، وتبنيه الغافل، فمتى ما أهمل العلماء هذه  
المسئولية العظيمة فإن البلدان تخرب، والقلوب تظلم، والنفوس تتيه،  
والأفكار تزيغ<sup>(١)</sup>.

(١) عوامل التطرف والغلو والإرهاب وعلاجها في ضوء القرآن والسنة، خالد عبد الرحمن العك، ص ٥١-٥٣.

## المطلب الثاني أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة

والحكمة يراد بها: مخاطبة العقول بالأدلة العلمية المقنعة، وبالبراهين العقلية الساطعة، التي ترد على الشبهات بالحجج والبيانات، وترد المتشابهات إلى المحكمات، والظنيات إلى القطعيات، والجزئيات إلى الكلّيات، والفروع إلى الأصول.

كما أن من الحكمة: مخاطبة الناس بما يفهمون، وما تسيغه عقولهم، لا بما يعجزون عن فهمه، وقد قال علي رضي الله عنه: حدثوا الناس بما يعرفون، ودعوا ما ينكرون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟ وإذا كانت الدعوة بالحكمة تخاطب العقول فتقنعها، فإن الدعوة بالموعظة الحسنة تخاطب القلوب والعواطف فتثيرها وتحركها. والإنسان ليس عقلا مجردا، إنه عقل وقلب معا، إنه عقل يدرك ويفكر، وقلب يحس ويشعر، وعلينا أن نخاطب الجانبين فيه معا: الجانب الذي يعي ويدرك ويحصل المعرفة، والجانب الذي يفعل ويريد، ويحب ويكره، ويرغب ويرهب. ولم يصف القرآن الحكمة بشيء، إلا أن من أوتي الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا، ولكنه وصف الموعظة المطلوبة بالحسن (والموعظة الحسنة). فليس المطلوب أي موعظة ولكن الموعظة الحسنة الجميلة الجيدة.

## المطلب الثالث الأساليب الحوارية

وذلك عن طريق فتح قنوات الحوار والتداول والتواصل مع الشباب، ومنحهم الفرص ليعبروا عن أنفسهم وإقامة المنتقيات الحوارية معهم، والاستماع إلى ما يدور في أذهانهم وإتاحة الفرصة لهم ليعبروا عن أنفسهم وأفكارهم؛ لعرض ما لديهم من أفكار، وشبهات للرد عليها بأسلوب علمي، وتقدير آرائهم وتبادل وجهات النظر دون فرض آراء وأفكار المربين بالقوة حول بعض الموضوعات والقضايا التي تهمهم والمجتمع.

أسلوب الحوار ناجح في التعليم والتوجيه ونشر الدعوة الإسلامية، وطريقة شيقة تجذب الناس إلى الاستماع والتعلم والاستيعاب، ومن ثم التأثير والالتزام بمادة الحوار التي تعتمد على إيقاظ التفكير، ويمكن أن يقال: بمقدار ما يكون الداعية متمكناً من فن الحوار، محيطاً بآدابه وأساليبه، يكون أقدر على النجاح في دعوته، ولذلك لا بد من دراسة أسلوب الحوار والعناية به وتأصيله، ومن ثم الرجوع إليه بين الحين والآخر، ليحاكم الداعية طريقته في النقاش وأسلوبه في عرض الدعوة فيحسن أداءه ويصلح أخطائه، ليتحقق له بذلك الهدف والغاية من كلامه وحواره<sup>(١)</sup>، ولما كان أسلوب الحوار مهماً في مجال الدعوة، من أجل إظهار الحق وإبطال الباطل ودحض الشبه والمنكرات، فقد كان منهج السلف الصالح رحمهم الله إتاحة الفرصة الكاملة للحوار الحر الرشيد داخل المجتمع الواحد، لتقويم الأعوجاج الفكري بالحجة

(١) انظر: أسس الدعوة ووسائل نشرها: محمد عبد القادر أبو فارس ص ١٢٩، الحوار وآدابه وضوابطه، يحيى زمزمي، ص ٣٢ - ٤٤، الدعوة الإسلامية (الوسائل والأساليب)، محمد خير يوسف، ص ١١٦.

والإقناع، من تطبيقات هذه القاعدة في السنة النبوية قول أحد الشباب لرسول الله في أن يأذن له بالزنا، فهو يعرف تحريمه وبشاعته، ومع ذلك يطلبه، فمجال الحوار كان مفتوحاً معه دون خوف، فتمت معالجة هذا الانحراف في مهده، ومن تطبيقاتها في عهد الخلفاء الراشدين بعث علي بن أبي طالب عليه السلام عبد الله بن عباس رضي الله عنه لمناقشة الخوارج في حروراء ومحاورتهم بعد خروجهم، وكان من نتيجة هذا الحوار رجوعوا الثلثين عن بدعتهم<sup>(١)</sup>.

فالمؤسسات الدعوية تتحمل مسؤولية كبيرة في تحصين ووقاية الشباب من أي انحراف فكري باتجاه الغلو والتكفير وذلك بفتح باب الحوار مع الشباب، بالاهتمام بالأنشطة التوعوية والدعوية بين أوساط الشباب على وجه الخصوص باعتبارها الفئة الأكثر عرضه للتأثر بدعاوى وشعارات الإهارب، وقد كشفت دراسة أجرتها وزارة الشؤون الإسلامية أن المحاضرات التوعوية، ولقاء العلماء والدعاة تفوق على بقية الوسائل الأخرى في التوعية بمخاطر التكفير والإرهاب، والرد على جميع الشبهه والدعاوى التي يتشدق بها المتطرفون، وقد أشار أكثر من ٧٠٪ من أفراد العينة الذين شملتهم الدراسة إلى أن المحاضرات واللقاءات التي تحضرها أعداد كبيرة من الشباب تتيح فرصة طيبة للمناقشة والحوار لتصحيح المفاهيم الخاطئة التي قد تعلق في أذهان البعض نتيجة لقصور في فهم المعاني القرآن الكريم والسنة النبوية.

## المطلب الرابع الأساليب الإقناعية

إن من فضل الله تعالى في هذا الدين الذي ارتضاه الله لعباده أنه جعل مسألة الإقناع والتأثير به على المدعويين إليه مسألة لا تناقض الفطر السوية، ولا تخالف العقول الصحيحة بل تزيكها وتوجهها بأسهل منطوق وأقوم حجة وأوضح دلالة، مع العدل والمصادقية وبناء ذلك كله على رغبة الخير والنصح للناس.

القدرة على الإقناع والتأثير مهارة مرغوبة، وصفة محبوبة يتفاضل الناس في القدر الذي وهبهم الخالق - عز وجل - منها، كما يتفاضلون في حسن استخدام هذه القدرة وتوجيهها فيما فيه مرضاة الله تعالى أو في غيره، وطرق الإقناع والدعوة إلى الحق بقوله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل: ١٢٥).

**ولذلك يجب على الداعي اتباع الطرق التالية:**

- ١- أن يأتي بالأدلة القاطعة، والبراهين الساطعة، التي تخاطب العقل، وتوضح الحق، ولا تدع مجالاً للريبة أو الشك. يلائم هذا الأسلوب إقناع الفئة العاقلة الذكية من الناس. يدل على هذا الأسلوب قوله تعالى: (بالحكمة).
- ٢- أن يقدم النصيحة الصادقة بقول بليغ يحرك النفوس، ويرقق الشعور. يلائم هذا الأسلوب البسطاء من عامة الناس. يدل على هذا الأسلوب قوله تعالى: (والموعظة الحسنة).
- ٣- أن يدعو باللين والنقاش الهادئ، وأن يتجنب الخشونة والغلظة في القول. يلائم هذا الأسلوب نقاش المعاندين والمعارضين. يدل على ذلك قوله تعالى:

(وجادلهم بالتي هي أحسن).

٤- ويجب على الداعية أن يرتب نفسه ويعدها بحسب مقدار الحاجة ونوع الإقناع وموضوعه وظروفه والموجه إليه، ويتحقق من قدراته في ذلك ومناسبة الموضوع ومداخل الإقناع التي سيستخدمها في علاج ظاهرة التكفير، وأن يكون الداعية متدرجاً فيما يريد الإقناع به بحسب أهميته أثره في إحداث التغيير، كما يكون إيجابياً تجاه المدعو في التأثير والاقناع والتغيير ومستوى النجاح الذي تحقق الإقناع به، وذلك يتضح من خلال الجوانب الآتية:

- البدء بالأمور المشتركة المتفق عليها، وبخاصة ما يمثل أهمية لدى المدعو؛ فهذا تدرج للإقناع والتأثير ينتج كسراً للحواجز المتوقعة عند المدعو تجاه الداعية أو موضوعه، كما ينتج كسباً لعقله وعاطفته.
- بيان أن الحق يمكن أن يكون في كلام أحد الطرفين، كما أن الباطل يمكن أن يكون عند أحدهما كذلك، وهذه درجة عالية في الإنصاف والعدل والتدرج مع المخالف، وهي مظهر إيجابي في تناول للقضية المختلف فيها وبخاصة في الإقناع والتأثير الذي يكون في إطار حوار أو مناظرة.

ولذلك يجب أن تبذل الجهود من قبل المؤسسات الدعوية في استجلاء المنهج الإسلامي في معرفة طرق الإقناع والتأثير مع الاستفادة من التراث الإنساني الصحيح في هذا المجال ليرتفع شأن الدعوة والداعي في الوصول إلى المدعو بالهدى الذي جاء به كتاب الله وسنة رسوله محمد عليه الصلاة والسلام، فكثيراً ما تضيع الفرص ويحصل سوء التفاهم، وتتعكر العلاقات ويفوت الوقت، وربما يصل الحال إلى أكثر من ذلك بكثير وذلك بسبب عدم الاقتناع، أو بسبب سوء الحوار، أو بسبب عدم معرفة أساليب الإقناع وقواعده وفنونه.

## المبحث الخامس إعداد شخصية الشاب المسلم

### المطلب الأول تكوين عقلية الشباب عن طريق التربية والتوجيه

وذلك عن طريق اتباع الطرق العلاجية التالية:

١. تبصير الناشئة وتوويرهم بالأخطار المحدقة بهم من واجتياح فكري وثقافي لثوابتهم الأصيلة ومرجعيتهم النقية، والعمل على مساعدتهم على تنمية قدراتهم على اكتساب الحصانة الذاتية، وغرس المفاهيم الصحيحة في عقول الناشئة بما تشتمل عليه من حصانة فكرية، ووعي أمني والحفاظ على المكونات والموروثات الثقافية الأصيلة في مواجهة التيارات الثقافية الوافدة والمشبوهة، والإسهام في تهذيب السلوك القيم.
٢. توجيه الشباب بخاصة إلى ترك الخوض في المهمات من النوازل والقضايا والحوادث المستجدة في هذا العصر بدون فقه وعلم مكين وذلك كالجهاد، والتكفير، والولاء والبراء، والتعامل مع غير المسلمين، وإنكار المنكر ومعرفة درجاته وضوابطه، وأن يعتمد إلى سؤال أهل الذكر والعلم الموثوقين في ذلك في حالة عدم التأهل للعلم والفقه في ذلك، وأن يرد الأمر في مثل هذه القضايا إلى أهله.
٣. توجيه الشباب إلى الابتعاد عن صحبة الغالين، والمتطرفين أو ممن ظهرت عليهم أمارات الغلو والتطرف، فللصحبة أثر كبير في حياة الفرد، والقرين يتأثر بقرينه، والخلل يؤثر فيه خليله ويتأثر به، ذلك أن الشاب



سريع التأثير بغيره ، وغالباً ما تؤثر فيه العواطف والانفعالات ، والدعايات والعبارات الجذابة ، والعواطف الحماسية غير المرشدة ، ويحب الفتوة ، وربما العنف والقوة والبطولة ، والمخاطرة والمخالفة ، فعلى المسلم لا سيما الشاب أن يختار من يخالل ، وأن يُوجّهه إلى ذلك من قبل وليه أو مربيه.، فالقدوة الصالحة لها أثر في التوجيه والتربية والتأثر والتأثير. ولذلك لا بد من إرشاد الشاب المسلم إلى مصاحبة المعتدلين سلوكاً وأخلاقاً ومنهجاً وفكراً، وليأخذ عن العلماء الموثوقين المخلصين الواقفين عند حدود الله، الذين عُرفوا بذلك حتى يبتعد عن الانحراف والغلو والتكفير والتشدد المذموم.

٤. استخدام البرامج الدعوية والإعلامية، وذلك عن طريق:

- تنفيذ المسابقات العلمية والثقافية المختلفة، وإشراك الشباب في كافة أنواع النشاط الثقافي من ندوات ولقاءات ومحاضرات وإلقاء.
- الأنشطة " اللاصفية " عن طريق البحوث والمسابقات، والتي ينبغي أن تلقى الرعاية، والتخطيط، والدعم غير المحدود بالإضافة إلى الخطاب الإعلامي الصادق، والذي يعني بالتحذير من التكفير.
- عقد دورات تدريبية تهدف إلى تدريب الشباب على المهارات التي تعزز روح الولاء، والانتماء، والشعور بأهمية المجتمع الذي يعيش فيه والحرص على تحقيق تماسك المجتمع وترابطه.
- ربط ما يقدم سواء في الأنشطة والبرامج بواقع الشباب الذي يعيشونه.

## المطلب الثاني

### تبصير الناشئة وتوعيتهم بأخطار التكفير والغلو في الدين

وذلك بتوجيه تفكيره، وتصوراته وفق مقاصد الشريعة وأحكام الدين ونظراً لأن الدعوة رسالة يقدمها الداعية للمدعوين فيكون المقصود من الدور الدعوي ما تقوم به مؤسسات الدعوة من أنشطة وأعمال للتأثير على الشباب، فينبغي أن ينصب التوجه في الدعوة على التحذير من خطورة التكفير، فالمسلمون الأوائل تشكلوا من خلال كتاب الله - عز وجل - وسنة نبيه ﷺ، فكان القرآن ولا يزال، خطاب عقيدة وعلم ووعي وفكر وثقافة، لأنه يخاطب الإنسان من حيث هو إنسان بكل صفاته ومكوناته.

فواجب على الدعاة بناء الفرد المسلم على أسس عقديّة إيمانية تعيد صياغة النفوس، وتفتح آفاق العقول، وتبث فيه روح الدين الحقيقي، وتوصل العزة الإيمانية، وتمحور حياته حول هدف واحد، هو تحقيق العبودية لله بأبعاها كلها، وإعمار الأرض بشريعة الله. وتحقيق هذا مرتين بإتباع طريق الله المستقيم: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (الأنعام: ١٥٣).

وأخيراً الأمر يحتاج إلى تكاتف الجهود من المؤسسات الدعوية لتكوين الشباب المسلم وجعل التحصيل التربوي سلوكي، والعلم والعمل بالإسلام أساس، فلا تكون مهمة الدعاة محصورة فقط في تقديم المعلومات، وشرح الحقائق دون التثبت من الاعتقاد بها والاجتهاد في العمل والسلوك وفق ما تهدي إليه.

## المطلب الثالث

### تحسين أفكار وعقول الشباب من أي انحراف فكري مضلل موجه من وسائل الإعلام المعاصرة

العالم اليوم يمر بالكثير من التغيرات والتبدلات والتحويلات التي فرضتها الإنجازات العلمية الباهرة في شتى حقول العلم و المعرفة، كما أن لتكنولوجيا الإعلام والاتصال دوراً مؤثراً " في صياغة الحياة المعاصرة، حيث تقلصت المسافات، وتداخلت الأفكار والثقافات، وأصبح العالم قرية كونية صغيرة، وبمقدار ما لتلك التحويلات و التغيرات من آثار ايجابية في مسيرة البشرية، فإن لها أيضا سلبيات ومساوئ، وقد انعكس ذلك على كل شيء في حياتنا المعاصرة.

ومن أكثر الشرائح العمرية تأثراً بما يجري في عالمنا المعاصر شريحة الشباب، حيث يتأثر بما يكتب في الإنترنت، وبعض وسائل الإعلام من كتابات تدعو إلى التشدد والغلو والتطرف ووصف العلماء والحكام ومن يتعاون معهم بالمداهنة والتخاذل والمجاملة، وذلك بقصد إضعاف الثقة بهم، وعزل المجتمع عن الاتصال بهم، بل والخروج عليهم بدعاوى باطلة، وشبهات ساقطة، ونصوص ظنية محتملة أو متأولة أو عامة.. الخ.

**ويمكن تحسين أفكار وعقول الشباب من أي انحراف فكري خلال مجموعة من**

**الأمر منها:**

١- التحذير من خطورة وسائل الإعلام ومآثره من فكر منحرف من خلال:

▪ خطب الجمع.

▪ الندوات الدينية الموجهة لشريحة الشباب

- المحاضرات.
  - البرامج والحوارات المتلفزة.
- ٢- إعداد المواد الإعلامية التي تكفل غرس القيم الدينية والوطنية وتحذر من التكفير والإرهاب وتركز على الثوابت الأخلاقية والاجتماعية و العادات والقيم الأصيلة.
- ٣- عمل برامج أمنية يشرف عليها متخصصون من الدعاة تكون موجهة للتوعية الأمنية في المجتمع وخاصة فئة الشباب.

## وختاماً

فإن التكفير يعتبر من أعظم الأهواء والبلايا الواقعة بين بعض أبناء الأمة، ولقد جرّ عليها من الويلات والفتن العمياء والحروب الطاحنة الشيء الكثير، وأوقعها في كل مذموم من الشقاق والاعتداء على الأرواح والممتلكات، و ظاهرة التكفير ليست قضية خطيرة فحسب، بل مركبة ومعقدة للغاية، مما يجعلنا مطالبين ببذل جهود بحثية تشخيصية متواصلة لتلك الظاهرة، فلا بد من تكريس جهود المؤسسات الدعوية التي تنشر العلم الشرعي الصحيح بين الناس بما جاء في كتاب الله - عز وجل - وسنة رسوله ﷺ، ففي معرفتها المعرفة الحقيقية لن نجد خارجاً عن جماعة المسلمين وأئمتهم.

فالمعالجة الأمنية لظاهرة التكفير لن تفلح في استئصال شأفتها ما لم تكن مصحوبة بنشاط فكري وتعليمي من قبل المؤسسات الدعوية، النشاط الذي يؤدي إلى إشاعة قيم التسامح والحوار، والقبول بالآخر في المجتمع، وتعزيزها وترسيخها، وتصحيح المفاهيم الخاطئة عن الدين الإسلامي الحنيف.

### ومن أبرز التوصيات:

- ضرورة طرح برامج وخطط علمية مدروسة من قبل المؤسسات الدعوية لعلاج ظاهرة التكفير بالحوار والمناقشة والحجة والتربية.
- التأكيد على أهمية التعاون بين الدعاة والعلماء لحل هذه الظاهرة، وذلك باستقطاب الشباب المندفع واستقبالهم ومحاورتهم.
- تنظيم محاضرات وندوات علمية ذات الصلة بالتوعية بخطر التكفير على الإسلام والمسلمين.

■ ضرورة تضمين المقررات الدراسية في المراحل الدراسية المختلفة مواضيع تركز على وسطية الإسلام وسماحته وحضارته وسمو شرائعه وتعاليمه وتعرف النشأ بمخاطر التكفير والتطرف، وخطرها على الفرد والمجتمع.

هذا والله نسأل أن يجعل أعمالنا خالصة في رضاه وأن ينفع بها وأن يصلح شأن أمتنا في الأمور كلها وينصرها على أعدائها داخلاً وخارجاً إنه ولي ذلك، والقادر عليه وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

## المصادر والمراجع

- آداب الحسن البصري وزهده ومواعظه، ابن الجوزي، تحقيق: سليمان الحرش، ط٣، سوريا، دار النوادر، ٢٠٠٧م.
- أسس الدعوة ووسائل نشرها: محمد عبد القادر أبو فارس، ط١، الأردن - عمان، دار الفرقان، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م
- إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم الجوزية، علق عليه: طه عبدالرؤوف سعد (بيروت، دار الجيل للطباعة والنشر، د.ط.ت).
- الأمر بلزوم جماعة المسلمين وإمامهم والتحذير من مفارقتهم، د. عبد السلام بن برجس، ط٢، ١٤١٩هـ.
- الأمن وأهميته في المجتمع وخطورة الإخلال به، للشيخ د. صالح الفوزان، مطوية من منشورات المكتب التعاوني لمحافظة بقيق
- الإجابات المهمة في المشاكل الملمة، د. صالح الفوزان، جمع وإعداد: محمد الحصين، ط٢، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- البرهان المنير في دحض شبهات أهل التكفير والتفجير، عبد العزيز الريس، ط١، أبو ظبي، دار الإمام مالك - ١٤٢٧هـ
- التفجيرات والاعتقالات - الأسباب والآثار والعلاج - أبو الحسن السليمانى، ط١، الرياض، وزارة الشؤون الإسلامية، ١٤٢٥هـ.
- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق: سامي السلافة، ط١، الرياض، دار طيبة، ١٤٢٢هـ.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبدالرحمن بن سعدي، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء، ١٤١٠هـ
- الجامع لأحكام القرآن، للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ط١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).
- حقيقة منهج المملكة العربية السعودية، د. محمد بن عمر بازمول، ط١، القاهرة، دار الاستقامة، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، يحيى بن محمد حسن

- زمزمي، ط ١، مكة المكرمة، دار التربية والتراث، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- حقوق الراعي والرعية، للشيخ محمد بن عثيمين، الرياض.
  - الدعوة الإسلامية (الوسائل والأساليب)، محمد خير يوسف، ط ٢، الرياض، دار طويق للنشر والتوزيع، ١٤١٢هـ.
  - الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة. العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي. مكتبة المعارف. الرياض.
  - شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للإمام أبي القاسم هبة الله بن الحسن الطبري اللالكائي، تحقيق: د. أحمد حمدان، الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع.
  - ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة، عبد الله القرني، ط ١، بيروت، مؤسسة الرسالة.
  - عقيدة أهل الإسلام فيما يجب للإمام، د. عبد السلام بن برجس، ط ١، الرياض، ١٤٢٤هـ.
  - العقيدة الطحاوية، شرح ابن أبي العز الحنفي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، بيروت دار الفكر الإسلامي.
  - عوامل التطرف والغلو والإرهاب وعلاجها في ضوء القرآن والسنة، خالد عبد الرحمن العك، سوريا - حلب، مطابع دار الكتبي.
  - مجلة البحوث الإسلامية، ع ٥٦، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء.
  - المغني، لابن قدامة، ط ١، دار الفكر، ١٤٠٥هـ.
  - مقدمات في الأهواء والافتراق والبدع للدكتور ناصر العقل، دار الوطن ط ٢ ١٤١٧هـ.
  - منهاج السنة النبوية، لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٠٦هـ.
  - وسطية أهل السنة بين الفرق، محمد باكريم، ط ١، الرياض، دار الراية، ١٤١٥هـ.
  - الوسطية في ضوء القرآن الكريم، للشيخ: ناصر العمر.
  - الوطن في ضمير الشرفاء، بدر علي العبد القادر، ط ٣، الرياض، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.





ظاهرة التكفير .. الأسباب والعلاج والآثار



## الشبه التكفيرية ومهارات التعامل معها (حقيبة تدريبية)

د. عبدالله بن ناصر آل سليمان أ. صالح بن بخيت الدولية  
(مشرف التربية الإسلامية) (مشرف التدريب التربوي)

أ. فهد بن صقر الهلال أ. سلمان بن حسين الجدوع  
(مشرف قضايا المعلمين) (مشرف الصفوف الأولية بمكتب التربية بالدم)

أ. أحمد بن صبار العنزي  
معلم التربية الإسلامية



مؤتمر ظاهرة التكفير .. الأسباب .. الآثار .. العلاج

## مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين.. أما بعد:

فقد أصبح التدريب والتنمية البشرية هاجساً يقلق الأفراد والمسؤولين ، بل الدول والحكومات ، ذلك لما للتدريب من أهمية كبرى على الأفراد والمؤسسات فالتدريب علاوة على أنه يكسب الأفراد الخبرات والمعارف المهنية والوظيفية فإنه يؤدي إلى رفع كفاءة الأفراد والجماعات ، ويحسن الأداء ويؤدي إلى زيادة نواتج العمل كماً ونوعاً. وخفض التكلفة في كثير من الأحوال. ويحد من الأخطاء التي تؤدي إلى إهدار الطاقات والأموال والفضل في خطط التنمية وتحقيق الأهداف.

وإذا كان الفرد أعلي ما نملك ، فان فكر الفرد ومعتقداته هي المسيرة له ، والباعثة على سلوكه ، ونحمد الله أن جعلنا مسلمين ، وجعلنا أمة وسطا ، جعل الرحمة والخيرية والعدل من أهم سمات مجتمعا ، ولكن لا تلبث أن تظهر بين الفينة والفينة أفكار غريبة لدى بعض المنحرفين من شباب المسلمين تثير الشبه في الدين ، التشدد والانفلات العقدي ، وتكفير الآخرين دونما سبب ، فتقلب الرحمة إلى عداوة، وينقلب الأمن والرخاء إلى القتل وإزهاق الأنفس وضياع الأموال والأعراض ، وتضيع قيم الإسلام السمحة بين جنبات هذا الفكر المنحرف.

وإذا كان هذا التفكير الضال المنحرف لا يعرف مكاناً ولا زماناً ، فقد كان على علماء الأمة وعقلائها وكافة أفرادها أن يتصدوا لهذه الظاهرة (ظاهرة التكفير) بمقارعة الحجّة بالحجة ، وأن يكونوا سندا لأولياء الأمور لاجتثاث شرورها ودرء أخطارها.

أقول هذا وبين يدي الحقيبة التدريبية الشبه التكفيرية ومهارات التعامل معها التي أعدها فريق من المتخصصين من منسوبي إدارة التربية والتعليم بمحافظة الخرج، وتهدف إلى تدريب أبناء هذا الوطن من معلمين ومربين وطلاب وموظفين على مجابهة الأفكار التكفيرية للوقاية من شرورها واجتتاب أذاها لتعيش بلادنا في سماحة ورغد عيش وأمن وسلام.

## المواصفات العامة للبرنامج التدريبي (الشبه التكفيرية ومهارات التعامل معها)

المستهدفون	العاملون في مجال التربية والتعليم
عدد الساعات المقترحة لتنفيذ برنامج الحقيبة	١٥ ساعة تدريبية ((٩٠)) دقيقة: تتوزع وفق الآتي: ٣٧٥ دقيقة: جلسات عصف ذهني وتدرجات تعاونية. ٣٧٥ دقيقة: عرض معلومات و حلقات نقاش. ٧٠ دقيقة: تهيئة وتعارف وتقييم المدرب والمتدرب وقياس اتجاهات. ٨٠ دقيقة: استراحة ما بين الجلسات التدريبية.
عدد أيام البرنامج المقترحة	٤ أيام
مكان تنفيذ البرنامج التدريبي	أي مكان يتوفر فيه الآتي: (الجانب النظري) قاعة مقسمة على شكل مجموعات. (الجانب التطبيقي) مكتبة تحوي قسماً خاصاً بالكتب الشرعية، ويمكن الاستغناء عن ذلك إذا توافرت لدى كل مجموعة الكتب الشرعية المناسبة للتدريب.
طرائق التدريب المناسبة لتنفيذ البرنامج	المحاضرة. حلقات النقاش. جلسات العصف الذهني. التدريب التعاوني.
الوسائط التدريبية والمتطلبات اللازمة لتنفيذ البرنامج	محتوى علمي جاهز للتدريب على الشبه التكفيرية ومهارات التعامل معها جهاز حاسب آلي، ويحتوي عرضاً للمادة التدريبية باستخدام برنامج PowerPoint جهاز عرض إلكتروني " Projector "؛ لعرض المحتوى الإلكتروني للمادة التدريبية جهاز العرض فوق الرأس؛ لعرض الشفافيات الخاصة بأنشطة المجموعات شفافيات وأقلام خاصة بها أوراق وأقلام كتب شرعية (تفاسير، صحاح، وسنن، مسانيد)
مصمم البرنامج (الحقيبة التدريبية)	د. عبدالله بن ناصر آل سليمان      أ. صالح بن بخيت الدويلة أ. فهد بن صقر الهلال              أ. سلمان بن حسين الجدوع أ. أحمد بن صبار العنزي
منفذ البرنامج	

مؤتمر ظاهرة التكفير .. الأسباب .. الآثار .. العلاج

## الهدف العام للبرنامج التدريبي:

- أن يمارس المتدرب مهارات تعزيز الأمن الفكري.

## الأهداف التفصيلية للبرنامج التدريبي:

بعد الانتهاء من التدريب بهذه الحقيبة التدريبية يتوقع أن يكون المتدرب قادراً على الآتي:

- ممارسة مهارات التأصيل وفق المنهج الشرعي.
- ممارسة مهارات الحوار في تعزيز الأمن الفكري.
- ممارسة مهارات التفكير التي تقي من الانحراف الفكري.
- تحديد الدور الذي يؤديه المعلم مع الطلاب لوقايتهم من الانحراف الفكري.

## محتويات الحقيبة التدريبية:

### المحتوى المعرفي:

- التعريف بمنهج التأصيل الشرعي.
- التعريف بدور الحوار في تعزيز الأمن الفكري.
- التعريف بدور المعلم في وقاية الطلاب من الانحراف الفكري.

### المحتوى المهاري:

- التدريب على استخدام مهارات التفكير في الكشف عن الانحرافات الفكرية.
- التدريب على استخدام مهارات التفكير في التحذير من الانحرافات الفكرية.

### المحتوى الوجداني:

- تعزيز اتجاهات المتدربين نحو تحقيق الأمن الفكري.

### منطلقات ومسلمات البرنامج التدريبي:

- ليست الحقيبة خاصة بتدريب معلمي التربية الإسلامية، بل هي معدة ليتدرب عليها جميع العاملين في الميدان التربوي بمختلف تخصصاتهم.
- ما ورد في ثنايا الحقيبة من مهارات أو قواعد أو شُبه ما هو إلا نماذج للتدريب فقط، ومن أراد الاستزادة فعليه بمراجعة قائمة المراجع.

■ التحاق المتدربين بهذا البرنامج التدريبي لا يعني أنهم منحرفون فكرياً، بل هم من صفوة العاملين في الميدان التربوي، تم اختيارهم ليعززوا الأمن الفكري من خلال نقل أثر التدريب إلى مدارسهم وطلابهم.

### المقترحات العشر لاختيار المدرب المرشح لتنفيذ البرنامج:

يفضل أن يتوفر في المدرب الذي يقوم بتنفيذ هذا البرنامج المواصفات التخصصية والمهنية العامة التالية:

- امتلاك خبرة كافية في مجال العلم الشرعي.
- امتلاك خبرة كافية في المجال التربوي.
- امتلاك خبرة كافية في التعامل مع نظام windows Microsoft (النوافذ) وخصوصاً برنامج العروض (PowerPoint).
- امتلاك خبرة كافية في مهارات تنفيذ وإدارة البرامج التدريبية.
- الإلمام بالطرائق والأساليب المعاصرة في تنفيذ البرامج التدريبية.
- التمكن من توظيف التكنولوجيا والوسائط الإلكترونية الحديثة المناسبة للبرنامج التدريبي ومن أهمها (منهجية توظيف برنامج العرض التقديمي أثناء الجلسات التدريبية).
- التمكن التام من المادة العلمية للبرنامج التدريبي.
- امتلاك خبرة في كيفية تفعيل نظم وأدوات التقويم.
- التمتع بمواصفات شخصية: كالحضور والجدبية وقوة الشخصية والثقة بالنفس.
- إتقان بعض المهارات المهنية اللازمة التي من أهمها: العرض المنظم للأفكار، والمفردات، وجذب الانتباه، وفن الاتصال الفعال اللفظي وغير اللفظي، وإدارة الوقت، والإقناع، واستثارة الدافعية، وتبديد الرتابة والجمود والملل.

## إرشادات عامة للمدرب:

أخي المدرب: لضمان جودة التدريب نوصي بمراعاة التعليمات والإرشادات التالية:

- ادرس وحلل مكونات الحقيبة بكل دقة ، وقدم تصوراً عن كيفية تقديمها وعرضها ومتطلبات ذلك العرض تبعاً لخطة التدريب وزمنها.
- تأكد من توفير مستلزمات التدريب، كالأجهزة و المواد التدريبية التي من المتوقع أن تحتاجها في التدريب.
- تعرف على المتدربين وخبراتهم السابقة، وحاول إجراء حوار سريع مع تحديد نقطة الانطلاق المناسبة وفقاً للسلوك المدخلي (ما يعرفونه من معلومات حول مفردات الموضوع الرئيس للبرنامج التدريبي).
- ضع خطة لتوزيع المتدربين في شكل مجموعات متجانسة وفق تخصصاتهم وخبراتهم السابقة - قدر الإمكان- بعد معرفة عددهم، مع ضرورة ترتيبهم رقمياً، وإعطائهم الفرصة لترميز مجموعاتهم بأسماء أو شعارات مناسبة، وتعيين المقررين عنهم أو قادة لمجموعاتهم.
- وضح للمتدربين أهداف كل جلسة تدريبية وموضوعاتها قبل البدء، وناقشها مع المتدربين، ولا تنس أن تعطي المتدربين تعليمات واضحة بشأن تنظيم العمل داخل المجموعات وخارجها.
- احرص على إشراك جميع المتدربين في المناقشات والتدريبات وفق خطة التدريب، وأكد على تنوع وتجدد من يقوم بالعرض، ومن يناقش ويحاور عن المجموعة.
- أشرف على التقويم القبلي والتقويم البعدي للمتدربين.
- استمع كثيراً، تحدث قليلاً، ابتسم كثيراً.

## إرشادات عامة للمتدرب:

أخي المتدرب... لضمان الاستفادة الكاملة من هذا البرنامج التدريبي نوصي بمراعاة التعليمات والإرشادات التالية:

- اتبع جميع الإرشادات التي تصدر من المدرب فيما يتعلق بالتدريب أو التنظيم.
- قم بقراءة أوراق العمل المضمنة للحقيبة وفق خطة التدريب.
- كن مشاركاً بفاعلية في جلسات التدريب من خلال المناقشات البناءة والتفاعل مع مجموعتك والمجموعات الأخرى عند فتح النقاش.
- قم بممارسة التدريبات المحددة للحقيبة وفق خطتها وإجراءاتها التي يحددها لك المدرب.
- نظراً لترابط نشاطات الحقيبة، فإن الاستئذان أو الاتصال مع الآخرين في غير ما يحدده المدرب ولو لدقائق قليلة، قد يحرملك من الاستفادة الكاملة من الحقيبة، فلتتنبه لذلك.
- احرص على أن تأخذ معلومات الاتصال الخاصة بالمدرب، لكونه المرجع الخاص بالحقيبة والأقدر على الإجابة عن الاستفسارات المستقبلية حول معلومات الحقيبة.
- اسأل كثيراً، استمع قليلاً، ابتسم كثيراً.

### مقدمة الحقيبة وأهمية موضوعها:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد عليه وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

تقوم إدارة التربية والتعليم بوضع برامج تعزز الحماية الفكرية لطلاب المحافظة؛ من أجل أن نتمتع جميعاً بالأمن الفكري، وليكونوا صالحين لقيادة هذا المجتمع نحو التقدم والنجاح في الدنيا والآخرة.



ومن هذا المنطلق مارست الإدارة أساليب كثيرة لتحقيق هذا الهدف النبيل، ومنها تصميم الحقائق التدريبية؛ لتدريب المعلمين على توفير الحماية الكاملة لأنفسهم وكذلك لطلابهم.

وشكل فريق عمل لهذا الغرض، وكان لهم رؤية تربوية اتسمت بالعمق في تصميم الحقيقية يتلخص في التركيز على الشبه التكفيرية ومهارات التعامل معها؛ حيث يشعر الجميع بخطر هذا الفكر وحساسية التعامل معه، وتم تسليط الضوء على جانب القصور لدى من يتعامل مع هذا الفكر المنحرف، وهو يكمن في تدني مهارات من يتعامل مع أصحاب هذا الفكر.

لذا أحب فريق العمل لهذه الحقيقة أن يتم التركيز على المهارات الأساسية في تحقيق الحماية الفكرية كمهارات الحوار، ومهارات التفكير الناقد والشمولي القائم على التأصيل الشرعي الصحيح، والتي ستسهم - بإذن الله - في تحقيق الحماية الفكرية لدى الطلاب من خلال العاملين في الميدان التربوي.

وهذه محاولة وقائية يراها فريق العمل لا تسلم من القصور وتحتاج إلى التوجيه والنصح والذي سيسعد به أعضاء الفريق سواءً من المسؤولين في الإدارة وعلى رأسهم سعادة مدير إدارة التربية والتعليم، أو من غيرهم من المعلمين المتدربين على هذه الحقيقة.

أسأل الله التوفيق والسداد للجميع

## الوحدة التدريبية الأولى

### مهارات في منهج التأصيل الشرعي

#### اليوم التدريبي الأول

الزمن المقترح	أسلوب التدريب	الموضوع	الأيام
١٠ دقائق	محاضرة	تعارف وشرح مبسط لطريقة التدريب	اليوم الأول =====
٢٠ دقيقة		تقويم قبلي للمتدربين	
٢٠ دقيقة	نشاط (١ / ١ / ١)	مهارة الاستنباط من النصوص الشرعية	الجلسة الأولى مدتها ١١٠ دقيقة
٢٠ دقيقة	عرض		
٢٠ دقيقة	نشاط (١ / ١ / ٢)	ممارسة قاعدة الشمول في الحكم	
٢٠ دقيقة	عرض		
٢٠ دقائق		استراحة	
٢٥ دقيقة	نشاط (١ / ٢ / ١)	التأصيل الشرعي ( طاعة ولي الأمر نموذجاً )	اليوم الأول =====
٢٥ دقيقة	عرض		
٢٥ دقيقة	نشاط (١ / ٢ / ٢)	مهارة المقارنة في التعامل مع الشبه التكفيرية	
٢٥ دقيقة	عرض		

مؤتمر ظاهرة التكفير .. الأسباب .. الآثار .. العلاج

## الوحدة التدريبية الأولى

### موضوعات الوحدة التدريبية الأولى:

- مهارة الاستنباط من النصوص الشرعية.
- ممارسة قاعدة الشمول في الحكم.
- التأصيل الشرعي ( طاعة ولي الأمر نموذجاً ).
- مهارة المقارنة في التعامل مع الشبه التكفيرية.

### الأهداف السلوكية للوحدة التدريبية الأولى:

- أن يستنبط المتدرب من النصوص الشرعية ما يحقق الأمن الفكري وفق مقاصد الشريعة.
- أن يمارس المتدرب قاعدة الشمول عند التعامل مع الشبه.
- أن يؤصل المتدرب طاعة ولي الأمر تأصيلاً شرعياً.
- أن يقارن المتدرب بين منهج السلف الصالح وبين المناهج الأخرى في التعامل مع الشبه.

### الزمن المخصص للوحدة التدريبية:

- نشاط ( ١ / ١ / ١ ) مدته (٢٠) دقيقة.
- نشاط ( ٢ / ١ / ١ ) مدته (٢٠) دقيقة.
- نشاط ( ١ / ٢ / ١ ) مدته (٢٥) دقيقة.
- نشاط ( ٢ / ٢ / ١ ) مدته (٢٥) دقيقة.
- عروض وحلقات نقاش مدتها (٩٠) دقيقة.
- تقييم قبلي للمتدربين ومدته (٢٠) دقيقة.

### أدوات التدريب ووسائله:

- جهاز العرض فوق الرأس مع الشفافيات والأقلام.
- حاسب آلي مع بروجكتر وعروض باوربوينت.
- أدوات مكتبية للتدريب (ورق وأقلام).
- كتب شرعية (تفاسير، صحاح، وسنن، مسانيد).

## الوحدة التدريبية الأولى ١ / ١ / ١ النشاط التدريبي الأول

<input type="checkbox"/> نمط التدريب: <input type="checkbox"/> فردي <input type="checkbox"/> تعاوني	<input type="checkbox"/> موضوع النشاط التدريبي
<input type="checkbox"/> الزمن المقترح لتنفيذ النشاط	<input type="checkbox"/> مهارة الاستنباط من النصوص الشرعية
<input type="checkbox"/> (٥) دقائق <input type="checkbox"/> (١٠) دقائق <input type="checkbox"/> (١٥) دقيقة <input type="checkbox"/> (٢٥) دقيقة	<input type="checkbox"/> هدف النشاط التدريبي
<input type="checkbox"/> طبيعة النشاط التدريبي <input type="checkbox"/> نظري <input type="checkbox"/> عملي / تطبيقي	<input type="checkbox"/> أن يستبطن المتدرب من النصوص الشرعية ما يحقق الأمن الفكري وفق مقاصد الشريعة

### إجراءات تنفيذ النشاط:

لقد شرع الله سبحانه وتعالى للإنسان ما يصلح له حياته كلها حتى يحيى آمناً سعيداً ، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ فَاِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ، وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ سورة طه آية (١٢٣ - ١٢٤) ، ففى اتباع شريعة الإسلام الأمن والهداية فى الدنيا والسعادة فى الآخرة ، ولا يضل ولا يشقى ، وإن الإعراض عن شريعة الله تبارك وتعالى يؤدي إلى ضنك الدنيا وشقاء الآخرة ، ولقد أوصانا رسول الله ﷺ بالتمسك بالكتاب والسنة فعن أبي هريرة ؓ قال: قال ﷺ: (تركتم فيكم شيئين، لن تضلوا بعدهما: كتاب الله، وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض) الألباني (صحيح الجامع، ح / ٢٩٣٧) ، فعندما نلتزم بشرع الله ﷻ يكون الأمن مصداقاً لقول الله تبارك وتعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ سورة الأنعام آية ٨٢.

أخي المتدرب بعد قراءة النص السابق: بالتعاون مع مجموعتك استنبط من الآيات والأحاديث السابقة ما تراه محققاً للأمن الفكري وفق مقاصد الشريعة.

## حفظ الأمن من مقاصد الشريعة:

لقد شرع الله سبحانه وتعالى للإنسان ما يصلح له حياته كلها حتى يحيى  
 آمناً سعيداً، قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَأَمَّا يَا تَبِئَتِكُمْ مِئِّي هُدًى فَمَنْ اتَّبَعَ  
 هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى، وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً  
 وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ سورة طه آية (١٢٣ - ١٢٤)، ففى اتباع شريعة  
 الإسلام الأمن والهداية في الدنيا والسعادة في الآخرة، ولا يضل ولا يشقى، وإن  
 الإعراض عن شريعة الله تبارك وتعالى يؤدي إلى ضنك الدنيا وشقاء الآخرة،  
 ولقد أوصانا رسول الله ﷺ بالتمسك بالكتاب والسنة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه  
 قال: قال ﷺ: (تركت فيكم شيئين، لن تضلوا بعدهما: كتاب الله، وسنتي،  
 ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض) الألباني (صحيح الجامع، ح / ٢٩٣٧)،  
 فعندما نلتزم بشرع الله ﷻ يكون الأمن مصداقاً لقول الله تبارك وتعالى:  
 ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ سورة  
 الأنعام آية ٨٢

مؤتمر ظاهرة التكفير .. الأسباب .. الآثار .. العلاج

فتحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية الخمس يصون الإنسان من الكفر،  
 والشرك، والزيغ، والانحراف، والإفراط، والتفريط، واتباع الهوى، والسير في  
 مزالق الشر وما يضر الناس، ولقد تحقق الأمن للإنسان عندما طبقت  
 الشريعة الإسلامية، وأصبح الإنسان يعيش ولا يخاف على نفسه، ولقد قيل  
 لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: (حكمت فعدلت فأمنت...)، وعندما ينال الإنسان آمناً  
 في سره، معافى في بدنه عنده قوت يومه يكون سعيداً وقد حيزت له الدنيا  
 بحذافيرها.

ويستطيع المتأمل أن يلاحظ صيانة الإسلام للأمن الفكري وخصوصاً  
 داخل المجتمع المسلم من خلال ما يلي:

١- توحيد مصدر التلقي في العقائد والعبادات والقضايا الكبرى في حياة  
 المسلمين: ومن شواهد على ذلك ما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنه (أن النبي

- غضب حين رأى مع عمر صحيفة فيها شيء من التوراة و قال: أوفي شك أنت يا ابن الخطاب ؟ ألم آت بها بيضاء نقية ؟ لو كان أخي موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي) الألباني (إرواء الغليل، ح / ١٥٨٩).
- ٢- الرجوع إلى فهم العلماء المعتبرين الذين ينطلقون من فهم سلف الأمة للنصوص الشرعية.
- ٣- النهي عن الابتداع في الدين: لأن الأمن الفكري يضطرب إذا انتشرت البدع التي مردّها إلى استحسان العقول لا اتباع النصوص، ومن هنا فإن بدعة الخوارج في التكفير بالمعاصي تناقض بدعة المرجئة في اعتبار صاحب الكبيرة كامل الإيمان وكلا طريفي قصد الأمور ذميم، وقد قال ﷺ: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) مسلم (صحيح مسلم، ح / ١٧١٨)، وقال ﷺ: (إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة.... الحديث) الألباني (حديث الآحاد، ح / ١٧٣).
- ٤- تحريم الإفتاء بغير علم: فالفتوى توقيع من المفتي بالحكم الشرعي في قضية ما، وتوسيع دائرة الفتيا لتشمل من لم يتأهل لها يوقع المجتمع في الفوضى الفكرية في مواجهة سيل الفتاوى، فليس كل من فتح عليه في باب الخطابة أو الوعظ أو التربية أو الزهد مؤهلاً للإفتاء، ولا سيما في النوازل، وتدافع الصحابة عن الفتيا معروف مع علمهم وتأهلهم فكيف بمن يقول على الله بغير علم، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ سورة الأعراف آية ٣٣، وتحريم الحلال على الناس مثل تحليل الحرام لهم إن لم يكن أشد عند الله، قال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ أَللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ سورة يونس آية ٥٩.

## الوحدة التدريبية الأولى ٢ / ١ / ١ النشاط التدريبي الثاني

<p>نمط التدريب: <input type="checkbox"/> فردي <input type="checkbox"/> تعاوني</p>	<p>موضوع النشاط التدريبي</p>
<p>الزمن المقترح لتنفيذ النشاط</p>	<p>ممارسة قاعدة الشمول في الحكم.</p>
<p><input type="checkbox"/> (٥) دقائق <input type="checkbox"/> ١٠ دقائق <input type="checkbox"/> ١٥ دقيقة <input type="checkbox"/> (٢٥) دقيقة</p>	<p>هدف النشاط التدريبي</p>
<p>طبيعة النشاط التدريبي</p> <p><input type="checkbox"/> نظري <input type="checkbox"/> عملي / تطبيقي</p>	<p>أن يمارس المتدرب قاعدة الشمول في الحكم عند التعامل مع الشبه التكفيرية.</p>

### إجراءات تنفيذ النشاط:

من الشبه التي يثيرها المنحرفون ما يزعمون به: (أن العلماء لا يبينون الأحكام لولاة الأمر ولا ينكرون عليهم علانية أمام الناس، فهم مقصرون في ذلك، وكاتمون للعلم خوفاً على مناصبهم ووظائفهم).

أخي المتدرب: بالتعاون مع مجموعتك، ابحث عن دليل شرعي واحد يسند هذا القول، ثم تأمل ما رواه شقيق أن أسامة بن زيد رضي الله عنه قيل له: ألا تدخل على عثمان فتكلمه؟ فقال: أترون أني لا أكلمه إلا أسمعكم؟ والله! لقد كلمته فيما بيني وبينه، ما دون أن أفتح أمرا لا أحب أن أكون أول من فتحه. مسلم (صحيح مسلم، ح / ٢٩٨٩).

### قاعدة الشمول في الحكم:

يبني كثير من مثيري الشبه شبههم على الظنون التي لا تستند إلى دليل شرعي، ومن تلك الشبه زعمهم أن العلماء لا يبينون الأحكام لولاة الأمر ولا ينكرون عليهم علانية أمام الناس، فهم مقصرون في ذلك، وكاتمون للعلم خوفاً على مناصبهم ووظائفهم.

فهل حضروا مجالسهم واكتشفوا عدم نُصحهم للعلماء، أم أنهم شقوا عن قلوبهم فعرفوا أن المناصب والوظائف أهدافهم، أم أن الخبر أتاهاهم من العلماء أنفسهم بكتمانهم العلم !!!.

قال رسول الله ﷺ: (من أراد أن ينصح لذي سلطان في أمر فلا بيده علانية و لكن ليأخذ بيده فيخلوا به فإن قبل منه فذاك وإلا كان قد أدى الذي عليه له) الألباني (تخريج كتاب السنة، ح / ١٠٩٧).

وروى شقيق أن أسامة بن زيد ؓ قيل له: ألا تدخل على عثمان فتكلمه ؟ فقال: أترون أني لا أكلمه إلا أسمعكم ؟ والله ! لقد كلمته فيما بيني وبينه. ما دون أن أفتتح أمرا لا أحب أن أكون أول من فتحه. مسلم (صحيح مسلم، ح / ٢٩٨٩).

قال الشيخ ابن باز - رحمه الله تعالى - معلقاً على أثر أسامة ؓ: لما فتحوا الشريفة في زمن عثمان ؓ، وأنكروا على عثمان ؓ جهره تمت الفتنة والقتال والفساد الذي لا يزال الناس في آثاره إلى اليوم، حتى حصلت الفتنة بين علي ومعاوية، وقتل عثمان وعلي بأسباب ذلك، وقتل جم كثير من الصحابة وغيرهم بأسباب الإنكار العلني، وذكر العيوب علناً حتى أبغض الناس ولي أمرهم وقتلوه. نسأل الله العافية.

#### ومن الخطوات الإجرائية لذلك ما يلي:

- مطالبة مثيري الشبه بالإطلاع على جميع ما ورد على لسان (أو بقلم) ذلك العالم.
- تُجمع النصوص ومن ثم ينظر فيها مجتمعة دون تفريق أو اجتزاء.
- تقييد المتشابه بالمحكم ورده إليه، فمن الخطر أن يُترك تفسير المتشابه وفق ما يشاء السامع أو القارئ.



## الوحدة التدريبية الأولى ١ / ٢ / ١ النشاط التدريبي الثالث

<p>☞ نمط التدريب: <input type="checkbox"/> فردي <input type="checkbox"/> تعاوني</p>	<p>☞ موضوع النشاط التدريبي</p>
<p>☞ الزمن المقترح لتنفيذ النشاط</p>	<p>التأصيل الشرعي ( طاعة ولي الأمر نموذجاً )</p>
<p><input type="checkbox"/> (٥) دقائق <input type="checkbox"/> ١٠ دقائق <input type="checkbox"/> ١٥ دقيقة <input type="checkbox"/> (٢٥) دقيقة</p>	<p>☞ هدف النشاط التدريبي</p>
<p>☞ طبيعة النشاط التدريبي</p> <p><input type="checkbox"/> نظري <input type="checkbox"/> عملي / تطبيقي</p>	<p>أن يؤصل المتدرب طاعة ولي الأمر تأصيلاً شرعياً.</p>

### إجراءات تنفيذ النشاط:

- قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ سورة النساء آية ٥٩.
  - قال رسول الله ﷺ: (من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني) البخاري (صحيح البخاري، ح / ٧١٣٧)..
  - قال رسول الله ﷺ: (السمع والطاعة حق ما لم يؤمر بالمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة) البخاري (صحيح البخاري، ح / ٢٩٥٥).
  - قال رسول الله ﷺ: (اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبد حبشي، كأن رأسه زبيبة) البخاري (صحيح البخاري، ح / ٧١٤٢).
- أخي المتدرب:** بالتعاون مع مجموعتك استنتج من مجموع هذه الأدلة مهارات التأصيل الشرعي ؟

## الخطوات الإجرائية للتأصيل الشرعي

يمكن حصر أهم الخطوات الإجرائية لمنهج التأصيل الشرعي في الآتي:

- البدء بالاستدلال بالقرآن. ويشترط في ذلك ما يلي:
  - البدء بالآيات الواضحة الدالة على الموضوع المراد تأصيله.
  - الاستفادة من تفاسير أهل السنة والجماعة في فهم النصوص.
- الاستدلال بالحديث. ويشترط في ذلك ما يلي:
  - معرفة طريقة الوصول إلى صحة السند، وصحة المتن والمعنى.
  - الرجوع إلى أمهات كتب السنة وشروحيها.
  - البدء بالاستدلال بالأحاديث من كتب الصحاح وفق درجاتها.
- الجمع بين القرآن والسنة في الاستدلال. ويشترط في ذلك ما يلي:
  - الاستدلال وفق دلالات النصوص من حيث العموم، والخصوص، والمطلق، والمقيد، والناسخ، والمنسوخ... إلخ.
  - الرجوع إلى مصادر المعرفة التشريعية الأخرى.

## الوحدة التدريبية الأولى ٢ / ٢ / ١ النشاط التدريبي الرابع

<p>نمط التدريب: <input type="checkbox"/> فردي <input type="checkbox"/> تعاوني</p>	<p>موضوع النشاط التدريبي</p>
<p>الزمن المقترح لتنفيذ النشاط</p>	<p>مهارة المقارنة في التعامل مع الشُّبه التكفيرية.</p>
<p><input type="checkbox"/> (٥) دقائق <input type="checkbox"/> ١٠ دقائق <input type="checkbox"/> ١٥ دقيقة <input type="checkbox"/> (٢٥) دقيقة</p>	<p>هدف النشاط التدريبي</p>
<p>طبيعة النشاط التدريبي</p> <p><input type="checkbox"/> نظري <input type="checkbox"/> عملي / تطبيقي</p>	<p>أن يقارن المتدرب بين منهج السلف الصالح وبين المناهج الأخرى في التعامل مع الشُّبه.</p>

### إجراءات تنفيذ النشاط:

لما قيل لسعد بن أبي وقاص زمن الفتنة: ألا تقاتل إنك من أهل الشورى وأنت أحق بهذا الأمر من غيرك، قال: لا أقاتل حتى يأتوني بسيف له عينان ولسان وشفتان يعرف المؤمن من الكافر فقد جاهدت وأنا أعرف الجهاد) الهيثمي (مجمع الزوائد، ح / ٧ / ٣٠٢)..

وفقا لمصدر مسؤول في وزارة الداخلية، فإنه عند الساعة الثانية من ظهر يوم الأربعاء الموافق ١ / ربيع الأول / ١٤٢٥ هـ، حاولت إحدى السيارات الدخول إلى مقر الإدارة العامة للمرور بالرياض، وقد تعاملت معها حراسة المقر فما كان من سائقها إلا أن قام بتفجير السيارة، وذلك على بعد (٣٠) مترا من بوابة المقر، وقال البيان: أن أربعة أشخاص قتلوا اثنان منهم من رجال الأمن والآخران موظف مدني وفتاة سورية الجنسية في الحادية عشرة من عمرها كما أصيب (١٤٨) شخصا.

وأضاف البيان أن (٤٥) من الجرحى ما زالوا في المستشفى ثلاثة منهم حالتهم حرجة.

**أخي المتدرب:** بالتعاون مع مجموعتك، قارن بين منهج السلف الصالح وبين المناهج الأخرى في التعامل مع الشُّبه التكفيرية.

## منهج السلف الصالح في تعاملهم مع الشُّبه

فيما يلي بعض القواعد الهامة والأصول الرئيسية التي ينبغي الأخذ بها والتعامل على أساسها في مواجهة الشُّبهات، وذلك ليتم التخفيف منها بل القضاء عليها والحد من آثارها، بخطوات منهجية وأساليب علمية بعيدة عن العواطف التي لا تقوم على علم ولا يؤيدها عقل ولا يسندها منطق.

- لا إنكار في قضايا الاجتهاد.
- فلكل رأيه الذي يجب أن يُحترم، ولكل اجتهاده الذي ينبغي أن يُقدر ما دام المجتهد موثقاً في دينه وأمانته وعلمه وتقواه.
- ذكر النصوص الشرعية وأقوال العلماء كاملة.
- الوسطية.
- وهي تمثل الصراط المستقيم، والذي علّمنا الله تعالى أن نسأله الهداية إليه كلما قرأنا فاتحة الكتاب في صلواتنا اليومية أو خارجها : ﴿ اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ سورة الفاتحة آية 6.
- عقيدة الولاء.
- إن مولاتك للمؤمنين تعني أن تحبهم، وتذود عن حياضهم، وتكف الأذى عنهم، وتنصرهم على أعدائهم، وإذا وجدت منهم زللاً فينبغي أن تتصحهم بالحسنى، فلا تفضحهم، ولا تجرحهم، ولا تعين الشيطان عليهم، ولا تمكّن أعداءهم ليصطادوا في الماء العكر.

■ تعلم كيف نتفق.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال يوم الأحزاب: (لا يُصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة) البخاري (صحيح البخاري، ح / ٩٤٦). فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال: لا نُصلي حتى نأتيها، أي ديار بني قريظة، وقال بعضهم: بل نصلي، لم يُرد منا ذلك، فذكر ذلك النبي ﷺ فلم يعنف واحداً منهما.

■ التعميم الجائر.

بعض مثيري الشُّبهات، بل كثير منهم، لا يلتزمون الدقة عند اتهامهم للآخرين، فيلجئون إلى التعميم دون التخصيص، وإلى الإطلاق دون التقييد، فتزل ألسنتهم وأقدامهم في ظلم الآخرين؛ لذا ينبغي للمسلم أن يكون حذراً من هذه التعميمات.

## الوحدة التدريبية الثانية

### مهارات الحوار ودورها في تعزيز الأمن الفكري

#### اليوم التدريبي الثاني

الزمن المقترح	أسلوب التدريب	الموضوع	الأيام
٢٥ دقيقة	نشاط (١ / ١ / ٢)	مهارات الحوار الناجح	اليوم الثاني =====
٢٥ دقيقة	عرض		
٢٥ دقيقة	نشاط (٢ / ١ / ٢)	مهارة اكتشاف علامات أصحاب الفكر المنحرف من خلال الحوار	الجلسة الأولى مدتها ١٠٠ دقيقة
٢٥ دقيقة	عرض		
٢٠ دقيقة	استراحة		
٥٠ دقيقة	نشاط (١ / ٢ / ٢)	مهارات التواصل الأسري	اليوم الثاني =====
٥٠ دقيقة	عرض		

مؤتمر ظاهرة التكفير .. الأسباب .. الآثار .. العلاج

## الوحدة التدريبية الثانية

### موضوعات الوحدة التدريبية الثانية:

- مهارات الحوار الناجح.
- مهارة اكتشاف علامات أصحاب الفكر المنحرف من خلال الحوار.
- مهارات التواصل الأسري.

### الأهداف السلوكية للوحدة التدريبية الثانية:

- أن يكتشف المتدرب مهارات الحوار الناجح من خلال التأمل في نموذج حوارٍ مثمرٍ.
- أن يكتشف المتدرب علامات أصحاب الفكر المنحرف من خلال التأمل في نموذج حوارٍ مثمرٍ.
- أن يُقوم المتدرب الواقع الحوارية الأسري السائد.
- أن يقترح المتدرب الأسلوب الحوارية الأسري الأمثل لوقاية الفكر من الانحراف.

### الزمن المخصص للوحدة التدريبية:

- نشاط ( ١ / ١ / ٢ ) مدته (٢٥) دقيقة.
- نشاط ( ٢ / ١ / ٢ ) مدته (٢٥) دقيقة.
- نشاط ( ١ / ٢ / ٢ ) مدته ٥٠ دقيقة.
- عروض وحلقات نقاش مدتها ١٠٠ دقيقة.

### أدوات التدريب ووسائله:

- جهاز العرض فوق الرأس مع الشفافيات والأقلام.
- حاسب ألي مع بروجكتر وعروض باوربوينت.
- أدوات مكتبية للتدريب (ورق وأقلام).

## الوحدة التدريبية الثانية ١ / ١ / ٢ النشاط التدريبي الأول

<p>☞ نمط التدريب: <input type="checkbox"/> فردي <input type="checkbox"/> تعاوني</p>	<p>☞ موضوع النشاط التدريبي</p>
<p>☞ الزمن المقترح لتنفيذ النشاط</p>	<p>مهارة الحوار الناجح</p>
<p><input type="checkbox"/> ٥ دقائق <input type="checkbox"/> ١٠ دقائق <input type="checkbox"/> ١٥ دقيقة <input type="checkbox"/> (٢٥) دقيقة</p>	<p>☞ هدف النشاط التدريبي</p>
<p>☞ طبيعة النشاط التدريبي</p> <p><input type="checkbox"/> نظري <input type="checkbox"/> عملي / تطبيقي</p>	<p>أن يكتشف المتدرب مهارات الحوار الناجح من خلال التأمل في نموذج حوارٍ مثمر</p>

### إجراءات تنفيذ النشاط:

تحكي تفاصيل مناظرة ابن عباس رضي الله عنه للخوارج أنه رضي الله عنه لما دخل عليهم وكان لابساً حلة يمانية قالوا: مرحباً بك يا ابن عباس! ما جاء بك؟ وما هذه الحلة، قال: قلت ما تعيبون علي؟ لقد رأيت على رسول الله أحسن ما يكون من هذه الحلل، ونزلت ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ ، قالوا: فما جاء بك؟ فقال لهم: جئت أحدثكم عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن عند صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم نزل الوحي، وهم أعلم بتأويله، وليس فيكم منهم أحد، فقال بعضهم: لا تخاصموا قريشاً فإن الله تعالى يقول: ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ ، وقال رجلان أو ثلاثة لو كلمتهم.

قال: قلت أخبروني ما تتقمن على ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختبه، وأول من آمن به، وأصحاب رسول الله معه؟ قالوا: ننقم عليه ثلاثاً. قال: وما هن؟ قالوا: أولهن أنه حكّم الرجال في دين الله، وقد قال الله ﴿ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ ، فما شأن الرجال والحكم بعد قول الله عز وجل. قال: قلت وماذا؟

مؤتمر ظاهرة التكفير .. الأسباب .. الآثار .. العلاج



قالوا: وقاتل ولم يَسْب ولم يغنم، لئن كانوا كفاراً لقد حلت له أموالهم ولئن كانوا مؤمنين لقد حرمت عليه دماؤهم. قال: قلت وماذا؟ قالوا: محا نفسه من أمير المؤمنين. فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين.

قال: قلت أعددكم سوى هذا؟ قالوا: حسينا هذا.

قال: رأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله المحكم، وحدثتكم من سنة نبيه ﷺ ما لا تتكرون أترجعون؟ قالوا: نعم.

قال: قلت أما قولكم: حكم الرجال في دين الله، فإن الله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيِّدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾، إلى قوله: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوْا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾، وقال في المرأة وزوجها ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾، أنشدكم الله أحكم الرجال في حقن دمائهم وأنفسهم، وإصلاح ذات بينهم أحق أم في أرنب ثمنها ربع درهم، وفي بضع امرأة. وأن تعلموا أن الله لو شاء لحكم ولم يصير ذلك إلى الرجال.

قالوا: اللهم في حقن دمائهم، وإصلاح ذات بينهم.

قال: أخرجت من هذه؟ قالوا: اللهم نعم.

قال: وأما قولكم قاتل ولم يسب ولم يغنم، أتسبون أمكم عائشة، أم تستحلون منها ما تستحلون من غيرها، فقد كفرتم، وإن زعمتم أنها ليست أم المؤمنين فقد كفرتم، وخرجتم من الإسلام، إن الله يقول: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ فأنتم مترددون بين ضلالتين فاختراروا أيهما شئتم أخرجت من هذه فنظر بعضهم إلى بعض

قالوا: اللهم نعم. قال: وأما قولكم محا نفسه من أمير المؤمنين، فأنا آتيكم بما ترضون، فإن رسول الله ﷺ دعا قريشاً يوم الحديبية أن يكتب بينه وبينهم كتاباً فكتب سهيل بن عمرو وأبا سفيان. فقال: اكتب يا علي هذا

ما قاضى عليه محمد رسول الله، فقالوا: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله. فقال: والله إني لرسول الله حقاً وإن كذبتُموني، اكتب يا علي: محمد بن عبد الله، فرسول الله ﷺ كان أفضل من علي رضي الله عنه وما أخرجه من النبوة حين محا نفسه.

أخرجت من هذه؛ قالوا: اللهم نعم. فرجع منهم ألفان، وبقي منهم أربعة آلاف فقتلوا على ضلالة.

### أخي المتدرب:

بالتعاون مع أفراد مجموعتك، تأمل هذا النموذج الحوارى واستفد منه فى اكتشاف مهارات الحوار الناجح.

## إرشادات لتحقيق مهارات الحوار الناجح:

الإرشادات التي تُكسب المتدرب مهارات الحوار الناجح كثيرة، ومنها:

### - إخلاص النية في الحوار.

وذلك بتجريد النية والمقصد لله تعالى، ويتضح ذلك من خلال أخلاق المحاور، وسلوكه أثناء الحوار، فعلى المحاور أن يوطن نفسه، ويروضها على الإخلاص لله في كل ما يأتي وما يذر، في ميدان الحوار.

### - طلب الحق، والتسليم بالنتائج، وما يتمخض عن الحوار من حلول وحقائق.

وهذا يستوجب ما يلي:

أ- التخلي عن المصالح الشخصية.

ب- التنازل عن بعض القناعات التي لا تعدو كونها وجهات نظر لا يسندها الدليل.

### - البعد عن التعصب.

التعصب: هو عدم قبول الحق عند ظهور الدليل، وتلك الصفة تكفي لعدم نجاح أي حوار، بل حتى البدء فيه أصلاً.

### - الالتزام بأداب الحوار.

فالإنسان بوجه عام يحب أن يعامله الناس معاملة إنسانية رقيقة، وتلك المعاملة مطلب الجميع، فليس من العدل أن يمنعها الإنسان عن غيره، وثم يطالب بها الآخرين عندما يحاورونه.

### - المصداقية والأمانة في النقل.

وذلك بتوخي الدقة والصحة في نقل المعلومة أو الخبر، وتقديم الأدلة على إدعاءاته، التزاماً بالقاعدة الحوارية (إن كنت ناقلًا فالصحة، وإن كنت مدعيًا فالدليل)

### - البدء بالنقاط المتفق عليها.

لقد استخدم الرسول ﷺ هذا الأصل في حوارهِ مع الأنصار في غزوة حنين، لما لم يعطهم من شيئاً، فوجدوا في أنفسهم، فخاطبهم النبي ﷺ قائلاً (يا معشر الأنصار، ألم أجدكم ضاللاً فهداكم الله بي، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي، وكنتم عالة فأغناكم الله بي) مسلم (صحيح مسلم، ح / ١٠٦١)، فبدأ النبي ﷺ بما هم مقرين به، فردوا قائلين: (اللَّهُ ورسوله آمن) حتى إذا أقرؤا أموراً يعلم النبي ويعلمون أنها حق؛ بدأ معهم بما أراد أن يقنعهم به.

### وفيما يلي أهم مهارات الحوار:

(مهارة تحديد هدف الحوار)، (مهارة القرب النفسي من المحاور)، (مهارة تعدد زوايا الرؤية)، (مهارة إثارة السؤال)، (مهارة حسن الاستماع)، (مهارة التأثير غير المباشر)، (مهارة معرفة الخلفية السابقة)، (مهارة توظيف الكلمات والتعبير)... إلخ.

## الوحدة التدريبية الثانية ٢ / ١ / ٢ النشاط التدريبي الثاني

<p>☞ نمط التدريب: <input type="checkbox"/> فردي <input type="checkbox"/> تعاوني</p>	<p>☞ موضوع النشاط التدريبي</p>
<p>☞ الزمن المقترح لتنفيذ النشاط</p>	<p>مهارة اكتشاف علامات أصحاب الفكر المنحرف من خلال الحوار</p>
<p><input type="checkbox"/> ٥ دقائق <input type="checkbox"/> ١٠ دقائق <input type="checkbox"/> ١٥ دقيقة <input type="checkbox"/> (٢٥) دقيقة</p>	<p>☞ هدف النشاط التدريبي</p>
<p>☞ طبيعة النشاط التدريبي</p> <p><input type="checkbox"/> نظري <input type="checkbox"/> عملي / تطبيقي</p>	<p>أن يكتشف المتدرب علامات أصحاب الفكر المنحرف من خلال التأمل في نموذج حوارٍ مثمر</p>

### إجراءات تنفيذ النشاط:

تحكي تفاصيل مناظرة ابن عباس رضي الله عنه للخوارج أنه رضي الله عنه لما دخل عليهم وكان لابساً حلة يمانية قالوا: مرحباً بك يا ابن عباس! ما جاء بك؟ وما هذه الحلة، قال: قلت ما تعيبون علي؟ لقد رأيت على رسول الله أحسن ما يكون من هذه الحلل، ونزلت: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ قالوا: فما جاء بك؟ فقال لهم: جئت أحدثكم عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن عند صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم نزل الوحي، وهم أعلم بتأويله، وليس فيكم منهم أحد، فقال بعضهم: لا تخاصموا قريشاً فإن الله تعالى يقول ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِيمُونَ ﴾ ، وقال رجلان أو ثلاثة لو كلمتهم. قال: قلت أخبروني ما تتقمن على ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختبه، وأول من آمن به، وأصحاب رسول الله معه؟ قالوا: ننقم عليه ثلاثاً. قال: وما هن؟ قالوا: أولهن أنه حكّم الرجال في دين الله، وقد قال الله: ﴿ إِنَّ الْحُكْمَ

إِلَّا لِلَّهِ ﴿ فَمَا شَأْنُ الرِّجَالِ وَالْحَكْمَ بَعْدَ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. قَالَ: قُلْتُ وَمَاذَا؟  
 قَالُوا: وَقَاتِلْ وَلَمْ يَسْبِ وَلَمْ يَغْنَمْ، لَسْنَا كَانُوا كُفْرًا لَقَدْ حَلَّتْ لَهُ أَمْوَالُهُمْ  
 وَلَسْنَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ لَقَدْ حَرَمَتْ عَلَيْهِ دِمَائِهِمْ. قَالَ: قُلْتُ وَمَاذَا؟  
 قَالُوا: مَحَا نَفْسَهُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. فَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَهُوَ أَمِيرُ  
 الْكَافِرِينَ.

قَالَ: قُلْتُ أَعِنْدَكُمْ سِوَى هَذَا؟ قَالُوا: حَسْبُنَا هَذَا.

قَالَ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ قَرَأْتُمْ عَلَيْكُمْ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ الْمَحْكَمِ، وَحَدَّثْتُمْ مِنْ سُنَّةِ  
 نَبِيِّ ﷺ مَا لَا تَتَكْرَهُونَ أَتَرْجِعُونَ؟ قَالُوا: نَعَمْ.

قَالَ: قُلْتُ أَمَا قَوْلُكُمْ: حَكَمَ الرِّجَالُ فِي دِينِ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ:  
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيِّدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ ﴾، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ يَحْكُمُ بِهِ  
 ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ ﴾. وَقَالَ فِي الْمَرْأَةِ وَزَوْجِهَا: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا  
 حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا ﴾ أَنْشَدَكُمْ اللَّهُ أَحْكَمَ الرِّجَالِ فِي حَقِّ  
 دِمَائِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، وَإِصْلَاحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ أَحَقُّ أَمْ فِي أَرْبَعِ ثَمَنِيهَا رُبْعِ دَرَاهِمٍ، وَفِي  
 بَضْعِ امْرَأَةٍ. وَأَنْ تَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَوْ شَاءَ لَحَكَمَ وَلَمْ يَصِيرْ ذَلِكَ إِلَى الرِّجَالِ.

قَالُوا: اللَّهُمَّ فِي حَقِّ دِمَائِهِمْ، وَإِصْلَاحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ.

قَالَ: أَخْرَجْتَ مِنْ هَذِهِ؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ.

قَالَ: وَأَمَا قَوْلُكُمْ قَاتِلْ وَلَمْ يَسْبِ وَلَمْ يَغْنَمْ، أَتَسْبُونَ أَمْكُمْ عَائِشَةَ، أَمْ  
 تَسْتَحِلُّونَ مِنْهَا مَا تَسْتَحِلُّونَ مِنْ غَيْرِهَا، فَقَدْ كَفَرْتُمْ، وَإِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّهَا لَيْسَتْ أَمْ  
 الْمُؤْمِنِينَ فَقَدْ كَفَرْتُمْ، وَخَرَجْتُمْ مِنَ الْإِسْلَامِ، إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى  
 بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ فَأَنْتُمْ مُتَرَدِّدُونَ بَيْنَ ضَلَالَتَيْنِ  
 فَاخْتَارُوا أَيُّهُمَا شِئْتُمْ أَخْرَجْتَ مِنْ هَذِهِ فَتَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ

قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ. قَالَ: وَأَمَا قَوْلُكُمْ مَحَا نَفْسَهُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَنَا  
 آتِيكُمْ بِمَا تَرْضَوْنَ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَا قَرِيشًا يَوْمَ الْحَدِيبِيَّةِ أَنْ يَكْتُبَ بَيْنَهُ

وبينهم كتاباً فكتب سهيل بن عمرو وأبا سفيان. فقال: اكتب يا علي هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله، فقالوا: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله. فقال: والله إنني لرسول الله حقاً وإن كذبتُموني، اكتب يا علي: محمد بن عبد الله، فرسول الله ﷺ كان أفضل من علي ﷺ وما أخرجه من النبوة حين محاسب نفسه.

أخرجت من هذه؛ قالوا: اللهم نعم. فرجع منهم ألفان، وبقي منهم أربعة آلاف فقتلوا على ضلالة.  
أخي المتدرب: بالتعاون مع أفراد مجموعتك، تأمل هذا النموذج الحواري واستفد منه في اكتشاف علامات أصحاب الفكر المنحرف.

### مهارة اكتشاف علامات أصحاب الفكر المنحرف من خلال الحوار.

المتأمل لموقف ابن عباس مع الخوارج يكتشف علامات غالباً ما تظهر جلياً على أصحاب الفكر المنحرف ومنها.

- الانعزال عن العلماء.
- كثيراً ما يستخدمون العنف.
- إنزال الآيات في غير موضعها.

ويظهر ذلك جلياً في قول أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب ﷺ لابن عباس ﷺ عندما استأذنه في مناظرتهم: (أخشى عليك منهم)، فلم يقل ذلك عنهم إلا لاشتهارهم به، ومعرفة عنهم.

- استعجالهم في الحكم على الظاهر.

وذلك عندما أتى إليهم ابن عباس لابساً أحسن ما يكون من الثياب اليمينية، فقالوا له: ما هذا اللباس؛ استككاراً للباسه، فرد عليهم

بقول الله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ  
وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ (الأعراف آية ٣٢)، وقال: لقد رأيت رسول  
الله ﷺ يلبس أحسن ما يكون من اليمينية.

- التعميم في إصدار الاتهامات المبدئية تمهيداً لإغلاق العقول.
- تشويه رموز أهل السنة.

ويظهر هذا الأمر من خلال امتناع بعضهم عن سماع كلام ابن  
عباس ؓ ابتداءً فقد قال بعضهم: لا تخاصموا قريشاً فإن الله تعالى  
يقول : ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ (الزخرف آية ٥٨).

- قلة الفقه في الدين ومعرفة أصول الاستدلال.
- ويظهر ذلك من خلال تعلقهم بدليل واحد في المسألة وإغفالهم بقية الأدلة.



## الوحدة التدريبية الثانية ١ / ٢ / ٢ النشاط التدريبي الثالث

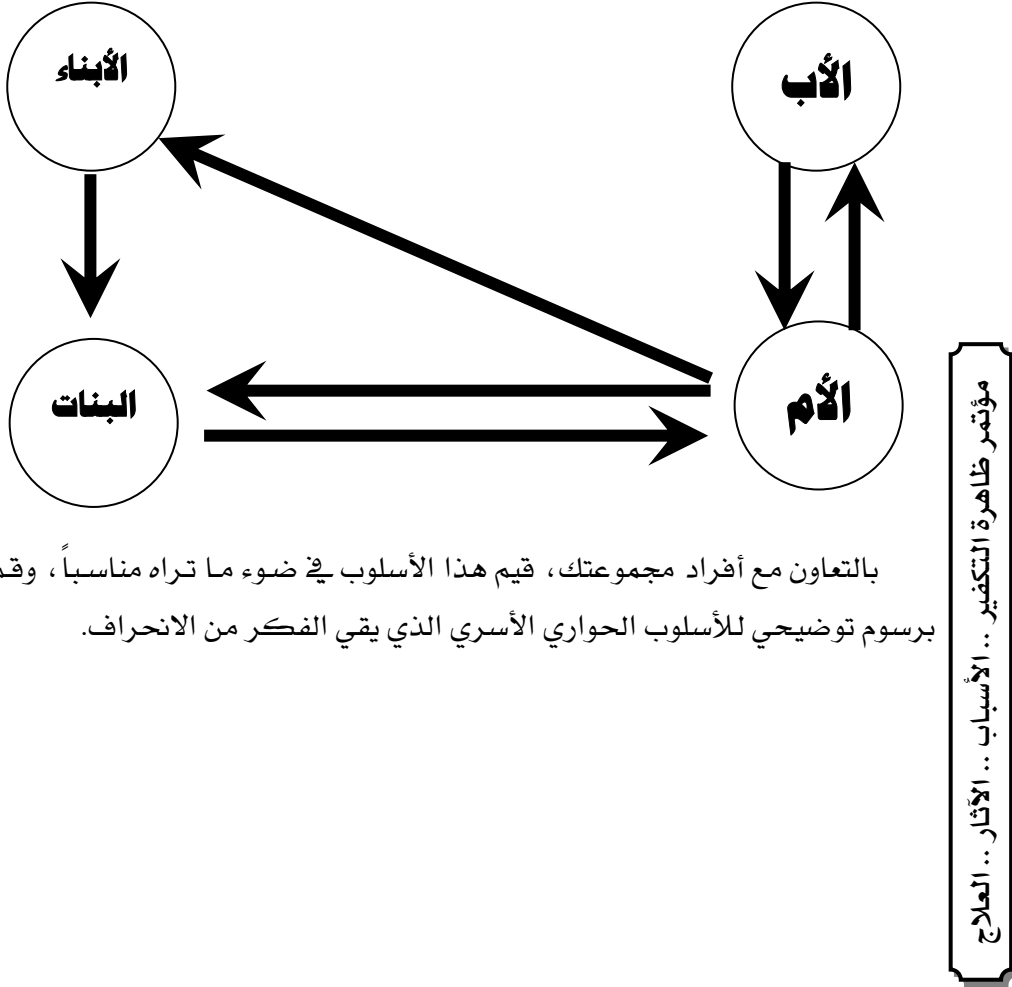
<p>☞ نمط التدريب: <input type="checkbox"/> فردي <input type="checkbox"/> تعاوني</p>	<p>☞ موضوع النشاط التدريبي</p>
<p>☞ الزمن المقترح لتنفيذ النشاط</p>	<p>مهارة تقويم واقع التواصل الأسري</p>
<p><input type="checkbox"/> ١٠ دقائق <input type="checkbox"/> ٣٠ دقيقة <input type="checkbox"/> ٤٠ دقيقة <input type="checkbox"/> ٥٠ دقيقة</p>	<p>☞ هدف النشاط التدريبي</p>
<p>☞ طبيعة النشاط التدريبي</p> <p><input type="checkbox"/> نظري <input type="checkbox"/> عملي / تطبيقي</p>	<p>١- أن يُقوم المتدرب الواقع الحواري الأسري السائد</p> <p>٢- أن يقترح المتدرب الأسلوب الحواري الأسري الأمثل لوقاية الفكر من الانحراف.</p>

### إجراءات تنفيذ النشاط:

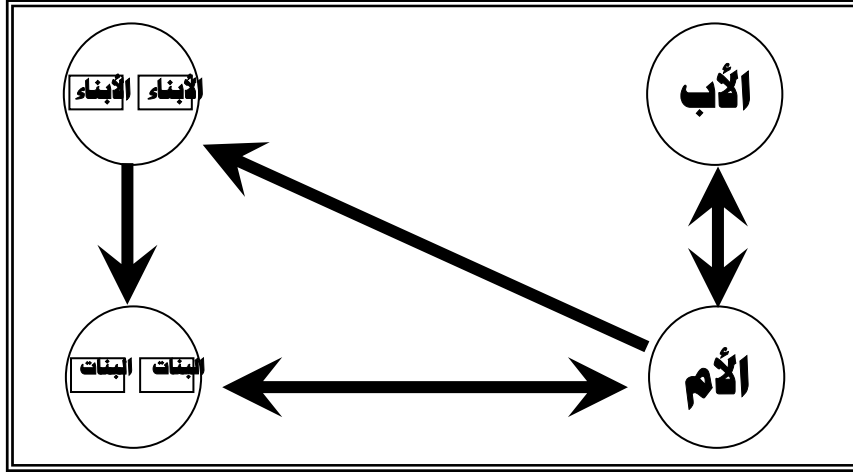
في دراسة علمية حديثة قام بها مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني ضمن مشروع (الحوار الأسري) تبين أن من أبرز أسباب الانحراف الفكري لدى الشباب غياب الحوار والتواصل في إطار الأسرة الأمر الذي جعل الشاب فريسة سهلة بيد الأشرار. العبيد (تعزيز ثقافة الحوار، ص (٢٠).

### أخي المتدرب:

أمامك رسم توضيحي يمثل الأسلوب الحواري الأسري السائد في بيئتنا المحلية

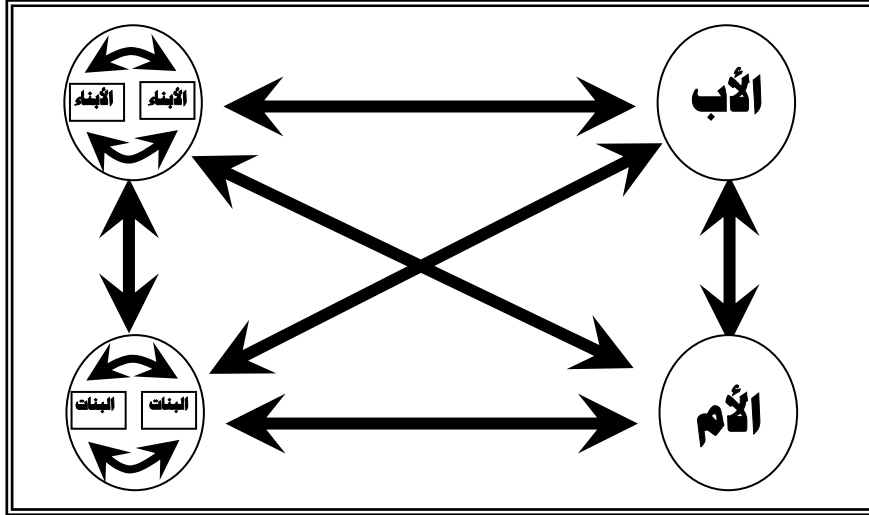


## أساليب التواصل الأسري



يلاحظ على هذا النمط من التواصل ما يلي:

- الأب معزول تماماً عن الأسرة باستثناء زوجته (الأم).
- غياب التواصل المباشر بين الأب والأبناء وبين الأب والبنات.
- غياب التواصل المباشر بين الأبناء مع بعضهم وبين البنات مع بعضهن.
- التواصل بين الأبناء والبنات يأخذ اتجاهاً واحداً حيث أنه من الأبناء إلى البنات فقط.
- التواصل فقط من الأمهات نحو الأبناء ولا توجد مبادرات حوارية من الأبناء نحو أمهاتهم.



ومن الإجراءات التي ترفع من مستوى التواصل الأسري ما يلي:

- ١- الحرص على حسن العشرة بالمعروف وكف الأذى حتى يشعر الجميع بالفائدة المموسة للتواصل.
- ٢- الحرص من جميع أفراد الأسرة وخصوصاً الوالدين على أداء الواجبات قبل المطالبة بالحقوق.
- ٣- العناية بإقامة الدين في الأسرة وصرح الأخلاق والحياة الجادة المنتجة لجميع أفرادها.
- ٤- إشاعة الكلمة الطيبة واختيار الألفاظ المناسبة وأدب التحية وإفشاء السلام وتزيين الوجه بالابتسامة واعتماد أسلوب الهدايا ولو كانت رمزية، واغتنام الفرص المناسبة للتقرب والتودد والتحب.

## الوحدة التدريبية الثالثة

### مهارات التفكير ودورها في الوقاية من الشبه

#### اليوم التدريبي الثالث

الأيام	الموضوع	أسلوب التدريب	الزمن المقترح
اليوم الثاني =====	مهارة الملاحظة	نشاط ( ١ / ١ ) / ( ٣ )	٢٥ دقيقة
		عرض	٢٥ دقيقة
الجلسة الأولى مدتها ١٠٠ دقيقة	مهارة توقع النتائج	نشاط ( ٢ / ١ ) / ( ٣ )	٢٥ دقيقة
		عرض	٢٥ دقيقة
استراحة			
اليوم الثاني =====	مهارة اعتبار جميع العوامل	نشاط ( ١ / ٢ ) / ( ٣ )	٥٠ دقيقة
		عرض	٥٠ دقيقة

مؤتمر ظاهرة التكفير .. الأسباب .. الآثار .. العلاج

## الوحدة التدريبية الثالثة

### موضوعات الوحدة التدريبية الثالثة:

- مهارة الملاحظة.
- مهارة توقع النتائج.
- مهارة اعتبار جميع العوامل.

### الأهداف السلوكية لوحدة التدريبية الثالثة:

- أن يمارس المتدرب مهارة الملاحظة في الكشف عن مظاهر الانحراف الفكري.
- أن يمارس المتدرب مهارة توقع النتائج في التحذير من مظاهر الانحراف الفكري.
- أن يمارس المتدرب مهارة اعتبار جميع العوامل عند مناقشة مظاهر الانحراف الفكري.

### الزمن المخصص للوحدة التدريبية:

- نشاط ( ١ / ١ / ٣ ) مدته (٢٥) دقيقة.
- نشاط ( ٢ / ١ / ٣ ) مدته (٢٥) دقيقة.
- نشاط ( ١ / ٢ / ٣ ) مدته ٥٠ دقيقة.
- عروض وحلقات نقاش مدتها ١٠٠ دقيقة.

### أدوات التدريب ووسائله:

- جهاز العرض فوق الرأس مع الشفافيات والأقلام.
- حاسب ألي مع بروجكتر وعروض باوربوينت.
- أدوات مكتبية للتدريب (ورق وأقلام).

## الوحدة التدريبية الثالثة ١ / ١ / ٣ النشاط التدريبي الأول

<p>☞ نمط التدريب: <input type="checkbox"/> فردي <input type="checkbox"/> تعاوني</p>	<p>☞ موضوع النشاط التدريبي</p>
<p>☞ الزمن المقترح لتنفيذ النشاط</p>	<p>مهارة الملاحظة</p>
<p><input type="checkbox"/> ٥ دقائق <input type="checkbox"/> ١٠ دقائق <input type="checkbox"/> ١٥ دقيقة <input type="checkbox"/> (٢٥) دقيقة</p>	<p>☞ هدف النشاط التدريبي</p>
<p>☞ طبيعة النشاط التدريبي</p> <p><input type="checkbox"/> نظري <input type="checkbox"/> عملي / تطبيقي</p>	<p>أن يمارس المتدرب مهارة الملاحظة في الكشف عن مظاهر الانحراف الفكري.</p>

### إجراءات تنفيذ النشاط:

أثناء تواجدك في مجلس أحد جيرانك سمعت أحد الآباء ينكر على ابنه الكذب قائلاً له: (يا بني لا تكذب؛ فإن الله سيضعك في النار).

**أخي المتدرب بالتعاون مع أفراد مجموعتك:**  
دون ملاحظتك حول هذا الموقف.

## مهارة الملاحظة

تعرف مهارة الملاحظة بأنها: الرصد والمتابعة الدقيقة للأشياء والأحداث باستخدام حاسة واحدة أو أكثر. وتعتبر مهارة الملاحظة من مهارات التفكير الأساسي التي يتم من خلالها جمع البيانات والمعلومات عن طريق واحدة أو أكثر من الحواس الخمس. وهي عملية تفكير فاعلة في الكشف المبكر عن مظاهر الانحراف والغلو والتطرف من خلال المشاهدة والمراقبة والإدراك، وتقترن عادة بسبب قوي، أو هدف يستدعي تركيز الانتباه ودقة الملاحظة. ومن الأمثلة التي يتم من خلالها توظيف مهارة الملاحظة في الكشف عن مظاهر الخطأ، ما يلي:

أثناء تواجدك في مجلس أحد جيرانك سمعت أحد الآباء ينكر على ابنه الكذب قائلاً له: (يا بني لا تكذب فإن الله سيضعك في النار) **يلاحظ على هذه العبارة ما يلي:**

- الحكم على أن مصير الابن إلى النار، وفي هذا الحكم عدة ملاحظات هي:
  - أ - الحكم المعين على الابن بأنه من أهل النار وهذا مخالف شرعاً.
  - ب - التآلي على الله.
  - ج - التطاول على اختصاص الله بعلم الغيب.
  - د - إقفال باب التوبة أمام الابن.
  - هـ - التعدي على مشيئة الله.
- ليس كل من يقصد الحق والنصيحة يوفق إلى الأسلوب الصحيح والطريق الأمثل لذلك.
- النصيحة أمام الملام، وهي نوع من التوبيخ، وقد يكون لها آثار سلبية على الابن.
- الأولى بالأب أن يستهدف في نصيحة سلوك الابن لا شخصه.



## الوحدة التدريبية الثالثة ٢ / ١ / ٢ النشاط التدريبي الثاني

<p>☞ نمط التدريب: <input type="checkbox"/> فردي <input type="checkbox"/> تعاوني</p>	<p>☞ موضوع النشاط التدريبي</p>
<p>☞ الزمن المقترح لتنفيذ النشاط</p>	<p>مهارة توقع النتائج</p>
<p><input type="checkbox"/> ٥ دقائق <input type="checkbox"/> ١٠ دقائق <input type="checkbox"/> ١٥ دقيقة <input type="checkbox"/></p> <p>(٢٥) دقيقة</p>	<p>☞ هدف النشاط التدريبي</p>
<p>☞ طبيعة النشاط التدريبي</p> <p><input type="checkbox"/> نظري <input type="checkbox"/> عملي / تطبيقي</p>	<p>أن يمارس المدرب مهارة توقع النتائج في التحذير من مظاهر الانحراف الفكري.</p>

### إجراءات تنفيذ النشاط:

(طاعة ولي الأمر لا تجب إلا على من بايع بنفسه، أما من لم يبايع فليست الطاعة واجبة في حقه)

### أخي المدرب:

بالتعاون مع أفراد مجموعتك، توقع النتائج التي سيؤول إليها المجتمع، لو انتشر فيه مثل هذا الطرح بين الناس وخصوصاً الشباب.

## مهارة توقع النتائج.

تعرف مهارة توقع النتائج بأنها: إعطاء النتائج المحتملة للأعمال والقرارات والأفكار من خلال البعد الزمني.

**ويمكن أن تقسم النتائج التي يتم التوصل إليها وفقاً للزمن إلى:**

- نتائج فورية.
- نتائج متوسطة المدى.
- نتائج بعيدة المدى.

وتسهم مهارة توقع النتائج في الوقاية من الانحراف من خلال تحليل المواقف، ورصد النتائج وفق أبعاده الزمنية، وخصوصاً إذا بُنيت التوقعات على مقدمات سليمة، وتحليلات مقنعة.

ومن الأمثلة التي يتم من خلالها توظيف مهارة توقع النتائج في التحذير من مظاهر الانحراف الفكري، ما يلي:

(طاعة ولي الأمر لا تجب إلا على من بايع بنفسه، أما من لم يبايع فليست الطاعة واجبة في حقه)

**ومن النتائج المتوقعة لهذا الطرح ما يلي:**

- انتشار التمرد بين الشباب على الأنظمة والقوانين بحجة أنها ليست واجبة عليهم؛ لأنها صدرت من إمام لم يبايعوه.
- ظهور ولاءات متعددة، الأمر الذي يندرج بالفوضى للمجتمع.

## الوحدة التدريبية الثالثة ١ / ٢ / ٢ النشاط التدريبي الثالث

<p>نمط التدريب: <input type="checkbox"/> فردي <input type="checkbox"/> تعاوني</p>	<p>موضوع النشاط التدريبي</p>
<p>الزمن المقترح لتنفيذ النشاط</p>	<p>مهارة اعتبار جميع العوامل (التعامل مع الكفار نموذجاً)</p>
<p><input type="checkbox"/> ١٠ دقائق <input type="checkbox"/> ٣٠ دقيقة <input type="checkbox"/> ٤٠ دقيقة</p> <p><input type="checkbox"/> ٥٠ دقيقة</p>	<p>هدف النشاط التدريبي</p>
<p>طبيعة النشاط التدريبي</p> <p><input type="checkbox"/> نظري <input type="checkbox"/> عملي / تطبيقي</p>	<p>أن يستخدم المتدرب مهارة اعتبار جميع العوامل عند مناقشة مظاهر الانحراف الفكري.</p>

### إجراءات تنفيذ النشاط:

من صور الانحراف الفكري (التكفير المطلق لكل من تعامل أو تعاون مع الكفار) بدعوى أن ذلك موالة لهم.

### أخي المتدرب:

بالتعاون مع أفراد مجموعتك، استعرض الأسباب المؤدية للتعاون مع الكفار أو التعامل معهم.

## مهارة اعتبار جميع العوامل ( التعاون مع الكفار نموذجاً )

تعرف مهارة اعتبار جميع العوامل بأنها: أمور يراعيها الفرد عندما يفكر في موضوع ما.

وهي مهارة تدعو إلى التريث والتأمل في الموقف والقرار قبل الإقدام عليه، وهي تساعد على الاستفادة القصوى من قدرات العقل وتجنب صاحبها الوقوع في الأخطاء والندم عليها فيما بعد؛ لذا تعتبر هذه المهارة من أهم المهارات الوقائية من الانحراف الفكري.

ومن الأمثلة التي يتم من خلالها توظيف مهارة اعتبار جميع العوامل في الوقاية من الانحراف الفكري، ما يلي:

من صور الانحراف الفكري (التكفير المطلق لكل من تعامل أو تعاون مع الكفار) بدعوى أن ذلك موالة لهم.

فعند اعتبار جميع العوامل التي دعت إلى التعامل أو التعاون مع الكفار نجد أن معظمها لا تعد موالة لهم، ومن تلك العوامل:

- إعجاباً بنهضتهم وتطورهم الديني.
  - لتحقيق مصلحة دنيوية.
  - اتقاء شرهم.
  - الإكراه.
  - جهلاً بالحكم.
  - محبةً لدينهم، وذلك هو العامل الذي يعد موالة لهم، ومع ذلك فهو لا يبيح التكفير المعين، إلا وفق ما قرره العلماء من شروط وضوابط لذلك.
- فتبين أن تلك المهارة ساهمت في تجلية الموقف وبيان دواعي التعامل أو التعاون مع الكفار، ووضحت أن إطلاق الحكم في المثال السابق كان حكماً خاطئاً.

## الوحدة التدريبية الرابعة

### المعلم ودوره في وقاية الطلاب من الانحراف الفكري

#### اليوم التدريبي الرابع

الأيام	الموضوع	أسلوب التدريب	الزمن المقترح
اليوم الثاني =====	دور المعلم في تحقيق الأمن الفكري	نشاط ( ١ / ١ / ٢ )	٥٠ دقيقة
		عرض	٥٠ دقيقة
مدتها ١٠٠ دقيقة			
استراحة			
اليوم الثاني =====	الحماس الديني	نشاط ( ٢ / ١ / ٢ )	٣٥ دقيقة
		عرض	٣٥ دقيقة
الجلسة الثانية مدتها			
التقويم البعدي			
تقويم المدرب ، قياس اتجاهات المتدربين			
١١٠ دقيقة			

مؤتمر ظاهرة التكفير .. الأسباب .. الآثار .. العلاج

## الوحدة التدريبية الرابعة

### موضوعات الوحدة التدريبية الرابعة:

- دور المعلم في تحقيق الأمن الفكري.
- الحماس الديني غير المنضبط.

### الأهداف السلوكية للوحدة التدريبية الرابعة:

- أن يحدد المتدرب دور المعلم في تحقيق الأمن الفكري.
- أن يقترح المتدرب أفضل السبل في توجيه الحماس الديني غير المنضبط لدى المراهق توجيهها سليماً.

### الزمن المخصص للوحدة التدريبية:

- نشاط ( ١ / ١ / ٣ ) مدته ٣٥ دقيقة.
- نشاط ( ٢ / ١ / ٣ ) مدته ٣٥ دقيقة.
- عروض وحلقات نقاش مدتها ٨٥ دقيقة.
- تقييم بعدي وقياس اتجاه وتقييم المدرب مدتها ٤٠ دقيقة.

### أدوات التدريب ووسائله:

- جهاز العرض فوق الرأس مع الشفافيات والأقلام.
- حاسب آلي مع بروجكتر وعروض باوربوينت.
- أدوات مكتبية للتدريب (ورق وأقلام).

## الوحدة التدريبية الرابعة ١ / ١ / ٢ النشاط التدريبي الأول

<input type="checkbox"/> نمط التدريب: <input type="checkbox"/> فردي <input type="checkbox"/> تعاوني	<input type="checkbox"/> موضوع النشاط التدريبي
<input type="checkbox"/> الزمن المقترح لتنفيذ النشاط	<input type="checkbox"/> دور المعلم في تحقيق الأمن الفكري
<input type="checkbox"/> ١٥ دقائق <input type="checkbox"/> (٢٥) دقيقة <input type="checkbox"/> ٣٥ دقيقة <input type="checkbox"/> ٥٠ دقيقة	<input type="checkbox"/> هدف النشاط التدريبي
<input type="checkbox"/> طبيعة النشاط التدريبي <input type="checkbox"/> نظري <input type="checkbox"/> عملي / تطبيقي	<input type="checkbox"/> أن يحدد المتدرب دور المعلم في تحقيق الأمن الفكري.

### إجراءات تنفيذ النشاط:

هنا مقولة مفادها أن (القضاء على ظاهرة الإرهاب لا يمكن أن تقوم به الجهات الأمنية فقط بمعزل عن المؤسسات التربوية)

#### أخي المتدرب:

بناء على هذه المقولة، بالتعاون مع أفراد مجموعتك، حدد دور التربوي الذي من الممكن أن يقوم به المعلم في تحقيق الأمن الفكري.

## دور المعلم في تحقيق الأمن الفكري.

يمكن إيجاز دور المعلم في تحقيق الأمن الفكري للطلاب في النقاط التالية:

- ترسيخ العقيدة الإسلامية الصحيحة والتمسك بثوابتها.
- تنمية قيم الانتماء والمواطنة.
- إشاعة ثقافة الحوار، وتقبل الرأي الآخر.
- تعزيز قيم الوسطية، والاعتدال.

ويستطيع المعلم تحقيق ذلك من خلال:

- الاختيار الأمثل لطرق التدريس المناسبة.
- تفعيل دور النشاط اللاصفي في المدرسة، وتركيز الجهود فيه على تحقيق الأمن الفكري.
- العدل في التعامل مع جميع منسوبي المدرسة.
- التشجيع على البحث والتحري والدقة.
- وأهم من ذلك كله أن يكون المعلم قدوة صالحة لجميع الطلاب في المدرسة.



## الوحدة التدريبية الرابعة ٢ / ١ / ٢ النشاط التدريبي الثاني

<p>☞ نمط التدريب: <input type="checkbox"/> فردي <input type="checkbox"/> تعاوني</p>	<p>☞ موضوع النشاط التدريبي</p>
<p>☞ الزمن المقترح لتنفيذ النشاط</p>	<p>مهارة توجيه الحماس الديني لدى الشاب</p>
<p><input type="checkbox"/> ١٥ دقائق <input type="checkbox"/> (٢٥) دقيقة <input type="checkbox"/> ٣٥ دقيقة <input type="checkbox"/> ٤٠ دقيقة</p>	<p>☞ هدف النشاط التدريبي</p>
<p>☞ طبيعة النشاط التدريبي</p> <p><input type="checkbox"/> نظري <input type="checkbox"/> عملي / تطبيقي</p>	<p>أن يقترح المتدرب أفضل السبل في توجيه الحماس الديني لدى المراهق توجيهها سليماً.</p>

### إجراءات تنفيذ النشاط:

في دراسة علمية حول ملامح النمو الروحي لدى المراهق، تبين أن من أهم تلك الملامح ( الحماس الديني ) ويقصد به: الاندفاع نحو التدين من خلال تأرجح المراهق بين الأمن والخوف. زيدان (المدرسة الثانوية العامة، ص ٢١٢ - ٢١٤)

### أخي المتدرب :

لقد فهم هذه الحقيقة بعض الأشرار، فقاموا باستغلال هذه الخاصية لدى الشاب لجرهم نحو الغلو والتطرف، بالتعاون مع مجموعتك، أقترح أفضل السبل في توجيه الحماس الديني لدى الشاب توجيهها سليماً.

## توجيه الحماس الديني غير المنضبط توجيهاً سليماً:

لا شك في أن الحماس الديني أمر مستحسن شرعاً متى ما ضبط بضوابط الشرع، فقد كان من هديه ﷺ بعث الحماس الديني وضبطه في نفوس الصحابة من خلال ترغيبهم بالخير، ومن أمثلة ذلك ما رواه أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه ﷺ يوم بدر: (قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض) فقال عمير بن الحمام الأنصاري: يا رسول الله! جنة عرضها السماوات والأرض؟ قال (نعم) قال: بخ بخ. فقال رسول الله ﷺ (ما يحملك على قولك بخ بخ) قال: لا. والله! يا رسول الله! إلى رجاء أن أكون من أهلها. قال: (فإنك من أهلها) فأخرج تمرات من قرنه. فجعل يأكل منهن. ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه، إنها لحياة طويلة. قال فرمى بما كان معه من التمر. ثم قاتل حتى قتل. مسلم (صحيح مسلم، ح/ ١(٩٠)).

وعلى النقيض من ذلك فإن الحماس الديني غير المنضبط بضوابط الشرع قد يشكل تهديداً لأمن الفرد والمجتمع، من الأمثلة التي تجسد بجلاء خطورة الحماس الديني غير المنضبط، ما نظمه شاعر الخوارج عمران بن حطان مدحاً وافتخاراً في من قتل علي بن أبي طالب ﷺ حيث يقول:

يا ضربة من تقى ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا  
إني لأذكره حيناً فأحسبه أوفى البرية عند الله ميزاننا  
أكرم بقوم بطون الطير قبرهم لم يخلطوا دينهم بغيا وعدوانا

الذهبي (سير أعلام النبلاء، ص ٢١٤).

لقد لخص الدكتور آل سليمان بعض من الإجراءات التربوية التي تقي من الغلو الذي قد أنشأه الحماس الديني غير المنضبط بضوابط الشرع المطهر في الآتي:

- توجيه الشاب إلى أن الله عز وجل يريد بعباده اليسر ولا يريد بهم، فلا يكلف الإنسان ما لا يطيقه، ولا يحزن على ما فاته إن لم يكن في وسعه.
- بيان أن الوسطية هي الأدموم للعمل ومن ثم فهي الأعظم في الأجر، عن عائشة رضي الله عنها أن الرسول ﷺ قال (سددوا وقاربوا، واعلموا أنه لن يدخل أحدكم عمله الجنة، وأن أحب الأعمال أدومها إلى الله وإن قل) رواه البخاري.
- توجيه الشاب نحو تعلم العلم الشرعي الصحيح على يد العلماء الموثوق بعلمهم.

## المراجع

- الألباني، محمد ناصر. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل. المكتب الإسلامي. بيروت. ١٣٩٩ هـ.
- الألباني، محمد ناصر. صحيح الجامع الصغير وزيادته. ط ٣. المكتب الإسلامي. بيروت. ١٤٠٨ هـ.
- الألباني، محمد ناصر. وجوب الأخذ بحديث الأحاد في العقيدة والرد على شبه المخالفين.
- البخاري، محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري. تحقيق محب الدين الخطيب. المكتبة السلفية. القاهرة. ١٤٠٠ هـ.
- الدويش، محمد. الخضير، سليمان. دليل معلم العلوم الشرعية. وزارة التربية والتعليم. الرياض. ١٤٢٦ هـ.
- آل سليمان، عبدالله. تصور مقترح لوضع خطوات إجرائية تربوية لوقاية فكر الشباب من الانحراف في ضوء التربية الإسلامية. كلية الملك فهد الأمنية. الرياض. ١٤٣١ هـ.
- العبيد، إبراهيم. تعزيز ثقافة الحوار ومهاراته لدى طلاب المرحلة الثانوية الدواعي والمبررات والأساليب. مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني. الرياض. ١٤٣٠ هـ.
- العتيبي، بندر. وجادلهم بالتي هي أحسن مناقشة علمية هادئة لـ ١٩ مسألة متعلقة بأحكام المسلمين. ط ٤. الرياض. ١٤٢٦ هـ.
- فلمبان، هلال. دور الحوار التربوي في وقاية الشباب من الإرهاب الفكري. مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني. الرياض. ١٤٢٩ هـ.
- القاسم، وجيه. وآخرون. دليل المعلم لتنمية مهارات التفكير. وزارة التربية والتعليم. الرياض. ١٤٢٧ هـ.



- النيسابوري، مسلم. صحيح مسلم. تحقيق. محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء الكتب العربية. ١٣٧٤ هـ.
- الهيثمي، علي بن أبي بكر. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. مؤسسة المعارف. ١٤٠٦ هـ.
- زيدان، محمد. المدرسة الثانوية العامة بالمملكة العربية السعودية. دار الشروق للنشر والتوزيع. جدة. ١٤٠٢ هـ.
- الذهبي، محمد. سير أعلام النبلاء. مؤسسة الرسالة. بيروت. ١٤٠٤ هـ.

## الملاحق

### التقويم القبلي للحقيبة التدريبية

الزمن المقرر للتقويم: (٢٠) دقيقة.

هذا الاختبار ينتمي إلى الاختبارات الموضوعية (الاختيار من متعدد) وهو يقدم للمتدرب أربع خيارات لكل سؤال، واحدة منها فقط تعد إجابة صحيحة، وعلى المتدرب اختيار الإجابة الصحيحة للحصول على الدرجة المخصصة للسؤال.

أخي المتدرب:

اختر الإجابة الأصح عن كل سؤال من الأسئلة التالية بوضع علامة (✓) بين القوسين أمام الإجابة الأصح من وجهة نظرك:

**س ١- قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَإِثْمَ وَالْبَغْيِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ سورة الأعراف آية ٣٣، نصت هذه الآية على أمر مهم يحفظ للمجتمع أمنه ويعصمه من الوقوع في الفوضى الفكرية، وهو:**

- أ - ( ) توحيد مصدر التلقي في العقائد والعبادات والقضايا الكبرى.  
ب- ( ) النهي عن الابتداع في الدين.  
ج- ( ) تحريم الإفتاء بغير علم.  
د - ( ) جميع الخيارات صحيحة.

س ٢- فتح باب الشر في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه كان بسبب.

أ - ( ) مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه.

ب - ( ) الإنكار العلني من خلال ذكر العيوب أمام الناس.

ج - ( ) ظهور الفرق الضالة كالخوارج.

د - ( ) الخيار (أ، ب) صحيحان.

س ٣- أي من الخيارات التالية يُعد ترتيباً صحيحاً لخطوات الإجرائية لمنهج التأصيل الشرعي

أ - ( ) الاستدلال بالقرآن، الاستدلال بالسنة، الجميع بين القرآن والسنة إن أمكن.

ب - ( ) الجميع بين القرآن والسنة إن أمكن، الاستدلال بالقرآن، الاستدلال بالسنة.

ج - ( ) الإمام باللغة العربية، الاستدلال بالقرآن، الاستدلال بالسنة، الجمع بينهما.

د - ( ) الإمام باللغة العربية، الاستدلال بالقرآن، الاستدلال بالسنة، الإمام بأصول الفقه.

س ٤- من مهارات الحوار المعززة للأمن الفكري في المجتمع.

أ - ( ) إخلاص النية لله عز وجل.

ب - ( ) المصداقية والأمانة.

ج - ( ) تعدد زوايا الرؤية.

د - ( ) البعد عن التعصب.

س ٥- قال أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام لابن عباس رضي الله عنه عندما استأذنه في مناقرة الخوارج: (أخشى عليك منهم)، وتلك المقولة تفيد بأن من علامات أصحاب الفكر المنحرف.

- أ - ( ) الانعزالية عن العلماء.  
ب - ( ) استخدام العنف.  
ج - ( ) الاستعجال في إصدار الأحكام.  
د - ( ) قلة الفقه في الدين.

س ٦- يعتبر غياب الحوار والتواصل في إطار الأسرة من أهم الأمور التي تجعل الشاب عرضة للانحراف. ومن صور التي يمكن من خلال الحكم بأن الحوار والتواصل غائب في إطار الأسرة:

- أ - ( ) إذا كان التواصل بين الأبناء والبنات يأخذ اتجاه واحد، من الأبناء إلى البنات.  
ب - ( ) إذا كان الأب معزول تماماً عن الأسرة.  
ج - ( ) إذا كان التواصل المباشر بين الأبناء مفقوداً.  
د - ( ) جميع الخيارات صحيحة.

س ٧- تتم عملية ملاحظة مظاهر الانحراف الفكري من خلال.

- أ - ( ) المشاهدة والمراقبة والإدراك.  
ب - ( ) التحسس والوضوح ومع الاقتران بالسبب.  
ج - ( ) التأمل والانتباه.  
د - ( ) السرعة مع وضوح الهدف.



س ٨- تكون مهارة توقع النتائج ذات جدوى عالية في الوقاية من الانحراف الفكري إذا.

- أ - ( ) بُنيت التوقعات على مقدمات سليمة.  
ب - ( ) كانت النتائج فورية.  
ج - ( ) كانت التحليلات مقنعة.  
د - ( ) الخياران (أ، ج) صحيحان.

س ٩- تسهم مهارة اعتبار جميع العوامل في توفير الوقاية من الانحراف الفكري وهي مهارة تستهدف في المقام الأول.

- أ - ( ) القائمين على إصلاح الشباب.  
ب - ( ) المؤسسات الأمنية.  
ج - ( ) الشاب المنحرف فكرياً.  
د - ( ) الشاب السوي.

س ١٠- من أهم الأمور التي تساعد المعلم في أداء رسالته التربوية المتمثلة في وقاية الشباب من الانحراف الفكري.

- أ - ( ) تفعيل دور النشاط اللاصفي في المدرسة والمتعلق بمبادئ التسامح والوسطية.  
ب - ( ) الاختيار الأمثل لطرق التدريس المعززة لثقافة الحوار كطريقة المناقشة.  
ج - ( ) الحرص على أن يكون قدوة صالحة لجميع الطلاب في المدرسة.  
د - ( ) جميع الخيارات صحيحة.

## مفتاح الإجابات للتقويم القبلي

ج	:	س١
ب	:	س٢
أ	:	س٣
ج	:	س٤
ب	:	س٥
د	:	س٦
أ	:	س٧
د	:	س٨
د	:	س٩
ج	:	س١٠

مؤتمر ظاهرة التكفير .. الأسباب .. الآثار .. العلاج

## التقويم البعدي للحقيبة التدريبية

الزمن المقرر للتقويم: (٢٠) دقيقة :

هذا الاختبار ينتمي إلى الاختبارات الموضوعية (الاختبار من متعدد) وهو يقدم للمتدرب أربع خيارات لكل سؤال، واحدة منها فقط تعد إجابة صحيحة، وعلى المتدرب اختيار الإجابة الصحيحة للحصول على الدرجة المخصصة للسؤال.

أخي المتدرب:

اختر الإجابة الأصح عن كل سؤال من الأسئلة التالية بوضع علامة (✓) بين القوسين أمام الإجابة الأصح من وجهة نظرك:

س ١- تتم عملية ملاحظة مظاهر الانحراف الفكري من خلال.

أ - ( ) المشاهدة والمراقبة والإدراك.

ب - ( ) التحسس والوضوح ومع الاقتران بالسبب.

ج - ( ) التأمل والانتباه.

د - ( ) السرعة مع وضوح الهدف.

س ٢- فتح باب الشر في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه كان بسبب.

أ - ( ) مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه.

ب - ( ) الإنكار العلني من خلال ذكر العيوب أمام الناس.

ج - ( ) ظهور الفرق الضالة كالخوارج.

د - ( ) الخيار (أ، ب) صحيحان.

س ٣- من أهم الأمور التي تساعد المعلم في أداء رسالته التربوية المتمثلة في وقاية الشباب من الانحراف الفكري.

- أ - ( ) تفعيل دور النشاط اللاصفي في المدرسة والمتعلق بمبادئ التسامح والوسطية.
- ب - ( ) الاختيار الأمثل لطرق التدريس المعززة لثقافة الحوار كطريقة المناقشة.
- ج - ( ) الحرص على أن يكون قدوة صالحة لجميع الطلاب في المدرسة.
- د - ( ) جميع الخيارات صحيحة.

س ٤- أي من الخيارات التالية يُعد ترتيباً صحيحاً لخطوات الإجرائية لمنهج التأصيل الشرعي

- أ - ( ) الاستدلال بالقرآن، الاستدلال بالسنة، الجميع بين القرآن والسنة إن أمكن.
- ب - ( ) الجميع بين القرآن والسنة إن أمكن، الاستدلال بالقرآن، الاستدلال بالسنة.
- ج - ( ) الإمام باللغة العربية، الاستدلال بالقرآن، الاستدلال بالسنة، الجمع بينهما.
- د - ( ) الإمام باللغة العربية، الاستدلال بالقرآن، الاستدلال بالسنة، الإمام بأصول الفقه.

س ٥- قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ سورة الأعراف آية ٣٣، نصت هذه الآية على أمر مهم يحفظ للمجتمع أمنه ويعصمه من الوقوع في الفوضى الفكرية، وهو:

- أ - ( ) توحيد مصدر التلقي في العقائد والعبادات والقضايا الكبرى.  
 ب - ( ) النهي عن الابتداء في الدين.  
 ج - ( ) تحريم الإفتاء بغير علم.  
 د - ( ) جميع الخيارات صحيحة.

س ٦- من مهارات الحوار المعززة للأمن الفكري في المجتمع.

- أ - ( ) إخلاص النية لله عز وجل.  
 ب - ( ) المصداقية والأمانة.  
 ج - ( ) تعدد زوايا الرؤية.  
 د - ( ) البعد عن التعصب.

س ٧- يعتبر غياب الحوار والتواصل في إطار الأسرة من أهم الأمور التي تجعل الشاب عرضة للانجراف. ومن صور التي يمكن من خلال الحكم بأن الحوار والتواصل غائب في إطار الأسرة:

- أ - ( ) إذا كان التواصل بين الأبناء والبنات يأخذ اتجاه واحد، من الأبناء إلى البنات.  
 ب - ( ) إذا كان الأب معزول تماماً عن الأسرة.  
 ج - ( ) إذا كان التواصل المباشر بين الأبناء مفقوداً.  
 د - ( ) جميع الخيارات صحيحة.

س ٨- تكون مهارة توقع النتائج ذات جدوى عالية في الوقاية من الانحراف الفكري إذا.

- أ - ( ) بُنيت التوقعات على مقدمات سليمة.  
ب - ( ) كانت النتائج فورية.  
ج - ( ) كانت التحليلات مقنعة.  
د - ( ) الخياران (أ، ج) صحيحان.

س ٩- قال أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام لابن عباس رضي الله عنه عندما استأذنه في مناظرة الخوارج: (أخشى عليك منهم)، وتلك المقولة تفيد بأن من علامات أصحاب الفكر المنحرف.

- أ - ( ) الانعزالية عن العلماء.  
ب - ( ) استخدام العنف.  
ج - ( ) الاستعجال في إصدار الأحكام.  
د - ( ) قلة الفقه في الدين.

س ١٠- تسهم مهارة اعتبار جميع العوامل في توفير الوقاية من الانحراف الفكري وهي مهارة تستهدف في المقام الأول.

- أ - ( ) القائمين على إصلاح الشباب.  
ب - ( ) المؤسسات الأمنية.  
ج - ( ) الشباب المنحرف فكرياً.  
د - ( ) الشباب السوي.

## مفتاح الإجابات للتقويم البعدي

أ	:	س ١
ب	:	س ٢
د	:	س ٣
أ	:	س ٤
ج	:	س ٥
ج	:	س ٦
د	:	س ٧
د	:	س ٨
ب.ب	:	س ٩
د	:	س ١٠

## تحديد اتجاهات المتدربين نحو البرنامج التدريبي

### مقياس الاتجاه نحو البرنامج التدريبي

م	الفقرة	موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة
١	أؤيد إقامة مثل تلك الدورات لجميع المعلمين					
٢	أحرص على الانضمام لأي عمل متعلق بالأمن الفكري داخل المدرسة					
٣	أتمنى أن تتاح لي الفرصة للاشتراك في أية برامج تدريبية مشابهة					
٤	سأكون سعيداً لو طُلب مني إقامة هذه الدورة للطلاب في مدرستي					
٥	هناك مبالغة في تقدير خطر الانحراف الفكري لدى الطلاب					
٦	الالتحاق بهذه الدورة يشعرنني بأني متهم بالانحراف الفكري					
٧	دور المدارس ضعيف جداً في تعزيز الأمن الفكري لازدحام الحصص					
٨	تعزيز الأمن الفكري مسؤولية مدير المدرسة والوكيل والمرشد الطلابي					
٩	أحرص على أن أعرف جميع ما يتعلق بالطلاب في مدرستي					
١٠	أمتنع عن التعامل والاحتكاك مع أي طالب منحرف فكرياً إذا ثبت لدى ذلك					

مؤتمر ظاهرة التكفير .. الأسباب .. الآثار .. العلاج



## تقويم المدرب

الدرجة ( قيم من ١٠ )	العبرة	م
	التزام المُدرب بخطة البرنامج التدريبي	١
	إدارة المُدرب لوقت البرنامج التدريبي بشكل جيد	٢
	قدرة المُدرب على الربط بين الموضوعات	٣
	قدرة المُدرب على توصيل الأفكار بشكل مُيسر	٤
	قدرة المُدرب على جذب انتباه المتدربين	٥
	القدرة على النقاش وإدارة الحوار	٦
	قدرة المُدرب على تنشيط المتدربين	٧
	قدرة المُدرب على استخدام تقنيات التدريب بشكل مناسب	٨
	قدرة المُدرب على المحافظة على انضباط وجدية الجلسة	٩
	بشكل عام أنا راض عن أداء المُدرب	١٠

مؤتمر ظاهرة التكفير .. الأسباب .. الآثار .. العلاج

## الخاتمة

يأمل مُعدو الحقيية أن يكونوا قد وُفقوا في تصميم الحقيية بما يحقق الأهداف المنشودة لها، وأن تكون خير معين لمن أراد إكساب طلابه ومعلميه مهارات التعامل مع الشُّبه التكفيرية، كما يطمح المُعدون من كل من دَرَبَ بهذه الحقيية أو دُرِبَ بها أو اطلع عليها أن يقدم تغذية راجعة تُسهم في تطوير الحقيية؛ لتحقيق أكبر استفادة ممكنة منها.

نسأل الله عزَّ وجلَّ أن ينفع بهذا الجهد المتواضع، وأن يكون إسهاماً يفي بجزء يسير من حقِّ هذا الوطن العزيز وشبابه علينا.  
سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العلمين.



ظاهرة التكفير .. الأسباب والعلاج والآثار



# إستراتيجيات تربوية تعليمية في علاج ظاهرة التكفير

د. كوني صواليحو

أستاذ بكلية اللغة العربية والدراسات الأدبية  
في الجامعة الإسلامية بالنيجر



مؤتمر ظاهرة التكفير .. الأسباب .. الآثار .. العلاج

## تقديم

يبلور مشروع هذا البحث الميزة الفذة لدور المؤسسات التربوية التعليمية في علاج ظاهرة التكفير، وقدرتها بطاقتها التعليمية على خلق آليات ومقومات فاعلة ومفعلة في لجم تمرد زحف فكرة التكفير الخاطئة، التي بدأت تتبوأ مكانتها الخطيرة، وبدأ خطرهما يتفاقم في المجازر البشرية البشعة التي تخذش صورة الحضارة الإسلامية.

تتحتم هنا ضرورة وأهمية عنواننا المفضل الذي هو: "إستراتيجيات تربوية تعليمية في علاج ظاهرة التكفير". كوسيلة من وسائل علاج وقمع هذا التيار الغريب على رسالة الإسلام، والحد من انتشاره. فالإستراتيجيات التربوية التعليمية هي التي تتضمن المرتكزات الأساسية لأي مجتمع في تكوين نوع معين من البشر، وطنيا وعقديا وأخلاقيا ومعرفيا... إلخ؛ ومن ثم، فإن تطور التنمية البشرية، ورفق روح التعايش، والتسامح، والتضامن، وفق رؤية إسلامية وسطية صحيحة، رهين بنجاح نوعية الإستراتيجية التربوية التعليمية، التي ترسمها الأجهزة التربوية الإسلامية للمسار التعليمي في جميع مراحلها، ويتعلق الأمر بتحديد نوعية المخرجات التعليمية الإسلامية لكل مرحلة من مراحل التعليم.

ستبدو إذن ظاهرة التكفير في هذا المشروع كأزمة فكرية دينية تربوية اجتماعية، يمكن معالجتها عبر الوسائل التربوية التعليمية للمؤسسات التعليمية الأساسية والعالية؛ وذلك بتفعيل برامج التربية الإسلامية بطرق معرفية عقدي من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الصحيحة، والأحداث التاريخية، المفعمة بأرقى المعاني الإنسانية المتحضرة، ووضع خطة تربوية جديدة، لأهداف بعيدة المدى، وأخرى قريبة المدى، تساهم في إعادة بناء عقلية

النشء على مبدأ التعايش الجماعي، والتسامح، واحترام الآخر، داخل تعددية الرؤى والمواقف.

وهكذا يسعى هذا الموضوع إلى معالجة ظاهرة التكفير، عن طريق الاستفادة من التطور الفني والعلمي والفكري الذي حصل في الحقل التربوي التعليمي، بحيث أصبح من الإمكان وضع إستراتيجيات في هذا الحقل لتحقيق هدف ما، ويتطلب الأمر تحيين إمكانات وقدرات مناسبة للظرف. فنحن إذن إزاء رؤية إستراتيجية تنموية، تستلزم توظيف فهم صحيح لثلاثية الإيمان/العقل/ العمل، وتستلزم كذلك توظيف التفكير الإسلامي الصحيح، ورؤيته الإنسانية القيمة إلى كرامة الإنسان، وحاجة هذا الإنسان إلى ضرورة التكامل الفكري والثقافي والمعرفي والعلمي لضمان عمارة الأرض، وتحقيق دور الاستخلاف. فالإنسان هو المحور الأساس لهذا الوجود الكوني؛ ولذا استحق من طرف الخالق التكريم والتفضيل على كثير من المخلوقات.

**ويبلور هذا الموضوع مشروعه وتصوره التربوي التعليمي لمعالجة "ظاهرة التكفير" في ثلاثة محاور، وهي على النحو الآتي:**

- ١- مفهوم الإستراتيجية بين النظرية والتطبيق.
- ٢- ضرورة التربية والتعليم لقمع ظاهرة التكفير.
- ٣- رؤية إستراتيجية للتدريس المضاد لظاهرة التكفير.

## ١- مفهوم الإستراتيجية بين النظرية والتطبيق

الأصل اليوناني لكلمة الإستراتيجية هو Stratēgos، التي كان يقصد بها الأمر العسكري في عصر الديمقراطية اللاتينية. وبناء على هذا الأصل العسكري، عرّف قاموس Encarta كلمة الإستراتيجية بأنها: فن تنسيق مجموعة من القوى لإعداد حرب أو تنظيم دفاع<sup>(١)</sup>. وعرفها أندريه بوفر بأنها فن استخدام القوة للوصول إلى أهداف سياسية<sup>(٢)</sup>.

ومن هذا المجال العسكري نشأ مفهوم كلمة الإستراتيجية كفن تنظيم وتخطيط وتنسيق عسكري جماعي، فهي بذلك معرفة إنسانية اصطلح على تسميتها الفن الحربي أو الفن العسكري. ويتضافر الجانب الفني مع الجانب المعرفي، يتضح مفهوم الحتمية المدرسية أو التعليم التي توسع دائرة ممارسة التنظير والتطبيق لمفهوم الكلمة في مختلف مجالات الحياة السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والتعليمية، والرياضية، وغيرها من المجالات التي تتطلب تخطيطاً إدارياً منسقاً ومحكماً، لا يخطئ الهدف المنشود، سواء على مستوى المدى القريب أو المتوسط أو البعيد.

وبناء على هذه المرونة المعرفية لكلمة الإستراتيجية، عرفها قاموس Encarta مرة أخرى في نطاق أوسع، بأنها فن التنظيم والتنسيق للوصول إلى هدف ما<sup>(٣)</sup>. وهكذا في المجتمع المعاصر «ظهر مصطلح الإستراتيجية العظمى ليعني استخدام كل الوسائل والمواد لتحقيق أهداف معينة سواء في السلم أو

(١) Microsoft® Encarta® 2006. © 1993–2005 Microsoft Corporation.

(٢) مفهوم الإستراتيجية: الملتقى، قسم الفكر والتربية، السقيفة للتربية الفكرية والسياسية، ١٥ / ٤ / ١٤٢٩. موقع على الانترنت.

(٣) Microsoft® Encarta® 2006. Ibid

الحرب»<sup>(١)</sup>.

ومن خلال هذه التعريفات التي اكتفينا بها، تعتبر الإستراتيجية واحدة من الظواهر الديديكتيكية الضرورية في حياة الإنسان؛ لأن التخطيط والتنظيم المحكم سرّ الوصول إلى كل هدف منشود. وتعتبر كذلك من الناحية المعجمية مصطلحا معرفيا، يحمل في طياته أسسا ومبادئ علمية، الأمر الذي يجعل من الصعب أن نعتد بديلا عربيا صرفا مستوحى من المعجم العربي، هروبا من مسألة التبعية الغربية المكروسة لهواجس الشعور بالنقص أو الدونية. ولا يمكن كذلك أن يقوم مقامه مصطلح من المصطلحات المقترنة به والواصفة لبعض أجزاءه، عربية كانت كالتخطيط والتصميم والتنظيم...، أو غربية كالتكتيك (الذي يعني في أصله العسكري فن استخدام الأسلحة لتحقيق النصر)، واللوجستيك (الذي يعني علم الشؤون الإدارية).

وحيث تبنت الحداثة مقولة الإستراتيجية شهد مفهومها تطورا سريعا، وتوسعت دائرتها الفنية والمعرفية، واستقادت منها المعارف والعلوم الإنسانية الأخرى، وبالنسبة لعلوم التربية والتعليم فقد نُزِعَ من الكلمة مفهومها العسكري العنيف الشرس، وحُلِيت بمفهوم تربوي تعليمي لطيف أليف. وهكذا بقي شكل الركائز الثلاث لكلمة الإستراتيجية مع لمسة تربوية تعليمية واضحة في المضمون:

الركيزة الفنية: وهي ركيزة فطرية، وتتأسس هنا على الذكاء في مجال التربية والتعليم.

الركيزة العلمية: وهي ركيزة مكتسبة، وتتأسس هنا على الأسس والقواعد التربوية التعليمية.

(١) خليل إبراهيم السعادات: هل لديك إستراتيجية؟ صحيفة يومية تصدرها مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر، الأربعاء ١ شؤال ١٤٢١، ط. ١، العدد ١٠٣١٧. وقد نشرت هذه المقالة على الانترنت.



الركيزة الحركية: وهي مكتسبة، وتتأسس هنا على الإجراءات الملائمة المنظمة المنسقة؛ لتنفيذ البرامج والخطة التربوية التعليمية المصممة حتى يتحقق الهدف.

وعلى هذه الركائز يكمن مفاد الحاجة التربوية التعليمية الإسلامية إلى ضرورة وضع إستراتيجية للخروج من أزمة التكفير. ومن ثم ننظر إلى المؤسسات التعليمية كأكبر جهاز إيديولوجي، يؤمن تمرير إيديولوجية السلطة الحاكمة إلى عموم الشعب، خصوصا وأن كل دولة معاصرة الآن تنهج سياسة إجبارية التمدرس، مما يجعل هذه المؤسسات معبرا حتميا لجميع أفراد الدولة.

فالسلطة الحاكمة هي التي تحدد الهدف البعيد المدى، وتقدم تصورها لنوعية التفكير الذي تريده للشعب، ومن خلاله توضع الإستراتيجيات العليا للأداة التنفيذية؛ لتشكيل أو تخريج هذه النوعية المحددة سلفا. وحين تفاجأ السلطة السياسية بسيادة فكرة أو انتشار ظاهرة ما غير متوقعة، فهذا يعني أن هناك عطبا في الآلة الإستراتيجية، يجب فحصها وإصلاحها فورا أو تبديلها بآلة جديدة. وعليه يجب على الطاقم التربوي المتخصص أن يقوم بكل الإجراءات التربوية التعليمية اللازمة، لحل المشكلة على مستوى المؤسسات التعليمية.

وبنظرة فاحصة إلى مشكلة التكفير، التي نشأت في حوض الغلو داخل البيت الإسلامي صغيرة قبل أن تتحول إلى أزمة سياسية ضخمة داخل البيت وخارجه، نجد أنها من ثمار الإستراتيجيات التعليمية الفردية/ الجماعية الفوضوية، التي لم تكن السلطات الحاكمة في الدول الإسلامية واعية تماما بخطورتها المستقبلية، فالخطأ إذن تربوي تعليمي، ولا تُصلحه إلا المؤسسات التربوية التعليمية. ونؤكد هنا أن الحل العسكري العنيف ليس سوى توسعة

لتلك المجازر البشرية التي تشكلها أزمة التكفير.

«فلا بد من التنبيه إلى خطورة إطلاق القول بتكفير أهل البدعة والغلو دون نظر لتوفر الشروط وانتفاء الموانع. لأنه لا بد من التنبيه إلى أن السلف الصالح لم يكفروا أحدا بمجرد ذنب أذنبه أو بدعة ابتدعها أو أمر غلا فيه، إلا أن تكون شروط التكفير قد قامت في هذا المرء أو هذه الفرقة، وانتفت موانع التكفير»<sup>(١)</sup>.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن التوازن والوسطية هو ركيزة إستراتيجية الإسلام لمحاربة نزعتي التفريطي والإفراطى المتطرفتين، وقد قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا...﴾<sup>(٢)</sup>، ويقول الطبري - رحمه الله - في جامع البيان «قال أبو جعفر: وأنا أرى أن "الوسط" في هذا الموضع، هو "الوسط" الذي بمعنى: الجزء الذي هو بين الطرفين، مثل "وسط الدار" محرّك الوسط مثقله، غير جائز في "سينه" التخفيف.

وأرى أن الله تعالى ذكره إنما وصفهم بأنهم "وسط"، لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلو فيه، غلو النصارى الذين غلوا بالترهب، وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه - ولا هم أهل تقصير فيه، تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله، وقتلوا أنبياءهم، وكذبوا على ربهم، وكفروا به؛ ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه. فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها. وأما التأويل، فإنه جاء بأن "الوسط" العدل. وذلك معنى الخيار، لأن الخيار

(١) عبد الرحمن بن معلا اللويحق: مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر، ط. ١، ١٩٩٨، بدون

مكان، ج. ٣، ص. ٧٩٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

من الناس عدولهم. ذكر من قال: "الوسطُ العدلُ"<sup>(١)</sup>. ويعززه ابن القيم- رحمه الله- حيث يشير إلى قول بعض السلف: «ما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان إما إلى تضريط وإما إلى مجاوزة وهي الإفراط ولا يبالي بأيهما ظفر: زيادة أو نقصان.

وقال النبي لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: يا عبد الله بن عمرو إن لكل عامل شرة ولكل شرة فترة فمن كانت فترته إلى سنة أفلح ومن كانت فترته إلى بدعة خاب وخسر قال له ذلك حين أمره بالاعتقاد في العمل.

فكل الخير في اجتهاد باقتصاد وإخلاص مقرون بالإتباع كما قال بعض الصحابة: اقتصاد في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة فاحرصوا أن تكون أعمالكم على منهاج الأنبياء عليهم السلام وسنتهم"<sup>(٢)</sup>.

### ونقترح في هذا البحث وضع الإستراتيجيات التربوية التعليمية الآتية:

- ١- وضع إستراتيجية جديدة محكمة مضبوطة، لشرح وتحليل النصوص الدينية التي فهم منها التكفير خطأ، وإدراج هذه الشروح والتحليلات الصحيحة السمحة مكثفة في منهاج التعليم الأساسي والعالي على حد سواء.
- ٢- وضع إستراتيجية متخصصة في ترسيخ ذهنية التوازن والفقہ الوسطي الإسلامي الصحيح.
- ٣- وضع إستراتيجية للتعليم المضاد لظاهرة التكفير (المنهج، الكتب

(١) محمد بن جرير الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط. ١، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م، ج ٣، ص. ١٤٣.

(٢) محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي- بيروت، ط. ٢، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م، ج ٢، ص. ١٠٨.

- المقررة، الأستاذ، البحوث العلمية، مسابقات ثقافية وفكرية...).
- ٤- وضع إستراتيجية توعية مكثفة، عبر تنظيم الملتقيات والندوات والمؤتمرات المحلية والدولية.
- ٥- وضع إستراتيجية إعلامية، لنشر المعلومات والمعارف الفكرية الإسلامية الوسطية، عبر مختلف وسائل الإعلام المعاصرة.
- ٦- وضع إستراتيجية متخصصة، لتكوين الأئمة والدعاة، وتشكيل المنظمات والجمعيات، لنشر وترويج وترسيخ المبدأ الإسلامي الصحيح المضاد لظاهرة التكفير.
- ٧- وضع إستراتيجية متخصصة للإشراف التربوي على دروس الحلقات في المساجد، وتوجيهها نحو الأهداف التربوية التعليمية الرسمية للدولة. ونرى من الواجب على واضعي الإستراتيجيات التربوية التعليمية تبني ثلاثة مبادئ، تؤمّن إجراء العملية نحو الهدف التربوي المنشود، وتساعد على تحقيقه، وهي:

- اختيار الخطط الألف والألف والأكثر مرونة وملائمة مع ظروف الميدان.
- التدرج المحكم في استخدام مختلف الوسائل التربوية التعليمية.
- متابعة المناضلة حتى يتحقق الهدف.

إن الإستراتيجية التربوية التعليمية هي إذن- في نظرنا- فن توزيع واستخدام الإمكانيات والوسائل التربوية التعليمية والإدارية المختلفة، لتحقيق هدف تربوي أو إيديولوجي للسلطة. فهي تنظير في المستوى الأول، وتطبيق في المستوى الثاني، وليس المستوى الثاني سوى ضرورة عملية/ فعلية تقييم جودة الآلة الإستراتيجية في مظهرها الشكلي. وضمان نجاح الإستراتيجية رهين هنا بالتوأمة المنظمة والمنسقة بين مجموع عناصر الآلة.



وقيادة الإستراتيجية العليا التربوية التعليمية في حوزة وزارة التربية والتعليم، وهي الجهة المختصة بها لدى السلطة الحاكمة، فهي تابعة لها تنفيذ خططها عمليا، وعليها أن تسعى لتنفيذ هذه الخطط ورعايتها وحمايتها من كل مزائق حتى يتحقق الهدف المنشود.

نستطيع هكذا أن نسجل هنا ضرورة التربية التعليمية للجسم ظاهرة التكفير، عن طريق اعتماد إستراتيجيات تربوية تعليمية، مكرسة على ذهنية التوازن والرجوع إلى الوسطية الصحيحة، التي تحقق إعادة النهضة بالأمة الإسلامية على كل المبادئ والقيم الإنسانية الراقية المؤسسة على مبدأ التعايش مع الآخر؛ أي قبول فكرة تعددية الرؤى والمواقف داخل البيت الواحد وخارجه.

## ٢- ضرورة التربية والتعليم لقمع ظاهرة التكفير

إن الإنسان منذ نعومة أظفاره تتغلب عليه صفات بيولوجية غريزية تجعله يقرب إلى الحيوان في كثير من الأحيان، وعند هذه النقطة تبرز ضرورة التربية من أجل أنسنة<sup>(١)</sup> هذا الإنسان وتنشئته تنشئة إنسانية / اجتماعية، مما يجعله قادرا على العيش والعمل والاندماج وسط المجتمع، وهو أمر أدركه الإنسان منذ البدائية الساذجة.

إن المتأمل في تعريف التربية عند اللغويين- ولا حاجة إلى تكراره- يلاحظ هيمنة واضحة لمفاهيم متكررة: النشأة، الزيادة، النمو، الرعاية، التهذيب، التأديب... وهي مفاهيم متناسقة ومتكاملة. وقد حصرت لجنة التأليف لمؤسسة البلاغ مفهوم تعريف اللغويين وأصحاب المعاجم لكلمة التربية في تعريف هو «إنشاء الشيء حالا فحالا إلى حد التمام. يقال ربّه ورباه وربيه»<sup>(٢)</sup>.

أما من الناحية الاصطلاحية فقد تعددت التعريفات لمفهوم التربية، نتيجة تعدد المعارف والعلوم الإنسانية، ونكتفي هنا بعرض ثلاث منها، وهي: تعريف أفلاطون: التربية إعطاء الجسم والروح كل ما يمكن من الجمال، وكل ما يمكن من الكمال.

تعريف هيربرت: التربية إعداد الإنسان ليحيى حياة كاملة.  
تعريف جون ديوي: التربية هي صوغ وتكوين لفعالية الأفراد، ثم صبها في

(١) نقصد بالكلمة- إن صحت- جعل الإنسان إنسانا؛ أي إسعافه من الهيمنة البيولوجية الغريزية إلى الهيمنة الإنسانية الاجتماعية.

(٢) انظر لجنة التأليف: مؤسسة البلاغ، مبادئ في تربية النشء المسلم- طهران، ط. ١، ١٩٩٥، ص. ٧.

قوالب معينة، أي تحويلها إلى عمل اجتماعي مقبول من الجماعة<sup>(١)</sup>. ونلاحظ في التعريفات السابقة تنسيقا كبيرا بين المدلولات اللغوية والفلسفية والعلمية والتربوية لكلمة التربية، وهو تنسيق يؤكد ضرورة رعاية الفرد المربى جسميا وعقليا وروحيا، حتى ينضج ويندمج في كلية المجتمع الإنساني، مساهما بدوره في الرقي والتقدم.

إن الإنسان يولد إنسانا من ناحية التركيبية الفسيولوجية فقط، فلا يكون اجتماعيا أليفا، أو عالما مفكرا إلا بالتربية الهادفة الناجحة، ويمكن أن نسجل عند هذه النقطة ضرورة التربية والتعليم. «فالأطفال لا يولدون بشرا، بل يصيرون بشرا بفضل التربية»<sup>(٢)</sup>.

ومع أن الإنسان هو الحاصل على أكبر تكريم من الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾<sup>(٣)</sup>، فهو مكرم ومفضل على كثير من مخلوقات الله بالعقل، والنطق، والقدرة على اكتساب المعارف والعلوم، وعمارة الأرض. ومكرم كذلك بأحسن وأنسق تركيبية فسيولوجية، تتيح له أداء أكبر عدد من الحركات المختلفة لقضاء حوائجه، ويؤكد ذلك قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾<sup>(٤)</sup>. فإن هذا التكريم والتفضيل وحسن التقويم يعني أنه كائن قابل للتربية والتعليم، بناء على المقومات والاستعدادات الفطرية التي تتجسد في هذا التكريم المتأصل فيه. وكل هذه الخصائص والسمات التكريمية والتفضيلية الإلهية هي التي

(١) انظر باقر القرشي: النظام التربوي في الإسلام، دراسة مقارنة، دار الكتاب الإسلامي، ١٩٩٦، ص. ٣٢.

(٢) نفسه، ص. ٦.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

(٤) سورة التين، الآية: ٤.

تشكل في النهاية بنية مفهوم الإنسان، وتفسر كذلك حرص الإسلام على تربيته، وتكوين شخصيته تكويناً إسلامياً.

وحيث أخذت التربية المنحى العلمي، وتطورت من ناحيتي التنظير والتطبيق بفضل الباحثين المتخصصين أصبحت توأمة للتعليم، وكان من السهل وضع إستراتيجية تربوية تعليمية، لخلق نوع معين من الإنسان، أو لمكافحة ظاهرة همجية إنسانية.

وبنظرة دقيقة إلى الفلسفة التربوية الإسلامية، نلاحظ ارتباطاً وثيقاً بين ثلاثية الإيمان/العقل/العمل، التي تضمن جودة حياة الإنسان. وإذا اختل واحد أو أكثر من هذا الثالوث في التربية كانت تربية معوقة، لا تنتج إلا الفساد والحروب والتخلف... إلخ، وهذه هي حال المسلمين اليوم. وتشكل ظاهرة التكفير جزءاً صغيراً من هذا الخلل؛ ولذا لا مناص من إعادة النظر في إستراتيجية التربية التعليمية، لمعالجة هذه الظاهرة، وجعل مركز ثقلها على النقاط الآتية:

- ١- توجيه النصوص الدينية التي تبدو في ظاهرها أو في القراءات الخاطئة معارضة مع فكرة التعايش مع غير المسلمين.
- ٢- نبذ التعصب الأعمى للرأي، والانفتاح على الآخر للحوار والتعايش والتثاقف.
- ٣- الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، بعيداً عن كل صورة همجية بشعة.
- ٤- استخدام الوسائل المعاصرة لتوصيل المعرفة والمعلومات الصحيحة عن الدين، والعناية بالعلم والتكنولوجيا الحديثة.
- ٥- تغيير الصورة النمطية للمسلم المغالي في الدين المضاد لفلسفة التعددية بصورة نمطية لمسلم معتدل متوسط قابل للتعددية.



٦- نبذ النظرة الساذجة إلى كلية الإسلام عبر جزء صغير من مجموع أجزائه؛ لإصدار حكم التكفير.

«إن التربية الإيمانية هي تعدل المزاج المنحرف، وتقوم المعوج المفسد، وتصلح النفس الإنسانية. وقد انتبه علماء التربية والاجتماع في الغرب، وفي كثير من الأمم إلى الرابطة المتينة بين العقيدة والعمل فأصدروا توجيهاتهم وأعلنوا عن آرائهم ووجهات نظرهم بأنهم من غير دين لا يتم الاستقرار..»<sup>(١)</sup>.

وإذا كانت التربية التعليمية من أجل معالجة أزمة التكفير، فلا بد أن تُهندس نفس المربي المسلم على مبدأ التسامح والرفق على المسلم وغيره، فلا يعذب أحداً، لأنه لا يشاطره الرؤية أو الموقع، فالله وحده يحق له تعذيب العالمين دنويًا وأخرويًا. فقد روى الإمام مسلم أنه مرَّ هشام بن حكيم بن حزام رضي الله عنه على أناسٍ من الأنبياطِ بالشَّامِ قد أُقيمُوا في الشَّمْسِ فقال ما شأنهم قالوا حُبِسُوا في الجزية. فقال هشام أشهدُ لَسَمِعْتُ رسولَ الله - ﷺ - يقول: «إِنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا»<sup>(٢)</sup>. فكيف لمسلم أن يفجر مجلساً أو مركباً يرى فيه منكرًا أو مذهباً إسلامياً مغايراً لما هو عليه؟!

ومن المفيد جدا أن نشير هنا إلى ازدواجية تطبيق الإستراتيجية في الداخل والخارج. يعالج الشق الأول التكفير الداخلي الذي يسبب المجازر البشرية بين المسلمين أنفسهم، مع أننا لا نجد هذه الظاهرة السفهية في حياة السلف الصالح، رغم اختلافهم أحيانا في المواقع والرؤى، ويقول شيخ الإسلام- رحمه الله- في مجموع فتاواه: «أما من كان في قلبه الإيمان بالرسول وما جاء به وقد

(١) انظر عبد الله ناصر علوان: تربية أولادنا في الإسلام، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط. ٢،

١٩٩٥، ج ١، ص. ١٨٠.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، في كتاب البر والصلة والأدب، باب الوعيد الشديد لمن عذب الناس بغير حق، رقم ٦٨٢٤، الناشر: دار الجيل- بيروت ودار الأفاق الجديدة- بيروت، بدون طبعة وتاريخ.

غلط في بعض ما تأوله من البدع، فهذا ليس بكافر أصلاً، والخوارج كانوا أظهر الناس بدعة وقتالاً للأمة، وتكفيراً لها، ولم يكن في الصحابة من يكفرهم لا علي بن أبي طالب ولا غيره، بل حكموا فيهم حكمهم في المسلمين الظالمين المعتدين»<sup>(١)</sup>.

ويعالج الشق الثاني التكفير الخارجي الذي يسبب أزمة التعايش مع غير المسلمين. وتركز الإستراتيجية هنا على مبدأ التسامح والرحمة بالعالمين، وكان الرسول ﷺ يسامح ويعامل الجميع بالرحمة والرفق حتى اليهود الذين كان بعضهم جاراً مؤذياً له. وقد قال الله عز وجل: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾<sup>(٢)</sup>، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال عليه الصلاة والسلام: «من لا يرحم لا يرحم»<sup>(٣)</sup>. وتوسع الرحمة الإسلامية لتشمل الإنسان والحيوان، وعلى هذه العالمية يؤسس الإسلام جميع المبادئ الإنسانية. فعلى المسلم أن يعتبر هديه هذا رحمة من الله تعالى القائل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾<sup>(٤)</sup>، وقوله تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تُلَكُمُ

(١) عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب، مكتبة المعارف بالرباط - المغرب بدون تاريخ، ج. ٧، ص. ٢١٧.  
 (٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.  
 (٣) رواه الإمام البخاري في صحيحه، في كتاب الأدب المفرد، رقم ٩١، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية - بيروت، ط. ٣، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م، ص. ٤٦ (صححه الألباني).  
 (٤) سورة النساء، الآية: ٩٤.

الْجَنَّةُ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١﴾، وبهذه النظرة الإيمانية التوفيقية من الله تعالى إلى نعمة الهدى، مع المعرفة الصحيحة لتاريخ التعامل والتعايش والتشاقف المتبادل بين المسلمين وغيرهم- خصوصا أهل الكتاب منهم- من عصر النبوة إلى عصر الأندلس، يمكن معالجة أزمة الأمن والسلام والاستقرار العالمي التي تشكّلها ظاهرة التكفير، عبر خلق إستراتيجيات جديدة تعيد صياغة ذهنية جهاز التدريس مطبوعة بفكرة مضادة لهذه الظاهرة المنبوذة.

### ٣- رؤية إستراتيجية للتدريس المضاد لظاهرة التكفير

لقد لحق مهنة التدريس شيء من سوء الفهم أو سوء التقدير في كثير من المجتمعات بسبب أن البعض تصور أنه "مهنة من لا مهنة له" أي أن أي إنسان يستطيع أن يدرس، دون إعداد... أو حتى استعداد.

وقد أشار شاندرل Chandler إلى أن مهنة التدريس هي "مهنة الأم" وذلك لأنها تسبق جميع المهن الأخرى كما أنها لازمة لها، وهي بذلك تعتبر المصدر الأساسي الذي يمهد للمهن الأخرى ويمدها بالعناصر البشرية المؤهلة علمياً واجتماعياً وفنياً وأخلاقياً<sup>(١)</sup>.

يبدو من خلال هذا المقال أن التدريس فن وعلم، وليس مهنة لأي بطال لم يجد مهنة، كما أنها مهنة شريفة، وفي الوقت نفسه هشة جداً؛ بحيث إن فشلها يؤدي حتماً إلى هشم المستقبل الباهر المنتظر من الجيل الناشئ. ومن السهل جداً اتخاذ التدريس جهازاً إشهارياً أو دعائياً ضخماً، يروج إيديولوجية أو فكرة ما، ويجملها في ذهن المتلقي. فنمط إيديولوجية المتلقي هو بالضرورة نمط الإيديولوجية المهيمنة في الإستراتيجية المتبعة في تصميم محتوى المادة التعليمية، التي يجب أن تكون متحالفة مع ذهنية المدرس.

**فنحن إذن إزاء ثلاث ذهنيات، لا بد من تناسق وتحالف بينها في إستراتيجية التدريس المضاد لظاهرة التكفير:**

**١- ذهنية محتوى المادة التعليمية: وهي ذهنيان في ذهنية واحدة:**

ذهنية محتشدة بالنصوص العقيدية التي تكثر فيها الألفاظ الثلاثة

(١) انظر محمد عبد العليم مرسى: المعلم والمناهج وطرق التدريس، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع

الرياض، ط. ١، ١٩٨٥، ص. ١٥.

(الكفر، الظلم، الفسق)، والتي يلتصق بها في الغالب مفهوم التكفير الخاطئ، فعلى المادة التعليمية تلطيف هذه الألفاظ، وتوجيهها توجيهها صحيحا، يؤسس فلسفة الاعتدال والتوسط، كما أنه يجب على هذه المادة أن تميز بين ثنائية الكفر، (الكفر الذي يخرج من الملة، والكفر الذي لا يخرج من الملة)، أو بتعبير آخر (الكفر الاعتقادي والكفر العملي).

وتجدر الإشارة هنا إلى التمييز الذي أشار إليه عبد الله بن العباس - رضي الله عنهما - في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاحْشَوْنِي وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾<sup>(١)</sup>، حيث يقول: «ليس الكفر الذي تذهبون إليه، إنه ليس كفرا ينقل عن الملة، هو كفر دون كفر»<sup>(٢)</sup>. فمخالفة المسلم الشارع بفعل شيء لا يخرج من الملة، بل يبقى مسلما فاسقا في كلية الإسلام.

وذهنية محتشدة بأحكام المعاملات مع الناس عموما (مسلمون، كفار، أهل الكتاب)، فالنصوص المعتمدة هنا هي النصوص الإنسانية الاجتماعية، التي تحمل في طياتها الأسس والآداب التي تقوم عليها العلاقة مع الغير، والتعامل معه، وهي أسس وضوابط مبنية على الرحمة، والتسامح، والعدل، وفعل الخير... إلخ. وهذه هي الفلسفة الإنسانية الإسلامية العالمية.

إن ذهنية محتوى المادة التعليمية المقترحة هنا، تخرج بشكل واضح ومباشر في المادة التعليمية الدينية، ويمكن تمييز مختلف المواد والأنشطة التعليمية

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٤.

(٢) للتوسع في هذه المسألة ينظر محمد ناصر الدين الألباني: فتنة التكفير، ضمن كتاب فتاوى الألباني

ومقارنتها بفتاوى العلماء، إعداد عكاشة عبد المنان، ص. ٢٢٨ - ٢٥٢.

الأخرى بهذه الذهنية، بطريقة ذكية تحول المنهج كله- بمفهومه الواسع- إلى منهج موجه ضد ظاهرة التكفير. ومن ثم فإن صورة المجتمع داخل المقررات تكون مرآة مصقولة للحياة الإنسانية الحقيقية، تبرز فيها أنماط الشخصيات بمختلف أديانها وعقائدها وثقافتها ومعارفها وعلومها وعاداتها وتقاليدها، في احتكاك وتجاوز وتعامل وتكامل مع الشخصيات الإسلامية النمطية، التي تبرز وسط هذا المجتمع المتكامل في أحسن صورة إنسانية مسلمة. وتكون المادة التعليمية هنا مدعومة بأحسن نماذج المبادئ الإنسانية التي تقدم الصورة الصحيحة للإسلام. ونقدم على سبيل المثال لا الحصر ما يأتي:

■ مبدأ العدالة مع عموم الناس، ويقول الدكتور ربيع بن محمد بن علي: «ما أكثر الأمور التي ساوى الإسلام فيها بين المسلم والذمي باعتبار أن الجميع فيها سواسية أمام القانون الإلهي لا تفضيل ولا محاباة، ونذكر من ذلك في مجالات المعاملات العامة ما تضافرت على ذكره كتب التاريخ والسيرة من أن ابناً لعمرو بن العاص ضرب قبطياً فاقتص له عمر قائلاً له: "اضرب ابن الأكرمين"، كما قال وهو يوجه تعنيفه إلى القائد المسلم: "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً" .. ومن أن يهودياً شكاً في يوم ما علياً بن أبي طالب للخليفة عمر، فقال عمر لعلي: قم يا أبا الحسن فاجلس بجوار خصمك، ففعل علي وعلى وجهه علامة التأثر، فلما فصل عمر في القضية قال لعلي: أكرهت يا علي أن تساوي خصمك؟ قال: لا، لكنني تأملت لأنك ناديتني بكنيتي فلم تسو بيننا- ومعلوم أن الكنية للتعظيم- فخشيت أن يظن اليهودي أن العدل ضاع بين المسلمين.. فهل سجل التاريخ أو عرفت البشرية سماحة في التعامل ودقة في المساواة وصلت

إلى هذا الحد؟...»<sup>(١)</sup>. فسيدينا عمر بن الخطاب يُبرز في هذه النماذج المذكورة إنسانية العدالة في الإسلام، والتي يجب تطبيقها على عموم الناس.

■ مبدأ الإحسان إلى عموم الناس، وبالأحرى الجيران، ومن أحسن نماذجه ما أورده عمر بن علي الدمشقي، حيث يقول: «...إطعام المشركين من نُسك المسلم، يحتمل النُسك لواجب الذي لا يجوزُ للنَّاسِك أن يأكلُ منه، ولا أن يُطعمهُ الأغنياء، فأما غير الواجب الذي يُجزّيه إطعام الأغنياء، فيجوز أن يُطعمهُ أهل الدِّمَّة، قال - عليه الصلاة والسلام - لعائشة - رضي الله عنها - عند تفريق لحم الأضحية: "أهدِي جارنا اليهودي"<sup>(٢)</sup>. وروى الإمام البخاري: أن عبد الله بن عمرو دُبجت له شاة فجعل يقول لغلامه أهديت لجارنا اليهودي أهديت لجارنا اليهودي سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه<sup>(٣)</sup>.

■ مبدأ التعامل اللطيف، وذكر ابن إسحاق في قصة وفد نصارى نجران أنهم لما دخلوا المسجد النبوي دخلوا في تجمل وثياب حسان وقد حانت صلاة العصر فقاموا يصلون إلى المشرق فقال رسول الله - ﷺ - دعوهم فكان المتكلم لهم أبا حارثة بن علقمة والسيد والعاقب حتى نزل فيهم صدر من سورة آل عمران والمباهلة فأبوا ذلك وسألوا أن يرسل معهم أمينا فبعث

(١) ربيع بن محمد بن علي: الغارة على العالم الإسلامي وصدام الحضارات، ج. ١، ص. ٢٢٢. من موسوعة المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني.

(٢) عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي: اللباب في علوم الكتاب، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط. ١، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م، ج. ٦، ص. ٣٧٤.

(٣) رواه الإمام البخاري في صحيحه، في كتاب الأدب المفرد رقم ١٠٥، مرجع سابق، ص. ٥٠ (صححه الألباني).

معهم أبا عبيدة بن الجراح<sup>(١)</sup>. وبهذا التعامل اللطيف مع جميع الناس، والدعوة الحكيمة إلى الإسلام كان الرسول - ﷺ - رجلاً مثالياً، ورحمة كبيرة للعالمين.

إن نموذج صورة المجتمع الإسلامي في المواد التعليمية التي نريد تغييرها صورة وحدانية ساذجة، ومزوّرة- إن صح الوصف- لأن المتلقي لا يرى في هذا المجتمع إلا بشراً مثله، يكرهون الآخرين، ويشاطرونه نفس الإيديولوجية الواحدة والوحدانية. فينبغي أن يكون عالم المواد التعليمية عالماً يعكس تعددية العالم الواقعي، ويكون نمط المسلم الذي نريده وسط هذه التعددية بطلاً ناجحاً منحوتاً على شكل أهدافنا المنشودة.

## ٢- ذهنية المدرس: يملك المدرس قوة سحرية كبيرة:

من الصعب جداً أن ينفلت منها تلميذه، فالصورة النمطية للمعلم هي في الغالب أحسن نموذج في تصور التلميذ، ويرتفع مؤشر هذه القوة السحرية كلما كان مدرساً ناجحاً في طرق تواصله مع التلميذ، وخلق الجو الاجتماعي التربوي العلمي اللطيف معه.

إن حاجتنا إذن ملحة إلى توعية وتكوين المدرس أولاً وفق فلسفتنا وإستراتيجيتنا قبل توظيفه؛ لأن وجود أدنى عداوة بينه وبين إيديولوجية محتوى المادة التعليمية، يتطلب منه- ساعة التدريس- أن يتقمص شخصية أخرى لا يتفق معها في الواقع، وبالتالي تتحوّل مزاولة عملية التدريس داخل هذه المجاملة مع المادة إلى لعبة تمثيلية حقيقية، وينخفض بذلك مؤشر القوة السحرية الإقناعية في إستراتيجية التدريس إلى الدرجة الصفر.

وحين يصرح المدرس برفضه لمحتوى المادة التعليمية فإن التلميذ يشعر بأنه

(١) انظر إسماعيل بن عمر بن كثير: البداية والنهاية، مكتبة المعارف- بيروت، بدون تاريخ، ج. ٥، ص. ٥٦.



يعيش في عالم تربوي مضطرب، فلا بد له أن يجنح إلى أحد الحبيبين العزيزين عليه، المادة التعليمية أو المدرس. والتلميذ المسكين الذي ينشأ في حضان رموز تربوية متناقضة ومتناطحة سينشأ بالطبع إنسانا معوقا فكريا، ومتذبذبا سلوكيا.

### ٣- ذهنية التدريس: هي الجهاز الإجرائي التنفيذي لتشكيل نوعية الإنسان المحددة سلفا:

ويكتسي هذا الجهاز أهميته النمطية ضد ظاهرة التكفير، في كونه قناة توصيل لذهنية محتوى المادة التعليمية إلى المتلقي، فالإستراتيجية هنا تخاطب التدريس في حد ذاته بالدرجة الأولى قبل طريقة التدريس، باعتباره جهازا إشهاريًا أو دعائيا، يروج بضاعة ثقافية إسلامية معتدلة، تنافس في سوق العمل البضاعة التكفيرية، بل تسعى جاهدا لإسقاطها نهائيا.

فالتدريس المضاد لظاهرة التكفير يُدرّس يُمرّكز إستراتيجيته على تنمية الخصوصية الفردية داخل العمومية الجماعية؛ أي العيش والتعايش مع الآخر، ويتم تناول الآخر في إطار مفهوم القيم الإنسانية المشتركة التي يجب احترامها، فتعدد الثقافات والعادات والتقاليد سنة الله في خلقه، والوحدانية والكمال صفتان لله تعالى وحده، تقابلهما التعددية والتكامل المختصتين بالبشر. ونؤكد هنا أن سرّ نجاح التنمية وبناء الحضارات يكمن في هذه النقطة؛ ولذا فإن العمل الناجح للعالم كإنها للعيش الأبدى ينبغي أن يتأسس على رؤية إستراتيجية واضحة، تمحو الحدود العرقية والدينية والمذهبية بين مختلف الثقافات والمعارف والعلوم، التي تشكل جزءا من التكريم الإلهي للإنسان، وتكمن في هذا التصور حاجة البشر إلى التكامل لتفعيل هذا التكريم والاستفادة منه.

وهكذا ينبغي أن يكون التدريس نفسه مطبوعا بفكرة إعداد الفرد المسلم من أجل امتلاك قدرة التكيف مع التعددية، والحس الاعتقادي بأنها

إرادة إلهية لا بشرية. فعلى التدريس أن ينمّي ويوجّه جميع القوى الفردية نحو هذا الاعتقاد: قوة الجسم، قوة الذاكرة، قوة العقل، قوة المنطق، قوة الخيال المبدع...

وأما طريقة التدريس المضاد لظاهرة التكفير، فيكفي فقط تحيين نفس طرق التدريس العامة والخاصة المعروفة في الكتب المتخصصة، فكل ما على المدرس هو أن يُضمن بعملية التدريس تحقيق الهدف المنشود (إسقاط ظاهرة التكفير)، ويجعل هذا الهدف محور الحياة المدرسية، ومحور التوجيه والتقييم والقيوم.

## خاتمة

إذا كانت الإستراتيجية في أول نشأتها مصطلحا عسكريا، فإن الحياة العصرية قد طورت مفهوما، ووسعت دائرتها الفنية والمعرفية؛ نتيجة الحاجة الملحة المنسجمة مع المرونة الطبيعية في الكلمة. وهكذا وجدت جميع المعارف والعلوم الإنسانية الأخرى مدخلا للاستفادة منها، بما فيها علوم التربية والتعليم التي أضفت بدورها على هذه الكلمة مفهوما تربويا تعليميا لطيفا. ومن هذا المنطلق وضع هذا البحث العلمي المتواضع، عنوانه "إستراتيجيات تربوية تعليمية لعلاج ظاهرة التكفير" من أجل الإفادة بضمنان تخريج أجيال جديدة فاعلة ومفعلة، لنوعية المخرج التربوي التعليمي الإسلامي المتحضر الصحيح، المستوحاة من الكتاب والسنة والتاريخ.

إن ظاهرة التكفير- في نظر هذا البحث- من مواليد الرموز التربوية التعليمية الفردية أو الجماعية الفوضوية، التي لم تفهم الإسلام عقيدة وشريعة وعملا فهما صحيحا، وما أفسدته التربية التعليمية لا تصلح إلا بتربية تعليمية أخرى مضادة لها. وتلك رؤية فلسفية علمية تربوية، تضمن لهذا الموضوع اكتساء أهميته القصوى لمعالجة ظاهرة التكفير، وتأسيس فكرة التوازن والوسطية كبديل نمطي لمحاربة نزغتي التفريطي والإفراطي المتطرفتين؛ وذلك عن طريق إعادة صياغة ذهنية محتوى المادة التربوية التعليمية في شكل جديد، يضمن تخريج صورة نمطية لمسلم معاصر، يميز بين الكفر الاعتقادي والكفر العملي، ويؤمن بجميع المبادئ الإنسانية الأساسية التي حماها الإسلام، والتي تجعله مسلما منفتحا يحاور، ويتعامل، ويتكامل مع الآخرين داخل البيت الإسلامي وخارجه.

والتدريس المقترح هنا ضد ظاهرة التكفير هو التدريس المطبوع بفكرة إعداد الفرد المسلم، من أجل امتلاك قدرة التكيف مع التعددية، والحس الفكري بأن هذه التعددية إرادة إلهية، تلك الإرادة التي لم تشأ أن تجعل البشر أمة واحدة. كما أنه تدريس ينمّي ويوجّه بإستراتيجيته الجديدة جميع القوى الفردية الجسمية والذهنية والعقلية والمنطقية والخيالية نحو الفهم الصحيح للإسلام، ورسالته العالمية السمحة.

## قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم: مصحف المدينة المنورة، برواية حفص عن عاصم.
- ٢- الكتب:
- إسماعيل بن عمر بن كثير: البداية والنهاية، مكتبة المعارف-بيروت، بدون تاريخ، ج. ٥.
- باقر القرشي: النظام التربوي في الإسلام، دراسة مقارنة، دار الكتاب الإسلامي، ١٩٩٦.
- عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب، مكتبة المعارف بالرباط-المغرب، بدون تاريخ، ج. ٧.
- عبد الرحمن بن معلل اللويحق: مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر، ط. ١، ١٩٩٨، بدون مكان، ج. ٣.
- عبد الله ناصر علوان: تربية أولادنا في الإسلام، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط. ٢، ١٩٩٥، ج. ١.
- عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي: اللباب في علوم الكتاب، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط. ١، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م، ج. ٦.
- لجنة التأليف: مؤسسة البلاغ، مبادئ في تربية النشء المسلم- طهران، ط. ١، ١٩٩٥.
- محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي-بيروت، ط. ٢، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م، ج. ٢.
- حمد بن إسماعيل : حيح البخاري
- محمد بن جرير الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد

- شاکر، مؤسسة الرسالة، ط. ١، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م، ج ٣.
- محمد عبد العليم مرسى: المعلم والمناهج وطرق التدريس، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع- الرياض، ط. ١، ١٩٨٥.
- محمد ناصر الدين الألباني: فتنة التكفير، ضمن كتاب فتاوى الألباني ومقارنتها بفتاوى العلماء، إعداد عكاشة عبد المنان.
- مسلم بن الحجاج بن مسلم: صحيح مسلم، في كتاب البر والصلة والأدب، الناشر: دار الجيل- بيروت ودار الآفاق الجديدة- بيروت، بدون طبعة وتاريخ.

### ٣- الدوريات:

- خليل إبراهيم السعادات: هل لديك إستراتيجية؟ صحيفة يومية تصدرها مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر، الأربعاء ١ شوال ١٤٢١، ط. ١، العدد ١٠٣١٧.

### ٤- الإلكترونيات:

- ربيع بن محمد بن علي: الغارة على العالم الإسلامي وصدام الحضارات، ج. ١. من موسوعة المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني.
- مفهوم الإستراتيجية: الملتقى، قسم الفكر والتربية، السقيفة للتربية الفكرية والسياسية، ١٥ / ٤ / ١٤٢٩. موقع على الانترنت.
- Microsoft® Encarta® 2006. © 1993-2005 Microsoft Corporation.



ظاهرة التكفير .. الأسباب والعلاج والأثار



# أثر المناهج الدينية في القضاء على ظاهرة التكفير

د. عبد الله بن محمد السماعيل  
رئيس قسم الدراسات الإسلامية  
كلية الآداب ، جامعة الملك فيصل  
المملكة العربية السعودية



مؤتمر ظاهرة التكفير .. الأسباب .. الآثار .. العلاج



## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن المجتمعات الإسلامية تعيش أزمة تردد ونقل وتقليد وفقدان للهوية، أزمة فكرٍ بكلِّ ما تعنيه هذه الكلمة من معنى، والدليل على أن المشكلة تراوح مكانها حول الفكر هو نظرة الانزواء والاضمحلال لواقع المجتمعات الإسلامية ما جاء إلا نتيجة غياب الفكر من حياتهم، وغياب التعليم الفعال عن أنظمة تعليمهم. والفكر موجود في المجتمعات الإسلامية بشكل أو بآخر، إلا أن إخفاقه في إنهاض الأمة دليل على عدم فعاليته بالصفة التي هو عليها. لذا كان علينا تقرير مدى أهمية العقل - ومنه الفكر - وماهيته، والاستدلال به؛ الاستدلال الصحيح المفضي إلى فكرٍ مجدٍ وفعال.

وتأتي هذه الدراسة العلمية مساهمة متواضعة في هذا المجال، جعلتها بعنوان: "أثر المناهج الدينية في القضاء على ظاهر التكفير"، قصدت بذلك التأكيد على أهمية التعليم الديني الفعال الذي يحقق للمجتمع نهضته، ولل فرد الرضا والقناعة بما يعتقد، وقد انتظمت هذه الدراسة بعد المقدمة في خمسة مباحث وخاتمة، على النحو التالي:

- المبحث الأول: في ماهية العقل وأهميته.
- المبحث الثاني: في مشكلة المناهج الدينية.
- المبحث الثالث: في خصائص المناهج الدينية.
- المبحث الرابع: في أثر المناهج الدينية في الإصلاح.
- المبحث الخامس: في ضرورة تفعيل المناهج الدينية للقضاء على ظاهرة التكفير.

■ الخاتمة: وفيها عرض التوصيات التي أسفرت عنها هذه الدراسة. وبعد فاعلاً هذا المؤتمر يكون فاتحة خير، ومنطلقاً للعناية والاهتمام بالعلوم الدينية بشكل أكبر وحل مشكلاتها وتطويرها للارتقاء بجودة أدائها، حتى تكون ملائمة مع المتغيرات العالمية والمحلية، ثم إنني أتوجه بالشكر الجزيل للقائمين على هذا المؤتمر على إتاحة الفرصة للمشاركة، سائلاً الله تعالى أن يجزيهم على ذلك خير الجزاء، وأن يبارك في الجهود إنه سميع مجيب.

## المبحث الأول في ماهية العقل وأهميته

### أولاً: ماهية العقل:

يُعرّف العقل في معاجم اللغة بتعريفات مختلفة، فيعرف بأنه الحجر والنهى، والإمساك والتحكم والضبط والعلم بصفات الأشياء، ويوصف كذلك بأنه مكان الوعي، والفكر، والشعور، والإرادة، والقلب،.... والعقل: مأخوذ من عقلت البعير إذا جمعت قوائمه، وقيل: "العاقل" الذي يحبس نفسه ويردها عن هواها، وسُمي العقل عقلاً؛ لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك<sup>(١)</sup>.

### ثانياً: أهمية العقل:

ترجع أهمية العقل إلى أمور منها:

- بالعقل ميز الله الإنسان؛ لأنه منشأ الفكر الذي جعله مبدأ كمال الإنسان ونهاية شرفه وفضله على الكائنات، وميزه بالإرادة وقدرة التصرف والتسخير للكون والحياة، بما وهبه من العقل وما أودعه فيه من الفطرة قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾<sup>(٢)</sup>.
- وبالعقل يستطيع الإنسان التمييز والتمحيص وفهم نصوص الشريعة وتنزيلها على الواقع، فإن العقل بما يملك من طاقات إدراكية أودعها الله فيه ذات دور مهم في الاجتهاد والتجديد إلى يوم القيامة؛ وذلك بالنظر إلى

(١) انظر: لسان العرب مادة عقل ٤٥٨/١١.

(٢) سورة لقمان، آية رقم (٢٠).

انقطاع الوحي، فالعقل له دور في استقراء الجزئيات والأدلة التفصيلية التي يجمعها مفهوم معنوي عام، باعتباره مبنى من مباني العدل، وهي الأصول الكلية، والقواعد العامة التي تستشرف مقاصد ومصالح إنسانية مادية ومعنوية يعبر عنها بالحاجات والمطالب، والعقل يرد الفروع والجزئيات التي تنزل في الواقع، وليس لها نص إلى الأصول والكلديات المنصوصة من خلال ما عُرف بالقياس وغيره. وبدونه لا يمكن ربط الدين بالواقع.

■ العقل مناط التكليف بخطاب الشارع طلباً أو كفاً أو تخييراً أو وضعاً؛ لأن التكليف خطاب، وخطاب من لا عقل له ولا فهم محال، فالمجنون، والصبي الذي لا يميز، يتعذر تكليفه؛ لأن التكليف خطاب من الله ولا يتلقى ذلك الخطاب إلا من يعقل ويدرك معناه.

وهكذا تبدو ضرورة العقل وأهميته بوصفه أصلاً من أصول المصالح التي بدونها لا مجال للتلقي عن رسالة الوحي بوصفها مصدراً للمعرفة والعلم والتوجيه، ولا مجال لمسؤولية الخلافة الإنسانية وإعمار الكون دون وجود العقل، وإعمال دوره ووظيفته في الفهم والإدراك والتمييز بين المصالح والمفاسد، ومن هنا كفلت الشريعة أحكام حفظه باعتباره كياناً وجودياً في الإنسان، وضابطاً لدوره ووظيفته في الكون.

ومن هذا المنطلق يأتي منظور الشريعة في حفظ العقل، سواء من ناحية الوجود ابتداءً بتحصيل منفعته أو من ناحية درء المفاسد عنه أو المضار اللاحقة به.

فأحكام حفظ العقل من ناحية الوجود، هي الأحكام التي تقيم أركانه وتثبت قواعده بحيث تثمر منفعته فكراً مستقيماً، وعلومياً نافعة، ومعارف صالحة، فقد جاءت نصوص الشريعة تحث على العلم والنظر في آيات الله في

الكون، والتفكر فيها بما يعمق الإيمان بالله تعالى وهي أكثر من أن يتسع لها السياق هنا. قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾<sup>(١)</sup>، ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على هذا المعنى.

إن الإنسان يزداد عقلاً وتهذيباً وصقلاً بازدياد المعارف والعلوم. فإن مفهوم العلم - في الرؤية الإسلامية - الذي يفيد زيادة عقل، مفهوم شامل يؤدي إلى معرفة الله تعالى والتقرب إليه، بما يحقق مهمة الخلافة في الأرض، وعمارة الكون والحياة.

أما تدابير حفظ عقول الأمة من ناحية ما يدرأ عنها الخلل الواقع أو المتوقع فيتمثل في موقف الإسلام من صور الغلو والانحراف الفكري.

والفكر قد يكون مجرد رأي وصل إليه العقل بطريقة أو بأخرى، وقد يكون عقيدة عند الاقتناع به وتحرك الوجدان نحوه، وانفعال النفس به انفعالاً يظهر أثره في القلب والسلوك، ومن الانحراف في الرأي التعصب لحكم اجتهادي ليس له دليل قاطع في ثبوته أو دلالاته. ومن الانحراف في العقيدة إنكار وجود الإله الخالق، وكذلك الغلو في الإيمان بوجوده، غلوً يتنافى مع ما يجب له من الجلال والجمال.

فمن أخطر أنواع الانحراف انحراف الفكر والبعد به عن القصد إفراطاً أو تقريظاً، ذلك أن السلوك نابع منه ومتأثر به، ولهذا كانت العناية بتقويم الفكر وتصحيح الاعتقاد هي أول نقطة في أي برنامج من برامج الإصلاح التي جاء بها الأنبياء، ولذلك يقول الرسول - ﷺ -: "ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب"

(١) سورة آل عمران، آية رقم (٦٥).

(٢) سورة المؤمنون، آية رقم (٦٨).

(٣) سورة الذاريات، آية رقم (٢١).

(متفق عليه). والقلب أحد معاني العقل كما سبق.

## والانحراف الفكري ينتج عن خلل في البناء الفكري، وهذا الخلل قد يعود إلى الأمور التالية أو إلى أحدها:

- الجهل بأصول التشريع: الكتاب، السنة، الإجماع، القياس، أو الإعراض عن الأخذ بهذه الأصول أو إحداها، مثل من ينكر حجية السنة مثلاً.
- الجهل بمنهج التعامل مع هذه الأصول، كالجهل بماخذ الأدلة وأدوات الاستنباط أو الجهل باللغة العربية - لغة الوحي - وأساليبها، وإجمالاً بمنهج تحليل نصوص الوحي واستنباط الحكم منها.
- وجماع الأمرين السابقين صدور الاجتهاد من غير أهله مع الجهل بمقاصد الشريعة والمصالح المعتبرة شرعاً.

إن ظاهرة الانحراف والغلو الفكري تعود في بعض أسبابها إلى الخلل في البناء الفكري والمنهجي، الذي أدى إلى كثير من السليبيات والمواقف التي تتناقض مع المقاصد والمصالح الشرعية العامة للأمة.

ولما كانت المناهج الدينية تلعب الدور الأكبر في صياغة ذهن الإنسان وفكره، وتعمل بدرجة كبيرة في تحديد كيفية تعامله مع مجتمعه ونوعية تعاويه مع المستجدات العالمية؛ كان لزاماً على علماء الشريعة والمربين والمتخصصين النظر في مشكلة المناهج الدينية - والوقوف عليها، ووضع الحلول المناسبة لتطويرها للارتقاء بجودة أدائها في واقع المجتمع الإسلامي.

## المبحث الثاني في مشكلة المناهج الدينية

لقد أدرك الباحثون أن المناهج الدينية تواجه أزمة حادة وتعتبرها مشكلة قائمة، تتمثل في تأخر هذه المناهج وعدم مواكبتها للتطور ومسايرتها للحضارة. فالناظر في أبحاثها وطرائق عرضها يلحظ غلبة الرتابة والجفاف عليها<sup>(١)</sup>، وافتقارها أحياناً إلى إعطاء تصور واضح عن أهدافها ومناهجها المشتركة<sup>(٢)</sup>.

ومن هنا نادى المخلصون بضرورة التجديد في هذه المناهج لتخرج من الدائرة المغلقة التي تدور فيه، وتستطيع بذلك مواكبة العصر، لكن لا يعني ذلك أن نخضع مناهجنا الدينية للمناهج الأخرى فإن هذا يُعدُّ جنائياً في حق المناهج الدينية وسلباً لأصولها وخصائصها، التي انفردت بها عن غيرها، ولكن التجديد الذي ننشده يتمثل في إحياء هذه المناهج وتغيير النمط الذي تسير عليه في الأبحاث وطرائق العرض، حتى تحظى بحضور حافل، وتسهم في تقديم النفع للبشرية، كما هو مأمول منها.

ثم إنه لم يعد خافياً على أحد هذا التقدم المبهر الذي حققته العلوم الطبيعية والتطبيقية، ولعلَّ من نتائج ذلك هذه الابتكارات والإنجازات الحديثة، فلا يكاد يمر يوم إلا ونسمع عن جملة من الابتكارات والصناعات وتطوير الأبحاث وتحسين المنتجات، حتى قيل: إن أكثر من ثلاثة أرباع علم الفيزياء قد أنتجه هذا القرن.

(١) انظر: الموضوعية في العلوم الإنسانية للدكتور صلاح قنصوه ص (٤٠٨).

(٢) انظر: مشكلة العلوم الإنسانية ص (٥٢).

لقد احتلت العلوم الطبيعية والتطبيقية مكانة مرموقة في هذا العصر، وغدت لها قدسية عند الناس، فهذا مصطلح العلم يكاد ينحصر في الوقت الراهن على العلوم الطبيعية والتطبيقية دون غيرها<sup>(١)</sup>، ولهذا السبب تم تنحيت العلوم الإنسانية - ومنها العلوم الشرعية - عن مسمى العلم، ولعلّ هذا هو السرّ في نشوء التقسيم في بعض مراحل الدراسة، وفي الكليات على أساس أن هناك أقساماً وتخصصات علمية، وأخرى أدبية، ويقصد بالأقسام العلمية تلك التي يدرس فيها العلوم التطبيقية والطبيعية، والأقسام الأدبية هي التي يدرس فيها العلوم الشرعية واللغوية والاجتماعية ونحوها، ولعلنا لا نجانب الحقيقة إذا قلنا إن للتخصص دوراً أساسياً في تعميق هذه المشكلة وتوسيع نطاقها.

(١) انظر: مشكلة العلوم الإنسانية للدكتورة يمنى الخولي ص (٥).



## المبحث الثالث

### من خصائص المناهج الدينية

- تتميز المناهج الدينية بسمات وخصائص لعل من أهمها:
- أن هذه المناهج منها ما هو واجب تعلمه<sup>(١)</sup>، سواء كان واجباً عينياً أو كفايياً؛ لأن صحة العبادة مرتبطة بتعلمه، وموافقة العقود والمعاملات لأحكام الشريعة مرتبط بتعلم هذه المناهج، بل حتى ممارسة بعض الصناعات، ومزاولة بعض المهن، وانخراط المسلم بعمل من الأعمال المباحة، يوجب عليه تعلم هذه المناهج المتعلقة بعمله.
  - تميز هذه المناهج بكثرة فنونها وعلومها وتشعبها وتعددتها، حيث لا تدانيتها في ذلك العلوم الأخرى ولا تلحقها، وعلى سبيل المثال فالمناهج المتعلقة بعلم الشريعة تحتها عدة علوم، وتحت كل علم جملة وافرة من العلوم، والمناهج المتعلقة بعلم القرآن الكريم تحتها حوالي ثمانون علماً<sup>(٢)</sup>، والمتعلقة بالحديث ستون علماً، ونجد هذا في علوم السنة النبوية، وعلوم اللغة أيضاً وفي غيرها.
- إن المناهج الدينية في الوقت الحاضر لا بد أن تجمع بين العمل بأحكام الإسلام رسالة وكياناً وشريعة ونظاماً، والعمل لترقية المجتمع الإسلامي علمياً وحضارياً، وهذا المنهج لا يتحقق إلا بالصلة العلمية المتينة بين الخبرة الفقهية، والخبرة العملية والتقنية الحديثة، فالمدينة المعاصرة تتميز بتقدم هائل في العلوم والتقنية لم تكن تخطر ببال المجتهدين القدماء، بينما تفتح للمجتهدين

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٨٠/٢٨).

(٢) انظر: الإتيان في علوم القرآن للسيوطي (٢٠/١).



المعاصرين آفاقاً واسعة تتطلب منهم خبرة غزيرة بأصول الدين والشريعة،  
وخبرة واسعة بالتطورات التي حصلت في ميادين المعرفة النظرية والتطبيقية،  
هاتان الخبرتان المتكاملتان اللتان لا تتفصلان في منهجية الاجتهاد في عصرنا  
هذا، وبذلك تبرز حتمية ذلك الترابط المنهجي عن طريق الإرشاد والاسترشاد  
بين الاختصاص الفقهي والاختصاص العلمي التجريبي.

مؤتمر ظاهرة التكفير .. الأسباب .. الآثار .. العلاج

## المبحث الرابع

### أثر المناهج الدينية في الإصلاح

إن المتأمل في المناهج الدينية يجد أنها تدعو إلى نشر الدين بالحكمة والموعظة الحسنة، والرفق واللين في الدعوة والحوار قال الله - سبحانه -: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ فالقول اللين وصية الله لموسى وهارون - عليهما السلام - وهي وصية لكل الناصحين في كل الأزمان، اللين وعاء الدعوة، ودليل الرحمة، يجعل للكلمة قبولاً، وللدعوة تأثيراً، لا يجرحُ كبرياء النفس، ولا يهينُ كرامتها.

وإذا كان موسى - عليه السلام - وهو نبي معصوم، مؤيد بقوى السماء أمراً بالقول اللين، فما بال غير المعصومين يغفلون عن هذه الوصية، ألا يعلمون أن التمرد على الأحكام والنفوس من خطاب الدعوة نتاج أساليب الغلظة والفظاظة والقسر والشدة، أهم خير أم موسى؟ وهل من يدعونهم شرٌّ من فرعون؟ إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه"، رواه مسلم، و"من يحرم الرفق يحرم الخير" رواه مسلم، والله تعالى يقول لنبينا محمد - ﷺ -: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾.

لقد كان نبينا محمد - ﷺ - يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة، وبهذا الأسلوب الراقي أحبه الصحابة حباً جماً، إن قال استمعوا لقوله، وإن أمر تبادروا لأمره، وبذلك دخل الناس في دين الله أفواجاً. تأمل هدي النبي - ﷺ - مع الشاب الذي جاء يستأذنه في أمر عظيم، يستأذنه في أمر الزنا فالنبي - ﷺ - لم يعنف عليه وإنما حاوره فقال له: هل

ترضاه لأختك؟ لابنتك؟... لأمك؟...، وهو يقول: لا... فقال له النبي - ﷺ -:  
وكذلك الناس لا يرضونه.....

كذلك هدي النبي - ﷺ - مع الأعرابي الذي بال في طائفة المسجد فزجره  
الناس، فلم يعنف عليه المصطفى - ﷺ - بل قال: دعوه، وأريقوا على بوله  
سجلاً من ماء....

وليس معنى ذلك التساهل في حدود الله، فقد جاء أسامة بن زيد يشفع في  
حد من حدود الله فغضب النبي - ﷺ - وقال أتشفع في حد من حدود الله وأيم  
الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها.

ولما رأى قطعة من التوراة في يد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال ما  
هذا يا عمر، لو أن أخي موسى حياً ما وسعته إلا إتباعي.

فلا إفراط ولا تفريط، ولا غلو ولا مجافاة، وإنما حزم في لين، وشدة في  
رفق، هكذا كان هديه - ﷺ -.

إذا أدركنا هذا كان لزاماً على العلماء والمربين تجديد الخطاب  
الإسلامي في المناهج الدينية، وتقريبه للناس دون المساس بمبادئ الإسلام  
وأحكامه الثابتة.

## المبحث الخامس

### في ضرورة تفعيل المناهج الدينية للقضاء على ظاهرة التكفير

فإن المناهج الدينية أشد فاعلية، وأكثر وقعاً في العقول والنفوس من أي وسيلة أخرى يمكن أن تؤثر في المجتمع، فهي تقتلع جذور الشر من نفس المجرم، وتبعث في نفسه خشية الله تعالى، وحب الحق، وقبول العدل ومعاونة الناس، وإصلاح الضمائر، وإيقاظ العواطف النبيلة في نفوس الأمة، وبناء الضمائر الحية، وتربية الروح على الآداب الفاضلة والأخلاق الحميدة، وتسكين الفتن، وتهدئة النفوس، لاسيما إذا صيغت بالأسلوب البليغ، والكلمة الساحرة، والحجة الظاهرة، والإثارة والتشويق، والشعور والوجدان.

**ولعل من أهم المفردات التي يجب طرقها والتذكير بها والتعرض لها بين الفينة**

**والأخرى في المناهج الدينية ما يأتي:**

**أولاً: التأكيد على تقوية الوازع الديني:**

فالإيمان العميق ركيزة مهمة، ودعامة أساسية، ترسخ في النفس الإنسانية معاني العبودية الحقة، وتنمي فيها الشعور بالخشية من الرب - جلّ وعلا -، والخوف من عقابه، ودوام الصلة به ومراقبته، والالتزام بتقواه وطاعته، ويدفع الإيمان بالله - تعالى - المسلم إلى العناية بالضرورات التي أكد الإسلام على حفظها، ويحول بين الفرد وبين الوقوع في المحظورات، ويحجزه عن التعدي على حقوق الآخرين وانتهاكها، وينشأ في ضميره وازعاً داخلي قوي، يهديه إلى الفضائل، ويحميه من مقارفة الجرائم والردائل، ويسمو بإنسانيته عن التردّي إلى الحضيض، أو الوقوع في الهاوية، فينتج عن تشبع النفس بالإيمان، وتغذيها بمعانيه العميقة آثاراً إيجابية تبرز في حياة الفرد حيث يصبح مرهف الحس، رقيق الشعور، مرتاح النفس، مطمئن القلب، مستشعراً للمراقبة الإلهية،

فيسلك المنهج القويم، ويلزم جادة الصواب والصراط المستقيم، ولا يحيد عنها، أو ينحرف عن مسارها، ولا يتقبل الأفكار النشاز، ولا المؤثرات الوافدة، ولا يلتفت إلى غير ما حكم به التشريع أو قضى به.

وتبرز علامات الإيمان الصادق، ودلالاته الواضحة على الفرد بشعور الآخرين بالاطمئنان للتعامل معه، والثقة به، وأمن جانبه، فلا يخشون من تعديّه أو ضرره، أو ظلمه أو حيفه، فينعكس أثر إيمانه على أفراد المجتمع، وينعم الجميع بالاستقرار، ويعيشون أخوة متحابين، متراحمين متعاطفين، ويتمكن كل واحد منهم من التمتع بحقوقه الكاملة التي قررها له الإسلام، ويحتفظ بكرامته الإنسانية، ويحس برفعته وعزته، ويأمن على حياته الشخصية التي حفظها وكفلها له.

ومما يوضح أن قوة الإيمان أصل لكل خير وفضيلة، ودرع واقٍ من كل شرّ وجريمة، وأنه سياج حاجز دون الوقوع في المحظور والرذيلة، ومصدر ثقة للآخرين بصاحبه، قول الله - تعالى - : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً... الآية ﴾ حيث أخبرت الآية بأسلوب يستبعد احتمال وقوع جريمة القتل من المؤمن على أخيه المؤمن، إلا أن يحدث ذلك عن طريق الخطأ وعدم القصد؛ لأن جريمة القتل من أبشع الممارسات المنافية للإيمان الصادق، والمخالفة لمنهج الإسلام الداعي إلى ترسيخ الإيمان في القلوب، وتربية ضمير المسلم على التشبع به، والارتواء بفيض نبعه، فجريمة القتل لا تصدر إلا من قلب فارغ من الإيمان، روى أبو هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله - ﷺ - قال: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن.....الحديث).

إن المناهج الدينية حين تحفز على تقوية الإيمان في النفوس، وترسيخه في القلوب، يثمر ذلك بالشعور بمراقبة الله تعالى، وخوفهم من عذابه، وأليم

عقابه، ويدعو إلى الاستقامة السلوكية، وتصحيح المواقف، وتحصيل مصالح الدنيا والآخرة، ودفْع الشرور والمفاسد، وصفاء الأرواح، وطهارة القلوب، والاستقرار النفسي، والاطمئنان القلبي.

### ثانياً: الانتفاخ حول ولاة الأمر:

ومن أهم الأمور التي يجب التأكيد عليها في المناهج الدينية؛ طاعة ولاة الأمر، فهي أصل مهم، وقاعدة كبرى، ومنهج واضح، وأساس قوي لاستقرار البلاد، واطمئنان الرعية.

والمأمل للنصوص الشرعية، يجد أنها متواترة وقطعية الدلالة في التأكيد على وجوب طاعة ولي الأمر، وتحريم عصيانه أو الخروج عليه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَطِيعُوا أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ...﴾ في الطاعة اجتماع لكلمة المسلمين، وفي العصيان فساداً للأحوال في الدارين، وما نزع يد من طاعة إلا وصافحها الشيطان، وعرضها لفتن عمياء، ونزاعات وأهواء، واضطرابات هوجاء، والعامل يدرك خطورة عصيان ولاة الأمر، وما يجلبه من شرور عظمى، وأخطار ومفاسد كبرى، ويعلم ما في الطاعة من الخير والهدى، وتحقيق السعادة، واستتباب الأمن، وترابط المجتمع وتماسكه، ونصرة المظلوم، ودحر الباطل والجور، والعناية بمصالح العباد والبلاد، وحماية الحياة الاجتماعية من الفوضى والاضطراب، والأخذ على أيدي السفهاء والعابثين، وردع البغاة والمجرمين.

إن طاعة ولي الأمر، واحترام شخصيته وهيبته، مما هو واجب على الرعية لما في مخالفة ذلك من نشر المفاسد، وإثارة الفتن والقلق، مما لا يمكن رده ولا دفعه، فذوو العقول السليمة، والفطر المستقيمة، يدركون أهمية الطاعة، ويقدرّون العواقب، طريقهم طريق الحق والهدى، ويلتقون على الخير والرشاد والتقوى، وينأون بأنفسهم عن مواطن الشر والأذى، ويحذرون من مزالق الرذيلة والهوى، وطريق المؤمنين حفظ أسنتهم، والاحتكام إلى كتاب ربهم،

وسنة نبهم - ﷺ - ، كما أمرهم الخالق - جل وعز - بذلك قال - سبحانه - : ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ... ﴾ ، أي ردوا الحكم في ذلك إلى الكتاب والسنة؛ لأن الحكماء يدعون إلى الخير، وينشرون الفضيلة، ويحضون على الاجتماع والوفاق، ويحذرون من التنازع والافتراق، فهذا فهم المؤمنين، لما أمرهم الله به ورسوله، يسمعون لولاية أمرهم، ويطيعون حكامهم، ويناصحونهم وفق آداب النصيحة، وضوابطها المبينة.

إنَّ طَرُقَ موضوع وجوب طاعة ولاة الأمر، من أهم ما يجب أن تحتويه المناهج الدينية وأن تذكر به بين الحين والآخر، وأن تؤكد على ضرورة الالتزام بالطاعة، وأن التفاف الأمة حول قيادتها دليل وحدتها، وطريق فلاحها، وسبيل رقيها ونهضتها ونجاحها، ومصدر عزتها ومنعتها، ومعاونة ولاة الأمر في أداء مهمتهم، ومساعدتهم في حماية المجتمع من المفسد والشور، من أهم ما يلزم الرعية، والإبلاغ عن المشبوهين الذين يتريصون لإحداث الفوضى، واجب كل مسلم؛ حماية للبلاد من السفهاء والمفسدين، وتجنباً لها من القلق والفوضى، وقطعاً لطمع الطامعين، ودحراً للسفلة والمعتدين.

### ثالثاً: وحدة المجتمع وتماسكه:

تهدف تعاليم الإسلام إلى بناء مجتمع متماسك، تقوم علاقات أفرادها على المودة والالتئام، والمحبة والانسجام، وتحسّر فيه دواعي الفرقة والشتات، والتمزق والاختلاف، والشحناء والعداوة، فوحدة المجتمع المسلم لا يقاس بها وحدة أي مجتمع آخر، فرابطة الإيمان تجمع بين أفرادها، على اختلاف ألوانهم وأجناسهم، وهي أشرف الروابط وأوثقها، وأفضل الوشائج وأكرمها.

فالإسلام يجمع ولا يفرق، ويؤلف ولا ينفر، ويقرب ولا يباعد، فالاجتماع قوة ومنعة، والافتراق ضعف وخور وفتنة. لقد أقام الإسلام المجتمع المدني على أساس المحبة والتواصل، والتعاون والتكافل، وألف رسول الله - ﷺ - بين فئات المجتمع المدني كلها، وقارب بينها، وأبعد عنها أسباب الفرقة والتمزق،



وما يثير الخلاف والنعرات في أوساطه، وأوضح سمو علاقة المسلم بأخيه، والتي تركز على الود والتآلف، وتحمل الأخطاء والزلات، والصفح عن المثالب والهفوات، وذلك من أهم وسائل تعميق الأمن في النفوس، وترسيخه في المجتمع.

إن الإسلام يؤكد مبدأ القوة والترابط بين أفراد المجتمع، وتحقيق معاني الأخوة الإيمانية، وعندها يشعر الجميع بوحدة الأمة، وترابط مصالحها، وتلك ركيزة عظيمة في توفير الأمن للمجتمع، إذ يدرك كل فرد مسؤوليته، ويقوم بواجبه، فتسهر الجماعة على راحة الفرد، ويقوم الفرد بخدمة الجماعة، فيتكاتف الجميع، ويعلمون على احترام أنظمة مجتمعهم، والتزام بتعاليمه، واحترام حقوق الآخرين، ويتعاون الجميع على مكافحة الفساد، وحماية المجتمع من الجريمة، ومكافحة دواعيها، ووقايتها من كل ما يؤدي إلى زرع بذور الشر والفتنة، وسد المنافذ التي قد يتسلل منها الأشرار والمفسدون، والبلغاة والمرجفون.

والمجتمع المسلم يعتمد في بناء أفراده على قوة الرابطة التي أسسها الإسلام منذ بزوغ فجره، والمتأمل لحقيقة تلك الرابطة يتضح له أن العقيدة تحرم الأذى والعدوان، وتمنع الظلم والبغي والإجرام، وتحفظ الحقوق، بحيث يجد المسلم نفسه أمام حدود يجب التوقف عندها، وعدم تجاوزها، ويردعه وازعه الديني عن الوقوع في شيء مما منع منه، ويحس بشعور قوي يربطه بأفراد مجتمعه، ويحجزه من التعدي عليهم، ويدفع به إلى الترابط والتماسك معه. والمناهج الدينية، عليها أن تعنى بترسيخ معنى الوحدة في نفوس أفراد المجتمع، وتعميق أواصر المحبة بينهم، وأن تؤكد بأن الإسلام اعتمد الأخوة دعامةً لوحدة المجتمع، وركيزة للترابط بين أفراده، فلا يسمح الإسلام بقيام أحزاب أو تجمعات من شأنها تمزيق وحدة المجتمع، وتبديد قوته، وتفريق كلمته، أو بروز خلافات ينتج عنها التناحر، أو تسفر عن القطيعة والتدابير،

فذلك شرٌّ عظيم، وخطر جسيم، ينتج عنه الكثير من الأحداث المروعة،  
والمآسي المفجعة، ويزعزع أمن المجتمع، ويؤدي إلى قلقه واضطرابه.  
**رابعاً: الاعتدال والوسطية:**

التوازن والاعتدال من خصائص التشريع الإسلامي، والوسطية من أبرز  
مزاياه، فلا جفاء ولا غلو فيه، فالإسلام يمقت كل اتجاه يهدف إلى الغلو في  
الدين، وينكر المبالغة في التقشف مبالغة تقود إلى التتبع وتجاوز الخطوط  
المحددة، حيث حَضَّ على الاعتدال، وحثَّ على التوفيق بين حق العبادة وحق  
النفس في الحياة، فالغلو والتتبع يتعارضان مع تشريعات الإسلام الداعية إلى  
التيسير ورفع الحرج والبعد على المشقة، والمتتبع لما وجد من انحرافات عقدية  
أو عملية من بعض الأفراد والطوائف عبر العصور، وما أفرزته تلك المعتقدات  
المخالفة لمنهج الحق من أثرٍ سيءٍ على الأمة، ونكبات أصيبت بها، يدرك أن  
ذلك حصل بسبب الغلو في الدين، وتجاوز الحدود، والفهم السيئ لنصوص  
الشريعة الإسلامية، مما أدى إلى إحداث الفتن بين المسلمين عبر العصور، وزرع  
بذور الفرقة والشقاق، فالإسلام يدعو إلى الاستقامة، وسلوك المنهج الوسط،  
دون انحراف أو تقصير، ويحرم الغلو ويمقتته، سواء كان في الاعتقاد أو  
العبادة أو المعاملة، وكل تصرف صادر من المغالين والمتنطعين يردده الإسلام،  
مما يخالف أصول دعوته الصحيحة، ومنهج شريعته القويمية، ويؤكد على  
وجوب إزالة كافة الأسباب المؤدية إلى الغلو، وسدِّ جميع المنافذ الموصلة إلى  
الغنى.

إن دعوة الإسلام إلى الوسطية والاعتدال من أهم ما يجب أن تحتويه المناهج  
الدينية في التعليم، ومن أبرز ما يجب أن توضحه للمتعلمين، وأن تكشف لهم  
وسطية الإسلام واضحة في سائر تشريعاته، وأن على جميع أفراد المجتمع أن  
يستشعروا منهج الإسلام الرصين في دعوته إلى التوازن والاعتدال، والواقع  
يشهد أن المغالين والمتنطعين أضيّق الناس صدرًا، وأشدّهم قلقًا واضطرابًا،

وأكثرهم غضباً وغلبياناً، وربما عمدوا إلى استخدام القوة لحمل الآخرين على موافقتهم في آرائهم، وسلوك منهجهم، وقد انزلق البعض في هذا المسلك، حيث سرى في أوساط فئة من الشباب الحكم بكفر فلان، أو وصفه بالفسق، أو العلمنة أو نحو ذلك، وهذا له آثار سيئة تجرع المجتمع آلامها وغصصها، وعاشت الأمة محنها وشروورها، فقد زاغت قلوب تلك الفتن، وطاشت عقولهم، وانحرفت أفهامهم ورغبت أنفسهم عن سلوك المنهج الحق، وأطلقوا لألسنتهم العنان في الحكم على الآخرين بما يرونه، وإخراجهم عن دائرة الإسلام اعتماداً على الأقاويل والشائعات، والشكوك والظنون، والأخبار الكاذبة، والمصادر الواهية.

فلزوم منهج الوسط الذي بنيت عليه الشريعة الإسلامية، هو طريق السعادة الحقة، وأصحابه هم أهل العدل والرحمة، والرفق والتيسير، والتسامح والتعاون، وأحرصهم على تحقيق الأمن والاطمئنان، ونشر الاستقرار والسلام، وأبعدهم عن إثارة الفتن والفرقة، وهم أهل القرآن وخاصته، الأمة الوسط، الشهداء على الناس، وهم أهل القرآن ومن شرح الله صدره لهذا الدين.

#### خامساً: الحماية من الانحراف والجريمة:

يواجه الشباب العديد من المخاطر والمستجدات والتغيرات السريعة، والتي بدأت تؤثر في سلوك البعض منهم، وانجرفت بآخرين إلى الانسياق وراء الأفكار المخالفة للإسلام، وأدت إلى انحراف البعض عن جادة الصواب، بسبب بواعث الفساد ونوازع الشر التي أحاطت بالمجتمعات، واكتنفتها من كافة جوانبها. والإسلام وضع القواعد الشرعية التي تحمي الفكر من الانحراف، وتصونه من الزيغ والضلال، وترسخ في نفس المسلم الثوابت الإيمانية، والاستقامة السلوكية، وتبعده عن الانحراف وراء الأهواء والتقاليد المنافية للدين.

وللمناهج الدينية: أثر فاعل في توجيه الناس - وبالأخص الشباب - للزوم

المنهج الحق، والاستقامة على شرع الله وأمره وصراطه المستقيم، وتقوية الوازع الديني، وإيقاظ الضمير، وتركية النفس، وبيان محاسن الاستقامة، ومساوئ الانحراف، والتنفير من الإقدام على الجريمة، وإيراد النصوص الشرعية المحذرة من ارتكابها، المبعدة حتى عن مجرد التفكير فيها، وأن إفلات المجرم من العقوبة الدنيوية لا يعنى أنه سلم ونجا من العقوبة الأخروية، كما أنه لا يستطع الهروب من تأنيب الضمير، والشعور بالخوف من الله تعالى، ومساورة القلق النفسي، والاضطراب الملازم له طوال حياته، وأن تظاهرة أمام أفراد مجتمعه بالاستخفاف واللامبالاة، لا يقلل من إحساسه الداخلي بعظم الذنب، وفداحة الجريمة.

كما أن المناهج الدينية تستطيع أن تؤثر في النفوس، حين تؤكد بين الفينة والأخرى ما أعدده الله - تعالى - من الثواب الجزيل لمن كفَّ عن الأذى والعدوان، وحفظ نفسه من نزغات الشيطان، وبما توضحه من حفظ الإسلام للضرورات الخمس (الدين، والنفس، والعقل، والعرض، والمال)، وحمايته لها، وبما تحذره من العبث بها والاعتداء عليها، وأن الإسلام قرر عقوبات جزائية رادعة للنفوس المريضة المعتدية، تمنع تصرفاتها الطائشة التي تتحكم بها الأهواء الفاسدة، والأفكار المنحرفة، والنفس الأمارة بالسوء، وأن تلك العقوبات شرّعت لسدّ منافذ الجريمة، وإغلاق أبواب العدوان، والقضاء على العصابات الإرهابية الباغية، التي تعمل على تخويف الآمنين، وتسعى إلى نشر الخوف في نفوس المسلمين، وبث الرعب والقلق في أوساط المطمئنين، وتعتدي على النفوس البريئة، وتسلبها حقها في الحياة، وتعبث في الأرض فساداً وإفساداً.

إنَّ على المناهج الدينية مسؤولية كبرى في توعية الناس بالضوابط الأمنية المحكمة التي قررها التشريع الإسلامي لحفظ المجتمع من الجريمة، ووقايته من الانحراف، ومحاربة الأعمال الإرهابية، والتصرفات الشاذة التي تسعى إلى

الخروج على النظام العام، والإخلال بالأمن، وسفك الدماء، وسلب الأموال، وتدمير الممتلكات، وإثارة الفتن، وتفريق جماعة المسلمين، والعبث بأمن المجتمع واستقراره، وإن كل مخالفة لما جاء في أحكام الشريعة الإسلامية، يعتبر تعدياً، وتصرفاً مقتسباً، وانتهاكاً صارخاً لقدسيّتها، يستوجب العقوبة الحاسمة التي قررتها، حتى تستأصل من المجتمع دواعي الإجرام، ومسببات الفتنة، وبواعث القلق، ويعيش الجميع في ظلال الإسلام، في أمن وأمان، واستقراره وراحة واطمئنان.

#### سادساً: العلاقة مع غير المسلمين:

يقوم المجتمع الإسلامي على عقيدة واضحة، وأحكام ثابتة، تنبثق منها قواعده ونظمه، وآدابه وقيمه، فقد اعتمد الإسلام منهجاً ودستور حياة، ومصدراً لأحكامه وتشريعاته، وحرص على تقوية الوحدة الاجتماعية داخل الوطن الواحد، وأكد على ضرورة تماسكها، دون إثارة حساسات، أو افتعال خلافات .

ومن سمات المجتمع الإسلامي إقراره للتعايش وفق منهجه السّامح في تعامله مع المخالفين، والمسالمة مع المسلمين، وقد أولى رسول الله - ﷺ - هذا الجانب عناية فائقة، وجعله من أولى اهتماماته عند تأسيسه الدولة الإسلامية الأولى في المدينة، ليقوم نظاماً أمنياً مشتركاً مع الفئات الأخرى، حيث اعتبر توفير الأمن من أهم المطالب، ولم يكن المجتمع -إذ ذاك- مقصوراً على المسلمين فحسب، بل ضمّ فئات مختلفة من أصحاب الديانات الأخرى، لذلك وضع الإسلام قواعد وأحكاماً تنظم علاقة المسلمين معهم، وتبرز التعايش بينهم وبين المسلمين في المجتمعات الإسلامية على مر العصور، وفي مختلف الأزمان. لقد قرر الإسلام التعايش الآمن من المخالفين والمسلمين المقيمين في كنف الدولة الإسلامية، وأباح أكل طعامهم، وأحلّ ذبائحهم، وجوّز مصاهرتهم، وأوصى رسول الله - ﷺ -، بحفظ حقوق أهل الكتاب، ورعايتها، وصيانة

دمائهم وأموالهم، وعدم الاعتداء عليهم، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - ﷺ -: "من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً.

وهذا يظهر روح الإسلام السمحة، وعدالته القائمة، وأنها مبذولة للبشرية كلها، لنشر الرحمة، وإشاعة الأجواء الآمنة وتوثيق العلاقات الإنسانية.

إن الإسلام لا يحكم بالفناء على جميع العناصر التي تعيش داخل مجتمعه ممن لا تدين به، بل يوطد العلاقة بينها وبين المسلمين، ويحترم المواثيق، ويعنى بالههود، ولا يقبل الغدر والخيانة.

إن المناهج الدينية عليها أن تبرز تلك القيم الإسلامية السامية، والمواقف الحكيمة والعدالة، في نظرة الإسلام إلى غير المسلمين في المجتمع المسلم، وأن وجود جماعات وطوائف عديدة متعايشة مع المسلمين دليل على التزام ظاهرة التسامح، وتجنب الفرقة والاضطهاد، وأن المجتمع الإسلامي لا يعرف النعرات، بل يحرص على إضفاء روح المودة، ونشر الأمن والاطمئنان، والتعايش مع الآخرين لإشاعة أجواء السلام والأمان، وتجنب الخصومات والمنازعات، والبعد عن إثارة الفتن والمنغصات، وما يعصف بأمن المجتمع واستقراره، أو يجلب الضرر لجميع فئاته، أو يزرع الأحقاد والعداوة في صفوفه.

## الخاتمة

في ختام هذه البحث أعرض بعض التوصيات التي أتمنى أن تسهم في تطوير المناهج الدينية للقضاء على ظاهرة التكفير في المجتمعات الإسلامية، ولعلّ من أهم ذلك:

- العمل على تفعيل دور العلوم الشرعية وربطها بواقع الحياة الإنسانية ومتطلباتها وأهدافها، والتأكيد على أصالة هذه العلوم، ومنزلتها بين العلوم الأخرى.
- الاهتمام بتدريس العلوم الشرعية، ورصد الميزانيات لهذا الغرض، وإلا فإن تخصصات العلوم الشرعية في الجامعات وغيرها تواجه خطراً محدقاً؛ نظراً لشح الموارد والأطر التعليمية.
- الاعتناء بالتخصص؛ فقد مضى الوقت الذي يمكن أن تجد فيه من يعرف كلّ شيء ويتحدث في كلّ فن، وحتى العلوم الشرعية لم تعد فرعاً واحداً يدركه المتخصص، وإنما اتسعت لتشمل فروعاً عدة في التخصص الواحد. إن النابغين والمتفوقين يوجهون في الأغلب إلى التخصصات العلمية التطبيقية (الطب، الحاسب، الهندسة...)، فهل يليق أن يوجه إلى التخصصات الشرعية أولئك الذين لم تسعفهم معدلاتهم؟!.
- الارتقاء بالتعليم الشرعي؛ فرغم انتشار مدارس التعليم الشرعي ومعاهده، ورغم آثاره الحميدة في نشر العلم الشرعي والحفاظ عليه، إلا أنه يعاني من ضعف وقصور، ويتسم بالنمطية والتقليدية، ويدار بطريقة بدائية. ومخرجات التعليم الشرعي اليوم دون تحديات الواقع ومتطلباته. ومعلموا العلوم الشرعية بحاجة إلى نقلة في طريقة أدائهم وتفكيرهم. وكثير من مطالب التغيير في التعليم الشرعي التي يثيرها الآخر منطلقها -

المعلن على الأقل – الواقع الفعلي لهذا التعليم وحاجته إلى التطوير. وما لم يتم التطوير من الداخل، وما لم تكن الأصوات المطالبة به صادرة من العاملين فيه الغيورين عليه فلن يكون التطوير في مصلحة التعليم الشرعي. وتشمل متطلبات التطوير بوجه أخص:

○ تطوير أداء المعلمين؛ فنحن بحاجة ماسة إلى الارتقاء بكفايات وقدرات معلمي العلوم الشرعية في مجتمعاتنا، حتى يسهموا في تضيق الفجوة بين إمكانيات التعليم ومخرجاته.

○ تطوير المناهج والأخذ بالمفهوم الحديث للمنهج؛ ومن ثم فالتطوير يجب أن يشمل كافة عناصر المنهج من أهداف، وطرق تدريس، ووسائل، وتقنيات، وأنشطة، وكتاب مدرسي.

○ تطوير الأداء الإداري والبيئة المدرسية للمعاهد، والمدارس الشرعية.

■ ضرورة إعمال العقل في التعليم وعدم إهماله وذلك بتعليم الطلاب كيف يفكرون، وبتدريسهم طرائق التفكير.

**وختاماً:** أحمد الله وأشكره على التسهيل والتيسير، وأسأله أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



## أهم المراجع

- أبجد العلوم: لصديق حسن القنوجي. دار ابن حزم. بيروت. ط ١ ٤٢٣هـ.
- الإتقان في علوم القرآن: لجلال الدين السيوطي. دار ابن كثير. دمشق. ط ٢ ٤١٦هـ.
- أحكام التصوير في الفقه الإسلامي: لمحمد بن أحمد واصل. دار طيبة. الرياض. ط ٢ ٤٢٠هـ.
- جامع بيان العلم وفضله: لابن عبد البر القرطبي. مطبعة العاصمة. القاهرة. ط ٢ ١٣٨٨هـ.
- الطرق الحكمية: لابن قيم الجوزية. مطبعة المدني. مصر.
- علم القانون والفقه الإسلامي: للدكتور سمير عالية. المؤسسة الجامعية للدراسات. بيروت. ط ١ ٤١٢هـ.
- لسان العرب: لابن منظور، دار الفكر، بيروت.
- مجموع فتاوى ابن تيمية. جمع ابن قاسم. مجمع الملك فهد. المدينة المنورة. ط ١ ٤١٦هـ.
- المجموع شرح المذهب: لمحيي الدين النووي. دار الكتب. الرياض. ط ١ ٤٢٣هـ.
- المدخل إلى السياسة الشرعية: لعبد العال عطوة. مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. الرياض ١٤١٤هـ.
- المسائل الطبية المستجدة: للدكتور محمد النتشة. سلسلة إصدارات الحكمة. بريطانيا. ط ١ ٤٢٢هـ.
- مشكلة العلوم الإنسانية تقنيها وإمكانية حلها: للدكتورة يمنى طريف الخولي. دار الثقافة. القاهرة. ط ٢ ١٩٩٦م.

- الموضوعية في العلوم الإنسانية عرض نقدي لمناهج البحث: للدكتور صلاح قنصوه. دار الثقافة. القاهرة. ١٩٨٠م.
- نظرية السياسة الشرعية الضوابط والتطبيقات: للدكتور: عبد السلام العالم. منشورات جامعة قازيونس. ليبيا. ط ١ ١٩٩٦م.
- وسائل الإثبات في الشريعة الإسلامية: للدكتور محمد الزحيلي. دار البيان. دمشق. ط ١ ١٤٠٢هـ.



ظاهرة التكفير .. الاسباب والعلاج والانتار



## الفصائيات العربية... وظاهرة التكفير

دعم أم مواجهة

أ.د. سامي الشريف

رئيس اتحاد الإذاعة والتلفزيون ، مصر



مؤتمر ظاهرة التكفير .. الأسباب .. الآثار .. العلاج

يعد " التكفير " ظاهرة قديمة بدأت أصولها في أواخر عهد النبي - ﷺ - عقب غزوة حنين، وظهور فرق الخوارج، وتواصلت في عهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان - رضي الله عنه - وكانت سبباً في مقتله، وبلغت فتنة التكفير ذروتها في عهد الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه. واستمرت ظاهرة التكفير تهدد استقرار المجتمعات الإسلامية عبر كل العصور تارة بسبب الجهل وسوء الفهم والتأويل الخاطئ لصحيح الدين وأحكام الشريعة، وتارة بسبب انتشار البدع والخرافات. ويحمل الفكر "التكفيري" أخطاراً عقديّة وتربويّة متعددة تهدد كيان الأمة واستقرارها.

ولعل ما نراه اليوم - في بعض مجتمعاتنا الإسلامية المعاصرة من صراعات وخلافات مذهبية تكاد تعصف بأمن تلك المجتمعات ووحدتها إنما يأتي نتيجة للفهم الخاطئ للدين، والتأويل الفاسد للنصوص والاستهانة بمحارم الله وأحكام شرعه، التي راح بعضها من خلال وسائل وأساليب إعلامية متطورة وفرتها تقنيات الاتصال المعاصرة.

ففي ظل ثورة الاتصال والمعلومات تحققت عالمية الإعلام، وتساقطت الحدود والقيود أمام انسياب الأفكار والمعلومات وتدفعها إلى كل مكان في العالم.

ويمكننا القول إن الدول العربية والإسلامية كانت إحدى ضحايا عصر العولمة وتقنيات الاتصال، ذلك العصر الذي حمل تهديداً مباشراً لسيادة تلك الدول، ومساساً فاعلاً بأمنها الثقافي والحضاري، ومسحاً لكل مكونات هويتها وعلى رأسها الدين.

وعبر تاريخه الطويل تعرض " الإسلام السمح " للعديد من محاولات النيل

منه وإضعافه، إدراكاً من أعداء الإسلام بأن عظمة هذا الدين وعالميته إنما تكمن في وسطية تعاليمه، وسماحة أتباعه في ظل قاعدة أصيلة وثابتة "لا إفراط ولا تفريط".

وكما أعطت تقنيات الاتصال المعاصرة فرصاً غير مسبوقة لأعداء الإسلام لينفثوا سمومهم ويواصلوا هجماتهم ضد هذا الدين الحنيف من خلال ترسانة مرعبة من الأسلحة الإعلامية الحديثة والمتطورة، فقد أعطت نفس الفرص لبعض أصحاب الفرق الضالة من أبناء الإسلام أنفسهم ليقوموا بنفس الدور الذي يقوم به أعداء الإسلام ولكن بشكل أكثر خطورة وتأثيراً؛ لأنهم من المحسوبين على الإسلام.

وكانت وسائل الإعلام الحديثة كشبكة المعلومات والقنوات الفضائية إحدى أهم وأخطر أدوات إدارة الصراع الحضاري والإيديولوجي في القرن الجديد.

ولقد تسابقت الدول العربية والإسلامية على إمتلاك تقنيات الاتصال وإطلاق القنوات الفضائية، وفي غضون سنوات قليلة وجدنا السماء العربية تعج بالمئات من القنوات الفضائية الحكومية والخاصة والتي وصل عددها إلى نحو سبعمائة قناة، من بينها أكثر من سبعين قناة دينية.

وكان الأمل معقوداً على أن تقوم تلك القنوات بنشر صحيح الدين، والدفاع عن ثوابت الإسلام، ومعالجة القضايا المعاصرة، وتقديم صورة حقيقية عن الإسلام لتصحيح ما لحق بها من شبهات.

والمتابع لخريطة البرامج في القنوات العربية يجد أن البعض القليل منها يحاول القيام بهذا الدور ولكن من خلال أساليب نمطية وتقليدية جامدة. إلا أن الغالبية العظمى من هذه القنوات خرجت عن المسار المتوقع لها، فقدمت خطاباً دينياً متشدداً يصادر الرأي الآخر ولا يقبل الحوار معه، ويحجر على حرية

التعبير، ويحارب حق الاجتهاد مما انعكس بالسلب على الصورة السمحة للإسلام والبعيدة عن الغلو والتعصب.

ووسط هذه الأجواء الصاخبة التي أوجدتها القنوات الفضائية العربية، وجد بعض أصحاب الفكر الضال طريقهم إلى شاشات بعض هذه القنوات لينشروا أفكارهم ورؤاهم التي تطعن في ثوابت الدين، وتكفر غيرهم من المسلمين.

وتسعى هذه الورقة إلى تقديم صورة حقيقية عن واقع القنوات الفضائية العربية، وما تبع إطلاقها من صراعات فكرية ومذهبية، ثم إلقاء الضوء على الدور الذي يمكن أن تقوم به في مواجهة ظاهرة التكفير وتفنيد آراء ومعتقدات أصحابها، لنخلص في النهاية إلى إجابة عن سؤال هام... أكانت القنوات العربية أداة لمواجهة ظاهرة التكفير وتفنيدها أم أداة لدعمها وتوسيع دائرة تأثيرها؟

والله من وراء القصد

## التكفير.. الجذور والأسباب

الخوارج هم أصل ظاهرة التكفير، والخوارج هم الفئة التي خرجت عن الإمام على بن أبي طالب - رضى الله عنه - بعد أن كانت تحارب معه، ويغلب على هذه الفئة الانفعال والتطرف في السلوك، والتزمت في الدين، والتحجر في الفكر. وقد تكونت بعد معركة صفين بسبب رفضها لنتيجة التحكيم، وأصبحت العبارة التي صاغها أحدهم "لا حكم إلا لله" شعار هذه الطائفة التي كان تأسيسها في منتصف القرن الأول الهجرى.

ونتيجة لذلك وفي آواخر القرن العشرين ولدت جماعات سياسية جعلت التكفير أساساً في فكرها ومقوماً رئيسياً لوجودها. وكان أبرزها جماعة "التكفير والهجرة" التي ظهرت في مصر أوائل السبعينيات.

وأفتت هذه الجماعة بتكفير الحكام بإطلاق دون تفصيل؛ لأنهم لا يحكمون بشرع الله، وتكفير المحكومين لرضاهم بهم، وتكفير العلماء لعدم تكفيرهم أولئك الحكام. وتمثل "الهجرة" العنصر الثاني في فكر هذه الجماعة ويقصد به اعتزال المجتمعات الإسلامية بوصفها - مجتمعات جاهلية - عزلة مكانية وشعورية. ولا يخفى مدى مخالفة أفكار هذه الجماعة لمنهج أهل السنة والجماعة في مصادر التلقي والاستدلال.

واستمر ظهور مثل هذه الجماعات الإسلامية المتطرفة في فكرها وتوجهاتها في مختلف بلدان المسلمين، وكان من بينها جماعة الجهاد المصرية، وجماعة التوقف والتبيين، وجماعة الناجون من النار، وجماعة الشوقيين وغيرها.

ولا شك أن أفكار تلك الجماعات والتي تدعو إلى تكفير غيرهم من



المسلمين تصطدم بأسس الدين الإسلامي الحنيف الذي يدعو إلى احترام هوية كل من ينطق بالشهادتين، ويلتزم بأركان الدين، كما يدعو إلى عدم التشكيك بإسلام من يعلن إسلامه حتى في ساحات القتال، وتحت بريق السيوف حيث قال الله - تعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعُودَ اللَّهِ مَعَانِمُ كَثِيرَةً كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ صدق الله العظيم.

كما أن النبي - ﷺ - لم يكن يكفر أحداً بعينه حتى يأتيه وحي بذلك، فيفشيهِ للناس بصفته تليغاً للوحي فقط، ومع أنه - ﷺ - كان يعرف كثيراً من منافقي المدينة بأعينهم، إلا أنه لم يصم أحداً منهم بالكفر بعينه أبداً، بل لم يكن يكفر فعل أو قول أحدٍ منهم بالشكل الذي يؤدي إلى تحديده تمييزه.

ومن هنا فإن "التكفير" كما يظهر في عصرنا الحاضر يعد حدثاً طارئاً على البنية العقدية في الإسلام، ربما أضيف إليها فيما بعد كنتاج طبيعي لظاهرة "تدين" الصراع السياسي، ولعلنا نقف على أهم الأسباب التي أدت وتؤدي إلى تفشي ظاهرة التكفير فيما يلي :

الجهل بالدين - التأويل الفاسد للنصوص - الاستهانة بمحارم الله وأحكام شرعه قلة بضاعة بعض الشبان الغيورين على الإسلام من فقه الإسلام وأصوله. ولقد رسم القرآن الكريم دستور الدعوة إلى الله - عز وجل - في قوله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ .

فالدين الإسلامي يدعو إلى الحوار بكافة صورته وأشكاله انطلاقاً من مفهوم أسمى للعلاقات بين البشر في ضوء الاعتراف بالآخر، فهو دعوة إلى

العولمة في أسمى معانيها، فقد جاء الإسلام لنشر حضارة شاملة ولكن في نفس الوقت يعترف بخصوصية كل شعب.

**وثمة العديد من الدلائل التي يمكن الاعتماد عليها وترويجها للإشارة إلى سماحة الإسلام وقبوله الحوار مع الآخر أيًا كان، ومن أهم تلك الدلائل:**

- عالمية الدعوة الإسلامية والتي تعد خير دليل على اعتراف الإسلام بالآخر، فنصوص الإسلام وواقعه العملي يدلان على أنه دين عالمي، وأنه رسالة الله للناس كافة.
- لا ينكر الإسلام التنوع القومي والعنقي بل يعتبره سنة من سنن الله تعالى، فالإسلام يعترف بالآخر القومي سواء في إطار الحضارة الإسلامية أو الحضارات الأخرى.
- نظر الإسلام وبالدرجة الأولى إلى "الجوامع" دون إهمال "للتمايزات"، واستطاع الإسلام أن يعترف بالتمايزات والاختلافات في إطار من الجوامع الموحدة على نحو من الوسطية الجامعة التي لا تجور على "الجوامع" فتؤدي إلى الفرقه والتشردم، ولا تجور على التمايزات والاختلافات فتؤدي إلى قهرها.
- أن الإيمان في الإسلام لا يكتمل إلا إذا آمن أصحابه بكل النبوات والرسالات السابقة، كما أن الإيمان لا يكتمل إلا إذا مكن المسلمون أصحاب الشرائع والملل الأخرى من إقامة شعائرهم وإحياء عقائدهم حتى وإن أنكرت الإسلام.
- كما ينبغي التأكيد على رفض الإسلام لأن يكون (النفى والصراع) هو طابع العلاقة مع "الغير"، فالإيمان بالتعددية يقتضى الإيمان بحق الغير في الوجود المتميز. ولذا كان "التوازن" بين الفرقاء المتميزين هو مذهب الإسلام في العلاقة بين الطبقات والجماعات داخل الأمة الواحدة، وبين الأمة وغيرها من

الأمم الأخرى.

وإذا كانت تلك هي الصورة التي رسمها الإسلام للتعامل مع الآخر غير المسلم، فكيف هو الحال عندما يتعامل المسلمون بعضهم مع بعض رغم اختلاف مذاهبهم وتوجهاتهم؟

إن الأمر بحاجة ماسة لبناء خطاب إسلامي معاصر قادر على تأسيس ثقافة إسلامية قوية تنهج منهج التقريب بين المذاهب العقدية للقضاء على التعصب المذهبي، تقريباً يؤسس على القاعدة المشتركة بين المذاهب، أما نقاط الخلاف فبعضها ليس بعزيز أن تلتقى فيها وجهات النظر ولو بالحد الأدنى. لقد بات واجباً على الخطاب الإسلامي المعاصر أن يواجه تلك العصبية المذهبية، خاصة وأن كل مذهب من المذاهب الإسلامية انطلق من النصوص الدينية في التماس مبادئه، فيجب أن يؤكد الخطاب الإسلامي المعاصر على الدعوة إلى تجميع الأمة تحت تصور عقدي يمثل الإسلام الصحيح تمثيلاً صحيحاً.

### واقع القنوات الفضائية العربية :

لقد سارعت الدول العربية والإسلامية إلى إطلاق قنواتها الفضائية مواكبة لما هو سائد في العالم، ورد فعل سريع للتواجد المكثف للقنوات الفضائية الأجنبية دون دراسة منهجية لمدى جدوى تلك المئات من القنوات قبل إطلاقها. وتملك الدول العربية والإسلامية من خلال حكوماتها ومؤسساتها الخاصة والأهلية ما يزيد على سبعمائة قناة فضائية ينطلق بعضها من داخل تلك الدول، بينما ينطلق البعض الآخر من دول أجنبية.

وفي الوقت الذي كان يُتوقع أن تكون القنوات الفضائية العربية سبيلاً للتواصل الثقافي والحضاري بين المواطنين العرب والمسلمين في شتى أنحاء العالم، وأن تكون أدوات للدفاع عن الثقافة والهوية الإسلامية فإن الواقع

يكذب ذلك، بل ربما يدفعنا إلى القول إن هذه القنوات قد يسهم بعضها في مزيد من التشويه والتقزيم للثقافة العربية والإسلامية، ويؤدي إلى مزيد من التباعد بين الشعوب العربية والإسلامية.

وسوف نحاول أن نحصر أمثلة لذلك من خلال عينة من القنوات الفضائية العربية التي اهتمت بتقديم المواد والبرامج الدينية لارتباطها بموضوع هذه الورقة.

تعد الدعوة للدين والتبشير به مهمة مقدسة حثت كل الأديان أتباعها على القيام بها، واعتبرتها إحدى أهم ركائز الإيمان. وكانت الدعاية الدينية على المستوى الدولي نشاطاً إنسانياً حرصت عليه كل الأديان منذ فجر التاريخ. وقد استخدمت مختلف وسائل الإعلام في أغراض الدعاية الدينية، وحققت نجاحات كبيرة في مجال الدعوة والتبشير بالديانات التي تعمل لخدمتها وكسب المزيد من المؤيدين والمؤمنين بها.

ومع التطور التقني الرهيب الذي أحدثته ثورة الاتصال والمعلومات ظهرت الأقمار الصناعية التي تحمل البث التلفزيوني ليصل إلى كل بقاع المعمورة، وليجعل العالم - بحق - غرفة معيشة صغيرة يؤثر كل جزء فيها ويتأثر بما يحدث في الأجزاء الأخرى.

وكان أحد أهم معالم تقنيات الاتصال والمعلومات ظهور القنوات المتخصصة التي تحمل مضموناً محدداً، أو تسعى لمخاطبة جمهور محدد، وسرعان ما أصبحت تلك القنوات هي الشكل الأكثر انتشاراً وقبولاً من جانب الجمهور.

وتأتي القنوات الدينية المتخصصة على رأس اهتمامات الفضائيات العالمية، إذ يحظى المكون الديني باهتمام الناس كافة، ويعد مدخلاً هاماً من مداخل مخاطبتهم واقناعهم.

ومع انطلاق القنوات الفضائية الدينية، ومن بعدها المواقع الشبكية على شبكة المعلومات شهد الفضاء الكوني نوعاً جديداً من الصراعات والحروب هو "حروب المعلومات"، أو "الحروب الإلكترونية" بين الأيديولوجيات والحضارات المختلفة.

ولقد شهد الإعلام الديني تطوراً كبيراً في سرعة توظيف التقنيات الحديثة بدءاً من الأشرطة المسموعة التي استخدمت على نطاق واسع من قبل مؤسسات وجماعات دينية مختلفة، مروراً بإنشاء مواقع دينية على شبكة المعلومات، ثم إطلاق العديد من القنوات الدينية التي تعبر عن مختلف التوجهات والانتماءات الدينية، والتي بلغ عددها - اليوم - أكثر من سبعين قناة دينية ما بين حكومية وخاصة، والعدد مرشح لزيادة كبيرة.

**وإذا أردنا التعرف على الأسباب التي أدت إلى زيادة أعداد القنوات الدينية الإسلامية فيمكننا أن نوردتها فيما يلي:**

- ١- التطور غير المسبوق في مجال البث الفضائي، والذي جعل تكلفة إطلاق القنوات الفضائية أقل بكثير مما كان عند بدء إطلاق الأقمار الصناعية.
- ٢- الصحوة الإسلامية التي شهدتها الدول الإسلامية في مختلف قارات العالم، والتي تزايدت مع التحديات السياسية والفكرية التي واجهها الإسلام والمسلمون في أعقاب أحداث الحادي عشر من سبتمبر، والحرب اللامشروعة التي شنها الغرب على ديار الإسلام بدعوى مكافحة الإرهاب.
- ٣- حرص العديد من الدول والمؤسسات الدعوية الإسلامية على استخدام أحدث التقنيات في توصيل رسالتها، والتي كان من بينها القنوات الفضائية.

- ٤- حرص بعض الدول العربية والإسلامية على تشجيع إنشاء هذا النوع من القنوات الدينية ودعمها وتمويلها للوقوف أمام بعض الحركات والمنظمات الإسلامية المتطرفة التي تعارض أنظمة الحكم في تلك الدول.
- ٥- إطلاق العديد من القنوات الفضائية التصيرية التي أصبحت تملأ الفضاء الكوني، والتي يوجه الكثير منها إرساله باللغة العربية لمخاطبة العرب والمسلمين في مختلف أرجاء الدنيا (والتي يصل عددها إلى نحو عشرين قناة تصيرية تبث إرسالها باللغة العربية).
- ٦- اتجاه العديد من الهيئات والمؤسسات الدينية الشيعية إلى إطلاق قنوات فضائية تنشر أفكارها ومعتقداتها بدعم من إيران أو الحكومات العربية الموالية لها.
- ٧- لجوء بعض المؤسسات الإعلامية الضخمة الهادفة للربح إلى إطلاق بعض القنوات الدينية التي تحظى بمعدلات مشاهدة عالية مما يفتح أمامها الباب واسعاً لتحقيق مزيد من الأرباح من خلال الإعلانات والرسائل القصيرة وإنتاج المواد التليفزيونية الدينية.
- ٨- توجه بعض الدول والمؤسسات الغربية المقاومة للإسلام إلى تشجيع ودعم بعض الفرق الضالة والخارجة عن الدين لإطلاق قنوات دينية تعبر عن أفكارها، لبث مزيد من الفرقة والانقسام والبلبلة في أوساط المسلمين.

#### أهم وأبرز القنوات الإسلامية:

عندما نستعرض واقع القنوات الفضائية الإسلامية نستطيع أن نفرق بين ثلاثة نماذج أساسية منها:

#### أولاً: القنوات الدينية السنية :

وهي القنوات التي تتحدث باسم أهل السنة والجماعة وتنتشر صحيح الدين، وتمثل الجزء الأكبر - بفضل الله تعالى - من أعداد القنوات الدينية

الإسلامية ومن أهمها:

قنوات المجد - قناة الرسالة - قناة الناس - قناة العفاسى - قناة الحكمة - قناة الرحمة - قناة محمد السادس - قناة الحافظ - قناة ابن عثيمين - قناة اقرأ - قناة هدى - قناة شاعر الرسول - قناة الهداية - قناة مكة - قناة البدر - قناة وصال - قناة الأثر - قناة الطب النبوى - قناة ساهور - قناة الروح - قناة الإسلام.

### ثانياً: القنوات الدينية الشيعية :

ويتجاوز عددها عشرين قناة تبثها وتشرف عليها مؤسسات وهيئات شيعية سواء في العراق أو إيران ومن أبرزها: قناه المسار - قناة أفاق - قناة الأنوار - قناة الكوثر - قناة الزهراء - قناة أهل البيت - قناة الثقلين - قناة السلام - قناة الغدير - قناة الهادي - قناة المهدي - قناة الكوفة - قناة العهد - قناة أطيايف - قناة بلادي - قناة فورتين - قناة الفرات - قناة الدعاء.

### ثالثاً: القنوات الدينية لبعض الفرق الضالة :

حيث أتاحت تقنيات الاتصال الحديثة لبعض الفرق والجماعات التي تنتسب إلى الإسلام زوراً وبهتاناً أن تعبر عن أفكارها وأهدافها من خلال قنوات فضائية ومواقع إلكترونية تدعمها قوى معادية للإسلام. ولعل من أبرز تلك الجماعات "القديانية الأحمدية" التي تطلق قناة (MTA) باللغة العربية، وتدعي الحديث باسم الدين الإسلامى، في حين تنكر أن سيدنا محمد - ﷺ - هو خاتم الأنبياء، وتدّيع كفراً بواحاً لأقوال مؤسسها المدعو "حضرة مزرع غلام أحمد" وتبث القناه إرسالها من حيفا بإسرائيل، وبدعم من المنظمات اليهودية التي تهاجم الإسلام وتسعى إلى بث الفرقة والانقسام بين المسلمين.

## خصائص وسمات القنوات الإسلامية المتخصصة :

- ١- أن الكم الأكبر من هذه القنوات موجه باللغة العربية لمخاطبة العرب والمسلمين الناطقين بالعربية في الوقت الذي أعلنت فيه تلك القنوات - عند بدء إرسالها - أن من أهم أهدافها الرد على افتراءات الغرب ضد الإسلام والمسلمين وتصحيح الصورة المشوهة التي يعرفها الغرب عن الإسلام.
- ٢- أن القليل من القنوات الدينية الإسلامية يوجه إرساله باللغة الإنجليزية مخاطباً الجمهور الغربي من مسلمين وغير مسلمين، ومن أهم هذه القنوات: قناة الإسلام الفضائية والتي بدأت إرسالها في مارس ٢٠٠٤م وتبث إرسالها من بريطانيا، وقناة الهدى الفضائية، والتي بدأت في أكتوبر ٢٠٠٠م كأول قناة دينية ناطقة باللغة الإنجليزية تبث من ديار الإسلام.
- كما توجد بعض القنوات الدينية العربية التي تخصص بعض البرامج لتقدم باللغة الانجليزية ومنها قنوات (اقرأ- المجد للقرآن الكريم - الفجر - قناة التعريف بالنبى محمد - ﷺ).
- ٣- أن الكم الأكبر من القنوات الدينية الإسلامية يمتلكه القطاع الخاص والأهلي، وليس الحكومات الإسلامية، صحيح أن بعض هذه القنوات تقوم بتمويلها ودعمها حكومات إسلامية ولكن من وراء ستار.
- ٤- أن معظم القنوات الدينية الإسلامية تعتمد في تمويلها على الهيئات والتبرعات إلى جانب بعض الإعلانات والرسائل القصيرة والإنتاج الخاص بها. والأصل أنها لا تهدف إلى الربح، إنَّ الهدف الأسمى لها هو خدمة الدين الإسلامي ونشر مبادئه وتعاليمه، وتبصير الناس بحقيقته. إلا أن المتابع لبعض هذه القنوات يجد أنها تستخدم الإعلان بهدف الترويج دون



- النظر لمدى مشروعية السلع المعلن عنها وأساليب الإعلان المستخدمة.
- ٥- أن معظم هذه القنوات - شأنها شأن القنوات العربية الأخرى - جاء إنشاؤها رد فعل متسرع دون دراسات متأنية لأهداف كل قناة وخصائص جمهورها وطبيعة المواد التي يجب أن تقدمها إذ لم يسبق إنشاءها دراسات جدوى كافية.
- ٦- أن معظم هذه القنوات لا تمتلك تقنيات حديثة ومتطورة، بل تعمل بشكل تقليدي يعتمد - في الغالب - على الحديث المباشر والمقابلات التلفزيونية كقوالب برمجية مما يفقدها الجاذبية والإبهار.
- ٧- أن معظم هذه القنوات لا تزال بحاجة إلى إعادة النظر في خريطة برامجها وسبل إعداد وتقديم البرامج فيها، كما أنها بحاجة إلى الاستعانة بخبرات إعلامية متخصصة لوضع استراتيجيتها وتحديد سبل تحقيقها بدلاً من الاعتماد على كوادر متخصصة في علوم الدين ولكن تنقصها الخبرات الإعلامية.
- ٨- أن بعض هذه القنوات ترك أمور الإفتاء في أيدي بعض الأشخاص غير المؤهلين، مما جعل مستوى الفتوى في هذه القنوات يصل إلى حالة من التخبط والاختلاف والخروج عن الأسس الشرعية، ولعل أخطر ما في برامج الفيتا ما تقدمه بعض القنوات الدينية من برامج الفيتا المباشرة على الهواء مباشرة بما فيها من جرأه شديدة على الدين من جانب من يتصدون للإفتاء دون ترو أو عودة للمراجع الشرعية، مما يزيد من خطر الفتاوى، فكما يقولون فإن "زلة العالم يضل بها العالم" وفي ذلك يقول المصطفى - ﷺ -: "اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا".
- ٩- أن بعض هذه القنوات - وسعيًا لتحقيق المزيد من الشهرة والأرباح -

أساءت توظيف الدين لأغراض دينوية، وذلك من خلال نماذج ما تقدمه من إعلانات عن سلع وبضائع وربطها بالدين أو من خلال تقديم بعض برامج تفسير الأحلام والرؤى، والحديث عن السحر والجان، ونسي هؤلاء أو تناسوا أنهم يخاطبون جمهوراً تغلب عليه الأمية وينتشر في أوساطه الفقر والجهل.

١٠- حظي بعض الدعاة الجدد أو كما يسميهم البعض "دعاة الفضائيات" بأكبر قدر من الهجوم والنقد من خلال عملهم بالقنوات الدينية، فقد حقق هؤلاء الدعاة شهرة و جماهيرية كبيرة رغم أن الكثير منهم ليسوا مؤهلين بالقدر الكافي في علوم الفقه والإفتاء؛ مما أدى إلى فتاوى خاطئة وأفكار غير صحيحة انتشرت في أوساط الشباب والمراهقين وأصبحت مقوله "مفتي لكل مواطن" حقيقة واقعة مع انتشار تلك الفضائيات. وقد أصبح هؤلاء الدعاة الجدد نجوماً ساطعة في سماء الإعلام العربي ينافسون نجوم الفن والرياضة، وسرعان ما دخلوا ميدان التجارة والمال. وعندما شعر العلماء السلفيون بالخطر الذي يمثله هؤلاء الدعاة الجدد طالبوا القنوات الدينية الجادة بمقاطعتهم.

### دور الفضائيات العربية في مكافحة ظاهرة التكفير:

لما كان الإعلام بوسائله المختلفة واحداً من أهم الأسلحة التي يعتمد عليها أعداء الإسلام في محاربته والنيل منه، فإن أي محاولة لتصحيح الصورة أو مواجهة الفكر الضال يجب أن تتخذ من تلك الوسائل سلاحاً فاعلاً. والمتابع لخريطة الإعلام الفضائي الدولي وما تتطرق فيه من قنوات فضائية عربية تزيد على سبعمائة قناة يعجب كيف لا تقوم تلك القنوات بدورها في دحض الادعاءات والشبهات عن الإسلام والمسلمين، وتقديم صورة ناصعة عن سماحته ووسطيته بدلاً من أن تكون أدوات لبث الفرقة والانقسام بين أبناء

## الدين الواحد؟!

وينبغي على الدول والمنظمات الإسلامية أن تقوم بدورها وتحمل مسؤوليتها في حماية عموم المسلمين من مخاطر بعض تلك القنوات التي تبث الفرقة وتكفر طائفة من المسلمين، وذلك من خلال وضع استراتيجية شاملة ومستمرة لمحاربة الإيديولوجية التكفيرية والآراء المتطرفة لبعض الجماعات التي تنتسب إلى الإسلام، مع الأخذ في الاعتبار ما تتمتع به تلك الجماعات من قوة تنظيمية وإمكانيات مادية وتقنية عالية تجعلها قادرة على الترويج لأفكارها وآرائها المتشددة.

ويتحتم أن تنطلق هذه الاستراتيجية من خلال مشاركة فاعلة ومنظمة من جانب المؤسسات والهيئات الإعلامية في الدول الإسلامية وفي مقدمتها القنوات الفضائية.

ويأتي في مقدمة النقاط التي تبني عليها تلك الاستراتيجية التوعية بعدم شرعية الأفكار التكفيرية، ذلك أن مواجهة الفكر التكفيري أضحى اليوم - فرض عين على كل مسلم، إذ إنَّ شرور هذا الفكر وآثامه طالت كل المسلمين في أرجاء الدنيا.

**وسائل الإعلام الإسلامية - والقنوات الفضائية - من بينها مطالبة بالتوعية الجادة والمخلصة بعدم شرعية تلك الأفكار التكفيرية التي تتبناها بعض الجماعات والفرق الضالة وذلك من خلال:**

- أن تستقى القنوات الفضائية معلوماتها ومعاييرها من مصادر موثوقة، وأن تنقل عنها بأمانة ودقة حتى لا تشوب مصداقية تلك الوسائل أية شائبة.
- الإعداد لعقد سلسلة من المؤتمرات واللقاءات الإسلامية بمشاركة العلماء الثقات الذين تقبلهم جماهير المسلمين بهدف مواجهة الفكر الضال والآراء المتشددة.

- العمل على ترويج الفكر الإسلامي المستنير والوسطي الذي يتسم بالاعتدال وينجو من مؤثرات الغلو والتشدد، ويختار من الآراء والمواقف ما يعزز منحى التيسير والتبشير، ويتعد عن التعسير والتفجير.
- كشف مخططات أعداء الإسلام في الخارج والداخل وتنفيذ حججهم وآرائهم بالحسنى دون اتهامات التفسيق والتكفير.
- تبصير الناس وتوعيتهم بخطورة الصراعات والنزاعات التي بدأت تنتشر في المجتمعات الإسلامية على أيدي جماعات متطرفة تدعو لاستخدام العنف والإرهاب في الصدام مع السلطات الحاكمة.
- نشر الفتاوى الدينية المعتبرة التي تستنكر وتحرم الأفكار التكفيرية والآراء المتشددة.
- الإسهام في إعداد برامج تدريبية للعلماء والدعاة وأئمة المساجد لرفع مستواهم التعليمي، وتزويدهم بمهارات الاتصال مع الناس، والابتعاد عن نشر الفكر المتعصب.
- تضيق الخناق على مثيري الفتنة الطائفية بمنعهم من الظهور في القنوات الدينية ومخاطبة الناس من خلالها لنشر أفكارهم، كما يتبع ذلك ضرورة متابعة السلطات في الدول الإسلامية لأنشطة المؤسسات والهيئات والجماعات التكفيرية في المساجد والمدارس ووسائل الإعلام التي تعمل على بث ونشر الفكر التكفيري.
- كما أن الدول الإسلامية مطالبة بدعم تلك الاستراتيجيات الإعلامية بسن القوانين التي تواجه الإيديولوجية التكفيرية المتشددة للقضاء على أفكارها وتجفيف منابعها كقوانين مكافحة الإرهاب والتي تسعى لاتخاذ الاحتياطات الاستباقية لوأد الإرهاب في مراحله الأولى، وقوانين للحد من انتشار "فوضى الفتاوى المتشددة" والفتاوى غير الشرعية، ومنع العلماء التكفيريين من

استخدام سلاح الفتوى كأداة لترويج أفكارهم التكفيرية وتبرير الأعمال الإرهابية في ديار المسلمين وخارجها. إلى جانب إدخال بعض التعديلات على القوانين التي تنظم الوعظ والإرشاد في المساجد، والعمل على قصر ذلك على الأئمة المصرح لهم من وزارات الأوقاف والشؤون الإسلامية. إن هذه بعض الرؤى التي يمكن لوسائل الإعلام في الدول الإسلامية - والقنوات الفضائية من بينها- أن تعمل من خلالها وهي تقوم بدورها في مواجهة الفكر التكفيري المتطرف ومحاصرته وحماية المجتمعات الإسلامية من شروره.

والله من وراء القصد ..

## المراجع

- أحمد غلوش: الدعوة الإسلامية أصولها ورسائلها (القاهرة: دار الكتاب المصري، ١٩٧٨م).
- سامي الشريف: الفضائيات العربية - رؤية نقدية (القاهرة: دار النهضة العربية، ٢٠٠٤م).
- سامي الشريف: القنوات الدينية الإسلامية المتخصصة، قراءة نقدية، ورقة عمل مقدمة للجنة البث الفضائي باتحاد الإذاعة والتلفزيون - القاهرة - يونيو ٢٠٠٩م.
- سامي الشريف: قضايا في الإعلام الدولي (القاهرة: دار النهضة العربية، ٢٠٠٧م).
- سامي الكومي: الإعجاز القرآني في مجال الإعلام (القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٩٠م).
- صلاح الدين إبراهيم: نحو إعلام إسلامي (غزة: مكتبة أفاق، ٢٠٠٢م).
- طارق البشري وآخرون: الإسلام والتطرف الديني (القاهرة: دار الشروق الدولية، ٢٠٠٩م).
- عبد العزيز بن عبد الله بن باز: الدعوة إلى الله. (مجلة البحوث العدد ٤٢، ١٤١٥هـ) الرياض رئاسة إدارة البحوث العلمية والافتاء.
- عبد القادر طاش: الإعلام الإسلامي في القنوات الفضائية، عرض أنور العسيري (الرياض: دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م).
- عبد المجيد شكري: الإعلام الإسلامي، الواقع والتحديات - المستقبل (القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م).
- محمد عماره: فتنة التكفير بين الشيعة والوهابية والصوفية (القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ٢٠٠٦م).

- محمد يسري، الفضائيات الإسلامية تحديات وطموحات (القاهرة: المركز العربي للدراسات الإنسانية، ٢٠٠٨م).
- محمود يوسف: بحوث الصورة الذهنية للمسلمين في الإعلام الغربي. (المجلة المصرية لبحوث الإعلام - العدد الثاني عشر - كلية الإعلام - جامعة القاهرة - يوليو - سبتمبر ٢٠٠١م).
- مصطفى الشكعة: إسلام بلا مذاهب (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٤م).
- نهال عمر الفاروق: الخطاب الديني كما تعكسه البرامج الدينية الموجهة باللغة الإنجليزية في القنوات الفضائية العربية. رسالة ماجستير غير منشورة. (كلية الإعلام - جامعة القاهرة، ٢٠٠٩م).
- يوسف القرضاوي: الصحة الإسلامية بين الجحود والتطرف (القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٤م).
- يوسف القرضاوي: الصحة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد. (القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٢م).
- يوسف القرضاوي: ظاهرة الغلو في التكفير (القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٩٠م).
- يوسف زيدان: اللاهوت العربي وأصول العنف الديني (القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٩م).



مؤتمر ظاهرة التكفير .. الأسباب .. الآثار .. العلاج





ظاهرة التكفير .. الأسباب والعلاج والأثار



# مسؤولية المؤسسات الدعوية في علاج ظاهرة التكفير

أ.د. عبدالرحيم بن محمد المغذوي  
الأستاذ في كلية الدعوة وأصول الدين  
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة



مؤتمر ظاهرة التكفير .. الأسباب .. الآثار .. العلاج

## مقدمه

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَتَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾<sup>(٣)(٤)</sup>.

أما بعد:

فإن دين الإسلام دين الرحمة والهدى والخير والبشرى للعالمين، وقد بعث الله - تعالى - نبيه ورسوله محمداً - ﷺ - لتحقيق التوحيد والأيمان وغرس معاني الفضل والإحسان وكل ما يحقق السعادة للناس في الدنيا والآخرة قال - تعالى - : ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ

(١) سورة آل عمران آية ١٠٢.

(٢) سورة النساء آية ١.

(٣) سورة الأحزاب الآيات ٧٠-٧١.

(٤) هذه تسمى خطبة الحاجة، وهي تشرع بين يدي كل أمر ذي بال. انظر: سنن الترمذي ٤٠٤/٣ كتاب النكاح، باب ماجاء في خطبة النكاح (رقم ١١٠٥) وقال: صحيح. ورواه ابن ماجه في سنته ٩٠٦/١ كتاب النكاح، باب (١٩) خطبة النكاح (رقم ١٨٩٢). وقال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني: صحيح. انظر: صحيح سنن الترمذي ٢٣٠/١ (رقم ٨٨٢) وصحيح سنن ابن ماجه ٣١٩/١ (رقم ١٥٣) وانظر كذلك: خطبة الحاجة للشيخ الألباني ص ١٠ وما بعدها.

كُلُّهُ وَكَوْ كَرَهُ الْمُشْرِكُونَ ﴿١﴾.

وإن أعظم ما اهتم به الإسلام نقل الإنسان من حال الشرك والكفر والظلمة إلى سعة الإيمان والتوحيد والنور قال تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (٢).

والإسلام بطبعه يقوم على السلامة في جميع أموره، ويستلزم هذا أن يكون أتباعه متصفين بالسلامة في كل شؤونهم، ولكن حينما تعترض طوارئ على حياة الناس يحدث الخلل ويستبين الزلل.

ومن الظواهر السيئة التي عانت منها الأمة الإسلامية في تاريخها الطويل هي ظاهرة التكفير، مع أن الإسلام في حقيقته جاء ليقيم العقيدة الصحيحة والتوحيد الخالص.

والمأمل في العصر الحاضر يجد أن ظاهرة التكفير قد أطلت برأسها وفتحت عينها وأطلقت لسانها لتتفث سمومها القاتلة بين أفراد المجتمع المسلم. ولعل من الواجب المتعين عدم ترك هذه الظاهرة تنهش بأنيابها صفوف المسلمين، وتقض بضجيجها أمن المجتمع وسلامته.

ومن أجل تحقيق هذا الواجب ينبغي تكاتف أفراد المجتمع ومؤسساته وهيئاته المتنوعة لعلاج ظاهرة التكفير كل بحسبه وجهده وطاقته، ومن تلكم المؤسسات والهيئات المعنية: المؤسسات الدعوية.

#### أولاً: مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في قيام المؤسسات الدعوية بعلاج ظاهرة التكفير، ومدى مساهمتها في توعية الناس ضد هذه الآفة الخطرة التي باتت تؤرق المجتمع.

(١) سورة التوبة آية ٣٣.

(٢) سورة إبراهيم آية ١.

## ثانياً: أهمية البحث :

تكمُن أهمية البحث في الآثار والمخاطر الناجمة عن ظاهرة التكفير في المجتمع وما تحدّثه هذه الظاهرة من فرقة وخلاف وتمزق وتحزب بين الناس، إضافة إلى ضرر هذه الظاهرة السيئة على عقيدة المسلمين، وحقوق وواجبات بعضهم على بعض، وما ينتظرهم من جزاء في الحياة الآخرة.

## ثالثاً: أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تحقيق ما يلي:

- ١- التعريف بظاهرة التكفير ومعرفة أسبابها وأهدافها.
- ٢- إيضاح دور المؤسسة الدعوية وواجبها تجاه ظاهرة التكفير.
- ٣- التأكيد على المنهج القويم في الدعوة إلى الله تعالى.
- ٤- بيان مخاطر جماعات الغلو والتكفير والتطرف.
- ٥- مناقشة شبه التكفير والرد عليها.
- ٦- إيضاح الحوار العلمي مع التكفيريين.
- ٧- العناية بالوسائل والأساليب والتقنيات الحديثة في العمل.

## رابعاً: تساؤلات البحث:

- للبحث تساؤل رئيس يهدف للإجابة عليه وهو:
- ما مسؤولية المؤسسات الدعوية تجاه ظاهرة التكفير؟
- وهناك بعض التساؤلات الفرعية للبحث وهي:
- ١- ما المقصود بالتكفير وما أسبابه وأهدافه؟
  - ٢- هل للمنهج القويم أهمية في دعوة التكفيريين؟
  - ٣- ما الإجراءات الواجبة على المؤسسات الدعوية أتباعها تجاه ظاهرة التكفير؟
  - ٤- هل للحوار العلمي مع التكفيريين أهمية في إصلاحهم؟

٥- هل لتتوع الوسائل والأساليب والتقنيات الحديثة دوراً في معالجة التكفير؟

٦- هل للأخلاق الحسنة أثر في التعامل مع التكفيريين؟

**خامساً: حدود البحث:**

للبحث حدوده العلمية التي يقف عندها ولا يتعداها لغيرها إلا على سبيل الاستشهاد والإيضاح، وتنحصر حدود البحث العلمية في بيان الخطوات والإجراءات والسبل المقترحة للمؤسسات الدعوية المعنية بمعالجة ظاهرة التكفير في المجتمع.

**سادساً: منهج البحث:**

سوف أستخدم منهج البحث الوصفي التحليلي في معالجة قضايا البحث ومسائله المتنوعة<sup>(١)</sup>.

**سابعاً: تقسيم البحث:**

يتكون البحث من مقدمه وتمهيد وخمسة عشر مبحثاً وخاتمة وفهرسين. المقدمة، وتضمنت: مشكلة البحث وأهميته وتساؤلاته وأهدافه وحدوده ومنهجه وتقسيمه.

التمهيد: ويتضمن محورين:

الأول: التعريف بمفردات عنوان البحث.

الثاني: التعريف الإجرائي للبحث.

المبحث الأول: تشخيص ظاهرة التكفير، ومعرفة أسبابها، وأهدافها، ووسائلها، وطرق علاجها.

المبحث الثاني: معرفة المؤسسة الدعوية بقدراتها العلمية وإمكاناتها

(١) المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية لصالح بن حمد العساف، ص: ١٨٧.

العملية.

المبحث الثالث: الإعداد العلمي الصحيح للدعاة لمواجهة ظاهرة التكفير.  
المبحث الرابع: الاستناد إلى المنهج القويم المبني على الأصول الثابتة من  
الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح.

المبحث الخامس: بيان حقيقة الدعوة الإسلامية الصحيحة.  
المبحث السادس: التحذير من جماعات الغلو والتكفير والتطرف.  
المبحث السابع: المساهمة في تقويم الأفكار المنحرفة في المجتمع.  
المبحث الثامن: إشاعة ثقافة الإيمان والسلم والإخاء والوسطية والاعتدال.  
المبحث التاسع: مناقشة شبه التكفيريين وتقنيدها بالحجج الشرعية  
الواضحة.

المبحث العاشر: استباق الفكر التكفيري ووقاية المجتمع من حماته  
وشروبه وآثاره الضارة.

المبحث الحادي عشر: تنمية جوانب الخير في نفوس الناس وحثهم على  
العمل الصالح البناء المفيد.

المبحث الثاني عشر: استعمال الحوار العلمي مع التكفيريين ومن تأثر بهم.  
المبحث الثالث عشر: استخدام أسلوب النصح والإرشاد والتوعية المستمرة  
ضد مخاطر التكفير.

المبحث الرابع عشر: استعمال الوسائل والأساليب والتقنيات الحديثة في  
معالجة ظاهرة التكفير.

المبحث الخامس عشر: التحلي بالأخلاق الكريمة والترفق بالناس عند  
علاج ظاهرة التكفير والتصدي لها.  
الخاتمة.

## التمهيد

ويتضمن محورين:

المحور الأول: التعريف بمفردات عنوان البحث.

المحور الثاني: التعريف الإجرائي للبحث.

**المحور الأول: التعريف بمفردات عنوان البحث:**

(مسؤولية المؤسسات الدعوية في علاج ظاهرة التكفير).

**أولاً: المسؤولية:**

أ - تعريف المسؤولية لغة: ترجع مادة المسؤولية إلى (السين والهمزة واللام، كلمة واحدة ، يقال: سأل، يسأل، سؤالاً، ومسألة)<sup>(١)</sup>.

واسم الفاعل منه: السائل. واسم المفعول: المسؤول ، والمصدر الصناعي: المسؤولية)<sup>(٢)</sup>.

وتفيد كلمة المسؤولية في اللغة عدة معانٍ أبينها: المطالبة ، والمحاسبة.

ب- تعريف المسؤولية اصطلاحاً: عرفت المسؤولية بتعاريف متنوعة منها:

(أهلية الشخص بأن يكون مطالباً شرعاً بامتنال المأمورات ، واجتتاب

المنهيات ، ومحاسباً عليها)<sup>(٣)</sup>.

**ثانياً: المؤسسات :**

أ - تعريف المؤسسات لغة: يقول ابن منظور: (الأسُّ والأسَّس والأسَّاس:

كل مبتدأ شيء، والأمتن والأساس: أصل البناء)<sup>(٤)</sup>.

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ١٢٤/٣ (مادة: ي سأل).

(٢) انظر: الكليات لأبي البقاء، والنحو الوافي، لعباس حسن ١٨٧/٣.

(٣) انظر: المسؤولية الخلقية والجزاء عليها ، د. أحمد الحلبي ص ٧١.

(٤) لسان العرب لابن منظور ٦٠/١ (مادة : أسس).



ب - تعريف المؤسسات اصطلاحاً: المؤسسة هي: جمعية أو معهد أو شركة، أسست لغاية علمية أو خيرية أو اقتصادية، يقال: مؤسسة علمية، مؤسسة صناعية<sup>(١)</sup>.

وتعرف المؤسسة الخيرية اصطلاحاً بأنها: (كل منشأة خيرية يكون غرضها الأساسي تقديم خدمة اجتماعية خيرية لأفراد، أو جهات معينة، دون أن تستهدف تحقيق الربح المادي، أو تحقيق أغراض أخرى..)<sup>(٢)</sup>.

ج - وبناء على ذلك تعرف المؤسسة الدعوية اصطلاحاً بأنها (جهة خيرية تهدف إلى تقديم خدمات دعوية وإرشادية وتوجيهية وتوعوية للأفراد والمجتمع دون أن تستهدف تحقيق الربح المادي أو تحقيق أغراض أخرى)<sup>(٣)</sup>.

### ثالثاً: الدعوة:

أ - تعريف الدعوة لغة: ترجع مادة الدعوة إلى (الذال والعين والحرف المعتل، أصل واحد، وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك)<sup>(٤)</sup>.

ويقول ابن منظور: (الدعوة المرة الواحدة من الدعاء. ودعا الرجل دعواً ودعاءً ناداه، والاسم: الدعوة. دعوت فلاناً أي: صحت به واستدعيت..، والدعاة: قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلاله، وأحداهم داع، ورجل داعية: إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين، أدخلت الهاء فيه للمبالغة)<sup>(٥)</sup>.  
وخلاصة القول أن الدعوة في اللغة مشتقة من الفعل دعا، والاسم الدعوة،

(١) المنجد في اللغة والأعلام ص ١٠ (ماده: أس).

(٢) لائحة الجمعيات والمؤسسات الخيرية والقواعد التنفيذية للائحة في المملكة العربية السعودية، مطبوعات وزارة العمل والشؤون الاجتماعية، وكالة الوزارة للشؤون الاجتماعية، الإدارة العامة للمؤسسات والجمعيات الخيرية ص ٢٥-٢٦.

(٣) تعريف الباحث.

(٤) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس ٢/٢٧٩ (ماده: دعا).

(٥) لسان العرب، لابن منظور ١/ ٩٨٦ (ماده: دعا).

والقائم بها يسمى داعية، ومن معانيها : إمالة الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك بحق أو باطل.

ب- تعريف الدعوة اصطلاحاً: عرفت الدعوة اصطلاحاً بتعاريف متعددة، منها تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - حيث يقول: (الدعوة إلى الله هي: الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله، بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه)<sup>(١)</sup>.

#### رابعاً: العلاج:

أ - تعريف العلاج لغة: يقول ابن فارس: (العين واللام والجيم أصل صحيح، يدل على تمرّس ومزاولة)<sup>(٢)</sup>.

ب- تعريف العلاج اصطلاحاً: قيل في تعريفه اصطلاحاً إنه: (مزاولة الشيء ومعالجته)<sup>(٣)</sup>. وقيل: (المداواة لدفع المرض)<sup>(٤)</sup>.

#### خامساً: الظاهرة:

أ - تعريف الظاهرة لغة: يقول ابن فارس: (الطاء والهاء والراء أصل صحيح وأحدٌ يدلُّ على قوّة وبروز، من ذلك: ظهر الشيء يظهر ظهوراً فهو ظاهر، إذا انكشف وبرز)<sup>(٥)</sup>.

ب- تعريف الظاهرة اصطلاحاً: عرفت الظاهرة بأنها (جمع ظواهر، وهي: ما

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٥٧/١٥-١٥٨.

(٢) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس ٤/١٢١ (مادة: علاج).

(٣) المصدر السابق ٤/١٢٢ (مادة: علاج).

(٤) معجم لغة الفقهاء، أ.د. محمد رواس قلعجي وزميله، ص ٣١٩.

(٥) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٣/٤٧١ (مادة: ظهر).

يُدرك بالحواسّ أو الشعور<sup>(١)</sup>.

وقيل في تعريف الظاهرة إنها : (ما يُعرف عن طريق الملاحظة والتجربة، والظواهر: طبيعِيّة ونفسِيّة واجتماعية)<sup>(٢)</sup>.

وقيل في تعريفها: (هي كل سلوك أو علاقة تعم في المجتمع وتتميز بخصائص منها التلقائية والانتشار والجبرية والتكرار).

وتقسم الظاهرة الاجتماعية إلى أنواع عديدة، أبرزها قسمان:

أ - ظواهر إيجابية، مثل: العمل الخيري وممارسة الرياضة وغيرها.

ب - ظواهر سلبية، مثل: الجريمة والتكفير والانحراف الخلقي والمخدرات وغيرها<sup>(٣)</sup>.

#### سادساً: التكفير:

أ - تعريف التكفير لغة: ترجع مادة التكفير إلى (الكاف والفاء والراء ، أصل صحيح يدل على معنى واحد ، وهو الستروالتغطية)<sup>(٤)</sup>.

وقال ابن الأثير: (أصل الكفر تغطيه الشيء تغطية لتستهلكه)<sup>(٥)</sup>.

ب- تعريف التكفير اصطلاحاً: عرف التكفير اصطلاحاً بتعاريف متنوعة، وكلها تدور حول مضادات الإيمان وجحد الإسلام، أو جحد شيء من لوازمه.

يقول الأزهرى في تعريف الكفر هو: (نقيض الإيمان)<sup>(٦)</sup> وقال الراغب

الأصفهاني: (الكافر على الإطلاق متعارف فيمن يجحد الوحدانية، أو

(١) معجم المصطلحات العلمية والفنية، يوسف خياط، ص ٤٢٦.

(٢) المعجم الفلسفي، مراد وهبه ص ٤٢١ (باب: الظاء).

(٣) مبادئ علم الاجتماع الجنائي، د. مساعد بن إبراهيم الحديثي، ص ٦٤.

(٤) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ١٩١/٥ (ماده: كفر).

(٥) النهاية ، لابن الأثير، ص ٨٠٧.

(٦) تهذيب اللغة، للأزهري ٣١٦٣/٤.

النبوة، أو الشريعة، أو ثلاثتها)<sup>(١)</sup>.

وقال ابن حزم في تعريفه للكفر هو: (جحد الربوبية، وجحد نبوة نبي من الأنبياء - عليهم السلام - صحت نبوته في القرآن، أو جحد شيء مما أتى به رسول الله - ﷺ - مما صح عند جاحده بنقل الكافة، أو عمل شيء قام البرهان بأن العمل به كفر)<sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام ابن قيم الجوزية: (الكفر: جحد ما علم أن الرسول - ﷺ - جاء به سواء كان من المسائل التي يسمونها علمية، فمن جحد ما جاء به الرسول - ﷺ - بعد معرفته بأنه جاء به فهو كافر في دقّ الدين وجلّه)<sup>(٣)</sup>.

### المحور الثاني: التعريف الإجرائي للبحث:

يمكن تعريف البحث إجرائياً بأنه:

(المطالبات المتعلقة بالجهات المعنية بالدعوة الإسلامية في تشخيص مسائل التكفير ووصف العلاج الناجع لها ووقاية المجتمع من شرورها ونتائجها السيئة).

وفيما يلي سوف أذكر جملة من الخطوات والسبل والإجراءات العلمية والعملية المقترحة للمؤسسات الدعوية المعنية بمعالجة ظاهرة التكفير في المجتمع.

(١) المفردات للراغب الأصفهاني ص ٧١٥.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم ٢/٢٥٣.

(٣) مختصر الصواعق، للإمام ابن القيم ص ٦٢٠.

## المبحث الأول

### تشخيص ظاهرة التكفير ومعرفة أسبابها

#### وأهدافها ووسائلها وطرق علاجها

لعل أهم ما ينبغي على المؤسسات الدعوية في علاجها لظاهرة التكفير هو تشخيص ظاهرة التكفير ومعرفة أسبابها وأهدافها ووسائلها وطرق علاجها، ويمكن إيضاح ذلك من خلال الإيجاز التالي:

#### أ - تشخيص ظاهرة التكفير:

يقال بأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، وهذا الأمر ينطبق على وظيفة المؤسسات الدعوية ابتداءً في علاج ظاهرة التكفير، إذ من واجبها تشخيص الظاهرة، واتباع الخطوات المنهجية الصحيحة في التشخيص ومن جملة ذلك ما يلي:

١ - العلم بمسائل التكفير وقضاياها وأقسامه وأحكامه.

٢ - رصد مظاهر التكفير في المجتمع ودراساتها.

٣ - معرفة حقيقة ظاهرة التكفير لدى من ينتهجها في المجتمع، ومدى اعتناقه لهذه الظاهرة.

٤ - سبر حجم الظاهرة في المجتمع.

#### ب- معرفة أسباب ظاهرة التكفير :

ولعل هذه الجزئية من أهم المسائل التي ينبغي على المؤسسات الدعوية العناية بها، إذ إن معرفة الأسباب أولى طرق العلاج الناجعة.

ومعرفة الأسباب للظاهرة يقتضي اتباع الطرق الصحيحة في التعرف على الأسباب ابتداءً، ومن جملة ذلك ما يلي:

التعرف على الدوافع الحقيقية لظاهرة التكفير لدى معتقبيها ومعرفة العوامل المتعددة لبروز هذه الظاهرة سواء أكانت هذه العوامل: خاصة أم عامة، داخلية أم خارجية.

### ومن جملة الأسباب المؤدية لظهور التكفير :

- ١ - الجهل بالدين.
  - ٢ - اتّباع الهوى والإعراض عن النصوص.
  - ٣ - التأويل الفاسد.
  - ٤ - تلبيس الشيطان.
  - ٥ - عدم الاتّباع للمنهج القويم في الدعوة إلى الله.
  - ٦ - عدم المعرفة الحقيقية بقواعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأصول التغيير وسننه في الكون.
  - ٧ - تنزيل النصوص على الواقع، ولي أعناق النصوص لتتوافق مع رغبات وأهواء أهل التكفير.
  - ٨ - الطيش والعجلة والاستخفاف بالأمر العامة وعدم الحكمة في الرأي ومعرفة العواقب.
  - ٩ - الطعن في ولاية الأمر، وفي علماء الأمة والنيل منهم والتقيص من شأنهم، ورميهم بالعظائم، وتزهيد العامة فيهم تمهيداً لتكفيرهم والخروج عليهم.
  - ١٠ - الغلو في تقديس الأشخاص، واتباعهم في آرائهم دون تمحيص، والتعصب لهم بدون حق، والحماس لآرائهم وأفكارهم واتجاهاتهم، وخاصة من قبل الشباب المندفع بطبيعته في الحياة إن خيراً فخييراً وإن شراً فشرّاً<sup>(١)</sup>.
- ومن المسائل الهامة التي ينبغي على المؤسسات الدعوية العناية بها في هذا

(١) انظر: التكفير وضوابطه، أ.د. إبراهيم الرحيلي، ص ٤٥، التكفير في ضوء السنة النبوية، أ.د. باسم الجوابرة، ص ١٩.

الصدد التعرف على الأسباب المتعلقة ببعض الجماعات المنتسبة للدعوة، وخاصة الجماعات التي لها اتجاهات فكرية منحرفة والتي أضرت بالشباب وتسببت في ولوجه إلى عالم التكفير، ودفعت بالشباب خاصة إلى اعتناق التكفير، ورمي المجتمعات بالجاهلية والكفر.

يقول أحد الباحثين: (ومن أبرز المصادر والأسباب التي أدت إلى انتشار التكفير في أوساط المسلمين اليوم - حتى تمّ هذا الداء خلقاً كثيراً ممن لم يكونوا معروفين ببدعة - بعض الجماعات الدعوية المعاصرة التي لم تنشأ على السنة بل تتخبط في البدع والضلالات، إما لسوء مقاصد القائمين عليها، وإما لجهلهم بالدين)<sup>(١)</sup>.

ولعل هذا من معائب الجماعات المنتسبة للدعوة منذ القدم، حيث ترى كل جماعة ضلال بل كفر من خالفها من أجل تحقيق مقاصد كثيرة لعل من جملتها تفسير الناس مما خالفها وتزهيدهم في أتباعها.

يقول ابن أبي العز الحنفي - رحمه الله - : (فمن عيوب أهل البدع تكفير بعضهم بعضاً، ومن ممداح أهل العلم أنهم يخطئون ولا يكفرون)<sup>(٢)</sup>.  
ويؤكد شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - على رداءة اعتقاد بعض الجماعات والفرق المنتسبة للدعوة والتي ضلت في منهجها الدعوي وكفرت الآخرين بقوله: (وصار كثير من أهل البدع مثل الخوارج، والروافض، والقدرية، والجهمية، والممثلة، يعتقدون اعتقاداً هو ضلال يرونه هو الحق، ويرون كفر من خالفهم في ذلك)<sup>(٣)</sup>.

(١) التكفير وضوابطه، أ.د. إبراهيم الرحيلي، ص ٣٧.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص ٤٣٩.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٢/٤٦٦-٤٦٧.

### ج- معرفة أهداف ظاهرة التكفير:

لأي عمل من الأعمال أهداف يرغب في تحقيقها والوصول إليها، وهذه الأهداف لها دوافع تحرضها وتدفعها للعمل، والمحصلة هو النتائج النهائية. فالهدف: هو الغاية التي يتصورها الإنسان ويضعها نصب عينيه، وينظم سلوكه من أجل تحقيقها.

وأما الدافع: فهو الباعث أو المحرض الذي يدفع إلى تحقيق الهدف. وأما النتيجة: فهي المحصلة التي توصل إليها الإنسان، سواء حققت الهدف أو لم تحققه. والأهداف تتنوع من حيث أهميتها أو خطورتها أو نفعها أو ضررها أو قربها أو بعدها.

والتكفير له أهدافه الخبيثة التي يرمي إلى تحقيقها من خلال جملة من المحرضات والدوافع التي ترغب في الوصول إلى نتائج وآثار تخريرية في المجتمع؛ ونظراً لكل ذلك فينبغي على المؤسسات الدعوية العناية بمعرفة أهداف التكفيريين، ورصدها من خلال تتبعها ودراستها وبحثها بدقة.

### د- معرفة وسائل التكفير:

تطلق الوسائل ويراد بها في الاصطلاح العام (ما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به)<sup>(١)</sup>.

ولكل علم أو تيار فكري أو جماعة أو فرقة وسائلها الخاصة بها التي تركز عليها أكثر من غيرها، وإن كانت الوسائل في حقيقتها - من حيث المبدأ - حيادية يمكن استعمالها في الخير أو الشر. والوسائل تتبع دائماً من المنهج الذي تتبعه، وتأخذ أحكام المقاصد

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير الجزري.



والغايات التي ترمي وتهدف إليها.

يقول الشيخ عبد الرحمن بن سعدي - رحمه الله -: (الوسائل لها أحكام المقاصد، مما لا يتم الواجب إلا به فهو مسنون، وطرق الحرام والمكروهات تابعة لها، ووسيلة المباح مباحة)<sup>(١)</sup>.

والوسائل إن سلكت مسلك التكفير وهدفت إليه فهي وسائل محرمة، وإن كانت في الأصل وسائل مجردة متاحة للجميع. يقول الإمام ابن جزى رحمه الله: (والوسيلة إلى الحرام حرام)<sup>(٢)</sup> والوسائل تتنوع إلى أنواع عديدة يصعب حصرها كالوسائل المقروءة والمكتوبة والمرئية ووسائل الاتصالات والتقنية المعاصرة<sup>(٣)</sup> كالحاسوب الآلي، وشبكة المعلومات - وهنالك الوسائل المادية والمعنوية وغيرها.

ومن الوسائل ما هو داخلي وخارجي، وفيها ما هو مباشر وغير مباشر، ومنها ما هو خاص وعام، وعادي وتقني وغير ذلك<sup>(٤)</sup>.

وفي سبيل نشر عقيدة التكفير فقد لجأ التكفيريون وأرباب هذا الفكر المنحرف إلى استخدام العديد من الوسائل التي روجت لفكرهم وضللت به بعض الناس وخاصة الشباب وزينت لهم الأخذ به واتباعه، ومن ثم سقوهم في شبكة التكفير.

ونظراً لكل ذلك فينبغي على المؤسسات القائمة على الدعوة رصد وسائل التكفير وتتبعها والتعرف عليها من خلال الأبحاث العلمية الجادة، ومعرفة

(١) القواعد والأصول الجامعة، لعبد الرحمن بن سعدي، ص ١٠.

(٢) تقريب الوصول إلى علم الأصول، لابن جزى، ص ٢٥٥.

(٣) انظر: الدعوة الإسلامية، الوسائل والأساليب، لمحمد خير يوسف، ص ٢٦ وما بعدها.

(٤) انظر: وسائل الدعوة، أ.د. محمد إبراهيم الجيوشي، ص ٩.

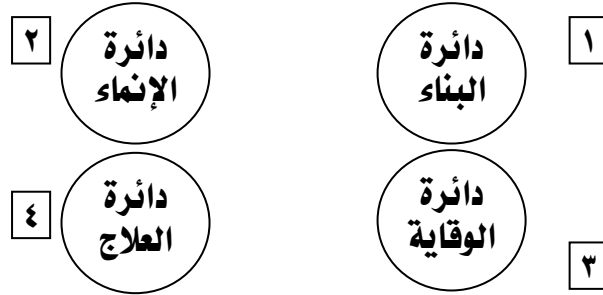
قواعد الوسائل، د. مصطفى مخدوم، ص ١٧٧.

وسائل الدعوة إلى الله - تعالى - وأساليبها، أ.د. حسين محمد عبد المطلب، ص ٢٢.

مصادرها الداخلية والخارجية، ومدى تأثيرها في النفس، ووضع الحلول الناجمة للرد عليها وإجماعها بالحق، ومن ثم التقليل من آثارها، وتجفيف منابعها، وتقليم أظفار القائمين عليها.

#### هـ- معرفة طرق علاج ظاهرة التكفير:

لعل دائرة العلاج من أهم وأصعب دوائر التعامل مع ظاهرة التكفير، ويحسن بنا الإشارة إلى ثلاث دوائر مهمة تسبق هذه الدائرة وهي: دائرة البناء، ودائرة الإنماء، ودائرة الوقاية، ويمكن تمثيل تلك الدوائر في الشكل التالي:



(شكل توضيحي يبين دوائر التعامل مع ظاهرة التكفير).

#### أولاً: دائرة البناء:

والمقصود بها الدائرة التي تهدف إلى بناء الأصول العقيدية والعلمية والتعبدية والفكرية في نفس المسلم، مع غرس القيم الخلقية الهادفة لكل خير والمحذرة من كل شر.

ولعل بناء العقيدة والإيمان والتوحيد والعلم بالله - تعالى - وبرسوله - ﷺ - وبحقائق الدين الإسلامي الحنيف من أهم الأمور التي تورث في النفس التربية السليمة ضد التكفير والانحراف وتجعل المسلم يعيش في حصون من الفضل والخير تستعصي بإذن الله - تعالى - على دعاة التكفير والضلالة<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: حراسة العقيدة، أ.د. ناصر عبد الكريم العقل، ص ٣١.

## ثانياً: دائرة الإنماء:

والمقصود بها الدائرة التي تهدف إلى تنمية جوانب الخير والمعروف والتنمية الحقيقية للدين الإسلامي الحنيف في النفوس وتربية الفرد والمجتمع تربية إسلامية صحيحة، وتوجيه فكره الوجهة السليمة كما قال - تعالى - : ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيُّهَا﴾<sup>(١)</sup>.

ولعل من الجوانب المهمة لدائرة الإنماء تنمية التقوى في نفوس الأفراد وتزكيتهم، وثمرير الفضل واستتبات معاني الدين وسقيها بسقيا الإيمان، وتعاهدها من كل شرّ وسوء.

يقول الحافظ ابن الجوزي - رحمه الله - : (ينبغي أن ينظر المرء إلى إيمانه هل تغير، ويقف حارساً لقلبه ؛ لئلا يدخله اعتراض أو تسخط شك أو شرك بل ينبغي أن يجتهد في مراعاة الإيمان وتحقيق التوبة)<sup>(٢)</sup>.

## ثالثاً: دائرة الوقاية أو الاستباق:

والمقصود بها الدائرة التي تهدف إلى وقاية الفرد والمجتمع المسلم من شرور التكفير، واستباق قوى الشرّ وتحالفات السوء المفضية للتكفير قبل وصولها لعقول الناس وأفكارهم وقلوبهم.

### ومن جملة أسباب الوقاية<sup>(٣)</sup> :

الحث على اتقاء الشبهات والشهوات، ووقاية العقل عمّا يفسده، وحفظ القلب عما يهلكه، وصيانة الفكر عمّا يحرفه، وسدّ باب الدّرائع المؤدية إلى الفساد وولوج الناس في بحار التكفير.

وقد أمر الإسلام باتخاذ الحيطة والحذر والوقاية من الأسباب المؤدية إلى

(١) سورة البقرة آية ١٤٨.

(٢) الثبات عند الممات لابن الجوزي ص٧٦.

(٣) انظر: أصول التربية الإسلامية، أ.د. خالد الحازمي، ص٦٠.

الانحراف والخسران وتبوء النيران، كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾<sup>(١)</sup>.

#### رابعاً: دائرة العلاج:

والمقصود بهذه الدائرة-محور موضوعنا- مجموعة الجهود المبذولة لمساعدة من وقع في التكفير للعدول عن مساره المنحرف وإرجاعه إلى دائرة الحق والصواب.

والحقيقة أن دائرة العلاج تعتبر من أصعب الدوائر في المجتمع وأهمها، وتحتاج إلى العديد من الجهود والتكاتف فيما بين الأفراد والجهات، وتوجيه العلماء وأرباب الفكر الناصح، ورعاية ولاية الأمور لذلك حتى تؤتي الجهود أكلها وتسفر عن ثمراتها<sup>(٢)</sup>.

وتحتاج دائرة العلاج إلى العديد من المسارات والوسائل والأساليب: الشرعية، والفكرية، والنفسية، والمالية، والاجتماعية، والتعليمية، والمناصحة، وتوفير الأجواء الإيمانية لمن وقع في براثن التكفير، مع بذل المعروف لهم ومعاملتهم بالأخلاق الكريمة، وبث معاني الإسلام الحقيقية في نفوسهم، وتوفير الكتب والأشرطة وغيرها من أسباب المعرفة الحقيقية لهم ومن الأسباب المعينة على العلاج كذلك: حث التكفيريين على مراجعة أنفسهم، وقراءة القرآن الكريم وتدبره والتوبة والاستغفار، وفعل الحسنات، ومحاسبة النفس. مع الاهتمام بتعريفهم بمقاصد الشريعة الإسلامية وقواعدها العامة، والتعريف بمنهج السلف الصالح وكتبهم، وما يترتب على أعمالهم من آثار يحاسبون عليها في الدنيا والآخرة<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة التحريم، الآية ٦.

(٢) انظر: أئمة التكفير..، أ.د. محمد عبد الحكيم حامد ص ٣٨٩.

(٣) انظر: التكفير في ضوء السنة النبوية، أ.د. باسم الجوابرة ص ٢٣.

## المبحث الثاني

### معرفة المؤسسة الدعوية بقدراتها العلمية وإمكاناتها العملية

إن علم المؤسسة الدعوية بقدراتها وإمكاناتها العلمية والعملية من الأسباب الهامة في تقدير موقفها ومدى مساهمتها في معالجة ظاهرة التكفير. والمؤسسة الدعوية تجاه معالجتها لظاهرة التكفير ينبغي عليها الاهتمام بالمسألتين التابيتين: أولاً : الاهتمام بالقدرات العلمية:

التكفير ظاهرة سيئة وخاطئة ومنحرفة، وتتطوي على الجهل والبدع والمنكرات والآثار المدمرة للفرد والمجتمع<sup>(١)</sup>، وتحتاج معالجة هذه الظاهرة السيئة للقدرات العلمية المؤهلة تأهيلاً شريعياً كاملاً، مستوعباً لموقف العقيدة الإسلامية من التكفير، وكيفية معالجته والرد على معتقيه والمفتونين به، والعلماء الشرعيين المؤهلون هم أولى الناس بالرد على التكفيريين؛ لأنهم أعلم بهم وأبصر، وعلى البيان والإيضاح أقدر. قال - تعالى - : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لُبِّيْنَهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُوهُ ﴾<sup>(٢)</sup>.

وفي سبيل نهضة المؤسسة الدعوية بالناحية العلمية واهتمامها بقدراتها ينبغي عليها تحقيق أمرين مهمين هما:

أ - الارتكاز على العلم الشرعي المبني على الكتاب والسنة وآثار علماء سلف الأمة الصالح وتراثهم الفقهي العظيم، ومدّ جسور العلاقة بين المؤسسة الدعوية وبين العلماء الذين يمثلون هذا الجانب ويحملون دعامة. وتحقق بهم رأيه.

ب - تأهيل منسوبي المؤسسة الدعوية بالعلم الشرعي، عن طريق فتح المجال للالتحاق بالجامعات والكليات والدورات الشرعية، وكذا الإفادة من

(١) انظر: بذل النصح والتذكير، للشيخ عبد المحسن العباد، ص ٥١.

(٢) سورة آل عمران آية ١٨٧.

العلماء في تطوير قدرات منسوبي المؤسسة بالعلم والمعرفة الصحيحة والمنهج القويم في الرأي والنظر والاستدلال والمحاكاة والحوار مع الآخرين.

**ثانياً: الاهتمام بالإمكانات العملية:**

والمقصود بذلك: معرفة المؤسسة بإمكاناتها العملية المتمثلة بقدراتها المادية ووسائلها وتقنياتها وطرائق أعمالها الإدارية والمكتبية؛ لتقوم بدور مساند في سبيل تنفيذ أعمالها العلمية الفكرية، ومدّ جسور فيما بين المؤسسة الدعوية وبقية قطاعات المجتمع، وامتلاك القدرة على دعم العلماء وأجهزة المؤسسة في التصدي للتكفيريين والوقوف أمام أنشطتهم، وتعريضها أمام المجتمع، وتحذير الناس منها.

**وفي سبيل قيام المؤسسة الدعوية بالاهتمام بالإمكانات العملية ينبغي عليها التنبيه إلى ما يلي:**

- أ - دراسة واقع المؤسسة الدعوية من جميع النواحي، عن طريق خبراء متخصصين، وتلمس مواقع الضعف والقصور وتلافيها.
- ب - تزويد المؤسسة الدعوية بكل ما تحتاجه من إمكانات مادية وتقنية ونظم إدارية لتقوم بوظائفها.
- ج - رسم خطة استراتيجية للمؤسسة الدعوية، تقوم على دراسة الماضي ومعرفة الحاضر واستشراف المستقبل.
- د - تحديد أهداف المؤسسة الدعوية.
- هـ - تطوير قدرات منسوبي المؤسسة الدعوية عن طريق التعليم والدورات المتخصصة.
- و - تدريب منسوبي المؤسسة الدعوية على الأعمال العلمية والإدارية وغيرها<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: التدريب وأهميته في العمل الإسلامي، د. محمد موسى الشريف، ص ١٠.

## المبحث الثالث

### الإعداد العلمي الصحيح للدعاة لمواجهة ظاهرة التكفير

تحتاج المؤسسة الدعوية في سبيل التصدي لظاهرة التكفير إلى إعداد منسوبيها من الدعاة إعداداً علمياً جيداً ينطلق من قول الله - تعالى - : ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ الآية<sup>(١)</sup>.

وقوله - ﷺ - : (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)<sup>(٢)</sup>.

وفي سبيل قيام المؤسسة الدعوية بالإعداد العلمي الصحيح للدعاة لمواجهة مظاهر ومخاطر التكفير في المجتمع، ينبغي عليها الاهتمام بما يلي:

أ - إن العلم من أهم المطالب العالية في التصدي لظاهرة التكفير، وهو السبيل المهم في إخراج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الكفر إلى التوحيد، ومن الضلالة إلى الهدى، ومن الحيرة إلى برد اليقين قال - تعالى - : ﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾<sup>(٣)</sup>.

ب - لا يمكن للدعاة أن يقوموا بالتصدي للتكفير إلا عن طريق التسلح بالعلم الشرعي المستمد من الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح.

ج - يهدف التكفير إلى صناعة فوضى عقديّة، وبلبلّة فكريّة، وتخريب اجتماعي بين الناس، ولذا تحتاج المؤسسة الدعوية في سبيل التصدي لشروحه إلى صناعة للدعاة الذين ينبرون له ويتصدون لمكره وخبثه.

(١) سورة الأنفال آية ٦٠.

(٢) متفق عليه. صحيح البخاري، ٤٢/١ كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً رقم (٧١)، صحيح مسلم ٧١٨/٢ كتاب الزكاة باب النهي عن المسألة.

(٣) سورة إبراهيم آية (١).

- وصناعة الدعاة تحتاج إلى تضافر العديد من الجهود العلمية والنفسية والعملية والتدريبية. ويمكن القيام بذلك بطرق متعددة : التعليم الجامعي، وعقد الدورات العلمية المتخصصة ، والمحاضرات، والندوات الخاصة، وتوفير الكتب والمراجع والدوريات المتخصصة.
- د - تجهيز مكتبة خاصة عن مسائل التكفير وما يتعلّق به من قضايا؛ لتكون في متناول أيدي الدعاة والباحثين.
- هـ - التنشيط العلمي والفكري المستدام للدعاة من قبل المؤسسة الدعوية ، واليقظة الذهنية لمسارب التكفير في المجتمع، وتجهيز الردود العلمية المناسبة لذلك.
- و - استضافة العلماء والمشايخ والدعاة المشهود لهم برسوخ القدم في العلم، وعقد الحوارات العلمية معهم، وسؤالهم عما أشكل على دعاة المؤسسة.



## المبحث الرابع

### الاستناد إلى المنهج القويم في الدعوة

للمنهج القويم في الدعوة إلى الله - تعالى - أهمية بالغة. قال - تعالى - : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾<sup>(١)</sup>. وقال سبحانه : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾<sup>(٣)</sup>، ويقول - عز من قائل - : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾<sup>(٤)</sup>.

يقول الإمام الطبري في تفسير الآيتين الكريمة: (ومن يباين الرسول محمد - ﷺ - معادياً له فيفارقه على العداوة له من بعد ما تبين له أنه رسول الله ، وأن ما جاء به من عند الله يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم، ويتبع طريقاً غير طريق أهل التصديق ويسلك منهاجاً غير منهاجهم، نجعل ناصره ما استتصره واستعان به من الأوثان والأصنام، وهي لا تغنيه ولا تدفع من عذاب الله شيئاً، ولا تنفعه)<sup>(٥)</sup>.

ويؤكد الإمام القاسمي على شمولية (السبيل) الوارد في الآية الكريمة

(١) سورة يوسف آية ١٠٨.

(٢) سورة هود آية ١١٢.

(٣) سورة الأنعام آية: ١٥٣.

(٤) سورة النساء آية: ١١٥.

(٥) جامع البيان، للطبري ٤/٢٧٧.

وعموم معناه لكل ما تتبني عليه حياة المسلمين، ولا ريب أن المنهج الذي تسيير عليه دعوة الإسلام من أوثق مستلزمات الحياة الإسلامية. يقول القاسمي: (فسبيل المؤمنين - وإن فسّر بما هم عليه من الدين - يعمّ الأصول والفروع، والكلّ والبعض)<sup>(١)</sup>.

وتأسيساً على كل تلك الأدلة والأقوال وغيرها، ينبغي على المؤسسات الدعوية الالتزام بالمنهج القويم في الدعوة إلى الله، وذلك لكفاءة هذا المنهج وقيوميته وفضله وخيريته ووسطيته واستيعابه لكلّ المتغيرات المعاصرة، وقدرته على التعامل مع مشكلات الأفراد والجماعات. فمنهج السلف وطريقتهم ومذهبهم هو الأسلم والأعلم والأحكم، ولا يمكن أن يدانيه أو يقادبه أي منهج أو طريق آخر مغاير<sup>(٢)</sup>.

والمؤسسة الدعوية في معالجاتها لقضايا التكفير والتصدي لشروحه، لا ينفعها في مسيرتها العلمية والفكرية والعملية إلا المنهج القويم المبني على الأصول الصحيحة من الكتاب الكريم والسنة النبوية وسيرة السلف الصالح. وخلال مسيرة التكفير السيئة عبر التاريخ تبين أنه لا يفله ولا يهزمه إلا أصحاب المنهج القويم، ولا يمكن أن تقوم نار للتكفير أمام أنوار التوحيد والإيمان والسنة التي يحتفي بها المنهج القويم<sup>(٣)</sup>.

ولذا ينبغي على المؤسسات الدعوية العناية بالمنهج القويم، والعلم به، والتعرف عليه، وتقريب أهله وتمكينهم من العمل فيها، مع الحذر من الأدعياء أصحاب الجماعات والمناهج والتيارات المغايرة للمنهج القويم.

(١) محاسن التأويل، للقاسمي ٣/٣٣١.

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي ص ٢٨٢، والمنهج السلفي، د. مفرح القوسي ص ٢٦.

(٣) انظر: التكفير، د. نعمان عبد الرزاق السامرائي ص ٢١ وما بعدها.

ولعلّ مما يعاب ويؤخذ على بعض المؤسسات الدعوية العاملة في حقل الدعوة هو تسلّل بعض أفكار الجماعات إليها وتأثرها بهم، مما أضعف عمل تلك المؤسسات وقصورها في معالجة مظاهر الخلل في حياة المسلمين.

**وخلاصة القول** فالمنهج القويم في الدعوة يتصف بأنه حق وصواب، وأن غيره من المناهج والاتجاهات ينتابها الخطأ والقصور والزلل، ولذا عبّر السلف عن أصحاب تلك المناهج المخالفة بأهل الأهواء الذين تبرز فيهم البدع والضلالات<sup>(١)</sup>.

ولذا ينبغي على القائمين على المؤسسات الدعوية العناية بالمنهج القويم في الدعوة وعدم التساهل أو التخاذل عنه، إذ هو سفينة النجاة في بحار التكفير والتفجير، وعنوان السلامة عند المدلهمات والخطوب.

## المبحث الخامس

### بيان حقيقة الدعوة الإسلامية الصحيحة

دعوة الإسلام واضحة كل الوضوح كالشمس في رابعة النهار لا يضام الناس عن ضوئها وشعاعها. والخلل حينما يتسلل إلى حياة بعض المسلمين، إنما هو بسبب جهلهم بحقيقة الدعوة الإسلامية الصحيحة، في العقيدة والعبادة والمعاملات والأخلاق والتعامل مع الآخرين، وقد يتطور هذا الخلل إلى أن يدمر المسلم في حياته وأخراه.

وأهل التكفير والتجهيل إنما استزلهم الشيطان بسبب بعدهم عن العلم بحقيقة الدعوة الإسلامية الصحيحة، وجهلهم بأصول الدين وأسس العقيدة الإسلامية<sup>(١)</sup>.

ونظراً لهذا الجهل التكفيري ينبغي على المؤسسات الدعوية العناية ببيان حقيقة دعوة الإسلام النقية الصافية.

قال الله - تعالى - : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكُفُّوهُ فَبَدُّوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئْسَ مَا يَشْتُرُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال - سبحانه - : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال - جل شأنه - : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى

(١) انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، للإمام ابن تيمية ص ١١.

(٢) سورة آل عمران، آية ١٨٧.

(٣) سورة إبراهيم، آية ٤.

وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١﴾.

يقول الحافظ ابن كثير في تفسيره : (قال ابن مسعود قد بين لنا في هذا القرآن الكريم كل علم وكل شيء) (٢)  
 بل إن القرآن العظيم قد تكفل ببيان حقائق الأمور وتفصيل الأشياء حتى يتضح الدين للناس ويزيل اللبس والغموض.  
 قال - تعالى - : ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً ﴾ (٣) ، يقول القرطبي: (أي من أحكام التكليف) (٤).

وقال ابن عاشور : (والتفصيل في الأشياء يكون في خلقها، ونظامها، وعلم الله بها، وإعلامه بها..ومن جملة ما فصله للناس الإرشاد إلى التوحيد وصالح الأعمال والإنذار على العصيان، وفي هذا تعريض بالتهديد) (٥).  
 وحينما تقوم المؤسسات الدعوية بدورها في إيضاح العقيدة الإسلامية، وبيان حقيقة الدعوة، فإنها تقوم بأعظم الأدوار في بيان الصواب من الخطأ، والإيمان من الكفر، والتوحيد من الشرك، وبذا تتضح حقائق الأمور للناس، وينكشف زيف التكفير، وينتهك ستره، ويتقوض بنيانه.  
 يقول الشيخ صالح الفوزان : (فالتكفير ليس بالأمر الهين، إنما هو أمر خطير جداً، ولا يتناوله إلا من عنده أهلية علمية، وتقوى الله، وإنصاف وعدل ووسطية في هذا الدين) (٦).

(١) سورة النحل، آية ٨٩.  
 (٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ص ١٠٧٣.  
 (٣) سورة الإسراء، آية ١٢.  
 (٤) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ٣٨/١٣.  
 (٥) تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور ٤٥/١٤-٤٦.  
 (٦) منهج أئمة الدعوة في مسائل التكفير والخروج، للشيخ صالح الفوزان ص ٢٠.

## المبحث السادس

### التحذير من جماعات الغلو والتكفير والتطرف

الحذر من صفات المؤمنين كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ... ﴾<sup>(١)</sup>.

يقول الشيخ ابن عاشور في تفسيره لهذه الآية : (الحذر: توقي المكروه ولفظ (خذوا) استعارة لمعنى شدة الحذر وملازمته؛ لأن حقيقة الأخذ بتناول الشيء الذي كان بعيداً عنك، ولما كان النسيان والغفلة يشبهان البعد والإلقاء كان التذكر والتيقظ يشبهان أخذ الشيء بعد إلقائه)<sup>(٢)</sup>.  
فالتحذير مطلب شرعي مهم، وصفة من صفات العقلاء الرفيعة التي تبذل الأسباب قبل وقوع المحذورات.

والتكفير آفة خطيرة ومرض عضال يحتاج إلى تحذير الناس، وأخذ الحيطة والحذر منه، والجماعات التي تتبنى الغلو والتكفير والتطرف جماعات هالكة، تريد أن تهلك المجتمع والحرث والنسل. فالتكفير يعمُّ بأضراره قائله وتابعه، وعامله.

يقول الشيخ صالح الفوزان: (فالتكفير أمر خطير، ويرجع إلى من قاله، فمن قال لأخيه يا كافر، يا فاسق، يا عدو الله، وهو ليس كذلك رجع كلامه عليه، فالكلام لا يذهب هدراً، بل يرجع إلى من قاله، فهو يكفر نفسه، ويفسق نفسه؛ ويكذب نفسه، لأنه أطلقه على من لا يستحق هذا الشيء، فيرجع كلامه عليه)<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة النساء، آية ٧١.

(٢) تفسير التحرير والتوير، لابن عاشور ١١٧/٥-١١٨.

(٣) منهج أئمة الدعوة، للشيخ صالح الفوزان، ص ٢٢.

ونظراً لكل ذلك ينبغي على المؤسسات الدعوية القيام بدورها المنوط بها، والمأمول فيها في تحذير الناس من جماعات الغلو والتطرف والتكفير والتفجير بالوسائل المناسبة والأساليب السهلة المفهومة كالخطب أيام الجمع، والمحاضرات والندوات والمواظع والكلمات والدروس العلمية في المساجد والمدارس والجامعات والمنتديات، والأندية والمجامع العامة كالمراكز الشبابية والمخيمات وغيرها. والتحذير ينتهج مسلكين كبيرين هما:

■ المسلك الأول: التحذير المباشر: والمقصود به بيان مخاطر الغلو والتكفير والتطرف على المجتمع، وإيضاح مساوئه وأضراره الدينية و الدنيوية والأخروية.

■ المسلك الثاني: التحذير غير المباشر: والمقصود به عرض التحذير بصورة غير مباشرة لبعض قطاعات وأفراد المجتمع لأسباب عديدة، عن طريق النشرات، والمعارض، والأفلام، والأقراص المدمجة وغيرها.

وينبغي على المؤسسة الدعوية عند قيامها بواجب التحذير اتخاذ الاحتياطات الكاملة لتنفيذ أعمالها، وهذا كله من باب النصح الشرعي، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فعن تميم الداري - رضي الله عنه - أن النبي - ﷺ - قال: (الدين النصيحة. قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)<sup>(١)</sup>.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (بيّن الله - سبحانه - أن هذه الأمة خير الأمم للناس، فهم أنفعهم لهم، وأعظمهم إحساناً إليهم؛ لأنهم كملوا كل خير ونفع للناس بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر)<sup>(٢)</sup>.

(١) صحيح مسلم ٧٤/١ كتاب الإيمان، باب أن الدين نصيحة رقم (٥٥).

(٢) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للإمام ابن تيمية، ص ٢٧.

## المبحث السابع

### المساهمة في تقويم الأفكار المنحرفة في المجتمع

تعتبر مؤسسات الدعوة ضمن مؤسسات المجتمع التي تقدم خدماتها ورعايتها لأفراد المجتمع.

وأفراد المجتمع يعيشون ضمن أطراف العقيدة والأفكار والآراء والاتجاهات التي يعتنقونها.

وخلال مسيرة المجتمع العقدية والفكرية قد ينتاب بعض أفراد نتيجة لبعض الظروف نوع من الانحراف والميل عن الجادة والاستقامة، وهنا تكمن الخطورة والضرر، حيث الفرقة والانقسام والتعدد<sup>(١)</sup>. والعلماء كالأطباء يصفون الدواء بعد تشخيص الداء، ويقومون الأفكار المنحرفة، ويسدّدون الاتجاهات، ويصلحون ما انجرح في عقائد الناس وفسد من أفكارهم، فهذا واجبهم فهم به أليق وعليه أوجب<sup>(٢)</sup>.

#### وتقويم الأفكار المنحرفة من قبل المؤسسة الدعوية يحتاج إلى مستلزمات أهمها:

- أ - الأفكار المنحرفة وتصنيفها ودراساتها.
- ب - عرض الأفكار المنحرفة على منهج الإسلام الصافي والعلم الوافي المستمد من الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح.
- ج - مناقشة الآراء والأفكار المنحرفة وبيان الدليل بالحجّة والبرهان والقول الجميل، عن طريق العلماء الرّبّانيين المشهود لهم برسوخ القدم في العلم والنظر. يقول الشيخ صالح الفوزان: (وإنّما يرجع إلى أهل البصيرة وأهل

(١) انظر: الفرق بين الفرق، لعبد القاهر البغدادي، ص ٥ وما بعدها.

(٢) انظر: العلاقة بين العلماء والناس، أ.د. سيد محمد ساداتي ص ١٠.



العلم الذين يعرفون متى يرتدُّ المسلم، ومتى يكفر المؤمن، ويعالجون الأمر بما يقتضيه من العلاج، هذا هو أمر التكفير، ولو أن الناس رجعوا إلى العلماء الموثوق بعلمهم ودينهم، رجعوا في هذه الأمور إلى أهل العلم وعرضوها عليهم لانضبط الأمر<sup>(١)</sup>.

## المبحث الثامن

### إشاعة ثقافة الإيمان والسلام والإخاء والوسطية والاعتدال

لعل من واجبات المؤسسات الدعوية إشاعة جوانب الخير في المجتمع، وتدعيم العوامل الإيجابية بين الناس، وبث عرى الإيمان والسلام والأخوة الإسلامية الصحيحة، والوسطية والاعتدال في جميع جوانب الحياة. قال - تعالى - : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾<sup>(١)</sup>، والقرآن العظيم يستفتح بعض السور بزفّ البشرى للمؤمنين، واستباقهم بالأجر والخير وفي هذا ترغيب لهم على الاستمرارية في عمل الصالحات قال - تعالى - ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>، يقول الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في تفسيره للآية الكريمة (هذا تنويه من الله بذكر عباده المؤمنين، وذكر فلاحهم وسعادتهم، وبأي شيء وصلوا إلى ذلك، وفي ضمن ذلك، الحث على الاتّصاف بصفاتهم، والترغيب فيها)<sup>(٣)</sup>. والحقيقة أن قيام المؤسسات الدعوية بوظيفة تدعيم الروح المعنوية وتفعيل النواحي الإيجابية في حياة المجتمع المسلم من خلال إشاعة ثقافة الإيمان والسلام والإخاء والوسطية والاعتدال لهو أمر عظيم وهام ووظيفة من أوجب الوظائف الدعوية؛ وذلك لأنها تتضمن أمرين مهمين هما:

أ - تقريب الخير للناس ودلائلهم على القرآن والتوحيد والسنة والإيمان والعمل

(١) سورة الجمعة، آية ٢.

(٢) سورة المؤمنون، آية ١-٣.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، للشيخ ابن سعدي، ص ٥٤.

## الصالح والخلق الكامل.

ب - صرف أنظار الناس عما لا يفيدهم من قضايا ومسائل، قد لا يحتاجها إلا العلماء المتخصّصون؛ لأنه قد يكون في نشر بعض العلوم والمسائل الدّقيقة على عامة الناس فتنة لهم، لعدم إحسانهم فهمها، وتعاطيها وإنزالها منازل الحقيقة. يقول عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - : (ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة)<sup>(١)</sup>.

(١) صحيح مسلم ١٠/١ المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع. رقم (٥).

## المبحث التاسع

### مناقشة شبه التكفيريين وتفنيدها بالحجج الشرعية الواضحة

دين الإسلام يقوم على الأصول الثابتة والعقيدة الواضحة والأسس المحكمة المستفادة من الكتاب والسنة وآثار علماء الأمة.

قال - تعالى - : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (١).

يقول الحافظ ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره للآية الكريمة: (يخبر - تعالى - أن القرآن آيات محكمات هن أم الكتاب أي: بينات واضحات الدلالة، لا التباس فيها على أحد من كثير من الناس أو بعضهم، فمن رد ما اشتبه عليه إلى الواضح منه، وحكم محكمه على متشابهه عنده، فقد اهتدى، ومن عكس انعكس..) (٢) والشبه تطلق ويراد بها: المأخذ الملبس في الشرعيات. ولها أنواع متعددة نقلية وعقلية: فأما النقلية فنوعان:

أ - شبهات لفظية: وهي ما يكون سبب الإشكال فيها من اللفظ.

ب - شبهات معنوية: وهي ما كان الإشكال فيها في المعنى.

وأما الشبهات العقلية: فهي التي تقع في أمور الاستدلالات العقلية (٣). وأهل التكفير صناعتهم الشبهات: تتبعاً وتعلماً وإشاعة وترويجاً وتليبساً على

(١) سورة آل عمران، آية ٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم، للحافظ ابن كثير، ص ٣٤٩.

(٣) انظر: المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، د. إبراهيم البريكان، ص ٤٤-٤٥.

الناس وفتنة لهم.

وللتكفيريين شبه غريبة وعجيبة، وأحياناً تكون دخيلة على أفكار المسلمين وثقافتهم من أبوابها الواسعة، وهذه الشبه التي يرفعها أهل التكفير والتضليل والتجهيل ليست لها وجهة في الشرع، بل هي من نتاج الهوى والرأي الفاسد والعاطفة الكاذبة والخداع المضلل والانحراف عن المنهج الأسنى وأتباع من تردى في السخافات وجرفتهم شياطين الإنس والجن. وشبه التكفير التي يتعلل بها التكفيرون ويلوذون بأستارها ويوؤن بأوزارها تتنوع وتختلف حسب الزمان والمكان والأحداث والموضوعات التي تكون سائدة في المجتمع ولها اهتمام من قبل الناس من خلال بعض الأحداث وغيرها<sup>(١)</sup>.

ونظراً لمخاطر التكفير ومحاذيره العديدة ينبغي على المؤسسات الدعوية - عند الحاجة - مناقشة شبه التكفير وتنفيذها بالحجج الشرعية الواضحة المبنية على كتاب الله - تعالى - وسنة رسوله - ﷺ - وما أثر عن علماء الأمة يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (فإن الكفر والفسق أحكام شرعية، ليس ذلك من الأحكام التي يستقل بها العقل، فالكافر من جعله الله ورسوله كافراً، والفاسق من جعله الله ورسوله فاسقاً، كما أن المؤمن والمسلم من جعله الله ورسوله مؤمناً ومسلماً...) (٢).

ويؤكد شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - على أن مسائل التكفير موكولة إلى نظر الشرع، وليست موكولة إلى نظر العقل، وأن المخالفات ليست ذريعة مقبولة إلى التكفير.

يقول شيخ الإسلام: (والكفر هو من الأحكام الشرعية، وليس كل من خالف شيئاً علم بنظر العقل يكون كافراً، ولو قدر أنه جحد بعض صرائح

(١) معرفة أكثر عن شبه التكفير. انظر: النذير، د. ماجد المرسل، ص ١١١ وما بعدها..

(٢) منهاج السنة النبوية، للإمام ابن تيمية ٩٢/٥-٩٣.

العقول لم يحكم بكفره حتى يكون قوله كفراً في الشريعة ، وأما من خالف ما علم أن الرسول جاء به فهو كافر بلا نزاع<sup>(١)</sup> .

ومما ينبغي على المؤسسات الدعوية أثناء أداء رسالتها في مناقشة شبه التكفير وتقنيدها ، الالتزام بالأصول الشرعية المرعية في مواجهة الشبهات والتي يمكن تلخيصها وإيجازها في النقاط المختصرة التالية<sup>(٢)</sup> :

- الأصل الأول: تحريم القول على الله بلا علم.
- الأصل الثاني: وجوب الرد في مسائل الشريعة إلى أهل العلم المعتبرين.
- الأصل الثالث: تحريم الإفتاء في مسائل السياسة والقضايا العامة فهي من اختصاصات ولاية الأمر.
- الأصل الرابع: الحذر من أهل الأهواء والشبهات ومواقعهم.
- الأصل الخامس: وجوب ردّ المتشابهات إلى المحكمات.
- الأصل السادس: وجوب الجمع بين النصوص.
- الأصل السابع: أهمية مراعاة مقاصد الشريعة.
- الأصل الثامن: النظر في المآلات وعواقب التصرفات. الأصل التاسع: العاطفة في الميزان الشرعي والميزان النفسي.
- الأصل العاشر: الفقه في التعامل مع الفتن والنوازل.

**ومما يجدر التنبيه إليه:** أن لا يتصدى لمناقشة شبه التكفير وتقنيدها إلا العلماء الشرعيون الفاهمون الموثوق فيهم ، مع وجود كوكبة أخرى من العلماء والباحثين المساعدين لهم في المجالات المتنوعة حتى تكتمل منظومة عملهم ليكون في أحسن حال.

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٢/٢٢٥ .

(٢) للتوسع انظر: النذير، د. ماجد المرسل، ص ٤٩ وما بعدها.

## المبحث العاشر

### استباق الفكر التفكيري ووقاية المجتمع من حماته

#### وشروبه وآثاره السيئة

الاستباق إلى فعل الخير مطلب شرعي، قال - تعالى - ﴿ وَكُلِّ وَجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيَهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١).

كما أن الوقاية نهج قرآني عظيم، قال - تعالى - ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (٢).

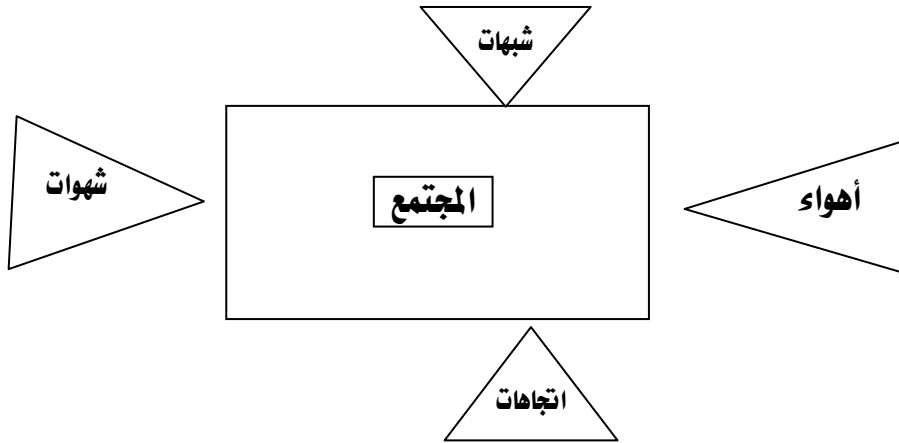
والتكفير في حقيقته فعل مقصود ويراد به استهداف أفراد أو مجتمع بعينه لتحقيق أهداف سيئة. ونظراً لذلك ينبغي على المؤسسات الدعوية بذل الأسباب الموجبة لإبطال مقاصد التكفيريين، ووقاية المجتمع من أهداف التكفير السيئة، والعمل الاستباقي أو الوقائي هام، وتحتاجه وتعمل به كثير من المؤسسات والجهات والإدارات العاملة في حقول متعددة في المجتمع. ومردّ العمل الاستباقي والوقائي راجع إلى السبب الإيجابي، والأخذ بزمام المبادرة، وبذر العقيدة والأفكار الحسنة، وملء الفراغ، وسدّ الثغرات، وملء العقول والقلوب والعواطف قبل الآخرين.

وفي هذا العمل تقويت - بإذن الله - لفرص التكفيريين التي يمكن التسلل منها إلى دواخل الناس. فالمجتمع بمثابة الفرد الواحد الذي يحتاج إلى درع يقيه

(١) سورة البقرة، آية ١٤٨.

(٢) سورة التحريم، آية ٦.

غوائل الأعداء، وطلقاتهم الموجهة إليه. وفي هذا العمل - أيضا - تحصين لأفراد المجتمع من مخاطر التكفير. ويمثل الشكل التالي واقع المجتمع مع الضغوط والأهواء والشبهات والأفكار التكفيرية التي يتعرض لها.



والملاحظ أن أفكار التكفير لا تنتشر بين الناس بطبيعتها، إذ هي مكروهة؛ لأنها تتنافى مع الفطرة البشرية، والعقيدة السليمة والمنهج الصحيح، ولذا هي تحتاج إلى أناس يحملونها وينشرونها، وهؤلاء الناس المرؤجون ينتظمون في جماعات وأحزاب وفرق متعددة - في العصر الحاضر - وتلبس على الناس أمرها، فمرة ينسبون أنفسهم للجماعة الإسلامية، ومرة ينسبون أنفسهم للإصلاح والعدل والمساواة، وغير ذلك من المسميات المشبهة، والتي فيها تدليس على المجتمع<sup>(١)</sup>.

وأما في العصور الماضية فكانت أفكار التكفير تندرج ضمن عقائد العديد من الفرق والاتجاهات مثل الخوارج وغيرهم<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر حول ذلك: فكر التكفير قديماً وحديثاً، د. عبد السلام السحيمي ص ٩١.

(٢) انظر: الملل والنحل، للشهرستاني ١١٤/١ وما بعدها.



والناس في حركتهم يتأثر بعضهم ببعض، ويقلد بعضهم بعضاً، وتسري بينهم الإشاعات سريان النار في الهشيم<sup>(١)</sup>.

(والمتمم في الحراك الاجتماعي برمته، وفي القوانين الاجتماعية يجد أن هناك قوى تدفعه وتجذبه، لتؤثر في حراكه الأفقي والرأسي، وكلما كان المجتمع منقاداً للقوة الضابطة كان ذلك الحراك الاجتماعي في نسق يضمن له السير المعتدل)<sup>(٢)</sup>.

وتحتاج هذه المؤسسات الدعوية أثناء استباقها للفكر التكفيري ووقاية المجتمع منه إلى استراتيجية وخطة علمية منظمة واضحة الأهداف والمعالم، لتتعلق من منطقات صحيحة، وتتخذ الوسائل المناسبة ليتم تحقيق النتائج بأفضل ما يمكن.

(١) انظر: الشائعات ووظيفة المؤسسات الاجتماعية في مواجهتها، أ.د. إبراهيم بن مبارك الجوير ص ١٨ وما بعدها.

(٢) انظر: السبق التربوي، أ.د. خالد حامد الحازمي ص ٣٤.

## المبحث الحادي عشر تنمية جوانب الخير في نفوس الناس وحثهم على العمل الصالح البناء المفيد

حثت الشريعة الإسلامية على الدعوة إلى الخير، ورغبت في استمالة الناس إليه، عملاً بقوله - تعالى - : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾<sup>(١)</sup>.

يقول الحافظ ابن الجوزي: (فأما الخير: ففيه قولان: أحدهما: أنه الإسلام قاله مقاتل، والثاني: العمل بطاعة الله، قاله أبو سليمان الدمشقي)<sup>(٢)</sup>. وقال ابن عطية: (أمر الأمة بأن يكونوا يدعون جميع العالم إلى الخير، الكفار إلى الإسلام، و العصاة إلى الطاعة، ويكون كل واحد من هذه الأمور على منزلته من العلم والقدرة)<sup>(٣)</sup>.

ويعطينا الفخر الرازي إيضاحاً أكبر للآية بقوله: (الدعوة إلى الخير جنس تحته نوعان، أحدهما: الترغيب في فعل ما ينبغي وهو بالمعروف، والثاني: الترغيب في ترك ما لا ينبغي وهو النهي عن المنكر)<sup>(٤)</sup>. ويضيف الألوسي مفهوماً آخر لمعنى ومقتضى الخير وهو التكميل الذي يزيد الإنسان ولا ينقصه، وذلك بقوله: (أمرهم سبحانه بتكميل الغير إثر أمرهم بتكميل النفس؛ ليكونوا هادين مهديين على ضد أعدائهم)<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة آل عمران، آية ١٠٤.

(٢) زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي ٤٣٥/١.

(٣) المحرر الوجيز، لابن عطية ٤٨٦/١.

(٤) التفسير الكبير، للفخر الرازي ٣١٥/٣.

(٥) روح المعاني، للألوسي ٢٣٧/٢.

وخلاصة أقوال المفسرين أن الخير المأمور به في الآية الكريمة يشمل كل ما يقتضيه من الأصول والمكملات في حياة الناس حتى تنتظم أمورهم، ويصلح من شأنهم ليكونوا إلى الفضل أقرب وعن الزَّيغ أبعد. والمتأمل في حياة الناس يجد أنهم إلى تعاطي الخير أقرب من تعاطيهم للشر؛ وذلك لأن الإنسان مفطور على الخير، قال - تعالى - : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١).

يقول الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في تفسيره للآية الكريمة: (وضع في عقولهم حسنها، واستقباح غيرها، فإن جميع أحكام الشرع الظاهرة والباطنة، قد وضع الله في قلوب الخلق كلهم الميل إليها، فوضع في قلوبهم محبة الحق، وإيثار الحق، وهذا حقيقة الفطرة) (٢).

وجوانب الخير مركوزة في نفس المسلم، ولكن قد يخبو أو يضعف بعضها نتيجة لبعض الأعراض والأمراض. ومن هنا ينبغي للمؤسسات الدعوية النهوض بمسؤوليتها تجاه تنمية جوانب الخير في حياة الناس، وسقيها بماء الإيمان، وتعاهدها بقطرات الإحسان، وعدم ترك المسلم وحيداً تتابه سباع التكفير وذئاب التفجير، حتى لا تتهتك الجدر، ويتقوض البنيان، وتستباح الحرمات، وتنتهك الأعراض، وتراق الدماء، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (إن الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها) (٣).

ويقول أبو إسحاق الشاطبي: (إن وضع الشرائع إنما هو لمصالح العباد في العاجل والآجل معاً، وإن تكاليف الشريعة ترجع إلى حفظ مقاصدها في

(١) سورة الروم، آية ٣٠.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، للشيخ ابن سعدي ص ٦٤١.

(٣) منهاج السنة النبوية، للإمام ابن تيمية ٢ / ١٣١.

## الخلق<sup>(١)</sup>.

ويؤكد العز بن عبد السلام على تلك المعاني العالية بقوله: (والشريعة كلها مصالح، إما تدرأ مفسد أو تجلب مصالح)<sup>(٢)</sup>.

والتنمية التي تستهدفها المؤسسات الدعوية ليست سهلة، بل ينبغي النظر على أن لها مفهومات أوسع وأرحب، إذ إن مفهوم التنمية يشير إلى أنها: (عملية تغيير متعمدة محكومة بإرادة وجهود إنسانية منظمة لتحقيق أهداف معينه)<sup>(٣)</sup>. بل يذهب البعض إلى أن عملية التنمية (عملية معقدة، متعددة الأبعاد، ويوجّهها نحو أهداف بعيدة المرمى، ذات طابع ثقافي اجتماعي، مما يستلزم دراسة متعددة الاختصاصيات، كما يقتضي التقييم والرجوع إلى المصدر ونظراً لكل تلك الاعتبارات التي تحيط بعملية التنمية<sup>(٤)</sup> المتكاملة في حياة المجتمع وحثهم على الخير وفعل الصالحات والبعد عن المحذورات ينبغي على المؤسسات الدعوية المعنية بذلك دراسة عملية تنمية الخير في المجتمع والوقوف ضد الأفكار المنحرفة كالتكفير وغيره، وذلك بدراسة واقع المجتمع من جميع النواحي الدينية والاجتماعية والنفسية والاقتصادية والقيمية، ومدى تقبل بعض أفراده لأفكار التكفير، وأسباب ذلك ومصادره، وما الجهود الدعوية المقدمة والمضادة لأفكار التكفيريين؟ ومن ثم وضع خطة تنمية شاملة لجوانب الخير في حياة الناس، ووضع آلية مرنة لتطبيقها، وتدريب القائمين على تنفيذها، مع توفير جميع الإمكانيات المعينة على ذلك. وينبغي -هنا- التأكيد على دور الداعية بعملية تنمية الخير في المجتمع، والاهتمام بتأهيله

(١) الموافقات، للشاطبي ٢ / ٦-٨.

(٢) قواعد الأحكام، للعز بن عبد السلام ١١/١.

(٣) التنمية الشاملة للمجتمعات الإسلامية، د.محروس غبان ص ١٧.

(٤) التنمية الثقافية، تأليف: لفييف من خبراء اليونسكو ص ٥.

التأهيل الشرعي والعلمي والفكري والنفسي، فالتربويون ينظرون إلى أن المعلم هو نقطة الارتكاز والانطلاق لتنمية تفكير المتعلم نحو الأفضل وفق الأصول العلمية المتعارف عليها<sup>(١)</sup>.

والدعاة لا يقلّون عن ذلك أبداً، فالداعية هو محور عملية الدعوة وجوهرها وقطب رحاها، فالداعية الأول هو محمد - ﷺ - الذي وصفه ربه - تبارك وتعالى - بقوله: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: تنمية تفكير المعلمين والمتعلمين، أ.د. مجدي عزيز إبراهيم ص ٤٧.

(٢) سورة الجمعة آية ٢.

## المبحث الثاني عشر

### استعمال الحوار العلمي مع التكفيريين ومن تأثر بهم

الحوار منشط عقلي هام، ووسيلة رائعة للتفاهم وتقريب وجهات النظر بين أطراف متحاورة وقد ورد الحوار في القرآن العظيم في أكثر من موضع ومن ذلك قوله - تعالى - : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾<sup>(١)</sup>.

ويطلق الحوار ويراد به: مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين، بطريقة متكافئة فلا يستأثر أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب، وهو ضربٌ من الأدب الرفيع، وأسلوب من أساليبه<sup>(٢)</sup>.

والمؤسسات الدعوية في تصديها للأفكار التكفيرية وتقويم من تأثر بها، يحسن بها استعمال أسلوب الحوار والمناقشة الهادئة والمجادلة والتي هي أحسن. فالفكر يقابل بالفكر، والعقل يقابل بالعقل، والحجة تقابل بنظيرتها، وكل ذلك وفق المنهجية السليمة التي تنطلق من المنطلقات الصحيحة، يقول الأستاذ ابن عاشور: (والمجادلة: الاحتجاج والاستدلال)<sup>(٣)</sup>.

والحوار يتطلب: استحضار الحجج القوية، وكيفية الاستدلال بها، ووضعها في مكانها الصحيح، ومعرفة نقض حجج الخصوم والكرّ عليهم بالأدلة البيّنة القاطعة لحججهم.

والمتملّ في تاريخ الدّعوات يجد أنها (كلها تنطلق أساساً من الحوار، وتتخذ سبيل الجدال في كل أطوارها ومراحلها...، ثم تواصل المجادلة سيرها

(١) سورة المجادلة، آية ١.

(٢) انظر: الحوار آدابه وضوابطه، يحيى بن محمد زمزمي، ص ٢٢.

(٣) تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور ٢٨/٨.

تلزم الحجة، وتقنع المرتاب، وتهدي الحيران، وتثبت المتردد، وتصارع الأفكار، وتخطب العقول، يبلج الحق فيها ويزهق الباطل إذ تقذف بالحق عليه فيدمغ ويزهق... وأستمر خطاب الحوار والجدال يقارع الحجّة، ويصارع الأفكار والمذاهب والملل، كلما خاض معركة انتصر، ولا يزال في الأمة المجاهدون بألسنتهم، لا ينازلهم أحد إلا صرعوه<sup>(١)</sup>.

ويعد الحوار وسيلة العلماء وصناعة الدعاة وسوق المفكرين وبضاعة أهل الصلاح والفلاح في علاج ظاهرة التكفير والتصدي لمخاطرها وآثارها السيئة، يقول أحد الباحثين: (وقد اتفق الأغلبية الساحقة من العلماء والمفكرين وسائر المختصين لشؤون الدعوة الإسلامية على أهمية الحوار وضرورته في العلاج، ولم يشذ إلا قلة رفضت الحوار لعدم جدواه في نظرهم)<sup>(٢)</sup>.

وحينما يغيب الحوار عن الأطراف يحدث التصادم والعنف والإرهاب ويتعمق التطرف والغلو بين الخصوم ويشير أحد الباحثين إلى ذلك بقوله: (إن إغلاق باب الحوار دليل العجز والإدانة؛ لأن الحوار ليس فيه مشقة ولا مخاطرة، وماذا على الأطراف منه...؟ إن إغلاق باب الحوار من أي طرف معناه استمرار العنف بكلّ صورته، وتغذيته بالوقود المدمر، ومعناه أن تظل حقيقة الظاهرة، وأسبابها، وأفكار أصحابها وآرائهم خفية ومجهولة للكثيرين، ومن ثم لا يكون التشخيص صحيحاً، ولا العلاج سليماً)<sup>(٣)</sup>.

وقد استعمل الحوار رابع الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - مع الخوارج التكفيريين<sup>(٤)</sup>، كما حاورهم عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - فأبرز أخطاءهم وفند شبهاتهم ورجعت طوائف كبيرة منهم إلى الحق<sup>(٥)</sup>.

(١) من مرتكزات الخطاب الدعوي في التبليغ والتطبيق، عبد الله الزبير عبد الرحمن ص ٧٦-٧٨.

(٢) أئمة التكفير، د. محمد عبد الحكيم حامد ص ٣٩٧.

(٣) المرجع السابق، ص ٤٠٠-٤٠١.

(٤) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير ٧ / ٢٨٢-٢٨٥.

(٥) انظر: سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز، لابن الجوزي ص ٩٦.

## والمؤسسة الدعوية أثناء تعاطيها لأسلوب الحوار مع التكفيريين ينبغي عليها

### الاهتمام بما يلي:

- أ - إعداد المحاورين إعداداً جيداً، وتزويدهم بالعلم الشرعي، والفكر الصائب.
  - ب - تدريب المحاورين على أسلوب الحوار وكيفية إجرائه.
  - ج - الالتزام بأداب الحوار وأخلاقياته<sup>(١)</sup>.
  - د - معرفة شبه التكفيريين وبدعهم، واستحضار الحجج والأدلة النقلية والعقلية لتفنيدهما.
  - هـ - تفهّم الظروف المحيطة بمن وقع في دائرة التكفير.
  - و - معرفة قواعد الحوار وطرق الاستدلال والمناظرة.
  - ز - الفراسة وحسن التصرف مع المخالف.
  - ح - الحذر والمداراة مع المخالفين.
  - ط - معرفة لغة ومنهجية وفكر المخالف أثناء الحوار، ومن ثمّ ابتناء آليات نقض جديدة من خلال ذلك.
  - ي - الالتزام بالمنهج القويم في النقل والعقل والفكر والنظر والاستدلال وعدم التعدي على الآخرين.
- والمؤسسات الدعوية معنيّة - في العصر الحاضر - بالحوار مع أصحاب الأفكار المنحرفة عامة وأهل التكفير خاصة، وتخصيص إدارة تعنى بذلك مع الاهتمام بالحوار المباشر مع التكفيريين من خلال الوسائل التقنية الحديثة وخاصة شبكة المعلومات العالمية الإنترنت.

(١) انظر عن آداب الحوار في كتاب: الحوار آدابه وضوابطه ليحيى بن محمد زمزمي ص ٥٥٨ وما بعدها.



## المبحث الثالث عشر استخدام أسلوب النصح والإرشاد والتوعية المستمرة ضد مخاطر التكفير

لعلّ كثيراً من المؤسسات الدعوية لا تقوم بمعالجة ظاهره التكفير إلا حين وقوع بعض الأحداث المؤلمة والدامية، في المجتمع، كالتفجير والقتل وسفك الدماء وترويع الأمنين.

والواجب على المؤسسات الدعوية المعنية القيام بواجبها ابتداء مع ديمومة النصح واستمرارية الإرشاد والتوعية ضدّ مخاطر التكفير مادامت نذره قائمه، وأعلامه خافقة، وحروفه وكلماته متطايرة، وشبهه وبدعه رائجة.

والنصح والإرشاد مطيئة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، فهو ركابهم ووسيلتهم مع أقوامهم.

قال - تعالى - عن صالح مع قومه : ﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال - سبحانه - عن حال هود مع قومه : ﴿ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال - جلّ شأنه - : ﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾<sup>(٣)</sup>، يقول القرطبي في تفسيره للآية الكريمة:

(١) سورة الأعراف آية ٧٩.

(٢) سورة الأعراف آية ٦٨.

(٣) سورة التوبة آية ٩١.

(النُّصْح: إخلاص العمل من الغشِّ، ومنه التوبة النصوح) <sup>(١)</sup> وقال الحافظ ابن الجوزي: (ومن النَّصْح لله: حثُّ المسلمين على الجهاد، والسَّعي في إصلاح ذات بينهم، وسائر ما يعود باستقامة الدين) <sup>(٢)</sup> وقال ابن عاشور: (والنَّصْح: العمل النَّافع للمنصوح) <sup>(٣)</sup>.

وعن تميم الداري - رضي الله عنه - قال: إن رسول الله - ﷺ - قال: (الدين النصيحة. قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) <sup>(٤)</sup>.

وقد استقصى الحافظ ابن رجب - رحمه الله - جملة طيبة من أقوال العلماء والشرح في معنى الحديث وجوانب النصيحة فيه والمراد بها، ومما قاله: (قال أبو عمرو بن الصَّلَاح: النصيحة كلمة جامعها تتضمن قيام الناصح للمنصوح له بوجه الخير إرادة وفعلاً...، والنصيحة لعامة المسلمين إرشادهم إلى مصالحهم، وتعليمهم أمور دينهم ودنياهم، ومن أنواع نصحتهم دفع الأذى والمكروه عنهم، وإيثار فقيرهم، وتعليم جاهلهم، وردَّ من زاع منهم عن الحقِّ في قول أو عمل بالتلطف في ردِّهم إلى الحقِّ...، ومن أنواع النصح لله - تعالى - وكتابه ورسوله - هو ما يختصُّ به العلماء - ردَّ الأهواء المضلة بالكتاب والسنة، وبيان دلالتها على ما يخالف الأهواء كلّها) <sup>(٥)</sup>.

ومما ينبغي على المؤسسات الدعوية عنايتها باستعمال أسلوب النصح والإرشاد والتوعية المستمرة من خلال الميادين المتعددة كالمساجد والأندية والمراكز والتجمعات في المخيمات وغيرها. ومن نافلة القول التأكيد على

(١) جامع العلوم والحكم، لابن رجب ١/٢٢٢-٢٢٤.

(٢) زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي ٣/٤٨٥.

(٣) تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور ١٠/٢٩٤.

(٤) صحيح مسلم ١/٧٤ كتاب الإيمان، باب: بيان أن الدين النصيحة رقم (٥٥).

(٥) جامع العلوم والحكم، لابن رجب ١/٢٢٢-٢٢٤.



ضرورة استعمال الطرائق الجميلة والأساليب الراقية واللغة المفهومة في نصح الناس وإرشادهم وتقريب المسائل لهم بالأدلة الواضحة، مع التحذير من التكفير وبيان مخاطره، وتوجيه الشباب والناشئة إلى التربية السليمة والوجهة القويمة البعيدة عن الأفكار المنحرفة.

## المبحث الرابع عشر

### استعمال الوسائل والأساليب والتقنيات الحديثة في معالجة ظاهرة التكفير

للسائل والأساليب والتقنيات الحديثة أهمية في معالجة ظاهرة التكفير من قبل المؤسسات الدعوية، وتطلق الوسائل ويراد بها في الاصطلاح العام - كما عرفها ابن الأثير الجزري - : (هي ما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به)<sup>(١)</sup>.

أما المقصود بالوسائل في العرف الدعوي فهي كما يذكر الشيخ محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله - بقوله: (الطرق التي يتوصل بها الداعي إلى تبليغ دعوته)<sup>(٢)</sup>.

ويطلق الأسلوب في الاصطلاح العام ويراد به: (الفضون المختلفه)<sup>(٣)</sup>، وأما المراد بالأسلوب في الاصطلاح الدعوي فهو: (مجموعة الطرق القولية والعملية التي يستخدمها الداعية للعبور إلى قلب المدعو وإقناعه بما يدعو إليه، ومن ثم تحقيق الهدف الذي يصبو إلى تحقيقه)<sup>(٤)</sup>. وهناك تداخل بين الوسيلة والأسلوب في المجال الدعوي، وتلازم في الميدان العلمي. فالوسيلة مقدمة على الأسلوب؛ لأنها هي التي تحدده، وتوضح كيفية استخدامه، وكون الوسيلة هي الناقل للأسلوب.

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير الجزري ١٨٥/٥.

(٢) رسالة في الدعوة إلى الله، للشيخ محمد صالح العثيمين ص ١١.

(٣) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ص ٢٣٨.

(٤) الأسلوب التربوي للدعوة، خالد خياط، ص ١٠٤.

وأما المقصود بالتقنيات الحديثة في الميدان الدعوي: فهي الآلات والأدوات الموصلة للدعوة إلى الناس في العصر الحاضر<sup>(١)</sup>. ويطلق عليها: تقنيات الدعوة<sup>(٢)</sup>. والوسائل والأساليب والتقنيات الدعوية كثيرة جداً ومتنوعة، ولا يمكن حصرها في مكان محدود، بل هي من الكثرة والتعدد بمكان.

والمؤسسات الدعوية مطالبة أثناء تصديها لظاهرة التكفير والانحراف فيه، أن تستعمل الوسائل والأساليب والتقنيات الحديثة في معالجة هذه الظاهرة السيئة، وخاصة في ظل العصر الحاضر الذي يشهد تدفقاً إعلامياً واتصالياً وثقافياً ومعلوماتياً كبيراً.

وقد حوى القرآن العظيم والسنة النبوية وسيرة السلف الصالح العديد من الوسائل والأساليب الدعوية المؤثرة والفعّالية.

قال - تعالى - : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾<sup>(٣)</sup>.

يقول الشيخ عبدالرحمن بن سعدي في تفسيره للآية الكريمة: (أي: ليكن دعاؤك للخلق مسلمهم وكافرهم، إلى سبيل ربك المستقيم، المشتمل على العلم النافع، والعمل الصالح (بالحكمة) أي: كل أحد على حسب حاله وفهمه وقبوله وانقياده، ومن الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل، والبداءة بالأهم فالأهم، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم، وبما يكون قبوله أتم، وبالرفق واللين، فإن انقاد بالحكمة، وإلا فينتقل معه بالدعوة بالموعظة الحسنة، وهو الأمر والنهي المقررون بالترغيب والترهيب، إما بما تشتمل عليه الأوامر من

(١) تعريف الباحث.

(٢) انظر: وسائل الدعوة إلى الله تعالى وأساليبها، أ.د. حسين محمد عبد المطلب ص ٢٧.

(٣) سورة النحل، آية ١٥٥.

المصالح وتعدادها، وإما بذكر إكرام من قام بدين الله، وإهانة من لم يقيم به. وإما بذكر ما أعد الله للطائعين من الثواب العاجل والآجل، وما أعد للعاصين من العقاب العاجل والآجل، فإن كان (المدعو) يرى أن ما هو عليه حق، أو كان داعية إلى الباطل، فيجادل بالتي هي أحسن، وهي الطرق التي تكون أدعى لاستجابته عقلاً ونقلاً، ومن ذلك الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقد أنها، فإنه أقرب إلى حصول المقصود، وأن لا تؤدي المجادلة إلى خصام أو مشاتمة تذهب بمقصودها، ولا تحصل الفائدة منها. بل يكون القصد منها هداية الخلق إلى الحق لا المغالبة ونحوها<sup>(١)</sup>.

ومما ينبغي على المؤسسات الدعوية أثناء استعمالها للوسائل والأساليب والتقنيات الدعوية الحديثه في معالجة ظاهرة التكفير التنبه إلى ما يلي:

- أ - العلم بالوسائل المناسبة لمعالجة ظاهرة التكفير.
- ب - اختيار الوسائل المناسبة لمعالجة ظاهرة التكفير.
- ج - مراعاة نوعية الجمهور المستهدف بالوسائل.
- د - تدريب الدعاة على استعمال الوسائل وخاصة التقنية.
- هـ - إنشاء إدارة خاصة بالوسائل والتقنيات الدعوية في المؤسسة.
- و - معالجة مسائل التكفير بالوسائل المناسبة لكل مسألة.
- ز - ضرورة الالتزام بالمنهج القويم في العلم والعمل.

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبد الرحمن بن سعدي ص ٤٥٢.

## المبحث الخامس عشر

### التحلي بالأخلاق الكريمة والترفق بالناس عند علاج ظاهرة التكفير

للخلق الفاضل أثر عظيم في حياة الناس، وعلاقة بعضهم بعضاً؛ وذلك لأنه الرابط والسيّاح الذي يجمّل حياتهم، ويصبغها بالصبغة الإنسانية الحسنة<sup>(١)</sup>. ويُطلق الخلق في الاصطلاح ويُرادُ به كما يذكر أبو حامد الغزالي بقوله: (هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر، من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً سميت تلك الهيئة خلقاً حسناً، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً)<sup>(٢)</sup>.

ويضيف الإمام ابن قيم الجوزية عنصراً مهماً في مفهوم الأخلاق وهو عنصر الإرادة، حينما عرفها يقول: (هيئة مركبة من علوم صادقة، وإرادات زاكية، وأعمال ظاهرة وباطنة موافقة للعدل والحكمة والمصلحة، وأقوال مطابقة للحق، تصدر تلك الأقوال والأعمال عن تلك العلوم والإرادات فتكتسب النفس بها أخلاقاً هي أزكى الأخلاق وأشرفها وأفضلها)<sup>(٣)</sup>.

وأعظم من تحلّى بالأخلاق نبينا ورسولنا محمد - ﷺ - حيث كان الخلق الكامل في حياته وسلوكه ومعاملته للناس بل للخلق أجمع<sup>(٤)</sup>.

قال - تعالى - : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾<sup>(٥)</sup>، وقال - سبحانه - مبيّناً

(١) انظر: دستور الأخلاق في القرآن، د. محمد عبد الله دراز ص ١٣٤ ومابعدهما.

(٢) إحياء علوم الدين، للغزالي ٥٢/٣.

(٣) البيان في أقسام القرآن، للإمام ابن القيم ص ١٣٥.

(٤) انظر: أخلاق النبي في القرآن والسنة، د. أحمد الحداد ٨١/١ ومابعدهما.

(٥) سورة القلم، آية ٤.

فضل الخلق الحسن في استجلاب الناس ورجاء هدايتهم ودعوتهم إلى الخير : ﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (١).

يقول الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في تفسيره للآية الكريمة: (فالأخلاق الحسنة من الرئيس في الدين، تجذب الناس إلى دين الله، وترغبهم فيه، مع ما يصاحبها من المدح والثواب الخاص، والأخلاق السيئة من الرئيس في الدين تنفر الناس عن الدين، وتبغضهم إليه، مع ما يصاحبها من الذم والعقاب الخاص، فهذا الرسول المعصوم يقول الله له ما يقول، فكيف بغيره؟ أليس من أوجب الواجبات وأهم المهمات الاقتداء بأخلاقه الكريمة، ومعاملة الناس بما يعاملهم به - ﷺ - من اللين وحسن الخلق والتأليف امتثالاً لأمر الله، وجذباً لعباد الله لدين الله..) (٢).

فالأخلاق الكريمة - إذاً - من المهمات التي ينبغي للدعاة في المؤسسات الدعوية - وغيرها - التحلي بها بصورة عامة، وخاصة في معالجة ظاهرة التكفير، مع ما يلزم من الصبر وسعة الصدر والحلم وسلامة القول وحسن الكلام مع الناس وعدم الجفاء لهم، والتلطف بالناس غاية التلطف، والاقتداء بأخلاق النبي ﷺ أثناء دعوته ومعاملته مع الموافقين والمخالفين، وكيف كان - ﷺ - صبوراً حليماً مريداً الخير للناس غير متعجلٍ عليهم، يقابل السيئة بالحسنة، ويدفع بالتي هي أحمل وأكمل، ويبادر بالخير، ويرى الناس كل جميل منه ﷺ (٣)، ولذا أمر الله - تعالى - بالاقتداء والتأسي به، بقوله - تعالى - :

(١) سورة آل عمران، آية ١٥٩.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، لابن سعدي ص ١٥٤.

(٣) انظر: محمد رسول الله، لمحمد الصادق عرجون ٢٨٤/١ وما بعدها.





﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ  
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾<sup>(١)</sup>.

يقول الحافظ ابن كثير في تفسيره للآية الكريمة: (هذه الآية أصل كبير  
بالتأسي برسول الله - ﷺ - في أقواله وأفعاله وأحواله)<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة الأحزاب، آية ٢١.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ص ١٤٨٧.

## الخاتمة

تعتبر ظاهرة التكفير والانحراف في مفاهيمها ومسائلها والتسرّع في إلصاق التهم بالآخرين ورميهم بالتهم ومن ثم إسقاط الكفر عليهم وسحب بساط الإيمان منهم، من أسوء الظواهر التي عانت منها الأمة الإسلامية عبر تاريخها الطويل مما نتج عنه القيام بأعمال تفجير وتخريب عانت منها بعض المجتمعات الإسلامية معاناة كبيرة.

**ويمكن في ختام هذا البحث إيراد الأمور التالية:**

**أولاً: خلاصة البحث:**

تناولنا في البحث مسؤولية المؤسسات الدعوية في تقويم ظاهرة التكفير، وتصحيح المسار، من خلال العديد من الوسائل والخطوات التي توضح المسؤولية الكبرى المهمة الملقاة على عاتق المؤسسات الدعوية وهذه الإجراءات أو الخطوات تتنظم في خمسة عشر مبحثاً اشتملت على العديد من المسائل والأفكار العلمية والعملية والميدانية التطبيقية، كتشخيص ظاهرة التكفير من جميع النواحي، ومعرفة المؤسسة الدعوية قدراتها مع إعداد الدعاة وتدريبهم وتزويدهم بالوسائل والأساليب والتقنيات المعاصرة المفيدة، مع أهمية التركيز على مناقشة شبه التكفير وتفنيدّها بالحجج الشرعية الواضحة، المستندة إلى المنهجية العلمية القويمة من الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح.

**ثانياً: نتائج البحث:**

من خلال استعراض مسؤولية المؤسسات الدعوية في علاج ظاهرة التكفير، اتّضحت بعض النتائج الهامة والتي يمكن إيجازها فيما يلي:

- أ - إن ظاهرة التكفير قديمة ومتجددة.
- ب - شبه التكفيريين تتنوع من عصر لآخر.
- ج - الأصل في المجتمع الإسلامي التوحيد والإيمان والخير والسلامة والظن الحسن.
- و - الشبّاب هم الشريحة المستهدفة بالتكفير.
- ز - التكفير من أهم المعوقات لمسيرة الدعوة الإسلامية.
- ح - التكفير يهدم ولا يبني، ويفسد ولا يصلح، ويفرق ولا يجمع.
- ي - للمؤسسات الدعوية دور كبير في مواجهة التكفير.
- ك - هنالك العديد من الوسائل والأساليب والتقنيات الحديثة المفيدة في علاج ظاهرة التكفير.
- ل - الصراع بين الخير والشر، والصلاح والفساد سنة من السنن الموجودة في المجتمع.
- م - للمنهج القويم في الدعوة أهميته في علاج ظاهرة التكفير.
- ن - إعداد الدعاة وتدريبهم من مهمّات المؤسسات الدعوية.
- س - للحوار العلمي قيمة هامة في مواجهة التكفير.
- ع - للتقنيات الحديثة - وخاصة شبكة المعلومات - أهمية كبيرة في تنفيذ أفكار التكفيريين ومناقشتهم وإقناعهم.
- ف - للحملات الدعوية المتخصصة أهمية في مسيرة معالجة ظاهرة التكفيريين.
- ص - للأخلاق الكريمة والمسالك الحسنة دورها الجميل في عمل الداعية.
- ثالثاً: توصيات الباحث:**
- هنالك جملة من التوصيات التي يمكن إيرادها في نهاية هذا البحث وهي:
- أ - لمسألة التكفير أهميتها وخطورتها مما يوجب العناية بها ودراساتها.

- ب - للتكفير آثاره السيئة على الأفراد والمجتمعات والممتلكات.
- ج - للمؤسسات الدعوية وظيفتها المطلوبة في معالجة التكفير.
- د - ينبغي العناية بالدعاة وتطوير قدراتهم وتأهيلهم.
- هـ - لوسائل الدعوة المتنوعة أهمية بالغة في معالجة التكفير.
- و - لشبكة المعلومات - خاصة - أهمية في العمل الدعوي الموجه للتكفيريين.
- ز - ينبغي محاصرة ظاهرة التكفير ومعالجتها والقضاء عليها.
- ح - هنالك أهمية لرصد شبه التكفير والرد عليها بالردود العلمية.
- ط - ينبغي التنسيق بين المؤسسات الدعوية وعمل أطر عامة في مواجهة ظاهرة التكفير.
- ي - يحسن ملء الفراغات في المجتمع بالإيمان والتوحيد والإحسان والسلام والخير والمفيد للجميع.
- ك - يجل الاهتمام بقضايا التكفير ومسائله المتعددة من خلال توجيه بعض الدراسات العليا لتناول ذلك.
- ل - ينبغي اليقظة والحذر والمبادرة والحيطه والتوقي من الأفكار المنحرفة في المجتمع.
- م - أوصي بعمل معجم يجمع كل مسائل وأحكام التكفير.
- ن - أوصي بإيجاد بنك معلومات عن قضايا ومسائل التكفير والأحكام والفتاوى المترتبة على ذلك.
- س - أوصي بإنشاء مركز أو جمعية تعنى بقضايا التكفير ومسائله وأبحاثه.
- ع - أوصي بإنشاء كرسي بحث علمي يعنى بأبحاث التكفير ومسائله وقضاياها وآثاره وفتاواه وأموره المتعلقة به.

- ف- أوصي بإيجاد بعض المواقع الشبكية على شبكة المعلومات العالمية.  
لمعالجة ظاهرة التكفير.
- ص - أوصي بالمبادرة بمعالجة مسائل التكفير وقضاياها من خلال بعض  
الفقرات المنهجية في بعض مناهج التعليم المناسبة لمقررات العلوم الدينية  
والثقافية وغيرها.
- ق - إيجاد حملات أو برامج علمية، ثقافية متخصصة من خلال المنتديات  
والمراكز الاجتماعية العامة.
- ك - أوصي بالإفادة من البرامج الافتراضية وتوظيفها في معالجة ظاهرة  
التكفير والتصدي لها.
- ر - وأخيراً أوصي ببناء استراتيجية علمية وعملية تدرس ظاهرة التكفير من  
جميع نواحيها وتقوم بإعداد برامج عملية لمعالجتها تتوافق مع الجمهور  
المستهدف بها.

وبالله - تعالى - التوفيق، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العلمين، وصلى  
الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

## فهرس المصادر والمراجع

- أئمة التكفير، د. محمد عبدا لحكيم حامد، ط١ (دار الفاروق، القاهرة، ٢٠٠٦م).
- إحياء علوم الدين، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي (دار المعرفة، بيروت، بدون).
- أخلاق النبي في القرآن والسنة، د.أحمد بن عبد العزيز الحداد، ط١، (دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٦م).
- الأسلوب التربوي للدعوة إلى الله في العصر الحاضر، خالد عبد الكريم الخياط، ط١، (دار المجتمع جدة، ١٤١٢هـ).
- أصول التربية الإسلامية، أ.د. خالد الحازمي، ط٢، (دار الزمان المدينة المنورة، ١٤٢٦هـ).
- أصول التربية الإسلامية، عبدالرحمن النحلاوي، ط١، (دار الفكر، دمشق، ١٣٩٩هـ).
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لشيخ الإسلام ابن تيمية. تحقيق الدكتور السيد الجليند، ط٣ (دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، ١٤٠٧هـ).
- البداية والنهاية، للحافظ ابن كثير القرشي، بتحقيق الدكتور أحمد أبو ملحم وآخرين، ط١، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ).
- بذل النَّصْح والتذكير...، للشيخ عبدالمحسن العباد، ط١ (وزارة الشؤون الإسلامية، الرياض، ١٤٢٧هـ).
- التبيان في أقسام القرآن، للإمام ابن قيِّم الجوزية، بدون (توزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، بدون).
- التدريب وأهميته في العمل الإسلامي، د. محمد موسى الشريف، ط٢(دار الأندلس، جدة، ١٤٢٢هـ).

- تفسير التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور (الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م).
- تفسير القرآن العظيم، للحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، ط١ (دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٠هـ).
- التفسير الكبير (المسمى مفاتيح الغيب)، للإمام الفخر الرازي ط١ (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٥هـ).
- تقريب الوصول إلى علم الأصول، للقاسم محمد بن أحمد بن جزي المالكي، تحقيق محمد المختار الشنقيطي، ط١ (مكتبة ابن تيمية، جدة، ١٤١٤هـ).
- التكفير في ضوء السنة النبوية، أ.د. باسم الجوابره، ط١ (طبع ونشر جائزة نايف بن عبد العزيز للسنة النبوية المدينة المنورة ١٤٢٧هـ).
- التكفير وضوابطه، أ.د. إبراهيم الرحيلي، ط١، (دار الإمام البخاري، الدوحة-قطر، ١٤٢٦هـ).
- التكفير، د. نعمان عبدالرزاق السامرائي، ط١ (دار المنارة دمشق، ١٤٠٤هـ).
- التنمية الثقافية، تأليف: لفييف من خبراء اليونسكو. ترجمة سليم مكسور، مراجعة عبدة وزان، ط١ (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٣م).
- التنمية الشاملة للمجتمعات الإسلامية، د. محروس غبان، ط١ (دار الإيمان، المدينة المنورة، ١٤١٥هـ).
- تنمية تفكير المعلمين والمتعلمين، أ.د. مجدي عزيز إبراهيم، ط١، (عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢٧هـ).
- تهذيب اللغة، لمحمد الأزهري، تحقيق: د. رياض زكي، ط١ (دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٢هـ).
- الثبات عند الممات، للحافظ عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق عبد الله الليثي الأنصاري، ط١ (مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤٠٦هـ).
- جامع البيان في تأويل القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ط١ (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ).

- جامع العلوم والحكم، لعبد الرحمن بن شهاب الدين ابن رجب الحنبلي، توزيع إدارة رئاسة البحوث العلمية، الرياض، بدون).
- الجامع لأحكام القرآن، للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ط ١، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ).
- حراسة العقيدة، أ.د. ناصر عبدالكريم العقل، ط ١ (دار كنوز إشبيليا، الرياض، ١٤٢٥هـ).
- الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، يحيى بن محمد زمزمي، ط ١ (دار التربية والتراث، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ).
- خطبة الحاجة للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط ٤ (المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٠هـ).
- دستور الأخلاق في القرآن، د. محمد عبدالله دراز. تعريب د، عبد الصبور شاهين، ط ٦ (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ).
- الدعوة الإسلامية الوسائل والأساليب، لمحمد خير يوسف، ط ١ (دار طويق، الرياض، ١٤١٤هـ).
- رسالة في الدعوة إلى الله، للشيخ محمد صالح العثيمين، ط ١ (توزيع مركز شؤون الدعوة بالجامعة الإسلامية، رقم الإصدار: ٨٢، المدينة المنورة ١٤٠٧هـ).
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للسيد محمود الألوسي البغدادي، ط ١ (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هـ).
- زاد المسير في علم التفسير، للحافظ ابن الجوزي، ط ٣ (المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٤هـ).
- السبب التربوي، أ.د. خالد حامد الحازمي، ط ١ (دار الزمان، المدينة المنورة، ١٤٢٦هـ).
- سنن ابن ماجه للحافظ محمد بن يزيد القزويني، بتحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، (دار الريان للتراث، القاهرة).
- سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن سورة الترمذي، بتحقيق أحمد محمد



- شاكرو وآخرون، ط ٢ (مكتبة مصطفى الحلبي، القاهرة، ١٣٩٨هـ).
- سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز، للإمام عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، ضبط وتعليق نعيم زرزور، ط ١ (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ).
- الشائعات ووظيفة المؤسسات الاجتماعية في مواجهتها، أ.د. إبراهيم بن مبارك الجوير، ط ١ (مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٦هـ).
- شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، تحقيق جماعة من العلماء، تخريج الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط ١، (المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٤هـ).
- صحيح البخاري (المسمى: الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه) لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، بشرح محب الدين الخطيب، ط ١ (المطبعة السلفية ومكتبها، القاهرة، ١٤٠٠هـ).
- صحيح مسلم، للإمام محمد بن الحجاج القشيري، تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي (مطبعة دار إحياء الكتب العربية، القاهرة).
- العلاقة بين العلماء والناس، أ.د. سيد محمد ساداتي الشنقيطي، ط ١ (سلسلة الكتاب الإسلامي، رقم ٣، إصدار مركز البحوث والدراسات الإسلامية بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤١٩هـ).
- الفرق بين الفرق، لعبد القاهر البغدادي (دار الكتب العلمية، بيروت، بدون).
- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، للإمام ابن تيمية، ط ٥ (عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ١٩٩٩م).
- الفصل في الملل والأهواء والنحل، لأبي محمد علي بن أحمد ابن حزم الظاهري، تحقيق الدكتور إبراهيم نصر، والدكتور عبد الرحمن عميرة، ط ١ (شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، جدة ١٤٠٢هـ).
- فكر التكفير قديماً وحديثاً، د. عبد السلام السحيمي، ط ١ (دار الإمام أحمد، القاهرة، ١٤٢٦هـ).
- قواعد الأحكام في مصالح الأنام، للعزّ بن عبد السلام (دار الكتب العلمية

- بيروت).
- قواعد الوسائل، د. مصطفى مخدوم، ط ١ (دار إشبيليا الرياض، ١٤٢٠هـ).
  - القواعد والأصول الجامعة، لعبدالرحمن بن سعدي، ط ١ (دار الوطن، الرياض، ١٤١٣هـ).
  - الكليات لأبي البقاء أيوب بن موسى الكفوي، ط ١ (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢هـ).
  - لائحة الجمعيات والمؤسسات الخيرية والقواعد التنفيذية للائحة في المملكة العربية السعودية، (مطبوعات وزارة العمل والشؤون الاجتماعية، وكالة الوزارة للشؤون الاجتماعية، الإدارة العامة للمؤسسات والجمعيات الخيرية، بدون).
  - لسان العرب، للعلامة محمد بن مكرم بن منظور، إعداد وتصنيف يوسف خياط، ط ١ (دار لسان العرب، بيروت).
  - مبادئ علم الاجتماع الجنائي، د. مساعد بن إبراهيم الحديثي، ط ١، (مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٦هـ).
  - مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد، ط ١ (طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤١٦هـ).
  - محاسن التأويل، للإمام محمد جمال الدين القاسمي، ضبط وتصحيح محمد باسل عيون السود، ط ١ (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ).
  - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، ط ١ (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ).
  - محمد رسول الله، لمحمد الصادق عرجون، ط ١ (دار القلم، بيروت، ١٤٠٥هـ).
  - مختصر الصواعق المرسله، للإمام ابن القيم، اختصار محمد الموصللي (مكتبة الرياض الحديثه، الرياض، بدون).
  - المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، د. صالح بن حمد العساف، ط ٤،

- (مكتبة العبيكان)، الرياض، ١٤٢٧هـ.
- المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، د. إبراهيم البريكان، ط٥، (دار ابن عصفان، القاهرة، ١٤١٨هـ).
- المسؤولية الخلقية والجزاء عليها (دراسة مقارنة)، د. أحمد بن عبد العزيز الحلبي، ط١ (مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٧هـ).
- المعجم الفلسفي، مراد وهبه، ط٣ (دار الثقافة الجديدة، بدون، ١٩٧٩م).
- معجم المصطلحات العلمية والفنية، يوسف خياط، ط١، (دار لسان العرب، بيروت، بدون).
- معجم لغة الفقهاء، أ.د. محمد رواس قلعه جي وزميله ط٢ (دار النفائس، بيروت، ١٤٠٨هـ).
- معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، بتحقيق عبد السلام محمد هارون، ط١ (دار الكتب العلمية، إسماعيليان بخفي إيران، بدون).
- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، بتحقيق محمد سيد كيلاني، ط الأخيرة، (مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٨١هـ).
- الملل والنحل، للشهرستاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، (دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٠هـ).
- من مرتكزات الخطاب الدعوي في التبليغ والتطبيق، عبد الله الزبير عبدالرحمن، ط١ (، سلسلة كتاب الأمة، عدد: ٥٦ ذو القعدة، ١٤١٧هـ).
- المنجد في اللغة والأعلام، ط٣٦ (دار المشرق، بيروت، ١٩٩٧م).
- منهاج السنة النبوية، للإمام ابن تيمية (دار الكتب العلمية، بيروت).
- منهج أئمة الدعوة في مسائل التكفير والخروج، للشيخ صالح الفوزان، ط١ (دار كنوز إشبيلية، الرياض، ٢٠٠٩م).
- المنهج السلفي، د. مفرح القوسي، ط١ (دار الفضيلة، الرياض، ١٤٢٢هـ).
- الموافقات في أصول الشريعة، لأبي إسحاق محمد بن إبراهيم الشاطبي،

- بتحقيق الشيخ عبد الله دراز (دار المعرفة بيروت، بدون).
- النحو الواج، لعباس حسن، ط ٧ (دار المعارف، القاهرة، بدون).
  - التذير، د. ماجد بن محمد المرسال، ط ١ (مطابع الحميضي، الرياض، ١٤٣١هـ).
  - النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، بدون (دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، بدون).
  - وسائل الدعوة إلى الله - تعالى - وأساليبها بين التوقيف والاجتهاد، أ.د. حسين بن محمد عبدالمطلب، ط ١ (دار الوطن، الرياض، بدون).
  - وسائل الدعوة، أ.د. محمد إبراهيم الجيوشي (بدون).



ظاهرة التكفير .. الأسباب والعلاج والآثار



# مسؤولية مؤسسات التنشئة الاجتماعية (الأسرة والمسجد) في حماية الناشئة من الفكر

أ.د. داود بورقيبة  
جامعة الأغواط، الجزائر



مؤتمر ظاهرة التكفير .. الأسباب .. الآثار .. العلاج

إن تكفير أي إنسان أو اتهامه بالفسق والضلال والانحراف أو النفاق، يجرده عملياً من حقوقه الإنسانية ويعرضه للإهانة والقتل والطرده من المجتمع، وإذا اتخذت عملية التكفير طابعاً جماعياً - جماعة التكفير- وشملت جماعة أو طائفة فإنها تعرض المجتمع الإسلامي إلى الفرقة والاختلاف، وإذا انهارت الرابطة الدينية فلا مجال لأن نستعيز عنها بأي شيء آخر.

وإدراكاً من الإسلام لخطورة عملية التكفير، فقد دعا إلى احترام هوية كل من يتشهد الشهادتين ويلتزم بأركان الدين وعدم التشكيك بإسلام من يعلن إسلامه حتى في ساحات القتال وتحت بريق السيوف، حيث قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ آتَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾<sup>(١)</sup>.

وعندما حدثت الفتنة الأولى بين المسلمين ونشبت بينهم الحروب رفض سيدنا علي رضي الله عنه أن يتهم خصومه بالكفر والنفاق وقال - كما نقل ابن كثير في البداية و النهاية -: "إخواننا بغوا علينا". ومع ذلك فإن الأمة الإسلامية قديماً وحديثاً لم تسلم من داء التكفير، وقد تعرض الإمام علي رضي الله عنه نفسه إلى عملية التكفير من قبل الخوارج الذين رفضوا التحكيم بين علي ومعاوية. وبالرغم من أن مأخذهم لم يكن يتعدى الاجتهاد السياسي إلا أنهم أضفوا عليه صفة الكفر والإيمان، وذهبوا إلى حد شق وحدة الأمة المسلمة وإعلان الحرب على المسلمين. ومنذ ذلك الحين استمرت ظاهرة التكفير في المجتمع الإسلامي، وكانت

(١) سورة النساء: ٩٤.

تنتشر وتستعر أحياناً، وتتقلص وتخبو أحياناً أخرى، فبينما كانت الحروب الداخلية والظروف الاقتصادية السيئة تؤججها، كانت أجواء السلام والرخاء تطفئها وتقضي عليها.

وقد عرفت الحركة الإسلامية الحديثة منذ أواسط القرن الماضي حركات تكفير عديدة، بداية من جماعة التكفير والهجرة التي ظهرت في سجون مصر نتيجة التعذيب الشنيع الذي كان مساجين الحركة يتعرضون إليه، وهذا التعذيب كان مبرراً ودافعاً لهم - حسب اعتقادهم - كي يكفروا المجتمع بأكمله، وانتهاء بالمجموعات التكفيرية التي ظهرت أخيراً، والتي كانت تتهم المجتمع الإسلامي بالجاهلية والردة والكفر...

ونظراً لاستفحال وانتشار هذه الظاهرة الشاذة وتسلسلها إلى مجتمعات المسلمين بفئاته وشرائحه المختلفة، تأتي أهمية هذا المؤتمر، وما يتضمنه من البحوث التي تعالج مثل هذه القضايا الخطيرة وتوضح لكل مسلم أنه يجب عليه ألا يتعجل في إطلاق تعابير التكفير والتفسيق على المعينين أو الجماعات، حتى يتأكد من وجود جميع أسباب الحكم عليه بالكفر وانتفاء جميع موانع التكفير في حقه، وهذا يجعل مسألة التكفير من مسائل الاجتهاد التي لا يحكم فيها بالكفر على شخص أو جماعة إلا العلماء الذين بلغوا مرتبة الاجتهاد لأن الحكم على المسلم بالكفر، وهو لا يستحقه، ذنب عظيم، لأنه حكم عليه بالخروج من ملة الإسلام، وأنه حلال الدم والمال، وحكم عليه بالخلود في النار إن مات على ذلك، ولذلك ورد الوعيد الشديد في شأن من يحكم على مسلم بالكفر، وهو ليس كذلك، وقد ثبت عند مسلم عن ابن عمر أن النبي - ﷺ - قال: "إِذَا كَفَّرَ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدَهُمَا"<sup>(١)</sup>.

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه: ٦٠.



وفي رواية في مسند أحمد بسند صحيح عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ -  
 - "أَيُّمَا رَجُلٍ كَفَرَ رَجُلًا فَإِنْ كَانَ كَمَا قَالَ وَإِلَّا فَقَدْ بَاءَ بِالْكَفْرِ"<sup>(١)</sup>.  
 وروى البخاري عن أبي ذر رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ - يقول: "لا  
 يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلًا بِالنُّسُوقِ وَلَا يَرْمِيهِ بِالْكَفْرِ إِلَّا ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ  
 صَاحِبُهُ كَذَلِكَ"<sup>(٢)</sup>.

**كما يتم البحث في سبل الوقاية من هذا التطرف الفكري، ومسؤوليات مؤسسات المجتمع  
 المختلفة في ذلك؛ ومن هنا تأتي هذه الورقة البحثية التي تهدف للإجابة عن السؤال  
 الآتي:**

- ما مسؤولية مؤسسات التنشئة الاجتماعية (الأسرة والمسجد) في حماية الناشئة من الفكر التكفيري؟
- كما يجيب البحث عن الأسئلة الفرعية الآتية:**
- ما معنى التكفير؟
- ما الأسرة؟ وما مسؤوليتها في تكوين الشخصية السوية للأبناء؟
- ما المسجد؟ وما مسؤوليته في غرس الأفكار السليمة وتصحيح المعتقدات الخاطئة؟

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده بسند صحيح: ٤٧٢١.

(٢) رواه الإمام البخاري في صحيحه: ٦٠٧٥.

## المبحث الأول التكفير

### ما المقصود بالكفر:

كفر في اللغة: الكفر في اللغة هو التغطية والستر والظلام، وكل شيء غطى شيئاً فقد كفره.

والكافر: الليل المظلم، وسمي الزارع كافراً لفته لأنه يغطي البذر. والكفر: ضد الإيمان، ويطلق الكفر على جحود النعمة وهو ضد الشكر<sup>(١)</sup>، والكفر: الانحناء والخضوع.

والكفر شرعاً: هو كل اعتقاد أو قول أو فعل حكم الشرع بأنه كفر، وهو نقيض الإيمان، كجحد الربوبية، أو النبوة، أو جحد ما جاء به النبي - ﷺ - أو جحد بعضه، ومنه الشرك الأكبر، والإعراض عن الدين بالكلية، وجحد شيء مما ثبت في النصوص، أو معلوم من الدين بالضرورة.

والتكفير هو الحكم على الغير بالكفر.

والمقصود بالتكفير في هذا البحث، الحكم بالكفر على المعينين ممن هم على أصل الإسلام (أهل القبلة) من الأشخاص، والهيئات والفرق والجماعات والدول<sup>(٢)</sup>.

ويقول ابن تيمية: " الكفر حكم شرعي متلقى عن صاحب الشريعة، والعقل قد يعلم به صواب القول وخطؤه، وليس كل ما كان خطأً في العقل، يكون كفراً في الشرع، كما أنه ليس كل ما كان صواباً في العقل، تجب

(١) لسان العرب (كفر) ومختار الصحاح (كفر).

(٢) أما تكفير الكفار الخالص فهو من أحكام الله القطعية التي لا مجال للاجتهاد فيها.

في الشرع معرفته"<sup>(١)</sup>.

وإذا كان من المعلوم أنه لا يملك أحد أن يحلّ ما حرّم الله، أو يحرم ما أحلّ الله، أو يوجب ما لم يوجبه الله تعالى إمّا في الكتاب أو السنّة، فلا يملك أحد أن يكفر من لم يكفره الله إمّا في الكتاب وإمّا في السنّة. والتكفير إذا أطلق - كما في هذا البحث - غالباً يقصد به التكفير المذموم وجرى اصطلاح العلماء والباحثين على هذا، وقد يوصف أصحابه بالتكفيريين.

وهذا النوع من التكفير قد زلّت بجهله أقدام، وهلك أقوام، وضلّت فرق كالخوارج والمعتزلة والمرجئة وغيرهم، ما بين غال يكفر بلا بينات وبلا علم ولا نظر في شروط التكفير وموانعه، وما بين متساهل لا يكاد يكفر بالكفر البواح. فالمسلم - برّاً كان أو فاجراً، على السنّة كان أو من أهل البدع - لا يجوز تكفيره إذا وقع منه قول أو فعل كفريّ، حتّى تنطبق عليه شروط الكفر، وتتفي موانعه"<sup>(٢)</sup>.

(١) ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط١، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ٢٤١/١.

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ، ١٦٥/٣٥.

## المبحث الثاني الأسرة

### تعريف الأسرة:

**لغة :** أصل كلمة الأسرة مأخوذة من الأسر بمعنى الشدّ والعصب، والأسرة بالضمّ تعنى الدرع الحصينة. وهي المجموعة المتناسلة من الأب والأمّ، إذ هما الرباط بين هذه المجموعة سواء كبرت أو صغرت، وهم غالباً "يعيشون تحت سقف واحد وتجمعهم مصالح مشتركة"<sup>(١)</sup>.

والأسرة توجد في جميع المجتمعات الإنسانية، ولأجل ذلك توجد العديد من التعريفات للأسرة، وهي تختلف بحسب اختلاف الثقافات والنظم الاجتماعية ومن هذه التعريفات: "الأسرة منظّمة اجتماعية، تتكوّن من مجموعة من الأفراد يرتبطون بعضهم ببعض بمنظومة من الروابط الاجتماعية والأخلاقية والروحية والنفسية، وهذه الروابط هي التي تميّز الأسرة عن غيرها، فهي تفرّق بين الأسرة الإنسانية والحيوانية"<sup>(٢)</sup>.

وتعرّف بأنّها: "جماعة اجتماعية تتميّز بمكان إقامة مشترك وتعاون اقتصادي ووظيفة تكاثرية، ويوجد بين اثنين من أعضائها علاقة زواج يقرّها المجتمع، وتتكوّن على الأقلّ من ذكر بالغ وأنثى بالغة، وطفل من نسلهما أو

(١) عبد الله بن فهد الشريف: دور الأسرة في أمن المجتمع، ورقة عمل مقدمة لندوة المجتمع والأمن المنعقدة بكلية الملك فهد الأمنية بالرياض (٢٠٢١\_ ٢/٢٤ / ٢٠٢٥هـ).

<http://www.minshawi.com/other/alshareef1.htm>

(٢) معن خليل عمر وآخرون، المدخل إلى علم الاجتماع، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٢م: ٢١١.

عن طريق التَّبَيُّ " (١).

وتعرّف أيضاً بأنها: "مجموعة من الأشخاص يرتبطون معاً برباط الزواج أو الدم أو التَّبَيُّ، ويعيشون تحت سقف واحد، ويتفاعلون معاً وفقاً لأدوار اجتماعية محددة، ويحافظون على نمط ثقافي واحد" (٢).

**وفي تعريف إجرائي:** "الأسرة المسلمة هي الرباط الشرعي المقدس الذي يقوم على الزواج، ويقوم على النصر والحمية والترابط بين أفرادها، وتمثل الوحدة الأولى للمجتمع وأهم مؤسساته التي تتكوّن فيها العلاقات المباشرة، والتي ينشأ فيها الفرد، وتتمّ في إطارها المراحل الأولى من تنشئته الاجتماعية، حيث يكتسب الفرد عن طريقها معارفه ومهاراته وميوله وقيمه وعواطفه واتجاهاته في الحياة، ويجد فيها أمنه وسكينته".

ومن الثابت في الأدبيات الاجتماعية أنّ الأسرة المسلمة منذ بداياتها الأولى وحتى اليوم كانت لها آثار دينية وخلقية وتربوية، فهي التي كانت تضع النظم الخلقية وقواعدها السلوكية وتفصل أحكامها، وتوضّح مناهجها وتقوم بحراستها، وهي التي كانت تميّز الخير من الشرّ، والفضيلة من الرذيلة، وترسم مقاييس الأخلاق (٣)؛ فهي نعمة من نعم الله ارتضاها لعباده، لتستقرّ بها حياتهم، وتلبّى لهم رغباتهم، وتهيئ لهم أسباب الطمأنينة، والمشاعر والعواطف

(١) حسن عبد الباسط محمد، علم الاجتماع، مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٨٢، ص: ٣٩٩.

(٢) محمود محمد عبد الله كسناوي، أسس التربية الإسلامية ودور الأسرة في تأصيلها وتعزيزها، بحث مقدّم لندوة: تربية الأسرة في ظلّ تعاليم الإسلام، خلال ١٥-١٨/٢/١٤٢٠، تنظيم المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، والمنظمة الإسلامية للعلوم الطبية، بالتعاون مع جامعة أم القرى بمكة المكرمة، ص: ٣٤.

(٣) إبراهيم بن مبارك الجوير: الأسرة وأثرها في تحقيق الأمن الفردي والمجتمعي، ورقة عمل مقدمة لندوة المجتمع والأمن المنعقدة بكلية الملك فهد الأمنية بالرياض من ٢١/٢ حتى ٢٤/٢ من عام ١٤٢٥هـ،

النبيلة<sup>(١)</sup>.

إنّ الأسرة هي البيئة الأولى لتدريب الإنسان على المسؤولية التي كلفه الله بها، وهي عمارة الأرض، وهي الميدان العملي الأوّل الذي يمارس من خلالها مسؤولية قوامته عليها، وهي البيئة الأولى التي تعدّ الفرد لتحقيق التكافل الاجتماعي<sup>(٢)</sup>.

وعلى ماسبق فإنّ الأسرة مكان بناء الأجيال وإعداد وتنشئة المواطنين الصالحين للمجتمع، فيجب على القائمين عليها (الأبوين) أن يتمتعا بثقافة تربية كافية تعينهما على توجيه أولادهم وإرشادهم ونصحهم، لأنّ فاقده الشيء لا يعطيه<sup>(٣)</sup>.

**اهتمام الإسلام بالأسرة:**

لقد اهتم الإسلام بالأسرة اهتماماً كبيراً وجعلها الخلية الأولى في المجتمع، ولم يترك صغيرة ولا كبيرة من شؤونها إلا وأوضحها بما لا يدع مجالاً للشكّ، قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾<sup>(٤)</sup>.

والأسرة في الإسلام هي المحضن الطبيعي للناشئة الصاعدة، فيها تشبّ على مشاعر المحبّة والرحمة والتكافل، لتصبح هذه الركائز جزءاً من طبيعتها، وخلقاً أصيلاً يكيّف ويضبط سلوكها، ليبنى على أساسها مجتمع

(١) الخطيب وآخرون، أصول التربية الإسلامية، دار الخريجي للنشر، الرياض، ١٩٩٥، ص: ٢٢٢.

(٢) ست البنات خالد: الأسرة.. الحصن الحصين

[http://www.sharkiaonline.com/detail.asp?iData=5781&CATEGORIES\\_ID=60](http://www.sharkiaonline.com/detail.asp?iData=5781&CATEGORIES_ID=60).

(٣) محمد بن يوسف أحمد عفيفي: دور الأسرة في أمن المجتمع، ورقة عمل مقدمة لندوة المجتمع والأمن

المنعقدة بكلية الملك فهد الأمنية بالرياض من ٢/٢١ حتى ٢/٢٤ من عام ١٤٢٥هـ،

<http://www.minshawi.com/other/affify.htm>

(٤) سورة الروم: ٢١.

## التقوى والعمل الصالح.

والأسرة مظلة إنسانية ضرورية لبناء النفس، وممارسة المعيشة الهانئة في الحياة. أمّا بناء النفس الإنسانية المتكاملة للرجل أو المرأة فيتمّ عن طريق الزواج الذي يشبع النزعات الفطرية، والميول الغريزية، ويلبّي المطالب النفسية والروحية والعاطفية والجسدية، وذلك من أجل التوصل إلى تحقيق منهج الوسطية والاعتدال، دون حرمان من الإشباع الجنسي، ودون إباحية تؤدّي إلى الانحلال من الفضيلة؛ وأمّا ممارسة المعيشة الهانئة في الحياة فتحصل من خلال الأسرة التي توجد تجمّعاً صغيراً يبني أصول حياته ومعيشته بهدوء، ويحقّق تعاوناً بنّاءً وقويّاً في التغلّب على مشكلات المعيشة والمكاسب، وتخيم فيها أجواء المحبّة والودّ والأنس والطمأنينة والسلامة.

إنّ الأسرة المسلمة، هي المعقل الأوّل الذي ينشأ فيه الطفل في جوّ التربية الإسلامية، وإنّ أهمّ أهداف تكوين الأسرة هي إقامة حدود الله: أي تحقيق الزوجين شرع الله ومرضاته في كلّ شؤونهما وعلاقاتهما الزوجية، وهذا معناه إقامة البيت المسلم الذي يبني حياته على تحقيق عبادة الله، أي على تحقيق الهدف الأسمى للتربية الإسلامية. وهكذا ينشأ الطفل في بيت أقيم على تقوى الله فيقتدي بذلك إذ يمتصّ ويكتسب تلك العادات الأبوية السمحة من خلال المعاشة اليومية، ومن ثمّ يقتنع بعقيدتهما الإسلامية حين يصبح واعياً، إضافة لتحقيق السكون النفسي والطمأنينة؛ فإذا اجتمع الزوجان على أساس من الرحمة والاطمئنان النفسي المتبادل، فحينئذ يتربّى الناشئ في جوّ سعيد يهبه الثقة والاطمئنان والعطف والمودة، بعيداً عن القلق وعن العقد والأمراض النفسية التي تضعف شخصيته أو تزرع فيه العنف والإرهاب، فعلى الأبوين تقع مسؤولية تربية الأبناء ووقايتهم من الخسران والشرّ والنار، التي تنتظر كلّ إنسان لا يؤمن بالله، أو يتبع غير سبيل المؤمنين.

## وظيفة الأسرة المسلمة:

الأسرة هي الأساس والأصل في تكوين البناء الإنساني روحياً وعقلياً وعقائدياً وجسدياً ووجدانياً وانفعالياً واجتماعياً، لذا نجد الإسلام حرص على هذا التكوين، وذلك ليضمن سلامة النسل من الأمراض الوراثية التي تتجب أولاداً معتوهين ومعوّقين، وكما اهتمّ بسلامة النسل عقلاً وجسداً قبل مولده نجده يبيّن وظيفة الأسرة في البناء الروحي والعقائدي للإنسان بعد مولده في قوله - ﷺ -: "ما من مولود إلا يولد إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه" (١).

وتعدّ الأسرة بمثابة المؤسسة والبيئة التربوية الأولى التي يعيش فيها الفرد ويتعلّم كثيراً من أشكال السلوك (٢).

ولقد تكفل الإسلام ببيان أحكام الأسرة مع الإشارة إلى أسرار التشريع مفصلة تارة، ومجملّة أخرى، في آيات وسور متعدّدة وأحاديث كثيرة، من إرث ووصية ونكاح وطلاق، وبيان أسباب الألفة ووسائل حسن المعاشرة، وشيّد صرح المحبّة بين أفرادها على تأسيس حقوق معلومة في دائرة محدودة، فمتى روعيت تلك الحدود عاشت الأسرة في أرغد عيش وأهنأ حياة، وحدّر من هدم الأسرة، وحثّ على تماسكها واتحادها، ونفّر عن كلّ ما يدعو إلى تفكّك عراها.

فإذا قام الأبوان بوظيفتهما كاملة في تنشئة أبنائهما على تشرب روح التعاليم الإسلامية، وحرصاً على تفادي عناصر التفكّك الأسري، فإنّ هذه الخلية ستكون سالحة، وتنتب رجالاً ونساءً صالحين، يسهمون في إسعاد أنفسهم وتقدّم مجتمعاتهم نحو الأفضل، وهذا ما تبرزه لنا الآية الكريمة في

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه.

(٢) محمد عقله، تربية الأولاد في الإسلام، عمّان، مكتبة الرسالة الحديثة، ١٩٩٠، ص: ١٥٧.



قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾<sup>(١)</sup>.

ويرى الشيباني<sup>(٢)</sup>: أن أهمّ وظائف الأسرة التربوية هي: التربية الدينية، والتربية البدنية، والتربية الصحيّة، والتربية العقلية، والتربية الجمالية، والتربية النفسية، والتربية الوجدانية، والتربية الروحية، والتربية الخلقية، والتربية الاجتماعية، والتربية السياسية للفرد المسلم.

وفي الأسرة يتمّ تشكيل الفرد وإعداده ليكون عضواً في المجتمع الذي ينتمي إليه، فإذا كان هذا الإعداد طيباً صحيحاً، وقائماً على أسس سليمة، كانت النتيجة خيراً وصلاًحاً للمجتمع<sup>(٣)</sup>؛ أمّا إذا كان ذلك الإعداد مشوباً بالشوائب، وقائماً على الفوضى والإهمال واللامبالاة، فإنّ النتيجة ستكون شراً وخطراً على المجتمع بأسره<sup>(٤)</sup>؛ وهذا مبدأ قرآني يقرّره قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ﴾<sup>(٥)</sup>.

و"حتى تقوم الأسرة بدورها التربوي بطريقة سليمة، وتتجنّب الأخطاء، وتعبر بالأبناء إلى برّ الأمان، عليها أن تقوم بتهيئة بيئة مستقرّة هادئة، غنيّة بالمثيرات الثقافية، بيئة مشجّعة للطفل على التساؤل والتجريب والتصحيح، خالية من أنواع التمييز والتحيز والتسلّط، بعيدة عن القسوة والعقاب الصارم

(١) سورة الحجرات ١٣.

(٢) علي أسعد وطفة، علم الاجتماع التربوي، منشورات جامعة دمشق، ط: ٢، ٢٠٠٢، ص: ٧٣؛ عمر محمد التومي الشيباني، من أسس التربية الإسلامية، الجامعة المفتوحة، طرابلس، ١٩٩٠، ص: ٥١٠.

(٣) صالح بن علي أبو عراد، مقدّمة في التربية الإسلامية، الدار الصولتية للنشر والتوزيع بالرياض، ١٤٢٤هـ، ص ٩١.

(٤) إبراهيم ناصر، علم الاجتماع التربوي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط: ٢، ١٩٩٦، ص: ٦٨.

(٥) سورة الأعراف ٥٨.

الذي يؤدي شخصية الطفل"<sup>(١)</sup>.

وعليه، فإن الأسرة من أهم مؤسسات التنشئة الاجتماعية التي اهتم بها الإسلام، وعمل على دعمها والحفاظ على تماسكها، فإذا اجتمع الزوجان في إطار الأسرة على أساس العطف والرحمة والمودة، فحينئذ يترتب الناشئ في جو سعيد على أساس الثقة والاطمئنان والمودة، بعيداً عن القلق والعقد والأمراض النفسية، وهذا ما تسعى لتحقيقه التربية الإسلامية، قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>، وإن تحقق ما تقدم، فذلك هو الضمان الأول والحماية والتحصين من التطرف الفكري في المجتمع المسلم.

وبهذا تخرج البشرية من طور الفردية إلى رحابة الإنسانية لتدخلها من أوسع أبوابها، وهو باب التعارف الذي يقود إلى التعاون والتآزر وحرية الحركة والتنقل والفكر والتجارة، وغيرها من المصالح المرسله بين الناس، وبضمان صلاح أفراد الأسرة، فإن المجتمع كله سوف يتجه إلى الصلاح، وتتحسر مسببات العنف والآفات التي تنخر بعض المجتمعات، وتسهم في ارتفاع هجمة الإرهاب والتطرف الفكري.

وبطبيعة الحال فهناك مسببات أخرى تؤدي إلى زيادة ظاهرة التطرف الفكري في مختلف المجتمعات على رغم أن البناء الأسري قد ظل على حاله دون زعزعة على امتداد عشرات بل مئات السنين. وهذه حقيقة مسلم بها، إلا أن إسهام الأسرة يأتي بتعرض أبنائها إلى طائفة من الأفكار الغربية التي لم تكن متاحة من قبل، فدخلت القنوات الفضائية وشبكة "الإنترنت" قد شكل

(١) علي خليل ابو العينين، وآخرون، التربية ومشكلات المجتمع، جامعة الزقازيق، فرع بنها، كلية التربية، قسم أصول التربية، ٢٠٠٣، ص: ١٨٠.

(٢) سورة الروم: ٢١.

تدخلًا سافرًا في خصوصية الأسرة المسلمة، ومع إيماننا بأهمية هذه العناصر وفائدتها إلا أنها أثبتت من الوهلة الأولى أنها سلاح ذو حدين، إذا أسيء استخدامها فإنها تؤدي إلى نتائج وخيمة، وإذا أحسن التعامل معها والاستفادة من مخزونها المعرفي، فإنها كنز لا غنى عنه لكل أسرة، وبالتالي فإن مسؤولية الوالدين تزداد أهمية بمراعاة هذه العناصر الجديدة التي وفدت إلى بيوتنا، ولا بد من تكريس المزيد من الوقت لمتابعة نشاطات الأبناء، والحرص على عدم انجرافهم مع التيارات التي تسعى في الأرض فساداً؛ علماً بأن الأسرة المسلمة مستهدفة بطريقة سافرة.

ولقد تكفل الإسلام ببيان أحكام الأسرة مع الإشارة إلى أسرار التشريع مفصلة تارة، ومجملّة أخرى، في آيات وسور متعدّدة وأحاديث كثيرة، من إرث ووصية ونكاح وطلاق، وبين أسباب الألفة ووسائل حسن المعاشرة، وشيّد صرح المحبة بين أفرادها على تأسيس حقوق معلومة في دائرة محدودة، فمتى روعيت تلك الحدود عاشت الأسرة في أرغد عيش وأهنأ حياة، وحرّ من هدم الأسرة، وحثّ على تماسكها واتّحادها، ونفّر عن كلّ ما يدعو إلى تفكك عراها.

ويرى الشيباني<sup>(١)</sup>: أنّ أهمّ وظائف الأسرة التربوية هي: التربية الدينية، والتربية البدنية، والتربية الصحيّة، والتربية العقلية، والتربية الجمالية، والتربية النفسية، والتربية الوجدانية، والتربية الروحية، والتربية الخلقية، والتربية الاجتماعية، والتربية السياسية للفرد المسلم.

وبذلك فإنّ وظيفة الأسرة في الإسلام، إضافة إلى ما تقدّم، فإنها تعتبر المنبع الذي يغذي الطفل بالعقيدة الصحيحة والفكر المعتدل من القرآن

(١) عمر محمد النومي الشيباني، من أسس التربية الإسلامية، الجامعة المفتوحة، طرابلس، ١٩٩٠، ص:

الكريم والسنة النبوية.

### مسؤولية الأسرة في الحد من التطرف الفكري:

على الرغم من أنه يمكن حماية ورعاية الطفل عن طريق المؤسسات الاجتماعية الأخرى إلا أن حماية ورعاية الأسرة هي أكثر فعالية، وذلك لأن الأسرة مؤسسة اجتماعية تجمع بين الاستجابة الشخصية الحميمة، والرعاية الاجتماعية المتناسكة<sup>(١)</sup>.

وفي المجتمعات العربية الإسلامية نجد أن وظيفة الأسرة تمتد لتصل إلى روح الإنسان فتصلقها وتوجهها الوجهة السليمة التي تتفق مع فطرته التي فطره الله عليها، وإذا اتفق التوجيه الأسري مع فطرة الإنسان، أدى ذلك إلى صلاح الفرد باستقامته وأمنه النفسي والاجتماعي.

إن الإنسان يكتسب عادة الأساليب السوية للسلوك والتفكير من خلال التفاعل الاجتماعي والاحتكاك بالآخرين، وأن الأبوين هما في العادة الأوائل الذين يقومون بعملية التطبيع الاجتماعي، فالطفل يستجيب للأبوين ويستجيبان له، وهذا من شأنه أن يزيد العلاقة الشخصية القائمة بين الطفل وأبويه.

إن ظهور السلوك المنحرف قد يأتي عن طريق تأثر الأبناء بطبائع الآباء، أو بسبب الحرمان الشديد لمدة طويلة، أو عدم استقرار الأسرة وسيطرة المشكلات والخصومات بين الأفراد؛ كما أن الأسرة هي أول مؤسسة اجتماعية تتلقى الطفل لإعداده وتنشئته طبقاً لمتطلبات المجتمع الذي تعيش فيه، فخصوية الآباء ووجودهم، وأسلوب تنشئتهم من المحددات الأساسية في ظهور وتكوين السلوك السوي أو المتطرف، فالأسرة هي اللبنة الأولى في

(١) داود بورقيبة، مدخل إلى علوم التربية، المطبعة العربية، غرداية، ٢٠٠٩، ص: ٤٥.

المجتمع، وهذا يلقي عليها عبئاً كبيراً، ذلك أنه إذا صلحت الأسر، صلح المجتمع، ولو حافظت الأسر على صلاحها استمرّ المجتمع في صورة صالحة؛ كما أنّ الأسرة هي المؤسسة الاجتماعية الوحيدة التي تقوم على أساس عضويّ، وليس على أساس وظيفيّ، وهذا يعطيها فرصة نادرة لتخفيف الضغوط النفسية والماديّة على أفرادها<sup>(١)</sup>.

الأسرة إذًا هي المسؤولة عن توجيه الناشئ إلى مبدأ عقديّ أو فكريّ أو ثقافيّ معيّن، أو صرفه عن مبدأ عقديّ أو فكريّ أو ثقافيّ، وقد سبق وأشرنا إلى الحديث الذي يؤكّد أنّ المولود يولد على فطرة الإسلام، وبلغ من أثر الأسرة في توجيهه أنّ الأسرة تهوّد أو تمجّسه أو تنصّره بحسب ما ترغب هي في توجيهه إليه، إمّا عن طريق الأب أو الأمّ أو كليهما معاً.

وقد أكّد ابن القيم -رحمه الله- هذه المسؤولية، وتكلّم كلاماً مفيداً نافعاً، فقال<sup>(٢)</sup>: "قال بعض أهل العلم: إنّ الله سبحانه يسأل الوالد عن ولده يوم القيامة قبل أن يسأل الولد عن والده؛ فإنّه كما أنّ للأب على ابنه حقّان فللابن على أبيه حقٌّ؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾<sup>(٣)</sup>، وقال الله تعالى: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾<sup>(٤)</sup>.

إنّ مسؤولية الأسرة في استقرار المجتمع عظيم، فهي خطّ الدفاع الأوّل الذي يقف سدّاً منيعاً في وجه الأشرار، لكنّها لا تستطيع القيام بهذه المسؤولية الحيويّ إلاّ إذا كانت مترابطة في كيانها متينة في علاقاتها الداخلية

(١) داود بورقيبة، مدخل إلى علوم التربية، ص: ٥٢، مالك سليمان مخول، علم النفس الاجتماعي، منشورات جامعة دمشق، ١٩٨٦، ص: ١٣٢.

(٢) ابن القيم، تحفة المودود في أحكام المولود، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ص: ٢٢٩.

(٣) سورة العنكبوت: ٨.

(٤) سورة التحريم: ٦.

والخارجية؛ فعلى قدر ما تتمتع به الأسرة من ترابط وتماسك بين أفرادها، على قدر ما تدرك الطريق السليم لتربية أبنائها وتهيئتهم ليكونوا أعضاء نافعين لمجتمعهم وأمتهم.

إنّ من الجوانب التي يجب أن توليها الأسرة أهمّية كبيرة حتّى تستطيع أن تقوم بمسؤوليتها ككيان أساسي في المجتمع هو التخطيط الأسري لحياة الأبناء ونشاطاتهم وممارساتهم، وبالأخصّ أثناء الإجازات والعطل الصيفية حتّى تتمّ الاستفادة من أوقاتها فيما يعود بالنفع على الفرد والأسرة والمجتمع، فهناك صلة وثيقة بين سوء استغلال وقت الفراغ لدى الأبناء، وعشرة قرناء السوء والوقوع في الانحراف وسوء السلوك؛ فيجب الاهتمام بحسن استغلال وقت الفراغ بالسفر أو الأنشطة الرياضية والثقافية والاجتماعية المفيدة.

إنّ الأسرة من منطلق حرصها على التنشئة الاجتماعية السليمة وحسن استغلال وقت الفراغ والتفاعل بجدية مع مؤسسات المجتمع المختلفة، تسهم بشكل حيويّ في صناعة الفرد الصالح في المجتمع، والفرد الصالح في المجتمع أمان للمجتمع في حاضره ومستقبله.

**ويمكن الحديث عن مسؤولية الأسرة في هذا المجال في العناصر الآتية:**

**١- غرس تعاليم الدين الإسلامي الصحيحة والقيم المعتدلة في الأبناء:**

إنّ الإسلام هو الدين العظيم، كفل للبشرية النجاة والرفعة في الدنيا والآخرة إذا فقهوه وطبّقوا شريعته، وأحلّوا حلاله، وحرّموا حرامه لأنّه منزل من خالق الإنسان، والصانع أدري ما يكون بصنعتة فما بال الخالق بخلقه.

وهنا تأتي مسؤولية التربية الأسرية، وهي تبني المسلم الحقّ، وتعدّه، فهو ليس مكوّنًا من جسم وعقل فحسب، بل تربيّه على أنّ له قلبًا يخفق، وروحًا تهفو، ونفسًا تحسّ، وأشواقًا عليا تدفعه إلى السموّ والاستغراق في عالم العبادة، والتطلّع إلى ما عند الله من نعيم، والخشية ممّا لديه من أنكال وجحيم.

وإذا تأملنا صفحات القرآن الكريم، نجد أن الرسل والأنبياء عليهم السلام يعنون عناية كبيرة بسلامة عقيدة أبنائهم، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾<sup>(١)</sup>، وهذا لقمان يرضى ابنه فيوصيه: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

وهنا تركز التربية الأسرية على الفرد بالعناية بروحه ليقبل على صقلها بالعبادة ومراقبة الله محتذياً بذلك برسول الله - ﷺ -<sup>(٣)</sup>.

وعلى التربية الأسرية أن تعلم الفرد تقوية الروح وإصلاح النفس، وأن الطريق إلى ذلك هو العبادة، كتلاوة القرآن عن أناة وتدبر وخشوع، والصلاة القويمة المستكملة لشروط الصحة، وحضور الذهن، وغير ذلك من ألوان العبادة والرياضة الروحية، مدرباً نفسه على القيام بهذه الطاعات، بحيث تصبح دنياه وعاداته وسجاياه التي لا مكان لها ولا انفصام منها<sup>(٤)</sup>.

ويجب أن تكون التربية الأسرية موضحة لمعنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقضية الإسلام والمروق منه، حتى لا يقع الفرد ضحية لتلك الجماعات التكفيرية، التي تحاول أن تضر بالمسلمين، اعتقاداً منهم أن ذلك هو طريق الصواب وتكون المرجعية عند من يعتقدون بأن لديهم القدرة على الفتوى الشرعية، ولكن هنا تبرز مسؤولية التربية الأسرية التي توضح للأبناء

(١) سورة البقرة: ١٣٢.

(٢) سورة لقمان: ١٦.

(٣) محمد نور عبد الحفيظ سويد، منهج التربية النبوية للطفل، دار ابن كثير، دمشق، ط: ٣، ٢٠٠١، ص: ٢٠٧.

(٤) إبراهيم مبارك الجوير، أثر تطبيق الشريعة الإسلامية في حل المشكلات الاجتماعية، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤١٥هـ، ص: ٢٢-٣٠.

نهج القرآن الكريم والسنة النبوية التي تعتمد في أساليب الدعوة على الحكمة والموعظة الحسنة ومخاطبة الناس بالأسلوب المناسب لهم تنفيذاً للتوجيه الرباني، في قوله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾<sup>(١)</sup>، وقوله عز وجل: ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾<sup>(٢)</sup>؛ والأخذ بمنهج الرسول - ﷺ - في جميع شؤون حياته فقد قال: "ما كان الرفق في شيء إلا زانه، ولا كان العنف في شيء إلا شانه"<sup>(٣)</sup>.

## ٢- إشباع احتياجات الأبناء:

ترتبط احتياجات الأفراد بخصائص المرحلة العمرية والأوضاع الاجتماعية التي يعيشونها، والتي تجعل لهم طبيعة خاصة، ولكي يؤدي الأبناء الواجب المطلوب منهم، يجب أن تتفهم تلك الاحتياجات، وتوفر سبل إشباعها. ويعرف علماء النفس الحاجة بأنها<sup>(٤)</sup>: حالة من النقص والافتقار والاضطراب الجسدي والنفسي، إن لم تجد إشباعاً أثارت لدى الفرد نوعاً من التوتر والضييق لا يلبث أن يزول متى أشبعت الحاجة. وترى نظرية الحاجات، أن الحاجة هي الدافع وراء كل سلوك، وكل إنسان له عدد من الحاجات التي توجه سلوك الإنسان من أجل إشباعها، وإذا لم تشبع يترتب على ذلك خلل يؤثر في صاحبها<sup>(٥)</sup>. وكذلك نجد أن عملية التنشئة تؤدي وظيفة مهمة في تشكيل سلوك الإنسان، ومن ثم شخصيته الإنسانية، ولذلك تكون الذات والشخصية نتاجاً

(١) سورة النحل: ١٢٥.

(٢) سورة البقرة: ٢٦٩.

(٣) رواه مسلم: البر والصلة والآداب: ٢٥٩٤.

(٤) داود بورقيبة، مدخل إلى علم النفس: رؤية إسلامية، رياض العلوم، الجزائر، ط: ١، ١٤٢٧هـ، ص: ٩٨.

(٥) داود بورقيبة، مدخل إلى علم النفس: رؤية إسلامية، ص: ٩٩.



اجتماعياً يتكوّنان من تفاعل الإنسان مع البيئة في مراحل عمره المختلفة. وبناء عليه، فإنّ الخلفية الاجتماعية والنفسية للفرد، لها أهميّة كبرى في تحديد أنماطه السلوكية وتفاعله الاجتماعي مع الآخرين.

ويجب على الأسرة أيضاً تأصيل وتعميق قيم الانتماء لدى أفرادها والتي تعدّ من الحاجات الأساسية للنموّ النفسي والنموّ الاجتماعي، وهذا يدفع الوالدين إلى ضرورة عدم الإتيان بأيّ أفعال من شأنها أن تشعر الأبناء بأنهم غير مرغوب فيهم وإهمالهم وتوبيخهم ونبذهم بصورة متكرّرة، فلمثل هذه الأفعال أثر سيّئ في التكوين النفسي والاجتماعي للأبناء والصحة النفسية للفرد في مرحلة تالية بصفة عامّة، ممّا تجعل الفرد يحاول أن ينتمي إلى جماعات وعصابات يحاول بها إشباع شعوره بالانتماء والألفة لتلك العشرة والتوافق والانسجام عند التعامل، وكلّما انعزل الفرد عن أسرته أو ابتعد عنها، ازداد شعوره بالحاجة إلى تلك الجماعات البديلة التي يجد فيها ما افتقده وتعويضه ذلك، وتقوم بنقل قيم ومعايير الجماعة في شخصية الفرد والتي تعارض قيماً ومبادئ اجتماعية ودينية في المجتمع بحيث تدفع الفرد إلى أن يقوم بسلوك اجتماعي يتّسق مع قيم ومعايير الجماعة التي لا تعطي على الأقلّ أهميّة للالتزام بقيم ومعايير المجتمع الأساسية.

ولا عجب أن وصل بعض الباحثين إلى حقيقة أنّ طول الزمن والانتباه اللذين يستثمرهما أولياء الأمور في التعامل مع أبنائهم يرتبط ارتباطاً عكسياً بأثر جماعة الرفاق على السلوك، بمعنى أنّ الوالدين وباقي أعضاء الأسرة إذا ما تفاعلوا مع الشباب لوقت أطول وبناتباه مركز، يؤدّي ذلك إلى اضمحلال تفاعل الشاب مع رفاقه، وبالتالي إلى أن تكون علاقته بالجماعة علاقة سطحية لا تعرّض الشاب إلى الانحدار في مزالق الجنوح والجريمة<sup>(١)</sup>.

(١) محمد إبراهيم السيف، المدخل إلى دراسة المجتمع السعودي، الرياض، دار الخريجي للنشر، ٢٠٠٣م،

### ٣- تكوين الاتجاهات الإيجابية نحو العمل بصفته قيمة، وشغل وقت فراغ الأبناء:

تؤدي الأسرة المسؤولية العظمى في حياة الفرد، ويكتسب من خلالها كل القيم والمعايير، وبها يبدأ أولاً بتعلّم الاتجاهات، وكما تشير عدد من الدراسات النظرية<sup>(١)</sup> حول هذا الموضوع من أنّ الوالدين هما المؤثر الأساسي في تكوين الاتجاهات، وذلك من خلال التواصل معهما، وأيضاً من خلال التربية الأسرية، وبالتالي ينطبق ذلك على الاتجاه نحو التعليم والعمل، وإبراز قيمته وأهميته سواء كان لإشباع حاجات الإنسان، أو لتحقيق الذات، أو لتحقيق المكانة، ويتم ذلك من خلال تبصير الإنسان عملياً أو شفهيّاً أو سمعيّاً أو بصريّاً من خلال جميع الوسائط التربوية المسموح بها، وفق السياج الثقافي والاجتماعي للمجتمع الذي ينمّي اتجاهات الأبناء من مختلف الأعمار نحو اكتساب المهارات الحرفية والتدريب على ممارستها، حتّى لا يتكوّن لدى الفرد وقت فراغ زائد، بحيث لا يجد ما يشغله بطريقة صحيحة، فأوقات الفراغ تعدّ تربة صالحة لاستنبات السلوك المنحرف والمتطرّف، وخاصة حينما يساء استغلالها، ذلك أنّها تهيئ الفرصة للاختلاط والرفقة السيئة من ناحية، وللتعرّض لاكتساب العادات السيئة والرذيلة التي يشغل بها بعض الشباب أوقات فراغهم من ناحية أخرى<sup>(٢)</sup>.

وهنا يكون مسؤولية التربية الأسرية في محاولة شغل وقت فراغ الأبناء بما يفيد فقد تسهم أنشطة الفراغ بالاتصال والتكامل الأسري عندما تتوحد الأنشطة بين الوالدين والأبناء، وأيضاً توجيه الأبناء نحو ممارسة الأنشطة

(١) توفيق مرعي، التوعية والإرشاد النفسي، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٨٤م، محمد الحيلة، التربية المهنية وأساليب تدريسها، عمان، دار المسيرة، ١٩٩٨م.

(٢) محمد حامد يوسف، المتغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية المرتبطة بمشكلة الإرهاب، جامعة حلوان، المؤتمر العلمي الثامن لكلية الخدمة الاجتماعية، ١٩٩٥م.

الترويحية المرغوبة خاصّة بالإجازات المدرسية كالرياضة وارتياذ المكتبة وحفظ القرآن الكريم والأنشطة الثقافية والمسرحية والمشاركة في الجمعيات العلمية والرحلات، وذلك عن طريق المراكز أو الأندية ويكون ذلك تحت عناية ورعاية أسرية.

وأيضاً يجب أن تغرس التربية الأسرية في الفرد منذ طفولته أهميّة العمل وقيّمته، وأن يتقبّل العمل مهما كان نوعه وتزِيل جميع التحفّظات حول التعليم المهني والصناعي.

والسنّة النبوية المطهّرة عامرة بخير هدي وأعظم إرشاد في حديث رواه أبو هريرة عن الرسول - ﷺ - أنه قال: "والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبلاً ويحتطب على ظهره خير، من أن يأتي رجلاً أعطاه الله من فضله فيسأله أعطاه أو منعه"<sup>(١)</sup>.

وبالتالي فإنّ التربية الأسرية عندما تشجّع الأبناء على العمل أيّاً كان نوعه، فتبعد بذلك أبنائها عن التعرّض للفراغ الذي يدفع بالشباب إلى الالتحاق بالجماعات المتطرّفة، مستغلّين وجودهم بلا عمل أو مورد رزق، فالإنسان العاطل الذي ليس له مورد رزق ثابت، يجد فراغاً غير محدود في وقته، يؤدّي إلى حالة من الإحباط الوقتي تعطي القائمين على تلك الجماعات منفذاً سهلاً لجذبه بحجّة انتشاله من ثلوث البطالة والفراغ والفقر بعد إغراقه على أمر يطالبه.

#### ٤- التربية على الشورى واحترام الرأي عند التعامل مع الأبناء:

الحرية هي الحالة التي يستطيع فيها الأفراد أن يختاروا ويقرّروا ويفعلوا بوحى من إرادتهم، ودونما أيّ ضغوط من أيّ نوع عليهم، كما تشمل حرية

(١) رواه الإمام البخاري في الزكاة: ١٤٠١.

الإنسان وكرامته لكونه مسؤولاً عن أفعاله أمام الله وأمام الشرع، مستهدفاً بذلك حماية النفس والمال والعرض والكرامة الإنسانية بشكل متوازن. وحرية الرأي: "حرية التعبير عن الأفكار، فالناس بحاجة للمناقشات لتبادل الآراء حتى يتمكنوا من التواصل والتوصل إلى قرارات مبنية على المعرفة في شؤون حياتهم السياسية، والاجتماعية، وحرية التعبير"<sup>(١)</sup>. وتأخذ حرية الرأي بعض الصور منها: أسلوب المناقشة وأدب الحوار، وطريقة اتخاذ القرار، ومهارات الاستماع والمناقشة، واحترام الرأي الآخر (معارضاً أو ممثلاً وجهة نظر مختلفة)، والتعبير عن الرأي وفق معايير محددة. وتدريب الفرد في مراحل العمر المختلفة على آداب الحوار والقدرة على الاستماع والاستيعاب للرأي الآخر والتدريب على ممارسة حرية الرأي ما يقدره على تحمل المسؤولية، ويمكن إشباع ذلك أيضاً عن طريق تشجيع الأبناء على الاشتراك في جمعيات الخطابة والصحافة المدرسية.

أما الديمقراطية التي تعد أسلوباً للممارسة في الحياة الأسرية، فإننا نعني بها روح التسامح، وأسلوب التعامل المرن الذي يقدر المواقف، ويعترف بالإمكانات، ويقدم النصح والمشورة في قالب التوجيه والإرشاد بشكل لا يُفرض في التشدد، ولا يفرض في التسيب.

إن مناخ الأسرة التي تنتهج أساليب التنشئة الاجتماعية السليمة هي التي يسودها جوٌّ من الوثام، والتماسك، والتفاهم، والهدوء المصحوب بالوعي بكل أبعاد الموقف الاجتماعي داخل الأسرة وخارجها، من أجل المحافظة على قوامها بشكل ينمي لدى أبنائها أسلوب التسامح مع الآخر، والعفو عند المقدرة، والقبول بالاختلاف في الرأي، والمساواة بين الجميع، وأن يحترم الصغير الكبير، وأن يعطف الكبير على الصغير، ويتعامل الجميع دون تفرقة بين

(١) الموسوعة العربية العالمية، الرياض، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ١٩٩٥م، ج ٩، ص: ٢٩٩.

أفراد الأسرة، حتّى يشبّ الجميع في بيئة صحّية خالية من الاضطرابات النفسية.

وفي هذا الصدد يمكن تعريف التربية الديمقراطية: بأنّها نظام اجتماعي يؤكّد على قيمة الفرد وكرامته، وشخصيته الإنسانية، ويقوم على أساس مشاركة أعضاء المجتمع (أو الأسرة) في إدارة شؤونهم، وتتخذ المشاركة فيه أنماطاً مختلفة<sup>(١)</sup>.

وتعنى الديمقراطية بصورتها الحديثة حرّية الفرد، مشتملة على المواطنة والحقوق والمسؤوليات، من أجل النهوض بالوظائف التي يختارها الفرد دون تفرقة في التعليم، ودون النظر للخلفية الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية، أو العرقية، أو الجنس، أو اللون. وأنّها تعني الحقّ في الحياة، والتعبير عن الرأي دون معوّقات أو تهديد، وأن تختار الشعوب مصيرها<sup>(٢)</sup>، حتّى لا ينشأ لدى الأفراد تعصّب بالرأي بل يسمع الرأي الآخر ويحاول أن يقتنع به إذا كانت التفسيرات التي أمامه مقنعة.

فالأسرة بقيمها الديمقراطية تنتج جيلاً ديمقراطياً متسلّحاً بالقيم التي ترفض التسلّط والاستبداد، وتعزّز مفاهيم الخير والأمن، وتتمسك بقيم العدالة، وتنادي بحقوق الإنسان وفق القنوات السليمة المستمدة من الشريعة الإسلامية، وتعمل على احترام الحقوق والواجبات وتؤمن بالتعايش السلمي واحترام الأقليات ونبذ العدوانية، وحلّ الخلافات بالحوار والمناقشة.

وبمعنى آخر فالتربية الأسرية هي صانعة الديمقراطية والديمقراطيين، فهي أساس الحياة ونبذ التعصّب. والتربية الأسرية نواة التربية المجتمعية، لأنّها

(١) فاطمة نزر، التشبّه الديمقراطية كما يدركها الوالدان والأبناء في الأسرة الكويتية، الكويت، مجلة العلوم الاجتماعية، مجلد (٢٩) العدد (٤)، ٢٠٠١م، ص: ٦٠.

(٢) فاطمة نزر، من، ص: ٦٠.

قلب الديمقراطية في المجتمع<sup>(١)</sup>، بل إنّ تلك التربية الأسرية التي تعتمد على حرية الرأي والديمقراطية تربيّ لدى الفرد القدرة على إبداء وجهات نظره، وامتلاك الوعي والإدراك ضدّ بعض صور التطرّف؛ وبالتالي يستطيع الفرد الابتعاد عن الجماعات المتطرّفة، وعن الفكر المتطرّف، لأنّه تكوّن لديه مانع دفاعي وهو الحرّية والكرامة التي ساعدت التربية الأسرية ووسائطها في التكوين السليم الواعي لها.

## المطلب الثالث

### المسجد

للمسجد أهميته الكبرى، ومنزلته العظيمة في المجتمع المسلم، وقد نوّه القرآن الكريم بالمسجد ومكانته، والمثوبة الكبرى للمشتغلين بعمارتها، فقال عز وجل: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ. رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ. لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾<sup>(١)</sup>، وقال عز من قائل: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَن آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾<sup>(٢)</sup>.

وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة أن النبي ﷺ - قال: "أحب البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها"<sup>(٣)</sup>.

فالمسجد بوتقة لا بد منها، لتصهر فيها النفوس، وتتجرد من علائق الدنيا، وفارق الرتب والمناصب، وحواجز الكبر والأنانية، وسكرة الشهوات والأهواء، ثم تتلاقى في ساحة العبودية الصادقة لله عز وجل بصدق وإخلاص.

**أهمية المسجد في الإسلام:**

ينظر الإسلام إلى المسجد نظرة خاصة وهامة، من حيث اعتباره ميداناً واسعاً، ومكاناً رحباً، يُعبدُ الله تعالى في أرجائه، ويطاع في سائر نواحيه

(١) سورة النور: ٣٦-٣٨.

(٢) سورة التوبة: ١٨.

(٣) رواه الإمام مسلم في صحيحه: المساجد ومواضع الصلاة، ٦٧١.

وأجزائه، ولذا منحه فضائل فريدة، وميَّزه بخصائص عديدة، باعتباره منطلق الدعوة إلى الخالق جلّ وعزّ ومركز الإشعاع الأوّل، الذي انطلقت من جنباته أحكام التشريع، وانبعثت من ردهاته أشعة الإيمان، ولقد عَظَّم الإسلامُ المسجد وأعلى مكانته، ورَسَخَ في النفوس قدسيّته، فأضافه اللهُ تعالى إليه إضافةً تشریفٍ وتكريمٍ فقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾<sup>(١)</sup>، فالمسجد يحتلّ مرتبةً مميّزةً ومعظمةً في أفئدة المسلمين، تزكوه نفوسهم، وتطمئنّ قلوبهم، وتتألف أرواحهم وتصفو أذهانهم، يجتمعون فيه بقلوب عامرة بالإيمان، خاشعة متذلّلة للخالق الديّان، فرسالة المسجد شاملة ومتنوّعة، وضافية ومتعدّدة، تنظم مجالاتٍ مختلفة لنشر القيم الإسلامية، وغرس الآداب والأخلاق الحميدة، وإبراز سموّ الإنسان وكرامته، والحفاظ على وجوده وحياته، وتقويم سلوكه، وإشعاره بالأمن والطمأنينة من خلال الأدوار المتعددة، والمجالات المختلفة التي يضطلع بها المسجد لتحقيق الأمن الاجتماعي، وتوفير الطمأنينة النفسية والروحية، التي تخفّف عن الناس أعباء الحياة وآلامها، وتكبح فيهم جموح الغرائز وشهواتها، وترسّخ أواصر المحبة، وروابط الألفة بين الأفراد، ويسط الأمن الوارف في ربوع المجتمع، ونشر الاستقرار والاطمئنان في أرجائه، وتوطيد قواعده، وتثبيت دعائمه<sup>(٢)</sup>.

#### المسجد مصدر الاعتدال:

للمسجد قدسية خاصّة، ففيه آيات القرآن الكريم، ويسمع في أنحاءه كلُّ ما يطهر القلوب، ويصفي النفوس، وينقي الأفكار والأذهان، ويزكي الأرواح ويهدبها، ويغذيها ويشحنها بروح اليقظة الإيمانية، والاستقامة السلوكية؛ فكلّما ازداد تردد المسلم على المسجد، كلّما ازداد تعلقاً به،

(١) سورة التوبة: ١٨.

(٢) مالك سليمان مخول، علم النفس الاجتماعي، ص: ١٦٦.



والتصاقاً بخالفه، فحاسب النفس وابتعد عن النوازع العدوانية، والدوافع الإجرامية.

إنَّ الفرد حين يلتصق بالمسجد التصاقاً وثيقاً، ينعكس أثر ذلك إيجاباً على المجتمع بأسره، حين يتلقَّى في المسجد معاني الفضيلة وسمات الصلاح وقيم الإسلام السامية، التي تشيع في النفوس الاطمئنان، فتستقيم على المنهج الحق، وتتحسّر فيها دواعي الشرور والإفساد، والتفكير في دروب التطرّف بمحافظته على الصلاة فهي مصدر الأمن والاستقرار، وينبوع السعادة والاطمئنان ونهر الوسطية والاعتدال.

فالعبادة تطهرها على أن تكون منبع خير وأمان، ومصدر ضبط واعتدال واتزان، فإذا اصطبغت بذلك نفوس المصلّين، وأصبح سلوكها تبعاً للوحي الإلهي، والنهج القرآني، سار المجتمع بأفراده على الصراط السوي، وسلم من كلّ ما يعكّر صفوه، أو يثير في أوساطه ما يزعزع استقراره، وبذلك يظهر الأثر القوي، والمسؤولية الحيوية للمسجد في ترسيخ دعائم الوسطية، وتوطيد قواعد الاستقرار في ربوع المجتمع، فالصلاة ذات أثر مباشر في تقويم سلوك الأفراد، وهي وسيلة فاعلة للوقاية من الانحراف والجريمة والتطرّف.

### خطبة الجمعة:

إنَّ خطبة الجمعة مشكاة من النبوة، ومنبع من النور والتقى، ومنازة حقّ للأمن والسلام والهدى، فمستوليتها في حياة المجتمع المسلم واضحة لا تخفى، وراسخة لا تُنسى، فهي الدعامة الأولى، والركيزة الكبرى لتحقيق الأمن الاجتماعي، وتعميق الوحدة ونبذ الفرقة، وتغذية الأمة بالتوجيه الروحي والفكري، ولئن كانت تلك المعاني ثابتة لمن تأمّل خطبة الجمعة، إلا أنّها لن تكون ذات أثر فاعل إن لم يكن القائم بها على قدر من المسؤولية والقدرة على إبراز تلك المعاني وإظهار القيم السامية لمسئوليتها المؤثرة في حياة الفرد والمجتمع.

فالمسجد يتوافد عليه في يوم الجمعة أعداد كبيرة لسماع الخطبة والإنصات لها، لذلك فهم يحتاجون إلى التذكير والتبويه، واستغلال حضورهم للإرشاد والتوجيه، ومعالجة مشكلات المجتمع، والإسهام في إصلاح الحياة العامّة، وإعادة الفرد إلى قواعد الدين ومبادئه وإشاعة روح المودّة والإصلاح بين الناس، وإنّ خطيب المسجد وإمامه أشدّ فاعلية، وأكثر وقعاً في نفوس الجماهير، من أيّ وسيلة أخرى يمكن أن تؤثر في المجتمع. وخطيب الجمعة يقتلع جذور الشر في نفس المتطرّف، ويبعث في نفسه خشية الله تعالى، وحبّ الحقّ، وقبول العدل ومعاونة الناس وإصلاح الضمائر، وإيقاظ العواطف النبيلة في نفوس الأمّة، وبناء الضمائر الحيّة، وتربية الروح على الآداب الفاضلة والأخلاق الحميدة، وتسكين الفتن، وتهدئة النفوس، فهو يستقي التوجيهات من كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ - .

ولكي تكون خطبة الجمعة قوية لها أثرها البالغ، اعتنى العلماء والفقهاء بها العناية الفائقة، وذكروا عوامل رئيسة لنجاحها و عظيم فائدتها..

ولا يمكن أن ينجح الخطيب في أداء مهمّته على الوجه المطلوب، إلاّ إذا استطاع الأخذ بألباب سامعيه، بالأسلوب البليغ، والحجّة الظاهرة، والخطبة الباهرة، والإثارة والتشويق؛ وأتى للخطيب أن يفيد إن لم يراع مقتضى الحال، فلكلّ مقام مقال، فيجدر به مواكبة الأحداث، ومسيرة الوقائع، وملائمة موضوع الخطبة للأحداث الجارية، والملابسات الواقعة، فالكلام في حال الأمن يختلف عنه في حال القلق، واختلاف الظروف وتقلّبات الأحوال تتطلّب من الخطيب أن يكون فطناً مسائراً لما يحدث حوله، وأن لا يكون في وادٍ، وحال المجتمع في وادٍ آخر، كأن يكون بعيداً عن تصحيح المفاهيم المغلوطة عن الإسلام، وردّ الشبهات والأباطيل التي يثيرها خصومه لبلبله الأذهان، ومواجهة الأفكار الهدّامة والمضلّة، بتقديم الإسلام الصحيح، وإبراز

خصائصه من السماحة والشمول والتوازن والعمق والإيجابية. فيجب لتحقيق الهدف المنشود من الخطبة، ربطها بأحداث المجتمع، وبالواقع الذي يعيشه الناس، والتركيز على علاج أمراض المجتمع، وتقديم الحلول لمشكلاته. كما يجب تثبيت معنى الأخوة الإسلامية، ومقاومة النزعات والعصبيات العنصرية المفرقة للأمة، المشتتة لشماتها، والمثيرة للأحقاد والبغضاء.

### مسؤولية الخطباء في ترسيخ مبادئ وحدة المجتمع:

ينبغي لخطباء المساجد التركيز على أمن المجتمع واستقراره وإشاعة السلام والطمأنينة في سائر أرجائه، وتخليصه من أسباب الفرقة وبواعث الشر والخلاف، ومن أهم ما ينبغي طرقه وتذكير الناس به، والتعرض له بين الفينة والأخرى، وبالأخص في أوقات المحن والشدائد، كما يجب عليه أن يحفز المصلين على تقوية إيمانهم وترسيخه في قلوبهم، ليثمر الشعور بمراقبة الله تعالى، وخوفهم من عذابه، وأليم عقابه، ويدعوهم إلى الاستقامة السلوكية، وتصحيح المواقف، وتحصيل مصالح الدنيا والآخرة، ودفع الشرور والمفاسد بالتأكيد على الضمانات الأمنية والوسائل الكفيلة بترسيخ أمنه والمحافظة عليه التي من أهمها طاعة ولاة الأمر، فهي أصل مهم وقاعدة كبرى، ومنهج واضح، وأساس قوي لتحقيق الأمن الاجتماعي، واستقرار البلاد، واطمئنان الرعية بوجود طاعة ولى الأمر، وتحريم عصيانه أو الخروج عليه بتكفيره أو غير ذلك، ففي الطاعة اجتماع لكلمة المسلمين، وفي العصيان فساداً للأحوال في الدارين، وما نزع يد من طاعة إلا وصافحها الشيطان، فالعاقل يدرك خطورة عصيان ولاة الأمر والخروج عليهم، وما يجلبه من شرور عظمى، وأخطار ومفاسد كبرى ويعلم ما في الطاعة من الخير والهدى، وتحقيق السعادة، واستتباب الأمن، وترابط المجتمع وتماسكه، ونصرة المظلوم، ودحر الباطل والجور، والعناية بمصالح العباد والبلاد، وحماية الحياة الاجتماعية من

الفوضى والاضطراب، والأخذ على أيدي السفهاء والعابثين وردع البغاة والمجرمين.

إنّ طاعة وليّ الأمر، واحترام شخصيته وهيبته، ممّا هو واجب على الرعية لما في مخالفة ذلك من نشر المفسد، وإثارة الفتن والقلق ممّا لا يمكن رده ولا دفعه، فذوو العقول السليمة، والفطر المستقيمة يدركون أهميّة الطاعة، ويقدرّون العواقب، طريقهم طريق الحقّ والهدى، ويلتقون على الخير والرشاد والتقوى، وينأون بأنفسهم عن مواطن الشرّ والأذى، ويحذرون من مزالق الرذيلة والهوى، وطريق المؤمنين حفظ ألسنتهم، والاحتكام إلى كتاب ربّهم، وستة نبيّهم - ﷺ -، وإنّ طرّق موضوع وجوب طاعة ولاة الأمر، من أهم ما يجب أن يذكرّ به الخطيبُ المصلّين بين الحين والآخر، وأن يؤكّد عليهم الالتزام بالطاعة، وأنّ التفاف الأمة حول قيادتها دليلٌ وحدتها، وطريق فلاحها، وسبيل رقيّها ونهضتها ونجاحها، ومصدر عزّتها ومنعتها، ومعاونة ولاة الأمر في أداء مهمّتهم، ومساعدتهم في حماية المجتمع من المفسد والشور، من أهم ما يلزم الرعية.

### مسؤولية الخطباء في ترسيخ العقيدة الصحيحة:

على خطيب المسجد، أن يعنى بترسيخ معنى الوحدة في نفوس المصلّين، وتعميق أواصر المحبة بينهم، ويذكرهم بأنّ الإسلام اعتمد الأخوة دعامةً لوحدة المجتمع، وركيزة للترابط بين أفراد، فلا يسمح الإسلام بقيام أفكار أو أحزاب أو تجمّعات من شأنها تمزيق وحدة المجتمع، وتبديد قوّته، وتفريق كلمته، أو بروز خلافات ينتج عنها التناحر، أو تسفر عن القطيعة والتناحر، فذلك شرٌّ عظيم، وخطر جسيم، ينتج عنه الكثير من الأحداث المروّعة، والمآسي المفجعة ويزعزع أمن المجتمع، ويؤدّي إلى قلقه واضطرابه، وإنّ مسارعة الخطيب أو الإمام إلى إزالة أيّ خلاف قد تظهر بوادره من أبرز ما

يجب أن يضطلع به، فيبادر إلى الإصلاح بين الناس في خصوماتهم وإزالة خلافاتهم، وتوطيد علاقاتهم الأخوية، وترسيخ دواعي الألفة والانسجام، لأن ذلك من أقوى دعائم ترسيخ أمن المجتمع، وضمان الاطمئنان والحياة السعيدة، وعليه أن يذكرهم بأنهم وحدة قائمة، متشابكة متألّفة، كل عضو منه يعمل في سبيل مصلحة الجميع، على نحو قول المصطفى - ﷺ -: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"<sup>(١)</sup>.

وإن دعوة الإسلام إلى الوسطية والاعتدال ونبذ الغلو والتطرف الفكري من أهم ما يجب أن يتحدّث عنه الإمام والخطيب في المسجد، ومن أبرز ما يجب أن يوضّحه للناس، وأن يكشف لهم وسطية الإسلام واضحة في سائر تشريعاته، وأن على جميع أفراد المجتمع أن يستشعروا منهج الإسلام الرصين في دعوته إلى التوازن والاعتدال، والواقع يشهد أن المغالين والمتنطّعين أضيق الناس صدراً، وأشدّهم قلقاً واضطراباً وأكثرهم غضباً وغلياناً، وربّما عمدوا إلى استخدام القوة لحمل الآخرين على موافقتهم في آرائهم، وسلوك منهجهم، وقد انزلق البعض في هذا المسلك، حيث سرى في أوساط فئة من الشباب في بعض البلاد الحكم بكفر فلان، أو وصفه بالفسق أو نحو ذلك، وهذا له آثار سيّئة تجرّع المجتمع آلامها وغصصها، وعاشت الأمة محنها وشروورها، فقد زاغت قلوب تلك الفتن، وطاشت عقولهم وانحرفت أفهامهم ورغبت أنفسهم عن سلوك المنهج الحقّ وأطلقوا لألسنتهم العنان في الحكم على الآخرين بما يرونه، وإخراجهم عن دائرة الإسلام اعتماداً على الأقاويل والشائعات، والشكوك والظنون، والأخبار الكاذبة، والمصادر الواهية.

## مسؤولية الخطباء في ترسيخ قيم الوسطية والاعتدال لدى الشباب:

للخطيب أثر فاعل في توجيه الناس وبالأخص الشباب للزوم المنهج الحق، والاستقامة على شرع الله وأمره وصراطه المستقيم، وتقوية الوازع الديني، وإيقاظ الضمير، وتزكية النفس، وبيان محاسن الاستقامة، ومساوئ الانحراف. وعلى الإمام أن يوضح لهم حفظ الإسلام للضرورات الخمس الدين، والنفس، والعقل، والعرض والمال وحمايته لها، وتحذيره من العبث بها والاعتداء عليها، وأنه قرّر عقوبات جزائية رادعة للنفس المريضة المعتدية، تمنع تصرفاتها الطائشة التي تتحكّم بها الأهواء الفاسدة، والأفكار المنحرفة والنفس الأمّارة بالسوء، وأنّ تلك العقوبات شرّعت لسدّ منافذ الجريمة، وإغلاق أبواب العدوان.

إنّ على الخطيب مسؤولية كبرى في توعية الناس والشباب خاصّة، بالضوابط الأمنية المحكمة التي قرّرها التشريع الإسلامي لحفظ المجتمع من الجريمة، ووقايته من الانحراف، ومحاربة الأعمال الإرهابية، والتصرفات الشاذّة التي تسعى إلى الخروج على النظام العام، والإخلال بالأمن، وسفك الدماء، وسلب الأموال، وتدمير الممتلكات، وإثارة الفتن، وتفريق جماعة المسلمين، والعبث بأمن المجتمع واستقراره بدعوى التكفير أو غيره، وإنّ كل مخالفة لما جاء في أحكام الشريعة الإسلامية، يعتبر تعدّيّاً، وانتهاكاً صارخاً لقدسيّتها، يستوجب العقوبة الحاسمة التي قرّرتها، حتّى تستأصل من المجتمع دواعي الإجرام، ومسببات الفتنة، وبواعث القلق، ويعيش الجميع في ظلال الإسلام، في أمن وأمان، واستقراره وراحة واطمئنان.

## توصيات واقتراحات البحث

وفي ختام هذا البحث، يوصي الباحث بما يأتي:

■ أولاً : الأسرة:

١- حسن اختيار الزوجين على أساس الدين من أجل الفهم الحقيقي للإسلام، والتطبيق العملي السلوكي لكل فضائله السامية، وآدابه الرفيعة. ولقد أرشد النبي صلوات الله وسلامه عليه راغبي الزواج بأن يظفروا بذات الدين، لتقوم الزوجة بواجبها الأكمل في أداء حق الزوج، وأداء حق الأولاد، وأداء حق البيت على النحو الذي أمر به الإسلام، وحض عليه الرسول - ﷺ -، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله - ﷺ - قال: "تتكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فأظفر بذات الدين تربت يداك"<sup>(١)</sup>.

وبالمقابل أرشد الرسول - ﷺ - أولياء المخطوبة بأن يبحثوا عن الخاطب ذي الدين والخلق، ليقوم بالواجب الأكمل في رعاية الأسرة، وأداء حقوق الزوجية، وتربية الأولاد، روي عن النبي - ﷺ - أنه قال: "إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض"<sup>(٢)</sup>. إذن الاختيار على أساس الدين والأخلاق من أهم ما يحقق للزوجين سعادتهما الكاملة المؤمنة، ولأولاد تربيتهم الإسلامية الفاضلة، وللأسرة شرفها الثابت، واستقرارها المنشود.

٢- ضرورة توعية الجماهير ومدّهم بأحدث أساليب التنشئة الأسرية، خاصة وأن الدراسات الحديثة قد أثبتت أن أساليب التنشئة الأسرية السوية لها

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه الترمذي.

أثرها الواضح الذي ينعكس إيجاباً على الصحّة النفسية والعقلية والبدنية للطفل، والعكس صحيح، فإنّ التنشئة غير السويّة للأبناء تؤدّي بهم إلى الاضطرابات النفسية والشخصية، وتدفعهم إلى الانحرافات السلوكية، والاتجاه نحو عالم الجريمة.

٣- أن تعمل وزارات التربية والتعليم على إقرار تدريس مادّة التربية الأسرية ضمن المناهج الدراسية بالمرحلة الثانوية والجامعية لكلّ من الجنسين، حتّى يكتسب الطلاب المقبولون على الزواج معرفة أفضل شروط وأسس اختيار شريك الحياة، وكيفية إقامة حدود الله في تكوين الأسرة، حتّى تتسم بالطمأنينة والمودة والسكون كما في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾<sup>(١)</sup>؛ يضاف إلى ذلك معرفة كيفية رعاية الأبناء وتنشئتهم تنشئة إسلامية صحيحة جسدياً وعقلياً واجتماعياً وانفعالياً ودينياً وخلقياً..إلخ.

٤- تفعيل وظيفة الأسرة المسلمة لتقوم بمسئوليتها في تحصين الأبناء ضدّ الفكر المتطرّف أو الانحراف، والعداوة، والعدوانية، وأساليب التوافق غير السوية، وذلك بنشر الوعي الأسري، وتمتية روح المسؤولية نحو الأبناء لدى الآباء والأمّهات، وتوطيد أواصر الصلة بين أفراد الأسرة لتعود قويّة كما كانت، فالأسرة هيّ حائط الصدّ الأوّل، والجدار المنيع لحماية الجيل الجديد من أيّ انحراف.

#### ■ ثانياً : المسجد:

٥- إنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو أحد أهمّ الأعمدة التي تقوم

(١) سورة الروم: ٢١.



عليها أمة الإسلام وبه فضلت على سائر الأمم، ولذلك فإذا تواصلت الناس بالخير، وكان كل مسلم مرآة لأخيه، وفتحت القلوب لاستقبال النصح والمشورة بدافع ديني شرعي، وللمسجد مسؤولية كبيرة في ذلك، وبه يرأب الصدع، وتوقى أسباب الهلاك، وترفعت البلائيا عن البشر؛ إن ذلك صمام أمان المجتمعات الإسلامية.

وقد نعى القرآن على بني إسرائيل إهمالهم التواصل بالخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ. كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾<sup>(١)</sup>. وهؤلاء اليهود لم يكونوا قد تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بصورة كلية ونهائية، بل إنهم كانوا يفعلون كلاً من الأمرين، ولكنهم لم يكونوا يقاطعون الفاعلين للمنكر، فقد كان أحدهم يرى الرجل على منكر محرّم فيقول له "يا هذا اتق الله، ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد، فلا يمنعه ذلك من أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض"<sup>(٢)</sup>.

مؤتمر ظاهرة التكفير .. الأسباب .. الآثار .. العلاج

٦- نشر الوعي الديني الصحيح بين الأطفال والشباب والراشدين، والتأكيد على أن جوهر الإسلام هو الرحمة، وحسن الخلق، والتعاطف بين البشر ما لم يقاتلونا في الدين. إنَّ التدين إذا مسَّ شغاف القلب، وكان جزءاً من حياة المسلم، تراه يسير على الأرض هيئاً ليئناً شفيقاً بكلِّ البشر، بل حتّى بالحيوان والجماد. وقد فرّق القرآن الكريم بين الإيمان والإسلام في سورة الحجرات:

(١) سورة المائدة: ٧٨-٧٩.

(٢) رواه أبو داود.

﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾<sup>(١)</sup>. وقد حدّد القرآن أوصاف عباد الرحمن في سورة الفرقان وحدّد منها صفات: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾<sup>(٢)</sup>. وهذا يحتاج إلى نشر الوعي الديني على يد أئمة المساجد أو العلماء.

٧- تنمية الشعور بالانتماء، - من خلال خطب الجمعة والمحاضرات- وإدراك أهميّة الجماعة ونبذ الفرقة والاختلاف، فإن لزوم الجماعة عبادة، والخروج عليها باب من أبواب الفتن، وقد أكّد القرآن أنّ التفرّق هو سبب الفشل في غير موضع منه ومن هذه المواضع قوله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾<sup>(٣)</sup>. ولن يتأتّى شعور الفرد بالانتماء لجماعته إلا إذا كانت هذه الجماعة مشبعة لحاجاته النفسية والاجتماعية وأحياناً الماديّة.

٨- توفير برامج حيويّة تهتمّ بمعاناة الناس ومشكلاتهم، كاهتمام المساجد - مثلاً - بمشكلة العزّاب، أو العاطلين عن العمل، أو الأيتام، والمرضى، وأمثال ذلك - على الأقلّ - ممّا يربط الأمة بالمسجد. إنّ جمع الزكاة العامّة وزكاة الفطر، والصدقات المندوبة، وتشجيع المحسنين على القيام بمشاريع الإحسان من الأمور التي يمكن أن يؤديها المسجد في أكثر بلاد المسلمين

(١) سورة الحجرات: ١٤.

(٢) سورة الفرقان: ٦٣.

(٣) سورة الأنفال: ٤٦.